

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ٧

وَايَاتُهَا سَبْعٌ

١

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.

● التَّفْسِيرُ:

سُمِّيَتْ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ لافْتِتَاحِ كِتَابِ اللَّهِ بِهَا، وَتَسْمَى أُمُّ الْقُرْآنِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى مَوْضِعَاتِهِ: مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَعِبَادَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي.

١) بِاسْمِ اللَّهِ أَبَدًا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، مُسْتَعِينًا بِهِ تَعَالَى مُتَبَرِّكًا بِذِكْرِ اسْمِهِ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ الْبِسْمَلَةُ ثَلَاثَةً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَهِيَ: ١ - «اللَّهُ»؛ أَي: الْمَعْبُودُ بِحَقِّ، وَهُوَ أَخْصَى أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ. ٢ - «الرَّحْمَنُ»؛ أَي: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، فَهُوَ الرَّحْمَنُ بِذَاتِهِ. ٣ - «الرَّحِيمُ»؛ أَي: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِلَةِ، فَهُوَ يَرْحَمُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَمَنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِهِ. ٤) الثَّنَاءُ الْكَامِلُ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمَحَامِدِ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ هِيَ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ؛ إِذْ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ. وَالْعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُمْ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى. ٥) ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ حَمْدِهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

٦) تَمْجِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ الْمَالِكُ لِكُلِّ مَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا، فَ«يَوْمَ الدِّينِ»: يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

٧) نَخَصُّكَ وَحْدَكَ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، فَلَا نُشْرِكُ مَعَكَ غَيْرَكَ، وَمَنْكَ وَحْدَكَ نَطْلُبُ الْعَوْنَ فِي كُلِّ شَأْنٍ، فَيَبْدِكَ الْخَيْرُ كُلَّهُ، وَلَا مُعِينَ سِوَاكَ.

٨) دُلُّنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاسْلُكْ بِنَا فِيهِ، وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ، وَزِدْنَا هُدًى. وَ«الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

٩) طَرِيقَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادِكَ بِهَدَايَتِهِمْ؛ كَالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا، غَيْرِ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ كَالْيَهُودِ، وَغَيْرِ طَرِيقِ الضَّالِّينَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ لَتَضِلُّهُمْ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَالْاهْتِدَاءِ إِلَيْهِ كَالنَّصَارَى.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- افْتَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ بِالْبِسْمَلَةِ؛ لِيُرْشِدَ عِبَادَهُ أَنْ يَبْدُؤُوا أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ بِهَا طَلِبًا لِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ.
- مِنْ هَدْيِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فِي الدُّعَاءِ الْبَدِءِ بِتَمْجِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ الشُّرُوعِ فِي الطَّلَبِ.
- تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ كَالنَّصَارَى الضَّالِّينَ، أَوْ عَدَمِ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ الَّذِي عَرَفُوهُ كَالْيَهُودِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.
- دُلَّتِ السُّورَةُ عَلَى أَنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ يَكُونُ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَطَلَبِ الْعَوْنِ مِنْهُ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهِ.

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الأمر بتحقيق الخلافة في الأرض بإقامة الإسلام، والاستسلام لله، والتحذير من حال بني إسرائيل.

● التفسير:

سُمِّيَتْ سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها، وفيها إشارة إلى وجوب المسارعة إلى تطبيق شرع الله، وعدم التلكؤ فيه كما حصل من يهود.

① هذه من الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن، وهي حروفٌ هجائية لا معنى لها في نفسها إذا جاءت مفردة هكذا (أ، ب، ت، إلخ)، ولها حكمة ومغزى: حيث لا يوجد في القرآن ما لا حكمة له، ومن أهم حكمتها: الإشارة إلى التحدي بالقرآن الذي يتكوّن من الحروف نفسها التي يعرفونها ويتكلمون بها؛ لذا يأتي غالباً بعدها ذكرٌ للقرآن الكريم، كما في هذه السورة.

② ذلك القرآن العظيم لا شك فيه، لا من جهة تنزيله، ولا من حيث لفظه ومعناه، فهو كلام الله، يهدي المتقين إلى الطريق الموصل إليه.

③ الذين يؤمنون بالغيب وهو كل ما لا يدرك بالحواس وغاب عنا، مما أخبر الله عنه أو أخبر عنه رسوله، كالיום الآخر، وهم الذين يقيمون الصلاة بأدائها وفق ما شرع الله من شروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وهم الذين ينفقون مما

رزقهم الله، بإخراج الواجب كالزكاة، أو غير الواجب كصدقة التطوع؛ رجاء ثواب الله، وهم الذين يؤمنون بالوحي الذي أنزل الله عليك - أيها النبي - والذي أنزل على سائر الأنبياء ﷺ من قبلك دون تفريق، وهم الذين يؤمنون إيماناً جازماً بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب.

④ هؤلاء الْمُتَصِفُونَ بهذه الصفات على تَمَكُّنٍ من طريق الهداية، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة بنيلهم ما يرجون ونجاتهم مما يخافون.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الثقة المطلقة في نفي الرّيب دليل على أنه من عند الله؛ إذ لا يمكن لمخلوق أن يدعي ذلك في كلامه.
- لا ينتفع بما في القرآن الكريم من الهدايات العظيمة إلا المتقون لله تعالى المعظمون له.
- من أعظم مراتب الإيمان الإيمان بالغيب؛ لأنه يتضمن التسليم لله تعالى في كل ما تقرّد بعلمه من الغيب، ولرسوله بما أخبر عنه سبحانه.
- كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والزكاة؛ لأنّ الصلاة إخلاص للمعبود، والزكاة إحسان للعبيد، وهما عنوان السعادة والنجاة.
- الإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات يورثان الهداية والتوفيق في الدنيا، والفوز والفلاح في الأخرى.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةُ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤

وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ظُلْمًا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قُلُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَادْخُلُوا إِلَى شِيعَتِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

ولما بيّن الله صفات المؤمنين المتقين الذين صلح ظاهرهم وباطنهم، ذكر صفات طائفة من الكافرين الذين فسد ظاهرهم وباطنهم، فقال:

﴿٦﴾ إن الذين حقت عليهم كلمة الله بعدم الإيمان مستمرين على ضلالهم وعنادهم، فإنذارك لهم وعدمه سواء. ﴿٧﴾ لأن الله طبع على قلوبهم فأغلقها على ما فيها من باطل، وطبع على سمعهم فلا يسمعون الحق سماع قبول وانقياد، وجعل على أبصارهم غطاء فلا يبصرون الحق مع وضوحه، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ولما بيّن الله صفات الكافرين الذين فسد ظاهرهم وباطنهم؛ بيّن صفات المنافقين الذين فسد باطنهم وصلح ظاهرهم فيما يبدو للناس، فقال:

﴿٨﴾ ومن الناس طائفة يزعمون أنهم مؤمنون، يقولون ذلك بالسنتهم خوفاً على دمائهم وأموالهم، وهم في الباطن كافرون.

﴿٩﴾ يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، ولكنهم لا يشعرون بذلك؛ لأن الله تعالى يعلم السر وأخفى، وقد أطلع المؤمنين على صفاتهم وأحوالهم.

﴿١٠﴾ والسبب أن في قلوبهم شكاً، فزادهم الله شكاً إلى شكهم، والجزاء من جنس العمل، ولهم عذاب أليم في الدرك الأسفل من النار، بسبب كذبهم على الله وعلى الناس، وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ.

﴿١١﴾ وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والذنوب وغيرها، أنكروا وزعموا أنهم هم أصحاب الإصلاح والإصلاح.

﴿١٢﴾ والحققة أنهم هم أصحاب الإفساد، ولكنهم لا يشعرون بذلك، ولا يشعرون أن فعلهم عين الفساد.

﴿١٣﴾ وإذا أمروا بالإيمان كما آمن أصحاب محمد ﷺ، أجابوا على سبيل الاستنكار والاستهزاء بقولهم: أنؤمن كإيمان خفاف العقول؟ والحق أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

﴿١٤﴾ وإذا التقوا المؤمنين قالوا: صدقنا بما تؤمنون به؛ يقولون ذلك خوفاً من المؤمنين، وإذا انصرفوا عن المؤمنين إلى رؤسائهم منفردين بهم، قالوا مؤكدين ثباتهم على متابعتهم لهم: إنا معكم على طريقتكم، ولكننا نوافق المؤمنين ظاهراً سخرية بهم واستهزاءً.

﴿١٥﴾ الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، جزاء لهم من جنس عملهم، ولهذا أجرى لهم أحكام المسلمين في الدنيا، وأما في الآخرة فيجازيهم على كفرهم ونفاقهم، وكذلك يمهلهم ليتمادوا في ضلالهم وطغيانهم، فيبقوا حائرين مترددين.

﴿١٦﴾ أولئك المنافقون الموصوفون بتلك الصفات هم الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، فما ربحت تجارتهم؛ لخسارتهم الإيمان بالله، وما كانوا مهتدين إلى الحق.

﴿١٧﴾ من قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- أن من طبع الله على قلوبهم بسبب عنادهم وتكذيبهم لا تنفع معهم الآيات وإن عظمت.
- أن إهمال الله تعالى للظالمين المكذبين لم يكن عن غفلة أو عجز عنهم، بل ليزدادوا إثمًا، فتكون عقوبتهم أعظم.

﴿١٧﴾ ضرب الله لهؤلاء المنافقين مثلين: مثلاً نارياً، ومثلاً مائئياً، فأما مثلهم الناري: فهم كمثل من أوقد ناراً ليستضيء بها، فلما سطع نورها ووطن أنه ينتفع بضوئها خمدت، فذهب ما فيها من إشراق، وبقي ما فيها من إحراق، فبقي أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون سبيلاً.

﴿١٨﴾ فهم صمٌّ لا يسمعون الحق سماع قبول، بُكْمٌ لا ينطقون به، عمي عن إبطاره، فلا يرجعون عن ضلالهم.

﴿١٩﴾ وأما مثلهم المائي: فهم كمثل مطر كثير، من سحب فيه ظلمات متراكمة ورعد وبرق، نزل على قوم فأصابهم زعر شديد، فجعلوا يسدّون أذانهم بأطراف أصابعهم، من شدة صوت الصواعق خوفاً من الموت، والله محيط بالكافرين لا يعجزونه.

﴿٢٠﴾ يكاد البرق من شدة لمعانه وسلطوعه يأخذ أبصارهم، كلما ومض البرق لهم وأضاء تقدموا، وإذا لم يضيئ بقوا في الظلام، فلم يستطيعوا التحرك، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بقدرته الشاملة لكل شيء؛ فلا تعود إليهم؛ لإعراضهم عن الحق. فكان المطر مثلاً للقرآن، وصوت الصواعق مثلاً لما فيه من الزواجر، وضوء البرق مثلاً لظهور الحق لهم أحياناً، وجعل سد الأذان من شدة الصواعق، مثلاً لإعراضهم عن الحق وعدم الاستجابة له، ووجه الشبه بين المنافقين وأصحاب المثلين: هو عدم الاستفادة، ففي المثل الناري: لم يستفد مستوفدها غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي: لم يستفد أصحاب المطر إلا ما يروّعهم ويزعجهم من الرعد

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشْوَافُهَا وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

والبرق، وهكذا المنافقون لا يرون في الإسلام إلا الشدة والقسوة.

ولما ذكر الله أنواع الناس من مؤمنين وكافرين ومنافقين؛ ناداهم جميعاً داعياً إياهم إلى إفراده بالعبادة، فقال:

﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ لَكُمْ، رَجَاءُ أَنْ تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِهِ وَقَايَةً؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٢٢﴾ فَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا مَّهِدًا، وجعل السماء من فوقها مُحْكَمَةً الْبِنَانِ، وهو المنعم بإنزال المطر، فَأَنْبَتَ بِهِ مَخْتَلَفَ الثَّمَارِ مِنَ الْأَرْضِ، لتكون رِزْقًا لَكُمْ، فلا تجعلوا لله شركاء وأمثالاً وأنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله ﷻ.

﴿٢٣﴾ وَإِن كُنْتُمْ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ - فِي شَكٍّ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُنْزَلِ عَلَىٰ عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فتتحداكم أن تعارضوه بالإتيان بسورة واحدة مماثلة له، ولو كانت أقصر سورة منه، ونادوا من استطاعتم من أنصاركم إن كنتم صادقين فيما تدعون.

﴿٢٤﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ - وَلَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِ أَبَدًا - فاتقوا النار التي توقد بالناس المستحقين للعذاب، وبأنواع الحجارة مما كانوا يعبدونه وغيرها، هذه النار قد أعدها الله وهيباً للكافرين.

﴿٢٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الله تعالى يخذل المنافقين في أشد أحوالهم حاجة وأكثرها شدة؛ جزاء نفاقهم وإعراضهم عن الهدى.
- من أعظم الأدلة على وجوب إفرااد الله بالعبادة أنه تعالى هو الذي خلق لنا ما في الكون وجعله مسخرًا لنا.
- عجز الخلق عن الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم يدل على أنه تنزيل من حكيم عليم.

﴿٢٥﴾ وإذا كان الوعيد السابق للكافرين؛ فبشر - أيها النبي - المؤمنين بالله الذين يعملون الصالحات؛ بما يسرهم من جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، كلما أطعموا من ثمارها الطيبة رزقاً؛ قالوا من شدة الشبه بثمار الدنيا؛ هذا مثل الثمار التي رزقنا من قبل، وقدمت لهم ثمار متشابهة في شكلها واسمها حتى يُقبلوا عليها بحكم المعرفة بها، ولكنها مختلفة في طعمها ومذاقها، ولهم في الجنة أزواج مبرأة من كل ما تنفر منه النفس، ويستقذّر طبعاً مما يتصور في أهل الدنيا، وهم في نعيم دائم لا ينقطع، بخلاف نعيم الدنيا المنقطع. ﴿٢٦﴾ إن الله ﷻ لا يستحي من ضرب الأمثال بما شاء، فيضرب المثل بالبعوضة، فما فوقها في الكبر أو دونها في الصغر، والناس أمام هذا نوعان: مؤمنون وكافرون، فأما المؤمنون فيصدقون ويعلمون أن من وراء ضرب المثل بها حكمة، وأما الكافرون فيتساءلون على سبيل الاستهزاء عن سبب ضرب الله الأمثال بهذه المخلوقات الحغيرة؛ كالبعوض، والذباب، والعنكبوت، وغيرها، فيأتي الجواب من الله: إن في هذه الأمثال هدايات وتوجيهات واختياراً للناس، فمنهم من يضلهم الله بهذه الأمثال لإعراضهم عن تدبرها، وهم كثير، ومنهم من يهديهم بسبب اتعاظهم بها، وهم كثير، ولا يضل إلا من كان مستحقاً للضلال، وهم الخارجون عن طاعته؛ كالمنافقين. ﴿٢٧﴾ الذين ينقضون عهد الله الذي

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيٰ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ تُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ويقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام، ويسعون لنشر الفساد في الأرض بالمعاصي، فهؤلاء هم الناقصة حظوظهم في الدنيا والآخرة. ﴿٢٨﴾ إن أمركم - أيها الكفار - لعجب! كيف تكفرون بالله، وأنتم تشهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدماً لا شيء، فأنشأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم الموت الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم. ﴿٢٩﴾ والله وحده الذي خلق لكم جميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وغير ذلك مما لا يحصى عدده، وأنتم تتفنون به وتستمتعون بما سخره لكم، ثم قصد إلى خلق السماء فخلقهن سبع سموات مستويات، وهو الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿٣٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من كمال النعيم في الجنة أن ملذاتها لا يكدرها أي نوع من التفتيص، ولا يخالطها أي أذى.
- الأمثال التي يضربها الله تعالى لا ينتفع بها إلا المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يريدون الهداية بصدق، ويطلبونها بحق.
- من أبرز صفات الفاسقين نقض عهودهم مع الله ومع الخلق، وقطعهم لما أمر الله بوصله، وسعيهم بالفساد في الأرض.
- الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأن الله تعالى امتن على عباده بأن خلق لهم كل ما في الأرض.

﴿٣٠﴾ يخبر الله تعالى أنه سبحانه

قال للملائكة: إنه سيجعل في الأرض بشراً يخلف بعضهم بعضاً، للقيام بعمارتهَا على طاعة الله، فسأل الملائكة ربهم - سؤال استرشاد واستفهام - عن الحكمة من جعل بني آدم خلفاء في الأرض، وهم سيفسدون فيها، ويريقون الدماء ظلماً، قائلين: ونحن أهل طاعتك، نُتَزَّهِك حامدين لك، ومعظمين جلالك وكمالك، لا نفتر عن ذلك، فأجابهم الله عن سؤالهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكم الباهرة في خلقهم، والمقاصد العظيمة من استخلافهم.

﴿٣١﴾ وليبيان منزلة آدم ﷺ علمه الله تعالى أسماء الأشياء كلها من الحيوان والجماد وغير ذلك؛ أفاضها ومعانيها، ثم عرض تلك المسميات على الملائكة قائلًا: أخبروني بأسمائها إن كنتم صادقين فيما تقولون: إنكم أكرم من هذا المخلوق وأفضل منه.

﴿٣٢﴾ قالوا - مُتَعَرِّفِينَ بنقصهم مُرْجِعِينَ الفضل إلى الله -: نُتَزَّهِك ونعظمك يا ربنا عن الاعتراض عليك في حكمك وشرعك، فتحن لا نعلم شيئاً إلا ما رزقنا علمه، إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليك شيء، الحكيم الذي تضع الأمور في مواضعها من قدرك وشرعك.

﴿٣٣﴾ وعندئذ قال الله تعالى لآدم: أخبرهم بأسماء تلك المسميات، فلما أخبرهم كما علمه ربه، قال الله للملائكة: ألم أقل لكم: إني أعلم ما خفي في السماوات وفي الأرض، وأعلم ما تُظْهِرون من أحوالكم وما تحدثون به أنفسكم. ﴿٣٤﴾ يبين الله

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّادُمُ أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَآذَنَّا لَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

تعالى أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم سجود تقدير واحترام، فسجدوا مسارعين لامثال أمر الله، إلا ما كان من إبليس الذي كان من الجن. فامتنع اعتراضاً على أمر الله له بالسجود وتكبُّراً على آدم، فصار بذلك من الكافرين بالله تعالى. ﴿٣٥﴾ قلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك - حواء - الجنة، وكُلَا منها أَكْلًا هَنِيئًا وَاسْعًا لا مُنْقَصٍ فيه، في أي مكان من الجنة، وإياكما أن تقربا هذه الشجرة التي نهيتكما عن الأكل منها، فتكونا من الظالمين بعضيان ما أمرتكم به. ﴿٣٦﴾ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويزين: حتى أوقعهما في الزلل والخطيئة بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فكان جزاؤهما أن أخرجهما الله من الجنة التي كانا فيها، وقال الله لهما وللشيطان: انزلوا إلى الأرض، بعضكم أعداء بعض، ولكم في تلك الأرض استقرار وبقاء وتمعُّن بما فيها من خيرات إلى أن تنتهي آجالكم، وتقوم الساعة. ﴿٣٧﴾ فأخذ آدم ما ألقى الله إليه من كلمات، وألهمه الدعاء بهن، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، فقبل الله توبته، وغفر له، فهو سبحانه كثير التوبة على عباده، رحيمٌ بهم.

﴿٣٨﴾ مِنْ قَوْلِهِ الْأَيَّامُ:

- الواجب على المؤمن إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض خلقه وأمره أن يسلم لله في خلقه وأمره.
- رَفَعَ القرآن الكريم منزلة العلم، وجعله سبباً للتفصيل بين الخلق.
- الكبُرُّ هو رأس المعاصي، وأساس كل بلاء ينزل بالخلق، وهو أول معصية عُصِيَ الله بها.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ يٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَالَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَاوَرِبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْعًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٢٨﴾ قلنا لهم: انزلوا جميعًا إلى الأرض، فإن جاءكم هداية على أيدي رسلي، فمن اتبعها وآمن برسلي فلا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. ﴿٢٩﴾ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا؛ فاولئك هم أصحاب النار، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٤٠﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب تذكروا نعم الله المتتالية عليكم واشكروها، والتزموا بالوفاء بعهدي إليكم؛ من الإيمان بي وبرسلي، والعمل بشرائعي، فإن وفيتهم به أوفيت بعهدي لكم فيما وعدتكم به؛ من الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن يوم القيامة، وإياي وحدي فخافوني ولا تفتضوا عهدي.

﴿٤١﴾ وأمنوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ موافقًا لما جاء في التوراة قبل تحريفها في شأن توحيد الله، ونبوته محمد ﷺ، واحذروا من أن تكونوا أول فريق يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي التي أنزلتها ثمنًا قليلًا من جاه ورياسة، واتقوا غضبي وعذابي.

﴿٤٢﴾ ولا تخطئوا الحق - الذي أنزلته على رسلي - بما تفترون من أكاذيب، ولا تكتموا الحق الذي جاء في كتبكم من صفة محمد ﷺ، مع علمكم به وبيعتكم منه.

﴿٤٣﴾ وأدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم التي جعلها الله في أيديكم، واخضعوا لله مع الخاضعين له من أمة محمد ﷺ.

﴿٤٤﴾ ما أقبح أن تأمروا غيركم بالإيمان وفعل الخير، وتعرضوا أنتم عنه ناسين أنفسكم، وأنتم تقرؤون التوراة، عالمين بما فيها من الأمر باتباع دين الله، وتصديق رسله، أفلا تتفنون بعقولكم؟

﴿٤٥﴾ واطلبوا العون على كل أحوالكم الدينية والدنيوية؛ بالصبر وبالصلاة التي تقرّبكم إلى الله وتصلحكم به، فيعينكم ويحفظكم ويذهب ما بكم من ضرر، وإن الصلاة لشاقة وعظيمة إلا على الخاضعين لربهم.

﴿٤٦﴾ وذلك لأنهم هم الذين يوقنون أنهم واردون على ربهم وملاقوه يوم القيامة، وأنهم إليه راجعون ليجازيهم على أعمالهم. ﴿٤٧﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب، اذكروا نعمي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم المعاصرين لكم بالنبوّة والملك.

﴿٤٨﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي، ذلك اليوم الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئًا، ولا تُقبل فيه شفاعة أحد بدفع ضرر أو جلب نفع إلا بإذن من الله، ولا يؤخذ فداء ولو كان ملاء الأرض ذهبًا، ولا ناصر لهم في ذلك اليوم، فإذا لم ينفع شافع ولا فداء ولا ناصر، فأين المفر؟

﴿٤٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من أعظم الخذلان أن يأمر الإنسان غيره بالبر، وينسى نفسه.
- الصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد في شؤونته كلها.
- في يوم القيامة لا يدفع العذاب عن المرء الشفعاء ولا الفداء، ولا ينفعه إلا عمله الصالح.

﴿٤٨﴾ واذكروا يا بني إسرائيل حين أنقذناكم من أتباع فرعون الذين كانوا يذيقونكم أصناف العذاب؛ حيث يقتلون أبناءكم ذبحاً، حتى لا يكون لكم بقاء، ويتركون بناتكم أحياء حتى يكن نساء ليعبدنهم؛ إمعاناً في إذلالكم وإهانتهنكم، وفي إنجائكم من بطش فرعون وأتباعه اختبار عظيم من ربكم؛ لعلكم تشكرون.

﴿٤٩﴾ واذكروا من نعمنا عليكم أن شققنا لكم البحر فجعلناه طريقاً يابساً تسيرون فيه، فأنجيناكم، وأغرقنا عدوكم فرعون وأتباعه أمام أعينكم وأنتم تنظرون إليهم.

﴿٥٠﴾ واذكروا من هذه النعم مواعيدنا موسى أربعين ليلة ليتم فيها إنزال التوراة نوراً وهدى، ثم ما كان منكم إلا أن عبيدتم العجل في تلك المدة، وأنتم ظالمون بفعلكم هذا. ﴿٥١﴾ ثم تجاوزنا عنكم بعد توبتكم، فلم نؤاخذكم لعلكم تشكرون الله بحسن عبادته وطاعته.

﴿٥٢﴾ واذكروا من هذه النعم أن آتينا موسى ﷺ التوراة فرقاناً بين الحق والباطل وتمييزاً بين الهدى والضلال لعلكم تهتدون بها إلى الحق.

﴿٥٣﴾ واذكروا من هذه النعم أن وفقكم الله للتوبة من عبادة العجل، حيث قال موسى ﷺ لكم: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل الهوا تعبدونه، فتوبوا وارجعوا إلى خالقكم وموجدكم، وذلك بأن يقتل بعضكم بعضاً؛ والتوبة على هذا النحو خير لكم من التماادي في الكفر المؤدي إلى الخلود في النار، فقمتم بذلك بتوفيق من الله وإعانة، فتاب عليكم؛ لأنه كثير

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

التوبة رحيم بعباده.

﴿٥٨﴾ واذكروا حين قال آباؤكم مخاطبين موسى ﷺ بجرأة: لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً لا يُحجب عنا، فأخذتكم النار المحرقة، فقتلتكم وبعضكم ينظر إلى بعض.

﴿٥٩﴾ ثم أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون الله على إنعامه عليكم بذلك.

﴿٦٠﴾ ومن نعمنا عليكم أن أرسلنا السحاب يظلكم من حر الشمس لما تُهْتَم في الأرض، وأنزلنا عليكم من نعمنا شراباً حلواً مثل العسل، وطائراً صغيراً طيب اللحم يشبه السماني، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم. وما نقصونا شيئاً بجحدهم هذه النعم وكفرائها، ولكن ظلموا أنفسهم بنقص حظها من الثواب وتعريضها للعقاب.

﴿٦١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عظم نعم الله وكثرتها على بني إسرائيل، ومع هذا لم تردهم إلا تكبُّراً وعناداً.
- سعة حلم الله تعالى ورحمته بعباده، وإن عظمت ذنوبهم.
- الوحي هو الفيصل بين الحق والباطل.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

اللَّهُ أَنْ يَخْرِجَ لَكُمْ مِنْ بَنَاتِ الْأَرْضِ مِنْ بَقُولِهَا وَخَضْرَاهَا وَقِثَّائِهَا (يشبه الخيار لكنه أكبر) وحبوبها وعدسها وبصلها؛ طعامًا؛ فقال موسى ﷺ - مستنكرًا طلبكم: أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَقْلُ وَأَدْنَى بِالْمَنْ وَالسَّلْوَى، وهو خير وأكرم، وقد كان يأتيكم دون عناء وتعب -؛ انزلوا من هذه الأرض إلى أي قرية، فستجدون ما سألتهم في حقولها وأسواقها. وياتباعهم لأهوائهم وإعراضهم المتكرر عما اختاره الله لهم؛ لآزهم الهوان والفقر والبؤس، ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دينه، وكفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءه ظلمًا وعدوانًا؛ كل ذلك بسبب أنهم عصوا الله وكانوا يتجاوزون حدوده.

● مِنْ قَوَائِدِ آيَاتٍ:

- كل من يتلاعب بنصوص الشرع ويحرفها فيه شبهة من اليهود، وهو مُتَوَعَّدُ بعقوبة الله تعالى.
- عظم فضل الله تعالى على بني إسرائيل، وفي مقابل ذلك شدة جحودهم وعنادهم وإعراضهم عن الله وشرعه.
- أن من شؤم المعاصي وتجاوز حدود الله تعالى ما ينزل بالمرء من الذل والهوان، وتسلط الأعداء عليه.

﴿٥٨﴾ واذكروا من نعم الله عليكم حين قلنا لكم: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا مما فيه من الطيبات من أي مكان شئتم أكلاً هنيئاً واسعاً، وكونوا في دخولكم راكعين خاضعين لله، واسألوا الله قائلين: ربنا حطّ عنا ذنوبنا؛ نستجب لكم، وسنزيد الذين أحسنوا في أعمالهم ثواباً على إحسانهم.

﴿٥٩﴾ فما كان من الذين ظلموا منهم إلا أن بدلوا العمل، وحرفوا القول، فدخلوا يزحفون على أدبارهم، وقالوا: حبة في شعرة، مستهزئين بأمر الله تعالى؛ فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين منهم عذاباً من السماء بسبب خروجهم عن حد الشرع ومخالفة الأمر.

﴿٦٠﴾ واذكروا من نعم الله عليكم لما كنتم في التَّيِّه، ونالكم العطش الشديد، فتضرع موسى ﷺ إلى ربه وسأله أن يسقيكم؛ فأمرناه أن يضرب بعصاه الحجر؛ فلما ضربه تفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد قبائلكم، وانبعث منها الماء، وبيتنا لكل قبيلة مكان شربها الخاص بها، حتى لا يقع نزاع بينهم، وقلنا لكم: كلوا واشربوا من رزق الله الذي ساقه إليكم بغير جهد منكم ولا عمل، ولا تسعوا في الأرض مفسدين فيها.

﴿٦١﴾ واذكروا حين كفرتم نعمة ربكم فملأتم من أكل ما أنزل الله عليكم مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وقتلتم؛ لن نصبر على طعام واحد لا يتغير، فطلبتم من موسى ﷺ أن يدعو

﴿٢٢﴾ إِنَّ مَن آمَنَ مِنْ هَذِهِ الْأَمَةِ، وكذلك من آمن من الأمم الماضية قبل بعثة محمد ﷺ من يهود ونصارى وصابئة - وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء - من تحقق فيهم الإيمان بالله وباليوم الآخر؛ فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه في الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

﴿٢٣﴾ واذكروا ما أخذنا عليكم من العهد المؤكد، من الإيمان بالله ورسله، ورفعنا الجبل فوقكم تخويفاً لكم وتحذيراً من ترك العمل بالعهد، أمرين لكم بأخذ ما أنزلنا عليكم من التوراة بجد واجتهاد، دون تهاون وكسل، واحفظوا ما فيه وتدبروه؛ لعلكم بفعل ذلك تتقون عذاب الله تعالى.

﴿٢٤﴾ فما كان منكم إلا أن أعرضتم وعصيتم بعد أخذ العهد المؤكد عليكم، ولولا فضل الله عليكم بالتجاوز عنكم، ورحمته بقبول توبتكم؛ لكنتم من الخاسرين بسبب ذلك الإعراض والعصيان. ﴿٢٥﴾ ولقد علمتم خبر أسلافكم علماً لا لبس فيه؛ حيث اعتدوا بالصيد يوم السبت الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه، فاحتالوا على ذلك بنصب الشباك قبل يوم السبت، واستخرجوها يوم الأحد؛ فجعل الله هؤلاء المتحايين قردة منبوذين عقوبة لهم على تحايلهم. ﴿٢٦﴾ فجعلنا هذه القرية المعتدية عبرة لما جاورها من القرى، وعبرة لمن يأتي بعدها؛ حتى لا يعمل بعملها فيستحق عقوبتها، وجعلناها

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّةَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

تذكرة للمتقين الذين يخافون عقاب الله وانتقامه ممن يتعدى حدوده.

﴿٢٧﴾ واذكروا من خبر أسلافكم ما جرى بينهم وبين موسى ﷺ، حيث أخبرهم بأمر الله لهم أن يذبحوا بقرة من البقر، فبدلاً من المسارعة قالوا مُتَعَبِّتَيْنِ: أتجعلنا موضعاً للاستهزاء؟ فقال موسى: أعوذ بالله أن أكون من الذين يَكْذِبُونَ على الله، ويستهزئون بالناس.

﴿٢٨﴾ قالوا لموسى: ادع لنا ربك حتى يبين لنا صفة البقرة التي أَمَرْنَا بذبحها، فقال لهم: إن الله يقول: إنها بقرة ليست كبيرة السن ولا صغيرة، ولكن وسط بين ذلك، فبادروا بامتثال أمر ربكم.

﴿٢٩﴾ فاستمروا في جدالهم وتعنتهم قائلين لموسى ﷺ: ادع ربك حتى يبين لنا ما لونها، فقال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تُعْجِبُ كل من ينظر إليها.

﴿٣٠﴾ من فوائد الآيات:

- الحكم المذكور في الآية الأولى لما قبل بعثة النبي ﷺ، وأما بعد بعثته فإن الدين المَرْضِي عند الله هو الإسلام، لا يقبل غيره، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥).
- قد يُعْجَلُ الله العقوبة على بعض المعاصي في الدنيا قبل الآخرة؛ لتكون تذكرة يعظ بها الناس فيحذروا مخالفة أمر الله تعالى.
- أن من ضيق على نفسه وشدد عليها فيما ورد موسعاً في الشريعة، قد يُعَاقَبُ بالتشديد عليه.

(٧١) ثم تبادوا في تعنتهم قائلين: ادع لنا ربك حتى يبين لنا مزيداً من صفاتها؛ لأن البقر المتصف بالصفات المذكورة كثير لا نستطيع تعيينها من بينها. مؤكدين أنهم - إن شاء الله - مهتدون إلى البقرة المطلوب ذبحها. (٧٢) فقال لهم موسى: إن الله يقول: إن صفة هذه البقرة أنها غير مثقلة بالعمل في الحراثة، ولا في سقاية الأرض، وهي سالمة من العيوب، ليس فيها علامة من لون آخر غير لونها الأصفر، وعندئذ قالوا: الآن جئت بالوصف الدقيق الذي يعين البقرة تماماً، وذبحوها بعد أن أوشكوا ألا يذبحوها بسبب الجدل والتعنت.

(٧٣) واذكروا حين قتلتم واحداً منكم فتدافعتم، كل يدفع عن نفسه تهمة القتل، ويرمي بها غيره، حتى تنازعتم، والله مخرج ما كنتم تخفونه من قتل ذلك البريء.

(٧٤) فقلنا لكم: اضربوا القتل بجزء من البقرة التي أمرتم بذبحها؛ فإن الله سيحييه ليخبر من القاتل! ففعلوا ذلك فأخبر بقاتله. ومثل إحياء هذا الميت يحيي الله الموتى يوم القيامة، ويريكم الدلائل البينة على قدرته، لعلكم تعقلونها فتؤمنون حقاً بالله تعالى.

(٧٥) ثم قست قلوبكم من بعد هذه المواعظ البليغة والمعجزات الباهرة، حتى صارت مثل الحجارة، بل أشد صلابة منها؛ فهي لا تتحول عن حالها أبداً، وأما الحجارة فتتغير وتتحول، فإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يتشقق فيخرج منه الماء ينابيع جارية في الأرض،

الْحِزْبُ

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٤﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّن الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِن مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ * أَفَظَنَّمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِّنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِذَا الْقَوَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾

ينتفع بها الناس والدواب، ومنها ما يسقط من أعالي الجبال خشية من الله ورهبة، وليست كذلك قلوبكم، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو عالم به، وسيجازيكم عليه.

(٧٩) أفترجون - أيها المؤمنون - بعد أن علمتم حقيقة حال اليهود وعنادهم أن يؤمنوا، ويستجيبوا لكم؟ وقد كان جماعة من علمائهم يسمعون كلام الله المنزل عليهم في التوراة؛ ثم يغيرون ألفاظها ومعانيها بعد فهمهم لها ومعرفتهم بها، وهم يعلمون عظم جريمتهم.

(٨٠) من تناقضات اليهود ومكرهم أنهم إذا لقي بعضهم المؤمنين اعترفوا لهم بصدق النبي محمد ﷺ وصحة رسالته وهو ما تشهد له التوراة، ولكن حين يخلو اليهود بعضهم ببعض يتلاومون فيما بينهم بسبب هذه الاعترافات؛ لأن المسلمين يقيمون عليهم بها الحجة فيما صدر عنهم من الاعتراف بصدق النبوة.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

- أن بعض قلوب العباد أشد قسوة من الحجارة الصلبة؛ فلا تلين لموعظة، ولا ترقُّ لذكرى.
- أن الدلائل والبيّنات - وإن عظمت - لا تنفع إن لم يكن القلب مستسلماً خاشعاً لله.
- كشفت الآيات حقيقة ما انطوت عليه أنفس اليهود، حيث توارثوا الرعونة والخداع والتلاعب بالدين.

﴿٧٧﴾ هؤلاء اليهود يسألون هذا المسلك المشين وكأنهم يفعلون عن أن الله يعلم ما يخفون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون منها، وسيظهرها لعباده ويفضحهم.

﴿٧٨﴾ ومن اليهود طائفة، لا يعلمون التوراة إلا تلاوة، ولا يفهمون ما دلت عليه، وليس معهم إلا أكاذيب أخذوها من كبارهم، يظنون أنها التوراة التي أنزلها الله.

﴿٧٩﴾ فهلاك وعذاب شديد ينتظر هؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون - كذباً -: هذا من عند الله؛ ليستبدلوا بالحق واتباع الهدى ثمناً زهيداً في الدنيا، مثل المال والرئاسة، فهلاك وعذاب شديد لهم على ما كتبته أيديهم مما يكذبون به على الله، وهلاك وعذاب شديد لهم على ما يكسبونه من وراء ذلك من مال ورئاسة.

﴿٨٠﴾ وقالوا - كذباً وغروراً -: لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أياماً قليلة، قل - أيها النبي - هؤلاء؛ هل أخذتم على ذلك وعداً مؤكداً من الله؟ فإن كان لكم ذلك؛ فإن الله لا يخلف عهده، أو أنكم تقولون على الله - كذباً وزوراً - ما لا تعلمون؟

﴿٨١﴾ ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء؛ فإن الله يعذب كل من كسب سيئة الكفر، وأحاطت به ذنوبه من كل جانب؛ ويجازيهم بدخول النار وملازمتها، ما كثرت فيها أبداً.

﴿٨٢﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، ثوابهم عند الله دخول الجنة وملازمتها، ما كثرت فيها أبداً.

﴿٨٣﴾ واذكروا - يا بني إسرائيل -

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ شَيْءٌ بِهِ ثُمَّناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدهُ وَأَمْرٌ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم، بأن توحّدوا الله ولا تعبدوا معه غيره، وبأن تحسنوا إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين المحتاجين، وبأن تقولوا للناس كلاماً حسناً، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر بلا غلظة وشدة، وبأن تؤدوا الصلاة تامة على نحو ما أمرتكم، وبأن تؤتوا الزكاة بصرفها لمستحقها طيبة بها أنفسكم، ثم بعد هذا العهد الذي أخذ عليكم انصرفتم معرضين عن الوفاء به إلا من عصمه الله منكم، فوفى الله بعهده وميثاقه.

﴿٨٤﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- بعض أهل الكتاب يدّعي العلم بما أنزل الله، والحقيقة أن لا علم له بما أنزل الله، وإنما هو الوهم والجهل.
- من أعظم الناس إثماً من يكذب على الله تعالى ورسوله؛ فينسب إليهم ما لم يكن منهم.
- مع عظم المواثيق التي أخذها الله تعالى على اليهود وشدة التأكيد عليها، لم يزد هم ذلك إلا إعراضاً عنها ورفضاً لها.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْدُوهُمْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
 إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٤﴾ واذكروا العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم في التوراة من تحريم إراقة بعضكم دماء بعض، وتحريم إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم، ثم اعترفتم بما أخذناه عليكم من عهد بذلك، وأنتم تشهدون على صحتته.

﴿٨٥﴾ ثم أنتم تخالفون هذا العهد؛ فيقتل بعضكم بعضاً، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم مستعنيين عليهم بالأعداء ظُلماً وعدواناً، وإذا جاؤوكم أسرى في أيدي الأعداء سبيتم في دفع الفدية لتخليصهم من أسرهم، مع أن إخراجهم من ديارهم محرم عليكم، فكيف تؤمنون ببعض ما في التوراة من وجوب فداء الأسرى، وتكفرون ببعض ما فيها من صيانة الدماء ومنع إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم؟ فليس للذي يفعل ذلك منكم جزاء إلا الذل والمهانة في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فإنه يُرَدُّ إلى أشد العذاب، وليس الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، وسيجازيكم به.

﴿٨٦﴾ أولئك الذين استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة، إيثاراً للفاني على الباقي، فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة، وليس لهم ناصر ينصرهم يومئذ.

﴿٨٧﴾ ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل من بعده على أثره، وآتينا عيسى ابن مريم الواضحة المبيّنة لصدقه؛ كإحياء الموتى، وإبراء من وُلد أعمى، وإبراء الأبرص، وقوّيناه بالملك جبريل عليه السلام، أفكلما جاءكم - يا بني إسرائيل - رسول من عند الله بما لا يوافق أهواءكم استكبرتم على الحق،

وتعاليتم على رسل الله؛ ففريقاً منهم تكذبون، وفريقاً تقتلون؟

﴿٨٨﴾ لقد كانت حجة اليهود في عدم اتباع محمد ﷺ قولهم: إن قلوبنا مغلّفة لا يصل إليها شيء مما تقول ولا تفهمه، وليس الحال كما زعموا، بل طردّهم الله من رحمته بكفرهم فلا يؤمنون إلا بقليل مما أنزل الله.

﴿٨٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من أعظم الكفر: الإيمان ببعض ما أنزل الله والكفر ببعضه؛ لأن فاعل ذلك قد جعل إلهه هواه.
- عظم ما بلغه اليهود من العناد، واتباع الهوى، والتلاعب بما أنزل الله تعالى.
- فضل الله تعالى ورحمته بخلقه، حيث تابع عليهم إرسال الرسل وإنزال الكتب لهدايتهم للرشاد.
- أن الله يعاقب المعرضين عن الهدى المعاندين لأوامره بالطبع على قلوبهم وطردهم من رحمته؛ فلا يهتدون إلى الحق، ولا يعملون به.

﴿٨٨﴾ ولما جاءهم القرآن الكريم من عند الله وهو موافق لما في التوراة والإنجيل في الأصول العامة الصحيحة، وكانوا من قبل نزوله يقولون: سننتصر على المشركين ويُفْتَحَ لنا حين يُبْعَثُ نبي فتؤمن به ونتبعه، فلما جاءهم القرآن ومحمد ﷺ على الصفة التي عرفوها والحق الذي علموه: كفروا به، فلغنة الله على الكافرين بالله ورسوله.

﴿٨٩﴾ بسّ الذي استبدلوا به حظ أنفسهم من الإيمان بالله ورسوله: فكفروا بما أنزل الله وكذبوا رسله، ظلمًا وحسدًا بسبب إنزال النبوة والقرآن على محمد ﷺ، فاستحقوا غضبًا مضاعفًا من الله تعالى بكفرهم بمحمد ﷺ، وبسبب تحريفهم التوراة من قبل. وللكافرين بنبوة محمد ﷺ عذاب مُدَلٍّ يوم القيامة.

﴿٩٠﴾ وإذا قيل لهؤلاء اليهود: آمنوا بما أنزل الله على رسوله من الحق والهدى، قالوا: نؤمن بما أنزل على أنبيائنا، ويكفرون بما سواه مما أنزل على محمد ﷺ، مع أن هذا القرآن هو الحق الموافق لما لم معهم من الله، ولو كانوا يؤمنون بما أنزل عليهم حقًا لآمنوا بالقرآن. قل - أيها النبي - جوابًا لهم: لِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين حقًا بما جاؤوكم به من الحق؟!

﴿٩١﴾ ولقد جاءكم رسولكم موسى ﷺ بالآيات الواضحات الدالة على صدقه: ثم بعد ذلك جعلتم العجل إلهًا تعبدونه بعد ذهاب موسى لميقات ربه، وأنتم ظالمون لإشراككم بالله، وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْثُنٌ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿٩٢﴾ واذكروا حين أخذنا عليكم عهدًا مؤكدًا باتباع موسى ﷺ، وقبول ما جاء به من عند الله، ورفعنا فوقكم الجبل تخويماً لكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بجد واجتهاد، واسمعوا سماع قبول وانقياد، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا بأذننا وعصينا بأفعالنا، وتمكنت عبادة العجل في قلوبهم بسبب كفرهم. قل - أيها النبي -: بسّ الذي يأمركم به هذا الإيمان من الكفر بالله إن كنتم مؤمنين؛ لأن الإيمان الحق لا يكون معه كفر.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اليهود أعظم الناس حسداً؛ إذ حملهم حسدهم على الكفر بالله وردّ ما أنزل، بسبب أن الرسول ﷺ لم يكن منهم.
- أن الإيمان الحق بالله تعالى يوجب التصديق بكل ما أنزل من كتب، وبجميع ما أرسل من رسل.
- من أعظم الظلم الإعراض عن الحق والهدى بعد معرفته وقيام الأدلة عليه.
- من عادة اليهود نقض العهود والمواثيق، وهذا ديدنهم إلى اليوم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ - يَا يَهُودَ - الْجَنَّةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَالِصَةً لَا يَدْخُلُهَا غَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ؛ فَتَمْنُوا الْمَوْتَ وَاطْلُبُوهُ؛ لِتَنَالُوا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ بِسُرْعَةٍ، وَتُسْتَرِجِحُوا مِنْ أَعْيَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَمُومِهَا، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ هَذِهِ.

وَلَنْ يَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ أَبَدًا؛ بِسَبَبِ مَا قَدَّمُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَتَحْرِيفِ كِتَابِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

وَلتَجِدَنَّ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - الْيَهُودَ أَشَدَّ النَّاسِ حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ مَهْمَا كَانَتْ حَقِيرَةً ذَلِيلَةً، بَلْ هُمْ أَحْرَصُ مِنَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَمَعَ كَوْنِهِمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ؛ فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَجِبُ أَنْ يَبْلُغَ عَمْرُهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَيْسَ بِمُتَعَدٍّ عَنْ عَذَابِ اللَّهِ طَوْلُ عَمْرِهِ مَهْمَا بَلَغَ، وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِصِيرٍ بِهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ بِهَا.

قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِمَنْ قَالَ مِنَ الْيَهُودِ: «إِنَّ جَبْرِيلَ عَدُونَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ»؛ مَنْ كَانَ مُعَادِيًا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي نَزَّلَ بِالْقُرْآنِ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَ مِنَ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ: كَالْتُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَدَالًّا عَلَى الْخَيْرِ، وَمُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ، فَمَنْ كَانَ مُعَادِيًا لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَعَمَلُهُ فَهُوَ مِنَ الضَّالِّينَ.

مَنْ كَانَ مُعَادِيًا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَمُعَادِيًا لِلْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ: جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَدُوَّهُ فَقَدْ عَادَ بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ عَلَى صَدَقِكَ فِيمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ، وَمَا يَكْفُرُ بِهَا مَعَ وَضُوحِهَا وَبَيَانِهَا إِلَّا الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ.

وَمِنْ سُوءِ حَالِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ كَلِمًا أَخَذُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَهْدًا - وَمِنْ جَمَلَتِهِ الْإِيمَانُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ التُّورَةُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةً؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَحْمِلُ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا فِي التُّورَةِ مِنْ صِفَتِهِ، أَعْرَضَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَطَرَحُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ غَيْرِ مُبَالِيينَ بِهَا، مُشَابِهِينَ حَالَ الْجَاهِلِ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَلَا يَبَالِي بِهَا.

مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

- الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ، وَلِهَذَا يَفْرَحُ بِلِقَاءِ اللَّهِ وَلَا يَخْشَى الْمَوْتَ.
- حِرْصُ الْيَهُودِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَتَّى لَوْ كَانَتْ حَيَاةٌ حَقِيرَةٌ مَهِينَةٌ غَيْرَ كَرِيمَةٍ.
- أَنَّ مِنْ عَادَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ تَعَالَى.
- إِعْرَاضُ الْيَهُودِ عَنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَمَا عَرَفُوا تَصْدِيقَهُ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ التُّورَةِ.
- أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ صَحَّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّهُ شَابَهَ الْجَاهِلَ فِي جَهْلِهِ.

﴿١١٦﴾ ولما تركوا دين الله اتبعوا بدلاً عنه ما تَقُولُ الشياطين كذباً على ملك نبي الله سليمان ﷺ، حيث زعمت أنه ثبَّت ملكه بالسحر، وما كفر سليمان بتعاطي السحر - كما زعمت اليهود - ولكن الشياطين كفروا حيث كانوا يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحاناً وابتلاءً للناس، وما كان هذان الملكان يُعَلِّمان أي أحد السحر حتى يحذِّراه ويبيِّنا له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر، فمن لم يقبل نصيحتهما تعلَّم منهما السحر، ومنه نوع يفرق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهما، وما يضر أولئك السحرة أي أحد إلا بإذن الله ومشيتته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علم أولئك اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ولبس ما باعوا به أنفسهم حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه، ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل المشين والضلال المبين. ﴿١١٧﴾ ولو أن اليهود آمنوا بالله حقاً، واتقوه بفعل طاعته وترك معصيته؛ لكان ثواب الله خيراً لهم مما هم عليه، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم.

﴿١١٨﴾ يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلًا لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة: ﴿زَاعَنًا﴾؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي ﷺ، يقصدون بها معنى فاسداً وهو الرعونة، فتهدى الله عن هذه

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ ۖ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْنَا وَقُولُوا نُنْظَرُ ۚ وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ۖ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١٩﴾

الكلمة سداً لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلاً عنها: ﴿نُنْظَرُ﴾؛ أي: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، وهي كلمة تؤدي المعنى بلا محذور. وللكافرين بالله عذاب مؤلم موجه.

﴿١٢٠﴾ ما يحب الكفار - أيًا كانوا: أهل كتاب أو مشركين - أن يُنْزَلَ عليهم أي خير من ربكم، قليلاً كان أو كثيراً، والله يختص برحمته من النبوة والوحي والإيمان من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم، فلا خير ينال أحداً من الخلق إلا منه، ومن فضله بَعَثَ الرسول وإنزال الكتاب.

﴿١٢١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- سوء أدب اليهود مع أنبياء الله حيث نسبوا إلى سليمان ﷺ تعاطي السحر، فبرَّاه الله منه، وأكذَّبهم في زعمهم.
- أن السحر له حقيقة وتأثير في العقول والأبدان، والساحر كافر، وحكمه القتل.
- لا يقع في ملك الله تعالى شيء من الخير والشر إلا بإذنه وعلمه تعالى.
- سد الذرائع من مقاصد الشريعة، فكل قول أو فعل يوهم أموراً فاسدة يجب تجنبه والبعد عنه.
- أن الفضل بيد الله تعالى وهو الذي يختص به من يشاء برحمته وحكمته.

﴿١٠٦﴾ يبين الله تعالى أنه حين يرفع حكم آية من القرآن أو يرفع لفظها فينساها الناس، فإنه سبحانه يأتي بما هو أنفع منها في العاجل والأجل، أو بما هو مماثل لها، وذلك بعلم الله وحكمته، وأنت تعلم - أيها النبي - أن الله على كل شيء قدير، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿١٠٧﴾ قد علمت - أيها النبي - أن الله هو مالك السماوات والأرض، يحكم ما يريد، فيأمر عباده بما شاء، وينهاهم عما شاء، ويُقرر من الشرع ما شاء وينسخ ما شاء، وما لكم بعد الله من ولي يتولى أموركم، ولا نصير يدفع عنكم الضر، بل الله هو ولي ذلك كله والقادر عليه.

﴿١٠٨﴾ ليس من شأنكم - أيها المؤمنون - أن تسألوا رسولكم - سؤال اعتراض وتعت - كما سأل قوم موسى نبيهم من قبل؛ كقولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ (النساء: ١٥٣)، ومن يستبدل الكفر بالإيمان فقد ضل عن الطريق الوسط الذي هو الصراط المستقيم. ﴿١٠٩﴾ تمنى كثير من اليهود والنصارى أن يرذوكم من بعد إيمانكم كفارًا كما كنتم تعبدون الأوثان، بسبب الحسد الذي في أنفسهم، يتمنون ذلك بعدما تبين لهم أن الذي جاء به النبي حق من الله، فاعفوا - أيها المؤمنون - عن أفعالهم، وتجاوزوا عن جهلهم وسوء ما في نفوسهم، حتى يأتي حكم الله فيهم - وقد أتى أمر الله هذا وحكمه، فكان الكافر يُخَيَّر بين الإسلام أو دفع الجزية أو القتال - إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزونه. ثم بعد أمر الله تعالى المؤمنين

بالصبر على الأذى أمرهم بالثبات على دينهم، وتقوية إيمانهم؛ فقال:

﴿١١٠﴾ أدّوا الصلاة تامة بآركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم إلى مستحقها، ومهما تعملوا من عمل صالح فني حياتكم، فتقدموه قبل مما نكتم ذخراً لأنفسكم؛ تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به، إن الله بما تعملون بصير فيجازيكم كلاً بعمله.

﴿١١١﴾ وقالت كل طائفة من اليهود والنصارى: إن الجنة خاصة بهم، فقال اليهود: لن يدخلها إلا من كان يهوديًا، وقال النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانيًا، تلك آمانياتهم الباطلة وأوهامهم الفاسدة، قل - أيها النبي - رادًا عليهم: هاتوا حجتكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين حقًا في دعاكم.

﴿١١٢﴾ إنما يدخل الجنة كل من أخلص لله متوجهًا إليه، وهو - مع إخلاصه - محسنٌ في عبادته باتباع ما جاء به الرسول، فذاك الذي يدخل الجنة من أي طائفة كان، وله ثوابه عند ربه، ولا خوف عليهم فيما يستقبلون من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وهي أوصاف لا تتحقق بعد مجيء النبي محمد ﷺ إلا في المسلمين.

﴿١١٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الأمر كله لله، فيبدل ما يشاء من أحكامه وشرائعه، ويبقى ما يشاء منها، وكل ذلك بعلمه وحكمته.
- حَسَدٌ كثيرٌ من أهل الكتاب هذه الأمة، لما خصَّها الله من الإيمان واتباع الرسول، حتى تمنوا رجوعها إلى الكفر كما كانت.

* مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ۚ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

على دين صحيح، وقالت النصارى: ليست اليهود على دين صحيح، وكلّ يتلوفي كتابه تصديق ما كفر به، والأمر بالإيمان بكل الأنبياء دون تفريق، مشابهين في فعلهم هذا قول الذين لا يعلمون من المشركين؛ حين كذبوا بالرسول كلهم وبما أنزل عليهم من الكتب، فلهذا يحكم الله بين المختلفين جميعاً يوم القيامة، بحكمه العدل الذي أخبر به عباده: بأنه لا فوز إلا بالإيمان بكل ما أنزل الله تعالى. ﴿١١٣﴾ لا أحد أشدّ ظلمًا من الذي منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فَمَنَعَ الصلاة والذكر وتلاوة القرآن فيها، وسعى جاهداً متسبباً في خرابها وإفسادها؛ بهدمها أو المنع من أداء العبادة فيها، أولئك الساعون في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين ترجف أفئدتهم؛ لما هم عليه من الكفر والصد عن مساجد الله، لهم في الحياة الدنيا ذل وهوان على أيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم على منعهم الناس من مساجد الله.

﴿١١٤﴾ ولله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، يأمر عباده بما شاء، فحيثما تتوجهون فإنكم تستقبلون الله تعالى، فإن أمركم باستقبال بيت المقدس أو الكعبة، أو أخطأتم في القبلة، أو شق عليكم استقبالها؛ فلا حرج عليكم؛ لأن الجهات كلها لله تعالى، إن الله واسع خلقه برحمته وتيسيره، عليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿١١٥﴾ وقال اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله له ولداً تنزه

وتقدس عن ذلك، فهو الغني عن خلقه، وإنما يتخذ الولد من يحتاج إليه، بل له ﴿١١٦﴾ ملك ما في السماوات والأرض، كل الخلائق عبيد له سبحانه، خاضعون له، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿١١٧﴾ والله سبحانه منشئ السماوات والأرض وما فيها على غير مثال سابق، وإذا قدر أمراً وأراده فإنما يقول لذلك الأمر: ﴿كُنْ﴾؛ فيكون على ما أراد الله أن يكون، لا رادّ لأمره وقضائه.

﴿١١٨﴾ وقال الذين لا يعلمون من أهل الكتاب والمشركون عناداً للحق: لِمَ لا يكلمنا الله دون واسطة، أو تأتينا علامة حسية خاصة بنا؟ ومثل قولهم هذا قالت الأمم المكذبة من قبل لرسلاها، وإن اختلفت أزمנתهم وأمكنهم، تشابهت قلوب هؤلاء مع قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعنوت، قد أوضحنا الآيات لقوم يوقنون بالحق إذا ظهر لهم، لا يعترهم شك، ولا يمنهم عناد.

﴿١١٩﴾ إنا أرسلناك - أيها النبي - بالدين الحق الذي لا مزية فيه؛ لتبشر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكافرين بالنار، وليس عليك إلا البلاغ المبين، ولن يسألك الله عن الذين لم يؤمنوا بك من أصحاب الجحيم.

﴿١٢٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الكفر ملة واحدة وإن اختلفت أجناس أهله وأماكنهم، فهم يتشابهون في كفرهم وقولهم على الله بغير علم.
- أعظم الناس جرماً وأشدّهم إثماً من يصد عن سبيل الله، ويمنع من أراد فعل الخير.
- تنزه الله تعالى عن صاحبة الولد، فهو سبحانه لا يحتاج لخلق.

﴿١٢١﴾ يخاطب الله نبيه موجهًا محذرًا قائلًا له: لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تترك الإسلام، وتتبع ما هم عليه، قل: إن كتاب الله وبيانه هو الهدى حقًا، لا ما هم عليه من الباطل، ولئن حصل الاتباع لهم منك أو من أحد من أتباعك بعد الذي جاءك من الحق الواضح فلن تجد من الله مناصرة أو معونة، وهذا من باب بيان خطورة ترك الحق ومجاراة أهل الباطل.

﴿١٢٢﴾ يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل الكتاب يعملون بما في أيديهم من كتب منزلة ويتبعونها حتى اتباعها، هؤلاء يجدون في هذه الكتب علامات دالة على صدق النبي محمد ﷺ، ولهذا سارعوا إلى الإيمان به، وطائفة أخرى أصرت على كفرها فكان لها الخسران.

﴿١٢٣﴾ يا بني إسرائيل، اذكروا نعمتي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم بالنبوة والملك.

﴿١٢٤﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية؛ باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فإنه لا تغني - في ذلك اليوم - نفس عن نفس شيئًا، ولا يُقبل منها فيه أي فداء مهما عظم، ولا تنفعها فيه شفاعة من أحد مهما علا مكانه، وليس لها نصير ينصرها من دون الله.

﴿١٢٥﴾ واذكر حين اختبر الله إبراهيم ﷺ بما أمره به من أحكام وتكاليف، فقام بها وأتم أداءها على أكمل وجه، قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يُقتدى بك في أفعالك

الْحِزَّةُ الثَّانِيَّةُ

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٧﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٨﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٩﴾ * وَإِذْ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَّنَّ قَالِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣١﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣٦﴾

وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيبًا إياه: لا ينال عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

﴿١٣٥﴾ واذكر حين جعل الله البيت الحرام مرجعًا للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه، وجعله أمناً لهم، لا يُعتدى عليهم فيه. وقال للناس: اتخذوا من الحجر - الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة - مكاناً للصلاة. وأوصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأقدار والأوثان وتهيته لمن أراد التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

﴿١٣٦﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم وهو يدعوره: رب اجعل مكة بلدًا آمناً، لا يُتعرض فيه لأحد بسوء، وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً خاصاً بالمؤمنين بك وبالיום الآخر، قال الله: ومن كفر منهم فإني أمتعه بما أرزقه في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم في الآخرة ألجئته مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

﴿١٣٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن المسلمين مهما فعلوا من خير لليهود والنصارى: فلن يرضوا حتى يُخرجوهم من دينهم، ويتابعوهم على ضلالهم.
- الإمامة في الدين لا تُنال إلا بصحة اليقين والصبر على القيام بأمر الله تعالى.
- بركة دعوة إبراهيم ﷺ للبلد الحرام، حيث جعله الله مكاناً آمناً للناس، وتفضل على أهله بأنواع الأرزاق.

﴿١٢٦﴾ واذكر - أيها النبي - حين كان

يرفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يقولان - في خضوع وتذلل -: ربنا تقبل منا أعمالنا - ومنها بناء هذا البيت - إنك أنت السميع لدعائنا، العليم بنياتنا وأعمالنا.

﴿١٢٧﴾ ربنا واجعلنا مُسْتَسْلِمِينَ لأمرك، خاضعين لك، لا نشرك معك أحدًا، واجعل من ذريتنا أمة مستسلمة لك، وعرفنا عبادتك كيف تكون، وتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا في طاعتك؛ إنك أنت التواب على من تاب من عبادك، الرحيم بهم.

﴿١٢٨﴾ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم من ذرية إسماعيل، يتلو عليهم آياتك المنزل، ويعلمهم القرآن والسنة، ويظهرهم من الشرك والردائل؛ إنك أنت القوي الغالب، الحكيم في أفعالك وأحكامك.

﴿١٢٩﴾ ولا أحد ينصرف عن دين إبراهيم إلى غيره من الأديان إلا من ظلم نفسه بسفهة وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، ورضي لها بالهوان. ولقد اخترناه في الدنيا رسولاً وخليلاً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، فقالوا أعلى الدرجات.

﴿١٣٠﴾ اختاره الله لمسارحته إلى الإسلام حين قال له ربه: أخلص لي العبادة، وأخضع لي بالطاعة، فقال مجيباً ربه: أسلمت لله خالق العباد ورازقهم ومدبر شؤونهم.

﴿١٣١﴾ ووصى إبراهيم أبناءه بهذه الكلمة: ﴿ أَتَسْلُتُ رَبِّيَ الْعَلِيِّينَ ﴾، ووصى بها كذلك يعقوب أبناءه؛ قالوا مناديين أبناءهما: إن الله اختار

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ وَمُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

لكم دين الإسلام، فاستمسكوا به حتى يأتيكم الموت، وأنتم مسلمون لله ظاهراً وباطناً.

﴿١٣٢﴾ أم كنتم حاضرين خبر يعقوب حين حضرته الوفاة، حين قال لأبنائه سائلاً إياهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا جواباً لسؤاله: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلهاً واحداً لا شريك له، ونحن له وحده مستسلمون ومتقادون. ﴿١٣٣﴾ تلك أمة قد مضت فيمن مضى قبلكم من الأمم، وأفضت إلى ما قد مضت من عمل، فلها ما كسبت من حسن أو سيئ، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، ولا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، بل يجازى كل واحد بما قدم، فلا يشغلكم عمل من مضى قبلكم عن النظر في عملكم، فإن أحدًا لن ينفعه بعد رحمة الله غير عمله الصالح.

﴿١٣٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- المؤمن المتقي لا يغتر بأعماله الصالحة، بل يخاف أن ترد عليه، ولا تقبل منه، ولهذا يُكثِرُ سؤالَ الله قبولها.
- بركة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، حيث أجاب الله دعاءه وجعل خاتم أنبيائه وأفضل رسله من أهل مكة.
- دين إبراهيم ﷺ هو الملة الحنيفية الموافقة للفطرة، لا يرغب عنها ولا يزهد فيها إلا الجاهل المخالف لفطرته.
- مشروعية الوصية للذرية باتباع الهدى، وأخذ العهد عليهم بالتمسك بالحق والثبات عليه.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
 رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
 عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ اتَّحَاجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
 أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ
 اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿١٣٥﴾ وقال اليهود لهذه الأمة: كونوا
 يهودًا تسلكوا سبيل الهداية، وقال
 النصارى: كونوا نصارى تسلكوا سبيل
 الهداية. قل - أيها النبي - مجيبًا
 إياهم: بل نتبع دين إبراهيم، المائل
 عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق،
 ولم يكن ممن أشركوا مع الله
 أحدًا.

﴿١٣٦﴾ قولوا - أيها المؤمنون -
 لأصحاب هذه الدعوى الباطلة من
 يهود ونصارى: آمنا بالله وبالإقرآن
 الذي أنزل إلينا، وآمنا بما أنزل
 على إبراهيم وأبنائه إسماعيل
 وإسحاق ويعقوب، وآمنا بما أنزل
 على الأنبياء من ولد يعقوب، وآمنا
 بالتوراة التي آتاه الله موسى،
 والإنجيل الذي آتاه الله عيسى،
 وآمنا بالكتب التي آتاه الله الأنبياء
 جميعًا، لا نفرق بين أحد منهم
 فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل
 نؤمن بهم جميعًا، ونحن له سبحانه
 وحده متقادون خاضعون.

﴿١٣٧﴾ فإن آمن اليهود والنصارى
 وغيرهم من الكفار إيمانًا مثل إيمانكم؛
 فقد اهتدوا إلى الطريق المستقيم الذي
 ارتضاه الله، وإن أعرضوا عن الإيمان
 بأن كذبوا بالأنبياء كلهم أو ببعضهم
 فإنما هم في اختلاف وعداء، فلا
 تحزن - أيها النبي - فإن الله سيكفيكم
 أذاهم، ويمنعك من شرهم، وينصرك
 عليهم، فهو السميع لأقوالهم، والعليم
 بنياتهم وأفعالهم.

﴿١٣٨﴾ الزموا دين الله الذي فطركم
 عليه ظاهرًا وباطنًا، فلا أحسن دينًا
 من دين الله، فهو موافق للبطرة،
 جالب للمصالح، مانع للمفاسد،
 وقولوا: نحن عابدون لله وحده لا
 نشرك معه غيره.

﴿١٣٩﴾ قل - أيها النبي -: أجادلونا - يا أهل الكتاب - في أنكم أولى بالله ودينه منّا؛ لأن دينكم أقدم وكتابكم أسبق، فإن ذلك لا
 ينفعكم، فالله هوربنا جميعًا لا تختصون به، ولنا أعمالنا التي لا تسألون عنها، ولكم أعمالكم التي لا تسأل عنها، وكل سيّجزي بعمله،
 ونحن مخلصون لله في العباداة والطاعة لا نشرك به شيئًا.

﴿١٤٠﴾ أم تقولون - يا أهل الكتاب -: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ولد يعقوب، كانوا على ملة اليهودية أو
 النصرانية؟ قل - أيها النبي - مجيبًا إياهم: أنتم أعلم أم الله؟ فإن زعموا أنهم كانوا على ملتهم فقد كذبوا؛ لأنّ مبعثهم وموتهم كان
 قبل نزول التوراة والإنجيل، وعلم بذلك أن ما يقولونه كذب على الله ورسله، وأنهم كتموا الحق الذي نزل عليهم، ولا أحد أشد ظلمًا
 من الذي كتم شهادة ثابتة عنده علمها من الله، كفعل أهل الكتاب، وليس الله بغافل عن أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٤١﴾ تلك أمة قد مضت من قبلكم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من الأعمال، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن
 أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، فلا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا ينتفع بعمل غيره، بل كل سيجازي على ما قدم.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● أن دعوى أهل الكتاب أنهم على الحق لا تنفعهم وهم يكفرون بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ.

● سُمِّيَ الدين صبغة لظهور أعماله وسُمِّته على المسلم كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.

● أن الله تعالى قد ركّز في فطرته خلقه جميعًا الإقرارَ بربوبيته وألوهيته، وإنما يضلهم عنها الشيطان وأعوانه.

* سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يُضِيعُ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتِبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿١٤٢﴾ سيقول الجاهل خفاف العقول من اليهود، ومن على شاكلتهم من المنافقين: ما صرف المسلمين عن قبلة بيت المقدس التي كانت قبلتهم من قبل؟ قل - أيها النبي - مجيباً إياهم: لله وحده ملك المشرق والمغرب وغيرهما من الجهات، بوجه من شاء من عباده إلى أي جهة شاء، وهو سبحانه يهدي من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

﴿١٤٣﴾ وكما جعلنا لكم قبلة ارتضيناها لكم؛ جعلناكم أمة خياراً عدولاً، وسطاً بين الأمم كلها، في العقائد والعبادات والمعاملات؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء لرسول الله أنهم بلغوا ما أمرهم الله بتبليغه لأمرهم. وليكون الرسول محمد ﷺ كذلك شهيداً عليكم أنه بلغكم ما أرسل به إليكم. وما جعلنا تحويل القبلة التي كنت تتجه إليها؛ وهي بيت المقدس، إلا لنعلم - علم ظهور يترتب عليه الجزاء - من يرضى بما شرعه الله، ويذعن له، فيتبع الرسول، ومن يرد عن دينه، ويتبع هواه، فلا يذعن لما شرعه الله. ولقد كان أمر تحويل القبلة الأولى عظيماً إلا على الذين وفقهم الله للإيمان به، وبأن ما يشرعه لعباده إنما يشرعه لحكم بالغة. وما كان الله ليضيع إيمانكم بالله، ومنه صلاتكم التي صليتموها قبل تحويل القبلة، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، فلا يشق عليهم، ولا يضيع ثواب أعمالهم.

﴿١٤٤﴾ قد رأينا - أيها النبي - تحول وجهك ونظرك إلى جهة السماء، ترفقاً وتحريماً لنزول الوحي بشأن القبلة وتحويلها إلى حيث تحب، فلنوجهنك

إلى قبلة ترتضيها وتحبها - وهي بيت الله الحرام - بدل بيت المقدس الآن، فاصرف وجهك إلى جهة بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وأينما كنتم - أيها المؤمنون - فتوجهوا إلى جهته عند أداء الصلاة. وإن الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون أن تحويل القبلة هو الحق المنزل من خالقهم ومدير أمرهم؛ لثبوته في كتابهم، وليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء المعرضون عن الحق، بل هو سبحانه عالم بذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿١٤٥﴾ والله لئن جئت - أيها النبي - الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى مصحوباً بكل آية وبرهان على أن تحويل القبلة حق؛ ما توجهوا إلى قبلك عناداً لما جئت به، وتكبراً عن اتباع الحق، وما أنت بمتوجه إلى قبلتهم بعد أن صرفك الله عنها، وما بعضهم بمتوجه إلى قبلة بعضهم؛ لأن كلاً منهم يكفر الفريق الآخر، ولئن اتبعت أهواء هؤلاء في شأن القبلة وغيرها من الشرائع والأحكام من بعد ما جاءك من العلم الصحيح الذي لا مرية فيه؛ إنك حينئذ لمن الظالمين بترك الهدى، واتباع الهوى. وهذا الخطاب للنبي ﷺ للدلالة على شناعة متابعتهم، وإلا فإن الله قد عصم نبيه من ذلك، فهو تحذير لأمته من بعده.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الاعتراض على أحكام الله وشرعه والتغافل عن مقاصدها دليل على السفه وقلة العقل.
- فضل هذه الأمة وشرافها، حيث أثنى عليها الله ووصفها بالوسطية بين سائر الأمم.
- التحذير من متابعة أهل الكتاب في أهوائهم؛ لأنهم أعرضوا عن الحق بعد معرفته.
- جواز نسخ الأحكام الشرعية في الإسلام زمن نزول الوحي، حيث نسخ التوجه إلى بيت المقدس، وصار إلى المسجد الحرام.

﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَغْنُوا الْخَيْرَاتِ آيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَنَزَّهْ وَالدَّهْلُ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعْنِي عَلَى كُفْرٍ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿١٤٨﴾ ولكل أمة من الأمم جهة يتجهون إليها حسية كانت أو معنوية، ومن ذلك اختلاف الأمم في قبلتهم وما شرع الله لهم، فلا يضر تنوع وجهاتهم إن كان بأمر الله وشرعه، فتسابقوا أنتم - أيهل المؤمنون - إلى فعل الخيرات التي أمرتم بفعلها، وسيجمعكم الله من أي مكان كنتم فيه يوم القيامة؛ ليجازيكم على عملكم، إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه جمعكم ولا مجازاتكم.

﴿١٤٩﴾ من أي مكان خرجت وأينما كنت - أيها النبي - أنت وأتباعك، وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، فإنه الحق الموحى به إليك من ربك، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه وسيجازيكم به.

﴿١٥٠﴾ ومن أي مكان خرجت - أيها النبي - وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، وبأي مكان كنتم - أيها المؤمنون - فاستقبلوا بوجوهكم جهته إذا أردتم الصلاة؛ لئلا يكون للناس حجة يحتجون بها عليكم، إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم سيقون على عنادهم، ويحتجون عليكم بأوهى الحجج، فلا تخشَوْهم واخشوا ربكم وحده، بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فإن الله قد شرع استقبال الكعبة من أجل أن يتم نعمته عليكم بتمييزكم عن سائر الأمم، ولأجل هدايتكم إلى أشرف قبلة للناس.

﴿١٥١﴾ كما أنعمنا عليكم نعمة أخرى؛ حيث أرسلنا إليكم رسولاً من أنفسكم، يقرأ عليكم آياتنا، ويظهركم بما يأمركم به من الفضائل والمعروف، وما ينهاكم عنه من الرذائل والمنكر، ويعلمكم القرآن والسنة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أمور دينكم ودنياكم.

﴿١٥٢﴾ فاذكروني بقلوبكم وجوارحكم؛ أذكركم بالثناء عليكم والحفظ لكم، فالجزاء من جنس العمل، واشكروا لي نعمي التي أنعمت بها عليكم، ولا تكفروني بجودها، واستعمالها فيما حُرِّم عليكم.

﴿١٥٣﴾ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على القيام بطاعتي والتسليم لأمري، إن الله مع الصابرين يوفقهم ويعينهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إطالة الحديث في شأن تحويل القبلة؛ لما فيه من الدلالة على نبوة محمد ﷺ.
- ترك الجدال والاشتغال بالطاعات والمصارعة إلى الله أنفع للمؤمن عند ربه يوم القيامة.
- أن الأعمال الصالحة الموصلة إلى الله متنوعة ومتعددة، وينبغي للمؤمن أن يسابق إلى فعلها؛ طلباً للأجر من الله تعالى.
- عظم شأن ذكر الله - جل وعلا - حيث يكون ثوابه ذكر العبد في الملأ الأعلى.

﴿١٥٤﴾ وَلَا تَقُولُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي شَأْنٍ مَنْ يُقْتَلُونَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ أَمُوتَ أَمْاتُوا كَمَا يَمُوتُ غَيْرُهُمْ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُونَ حَيَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهَا حَيَاةٌ خَاصَّةٌ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿١٥٥﴾ وَلَنُتَحَنَّنَكُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَصَائِبِ؛ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَبِالْجُوعِ لِقَلَّةِ الطَّعَامِ، وَبِنَقْصٍ فِي الْأَمْوَالِ لَذَهَابِهَا أَوْ مَشَقَّةِ الْحَصُولِ عَلَيْهَا، وَبِنَقْصٍ فِي الْأَنْفُسِ بِسَبَبِ الْأَفَاتِ الَّتِي تَهْلِكُ النَّاسَ، أَوْ بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبِنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَنْبِتُهَا الْأَرْضُ، وَيُشْر - أَيُّهَا النَّبِيُّ - الصَّابِرِينَ عَلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ بِمَا يَسْرُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ. ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ. ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ. ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. ﴿١٦٣﴾

﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. تلك المصائب قالوا برضا وتسليم: إنا ملك لله يتصرف فينا بما يشاء، وإنا إليه عائدون يوم القيامة، فهو الذي خلقنا وتفضل علينا بمختلف النعم، وإلى مرجعنا ونهاية أمرنا. ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَهُمْ ثَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي مَلَأِ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى، وَرَحْمَةٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الْجَبِلَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِالصِّفَا وَالْمَرْوَةِ قَرَبِ الْكَعْبَةِ مِنْ مَعَالِمِ الشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ، فَمَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ لِأَدَاءِ نَسْكِ الْحَجِّ أَوْ نَسْكِ الْعُمْرَةِ؛ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى بَيْنَهُمَا. وَفِي نَضِي الْإِثْمِ هُنَا طَمَأْنَنَةٌ لِمَنْ تَخْرُجُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا اعْتِقَادًا أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ. وَمَنْ فَعَلَ الْمُسْتَحَبَّاتِ مِنَ الطَّاعَاتِ مُتَطَوِّعًا بِهَا

مُخْلِصًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لَهُ، يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَيَجَازِيهِ عَلَيْهَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ. ﴿١٥٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَخْفُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ وَمَا جَاءَ بِهِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا أَظْهَرْنَا لِلنَّاسِ فِي كِتَابِهِمْ: أُولَئِكَ يَطْرُدُهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ. ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ نَادِمِينَ عَلَى كِتْمَانِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَبَيَّنَّوْا مَا كَتَمُوهُ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَأُولَئِكَ أَقْبِلْ رَجُوعَهُمْ إِلَى طَاعَتِي، وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. ﴿١٦١﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا مِنْهُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ بِطَرْدِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَعَلَيْهِمْ دَعَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ كُلِّهِمْ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْإِبْعَادِ مِنْهَا. ﴿١٦٢﴾ مُلَازِمِينَ هَذِهِ اللَّعْنَةَ، لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا يُعْهَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿١٦٣﴾ وَمَعْبُودُكُمْ الْحَقُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَاحِدٌ مُتَقَرَّدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، الرَّحِيمُ بَعِبَادِهِ، حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ النِّعَمَ الَّتِي لَا تُحْصَى.

﴿١٦٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- الْإِبْتِلَاءُ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ، وَقَدْ وَعَدَ الصَّابِرِينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْجَزَاءِ وَأَكْرَمِ الْمَنَازِلِ.
- مَشْرُوعِيَّةُ السَّعْيِ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ لِمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ.
- مِنْ أَعْظَمِ الْأَثَامِ وَأَشَدِّهَا عَقُوبَةً كِتْمَانُ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَالتَّلْبِيسُ عَلَى النَّاسِ، وَإِضْلَالُهُمْ عَنِ الْهُدَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّاءُ الْعَذَابِ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿١٦٤﴾ إن في خلق السماوات والأرض وما فيهما من عجائب الخلق، وفي تعاقب الليل والنهار، وفي السفن التي تجري في مياه البحار حاملة ما ينفع الناس من طعام ولباس وتجارة، وغيرها مما يحتاجون إليه، وفيما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بما ينبت فيها من الزرع والكلأ، وفيما نشره فيها من كائنات حية، وفي تحويل الرياح من جهة لجهة، وفي السحاب المذلل بين السماء والأرض، إن في كل ذلك لدلائل واضحة على وحدانيته سبحانه لمن يعقلون الحُجج، ويفهمون الأدلة والبراهين.

﴿١٦٥﴾ ومع تلك الآيات الواضحة فإن من الناس من يتخذ من دون الله آلهة يجعلونهم نظراء لله تعالى، يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حُبًا لله من هؤلاء لمعبوداتهم؛ لأنهم لا يشركون مع الله أحداً، ويحبونه في السراء والضراء، وأما أولئك فإنهم يحبون آلهتهم في حال السراء، أما في الضراء فلا يدعون إلا الله. ولو يرى الظالمون بشركهم وارتكاب السيئات حالهم في الآخرة حين يشاهدون العذاب؛ لعلموا أنَّ المتفرد بالقوة جميعاً هو الله، وأنه شديد العذاب لمن عصاه، لو يرون ذلك لما أشركوا معه أحداً.

﴿١٦٦﴾ وذلك حين يتبرأ الرؤساء المتبعون من الضعفاء الذين اتبعوهم؛ لما يشاهدونه من أهوال يوم القيامة وشدائده، وقد تقطعت بهم كل أسباب النجاة ووسائلها.

﴿١٦٧﴾ وقال الضعفاء والأتباع: ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ من رؤسائنا كما تبرؤوا منا، وكما أراهم الله

العذاب الشديد في الآخرة يريهم عاقبة متابعتهم لرؤسائهم على الباطل ندامات وأحزاناً، وليسوا بخارجين أبداً من النار. ﴿١٦٨﴾ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً في نفسه غير خبيث، ولا تتبعوا مسالك الشيطان التي يستدرجكم بها، إنه لكم عدو واضح العداوة، ولا يجوز لعاقل أن يتبع عدوه الذي يحرص على إيذائه وضلاله! ﴿١٦٩﴾ فهو إنما يأمركم بما يسوء من الآثام وما يعظم من الذنوب، وبأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أو رسله.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- المؤمنون بالله حقاً هم أعظم الخلق محبة لله؛ لأنهمطيعونه على كل حال في السراء والضراء، ولا يشركون معه أحداً.
- في يوم القيامة تنقطع كل الروابط، ويَبْرَأُ كل خليل من خليله، ولا يبقى إلا ما كان خالصاً لله تعالى.
- التحذير من كيد الشيطان لتنوع أساليبه وخفائها وقربها من مشتهيات النفس.

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ ءِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا ءَاهَلَ بِهِ ءُغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ءُثْمًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

﴿١٧٠﴾ وإذا قيل لهؤلاء الكفار: اتبعوا ما أنزل الله من الهدى والنور، قالوا معاندين: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات والتقاليد، أيتبعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً من الهدى والنور، ولا يهتدون إلى الحق الذي يَرْضَى الله عنه؟

﴿١٧١﴾ ومثل الذين كفروا في اتباعهم لأبائهم كالراعي الذي يصيح منادياً على بهائمه، فتسمع صوته، ولا تفهم قوله، فهم صُمٌّ عن سماع الحق سماعاً يتفهمون به، بُكْمٌ قد خرسست ألسنتهم عن النطق بالحق، عُمًى عن إبصاره، ولهذا لا يعقلون الهدى الذي تدعوهم إليه.

﴿١٧٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، كلوا من الطيبات التي رزقكم الله وأباحها لكم، واشكروا لله ظاهراً وباطناً ما تفضل به عليكم من النعم، ومن شكره تعالى أن تعملوا بطاعته، وأن تجتنبوا معصيته، إن كنتم حقاً تَعْبُدُونَهُ وحده، ولا تشركون به شيئاً.

﴿١٧٣﴾ إنما حرم الله عليكم من الأطعمة ما مات بغير ذكاة شرعية، والدم المسفوح السائل، ولحم الخنزير، وما ذُكر عليه غير اسم الله عند تذكيته، فإذا اضطرَّ الإنسان إلى أكل شيء وهو غير ظالم بالأكل منها دون حاجة، ولا متجاوز لحد الضرورة؛ فلا إثم عليه ولا عقوبة، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أنه تجاوز عن أكل هذه المحرمات عند الاضطرار.

﴿١٧٤﴾ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتب وما فيها من دلالة على الحق ونبوة محمد ﷺ، كما يفعل اليهود

والنصارى، ويشترون لها عوضاً قليلاً كرئاسة أو جاه أو مال؛ أولئك ما يأكلون في بطونهم حقيقة إلا ما يكون سبباً لتعذيبهم بالنار، ولا يكلمهم الله يوم القيامة بما يحبون، بل بما يسوؤهم، ولا يُطهرهم ولا يُبَيِّنُ عليهم، ولهم عذاب أليم.

﴿١٧٥﴾ أولئك المتصفون بكتمان العلم الذي يحتاج إليه الناس هم الذين استبدلوا الضلالة بالهدى لما كتموا العلم الحق، واستبدلوا عذاب الله بمغفرته، فما أصبرهم على فعل ما يسبب لهم دخول النار، كأنهم لا يبالون بما فيها من عذاب لصبرهم عليها.

﴿١٧٦﴾ ذلك الجزاء على كتمان العلم والهدى بسبب أن الله نزل الكتب الإلهية بالحق، وهذا يقتضي أن تُبَيِّنَ ولا تُكْتَمَ. وإن الذين اختلَفوا في الكتب الإلهية فأمنوا ببعضها وكتموا بعضها لفي مفارقة ومنازعة بعيدة للحق.

• من قواعد الآيات:

- أكثر ضلال الخلق بسبب تعطيل العقل، ومتابعة من سبقهم في ضلالهم، وتقليد هم بغير وعي.
- عدم انتفاع المرء بما وهبه الله من نعمة العقل والسمع والبصر، يجعله مثل من فقد هذه النعم.
- من أشد الناس عقوبة يوم القيامة من يكتم العلم الذي أنزله الله، والهدى الذي جاءت به رسلة تعالى.
- من نعمة الله تعالى على عباده المؤمنين أن جعل المحرمات قليلة محدودة، وأما المباحات فكثيرة غير محدودة.

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ
بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ
إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

﴿١٧٧﴾ ليس الخير المَرَضِي عند الله مجرد الاتجاه إلى جهة المشرق أو المغرب والاختلاف في ذلك، ولكن الخير كل الخير فيمن آمن بالله إلهًا واحدًا، وأمن بيوم القيامة، وبجميع الملائكة، وبجميع الكتب المنزلة، وبجميع الأنبياء دون تفریق، وأنفق المال مع حبه والحرص عليه على ذوي قرباته، ومن فقد أباه دون سن البلوغ، وذوي الحاجة، والغريب الذي انقطع في السفر عن أهله ووطنه، والذين تعرض لهم حاجة توجب سؤال الناس، وصرف المال في تحرير الرقاب من الرقِّ والأسر، وأقام الصلاة بالإتيان بها تامة على ما أمر الله، ودفع الزكاة الواجبة، والذين يؤفون بعهدهم إذا عاهدوا، والذين يصبرون على الفقر والشدة، وعلى المرض، وفي وقت شدة القتال فلا يفرُّون، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا الله في إيمانهم وأعمالهم، وأولئك هم المتقون الذين امتثلوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم الله عنه.

﴿١٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، فَرَضَ عليكم في شأن الذين يَقْتُلُونَ غيرهم عمدًا وعدوانًا، معاقبة القاتل بمثل جنايته، فالحر يُقتل بالحر، والعبد يُقتل بالعبد، والأنثى تُقتل بالأنثى، فإن عفا المقتول قبل موته أو عفا ولي المقتول مقابل الدية - وهي مقدار من المال يدفعه القاتل مقابل العفو عنه - فعلى من عفا اتباع القاتل في طلب الدية بالمعروف لا بالمثل والأذى، وعلى القاتل أداء الدية بإحسان، من غير ماطلة وتسويف، وذلك العفو وأخذ الدية تخفيف من ربكم عليكم، ورحمة بهذه الأمة، فمن اعتدى على القاتل بعد العفو وقبول الدية؛ فله عذاب أليم من الله تعالى.

﴿١٧٩﴾ ولكم فيما شرعه الله من القصاص حياة لكم: بحقن دمائكم، ودفع الاعتداء بينكم، يدرك ذلك أهل العقول الذين يتقون الله تعالى بالانقياد لشرعه والعمل بأمره.

﴿١٨٠﴾ فَرَضَ عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت وأسبابه، إن ترك مالا كثيرًا أن يوصي للوالدين ولذوي القرابة بما حده الشرع وهو ألا يزيد عن ثلث المال، وفعل هذا حقٌّ مؤكد على المتقين لله تعالى. وقد كان هذا الحكم قبل نزول آيات الموارث، فلما نزلت آيات الموارث بُيِّنَتْ مَنْ يرث الميراث ومقدار ما يرث.

﴿١٨١﴾ فمن غيّر في الوصية بزيادة أو نقص أو منع بعد علمه بالوصية؛ فإنما يكون إثم ذلك التبديل على المغيّرين لا على الموصي، إن الله سميع لأقوال عبيده، عليم بأفعالهم، لا يفوته شيء من أحوالهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- البر الذي يحبه الله يكون بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، وأما التمسك بالمظاهر فقط فلا يكفي عنده تعالى.
- من أعظم ما يحفظ الأنفس، ويمنع من التعدي والظلم: تطبيق مبدأ القصاص الذي شرعه الله في النفس وما دونها.
- عِظَمُ شأن الوصية، ولا سيما لمن كان عنده شيء يُوصي به، وإثم من غيّر في وصية الميت وبدّل ما فيها.

﴿١٨٢﴾ فمن علم من صاحب الوصية ميلاً عن الحق، أو جوراً في الوصية؛ فأصلح ما أفسد الموصي بنصحه، وأصلح بين المختلفين على الوصية، فلا إثم عليه، بل هو ماجور على إصلاحه، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٨٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله فَرَضَ عليكم الصيام من ربكم كما فَرَضَ على الأمم من قبلكم؛ لعلكم تتقون الله بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالأعمال الصالحة ومن أعظمها الصيام.

﴿١٨٤﴾ الصيام المفروض عليكم أن تصوموا أياماً قليلة من السنة، فمن كان منكم مريضاً مرضاً يشق معه الصوم، أو مسافراً؛ فله أن يفطر، ثم عليه أن يقضي بقدر ما أفطر من الأيام. وعلى الذين يستطيعون الصيام فدية إذا أفطروا، وهي إطعام مسكين عن كل يوم يفطرون فيه، فمن زاد على إطعام مسكين واحد، أو أطعم مع الصيام فهو خير له. وصومكم خير لكم من الإفطار وإعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضل. وكان هذا الحكم أول ما شرع الله الصيام، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم، ثم أوجب الله الصيام بعد ذلك، وفرضه على كل بالغ قادر.

﴿١٨٥﴾ شهر رمضان الذي بدأ فيه نزول القرآن على النبي ﷺ في ليلة القدر، أنزله الله هداية للناس، فيه الدلائل الواضحات من الهدى، والفرقان بين الحق والباطل، فمن حضر شهر رمضان وهو مقيم صحيح فليصمه وجوباً، ومن كان مريضاً يشق عليه

الصوم أو مسافراً؛ فله أن يفطر، وإذا أفطر فالواجب عليه أن يقضي تلك الأيام التي أفطرها، يريد الله بما شرع لكم أن يسلك بكم سبيل اليسر لا العسر، ولتكملا عدة صوم الشهر كله، ولتكبروا الله بعد ختام شهر رمضان ويوم العيد على أن وفقكم لصومه، وأعانكم على إكماله، ولعلكم تشكرون الله على هدايتكم لهذا الدين الذي ارتضاه لكم.

﴿١٨٦﴾ وإذا سألك - أيها النبي - عبادي عن قربي وإجابتي لدعائهم؛ فأني قريب منهم، عالم بأحوالهم، سامع لدعائهم، فلا يحتاجون إلى وسطاء، ولا إلى رفع أصواتهم، أجب دعوة الداعي إذا دعاني مخلصاً في دعائه، فلينقادوا لي ولاؤامري، وليثبتوا على إيمانهم؛ فإن ذلك أنفع وسيلة لإجابتي، لعلهم يسلكون بذلك سبيل الرشd في شؤونهم الدينية والدنيوية.

﴿١٨٧﴾ من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

● فَضَّلَ اللهُ شهر رمضان بجعله شهر الصوم وبإنزال القرآن فيه، فهو شهر القرآن؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل في رمضان، ويجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره.

● شريعة الإسلام قامت في أصولها وفروعها على التيسير ورفع الحرج، فما جعل الله علينا في الدين من حرج.

● قَرَّبَ اللهُ تعالى من عباده، وأحاطته بهم، وعلمه التام بأحوالهم؛ ولهذا فهو يسمع دعاءهم ويوجب سؤالهم.

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ *يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿١٨٧﴾ قد كان في أول الأمر يحرم على الرجل إذا نام في ليلة الصيام ثم استيقظ قبل الفجر أن يأكل أو يقرب أهله، فنسخ الله ذلك، وأباح الله لكم -أيها المؤمنون- في ليالي الصيام جماع نساءكم، فهن ستر وإعفاف لكم، وأنتم ستر وإعفاف لهن، لا يستغني بعضكم عن بعض، عَلِمَ الله أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ بفعل ما نهاكم عنه، فرحمكم وتاب عليكم، وخفف عنكم، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدر الله لكم من الذرية، وكلوا واشربوا في الليل كله، حتى يتبين لكم طلوع الفجر الصادق ببياض الفجر وانفصاله عن سواد الليل، ثم أكملوا الصيام بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر حتى تغيب الشمس، ولا تجامعوا النساء وأنتم معتكفون في المساجد؛ لأن ذلك يطله. تلك الأحكام المذكورة هي حدود الله بين الحلال والحرام فلا تقربوها أبداً؛ فإن من اقترب من حدود الله يوشك أن يقع في الحرام، وبمثل هذا البيان الواضح الجلي لتلك الأحكام يبين الله آياته للناس لعلهم يتقونه بفعل ما أمر وترك ما نهى.

﴿١٨٨﴾ ولا يأخذ بعضكم مال بعضكم بوجه غير مشروع، كالسرقة والغصب والغش، ولا تخصصوا بها إلى الحكام لتأخذوا طائفة من أموال الناس متلبسين بالمعصية، وأنتم تعلمون أن الله حرم ذلك، فالإقدام على الذنب مع العلم بتحريمه أشد قبحاً وأعظم عقوبة.

﴿١٨٩﴾ يسألونك - أيها الرسول - عن تكوين الأهلة وتغير أحوالها، قل مجيباً إياهم عن حكمة ذلك: إنها

مواقيت للناس، يعرفون بها أوقات عباداتهم؛ كأشهر الحج، وشهر الصيام، وتَمَامَ الْحَوْلِ في الزكاة، ويعرفون أوقاتهم في المعاملات؛ كتحديد آجال الديات والديون. وليس البر والخير أن تأتوا البيوت من ظهورها حال إحرامكم بالحج أو العمرة -كما كنتم تزعمون في الجاهلية- ولكن البر حقيقة برٌّ من اتقى الله في الظاهر والباطن، ومجيئكم للبيوت من أبوابها أيسر لكم وأبعد عن المشقة؛ لأن الله لم يكلفكم بما فيه عسر ومشقة عليكم، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بالعمل الصالح، لعلكم تفلحون بنيل ما ترغبون فيه، والنجاة مما ترهبون منه.

﴿١٩٠﴾ وقاتلوا - ابتغاء رفع كلمة الله - الذين يُقاتلونكم من الكفار ليصدوكم عن دين الله، ولا تتجاوزوا حدود الله بقتل الصبيان والنساء والشيوخ، أو بالتمثيل بالقتلى ونحو ذلك، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَجَاوِزِينَ لحدوده فيما شرع وحكم.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد للعبادة؛ ولهذا يُنهى عن كل ما يعارض مقصود الاعتكاف، ومنه مباشرة المرأة.
- النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم كل الوسائل والأساليب التي تقود لذلك، ومنها الرشوة.
- تحريم الاعتداء والنهي عنه؛ لأن هذا الدين قائم على العدل والإحسان.

﴿١٩١﴾ واقتلوهم حيث لقيتموهم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه، وهو مكة، والفتنة الحاصلة بضدّ المؤمن عن دينه ورجوعه إلى الكفر أعظم من القتل. ولا تبدؤوهم بقتال عند المسجد الحرام تعظيماً له حتى يبدؤوكم بالقتال فيه، فإن بدؤوا بالقتال في المسجد الحرام فاقتلوهم، ومثل هذا الجزاء - وهو قتلهم إذا اعتدوا في المسجد الحرام - يكون جزاء الكافرين. ﴿١٩٢﴾ فإن انتهوا عن قتالكم وكفرهم فانتهوا عنهم، إن الله غفور لمن تاب فلا يؤاخذهم بذنوبهم السابقة، رحيم بهم لا يعاجلهم بالعقوبة. ﴿١٩٣﴾ وقاتلوا الكفار حتى لا يكون منهم شرك ولا صدّ للناس عن سبيل الله ولا كفر، ويكون الدين الظاهر دين الله، فإن انتهوا عن كفرهم وصدّهم عن سبيل الله فاتركوا قتالهم، فإنه لا عدوان إلا على الظالمين بالكفر والصد عن سبيل الله. ﴿١٩٤﴾ الشهر الحرام الذي مكّنتكم الله فيه من دخول الحرم وأداء العمرة سنة سبع، هو عوض عن الشهر الحرام الذي صدكم فيه المشركون عن الحرم سنة ست، والحرمات - كحرمة البلد الحرام والشهر الحرام والإحرام - يجري فيها القصاص من المعتدين، فمن اعتدى عليكم فيها فعاملوه بمثل فعله، ولا تتجاوزوا حد المماثلة، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده، وخافوا الله في تجاوز ما أذن لكم فيه، واعلموا أن الله مع المتقين له بالتوفيق والتأييد. ﴿١٩٥﴾ وأنفقوا المال في طاعة الله من الجهاد وغيره، ولا تلقوا بأنفسكم إلى الهلاك، بأن تركوا الجهاد والبذل في سبيله، أو بأن تلقوا

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِن أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ لَمْ تَقْتُلُوهُمْ فَاعْتَدُوا بِأَن تَغْلِبُوهُمْ هَؤُلَاءِ فِى الْيَوْمِ الَّذِى تَخْرُجُونَ فِيهِ فَاقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ فُلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٩٢﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٣﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٥﴾

بأنفسكم فيما يكون سبباً لهلاككم، وأحسنوا في عباداتكم ومعاملاتكم وأخلاقكم، إن الله يحب المحسنين في كل شؤونهم، فيعظم لهم الثواب، ويوفقهم للرشاد. ﴿١٩٦﴾ وأدوا الحج والعمرة تأمّن، مبتغين وجه الله تعالى، فإذا مُنِعْتُمْ من إتمامهما بمرض أو بعدو أو نحو ذلك؛ فعليكم ذبح ما تيسر من الهدى - من الإبل أو البقر أو الغنم - لتحلّلوا من إحرامكم. ولا تحلقوا رؤوسكم أو تقصروها حتى يبلغ الهدى الموضع الذي يحل فيه ذبحه، فإن كان ممنوعاً من الحرم فليذبح حيث مُنِع، وإن كان غير ممنوع من الحرم فليذبح في الحرم يوم النحر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من شعر رأسه؛ كقمل ونحوه، فحلّق رأسه بسبب ذلك، فلا حرج عليه، وعليه أن يفدي عن ذلك؛ إما بصيام ثلاثة أيام، أو بإطعام ستة مساكين من مساكين الحرم، أو بذبح شاة توزع على فقراء الحرم، فإذا كنتم غير خائفين فمن استمتع منكم بأداء العمرة في أشهر الحج، وتمتع بما حرّم عليه من محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج من عامه؛ فليذبح ما تيسر له من شاة أو يترك سبعة في ذبح بعير أو بقرة، فإذا لم يقدر على الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام من أيام المناسك بدلاً منه، وعليه صيام سبعة أيام بعد رجوعه إلى أهله، ليكون مجموع الأيام عشرة كاملة، ذلك التمتع مع وجوب الهدى أو الصيام للعاجز عن الهدى هو لغير أهل الحرم ومن يقيم قريباً من الحرم، واتقوا الله باتباع ما شرع، وتعظيم حدوده، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • مقصود الجهاد وغايته جُفْلَ الحكم لله تعالى وإزالة ما يمنعه الناس من سماع الحق والدخول فيه. • ترك الجهاد والقعود عنه من أسباب هلاك الأمة؛ لأنه يؤدي إلى ضعفها وطمع العدو فيها. • وجوب إتمام الحج والعمرة لمن شرع فيها، وجواز التحلل منهما بذبح هدي لمن مُنِع عن الحرم.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ نَسِكِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠١﴾

﴿١٩٧﴾ وقت الحج أشهر معلومة، وتنتهي بعشر ذي تبدأ بشهر شوال، وتنتهي بعشر ذي الحجة، فمن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر وأحرم به؛ حرّم عليه الجماع ومقدماته، ويتأكد في حقه حرمة الخروج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي؛ لعظم الزمان والمكان، ويحرم عليه الجدال المؤدي إلى الغضب والخصومة، وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجازيكم به، واستعينوا على أداء الحج بأخذ ما تحتاجون إليه من طعام وشراب، واعلموا أن خير ما تستعينون به في كل شؤونكم هو تقوى الله تعالى، فخافوني بامتنال وأمري واجتناب نواهي يا ذوي العقول السليمة.

﴿١٩٨﴾ ليس عليكم إثم أن تطلبوا الرزق الحلال بالتجارة وغيرها في أثناء الحج، فإذا دفعتم من عرفات بعد وقوفكم فيها يوم التاسع، متوجهين إلى مزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة؛ فاذكروا الله بالتسبيح والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام بمزدلفة، واذكروا الله لهدايته لكم إلى معالم دينه، ومناسك حج بيته، فقد كنتم من قبل ذلك من الغافلين عن شريعته.

﴿١٩٩﴾ ثم ادفخوا من عرفات كما كان يصنع الناس المقتدون بإبراهيم عليه السلام، لا كما كان يصنع من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واطلبوا المغفرة من الله على تقصيركم في أداء ما شرع، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٢٠٠﴾ فإذا أنهيتهم أعمال الحج، وفرغتم منها فاذكروا الله، وأكثروا من الشاء عليه، كفحركم بأبائكم وثنائكم عليهم، أو أشد ذكراً لله من ذكر آبائكم؛ لأن كل نعمة تتعمون بها هي منه ﷻ، والناس مختلفون، فمنهم الكافر المشرك الذي لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا، فلا يسأل ربه إلا نعيمها وزينتها من الصحة والمال والولد، وليس لهم نصيب مما أعد الله لعباده المؤمنين في الآخرة، لرغبتهم في الدنيا وإعراضهم عن الآخرة.

﴿٢٠١﴾ وفريق من الناس مؤمن بالله يؤمن بالآخرة، فيسأل ربه نعيم الدنيا والعمل الصالح فيها، كما يسأله الفوز بالجنة والسلامة من عذاب النار.

﴿٢٠٢﴾ أولئك الداعون بخيري الدنيا والآخرة لهم حظٌّ من ثواب عظيم بما اكتسبوا من الأعمال الصالحة في الدنيا، والله سريع الحساب للأعمال.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● يجب على المؤمن التزود في سفر الدنيا وسفر الآخرة، ولذلك ذكر الله أن خير الزاد هو التقوى.

● مشروعية الإكثار من ذكر الله تعالى عند إتمام نسك الحج.

● اختلاف مقاصد الناس؛ فمنهم من جعل همه الدنيا، فلا يسأل ربه غيرها، ومنهم من يسأله خير الدنيا والآخرة، وهذا هو الموفق.

﴿٢٣﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ بِالْكَبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ فِي أَيَّامٍ قَلِيلٍ؛ هِيَ: الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ وَالثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَمَنْ تَعَجَّلَ وَخَرَجَ مِنْ مَنَى بَعْدَ الرَّمْيِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ فَلَهُ ذَلِكَ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ عَنْهُ، وَمَنْ تَأَخَّرَ إِلَى الثَّالِثِ عَشَرَ حَتَّى يَرْمِيَ فَلَهُ ذَلِكَ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، وَقَدْ جَاءَ بِالْأَكْمَلِ، وَاتَّبَعَ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّ ذَلِكَ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي حُجَّهِ فُجَاءَ بِهِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَيُّقِنُوا أَنْكُمْ إِلَيْهِ وَحْدَهُ تَرْجِعُونَ وَتَصِيرُونَ، فَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٤﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلِبَاسٌ أَلْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

﴿٢٣﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ بِالْكَبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ فِي أَيَّامٍ قَلِيلٍ؛ هِيَ: الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ وَالثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَمَنْ تَعَجَّلَ وَخَرَجَ مِنْ مَنَى بَعْدَ الرَّمْيِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ فَلَهُ ذَلِكَ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ عَنْهُ، وَمَنْ تَأَخَّرَ إِلَى الثَّالِثِ عَشَرَ حَتَّى يَرْمِيَ فَلَهُ ذَلِكَ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، وَقَدْ جَاءَ بِالْأَكْمَلِ، وَاتَّبَعَ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّ ذَلِكَ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي حُجَّهِ فُجَاءَ بِهِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَيُّقِنُوا أَنْكُمْ إِلَيْهِ وَحْدَهُ تَرْجِعُونَ وَتَصِيرُونَ، فَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٤﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلِبَاسٌ أَلْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

﴿٢٤﴾ وَإِذَا أَدْبَرَ عَنْكَ وَفَارَقَكَ سَعَى مَجْتَهِدًا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُفْسِدَ بِالْمَعَاصِي، وَيُثْلِفَ الزَّرْعَ، وَيَقْتُلَ الْمَوَاشِيَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يُحِبُّ أَهْلَهُ.

﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَذَلِكَ الْمَفْسُدِ - عَلَى سَبِيلِ النَّصْحِ -: اتَّقِ اللَّهَ بَتَعْظِيمِ حَدُودِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، مَنْعَتِهِ الْأَنْفَةِ وَالْكِبَرِ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ، وَتِمَادِي فِي الْإِثْمِ، فَجَزَاؤُهُ الَّذِي يَكْفِيهِ دُخُولُ جَهَنَّمَ، وَلِبَاسُ الْمُسْتَقَرِّ وَالْمَقَامِ لِأَهْلِهِ.

﴿٢٦﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَوْمِنٌ يَبِيعُ نَفْسَهُ، فَيُبْذَلُهَا طَاعَةً لِرَبِّهِ، وَجَهَادًا فِي سَبِيلِهِ وَطَلِبًا لِمَرْضَاتِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ

بِعِبَادِهِ، رَوْفٌ بِهِمْ.

﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ جَمِيعَةً، وَلَا تَتْرَكُوا مِنْهُ شَيْئًا، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْإِيمَانِ بَعْضُ الْكِتَابِ وَالْكَفَرِ بَعْضُهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ وَاضِعُ الْعِدَاةِ مُظْهِرُهَا.

﴿٢٨﴾ فَإِنْ وَقَعَ مِنْكُمْ زَلَلٌ وَمِيلٌ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الدَّلَائِلُ الْوَاضِحَاتُ الَّتِي لَا لِبَسَ فِيهَا؛ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ وَقَهْرُهُ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَشْرِيعِهِ، خَافُوهُ وَعَظَمُوهُ.

﴿٢٩﴾ مَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمَتَّبِعُونَ مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ الْمَائِلُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِتْيَانًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ، فِي ظُلَلٍ مِنَ السَّحَابِ لِلْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَتَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَعِنْدَئِذٍ يَقْضَى أَمْرُ اللَّهِ فِيهِمْ، وَيُصْرَعُ مِنْهُ، وَإِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ تَرْجَعُ أُمُورُ الْخَلَائِقِ وَشُؤُونُهُمْ.

﴿٣٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- النِّقْوَةُ حَقِيقَةٌ لَا تَكُونُ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا بِمُتَابَعَةِ هَدْيِ الشَّرِيعَةِ وَالِاتِّزَامِ بِهَا.
- الْحُكْمُ عَلَى النَّاسِ لَا يَكُونُ بِمَجْرَدِ أَشْكَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، بَلْ بِحَقِيقَةِ أَعْمَالِهِمْ الدَّالَّةِ عَلَى مَا أَخْفَتْهُ صُدُورُهُمْ.
- الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ بِكُلِّ صُورَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّتِي تَلَازِمُهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَأَهْلَهُ.
- لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُسْلِمًا حَقِيقَةً لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُسَلِّمَ لِهَذَا الدِّينِ كُلِّهِ، وَيَقْبَلَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦١﴾
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 ﴿٦٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
 وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ
 وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
 مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ فِي الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

﴿٦١﴾ اسأل - أيها النبي - بني إسرائيل سؤال توبيخ لهم: كم يئن الله تعالى لكم من آية واضحة دالة على صدق الرسل؟! فكذبتموها وأعرضتم عنها، ومن يبدل نعمة الله كفرًا وتكذيبًا بعد معرفتها وظهورها؛ فإن الله شديد العقاب للكافرين المكذبين.

﴿٦٢﴾ حَسَنَ للذين كفروا بالله الحياة الدنيا وما فيها من مُتَع زائلة، وملذات منقطعة، ويستهنئون بالذين آمنوا بالله واليوم الآخر، والذين اتقوا الله بفعل أو امره وترك نواهيه فوق هؤلاء الكافرين في الآخرة، حيث ينزلهم الله في جنات عدن، والله يعطي من يشاء من خلقه بلا عد ولا حساب.

﴿٦٣﴾ كان الناس أمة واحدة متفقين على الهدى، على دين أبيهم آدم، حتى أضلتهم الشياطين، فاختلصوا بين مؤمن وكافر، فلاجل ذلك بعث الله الرسل مبشرين أهل الإيمان والطاعة بما أعد الله لهم من رحمته، ومنذرين أهل الكفر بما أوعدهم الله به من شديد عقابه، وأنزل مع رسله الكتب مشتملة على الحق الذي لا شك فيه؛ ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف في الكتاب، الذي أنزله الله - وهو التوراة - إلا الذين أعطوا علمه من اليهود، بعد ما جاءتهم حجج الله أنه حق من عنده، لا يسعهم الاختلاف فيه، ظلماً منهم، فوق الله المؤمنين لمعرفة الهدى من الضلال بإذنه وإرادته، والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإيمان.

﴿٦٤﴾ أم ظننتم - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة ولم يصبكم

ابتلاء مثل ابتلاء الماضين من قبلكم، حيث أصابهم شدة الفقر والمرض، وزلزلتهم المخاوف، حتى بلغ بهم البلاء أن يستعجلوا نصر الله، فيقول الرسول والمؤمنون معه: متى يأتي نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين به، المتوكلين عليه. ﴿٦٥﴾ يسألك أصحابك - أيها النبي -: ماذا ينفقون من أموالهم المتنوعة، وأين يضعونها؟ قل مجيباً إياهم: ما أنفقتهم من خير - وهو الحلال الطيب - فليصرفه للوالدين، وللأدنى منكم من قرابتكم بحسب الحاجة، ولل محتاج من اليتامى، وللمُعْدَمين الذين ليس لهم مال، وللمسافر الذي انقطع به السفر عن أهله ووطنه، وما تفعلوا - أيها المؤمنون - من خير قليلاً كان أو كثيراً فإن الله به عليم، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- ترك شكر الله تعالى على نعمه وترك استعمالها في طاعته يعرضها للزوال ويحيلها بلاءً على صاحبها.
- الأصل أن الله خلق عباده على فطرة التوحيد والإيمان به، وإبليس وأعدائه هم الذين صرفوهم عن هذه الفطرة إلى الشرك به.
- أعظم الخذلان الذي يؤدي للفشل أن تختلف الأمة في كتابها وشريعتها، فيكثر بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً.
- الهداية للحق الذي يختلف فيه الناس، ومعرفة وجه الصواب بيد الله، ويطلب منه تعالى بالإيمان به والانقياد له.
- الابتلاء سُنَّة الله تعالى في أوليائه، فيبليهم بقدر ما في قلوبهم من الإيمان به والتوكل عليه.
- من أعظم ما يعين على الصبر عند نزول البلاء، الاقتداء بالصالحين وأخذ الأسوة منهم.

﴿٢١٦﴾ قُرِضَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ مَكْرُوهٌ لِلنَّفْسِ بِطَبْعِهَا؛ لَمَّا فِيهِ مِنْ بَذْلِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ، وَلِعَلَّكُمْ تَكْرَهُونَ شَيْئًا وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ خَيْرٌ وَنَفَعٌ لَكُمْ؛ كَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَعَ عِظَمُ ثَوَابِهِ فِيهِ وَلِعَلَّكُمْ تَحِبُّونَ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ وَبِإِلَاحِاطَةِ الْخِذْلَانِ وَتَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ عِلْمًا تَأَمَّنُ خَيْرَ الْأُمُورِ وَشَرَّهَا، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَاسْتَجِيبُوا لِأَمْرِهِ؛ فِيهِهِ الْخَيْرُ لَكُمْ.

﴿٢١٧﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَنْ حُكْمِ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ: ذِي الْقَعْدَةِ وَذِي الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ وَرَجَبٍ، قُلْ مَجِيبًا إِيَّاهُمْ: الْقِتَالُ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ وَمُسْتَكْرَهٌ، كَمَا أَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ صَدِّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مُسْتَقْبَحٌ كَذَلِكَ، وَمَنْعُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْهُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَالشُّرْكَ الَّذِي هُمْ فِيهِ أَعْظَمُ مِنَ الْقَتْلِ. وَلَا يَزَالُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى ظُلْمِهِمْ يَقَاتِلُونَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ الْحَقِّ إِلَى دِينِهِمُ الْبَاطِلِ إِنْ اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ، سَبِيلًا، وَمَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، وَيَمُتْ وَهُوَ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ؛ فَقَدْ بَطُلَ عَمَلُهُ الصَّالِحُ، وَمَأَلَهُ فِي الْآخِرَةِ دُخُولُ النَّارِ وَمَلَأَتْهَا أَبَدًا.

﴿٢١٨﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالَّذِينَ تَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ وَمِهَاجِرِينَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَاتَلُوا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ أُولَئِكَ يَطْمَعُونَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

الجزء الثاني

رحيم بهم.

﴿٢١٩﴾ يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَنِ الْخَمْرِ (وهي: كل ما غطى العقل وأذهبه)؛ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حُكْمِ شَرِبِهَا وَبَيْعِهَا وَشُرَائِهَا؟ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ حُكْمِ الْقِمَارِ (وهو: ما يُؤْخَذُ مِنَ الْمَالِ عَنْ طَرِيقِ الْمَنَافَسَاتِ الَّتِي فِيهَا عِوَضٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْمَنَافَسَةِ)؟ قُلْ مَجِيبًا إِيَّاهُمْ: فِيهِمَا مَضَارٌ وَمَفَاسِدٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ وَالْمَالِ، وَالْوُقُوعُ فِي الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَفِيهِمَا مَنَافِعٌ قَلِيلَةٌ كَالْمَكْسَبِ الْمَالِيَّةِ، وَضُرَرُهُمَا وَالْإِثْمُ الْحَاصِلُ بَعْدَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا، وَمَا كَانَ ضَرُّهُ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهِ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَجْتَنِبُهُ، وَهَذَا الْبَيَانُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ تَهْمِيدٌ لِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ. وَيَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَنْ قَدَرِ مَا يُنْفِقُونَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّطَوُّعِ وَالتَّبَرُّعِ؟ قُلْ مَجِيبًا إِيَّاهُمْ: أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ الَّذِي يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِكُمْ (وَقَدْ كَانَ هَذَا أَوَّلُ الْأَمْرِ، ثُمَّ شَرَعَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي أَمْوَالِ مَخْصُوصَةٍ وَأَنْصَبَةٍ مُعَيَّنَةٍ)، وَبِمَثَلِ هَذَا الْبَيَانِ الَّذِي لَا لِبَسَ فِيهِ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ لِعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ.

﴿٢١٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الْجَهْلُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ قَدْ يَجْعَلُ الْمَرْءَ يَكْرَهُ مَا يَنْفَعُهُ وَيَحِبُّ مَا يَضُرُّهُ، وَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْهُدَايَةَ لِلرَّشَادِ.
- جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَعْظِيمِ الْحُرَمَاتِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا، وَمِنْ أَعْظَمِهَا صَدِّ النَّاسِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.
- لَا يَزَالُ الْكُفْرَانُ أَبَدًا حَرْبًا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ حَتَّى يَخْرُجُوهُمْ مِنْ دِينِهِمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا، وَاللَّهُ مُوَهِّنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ.
- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْهَجْرَةُ إِلَيْهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ؛ أَعْظَمُ الْوَسَائِلِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْمَرْءُ رَحْمَةَ اللَّهِ وَمَغْفِرَتَهُ.
- حَرَّمَ الشَّرِيعَةُ كُلَّ مَا فِيهِ ضَرَرٌ غَالِبٌ وَإِنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ الْمَنَافِعِ؛ مَرَاعَاةً لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادَةِ.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

﴿٢٢٠﴾ شرع ذلك لكي تتفكروا فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن قيامهم بالولاية على اليتامى: كيف يتصرفون في التعامل معهم؟ وهل يخلطون أموالهم معهم في النفقة والمطاعمة والمساكنة؟ قل مجيباً إياهم: تفضلكم عليهم بإصلاح أموالهم من غير عوض أو مخالطة في أموالهم؛ خير لكم عند الله وأعظم أجراً، وهو خير لهم في أموالهم؛ لما فيه من حفظ أموالهم عليهم، وإن تشاركوهم بضم مالهم إلى مالكم في المعاش والمساكن ونحو ذلك؛ فلا حرج في ذلك، فهم إخوانكم في الدين، والإخوة يعين بعضهم بعضاً، ويقوم بعضهم على شؤون بعض، والله يعلم من يريد الإفساد من الأولياء بمشاركة اليتامى أموالهم ممن يريد الإصلاح، ولو شاء أن يشق عليكم في شأن اليتامى لشق عليكم، ولكنه يسر لكم سبيل التعامل معهم؛ لأن شريعته مبنية على اليسر، إن الله عزيز لا يغالبه شيء، حكيم في خلقه وتدبيره وتشريع. ﴿٢٢١﴾ ولا تتزوجوا - أيها المؤمنون - المشركات بالله حتى يؤمن بالله وحده، ويدخلن في دين الإسلام، وإن امرأة مملوكة مؤمنة بالله ورسوله خير من امرأة حرة تعبد الأوثان، ولو أعجبكم بجمالها ومالها، ولا تزوجوا المسلمات رجالاً مشركين، ولعبد مملوك مؤمن بالله ورسوله خير من حر مشرك، ولو أعجبكم، أولئك المتصفون بالشرك - رجالاً ونساءً - يدعون بأقوالهم وأفعالهم إلى ما يقود إلى دخول النار، والله يدعو إلى الأعمال الصالحة التي تقود إلى دخول الجنة والمغفرة من الذنوب بإذنه

وفضله، ويبين آياته للناس لعلهم يعتبرون بما دلت عليه فيعملون بها. ﴿٢٢٢﴾ ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن الحيض (وهو دم طبعي يخرج من رحم المرأة في أوقات مخصوصة)؟ قل مجيباً إياهم: الحيض أذى للرجل والمرأة، فاجتنبوا جماع النساء في وقته، ولا تقربوهن بالوطء حتى ينقطع الدم عنهن، ويتطهرن منه بالغسل، فإذا انقطع وتطهرن منه فجامعوهم على الوجه الذي أباح لكم: طاهرات في قُلُوبِهِنَّ، إن الله يحب المكثرين من التوبة من المعاصي، والمبالغين في الطهارة من الأخيأ. ﴿٢٢٣﴾ زواجكم محل زرع لكم يلدن لكم الأولاد؛ كالأرض التي تخرج الثمار، فأتوا محل الزرع - وهو القبل - من أي جهة شئتم وكيفما شئتم إذا كان في القبل، وقدموا لأنفسكم بفعل الخيرات، ومنه أن يجامع الرجل امرأته بقصد التقرب إلى الله، ورجاء الذرية الصالحة، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتباب نواهيه، ومنها ما شرع لكم في شأن النساء، واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة، واقفون بين يديه، ومجازيكم على أعمالكم، وبشر - أيها النبي - المؤمنين بما يسرهم عند لقاء ربهم من النعيم المقيم، والنظر إلى وجهه الكريم. ﴿٢٢٤﴾ ولا تجعلوا الحلف بالله حجة مانعة، من فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، بل إذا حلفتم على ترك البر؛ فافعلوا البر وكفروا عن أيما نكم، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

• من قواعد الآيات: • تحريم النكاح بين المسلمين والمشركين، وذلك لئلا يبعد ما بين الشرك والإيمان. • دلت الآية على اشتراط الولي عند عقد النكاح؛ لأن الله تعالى خاطب الأولياء لما نهى عن تزويج المشركين. • حث الشريعة على الطهارة الحسية من النجاسات والأقذار، والطهارة المعنوية من الشرك والمعاصي. • ترغيب المؤمن في أن يكون نظره في أعماله - حتى ما يتعلق بالملذات - إلى الدار الآخرة، فيقدم لنفسه ما ينفعه فيها.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَمَاءَ اتَّيَسَّمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

﴿٢٢٥﴾ لا يحاسبكم الله بسبب الأيمان التي تجري على ألسنتكم من غير قصد؛ كقول أحدكم: لا والله، وبلى والله، فلا كفارة عليكم ولا عقوبة في ذلك، ولكن يحاسبكم على ما قصدتموه من تلك الأيمان، والله غفور لذنوب عباده، حلِيم لا يعاجلهم بالعقوبة. ﴿٢٢٦﴾ للذين يؤلون من نسائهم ترَبُّص أربع أشهر، ابتداء من حلفهم، وهو ما يُعرف بالإيلاء، فإن رجعوا إلى جماع نسائهم بعد حلفهم على تركه في مدة أربعة أشهر فما دون؛ فإن الله غفور يغفر لهم ما حصل منهم، ورحيم بهم حيث شرع الكفارة مخرجاً من هذا اليمين. ﴿٢٢٧﴾ وإن قصدوا الطلاق باستمرارهم على ترك جماع نسائهم وعدم الرجوع إليه فإن الله سميع لأقوالهم التي منها الطلاق، عليم بأحوالهم ومقاصدهم، وسيجازيهم عليها. ﴿٢٢٨﴾ والمطلقات ينتظرن بأنفسهن ثلاث حيض لا يتزوجن خلالها، ولا يجوز لهن أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل، إن كن صادقات في الإيمان بالله واليوم الآخر، وأزواجهن المطلقون لهن أحق بمراجعتن في مدة العدة، إن قصدوا بالمراجعة الألفة وإزالة ما وقع بسبب الطلاق، وللزوجات من الحقوق والواجبات مثل الذي لأزواجهن عليهن بما تعارف عليه الناس، وللرجال درجة أعلى عليهن، من القوامة وأمر الطلاق، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في شرعه وتديبره. ﴿٢٢٩﴾ الطلاق الذي يمتلك فيه الزوج الرجعة طلقاً، بأن يطلق، ثم يراجع، ثم يطلق، ثم يراجع، ثم بعد الطلقتين إما أن يمسكها في عصمته مع المعاشرة بالمعروف، أو يطلقها الثالثة مع الإحسان إليها وأداء حقوقها، ولا يحل لكم - أيها الأزواج - أن تأخذوا مما دفعتم إلى زوجاتكم من المهر شيئاً، إلا أن تكون المرأة كارهاً لزوجها بسبب خلقه أو خلقه، ويظن الزوجان بسبب هذا الكره عدم وفائهما بما عليهما من الحقوق، فليعرضا أمرهما على من له بهما صلة قرابة أو غيرها، فإن خاف الأولياء عدم قيامهما بالحقوق الزوجية بينهما، فلا حرج عليهما أن تخلع المرأة نفسها بمال تدفعه لزوجها مقابل طلاقها. تلك الأحكام الشرعية هي الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله بين الحلال والحرام؛ فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك، وتعرضها لغضب الله وعقابه. ﴿٢٣٠﴾ فإن طلقها زوجها طلاقاً ثالثة لم يحل له نكاحها من جديد حتى تتزوج رجلاً غيره زواجاً صحيحاً لرغبة لا لقصد التحليل، ويجامعها في هذا النكاح، فإن طلقها الزوج الثاني أو توفي عنها؛ فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتراجعا بعقد ومهر جديدين، إن غلب على ظنهما أنهما يقومان بما يلزمهما من الأحكام الشرعية، وتلك الأحكام الشرعية يبينها الله لأناس يعلمون أحكامه وحدوده؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

• **مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:** • بين الله تعالى أحكام النكاح والطلاق بياناً شاملاً حتى يعرف الناس حدود الحلال والحرام فلا يتجاوزونها. • عظم الله شأن النكاح وحرم التلاعب فيه بالأنفاذ فجعلها ملزمة، وألغى التلاعب بكثرة الطلاق والرجعة فجعل لها حداً بطلقتين رجعتين ثم تحرم عليه إلا أن تنكح زوجاً غيره ثم يطلقها، أو يموت عنها. • المعاشرة الزوجية تكون بالمعروف، فإن تعذر ذلك فلا بأس من الطلاق، ولا حرج على أحد الزوجين أن يطلبه.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَبْلُغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
 أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
 وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
 يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِذَا
 طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَبْلُغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
 أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
 مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ كُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
 كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
 وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ
 وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ
 أَرَادَ فِصًا لَا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
 أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
 آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

﴿٣١﴾ وإذا طلقتم نساءكم فصار بين انتهائ عدتهن؛ فلكم أن ترجعوهن أو تتركوهن بالمعروف دون رجعة حتى تنقضي عدتهن، ولا ترجعوهن لأجل الاعتداء عليهن والإضرار بهن كما كان يفعل في الجاهلية، ومن يفعل ذلك بقصد الإضرار بهن؛ فقد ظلم نفسه بتعريضها للآثم والعقوبة، ولا تجعلوا آيات الله محل استهزاء بالتلاعب بها والتجرؤ عليها، واذكروا نعم الله عليكم، ومن أعظمها ما أنزل عليكم من القرآن والسنة، يذكركم بهذا ترغيباً لكم وترهيباً، وخافوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم بأعمالكم.

﴿٣٢﴾ وإذا طلقتم نساءكم أقل من ثلاث طلاقات، وانتهت عدتهن، فلا تمنوهن - أيها الأولياء - حينئذ من العودة إلى أزواجهن بعقد ونكاح جديد إذا رغب في ذلك، وتراضين مع أزواجهن عليه، ذلك الحكم المتضمن النهي عن منعهن يُذكر به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، ذلكم أكثر نماء للخير فيكم، وأشد طهراً لأعراضكم وأعمالكم من الأدناس، والله يعلم حقائق الأمور وعواقبها وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿٣٣﴾ والوالدات يرضعن أولادهن سنتين كاملتين، ذلك التحديد بسنتين لمن قصد إكمال مدة الرضاعة، وعلى والد الطفل نفقة الوالدات المرضعات المطلقات

ولباسهن، بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، لا يكلف الله نفساً أكثر من سعتها وقدرتها، ولا يحل لأحد الأبوين أن يتخذ الولد وسيلة إضرار للآخر، وعلى وارث الطفل إذا عديم الأب، وكان الطفل ليس له مال مثل ما على الأب من الحقوق. فإن أراد الأبوان فطام الولد قبل تمام السنتين فلا إثم عليهما في ذلك، إذا كان بعد تشاورهما وتراضيهما على ما فيه مصلحة المولود، وإن أردتم أن تطبلوا لأولادكم مرضعات غير الأمهات؛ فلا إثم عليكم إذا سلمتم ما اتفقتم عليه مع المرضعة من أجره بالمعروف بلا نقص أو مماطلة، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على ما قدمتم من أعمال.

من قوايد الآيات:

- نهى الرجال عن ظلم النساء سواء كان بعضل مؤلّيته عن الزواج، أو إجبارها على ما لا تريد.
- حفظ الشرع للأم حق الرضاع، وإن كانت مطلقة من زوجها، وعليه أن ينفق عليها ما دامت ترضع ولده.
- نهى الله تعالى الزوجين عن اتخاذ الأولاد وسيلة يقصد بها أحدهما الإضرار بالآخر.
- الحث على أن تكون كل الشؤون المتعلقة بالحياة الزوجية مبنية على التشاور والتراضي بين الزوجين.

﴿٣٢١﴾ والذين يموتون ويتركون وراءهم زوجات غير حوامل؛ ينتظرن بأنفسهن وجوباً مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، يمتنعن فيها عن الخروج من بيت الزوج، وعن الزينة والزواج، فإذا انقضت هذه المدة؛ فلا إثم عليكم - أيها الأولياء - فيما فعلن بأنفسهن مما كان ممنوعاً عليهن في تلك المدة، على الوجه المعروف شرعاً وعرفاً، والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من ظاهركم وباطنكم، وسيجازيكم عليه.

﴿٣٢٢﴾ ولا إثم عليكم في التلميح بالرغبة في خطبة المعتدة من وفاة أو طلاق بائن، دون التصريح بالرغبة؛ كأن يقول: إذا انقضت عدتُك فأخبريني، ولا إثم عليكم فيما أخفيتم في أنفسكم من الرغبة في نكاح المعتدة بعد انقضاء عدتها، علم الله أنكم ستذكرونهن لشدة رغبتكم فيهن، فأباح لكم التلميح دون التصريح، واحذروا أن تتواعدوا سراً على النكاح وهن في مدة العدة، إلا وفق المعروف من القول وهو التعريض، ولا تبرموا عقد النكاح في زمن العدة، واعلموا أن الله يعلم ما تضرمنه في أنفسكم مما أباح لكم وحرم عليكم فأحذروه، ولا تخالفوا أمره، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من عباده، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿٣٢٣﴾ لا إثم عليكم إن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل أن تجامعهن وقبل أن توجبا

مهرًا محددًا لهن، فإذا طلقتموهن على هذه الحال فلا يجب لهن عليكم مهر، وإنما يجب إعطاؤهن شيئاً يتمتن به، ويجبر كسر نفوسهن، بحسب الاستطاعة سواء كان مؤسفاً عليه كثير المال أو مضيقاً عليه قليل المال، وهذا العطاء حق ثابت على المحسنين في أفعالهم ومعاملاتهم.

﴿٣٢٤﴾ وإن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل جماعهن وقد أوجبت لهن مهرًا محددًا، فيجب عليكم دفع نصف المهر المسمى إليهن، إلا أن يسمح لكم به - إن كنَّ رشيدات - أو يسمح الأزواج أنفسهم ببذل المهر كاملاً لهن، وأن تتسامحا في الحقوق بينكم أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تتركوا - أيها الناس - تفضل بعضكم على بعض، والمسامحة في الحقوق، فإن الله بما تعملون بصير، فاجتهدوا في بذل المعروف لتنالوا ثواب الله عليه.

﴿٣٢٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مشروعية العدة على من توفي عنها زوجها بأن تمتنع عن الزينة والزواج مدة أربعة أشهر وعشرة أيام.
- معرفة المؤمن باطلاع الله عليه تحمله على الحذر منه تعالى والوقوف عند حدوده.
- الحث على المعاملة بالمعروف بين الأزواج والأقارب، وأن يكون العفو والمسامحة أساس تعاملهم فيما بينهم.

وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٢٢﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ أَتَاكُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْرُضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٢٣﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعَابًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٢٤﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضَّفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢٥﴾

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَّقَتِ مَتْعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقَّ عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأَضعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿٢٣٨﴾ حافظوا على الصلوات بأدائها تامة كما أمر الله، وحافظوا على الصلوة الوسطى بين الصلوات وهي صلاة العصر، وقوموا لله في صلاتكم مطيعين خاشعين.

﴿٢٣٩﴾ فإن خفتهم من عدو ونحوه، فلم تقدروا على أدائها تامة فصلوا مشاة على أرجلكم أو راكبين على الإبل والخيول ونحوها، أو على أي صفة تقدرُونَ عليها، فإذا زال الخوف عنكم فاذكروا الله بجميع أنواع الذكر، ومنه الصلاة على كمالها وتمامها، مثل ما علمكم ما لم تكونوا تعلمونه من النور والهدى.

﴿٢٤٠﴾ والذين يموتون منكم ويتركون وراءهم أزواجا عليهم أن يوصوا لهم بأن يمتنع بالسكنى والنفقة عامًا كاملاً لا يخرجهن ورتبكم؛ جبراً لهم لما أصابهن، ووفاء للعتق، فإن خرجن قبل إكمال العام من تلقاء أنفسهن فلا إثم عليكم ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتطيب، والله عزيز لا غالب له، حكيم في تديبره وشرعه وقدره. هذا وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن حكم هذه الآية منسوخ بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَّ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤).

﴿٢٤١﴾ وللمطلقات متاع يمتنع به من كسوة أو مال أو غير ذلك، جبراً لخواتمهن المنكسرة بالطلاق، وفق المعروف من مراعاة حال الزوج من قلة أو كثرة، وهذا الحكم

حق ثابت على المتقين لله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيه.

﴿٢٤٢﴾ مثل ذلك البيان السابق يبين الله لكم - أيها المؤمنون - آياته المشتملة على حدوده وأحكامه؛ لعلكم تعقلونها وتعملون بها، فتتالون الخير في الدنيا والآخرة.

﴿٢٤٣﴾ ألم يبلغ علمك - أيها النبي - خبر الذين خرجوا من بيوتهم وهم خلق كثير خوفاً من الموت بسبب الوباء أو غيره، وهم طائفة من بني إسرائيل، فقال لهم الله: موتوا؛ فماتوا، ثم أعادهم أحياء، ليبين لهم أن الأمر كله بيده سبحانه، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً، إن الله لذو عطاء وفضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه.

﴿٢٤٤﴾ وقالوا - أيها المؤمنون - أعداء الله، نصرة لدينه ورفعة لكلمته، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٤٥﴾ من ذا الذي يعمل المقرض، فينفق ماله في سبيل الله بنية حسنة ونفس طيبة؛ ليعود عليه أضعافاً كثيرة؟ والله يضيّق في الرزق والصحة وغيرها، ويوسع في ذلك كله بحكمته وعدله، واليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

من قوائد الآيات:

- الحث على المحافظة على الصلاة وأدائها تامة الأركان والشروط، فإن شق عليه صلى على ما تيسر له من الحال.
- رحمة الله تعالى بعباده ظاهرة، فقد بين لهم آياته أتم بيان للإفادة منها.
- أن الله تعالى قد يبتلي بعض عباده فيضيّق عليهم الرزق، ويبتلي آخرين بسعة الرزق، وله في ذلك الحكمة البالغة.

﴿٢٦١﴾ ألم يبلغ علمك - أيها

النبي - خبر الأشراف من بني إسرائيل بعد زمن موسى ﷺ، حين قالوا لنبي لهم: أقم لنا ملكاً نقاتل معه في سبيل الله، فقال لهم نبيهم: لعلكم إن فرض الله عليكم القتال ألا تقاتلوا في سبيل الله؟ قالوا منكرين ظنه فيهم: أي مانع يمنعنا من القتال في سبيل الله مع وجود ما يقتضي ذلك منا؟ فقد أخرجنا أعداؤنا من أوطاننا، وأسروا أبناءنا، فنقاتل لاستعادة أوطاننا وتخليص أشراننا، فلما فرض الله عليهم القتال أعرضوا إذ لم يوقفوا بما وعدوا به إلا قلة منهم، والله عليم بالظالمين المعرضين عن أمره، الناقضين لعهد، وسيجازيهم على ذلك.

﴿٢٦٢﴾ وقال لهم نبيهم: إن الله قد أقام لكم طالوت ملكاً عليكم لتقاتلوا تحت رايته، قال أشرافهم مستكرين هذا الاختيار ومعترضين عليه: كيف يكون له الملك علينا، ونحن أولى بالملك منه؛ إذ لم يكن من أبناء الملوك، ولم يُعط مالاً واسعاً يستعين به على الملك؟ قال لهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم وزاده عليكم سعة في العلم وقوة في الجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء بحكمته ورحمته، والله واسع الفضل يعطي من يشاء، عليم بمن يستحقه من خلقه.

﴿٢٦٣﴾ وقال لهم نبيهم: إن علامة صدق اختياره ملكاً عليكم: أن يَرُدَّ الله عليكم التابوت - وكان صندوقاً يعظمه بنو إسرائيل أخذ منهم -

الْمَرْتَرِ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ
قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٦١﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٦٣﴾

فيه طمأنينة تصاحبه، وفيه بقايا مما تركه آل موسى وآل هارون، مثل العصا، وبعض من الألواح، إن في ذلك علامة بينة لكم إن كنتم مؤمنين حقاً.

﴿٢٦٤﴾ من قَوَائِدِ الْإِيَّاتِ:

- التنبيه إلى أهم صفات القائد التي تؤهله لقيادة الناس؛ وهي العلم بما يكون قائداً فيه، والقوة عليه.
- إرشاد من يتولى قيادة الناس إلى ألا يغتر بأقوالهم حتى يبلوهم، ويختبر أفعالهم بعد أقوالهم.
- أن الاعتبار التي قد تشتهر بين الناس في وزن الآخرين والحكم عليهم قد لا تكون هي الموازين الصحيحة عند الله تعالى، بل هو سبحانه يصطفي من يشاء من خلقه بحكمته وعلمه.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ
 إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّكَلَّفُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِعْلةٍ
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِعْلةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصَرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

﴿٢٤٩﴾ فلما خرج طالوت بالجنود عن البلد قال لهم: إن الله مختبركم بنهر، فمن شرب منه فليس على طريقي، ولا يصاحبني في قتال، ومن لم يشرب منه فإنه على طريقي، ويصاحبني في القتال، إلا من اضطر فشرب مقدار غرفة بكف يده فلا شيء عليه، فشرب الجنود إلا قليلاً منهم صبروا على عدم الشرب مع شدة العطش، فلما جاوز طالوت النهر هو والمؤمنون معه، قال بعض جنوده: لا قدرة لنا اليوم على قتال جالوت وجنوده، وعندئذ قال الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله يوم القيامة: كم من طائفة مؤمنة قليلة العدد غلبت طائفة كافرة كثيرة العدد بإذن الله وعونه، فالعبرة في النصر بالإيمان لا بالكثرة، والله مع الصابرين من عباده يؤيدهم وينصرهم.

﴿٢٥٠﴾ ولما خرجوا ظاهرين لجالوت وجنوده توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا صبّ على قلوبنا الصبر صباً، وثبت أقدامنا حتى لا نفر ولا نتهزم أمام عدونا، وانصرنا بقوتك وتأيدك على القوم الكافرين.

﴿٢٥١﴾ فهزمهم بإذن الله، وقتل داود قائدهم جالوت، وآتاه الله الملك والنبوة، وعلمه مما يشاء من أنواع العلوم، فجمع له بين ما يصلح الدنيا والآخرة. ولولا أن من سنة الله أن يردّ ببعض الناس فساد بعضهم؛ لفسدت الأرض بتسلط المفسدين فيها، ولكن الله ذو فضل على جميع المخلوقات.

﴿٢٥٢﴾ تلك آيات الله الواضحة البينة نتلوها عليك - أيها النبي - متضمنة صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، وإنك لمن المرسلين من رب العالمين.

● من فوائد الآيات:

- من حكمة القائد أن يعرض جيشه لأنواع الاختبارات التي يتميز بها جنوده ويعرف الثابت من غيره.
- العبرة في النصر ليست بمجرد كثرة العدد والعدة فقط، وإنما معونة الله وتوقيه أعظم الأسباب للنصر والظفر.
- لا يثبت عند الفتن والشدائد إلا من عمّر اليقين بالله قلوبهم، فمثل أولئك يصبرون عند كل محنة، ويثبتون عند كل بلاء.
- الضراعة إلى الله تعالى بقلب صادق متعلق به من أعظم أسباب إجابة الدعاء، ولا سيما في مواطن القتال.
- من سنة الله تعالى وحكمته أن يدفع شر بعض الخلق وفسادهم في الأرض ببعضهم.

﴿٢٥٦﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٨﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٩﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

﴿٢٥٦﴾ أولئك الرسل الذين ذكرناهم لك، فضَّلنا بعضهم على بعض في الوحي والأنبياء والدرجات، منهم من كلمه الله مثل موسى ﷺ، ومنهم من رفعه درجات عالية مثل محمد ﷺ، إذ أرسل للناس كلهم، وُحِّيت به النبوة، وفضَّلت أمته على الأمم، وآتينا عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات الدالة على نبوته؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأيدناه بجبريل ﷺ. تقوية له على القيام بأمر الله تعالى. ولو شاء الله ما أقتل الذين جاؤوا من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة، ولكن اختلفوا فانقسموا؛ فمَنهم من آمن بالله، ومنهم من كفر به، ولو شاء الله ألا يقتلوا ما أقتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، فيهدي من يشاء إلى الإيمان برحمته وفضله، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

﴿٢٥٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا مما رزقناكم من مختلف الأموال الحلال، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حينئذ لا بيع فيه يكتسب منه الإنسان ما ينفعه، ولا صداقة تنفعه في وقت الشدة، ولا وساطة تدفع ضرراً أو تجلب نفعاً إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، والكافرون هم الظالمون حقاً لكفرهم بالله تعالى.

﴿٢٥٨﴾ الله الذي لا إله يُعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها، لا يأخذه نعاس ولا نوم؛ لكمال حياته وقيوميته، له وحده

ملك ما في السماوات وما في الأرض، لا يملك أحد أن يشفع عنده لأحد إلا بعد إذنه ورضاه، يعلم ما مضى من أمور خلقه مما وقع، وما يستقبلونه مما لم يقع، ولا يحيطون بشيء من علمه تعالى إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، أحاط كرسيه - وهو: موضع قَدَمي الرب - بالسماوات والأرض على سَعَتِهِمَا وَعَظَمَتِهِمَا، ولا يُثْقَلُهُ أو يشق عليه حفظهما، وهو العليُّ بذاته وقُدْرته وقَهْره، العظيم في ملكه وسلطانه.

﴿٢٥٩﴾ لا إكراه لأحد على الدخول في دين الإسلام؛ لأنه الدين الحق البين فلا حاجة به إلى إكراه أحد عليه، قد تميز الرُّشد من الضلال، فمن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويتبرأ منها، ويؤمن بالله وحده؛ فقد استمسك من الدين بأقوى سبب لا ينقطع للنجاة يوم القيامة، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢٦٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ؛

- أن الله تعالى قد فاضل بين رسله وأنبيائه، بعلمه وحكمته سبحانه.
- إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله، وأنه قد كلم بعض رسله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.
- الإيمان والهدى والكفر والضلال كلها بمشيئة الله وتقديره، فله الحكمة البالغة، ولو شاء لهدى الخلق جميعاً.
- آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، لما تضمنته من ربوبية الله وألوهيته وبيان أوصافه ﷻ.
- اتباع الإسلام والدخول فيه يجب أن يكون عن رضا وقبول، فلا إكراه في دين الله تعالى.
- الاستمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله أعظم وسيلة للسعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة.

﴿٢٥٧﴾ الله يتولى الذين آمنوا به، يوفقهم وينصرهم، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، والذين كفروا أولياؤهم الأنساد والأوثان، الذين زينوا لهم الكفر، فأخرجوهم من نور الإيمان والعلم إلى ظلمات الكفر والجهل، أولئك أصحاب النار هم فيها ماكثون أبداً. ولما ذكر الله الفريقين ضرب مثالين على الفريقين فقال:

﴿٢٥٨﴾ هل رأيت - أيها النبي - أعجب من جرأة الطاغية الذي جادل إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله وتوحيده، وقد وقع منه ذلك لأن الله أتاه الملك فطفى، فبين له إبراهيم صفات ربه قائلاً: ربي الذي يحيي الخلائق ويميتها، قال الطاغية عناداً: أنا حيي وأميت بأن أقتل من أشاء وأعفو عن من أشاء، فاتاه إبراهيم عليه السلام بحجة أخرى أعظم، قال له: إن ربي الذي أعبدته يأتي بالشمس من جهة المشرق، فأنت بها أنت من جهة المغرب، فما كان من الطاغية إلا أن تحير وانقطع، وغلب من قوة الحجة، والله لا يوفق الظالمين لسلك سبيله؛ لظلمهم وطغيانهم.

﴿٢٥٩﴾ أو هل رأيت مثل الذي مر على قرية سقطت سقفوها، وتهدمت جدرانها، وهلك سكانها، فأصبحت موحشة مقفرة، قال هذا الرجل متعجباً: كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مدة مئة عام، ثم أحياء، وسأله فقال له: كم مكثت ميتاً؟ قال مجيباً: مكثت مدة يوم أو بعض يوم. قال له: بل مكثت مئة سنة تامة، فانظر إلى ما كان معك من الطعام والشراب، فما هو ذا باق على

الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٢٥٧﴾ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربني الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٢٥٨﴾ أو كذا الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه وقال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى أعظام كيف ننشزها ثم نكسوها أحماً فلما تبين له وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿٢٥٩﴾

حال له لم يتغير، مع أن أسرع ما يصيبه التغير الطعام والشراب، وانظر إلى حمارك الميت، ولنجعلك علامة بينة للناس دالة على قدرة الله على بعثهم، وانظر إلى عظام حمارك التي تفرقت وتباعدت، كيف نرفعها ونضم بعضها إلى بعض، ثم نكسوها بعد ذلك اللحم، ونعيد فيها الحياة، فلما رأى ذلك تبين له حقيقة الأمر، وعلم قدرة الله، فقال معترفاً بذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

﴿٢٦٠﴾ من قواید آیات،

- من أعظم ما يميز أهل الإيمان أنهم على هدى وبصيرة من الله تعالى في كل شؤونهم الدينية والدنيوية، بخلاف أهل الكفر.
- من أعظم أسباب الطغيان الغرور بالقوة والسلطان حتى يعمر المرء عن حقيقة حاله.
- مشروعية مناظرة أهل الباطل لبيان الحق، وكشف ضلالهم عن الهدى.
- عظم قدرة الله تعالى؛ فلا يعجزه شيء، ومن ذلك إحياء الموتى.

﴿٢١﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم عليه السلام: يا رب أرني ببصري كيف يكون إحياء الموتى؟ قال له الله: أأنت تؤمن بهذا الأمر؟ قال إبراهيم: بلى قد آمننت، ولكن زيادة في طمأنينة قلبي، فأمره الله وقال له: خذ أربعة من الطير، فاضمهم إليك وقطعهم، ثم اجعل على كل جبل من الجبال التي حولك جزءاً منهم، ثم نادهم يأتينك سعيًا مسرعين، ثم عادت إليهن الحياة. واعلم يا إبراهيم أن الله عزيز في ملكه، حكيم في أمره وشرعه وخالقه.

﴿٢٢﴾ مثل ثواب المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة يضعها الزارع في أرض طيبة فتنبت سبع سنابل، في كل سنبل منها مئة حبة، والله يضاعف الثواب لمن يشاء من عباده، فيعطيهم أجرهم دون حساب، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمن يستحق المضاعفة.

﴿٢٣﴾ الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ومرضاته، ثم لا يتبعون بذلهم بما يبطل ثوابه من المن على الناس بالقول أو الفعل، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما مضى لعظم نعيمهم.

﴿٢٤﴾ قول كريم تدخل به السرور على قلب مؤمن، وعفو عن أساء إليك؛ أفضل من صدقة يتبعها إيذاء بالمن على المتصدق عليه، والله غني عن عباده، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٢٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تفسدوا ثواب صدقاتكم بالمن على المتصدق عليه وإيذائه، فإن مثل من يفعل ذلك مثل الذي يبذل أمواله بقصد أن يراه الناس ويمدحوه، وهو كافر لا يؤمن بالله ولا بيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، فمثل هذا مثل حجر أمس فوقه تراب، فأصاب ذلك الحجر مطر غزير، فأزاح التراب عن الحجر وتركه أمس لا شيء عليه، فكذلك المؤمنون يذهب ثواب أعمالهم ونفقاتهم ولا يبقى منها عند الله شيء، والله لا يهدي الكافرين إلى ما يرضيه تعالى وينفعهم في أعمالهم ونفقاتهم.

﴿٢٦﴾ من قوايد الآيات،

● مراتب الإيمان بالله ومنازل اليقين به متفاوتة لا حد لها، وكلما ازداد العبد نظرًا في آيات الله الشرعية والكونية زاد إيمانًا ويقينًا.

● بعث الله تعالى للخلق بعد موتهم دليل ظاهر على كمال قدرته وتعام عظمته سبحانه.

● فضل الإنفاق في سبيل الله وعظم ثوابه، إذا صاحبه النية الصالحة، ولم يلحقه أذى ولا منة محبطة للعمل.

● من أحسن ما يقدمه المرء للناس حسن الخلق من قول وفعل حسن، وعفو عن سيئ.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ آدُغُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٣﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَعَاتَتْ أَكْطَافَهَا صَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِّنْ تَخْيِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّتَةٌ
ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا أَخْرَجْنَا
لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ
وَلَسْتُمْ بِأَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

﴿٢٦٥﴾ ومثل المؤمنين الذين يبذلون أموالهم طلباً لرضوان الله، مطمئنة أنفسهم بصدق وعد الله غير مكرهه، كمثل بستان على مكان مرتفع طيب، أصابه مطر غزير، فأنج ثمره مضاعفاً، فإن لم يصبه مطر غزير أصابه مطر خفيف فاكتمى به لطيب أرضه، وكذلك نفقات المخلصين يقبلها الله ويضاعف أجرها وإن كانت قليلة، والله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه حال المخلصين والمرائين، وسيجازي كلًّا بما يستحق. ثم ضرب تعالى مثلاً يصور به حال المنفق ماله رياء فقال:

﴿٢٦٦﴾ أيرغب أحدكم في أن يكون له بستان فيه نخل وعنب تجري في خلاله المياه العذبة، له فيه من كل أنواع الثمرات الطيبة، وأصاب صاحبه الكبر فأصبح شيخاً لا يقدر على العمل والكسب، وله أبناء صغار ضعفاء لا يستطيعون العمل، فأصاب البستان ريعٌ شديدة فيها نار شديدة، فاحترق البستان كله، وهو أحوج ما يكون إليه لكبره وضعف ذريته؟ فقال المنفق ماله رياء للناس مثل هذا الرجل؛ يرد على الله يوم القيامة بلا حسنات، في وقت هو أشد ما يكون حاجة لها. مثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فيه.

﴿٢٦٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا من المال الحلال الطيب الذي كسبتموه، وأنفقوا مما أخرجنا لكم من نبات الأرض، ولا تقصدوا إلى الرديء منه فتفقوه، ولو أعطي لكم ما أخذتموه إلا إذا تفاضيتم عنه مكرهين على رداءته، فكيف ترضون لله ما لا ترضون لأنفسكم؟ واعلموا أن الله غني عن نفقاتكم، محمود في ذاته وأفعاله.

ولما أمرهم بأنفاق الطيب حذرهم من كيد الشيطان ووساوسه، فقال:

﴿٢٦٨﴾ الشيطان يخوفكم من الفقر، ويحثكم على البخل، ويدعوكم إلى ارتكاب الآثام والمعاصي، والله يعدكم مغفرة عظيمة لذنوبكم، ورزقاً واسعاً، والله واسع الفضل، عليم بأحوال عباده.

﴿٢٦٩﴾ يؤتي السداد في القول والإصابة في العمل من يشاء من عباده، ومن يعط ذلك فقد أعطي خيراً كثيراً، ولا يتذكر ويتعظ بآيات الله إلا أصحاب العقول الكاملة التي تستضيء بنوره، وتهتدي بهديه.

● من قواعد الآيات،

● المؤمنون بالله تعالى حقاً واثقون من وعد الله وثوابه، فهم ينفقون أموالهم ويبذلون بلا خوف ولا حزن ولا التفات إلى وساوس الشيطان كالتخوف بالفقر والحاجة.

● الإخلاص من أعظم ما يبارك الأعمال ويُنمِّيها.

● أعظم الناس خسارة من يراني بعمله الناس؛ لأنه ليس له من ثواب على عمله إلا مدحهم وثناؤهم.

﴿٢٧١﴾ وما أنفقتم من نفقة قليلة كانت أو كثيرة ابتغاء مرضاة الله، أو التزمتكم فعل طاعة لله من عند أنفسكم لم تكلفوا بها؛ فإن الله يعلم ذلك كله، فلا يضيع عنده شيء منه، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء، وليس للظالمين المانعين لما يجب عليهم، المتعدين لحدود الله، أنصار يدفعون عنهم عذاب يوم القيامة.

﴿٢٧٢﴾ إن تظهروا ما تبدلون من الصدقة بالمال فتبطل الصدقة صدقتكم، وإن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم من إظهارها؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص. وفي صدقات المخلصين ستر لذنوبهم ومغفرة لها، والله بما تعملون خبير، فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم.

﴿٢٧٣﴾ ليس عليك - أيها النبي - هدايتهم لقبول الحق والانتقاد له وحملهم عليه، وإنما تجب عليك دلالتهم إلى الحق وتعريفهم به، فإن التوفيق للحق والهداية إليه بيد الله، وهو يهدي من يشاء. وما تنفقوا من خير فتفعه عائد إليكم؛ لأن الله غني عنه، ولتكن نفقتكم خالصة لله، فالؤمنون حقاً لا ينفقون إلا طلباً لمرضاة الله، وما تنفقوا من خير قليلاً كان أو كثيراً فإنكم تغطون ثوابه تأمناً غير منقوص، فإن الله لا يظلم أحداً.

ولما ذكر الإنفاق في سبيله ودعا المؤمنين إليه بين لهم المصارف التي ينفقون فيها، فقال:

﴿٢٧٤﴾ اجعلوها للفقراء الذين منهم الجهاد في سبيل الله من السفر طلباً للرزق، يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء

لتعففهم عن السؤال، ويعرفهم المطلع عليهم بعلاقتهم، من الحاجة الظاهرة على أجسامهم وثيابهم، ومن صفاتهم أنهم ليسوا كسائر الفقراء الذين يسألون الناس ملحين في مسألتهم، وما تنفقوا من مال وغيره فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء. ﴿٢٧٥﴾ الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في الليل والنهار، سراً وعلانية بلا رياء ولا سمعة، فلهم ثوابهم عند ربهم يوم القيامة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمرهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، فضلاً من الله ونعمة.

﴿٢٧٦﴾ من قوايد الآيات،

● إذا أخلص المؤمن في نفقاته وصدقاته فلا حرج عليه في إظهارها وإخفائها بحسب المصلحة، وإن كان الإخفاء أعظم أجراً وثواباً لأنها أقرب للإخلاص.

● دعوة المؤمنين إلى الالتفات والعناية بالمحتاجين الذين تمنعهم العفة من إظهار حالهم وسؤال الناس.

● مشروعية الإنفاق في سبيل الله تعالى في كل وقت وحين، وعظم ثوابها، حيث وعد تعالى عليها بعظيم الأجر في الدنيا والآخرة.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

ولمَّا رَغِبَ تَعَالَى فِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ حَذَّرَ مِمَّا يَنَاقُضُ ذَلِكَ وَهُوَ الرِّبَا، فَقَالَ:

﴿الَّذِينَ يَتَاعَمَلُونَ بِالرِّبَا وَيَأْخُذُونَهُ لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قِيُورِهِمْ إِلَّا مَثَلُ مَا يَقُومُ الَّذِي بِهِ مَسَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَيَقُومُ مِنْ قَبْرِهِ يَخْبِطُ كَمَا يَخْبِطُ مَنْ بِهِ صَرَعٌ فِي قِيَامِهِ وَسُقُوطُهُ؛ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ اسْتَحَلُّوا أَكْلَ الرِّبَا، وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الرِّبَا وَبَيْنَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ مَكَاسِبِ الْبَيْعِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا فِي كَوْنِهِ حَلَالًا، فَكُلُّهُمَا يُوْدِي إِلَى زِيَادَةِ الْمَالِ وَنَمَائِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْطَلَ قِيَاسَهُمْ وَأَكْذَبَهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَحَلَّ الْبَيْعَ لِمَا فِيهِ مِنْ نَفْعٍ عَامٍ وَخَاصٍّ، وَحَرَّمَ الرِّبَا لِمَا فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَأَكْلٍ لَأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بِلَا مِقَابِلٍ، فَمَنْ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فِيهَا النِّهْيُ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الرِّبَا، فَانْتَهَى عَنْهُ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ؛ فَلَهُ مَا مَضَى مِنْ أَخْذِهِ لِلرِّبَا، لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَنْ عَادَ إِلَى أَخْذِ الرِّبَا بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ النَّهْيُ مِنَ اللَّهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ؛ فَقَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ وَالْخُلُودَ فِيهَا. وَهَذَا الْخُلُودُ فِي النَّارِ الْمَقْصُودُ بِهِ أَكْلُ الرِّبَا مُسْتَحْلًا لَهُ أَوْ الْمَقْصُودُ بِهِ الْبَقَاءُ الطَّوِيلُ فِيهَا، فَإِنَّ الْخُلُودَ الدَّائِمَ فِيهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْكَفَّارِ، أَمَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ فَلَا يَخْلُدُونَ فِيهَا.

ولمَّا ذَكَرَ اللَّهُ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِهِ وَأَخَذَ الرِّبَا، بَيَّنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي الْجُزْءِ، فَقَالَ:

﴿يَهْلِكُ اللَّهُ الْمَالَ الرَّبَوِي وَيَذْهَبُ، إِمَّا حَسًّا يَتْلَفُهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، أَوْ مَعْنَى يَنْزِعَ الْبَرَكَةَ مِنْهُ، وَيَزِيدَ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

الصدقات وينميها بمضاعفة ثوابها، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويبارك في أموال المتصدقين، والله لا يحب كل من كان كافراً عنيداً، مستحلاً للحرام، متعدياً في المعاصي والآثام. ﴿٢٧٥﴾ إن الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، وأدوا الصلاة تامة على ما شرع الله، وآتوا زكاة أموالهم لمن يستحقها؛ لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمورهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ونعيمها. ﴿٢٧٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خافوا الله بأن تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، واتركوا المطالبة بما بقي لكم من أموال ربوية عند الناس، إن كنتم مؤمنين حقاً بالله وبما نهاكم عنه من الربا.

﴿٢٧٧﴾ فإن لم تفعلوا ما أمركم به فاعلموا واستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم إلى الله وتركتكم الربا فلكم قدر ما أقرضتم من رؤوس أموالكم، لا تظلمون أحداً بأخذ زيادة على رأس مالكم، ولا تظلمون بالنقص منها. ﴿٢٧٨﴾ وإن كان من تطالبونه بالدين معسراً لا يجد سداد دينه، فأخروا مطالبته إلى أن يتيسر له المال، ويجد ما يقضي به الدين، وأن تصدقوا عليه بترك المطالبة بالدين أو إسقاط بعضه عنه، خير لكم إن كنتم تعلمون فضل ذلك عند الله تعالى. ﴿٢٧٩﴾ وخافوا عذاب يوم ترجعون فيه جميعاً إلى الله، وتقومون بين يديه، ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت من خير أو شر، لا يظلمون بنقص ثواب حسناتهم، ولا بزيادة العقوبة على سيئاتهم. ﴿٢٨٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • من أعظم الكبائر أكل الربا، ولهذا توعد الله تعالى أكله بالحرب وبالمحق في الدنيا والتخبط في الآخرة. • الالتزام بأحكام الشرع في المعاملات المالية ينزل البركة والنماء فيها. • فضل الصبر على المعسر، والتخفيف عنه بالتصدق عليه ببعض الدين أو كله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
واتبعوا رسوله، إذا تعاملتم بالدين،
بأن ذَاتَيْنَ بعضكم بعضاً إلى مدة
محددة فاكتبوا ذلك الدين، وليكتب
بينكم كاتب بالحق والإنصاف
الموافق للشرع، ولا يمتنع الكاتب أن
يكتب الدين بما يوافق ما علمه الله
من الكتابة بالعدل، فليكتب ما يُمليه
الذي عليه الحق، حتى يكون ذلك
إقراراً منه، وليتق الله ربه، ولا يَنْقُص
من الدين شيئاً في قدره أو نوعه أو
كيفية، فإن كان الذي عليه الحق لا
يُحسن التصرف، أو كان ضعيفاً
لصفه أو جونه، أو كان لا يستطيع
الإملاء لخرسه ونحو ذلك، فليُقم
بالإملاء عنه وليُله المسؤول عنه
بالحق والإنصاف، واطلبوا
شهادة رجلين عاقلين عدلين،
فإن لم يوجد رجلان فاستشهدوا
رجلاً وامرأتين ترضون دينهم
وأمانتهم، حتى إذا نسيت إحدى
المرأتين ذكرتها أختها، ولا يمتنع
الشهود إذا طلب منهم الشهادة على
الدين، وعليهم أدائها إذا دُعوا لذلك،
ولا يُصَبِّحُ الملل من كتابة الدين
قليلاً كان أو كثيراً إلى مدته المحددة،
فكتابة الدين أعدل في شرع الله، وأبلغ
في إقامة الشهادة وأدائها، وأقرب
إلى نفي الشك في نوع الدين ومقداره
ومدته، إلا إذا كان التعاقد بينكم على
تجارة في سلعة حاضرة وثمن
حاضر؛ فلا حرج في ترك الكتابة
حينئذ لعدم الحاجة إليها، ويشرع لكم
الإشهاد منعاً لأسباب النزاع،
ولا يجوز الإضرار بالكتاب والشهود،
ولا يجوز لهم الإضرار بمن طلب
كتابتهم أو شهادتهم، وإن يقع منكم
الإضرار فإنه خروج عن طاعة الله إلى معصيته. وخافوا الله - أيها المؤمنون - بأن تمتثلوا ما أمركم به، وتجتنبوا ما نهاكم عنه،
ويعلمكم الله ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم، والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ
أَنْ يُمْلَ هُوَ فليُمْلِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَكَاتِبُ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيَعْلَمِ كُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

- من فوائد الآيات:
- مشروعية توثيق الدين وسائر المعاملات المالية دفناً للاختلاف والتنازع.
- ثبوت الولاية على القاصرين إما بسبب عجزهم، أو ضعف عقولهم، أو صغر سنهم.
- مشروعية الإشهاد على الإقرار بالديون والحقوق.
- أن من تمام الكتابة والعدل فيها أن يحسن الكاتب الإنشاء والألفاظ المعتبرة في كل معاملة بحسبها.
- لا يجوز الإضرار بأحد بسبب توثيق الحقوق وكتابتها، لا من جهة أصحاب الحقوق، ولا من جهة من يكتبه ويشهد عليه.

﴿٢٨٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَسَافِرِينَ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ وَثِيقَةَ الدِّينِ، فَيَكْفِي أَنْ يُعْطِيَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ رَهْنًا يَقْبُضَهُ صَاحِبُ الْحَقِّ، يَكُونُ ضَمَانًا لِحَقِّهِ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الْمَدِينُ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ، فَإِنْ وَثَّقَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لَمْ تَلْزَمْ كِتَابَةٌ وَلَا إِشْهَادٌ وَلَا رَهْنٌ، وَيَكُونُ الدِّينُ حِينَئِذٍ أَمَانَةً فِي ذِمَّةِ الْمَدِينِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ لِدَائِنِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَمَانَةِ فَلَا يَنْكُرُ مِنْهَا شَيْئًا، فَإِنْ أَنْكَرَ كَانَ عَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَعَامَلَةَ أَنْ يُوَدِّيَ الشَّهَادَةَ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْتُمَهَا، وَمَنْ يَكْتُمَهَا فَإِنَّ قَلْبَهُ قَلْبٌ فَاجِرٌ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٨٤﴾ لِلَّهِ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلَقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا، وَإِنْ تَطَهَّرُوا مَا فِي قُلُوبِكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَسَيَحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ، فَيَغْفِرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَضْلًا وَرَحْمَةً، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ عَذَابًا وَحَكْمَةً، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿٢٨٥﴾ آمَنَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ آمَنُوا كَذَلِكَ، كُلُّهُمْ جَمِيعًا آمَنُوا بِاللَّهِ، وَآمَنُوا بِجَمِيعِ مَلَائِكَتِهِ، وَجَمِيعِ كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَجَمِيعِ رُسُلِهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ، آمَنُوا بِهِمْ قَائِلِينَ: لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، وَقَالُوا: سَمِعْنَا مَا أَمَرْتَنَا بِهِ وَنَهَيْتَنَا عَنْهُ، وَأَطَعْنَاكَ بِفِعْلٍ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَتَرَكْنَا مَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَنَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبَّنَا، فَإِنْ مَرَجَعْنَا إِلَيْكَ وَحَدِّكَ فِي كُلِّ شَأْنٍ.

﴿٢٨٦﴾ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا تَطْلِقُ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ دِينَ اللَّهِ مَبْنِي عَلَى الْيَسْرِ فَلَا مَشَقَّةَ فِيهِ، فَمَنْ كَسَبَ خَيْرًا فَلَهُ ثَوَابٌ مَا عَمِلَ لَا يُقَصَّرُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمَنْ كَسَبَ شَرًّا فَلَعَلَّهِ جَزَاءٌ مَا اكْتَسَبَ مِنْ ذَنْبٍ لَا يَحْمِلُهُ عَنْهُ غَيْرُهُ. وَقَالَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ: رَبَّنَا لَا تَعَاقِبْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا فِي فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ بَلَا قَصْدَ مِنَّا، رَبَّنَا وَلَا تَكْلِفْنَا مَا يَشُقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ، كَمَا كَلَّفْتَ مِنْ قَبْلُنَا مِمَّنْ عَاقَبْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ كَالْيَهُودِ، وَلَا تَحْمِلْنَا مَا يَشُقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، وَتَجَاوَزْ عَنْ ذُنُوبِنَا، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

﴿٢٨٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

- جواز أخذ الرهن لضمان الحقوق في حال عدم القدرة على توثيق الحق، إلا إذا وثَّقَ المتعاملون بعضهم ببعض.
- حرمة كتمان الشهادة وإثم من يكتمها ولا يؤديها.
- كمال علم الله تعالى وإطلاعه على خلقه، وقدرته التامة على حسابهم على ما اكتسبوا من أعمال.
- تقرير أركان الإيمان وبيان أصوله.
- قيام هذا الدين على اليسر ورفع الحرج والمشقة عن العباد، فلا يكلفهم الله إلا ما يطيقون، ولا يحاسبهم على ما لا يستطيعون.

﴿٢٨٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْثَمَنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ فِي سِمَةِ اللَّهِ فِي مِمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٦﴾ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٧﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُرَّة ١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٦ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٧ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ٨ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٩ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا الْأُولَ الْأُولَى ١٠ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ١١ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ١٢

٥٠

● من مقاصد السورة:
إثبات أن دين الإسلام هو الحق
ردًا على شبهات أهل الكتاب، وتثبيتاً
للمؤمنين.

● التفسير:

هي سورة مدنية، سُميت سورة آل عمران لذكر آل عمران فيها في الآية (٣٢) من السورة. ١. ﴿الْمُرَّة﴾ هذه الحروف المقطعة تقدّم نظيرها في سورة البقرة، وفيها إشارة إلى عجز العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع أنه مؤلف من مثل هذه الحروف التي بُدئت بها السورة، والتي يُركبون منها كلامهم. ٢. ﴿الَّذِي﴾ لا إله بغيره بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها.

٣. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ - أيها النبي - القرآن بالصدق في الأخبار والعدل في الأحكام، موافقاً لما سبقه من الكتب الإلهية، فلا تعارض بينها، وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل تنزيل القرآن عليك، وهذه الكتب الإلهية كلها هداية وإرشاد للناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأنزل الفرقان الذي يعرف به الحق من الباطل والهدى من الضلال. والذين كفروا بآيات الله التي أنزلها عليك لهم عذاب شديد. والله عزيز لا يُغالبه شيء، ذو انتقام ممن كذب رسله وخالف أمره. ٤. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ هو الذي يخلقكم صوراً شتى في بطون أمهاتكم كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، وحسن أو قبيح، وأبيض أو أسود، لا معبود بحق غيره، العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه. ٥. ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ - أيها النبي - القرآن، منه آيات واضحة الدلالة، لا لبس فيها، هي أصل الكتاب ومعظمه، وهي المرجع عند الاختلاف، ومنه آيات أخر محتملة لأكثر من معنى، يلتبس معناها على أكثر الناس، فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق فيتركون المُحْكَم، ويأخذون بالمتشابه المُخْتَل: يبتغون بذلك إثارة الشبهة وإضلال الناس، ويبتغون بذلك تأويلها بأهوائهم على ما يوافق مذاهبهم الفاسدة، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات وعاقبتها التي تؤول إليها إلا الله. والراسخون في العلم المتمكنون منه يقولون: آمنا بالقرآن كله؛ لأنه كله من عند ربنا، ويفسرون المتشابه بما أحكم منه. وما يتذكر ويتعطل إلا أصحاب العقول السليمة. ٦. ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا الْأُولَ الْأُولَى﴾ هؤلاء الراسخون يقولون: ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلّمنا مما أصاب المنحرفين المائلين عن الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعضمنا بها من الضلال، إنك - يا ربنا - الوهاب كثير العطاء.

٧. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ - أيها النبي - ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلّمنا مما أصاب المنحرفين المائلين عن الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعضمنا بها من الضلال، إنك - يا ربنا - الوهاب كثير العطاء.

٨. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ - أيها النبي - ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلّمنا مما أصاب المنحرفين المائلين عن الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعضمنا بها من الضلال، إنك - يا ربنا - الوهاب كثير العطاء.

● من فوائد الآيات: ● أقام الله الحجة وقطع العذر عن الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب التي تهدي للحق وتحذر من الباطل. ● كمال علم الله تعالى وإحاطته بخلقه، فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، سواء كان ظاهراً أو خفياً. ● من أصول أهل الإيمان الراسخين في العلم أن يفسروا ما تشابه من الآيات بما أحكم منها. ● مشروعية دعاء الله تعالى وسؤاله الثبات على الحق، والرشد في الأمر، ولا سيما عند الفتن والأهواء.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٥﴾ كَذَابٌ بَل
 فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 سَعُيَاتٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَعْتَيْنِ الْأُتَى فِي قَتْلِ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى
 الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٩﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ
 مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿٢٠﴾ قُلْ
 أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
 مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ
 لَنْ يَنْفَعَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 عَذَابُ اللَّهِ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ،
 وَأُولَئِكَ الْمُتَصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ
 حَطَبُ جَهَنَّمَ الَّذِي تَوْقَدُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
 ﴿١٦﴾ وَشَأْنُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ كَشَأْنُ
 آلِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ، فَعَذِبَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ
 ذُنُوبِهِمْ، وَلَمْ تَنْفَعَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
 أَوْلَادُهُمْ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ
 كَفَرَ بِهِ، وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ.

﴿١٧﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا عَلَى اخْتِلَافِ دِيَانَاتِهِمْ:
 سَيُغْلِبُكُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَتَمُوتُونَ عَلَى
 الْكَفْرِ، وَيَجْمَعُكُمُ اللَّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ،
 وَبِئْسَ الْفِرَاقُ لَكُمْ.

﴿١٨﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ دَلَالَةٌ وَعِبْرَةٌ
 فِي فِرْعَوْنَ وَتِلْكَ الْأَمْثَلِ لِقَاتِ يَوْمِ بَدْرٍ،
 إِحْدَاهُمَا فِرْقَةٌ مُّؤْمِنَةٌ وَهِيَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، تَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا، وَكَلِمَةُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَالْأُخْرَى فِرْقَةٌ
 كَافِرَةٌ وَهِيَ كَفَّارُ مَكَّةَ الَّذِينَ خَرَجُوا
 فُجْرًا وَرِيَاءً وَعَصْبِيَّةً، يَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
 ضَعْفِيهِمْ حَقِيقَةً رَأَى عَيْنٌ، فَتَنْصُرُهُ
 اللَّهُ أَوْلِيَائِهِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ
 مَنْ يَشَاءُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً وَعِظَةً
 لِأَصْحَابِ الْبَصَائِرِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ النَّصْرَ
 لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَإِنْ قَلَّ عَدَدُهُمْ، وَأَنَّ
 الْهَزِيمَةَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ.
 ﴿١٩﴾ يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ حَسَنٌ لِلنَّاسِ
 - ابْتِلَاءٌ لَهُمْ - حُبُّ الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ:
 مِثْلُ النِّسَاءِ، وَالْبَنِينَ، وَالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ
 الْمُجْتَمِعَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْخَيْلِ
 الْمُسَوَّمَةِ الْحَسَنِ، وَالْأَنْعَامِ مِنَ الْإِبِلِ
 وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَزُرَاعَةِ الْأَرْضِ، ذَلِكَ
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يُتَمَتَّعُ بِهِ فِتْرَةً ثُمَّ

يُزُولُ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَّخِذَ بِهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ وَحْدَهُ حَسَنُ الْمَرْجِعِ، وَهُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.
 وَلَمَّا كَانَتْ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا مُتَقَطَّعَةً نَبَّهَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:

﴿٢٠﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: أَخْبِرْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ؟ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ
 قُصُورِهَا وَأَشْجَارُهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَوْتُ وَلَا فَنَاءٌ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَاتٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِي خَلْقِهِنَّ وَأَخْلَاقِهِنَّ،
 وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ يَحُلُّ عَلَيْهِمْ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَسَيَجَازِيهِمْ
 عَلَيْهَا.

﴿٢١﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أَنْ غُرِرَ الْكَافِرُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ لَنْ يَنْفَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.
- النَّصْرُ حَقِيقَةٌ لَا يَتَّخِذُ بِمَجْرَدِ الْعِدَّةِ وَالْعُدَّةِ، وَإِنَّمَا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ.
- زَيْنٌ لِلنَّاسِ أَنْوَاعُ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا لِيَبْتَلِيَهُمْ، وَلِيَعْلَمَ تَعَالَى مَنْ يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ مِمَّنْ يَتَعَدَّاهَا.
- كُلُّ نَعِيمٍ الدُّنْيَا وَلَذَاتُهَا قَلِيلٌ زَائِلٌ، لَا يُقَاسُ بِمَا فِي الْآخِرَةِ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَزُولُ.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِلِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِعَايَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
فَقُلْ أَسَأَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَأَمْتُ فَإِنْ أَسَأَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ
النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿١٦﴾ أهل الجنة هؤلاء هم الذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا إنا آما بك، وبما أنزلت على رسلك، واتبعنا شريعتك؛ فَاغْفِرْ لَنَا مَا ارْتَكَبْنَا من ذنوب، وَجَنِّبْنَا عَذَابَ النَّارِ.

﴿١٧﴾ وهم الصابرون على فعل الطاعات وترك السيئات، وعلى ما يصيبهم من البلاء، وهم الصادقون في أقوالهم وأعمالهم، وهم المطيعون لله طاعة تامة، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله، وهم المستغفرون آخر الليل؛ لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة، ويخلو فيه القلب من الشواغل.

﴿١٨﴾ شهد الله على أنه هو الإله المعبود بحق دون سواه، وذلك بما أقام من الآيات الشرعية والكونية الدالة على ألوهيته، وشهد على ذلك الملائكة، وشهد أهل العلم على ذلك ببيانهم للتوحيد ودعوتهم إليه، فشهدوا على أعظم مشهود به وهو توحيد الله وقيامه تعالى بالعدل في خلقه وشرعه، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه وتديره وتشريعه.

﴿١٩﴾ إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية؛ والإيمان بالرسول جميعاً إلى خاتمهم محمد ﷺ، الذي ختم الله به الرسالات، فلا يقبل غير شريعته. وما اختلف اليهود والنصارى في دينهم وافترقوا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم، حسداً وحرصاً على الدنيا. ومن يكفر بآيات الله المنزلة على رسوله فإن الله سريع الحساب لمن كفر به وكذب رسله.

﴿٢٠﴾ فإن جادلوك - أيها الرسول - في الحق الذي نزل عليك، فقل مجيباً إياهم: أسلمت أنا ومن تبعني من المؤمنين لله تعالى، وقل - أيها الرسول - لأهل الكتاب والمشركين: أسلمتم لله تعالى مخلصين له متبعين لما جئت به؟ فإن أسلموا لله واتبعوا شريعتك فقد سلخوا سبيل الهدى، وإن أعرضوا عن الإسلام فليس عليك إلا أن تبلغهم ما أرسلت به، وأمرهم إلى الله، فهو تعالى بصير بعباده، وسيجازي كل عامل بما عمل.

﴿٢١﴾ إن الذين يكفرون بحجج الله التي أنزلها عليهم، ويقتلون أنبياءه بغير حق، وإنما ظلماً وعدواناً، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل من الناس، وهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، بشر هؤلاء الكفار القتل بعذاب أليم.

﴿٢٢﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات قد بطلت أعمالهم فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة، لعدم إيمانهم بالله، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

من قواعد الآيات،

- من أعظم ما يكفر الذنوب وبقي عذاب النار الإيمان بالله تعالى واتباع ما جاء به الرسول ﷺ.
- أعظم شهادة وحقيقة هي ألوهية الله تعالى ولهذا شهد الله بها نفسه، وشهد بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم ممن خلق.
- البغي والحسد من أعظم أسباب النزاع والصرف عن الحق.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
 وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْ لَهُمْ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن
 تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٧﴾
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْبَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلِ
 إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٩﴾

﴿٤٣﴾ ألم تنظروا - أيها النبي - إلى حال اليهود الذين آتاهم الله حظًا من العلم بالتوراة وما دلت عليه من نبوتك، يُدْعَوْنَ إلى الرجوع إلى كتاب الله التوراة ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، ثم ينصرف فريق من علمائهم ورؤسائهم وهم مُّعْرِضُونَ عن حكمه إذ لم يوافق أهواءهم، وكان الأولى بهم - وهم يزعمون اتباعهم له - أن يكونوا أسرع الناس إلى التحاكم إليه.

﴿٤٤﴾ ذلك الانصراف عن الحق والإعراض عنه لأنهم كانوا يُدْعَوْنَ أن النار لن تمسهم يوم القيامة إلا أيامًا قليلة، ثم يدخلون الجنة، فغرهم هذا الظن الذي اختلفوه من الأكاذيب والأباطيل فتجروا على الله ودينه. ﴿٤٥﴾ فكيف يكون حالهم وندمهم؟ سيكون غاية في السوء إذا جمعناهم للحساب في يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة، وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت على قدر ما تستحق، من غير ظلم بنقص حسناتها، أو زيادة سيئاتها.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - مُثْنِيًا على ربك ومعظمًا له: اللَّهُمَّ أَنْتَ مَالِكُ الْمُلْكِ كُلِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ، وَتَنزِعُهُ مِمَّن تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ مِنْهُمْ، وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحُكْمِكَ وَعَدْلِكَ، وَبِيَدِكَ وَحْدَكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿٤٧﴾ ومن مظاهر قدرتك أنك تدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، وتدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، وتخرج الحي من الميت؛ كإخراج المؤمن من الكافر، والزرع من الحب، وتخرج الميت من الحي؛

كالكافر من المؤمن، والبيضة من الدجاجة، وترزق من تشاء رزقًا واسعًا من غير حساب وعد.

﴿٤٨﴾ لا تتخذوا - أيها المؤمنون - الكافرين أولياء تحبونهم وتتصرونهم من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فلا حرج أن تتقوا أذا هم بإظهار اللين في الكلام واللطف في الفعل، مع إضمار العداوة لهم، ويحذركم الله نفسه فخافوه، ولا تتعرضوا لغضبه بارتكاب المعاصي، وإلى الله وحده رجوع العباد يوم القيامة لمجازاتهم على أعمالهم.

﴿٤٩﴾ قل - أيها النبي -: إن تخفوا ما في صدوركم مما نهاكم الله عنه كموالاة الكفار، أو تظهروا ذلك يعلمه الله، ولا يخفى عليه منه شيء، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أن التوفيق والهداية من الله تعالى، والعلم - وإن كثر وبلغ صاحبه أعلى المراتب - إن لم يصاحبه توفيق الله لم ينتفع به المرء.
- أن الملك لله تعالى، فهو المعطي المانع، المعز المذل، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فلا يُسأل أحد سواه.
- خطورة تولي الكافرين، حيث توعد الله فاعله بالبراءة منه وبالحساب يوم القيامة.

﴿٣٠﴾ يوم القيامة تلقى كل نفس عملها من الخير قد أتى به لا نقص فيه، والذي عملت من السوء تتمنى أن بينها وبينه زمناً بعيداً، وأنى لها ما تمنى! ويحذركم الله نفسه، فلا تعرضوا لغضبه بارتكاب الآثام، والله رؤوف بالعباد، ولهذا يحذركم ويخوفهم.

﴿٣١﴾ قل - أيها الرسول -: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوا ما جئت به ظاهراً وباطناً، تناولوا محبة الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول -: أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال الأوامر واجتنب النواهي، فإن أعرضوا عن ذلك فإن الله لا يحب الكافرين المخالفين لأمره وأمر رسوله.

﴿٣٣﴾ إن الله اختار آدم ﷺ فأسجد له ملائكته، واختار نوحاً فجعله أول رسول إلى أهل الأرض، واختار آل إبراهيم فجعل النبوة باقية في ذريته، واختار آل عمران؛ اختار كل هؤلاء وفضلهم على أهل زمانهم.

﴿٣٤﴾ هؤلاء المذكورون من الأنبياء وذرياتهم الممتعون لطريقتهم هم ذرية بعضها متسلسل من بعض في توحيد الله وعمل الصالحات، يتوارثون من بعضهم المكارم والفضائل، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم؛ ولهذا يختار من يشاء منهم، ويصطفى منهم من يشاء.

﴿٣٥﴾ اذكر - أيها الرسول - إذ قالت امرأة عمران والدة مريم ﷺ: يا رب إني أوجبت على نفسي أن أجعل ما في بطني من حمل خالصاً لوجهك، محزراً من كل شيء ليخدمك ويخدم

يَوْمَ تَجْدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا نَىٰ لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

بيتك، فتقبل مني ذلك، إنك أنت السميع لدعائي، العليم بنيتي.

﴿٣٨﴾ فلما تم حملها وضعت ما في بطنها، وقالت معتذرة - وقد كانت ترجو أن يكون الحمل ذكراً -: يا رب إني ولدتها أنثى، والله أعلم بما ولدت، وليس الذكر الذي كانت ترجوه كالأنثى التي وهبت لها في القوة والخَلْقَة. وإني سميتها مريم، وإني حَصَنْتُها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

﴿٣٩﴾ فتقبل الله نذرها بقبول حسن، وأنشأها نشأة حسنة، وعطف عليها قلوب الصالحين من عباده، وجعل كفالتها إلى زكريا ﷺ. وكان زكريا كلما دخل عليها مكان العبادة وجد عندها رزقاً طيباً ميسراً، فقال مخاطباً إياها: يا مريم، من أين لك هذا الرزق؟ قالت مجيبة إياه: هذا الرزق من عند الله، إن الله يرزق من يشاء رزقاً واسعاً بغير حساب.

• من قواعد الآيات:

- عظم مقام الله وشدة عقوبته تجعل العاقل على حذر من مخالفة أمره تعالى.
- برهان المحبة الحققة لله ولرسوله باتباع الشرع أمراً ونهيًا، وأما دعوى المحبة بلا اتباع فلا تنفع صاحبها.
- أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده ويصطفيه للنبوة والعبادة بحكمته ورحمته، وقد يخصهم بآيات خارقة للعادة.

هَذَاكَ دَعَاكَ يَا رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَهْمُ إِلَهُهُمْ يَكْفُلْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

عند ذلك الذي رآه زكريا من رزق الله تعالى لمريم بنت عمران على غير المعتاد من سننه تعالى في الرزق؛ رجا أن يرزقه الله ولداً مع الحال التي هو عليها من تقدم سنه وعظم امرأته، فقال: يا رب، هب لي ولداً طيباً، إنك سميعٌ لدعاء من دعاك، مجيب له.

﴿٣٨﴾ فنادته الملائكة مخاطبة له وهو في حال قيامه للصلاة في مكان عبادته بقولها: إن الله يُبَشِّرُكِ بولد يولد لك اسمه يحيى، من صفته أن يكون مصدقاً بكلمة من الله، وهو عيسى بن مريم - أنه خلق خلقاً خاصاً بكلمة من الله - ويكون هذا الولد سيِّداً على قومه في العلم والعبادة، مانعاً نفسه وحابسها عن الشهوات ومنها قُرْبَان النساء، متفرغاً لعبادة ربه، ويكون - أيضاً - نبياً من الصالحين.

﴿٤١﴾ قال زكريا لهما بشيرته الملائكة بيحيى: يا رب، كيف يكون لي ولد بعد أن صرت شيخاً، وامرأتي عقيم لا يولد لها؟ قال الله جواباً على قوله: مثلُ خلق يحيى على كبر سنك وعظم زوجك؛ خلق الله ما يشاء مما يخالف المألوف عادة؛ لأن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء بحكمته وعلمه.

﴿٤٢﴾ قال زكريا: يا رب، اجعل لي علامة على حمل امرأتي مني، قال الله: علامتك التي طلبت هي: ألا تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام بلياليهن إلا بالإشارة ونحوها، من غير خلل يصيبك، فأكثر من ذكر الله وتسبيحه في آخر النهار وأوله.

﴿٤٣﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قالت الملائكة لمريم ﷺ: إن الله اختارك لما تتصفين به من صفات حميدة، وطهرتك من النقائص، واختارك على نساء العالمين في زمانك.

﴿٤٤﴾ يا مريم، أطيلي القيام في الصلاة، واسجدي لربك، واركعي له مع الراكعين من عباده الصالحين. ذلك المذكور من خبر زكريا ومريم ﷺ من أخبار الغيب نوحيه إليك - أيها الرسول - وما كنت عند أولئك العلماء والصالحين حين اختصموا فيمن هو أحق بترية مريم، حتى لجؤوا للقرعة فألقوا أقلامهم، ففاز قلم زكريا ﷺ.

﴿٤٥﴾ اذكر - أيها الرسول - إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بولد يكون خلقه من غير أب، وإنما بكلمة من الله بأن يقول له: «كن»، فيكون ولداً بإذن الله، واسم هذا الولد: المسيح عيسى بن مريم، له مكانة عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومن المقربين إليه تعالى.

من فوائد الآيات:

- عناية الله تعالى بأوليائه، فإنه سبحانه يجنبهم سوء، ويستجيب دعاءهم.
- فضل مريم ﷺ حيث اختارها الله على نساء العالمين، وطهرها من النقائص، وجعلها مباركة.
- كلما عظمت نعمة الله على العبد عظم ما يجب عليه من شكره عليها بالقنوت والركوع والسجود وسائر العبادات.
- مشروعية القرعة عند الاختلاف فيما لا بُدَّ عليه ولا قرينة تشير إليه.

﴿٤٦﴾ ويكلم الناس وهو طفل صغير

قبل أن أوان الكلام، ويكلمهم وهو كبير قد كملت قوته ورجولته، يخاطبهم بما فيه صلاح أمر دينهم ودنياهم، وهو من الصالحين في أقوالهم وأعمالهم.

﴿٤٧﴾ قالت مريم مستغربة أن يكون لها ولد من غير زوج: كيف يكون لي ولد ولم يقربني بشر لا في حلال ولا في حرام؟ قال لها الملك: مثل ما يخلق الله لك ولداً من غير أب، فإنه يخلق ما يشاء ما يخالف المألوف والعادة، فإذا أراد أمراً قال له: «كن» فيكون، فلا يعجزه شيء.

﴿٤٨﴾ ويعلمه الكتابة والإصابة والتوفيق في القول والعمل، ويعلمه التوراة التي أنزلها على موسى ﷺ، ويعلمه الإنجيل الذي سينزله عليه.

﴿٤٩﴾ ويجعله - كذلك - رسولاً إلى بني إسرائيل، حيث يقول لهم: إني رسول الله إليكم قد جئتكم بعلمة دالة على صدق نبوتي هي: أني أصور لكم من مادة الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيصير طيراً حياً بإذن الله، وأشفي من ولد أعمى فيبصر، ومن أصيب بمرض فيعود جلده سليماً، وأحيي من كان ميتاً، كل ذلك بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وبما تخبثون في بيوتكم من طعام وتخفونه، إن فيما ذكرته لكم من هذه الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها البشر؛ لعلمة ظاهرة على أني رسول من الله إليكم، إن كنتم تريدون الإيمان، وتصدقون بالبراهين.

﴿٥٠﴾ وجئتكم - كذلك - مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، وجئتكم لأحل لكم بعض ما حُرِّم عليكم من قبل، فأتقوا الله وأطيعوه، فأتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوه فيما أَدْعُوكم إليه.

﴿٥١﴾ ذلك لأن الله ربي وربكم، فهو وحده المستحق أن يُطاع ويُتقى، فاعبدوه وحده، هذا الذي أمرتكم به من عبادة الله وتقواه هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٥٢﴾ فلما علم عيسى ﷺ منهم الإصرار على الكفر، قال مخاطباً بني إسرائيل: من ينصروني في الدعوة إلى الله؟ قال الأصفياء من أتباعه: نحن أنصار دين الله، أمنا بالله واتبعناك، يا عيسى - بأننا متقادون لله بتوجيهه وطاعته.

﴿٥٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• شرف الكتابة والخط وعلو منزلتهما، حيث بدأ الله تعالى بذكرهما قبل غيرهما.
• من سنن الله تعالى أن يؤيد رسله بالآيات الدالة على صدقهم، مما لا يقدر عليه البشر.
• جاء عيسى ﷺ بالتخفيف على بني إسرائيل فيما شدد عليهم في بعض شرائع التوراة، وفي هذا دلالة على وقوع النسخ بين الشرائع.

﴿٤٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ قَالَتْ كَذَلِكَ

اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ

﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن

رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ

فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ

فِي بُيُوتِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ

بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ

الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ

أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُّسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِلَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ كُونِي أَرَأَفُكَ إِلَى مَظْهَرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿٥٣﴾ وقال الحواريون كذلك: ربنا آمنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا عيسى عليه السلام، فاجعلنا مع الشاهدين بالحق الذين آمنوا بك وبرسلك.

﴿٥٤﴾ ومكر الكافرون من بني إسرائيل حيث سعوا في قتل عيسى عليه السلام، فمكر الله بهم فتركهم في ضلالهم، وألقى شبهة عيسى عليه السلام على رجل آخر، والله خير الماكرين؛ لأنه لا أشد من مكره تعالى بأعدائه.

﴿٥٥﴾ ومكر الله بهم - أيضًا - حين قال مخاطبًا عيسى عليه السلام: يا عيسى، إني قابضك من غير موت، ورافع بدنك وروحك إلي، ومُنْزِهك من رجس الذين كفروا بك ومُبْعِدك عنهم، وجاعل الذين اتبعوك على الدين الحق - ومنه الإيمان بمحمد ﷺ - فوق الذين كفروا بك إلى يوم القيامة بالبرهان والعزة، ثم إليّ وحدي رجوعكم يوم القيامة. فأحكم بينكم بالحق فيما كنتم فيه تختلفون.

﴿٥٦﴾ فأما الذين كفروا بك وبالحق الذي جئتهم به فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا بالقتل والأسر والذل وغيرها، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

﴿٥٧﴾ وأما الذين آمنوا بك وبالحق الذي جئتهم به، وعملوا الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وصلة وغيرها؛ فإن الله يعطيهم ثواب أعمالهم تامة لا يُقَصُّ منها شيئًا، وهذا الحديث عن أتباع المسيح قبل بعثة النبي محمد ﷺ الذي بشر به المسيح نفسه، والله لا يحب الظالمين، ومن أعظم الظلم الشرك بالله تعالى وتكذيب رسله.

﴿٥٨﴾ ذلك الذي نقرؤه عليك من خبر

عيسى عليه السلام من العلامات الواضحات الدالة على صحة ما أنزل إليك، وهو ذِكْرُ الْمُتَّقِينَ، محكم لا يأتيه الباطل.

﴿٥٩﴾ إن مثل خلق عيسى عليه السلام عند الله كمثال خلق آدم من تراب، من غير أب ولا أم، وإنما قال الله له: كن بشرًا فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خلق من غير أب، وهم يقولون بأن آدم بشر، مع أنه خلق من غير أب ولا أم؟

﴿٦٠﴾ الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى عليه السلام هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الشاكين المُتَرَدِّدين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

﴿٦١﴾ فمن جادلك - أيها الرسول - من نصارى نجران في أمر عيسى زاعمًا أنه ليس عبدًا لله من بعد ما جاءك من العلم الصحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا نَدْعُ لِلْحُضُورِ آبَاءَنَا وَأَبَاءَكُمْ، ونِسَاءَنَا ونِسَاءَكُمْ، وأنفسنا وأنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين منا ومنكم.

﴿٦٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من كمال قدرته تعالى أنه يعاقب من يمكر بدينه وبأوليائه، فيمكر بهم كما يمكرون.
- بيان المعتقد الصحيح الواجب في شأن عيسى عليه السلام، وبيان موافقته للعقل فهو ليس بدعًا في الخلقة، فأدم المخلوق من غير أب ولا أم أشد غرابة والجميع يؤمن ببشريته.
- مشروعية المُبَاهَلَةِ بين المتنازعين على الصفة التي وردت بها الآية الكريمة.

﴿٢٧﴾ إن هذا الذي ذكرنا لك من شأن عيسى عليه السلام هو الخبر الحق الذي لا كذب فيه ولا شك، وما من معبود بحق إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وأمره وخلقه.

﴿٢٨﴾ فإن أعرضوا عما جئت به، ولم يتبعوك؛ فذلك من فسادهم، والله عليم بالمفسدين في الأرض، وسيجازيهم على ذلك.

﴿٢٩﴾ قل - أيها الرسول -: تعالوا يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، نجتمع على كلمة عدل نستوي فيها جميعاً؛ أن نُفرد الله بالعبادة فلا نعبد معه أحداً سواه مهما كانت منزلته، وعلت مكانته، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً يُعبدون ويُطاعون من دون الله، فإن انصرفوا عن هذا الذي تدعوهم إليه من الحق والعدل فقولوا لهم - أيها المؤمنون -: اشهدوا بأننا مستسلمون لله منقادون له تعالى بالطاعة.

﴿٣٠﴾ يا أهل الكتاب لم تجادلوني في ملة إبراهيم عليه السلام؟ فاليهودي يزعم أن إبراهيم كان يهودياً، والنصراني يزعم أنه كان نصرانياً، وأنتم تعلمون أن اليهودية والنصرانية لم تظهر إلا بعد موته بوقت طويل، أفلا تدركون بعقولكم بطلان قولكم وخطأ زعمكم؟ ﴿٣١﴾ ها أنتم - يا أهل الكتاب - جادلتم النبي صلى الله عليه وسلم فيما لكم به علم من أمر دينكم وما أنزل عليكم، فلم تجادلوني فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم ودينه، مما ليس في كتبكم ولا جاءت به أنبياءكم؟ والله يعلم حقائق الأمور وبواطنها وأنتم لا تعلمون.

﴿٣٢﴾ ما كان إبراهيم عليه السلام على الملة اليهودية، ولا على النصرانية، ولكن كان مائلاً عن الأديان الباطلة، مسلماً لله موحداً له تعالى، وما كان من المشركين به كما يزعم مشركو العرب أنهم على ملته.

﴿٣٣﴾ إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم، هم الذين اتبعوا ما جاء به في زمانه، وأحق الناس أيضاً بذلك هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والذين آمنوا به من هذه الأمة، والله ناصر المؤمنين به وحافظهم.

﴿٣٤﴾ يتمنى أحياناً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يضلوكم - أيها المؤمنون - عن الحق الذي هداكم الله له، وما يضلون إلا أنفسهم؛ لأن سعيهم في إضلال المؤمنين يزيد في ضلالهم هم، وما يعلمون عاقبة أفعالهم.

﴿٣٥﴾ يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون بآيات الله التي أنزلت عليكم وما فيها من دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنتم تشهدون أنه الحق الذي دلت عليه كتبكم؟

﴿٣٦﴾ من قوايد الآيات،

- أن الرسالات الإلهية كلها اتفقت على كلمة عدل واحدة، وهي: توحيد الله تعالى والنهي عن الشرك.
- أهمية العلم بالتاريخ؛ لأنه قد يكون من الحجج القوية التي تُردُّ بها دعوى المبطلين.
- أحق الناس بإبراهيم عليه السلام من كان على ملته وعقيدته، وأما مجرد دعوى الانتساب إليه مع مخالفته فلا تنفع.
- دلت الآيات على حرص كفرة أهل الكتاب على إضلال المؤمنين من هذه الأمة حسداً من عند أنفسهم.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٧١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَخْلُطُونَ الْحَقَّ الَّذِي أَنْزَلَ فِي كِتَابِكُمْ بِالْبَاطِلِ مِنْ عِنْدِكُمْ، وَتَخْفُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَمِنْهُ صَحَّةُ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ ۝١٩

﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ: آمَنُوا فِي الظَّاهِرِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَفَرُوا بِهِ آخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَسْخَرُونَ فِي دِينِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِهِ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَيَرْجِعُونَ عَنْهُ قَائِلِينَ: هُمْ أَعْلَمُ مِنَّا بِكِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ رَجَعُوا عَنْهُ.

﴿٧٣﴾ وَقَالُوا أَيْضًا: وَلَا تَصَدَّقُوا إِلَّا مَنْ كَانَ تَابِعًا لِدِينِكُمْ، قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِنْ الْهُدَى إِلَى الْحَقِّ هُوَ هُدَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبٍ وَعِنَادٍ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِنَ الْفَضْلِ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ، أَوْ مَخَافَةَ أَنْ يُجَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ إِنْ أَقَرَرْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ، قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لَا يَقْتَصِرُ فَضْلُهُ عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ.

﴿٧٤﴾ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُفَضِّلُ عَلَيْهِ بِالْهُدَايَةِ وَالنَّبْوَةِ وَأَنْوَاعِ الْعَطَاءِ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ.

﴿٧٥﴾ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ يُوَدِّدُ إِلَيْكَ مَا أَتَمَّنْتَهُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَسَأَمَنْتَهُ عَلَى مَالٍ قَلِيلٍ لَا يُوَدِّدُ إِلَيْكَ مَا أَتَمَّنْتَهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ ظَلَّتْ تَلُحُّ عَلَيْهِ بِالْمَطَالِبَةِ وَالْتِقَاضِي، ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ وَظَنَّهُمُ الْفَاسِدُ: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْعَرْبِ وَأَكَلَ أَمْوَالِهِمْ إِثْمٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ

أَبَاحَهَا لَنَا، يَقُولُونَ هَذَا الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ افْتِرَاءَهُمْ عَلَى اللَّهِ.

﴿٧٦﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ عَلَيْهِمْ حَرَجٌ، وَلَكِنْ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِمْ مَعَ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَوَفَّى بِعَهْدِهِ مَعَ النَّاسِ فَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَاتَّقَى اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَكْرَمَ الْجَزَاءِ.

﴿٧٧﴾ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَبَدُّونَ بِوَصِيَّةِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ بِاتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ، وَبِإِيمَانِهِمُ الَّتِي قَطَعُوهَا بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، يَسْتَبَدُّونَ بِهَا عَوَضًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْرَهُمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظْرَ رَحْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

﴿٧٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَخْدَعُ أَتْبَاعَ مِلَّتِهِمْ، وَلَا يَبِينُ لَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ كِتَابُهُمْ، وَجَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ.
- مِنْ وَسَائِلِ الْكُفْرِ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ وَالتَّشْكِيكِ فِيهِ مِنَ الدَّخَالِ.
- اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْوَهَّابُ الْمُتَفَضِّلُ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، وَيُمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ وَحُكْمَتِهِ، وَلَا يَنَالُ فَضْلُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.
- كُلُّ عَوْضٍ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ - وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا - فَهُوَ قَلِيلٌ حَقِيرٌ أَمَامَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَمَنَازِلِهَا.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بِهِ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوَدُّونَ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُجَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ فَإِيمًا ذَلِكَ بَانَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿٧٧﴾ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ الْيَسَنَةَ بِأَلْكَتَابٍ لِحَسْبِهِ مِنْ الْكَتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكَتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ وَقَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٨﴾ ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله كتاباً منزلاً من عنده، ويرزقه العلم والفهم، ويختاره نبياً، ثم يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن يقول لهم: كونوا علماء عاملين مربيين للناس مصلحين لأموالهم بسبب تعليمكم الكتاب المنزل للناس، وبما كنتم تدرسون منه حفظاً وفهماً.

﴿٧٩﴾ ولا ينبغي له - كذلك - أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً تعبدونهم من دون الله، أيجوز منه أن يأمرهم بالكفر بالله بعد انقيادكم إليه واستسلامكم له؟

﴿٨١﴾ واذكر - أيها الرسول - حين أخذ الله العهد المؤكد على النبيين قائلاً لهم: مهما أعطيتكم من كتاب أنزله عليكم، وحكمة أعلمكم إياها، وبلغ أحدكم ما بلغ من المكانية والمنزلة، ثم جاءكم رسول من عندي - وهو محمد ﷺ - مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة؛ لتؤمنن به، ولتنصرنه متبعين له، فهل أقررتن - أيها الأنبياء - بذلك، وأخذتم على ذلك عهدي الشديد؟ فأجابوا قائلين: أقررنا به، قال الله: اشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

﴿٨٢﴾ فمن أعرض بعد هذا العهد المؤكد بالشهادة من الله ورسوله؛ فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعته. ﴿٨٣﴾ أفغير دين الله الذي اختار لعباده - وهو الإسلام - يطلب هؤلاء الخارجون عن دين الله وطاعته؟ له - سبحانه - انقاد واستسلم كل من في السماوات والأرض من الخلائق، طوعاً له كحال المؤمنين، وكرهاً كحال الكافرين، ثم إليه تعالى يرجع الخلائق كلهم يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٨٣﴾ من قوايد الآيات،

- ضلال علماء اليهود ومكرهم في تحريفهم كلام الله، وكذبهم على الناس بنسبة تحريفهم إليه تعالى.
- كل من يدعي أنه على دين نبي من أنبياء الله إذا لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو ناقض لعهد مع الله تعالى.
- أعظم الناس منزلة العلماء الربانيون الذين يجمعون بين العلم والعمل، ويربّون الناس على ذلك.
- أعظم الضلال الإعراض عن دين الله تعالى الذي استسلم له سبحانه الخلائق كلهم بقرهم وفاجرهم.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول -: آمنا بالله إلهنا، وأطعناه فيما أمرنا به، وآمنا بالوحي الذي أنزله علينا، وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب، وبما أوتي موسى وعيسى والنبيون جميعاً من الكتب والآيات من ربهم، لا نفرق بينهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، ونحن متقادون لله وحده مستسلمون له تعالى.

﴿٨٥﴾ ومن يطلب ديناً غير الدين الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام؛ فلن يقبل الله ذلك منه، وهو في الآخرة من الخاسرين لأنفسهم بدخولهم النار.

﴿٨٦﴾ كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً كفروا بعد إيمانهم بالله وشهادتهم أن ما جاء به الرسول محمد ﷺ حق، وجاءتهم البراهين الواضحة على صحة ذلك؟! والله لا يوفق للإيمان به القوم الظالمين الذين اختاروا الضلال بدلاً عن الهدى.

﴿٨٧﴾ إن جزاء أولئك الظالمين الذين اختاروا الباطل أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مُبْعَدُونَ عن رحمة الله مطرودون.

﴿٨٨﴾ خالدون في النار لا يخرجون منها، ولا يُخَفَّفُ عنهم عذابها، ولا هم يُؤَخَّرُونَ ليتوبوا ويعتذروا.

﴿٨٩﴾ إلا الذين رجعوا إلى الله بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحوا عملهم؛ فإن الله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٩٠﴾ إن الذين كفروا بعد إيمانهم، واستمروا على كفرهم حتى عاينوا الموت؛ لن تقبل منهم التوبة عند

حضور الموت لذهاب وقتها، وأولئك هم الضالون عن الصراط المستقيم الموصول إلى الله تعالى. ﴿٩١﴾ إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم؛ فلن يُقبل من أحدهم وزن الأرض ذهباً ولو قدمه مقابل انفكاكه من النار، أولئك لهم عذاب أليم، وما لهم من ناصرين يوم القيامة يدفعون عنهم العذاب.

﴿٩٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- يجب الإيمان بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى، وجميع ما أنزل عليهم من الكتب، دون تفريق بينهم.
- لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً أياً كان بعد بعثة النبي محمد ﷺ إلا الإسلام الذي جاء به.
- مَنْ أصر على الضلال، واستمر عليه، فقد يعاقبه الله بعدم توقيفه إلى التوبة والهداية.
- باب التوبة مفتوح للعبد ما لم يحضره الموت، أو تشرق الشمس من مغربها، فعندئذ لا تُقبل منه التوبة.
- لا ينجي المرء يوم القيامة من عذاب النار إلا عمله الصالح، وأما المال فلو كان ملء الأرض لم ينفعه شيئاً.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي
إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٩٤﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا
مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠١﴾

٦٢

﴿٩٢﴾ لَنْ تَدْرِكُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - ثَوَابَ أَهْلِ الْبِرِّ وَمَنْزِلَتَهُمْ حَتَّى تَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي تَحِبُّونَهَا، وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِنِيَاتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿٩٣﴾ جميع الأطعمة الطيبة كانت حلالاً لبني إسرائيل، ولم يُحَرِّمْ عليهم منها إلا ما حَرَّمَهُ يَعْقُوبُ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ نَزُولِ التَّوْرَةِ، لَا كَمَا تَزْعُمُ الْيَهُودُ أَنَّ ذَلِكَ التَّحْرِيمَ كَانَ فِي التَّوْرَةِ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ -: فَاحْضَرُوا التَّوْرَةَ وَاقْرَءُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي هَذَا الَّذِي تَدَّعُونَهُ، فَبَهْتُوا، وَلَمْ يَأْتُوا بِهَا. وَهُوَ مِثَالُ يَدْلِ عَلَى اقْتِرَاءِ الْيَهُودِ عَلَى التَّوْرَةِ وَتَحْرِيفِ مَضْمُونِهَا.

﴿٩٤﴾ فَمَنْ افْتَرَى الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. بعد ظهور الحجة: بأن ما حَرَّمَهُ يَعْقُوبُ ﴿٩٣﴾ حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمٍ مِنَ اللَّهِ: فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لِأَنفُسِهِمْ بَتَرَكِ الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِ حُجَّتِهِ. ﴿٩٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ -: صَدَقَ اللَّهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ يَعْقُوبَ ﴿٩٤﴾، وَفِي كُلِّ مَا أَنْزَلَ وَشَرَعَ، فَاتَّبِعُوا دِينَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٩٦﴾، فَقَدْ كَانَ مِثَالًا عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَشْرِكْ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَبَدًا.

﴿٩٧﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ بَنِيَ فِي الْأَرْضِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا مِنْ أَجْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ هُوَ بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ، وَهُوَ بَيْتُ مُبَارَكٍ، كَثِيرِ الْمَنَافِعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِيهِ هُدَايَةٌ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا.

﴿٩٨﴾ فِي هَذَا الْبَيْتِ عِلَامَاتٌ ظَاهِرَاتٌ عَلَى شَرْفِهِ وَفَضْلِهِ: كَالْمَنَاسِكِ وَالْمَشَاعِرِ، وَمِنْ هَذِهِ الْعِلَامَاتِ الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا أَرَادَ رَفْعَ جِدَارِ الْكَعْبَةِ، وَمِنْهَا أَنْ مَنْ دَخَلَ يَزُولَ

الخوف عنه ولا يناله أذى. ويجب لله على الناس قَصْدُ هذا البيت لأداء مناسك الحج، لمن كان منهم قادرًا على الوصول إليه، ومن كفر بفريضة الحج فإن الله غني عن هذا الكافر وعن العالمين أجمعين.

﴿٩٩﴾ قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ -: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِمَ تَجْحَدُونَ الْبَرَاهِينَ عَلَى صَدَقِ النَّبِيِّ ﴿٩٨﴾، وَمِنْهَا بَرَاهِينَ جَاءَتْ بِهَا التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ؟ وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِكُمْ هَذَا، شَهِيدٌ عَلَيْهِ، وَسَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿١٠٠﴾ قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ -: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِمَ تَمْنَعُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النَّاسِ تَطْلُبُونَ لِدِينِ اللَّهِ مِثْلًا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلَأَهْلِهِ ضَلَالًا عَنِ الْهُدَى، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الدِّينَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا فِي كِتَابِكُمْ؟ وَلَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَسَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، إِنْ تَطِيعُوا طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِيمَا يَقُولُونَهُ، وَتَقْبَلُوا رَأْيَهُمْ فِيمَا يَزْعُمُونَهُ: يَرْجِعُوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ مَا فِيهِمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالضَّلَالِ عَنِ الْهُدَى.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- كَذَّبَ الْيَهُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْبِيَائِهِ، وَمِنْ كَذِبِهِمْ زَعْمُهُمْ أَنَّ تَحْرِيمَ يَعْقُوبَ ﴿٩٣﴾ لِبَعْضِ الْأَطْعِمَةِ نَزَلَتْ بِهِ التَّوْرَةُ.
- أَعْظَمُ أَمَاكِنِ الْعِبَادَةِ وَأَشْرَفُهَا الْبَيْتُ الْحَرَامُ، فَهُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَفِيهِ مِنَ الْخِصَالِ مَا لَيْسَ فِي سِوَاهِ.
- ذَكَرَ اللَّهُ وَجُوبَ الْحَجِّ بِأَوْكَدِ الْأَفْظَادِ الْوُجُوبِ تَأْكِيدًا لَوُجُوبِهِ.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿١١١﴾ وكيف تكفرون بالله بعد إيمانكم به، وأنتم معكم السبب الأعظم للثبات على الإيمان! آيات الله تُقرأ عليكم، ورسوله محمد ﷺ يُبينها لكم، ومن يستمسك بكتاب الله وسنة رسوله؛ فقد وفقه الله إلى طريق مستقيم لا أعوجاج فيه.

﴿١١٢﴾ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خافوا ربكم حق المخافة، وذلك باتباع أوامره واجتنب نواهيه، وشكروا على نعمه، واستمسكوا بدينكم حتى يأتكم الموت وأنتم على ذلك.

﴿١١٣﴾ وتمسكوا - أيها المؤمنون - بالكتاب والسنة، ولا تتركبوا ما يوقعكم في التفرق، وادكروا إنعام الله عليكم حين كنتم أعداء قبل الإسلام تتقاتلون على أقل الأسباب، فجمع بين قلوبكم بالإسلام، فصرتم بفضلته إخواناً في الدين، متراحمين متناصحين، وكنتم قبل ذلك مشرفين على دخول النار بكفركم، فأنجاهم الله منها بالإسلام وهذا لكم للإيمان. وكما بيّن لكم الله هذا يبين لكم ما يصلح أحوالكم في الدنيا والآخرة، لتهتدوا إلى طريق الرشاد، وتسلكوا سبيل الاستقامة.

﴿١١٤﴾ ولكن منكم - أيها المؤمنون - جماعة يدعون إلى كل خير يجهه الله، ويأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وينهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، والمتصفون بهذه الصفة هم أهل الفوز التام في الدنيا والآخرة.

﴿١١٥﴾ ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل أهل الكتاب الذين تفرقوا فصاروا أحزاباً وشيعاً، واختلفوا في دينهم من

بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة من الله تعالى، وأولئك المذكورون لهم عذاب عظيم من الله.

﴿١١٦﴾ يقع عليهم هذا العذاب العظيم يوم القيامة، حين تَبْيَضُّ وجوه أهل الإيمان من الفرح والسعادة، وتَسْوَدُّ وجوه الكافرين من الحزن والكآبة، فأما الذين اسودت وجوههم في ذلك اليوم العظيم فيقال توبيخاً لهم: أكفرتم بوجوههم بعد إيمانكم؟ أكفرتم بتوحيد الله وعهده الذي أخذ عليكم بالآثار تشركوا به شيئاً، بعد تصديقكم وإقراركم؟ فذوقوا عذاب الله الذي أعده لكم بسبب كفركم.

﴿١١٧﴾ وأما الذين أبيضت وجوههم فمقامهم في جنات النعيم، خالدين فيها أبداً، في نعيم لا يزول ولا يحول.

﴿١١٨﴾ تلك الآيات المتضمنة وعد الله ووعيده نقرؤها عليك - أيها النبي - بالصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، وما الله يريد ظُلماً لأي أحد من العالمين، بل لا يعذب أحداً إلا بما كسبت يده.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- متابعة أهل الكتاب في أهوائهم تقود إلى الضلال والبعد عن دين الله تعالى.
- الاعتصام بالكتاب والسنة والاستمسك بهديهما أعظم وسيلة للثبات على الحق، والعصمة من الضلال والافتراق.
- الافتراق والاختلاف الواقع في هذه الأمة في قضايا الاعتقاد فيه مشابهة لمن سبق من أهل الكتاب.
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن به فلاح الأمة وسبب تميزها.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا آذَىٰ وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيَّنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَدِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

الجزء
٧

الحق قائمة به فقال:

﴿١٠٩﴾ ولله تعالى وحده مُلْكُ ما في السماوات وما في الأرض، خَلَقًا وَأَمْرًا، واليه تعالى مصير أمر كل خلقه فيجازي كلًّا منهم على قدر استحقاقه.

﴿١١٠﴾ كنتم - يا أمة محمد ﷺ - خير الأمم التي أخرجها الله للناس في إيمانكم وعملكم، وأنفع الناس للناس، تأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وتنهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، وتؤمنون بالله إيمانًا جازمًا يصدق العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ لكان ذلك خيرًا لهم في دنياهم وآخرتهم. من أهل الكتاب قليل يؤمنون بما جاء به محمد ﷺ، وأكثرهم هم الخارجون عن دين الله وشريعته.

﴿١١١﴾ ومهما كان منهم من عداوة قلن يضروكم - أيها المؤمنون - في دينكم ولا في أنفسكم إلا أذى بالسننهم، من الطعن في الدين، والاستهزاء بكم ونحو ذلك، وإن قاتلوكم يفرّوا منهزمين أمامكم، ولا يُنصرون عليكم أبدًا.

﴿١١٢﴾ جعل الهوان والصغار محيطًا باليهود مشتملاً عليهم أينما وجدوا، فلا يَأْمَنُونَ إلا بعهد أو أمن من الله تعالى أو من الناس، ورجعوا بغضب من الله، وجعلت عليهم الحاجة والفاقة محيطة بهم، ذلك الذي جعل عليهم بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم لأنبيائه ظلمًا، وذلك -أيضًا- بسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله.

ولمَّا بيّن الله حال غالب أهل الكتاب، بيّن حال طائفة منهم مستقيمة على

﴿١١٢﴾ ليس أهل الكتاب متساوين في حالهم، بل منهم طائفة مستقيمة على دين الله، قائمة بأمر الله ونهيه، يقرؤون آيات الله في ساعات الليل وهم يُصَلُّونَ لله، كانت هذه الفئة قبل بعثة النبي محمد ﷺ، ومن أدرك منهم هذه البعثة أسلم.

﴿١١٣﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا جازمًا، ويأمرون بالمعروف والخير، وينهون عن المنكر والشر، ويبادرون إلى أفعال الخيرات، ويغتيمون مواسم الطاعات، أولئك المتصفون بهذه الصفات من عباد الله الذين صلحت نياتهم وأعمالهم.

﴿١١٤﴾ وما يفعله هؤلاء من خير قليلًا كان أو كثيرًا قلن يضيع عليهم ثوابه، ولن ينقص أجره، والله عليم بالمتقين الذين يمثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

• من قواعد الآيات:

- أعظم ما يميز هذه الأمة وبه كانت خيريتها - بعد الإيمان بالله - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- قضى الله تعالى بالذل على أهل الكتاب لفسقهم وإعراضهم عن دين الله، وعدم وفائهم بما أخذ عليهم من العهد.
- أهل الكتاب ليسوا على حال واحدة؛ فمنهم الفائق بأمر الله، المتبع لدينه، الواقف عند حدوده، وهؤلاء لهم أعظم الأجر والثواب. وهذا قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

﴿١٦٦﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، لَنْ تَرُدَّ عَنْهُمْ عَذَابَهُ، وَلَنْ تَجْلِبَ لَهُمْ رَحْمَتُهُ، بَلْ سَتَزِيدُهُمْ عَذَابًا وَحَسْرَةً، وَأُولَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَازِمُونَ لَهَا.

﴿١٦٧﴾ مثل ما ينفقه هؤلاء الكافرون في وجوه البر، وما ينتظرونه من ثوابها؛ كمثل ربح فيها برد شديد أصابت زَرْعَ قوم ظلموا أنفسهم بالمعاصي وغيرها، فأتلقت زرعهم، وقد رجوا منه خيرًا كثيرًا، فكما أتلقت هذه الرياح الزرع فلم يُنتفع به، كذلك الكفر يبطل ثواب أعمالهم التي يرجونها، والله لم يظلمهم - تعالى عن ذلك - وإنما ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم به وتكذيبهم رسله.

﴿١٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، لَا تَتَّخِذُوا أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، تُطْلَعُونَهُمْ عَلَى أَسْرَارِكُمْ وَخَوَاصِّ أَحْوَالِكُمْ، فَهُمْ لَا يُقْضَرُونَ فِي طَلَبِ مَضْرَتِكُمْ وَفَسَادِ حَالِكُمْ، يَتَمَنُونَ حُصُولَ مَا يَضُرُّكُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْكُمْ، قَدْ ظَهَرَتِ الْكِرَاهِيَةُ وَالْعَدَاوَةُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، بِالطَّمَنِ فِي دِينِكُمْ، وَالْوَقِيعَةِ بَيْنَكُمْ، وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِكُمْ، وَمَا تَكْتُمُهُ صُدُورُهُمْ مِنَ الْكِرَاهِيَةِ أَعْظَمَ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - الْبَرَاهِينَ الْوَاضِحَةَ عَلَى مَا فِيهِ مَصَالِحُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنْ رَبِّكُمْ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿١٦٩﴾ هَا أَنْتُمْ - يَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ - تَحِبُّونَ أُولَئِكَ الْقَوْمَ، وَتَرْجُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَهُمْ لَا يَحِبُّونَكُمْ، وَلَا يَرْجُونَ لَكُمْ الْخَيْرَ، بَلْ يَبْغُضُونَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَوَدُّونَ بِالْكَتِبِ كُلِّهَا، وَمِنْهَا كِتَابُهُمْ،

وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ، وَإِذَا اتَّقَوْا بِكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ: صَدَقْنَا، وَإِذَا انْفَرَدَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ غَضُّوا أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ غَمًّا وَغِيظًا لِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلَّةِ. قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِأُولَئِكَ الْقَوْمِ: ابْقُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُوتُوا غَمًّا وَغِيظًا، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿١٧٠﴾ إِنْ تَصْبِرْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرِ عَلَى عَدُوٍّ، أَوْ زِيَادَةٌ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ: يَصْبِرُهُمُ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ، وَإِنْ تَصْبِرْكُمْ مَصِيبَةٌ مِنْ نَصْرِ عَدُوٍّ أَوْ نَقْصٍ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ، يَفْرَحُوا بِذَلِكَ، وَيَشْتَمُوا بِكُمْ، وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ وَأَقْدَارِهِ، وَتَتَّقُوا غَضَبَهُ عَلَيْكُمْ: لَا يَضُرُّكُمْ مَكْرُهُمْ وَأَذَاهُمْ، إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكَيْدِ مُحِيطٌ، وَسِيرْدُهُمْ خَائِبِينَ.

﴿١٧١﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - حِينَ خَرَجْتَ أَوَّلَ النَّهَارِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِقَاتِلِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَحَدٍ، حَيْثُ أَخَذَتْ تُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، فَبَيَّنْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنْزِلَهُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَفْعَالِكُمْ.

﴿١٧٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَاةِ الْكَافِرِينَ وَجَعَلَهُمْ أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ يُقْضَى إِلَيْهِمْ بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَارِهِمْ.

● مِنْ صُورِ عَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَرَحَهُمْ بِمَا يَصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَنَقْصٍ، وَغِيظَهُمْ إِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ.

● الْوَقَايَةُ مِنْ كَيْدِ الْكَافِرِ وَمَكْرِهِمْ تَكُونُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمِ إِظْهَارِ الْخَوْفِ، ثُمَّ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَخْذُ بِسَبَابِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦٨﴾ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتَوَدُّونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ أَلَا أَنْتُمْ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٦٩﴾ إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصَبَّرْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧٠﴾ وَإِذَا غَدَوْتُمْ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّأُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧١﴾

وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ، وَإِذَا اتَّقَوْا بِكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ: صَدَقْنَا، وَإِذَا انْفَرَدَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ غَضُّوا أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ غَمًّا وَغِيظًا لِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلَّةِ. قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِأُولَئِكَ الْقَوْمِ: ابْقُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُوتُوا غَمًّا وَغِيظًا، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿١٧٠﴾ إِنْ تَصْبِرْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرِ عَلَى عَدُوٍّ، أَوْ زِيَادَةٌ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ: يَصْبِرُهُمُ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ، وَإِنْ تَصْبِرْكُمْ مَصِيبَةٌ مِنْ نَصْرِ عَدُوٍّ أَوْ نَقْصٍ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ، يَفْرَحُوا بِذَلِكَ، وَيَشْتَمُوا بِكُمْ، وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ وَأَقْدَارِهِ، وَتَتَّقُوا غَضَبَهُ عَلَيْكُمْ: لَا يَضُرُّكُمْ مَكْرُهُمْ وَأَذَاهُمْ، إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكَيْدِ مُحِيطٌ، وَسِيرْدُهُمْ خَائِبِينَ.

﴿١٧١﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - حِينَ خَرَجْتَ أَوَّلَ النَّهَارِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِقَاتِلِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَحَدٍ، حَيْثُ أَخَذَتْ تُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، فَبَيَّنْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنْزِلَهُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَفْعَالِكُمْ.

﴿١٢١﴾ اذكر - أيها النبي - ما وقع لفريقيين من المؤمنين من بني سلمة، وبني حارثة، حين ضعفوا، وهُمُوا بالرجوع حين رجع المنافقون، والله ناصر هؤلاء بثبوتهم على القتال وصرههم عما هُمُوا به، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في كل أحوالهم.

﴿١٢٢﴾ ولقد نصركم الله على المشركين في معركة بدر وأنتم مستضعفون وذلك لقلة عددكم وعتادكم، فائقوا الله لعلكم تشكرون نعمه عليكم.

﴿١٢٣﴾ اذكر - أيها النبي - حين قلت للمؤمنين مثبثاً لهم في معركة بدر بعدما سمعوا بمدد يأتي للمشركين: ألن يكفيكم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴿١٢٤﴾ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴿١٢٥﴾ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به.

﴿١٢٦﴾ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿١٢٧﴾ ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴿١٢٨﴾ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴿١٢٩﴾ والله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴿١٣٠﴾ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿١٣٣﴾ وما جعل الله هذا العون وهذا الإمداد بالملائكة إلا خيراً سائراً لكم، تطمئن قلوبكم به، وإلا فإن النصر حقيقة لا يكون بمجرد هذه الأسباب الظاهرة، وإنما النصر حقاً من عند الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في تقديره وتشريعه.

﴿١٣٤﴾ هذا النصر الذي تحقق لكم في غزوة بدر أراد الله به أن يهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، ويخزي طائفة أخرى، ويغظهم بهزيمتهم، فخرجوا بفشل وذل. ﴿١٣٥﴾ لما دعا الرسول على رؤساء المشركين بالهلاك بعد ما وقع منهم في أحد؛ قال الله له: ليس لك من أمرهم شيء، بل الأمر لله، فاصبر إلى أن يقضي الله بينكم، أو يوفقهم للتوبة فيسلموا، أو يستمروا على كفرهم فيعذبهم، فإنهم ظالمون مستحقون للعذاب. ﴿١٣٦﴾ ولله ما في السموات وما في الأرض خلقاً وتديراً، يغفر الذنوب لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم. ﴿١٣٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، تجنبوا أخذ الربا زيادة مضاعفة على رؤوس أموالكم التي أقرضتموها، كما يفعل أهل الجاهلية، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، لعلكم تتألون ما تطلبون من خير الدنيا والآخرة. ﴿١٣٨﴾ واجعلوا بينكم وبين النار التي أعدّها الله للكافرين به وقاية؛ وذلك بعمل الصالحات وترك المحرمات. ﴿١٣٩﴾ وأطيعوا الله ورسوله بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، لعلكم تتألون الرحمة في الدنيا والآخرة.

﴿١٤٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،
• مشروعية التذكير بالنعم والنقم التي تنزل بالناس حتى يعتبر بها المرء.
• من أعظم أسباب تنزل نصر الله على عباده ورحمته ولطفه بهم: التزام التقوى، والصبر على شدائد القتال.
• الأمر كله لله تعالى، فيحكم بما يشاء، ويقضي بما أراد، والمؤمن الحق يُسَلِّمُ لله تعالى أمره، وينقاد لحكمه.
• الذنوب - ومنها الربا - من أعظم أسباب خذلان العبد، ولا سيما في مواطن الشدائد والصعاب.
• مجيء النهي عن الربا بين آيات غزوة أحد يشعر بشمول الإسلام في شرائعه وترابطها بحيث يشير إلى بعضها في وسط الحديث عن بعض.

* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ
 عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
 فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا
 فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن
 رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ
 أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٢٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
 ﴿١٢٧﴾ هَذَآبَيَانُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾
 وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ
 ﴿١٢٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ
 الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢٣﴾ وبادروا وسابقوا إلى فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات؛ لتنالوا مغفرة من الله عظيمة، وتدخلوا جنة عرضها السماوات والأرض، هبأها الله للمتقين من عبادهم.

﴿١٢٤﴾ المتقون هم الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله، في حال اليسر والعسر، والمانعون غضبهم مع القدرة على الانتقام، والمتجاوزون عمن ظلمهم، والله يحب المحسنين المتصفين بمثل هذه الأخلاق.

﴿١٢٥﴾ وهم الذين إذا فعلوا كبيرة من الذنوب، أو نقصوا حظ أنفسهم بارتكاب ما دون الكبائر، ذكروا الله تعالى، وتذكروا وعيده للعاصين، ووعدته للمتقين. فطلبوا من ربهم نادمين ستر ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وحده، ولم يصروا على ذنوبهم، وهم يعلمون أنهم مذنبون، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً.

﴿١٢٦﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة، والخصال المجيدة، ثوابهم أن يستر الله ذنوبهم، ويتجاوز عنها، ولهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، مقيمين فيها أبداً، ونعم ذلك الجزاء للعاملين بطاعة الله.

﴿١٢٧﴾ ولما ابتلي المؤمنون بما نزل بهم يوم أحد قال الله معزياً لهم: قد مضت من قبلكم سنن إلهية في إهلاك الكافرين، وجعل العاقبة للمؤمنين بعد ابتلائهم، فسيروا في الأرض فانظروا معتبرين كيف كان مصير المكذبين لله ورسله، خلت ديارهم، وزال ملكهم.

﴿١٢٨﴾ هذا القرآن الكريم بيان للحق

وتحذير من الباطل للناس أجمعين، وهو دلالة إلى الهدى، وزاجر للمتقين؛ لأنهم هم المنتفعون بما فيه من الهدى والرشاد.

﴿١٢٩﴾ ولا تضعفوا - أيها المؤمنون - ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد؛ ولا ينبغي ذلك لكم، فأنتم الأعلون بإيمانكم، والأعلون بعون الله ورجائكم نصره، إن كنتم مؤمنين بالله ووعدته لعباده المتقين.

﴿١٣٠﴾ إن أصابكم - أيها المؤمنون - جراح وقتل يوم أحد، فقد أصاب الكفار جراح وقتل مثل ما أصابكم، والأيام يصرفها الله بين الناس مؤمنهم وكافرهم بما شاء من نصر وهزيمة؛ لحكم بالغة؛ منها: ليظهر المؤمنون حقيقة من المنافقين، ومنها: ليكرم من يشاء بالشهادة في سبيله، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بترك الجهاد في سبيله.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الرغبة في المسارعة إلى عمل الصالحات اعتناءً للأوقات، ومبادرة للطاعات قبل فواتها.
- من صفات المتقين التي يستحقون بها دخول الجنة: الإنفاق في كل حال، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق.
- النظر في أحوال الأمم السابقة من أعظم ما يورث العبرة والعظة لمن كان له قلب يعقل به.

﴿١٤١﴾ ومن هذه الحكم تطهير المؤمنين من ذنوبهم، وتخليص صفهم من المنافقين، وليليك الكافرين ويمحوهم.

﴿١٤٢﴾ أظنتم - أيها المؤمنون - أنكم تدخلون الجنة دون ابتلاء وصبر يظهر به المجاهدون في سبيل الله حقيقة، والصابرون على البلاء الذي يصيبهم فيه؟

﴿١٤٣﴾ ولقد كنتم - أيها المؤمنون - تتنون لقاء الكفار لتقوالوا الشهادة في سبيل الله، كما نالها إخوانكم في يوم بدر من قبل أن تلاقوا أسباب الموت وشدته، فها قد رأيتم في يوم أحد ما تمنيت، وأنتم تنظرون له عياناً. ولما شاع في الناس يوم أحد أن النبي ﷺ قتل، أنزل الله معاتباً من قعد من المؤمنين عن القتال بسبب ذلك فقال:

﴿١٤٤﴾ وما محمد إلا رسول من جنس من سبقه من رسل الله الذين ماتوا أو قتلوا، أفان مات هو أو قتل ارتدتم عن دينكم، وتركتم الجهاد؟ ومن يرد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئاً؛ إذ هو القوي العزيز، وإنما يضر المرتد نفسه بتعريضها لخسارة الدنيا والآخرة، وسيجزي الله الشاكرين له أحسن الجزاء بثباتهم على دينه، وجهادهم في سبيله.

﴿١٤٥﴾ وما كانت نفس لتموت إلا بقضاء الله، بعد أن تستوفي المدة التي كتبها الله وجعلها أجلاً لها، لا تزيد عنها ولا تنقص. ومن يُرد ثواب الدنيا بعمله نعطه بقدر ما قدر له منها، ولا نصيب له في الآخرة، ومن يُرد بعمله ثواب الله في الآخرة نعطه ثوابها، وسنجزى

وَلِيَمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلَاتِهِ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

الشاكرين لربهم جزاءً عظيماً.

﴿١٤١﴾ وكم من نبي من أنبياء الله قاتل معه جماعات من أتباعه كثيرة، فما جَبُّوا عن الجهاد لما أصابهم من قتل وجراح في سبيل الله، وما ضعفوا عن قتال العدو، وما خضعوا له، بل صبروا وثبتوا، والله يحب الصابرين على الشدائد والمكاره في سبيله.

﴿١٤٢﴾ وما كان قول هؤلاء الصابرين لما نزل بهم هذا البلاء إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وتجاوزنا الحدود في أمرنا، وثبت أقدامنا عند ملاقات عدونا، وانصرنا على القوم الكافرين بك.

﴿١٤٣﴾ فآتاهم الله ثواب الدنيا بنصرهم والتمكين لهم، وآتاهم الثواب الحسن في الآخرة بالرضا عنهم، والنعيم المقيم في جنات النعيم، والله يحب المحسنين في عبادتهم ومعاملتهم.

﴿١٤٤﴾ من قوايد الآيات:

- الابتلاء سنة إلهية يتميز بها المجاهدون الصادقون الصابرون من غيرهم.
- يجب ألا يرتبط الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه بأحد من البشر مهما علا قدره ومقامه.
- أعمار الناس وأجالهم ثابتة عند الله تعالى، لا يزيدها الحرص على الحياة، ولا ينقصها الإقدام والشجاعة.
- تختلف مقاصد الناس ونياتهم، فمنهم من يريد ثواب الله، ومنهم من يريد الدنيا، وكلٌ سيجازى على نيته وعمله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ
۱٤٩ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ۝ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ
مَّا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
۝ ١٥٢ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ
وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَابَكُمْ
غَمًّا بَغْمٍ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ ۖ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ١٥٣

۱٤٩ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين، فيما يأمرونكم به من الضلال، يُرْجِعُوكُمْ بعد إيمانكم إلى ما كنتم عليه كفارًا، فترجعوا خاسرين في الدنيا والآخرة. ۱٥٠ هؤلاء الكافرون لن ينصروكم إذا أطعتموهم، بل الله هو ناصركم على أعدائكم، فأطيعوه، وهو سبحانه خير الناصرين، فلا تحتاجون لأحد بعده. ۱٥١ سنلقي في قلوب الذين كفروا بالله الخوف الشديد، حتى لا يستطيعوا الثبات لقتالكم بسبب إشرافهم بالله آلهة عبدوها بأهوائهم، لم ينزل عليهم بها حجة، ومُستقرهم الذي يرجعون إليه في الآخرة هو النار، وبشِّرِ الظالمين النار.

۱٥٢ ولقد أنجزكم الله ما وعىكم به من النصر على أعدائكم يوم أحد، حين كنتم تقتلونهم قتلاً شديداً بإذنه تعالى، حتى إذا جُئْتُمْ وُضعْتُمْ عن الثبات على ما أمركم به الرسول، واختلفتم بين البقاء في مواقعكم أو تركها وجمع الغنائم، وعصيتم الرسول في أمره لكم بالبقاء في مواقعكم على كل حال، وقع ذلك منكم من بعد ما أراكم الله ما تحبونه من النصر على أعدائكم، منكم من يريد غنائم الدنيا، وهم الذين تركوا مواقعهم، ومنكم من يريد ثواب الآخرة، وهم الذين بقوا في مواقعهم مطيعين أمر الرسول، ثم حوّلهم الله عنهم، وسلّطهم عليكم؛ ليختبركم، فيظهر المؤمن الصابر على البلاء ممّن زلت قدمه، وضعفت نفسه، ولقد عفا الله عما ارتكبتموه من المخالفة لأمر رسوله ﷺ، والله صاحب

فضل عظيم على المؤمنين حيث هداهم للإيمان، وعفا عن سيئاتهم، وأتابهم على مصائبهم.

۱٥٣ اذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم تُعبدون في الأرض هاريين يوم أحد، لما أصابكم الفشل بمخالفة أمر الرسول، ولا ينظر أحد منكم لأحد، والرسول يدعوكم من خلفكم بينكم وبين المشركين قاتلاً: إني عباد الله، إني عباد الله، فجاءكم الله على هذا ألماً وضيقاً بما فاتكم من النصر والغنيمة، يتبعه ألم وضيق، وبما شاع بينكم من قتل النبي، وقد أنزل بكم هذا لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا ما أصابكم من قتل وجراح، بعدما علمتم أن النبي لم يُقتل، حيث هانت عليكم كل مصيبة وألم، والله خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أحوال قلوبكم، ولا أعمال جوارحكم.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التحذير من طاعة الكفار والسير في أهوائهم، فعاقبة ذلك الخسران في الدنيا والآخرة.
- إلقاء الرعب في قلوب أعداء الله صورة من صور نصر الله لأوليائه المؤمنين.
- من أعظم أسباب الهزيمة في المعركة التعلق بالدنيا والطمع في مغانمها، ومخالفة أمر قائد الجيش.
- من دلائل فضل الصحابة أن الله يعقب بالمغفرة بعد ذكر خطيئهم.

والضيق طمأنينة وثقة، جعلت طائفة منكم - وهم الواثقون بوعد الله - يغطيهم النعاس مما في قلوبهم من أمن وسكينة، وطائفة أخرى لم ينلهم أمن ولا نعاس، وهم المنافقون الذين لا همّ لهم إلا سلامة أنفسهم، فهم في قلق وخوف، يظنون بالله ظن السوء، من أن الله لا ينصر رسوله ولا يؤيد عباده، كظن أهل الجاهلية الذين لم يقدروا الله حق قدره، يقول هؤلاء المنافقون لجهلهم بالله: ليس لنا من رأي في أمر الخروج إلى القتال، ولو كان لنا ما خرجنا، قل - أيها النبي - مجيباً هؤلاء: إن الأمر كله لله، فهو الذي يقدّر ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو من قدر خروجكم. وهؤلاء المنافقون يخفون في أنفسهم من الشك وظن السوء ما لا يظهرون لك، حيث يقولون: لو كان لنا في الخروج رأي ما قتلنا في هذا المكان، قل - أيها النبي - ردّاً عليهم: لو كنتم في بيوتكم بعيدين عن مواطن القتل والموت؛ لخرج من كتب الله عليه القتل منكم إلى حيث يكون قتلهم. وما كتب الله ذلك إلا لاختبر ما في صدوركم من نيات ومقاصد، ويميز ما فيها من إيمان ونفاق، والله عليم بالذي في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منها.

﴿١٥٥﴾ إن الذين انهزموا منكم - يا أصحاب محمد ﷺ - يوم التقي جمع المشركين في أحد بجمع المسلمين، إنما حملهم الشيطان على الزلل بسبب بعض ما اكتسبوه من المعاصي، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم بها

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا تَوَأَّمُوا وَمَا قَتَلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

فضلاً منه ورحمة، إن الله غفور لمن تاب، حليم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿١٥٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تكونوا مثل الكفار من المنافقين، ويقولون لأقاربهم إذا سافروا يطلبون رزقاً، أو كانوا غزاة فماتوا أو قتلوا: لو كانوا عندنا ولم يخرجوا، ولم يغزوا، لم يموتوا ولم يقتلوا، جعل الله هذا الاعتقاد في قلوبهم ليزدادوا ندامة وحزناً في قلوبهم، والله وحده هو الذي يحيي ويميت بمشيئته، لا يمنع قدره قعود ولا يعجله خروج، والله بما تعملون بصير، لا تخفى عليه أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٥٦﴾ ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتُّم - أيها المؤمنون - ليغفر الله لكم مغفرة عظيمة، ويرحمكم رحمة منه، هي خير من هذه الدنيا وما يجمع أهلها فيها من نعيمها الزائل.

﴿١٥٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الجهل بالله تعالى وصفاته يُورث سوء الاعتقاد وفساد الأعمال.
- آجال العباد مضرورية محدودة، لا يجعلها الإقدام والشجاعة، ولا يؤخرها الجبن والحرص.
- من سُنَّةِ اللَّهِ تعالى الجارية ابتلاء عباده: ليميز الخبيث من الطيب.
- من أعظم المنازل وأكرمها عند الله تعالى منازل الشهداء في سبيله.

﴿١٥٨﴾ وَلَئِنْ مُنَّمٍ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ مَوْتَكُمْ، أَوْ قُتِلْتُمْ: فَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَرْجِعُونَ جَمِيعًا؛ لِيَجْزِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٥٩﴾ فيسبب رحمة من الله عظيمة كان خُلُقك - أيها النبي - سهلاً مع أصحابك، ولو كنت شديداً في قولك وفعلك، قاسي القلب لتفرقوا عنك، فتجاوز عنهم تقصيرهم في حقك، واطلب لهم المغفرة، واطلب رأيهم فيما يحتاج إلى مشورة، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه، وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين عليه فيوفقهم ويؤيدهم.

﴿١٦٠﴾ إِنْ يُؤَيِّدْكُمْ اللَّهُ بِإِعَانَتِهِ وَنَصْرِهِ فَلَا أَحَدٌ يَغْلِبُكُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَإِذَا تَرَكَ نَصْرَكُمْ وَوَكَّلَكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ فَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْصَرَكُمْ مِنْ بَعْدِهِ، فَالْانْصِرْ بِيَدِهِ وَحْدَهُ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَّكِمِ الْمُؤْمِنُونَ لَا عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ.

﴿١٦١﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَخُونُ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ غَيْرَ مَا اخْتَصَمَ بِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَخُنْ مِنْكُمْ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ، يُعَاقَبْ بِأَنْ يُضْحَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَأْتِي حَامِلًا مَا أَخَذَهُ أَمَامَ الْخَلْقِ، ثُمَّ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءً مَا اكْتَسَبَتْ تَامًّا غَيْرَ مُنْقُوصٍ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بِزِيَادَةِ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا بِنَقْصِ حَسَنَاتِهِمْ.

﴿١٦٢﴾ لَا يَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَ مَا يَنَالُ بِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ السَّيِّئَاتِ، فَرَجَعَ بِغَضَبٍ شَدِيدٍ مِنَ اللَّهِ، وَمُسْتَقَرَّهُ جَهَنَّمُ، وَسَاءَتْ مَرْجِعًا وَمُسْتَقَرًّا.

﴿١٦٣﴾ هُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿١٦٤﴾ لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ، يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ، وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ بَعَثَةِ هَذَا الرَّسُولِ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ عَنِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ.

﴿١٦٥﴾ أَعِنْدَمَا أَصَابَتْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مُصِيبَةٌ حِينَ هُزِمْتُمْ فِي أَحَدٍ، وَقُتِلَ مِنْكُمْ مَنْ قُتِلَ، قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ضَعْفَيْهَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ، قُلْتُمْ: مَنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ، وَنَبِي اللَّهِ فِينَا؟ قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ -: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ ذَلِكَ جَاءَكُمْ بِسَبَبِكُمْ حِينَ تَنَازَعْتُمْ، وَعَصَيْتُمُ الرَّسُولَ، إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ فَيَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُخْذِلُ مَنْ يَشَاءُ.

﴿١٦٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- النصر الحقيقي من الله تعالى، فهو القوي الذي لا يحارب، والعزيز الذي لا يغالب.
- لا تستوي في الدنيا حال من اتبع هدى الله وعمل به وحال من أعرض وكذب به، كما لا تستوي منازلهم في الآخرة.
- ما ينزل بالعبد من البلاء والمحن هو بسبب ذنوبه، وقد يكون ابتلاء ورفع درجات، والله يعفو ويتجاوز عن كثير منها.

وَلَئِنْ مُنَّمٍ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشُرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلْ مَنْ يَعْلَلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُوْبَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّْا أَصَبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٦﴾ وما حدث لكم من القتل والجراح والهزيمة يوم أحد حين التقى جمعكم وجمع المشركين، فهو بإذن الله وقدره؛ لحكمة بالغة حتى يظهر المؤمنون الصادقون.

﴿١٦٧﴾ ويطهر المنافقون الذين لمّا قيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا بكم سواد المسلمين؛ قالوا: لو نعلم أنه يكون قتال لا تبعناكم لكننا لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال، هم في حالهم وقتئذ أقرب إلى ما يدل على كفرهم مما يدل على إيمانهم، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يُبتُونه في صدورهم، وسيعاقبهم عليه.

﴿١٦٨﴾ هم الذين تخلفوا عن القتال، وقالوا لقرابتهم الذين أصيبوا يوم أحد: لو أنهم أطاعونا ولم يخرجوا للقتال لمّا قتلوا، قل - أيها النبي - ردّا عليهم: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا نزل بكم إن كنتم صادقين فيما ادعيتوه من أنهم لو أطاعوك ما قتلوا، وأن سبب نجاتكم من الموت هو القعود عن الجهاد في سبيل الله.

﴿١٦٩﴾ ولا تظنن - أيها النبي - أن الذين قتلوا في الجهاد في سبيل الله أموات، بل هم أحياء حياة خاصة عند ربهم في دار كرامته، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله.

﴿١٧٠﴾ قد غمرتهم السعادة، وشملتهم الفرح، بما من الله عليهم من فضله، ويأملون وينتظرون أن يلحق بهم إخوانهم الذين بقوا في الدنيا، أنهم إن قتلوا في الجهاد فسينالون من الفضل مثلهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبُهُمْ فَادْرَأْ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿١٧١﴾ ويفرحون مع هذا بثواب كبير ينتظرهم من الله، وزيادة على الثواب عظيمة، وأنه تعالى لا يُبْطِل أجر المؤمنين به، بل يوفيهم أجورهم كاملة، ويزيدهم عليها.

﴿١٧٢﴾ الذين استجابوا لأمر الله ورسوله عندما دُعوا إلى الخروج للقتال في سبيل الله، وملاقاة المشركين في غزوة «حمراء الأسد» التي أعقبت أخذًا بعدما أصابهم الجروح يوم أحد، فلم تمنعهم جروحهم من تلبية نداء الله ورسوله. للذين أحسنوا منهم في أعمالهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتباب نواهيه، أجر عظيم من الله، وهو الجنة.

﴿١٧٣﴾ الذين قال لهم بعض المشركين: إن قريشاً بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة لقتالكم والقضاء عليكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فزادهم هذا الكلام والتخويف تصديقاً بالله وثقة بوعده، فخرجوا إلى لقاءهم وهم يقولون: يكفينا الله تعالى، وهو نعم من نفوِّض إليه أمرنا.

﴿١٧٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من سنن الله تعالى أن يبتلي عباده؛ لتمييز المؤمن الحق من المنافق، وليعلم الصادق من الكاذب.
- عظم منزلة الجهاد والشهادة في سبيل الله وثواب أهله عند الله تعالى حيث ينزلهم الله تعالى بأعلى المنازل.
- فضل الصحابة وبيان علو منزلتهم في الدنيا والآخرة؛ لما بذلوه من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

﴿١٧١﴾ فرجعوا بعد خروجهم إلى «حمراء الأسد» بثواب عظيم من الله، وزيادة في درجاتهم، وسلامة من عدوهم فلم يصبهم قتل ولا جراح، واتبعوا ما يرضي الله عنهم من التزام طاعته والكف عن معصيته، والله صاحب فضل عظيم على عباده المؤمنين.

﴿١٧٢﴾ إنما المخوف لكم الشيطان، يرهبكم بأنصاره وأعوانه، فلا تجبنوا عنهم، فإنهم لا حول لهم ولا قوة، وخافوا الله وحده بالتزام طاعته، إن كنتم مؤمنين به حقًا.

﴿١٧٣﴾ ولا يوفقك في الحزن - أيها الرسول - الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن ينالوا الله بأي ضرر، وإنما يضررون أنفسهم ببعدهم عن الإيمان بالله وطاعته، يريد الله بخذلانهم وعدم توفيقهم ألا يكون لهم نصيب في نعيم الآخرة، ولهم فيها عذاب عظيم في النار.

﴿١٧٤﴾ إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضرروا الله أي شيء، إنما يضررون أنفسهم، ولهم عذاب أليم في الآخرة.

﴿١٧٥﴾ ولا يظن الذين كفروا ببرهم، وعاندوا شره، أن إمهالهم وإطالة عمرهم على ما هم عليه من كفر خير لأنفسهم، ليس الأمر كما ظنوا، وإنما نهلمهم ليزدادوا إثماً بكثرة المعاصي على إثمهم، ولهم عذاب مُدَلٍّ.

﴿١٧٦﴾ ما كان من حكمة الله أن

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَّمْ يَمَسَّ هُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ ۚ مَن يَشَاءُ فَمَا تُمِئُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

يَدْعُكُمْ - أيها المؤمنون - على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين وعدم تمايز بينكم، وعدم تبيين المؤمنين حقًا، حتى يميزكم بأنواع التكاليف والابتلاءات، ليظهر المؤمن الطيب من المنافق الخبيث. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم على الغيب فتُمَيِّزُوا بين المؤمن والمنافق، ولكن الله يختار من رسله من يشاء، فيطلعه على بعض الغيب؛ كما أطلع نبيه محمدًا ﷺ على حال المنافقين، فحَقَّقُوا إيمانكم بالله ورسوله، وإن تَوَمَّنُوا حَقًّا وَتَتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ واجتنب نواهيهِ فلكم ثواب عظيم عند الله.

﴿١٨١﴾ ولا يظن الذين يبخلون بما آتاهم الله من النعم تفضلاً منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنُّوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن ما بخلوا به سيكون طَوْقًا يَطْوَقُونَ به يوم القيامة في أعناقهم يعذبون به، والله وحده يُوَوِّلُ ما في السماوات والأرض، وهو الحي بعد فناء خلقه كلهم، والله عليم بدقائق ما تعملون، وسيجازيكم عليه.

﴿١٨٢﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ينبغي للمؤمن ألا يلتفت إلى تخويف الشيطان له بأعوانه وأنصاره من الكافرين، فإن الأمر كله لله تعالى.
- لا ينبغي للعبد أن يغتر بإمهال الله له، بل عليه المبادرة إلى التوبة، ما دام في زمن المهلة قبل فواتها.
- البخيل الذي يمنع فضل الله عليه إنما يضر نفسه بحرمانها المتاجرة مع الله الكريم الوهاب، وتعرضها للعقوبة يوم القيامة.

﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ حَيْثُ طَلَبَ مِنَ الْقَرْضِ، وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ بِمَا عِنْدَنَا مِنْ أَمْوَالٍ»، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا مِنْ الْإِفْكَ وَالْفَرِيَةِ عَلَى رَبِّهِمْ وَقَتْلَهُمْ أَنْبِيَاءَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَقُولُ لَهُمْ: ذُوقُوا الْعَذَابَ الْمَحْرَقِ فِي النَّارِ.

﴿١٨٢﴾ ذَلِكَ الْعَذَابُ بِسَبَبِ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ - أَيُّهَا الْيَهُودُ - مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَخَازِي، وَبِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ عِبِيدِهِ.

﴿١٨٣﴾ وَهُمْ الَّذِينَ قَالُوا - كَذِبًا وَافْتِرَاءً -: إِنَّ اللَّهَ أَوْصَانَا فِي كِتَابِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلٌّ قَدْ جَاءَ كُرْسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٦﴾ * لَسَبَلُوتَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسَمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٨﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ؟ ﴿١٨٩﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - فَلَا تَحْزَنْ، فَهِيَ عَادَةُ الْكَافِرِينَ، فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ كَثَرٌ مِنْ قَبْلِكَ، جَاءُوا بِالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ، وَبِالْكِتَابِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى الْمَوَاعِظِ وَالرَّقَائِقِ، وَالْكِتَابِ الْهَادِي بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ.

﴿١٩٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ مَهْمَا تَكُنْ لَا بَدَ أَنْ تَذُوقَ الْمَوْتَ، فَلَا يَفْتَرِ مَخْلُوقٌ بِهَذِهِ الدُّنْيَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَعْطُونَ أُجُورَ

أَعْمَالِكُمْ كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ، فَمَنْ أَبْعَدَهُ اللَّهُ عَنِ النَّارِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ: فَقَدْ نَالَ مَا يَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ، وَنَجَا مِمَّا يَخَافُ مِنَ الشَّرِّ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ زَائِلٌ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهَا إِلَّا الْمَخْدُوعُ.

﴿١٩١﴾ لَتُخْتَبَرُنَّ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي أَمْوَالِكُمْ، بِأَدَاءِ الْحَقِّ الْوَاجِبَةِ فِيهَا، وَبِمَا يَنْزِلُ بِهَا مِنْ مَصَائِبٍ، وَلَتُخْتَبَرُنَّ فِي أَنْفُسِكُمْ بِالْقِيَامِ بِتَكَالِيفِ الشَّرِيعَةِ، وَمَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَعْطُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِمَّا يُوْذِيكُمْ مِنَ الطَّعْنِ فِيكُمْ وَفِي دِينِكُمْ، وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى مَا يَصِيبُكُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ وَالِابْتِلَاءَاتِ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ وَتَرْكَ مَا نَهَى، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى عَزْمٍ، وَتَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ.

﴿١٩٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَكْبَارِ:

- مِنْ سُوءِ فِعَالِ الْيَهُودِ وَقَبِيحِ أَخْلَاقِهِمْ اعْتَدَاؤُهُمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ بِالتَّكْذِيبِ وَالْقَتْلِ.
- كُلُّ فَوْزٍ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ نَاقِصٌ، وَإِنَّمَا الْفَوْزُ التَّامُّ فِي الْآخِرَةِ، بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.
- مِنْ أَنْوَاعِ الْإِبْتِلَاءِ الْأَذَى الَّذِي يَنَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْوَاجِبُ حِينَئِذٍ الصَّبْرُ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبُشِّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْجَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

﴿١٨٧﴾ واذكر - أيها النبي - حين أخذ الله العهد المؤكد على علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لَتَوْصَحَّنَ للناس كتاب الله، ولا تكتُمون ما فيه من الهدى، ولا ما دل عليه من نبوة محمد ﷺ، فما كان منهم إلا أن طرَحُوا العهد، ولم يلتفتوا إليه، فكتَمُوا الحق وأظهروا الباطل، واستبدلوا بعهد الله ثمنًا زهيدًا، كالجاء والمال الذي قد ينالونه، فبُشِّ هذا الثمن الذي يستبدلونه بعهد الله.

﴿١٨٨﴾ لا تظنن - يا أيها النبي - أن الذين يفرحون بما فعلوا من القبائح، ويحبون أن يمدحهم الناس بما لم يفعلوه من الخير، لا تظننَّهم بمنجاة من العذاب وسلامة، بل محلهم جهنم، ولهم فيها عذاب موجه.

﴿١٨٩﴾ ولله وحده دون غيره ملك السماوات والأرض وما فيهما خلقًا وتدييرًا، والله على كل شيء قدير.

﴿١٩٠﴾ إن في إيجاد السماوات والأرض من عَدَمٍ على غير مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، وتفاوتهما طولًا وقصرًا؛ لدلائل واضحة لأصحاب العقول السليمة، تدلهم على خالق الكون المستحق للعبادة وحده.

﴿١٩١﴾ وهم الذين يذكرون الله على كل أحوالهم، في حال قيامهم، وحال جلوسهم، وفي حال اضطجاعهم، ويُعْمَلُونَ فكرهم في خلق السماوات والأرض؛ قائلين: يا ربنا، ما خلقت هذا الخلق العظيم عبثًا، تَنَزَّهْتَ عن العبث، فَجَنَّبْنَا عَذَابَ النَّارِ بتوفيقنا للصالحات وَحَفِظْنَا مِنَ السَّيِّئَاتِ.

﴿١٩٢﴾ فإنك - يا ربنا - من تدخل النار من خلقك فقد أهنته وفضحتة،

وليس للظالمين يوم القيامة من أعوان يمنعون عنهم عذاب الله وعقابه.

﴿١٩٣﴾ ربنا إِنَّا سَمِعْنَا داعيًا للإيمان - وهو نبيك محمد ﷺ - يدعو قائلًا: آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِلَهًا واحدًا، فآمَنَّا بما يدعو إليه، وَاتَّبَعْنَا شَرِيعَتَهُ، فَاسْتَرِ ذُنُوبَنَا فَلَا تَفْضَحْنَا، وَتَجَاوِزْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا فَلَا تَوَاضِعْنَا بِهَا، وَتَوَقَّنَا مَعَ الصَّالِحِينَ بتوفيقنا لفعل الخيرات وترك السيئات.

﴿١٩٤﴾ ربنا وَأَعِظْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى أَسْنَةِ رُسُلِكَ، مِنَ الْهُدَايَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَفْضَحْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدُخُولِ النَّارِ، إِنَّكَ - يا ربنا - كريم لا تُخْلِفُ وَعْدَكَ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- من صفات علماء السوء من أهل الكتاب: كتم العلم، واتباع الهوى، والفرح بمدح الناس مع سوء سرائرهم وأفعالهم.
- التفكير في خلق الله تعالى في السماوات والأرض وتعاقب الأزمان يورث اليقين بعظمة الله وكمال الخضوع له ﷻ.
- دعاء الله وخضوع القلب له تعالى من أكمل مظاهر العبودية.

﴿١٩٥﴾ فَأَجَابَ رَبُّهُمْ دَعَاءَهُمْ: بِأَنِّي لَا أُضِيعُ ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ قَلْتُ أَوْ كَثُرْتُ، سواء كان العامل ذكراً أو أنثى، فحكم بعضكم من بعض في الملة واحد، لا يُزَادُ لَذِكْرِ، وَلَا يُنْقُصُ لِأُنْثَى، فالذين هاجروا في سبيل الله، وأخرجهم الكفار من ديارهم، وأصابهم الأذى بسبب طاعتهم لربهم، وقاتلوا في سبيل الله وقُتِلُوا لتكون كلمة الله هي العليا - لَا غُفْرَانَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَجَاوِزْنَ عَنْهَا، ولأدخلهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ثواباً من عند الله، والله عنده الجزاء الحسن الذي لا مثل له.

﴿١٩٦﴾ لَا يَخْدَعُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - تَقَاتِلِ الْكَافِرِينَ فِي الْبِلَادِ، وَتَكُنْهُمْ مِنْهَا، وسعة تجارتهم وأرزاقهم فتشعر بالهم والغم من حالهم.

﴿١٩٧﴾ فهذه الدنيا متاع قليل لا دوام له، ثم بعد ذلك يكون مصيرهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة: جهنم، وبئس الفراش لهم النار.

﴿١٩٨﴾ لكن الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتنب نواهيه لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ماكين فيها أبداً، جزاء مَعْدًا لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وما أعدّه الله للصالحين من عبادته خير وأفضل مما يتقلب فيه الكفار من ملذات الدنيا.

﴿١٩٩﴾ ليس أهل الكتاب سواء، فإن منهم طائفة يؤمنون بالله وبما أنزل إليكم من الحق والهدى، ويؤمنون بما أنزل إليهم في كتبهم، لا يفرقون بين رسل الله، خاضعين متذللين لله، رغبة فيما عنده، لا يستبدلون بآيات الله فيما عداها، إن الله سريع الحساب على الأعمال،

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا أَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَجْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النَّبَاِ

آيَاتُهَا ١٧٦

رُتِبَتْهَا ٤

ثمناً قليلاً من متاع الدنيا، أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم ثوابهم العظيم عند ربهم، إن الله سريع الجزاء عليها.

﴿٢٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، اصبروا على تكاليف الشريعة، وعلى ما يعرض لكم من مصائب الدنيا، وغالبوا الكفار في الصبر فلا يكونوا أشد صبراً منكم، وأقيموا على الجهاد في سبيل الله، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، لعلكم تتألون مطلوبكم بالسلامة من النار ودخول الجنة.

﴿٢٠١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- الأذى الذي ينال المؤمن في سبيل الله فيضطره إلى الهجرة والخروج والجهاد من أعظم أسباب تكفير الذنوب ومضاعفة الأجور.
- ليست العبرة بما قد ينعم به الكافر في الدنيا من المال والمتاع وإن عظم؛ لأن الدنيا زائلة، وإنما العبرة بحقيقة مصيره في الآخرة في دار الخلود.
- من أهل الكتاب من يشهدون بالحق الذي في كتبهم، فيؤمنون بما أنزل إليهم وبما أنزل على المؤمنين، فهؤلاء لهم أجرهم مرتين.
- الصبر على الحق، ومغالبة المكذبين به، والجهاد في سبيله، هو سبيل الفلاح في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تنظيم المجتمع المسلم وبناء علاقاته، وحفظ الحقوق، والحث على الجهاد، وإبطال دعوى قتل المسيح.

● التفسير:

سُمِّيَتْ بذلك لذكر النساء فيها وتفصيل كثير من أحكامهن.

❶ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ❶

❷ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ❷

❸ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ❸

❹ وَالنِّسَاءُ صَدُقَتُهُنَّ نِكَاحًا فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ❹

❺ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ❺

❻ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ❻

٧٧

تعدلوا بينهم فاقترضوا على واحدة، أو استمتعوا بما ملكت أيما نكح من الإماء؛ إذ لا يجب لهن مثل ما يجب للزوجات من الحقوق، ذلك الذي ورد في الآية في شأن اليتامى والاقتصار على نكاح واحدة أو الاستمتاع بالإماء أقرب إلى ألا تجوروا وتميلوا. ❶ وأعطوا النساء مهرهن عطية واجبة، فإن طابت نفوسهن بشيء من المهر لكم بلا إكراه؛ فكلوه سائغًا لا تنغيص فيه. ❷ ولا تعطوا - أيها الأولياء - الأموال للذين لا يحسنون التصرف، فهذه الأموال جعلها الله سببًا تقوم به مصالح العباد وأمور معاشهم، وهؤلاء ليسوا أهلاً للقيام على الأموال وحفظها، وأنفقوا عليهم واكسوهم منها، وقولوا لهم قولًا طيبًا، وعدوهم موعدة حسنة بأن تعطوهم ماله إذا بلغوا الرشد وحسن التصرف. ❸ واختبروا - أيها الأولياء - اليتامى إذا وصلوا سن البلوغ، بإعطائهم جزءًا من ماله يتصرفون فيه، فإن أحسنوا التصرف فيه، وتبين لكم رشدهم؛ فسلموا إليهم أموالهم كاملة غير منقوصة، ولا تأكلوا أموالهم متجاوزين الحد الذي أباحه الله لكم من أموالهم عند الحاجة، ولا تبادروا بأكلها خشية أن يأخذوها إذا بلغوا، ومن كان منكم له مال يُغنيه فليمتنع عن الأخذ من مال اليتيم، ومن كان منكم فقيرًا لا مال له فليأكل بقدر حاجته، وإذا سلمتم إليهم أموالهم بعد البلوغ وتبين الرشد منهم؛ فأشهدوا على ذلك التسليم حفظًا للحقوق، ومنعًا لأسباب الاختلاف، وكفى الله شاهدًا على ذلك، ومحاسبًا للعباد على أعمالهم.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● الأصل الذي يرجع إليه البشر واحد، فالواجب عليهم أن يتقوا ربهم الذي خلقهم، وأن يرحم بعضهم بعضًا. ● أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الضعفة من النساء واليتامى، بأن تكون المعاملة معهم بين العدل والفضل. ● جواز تعدد الزوجات إلى أربع نساء، بشرط العدل بينهما، والقدرة على القيام بما يجب لهن. ● مشروعية الحجر على السفهية الذي لا يحسن التصرف، لمصلحته، وحفظًا للمال الذي تقوم به مصالح الدنيا من الضياع.

٧ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون للإخوة والأعمام بعد موتهم، قليلاً كان أو كثيراً، وللنساء حظ مما تركه هؤلاء؛ خلافاً لما كان عليه أمر الجاهلية من حرمان النساء والأطفال من الميراث، هذا النصيب حق مبيّن المقدر مفروض من الله تعالى.

٨ وإذا حضر قسّم التركة من لا يرث من الأقارب واليتامى والفقراء؛ فأعطوهم - على سبيل الاستحباب - من هذا المال قبل قسمته ما تطيب به نفوسكم، فهم متشوّفون إليه، وقد جاءكم بلا عناء، وقولوا لهم قولاً حسناً لا قبح فيه.

٩ وليخف الذين لوماتوا وتركوا خلفهم أولاداً صغاراً ضعافاً، خافوا عليهم من الضياع، فليتقوا الله فيمن تحت ولايتهم من الأيتام بترك ظلمهم، حتى ييسر الله لهم بعد موتهم من يحسن لأولادهم كما أحسنوا هم، وليحسنوا في حق أولاد من يحضرون وصيته بأن يقولوا لهم قولاً مصيباً للحق بالأذى يظلم في وصيته حق وورثته من بعده، ولا يحرم نفسه من الخير بترك الوصية.

١٠ إن الذين يأخذون أموال اليتامى، ويتصرفون فيها ظلماً وعدواناً، إنما يأكلون في أجوافهم ناراً تلتهب عليهم، وستحرقهم النار يوم القيامة.

١١ يعهد الله إليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم؛ أن الميراث يُقسم بينهم للابن مثل نصيب البنتين، فإن ترك الميت بنات دون ولد ذكر؛ فلبنتين فأكثر الثلثان مما

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ١١ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٢

ترك، وإن كانت بنتاً واحدة فلها نصف ما ترك، ولكل واحد من أبوي الميت سدس ما ترك؛ إن كان له ولد ذكر كان أو أنثى، وإن لم يكن له ولد ولا وارث له غير أبويه؛ فلأُم الثلث، وباقي الميراث لأبيه، وإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر ذكراً كانوا أو إناثاً أشقاء أو غير أشقاء؛ فلأُمه السدس فرضاً، والباقي للأب تعصيباً، ولا شيء للإخوة، ويكون هذا القسم للميراث بعد تنفيذ الوصية التي أوصى بها الميت بشرط ألا تزيد وصيته عن ثلث ماله، وبشرط قضاء الدين الذي عليه، وقد جعل الله تعالى قسمة الميراث على هذا؛ لأنكم لا تدرون من من الآباء والأبناء أقرب لكم نفعاً في الدنيا والآخرة، فقد يظن الميت بأحد ورثته خيراً؛ فيعطيها المال كله، أو يظن به شراً فيحرمه منه، وقد يكون الحال خلاف ذلك، والذي يعلم ذلك كله هو الله الذي لا يخفى عليه شيء، ولذلك قسم الميراث على ما بيّن، وجعله فريضة منه واجبة على عباده، إن الله كان عليماً لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده، حكيمًا في شرعه وتديبِهِ.

١٢ من قواعد الآيات،

- دلت أحكام الموارث على أن الشريعة أعطت الرجال والنساء حقوقهم مراعية العدل بينهم وتحقيق المصلحة بينهم.
- التغليب الشديد في حرمة أموال اليتامى، والنهي عن التعدي عليها، وعن تضييعها على أي وجه كان.
- لما كان المال من أكثر أسباب النزاع بين الناس تولى الله تعالى قسمته في أحكام الموارث.

﴿١٢﴾ وَلَكُمْ - أيها الأزواج - نصف ما تركت زوجاتكم؛ إن لم يكن لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - منكم أو من غيركم، فإن كان لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلكم الربع مما تركن من المال، يقسم لكم ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليهن من دين. وللزوجات الربع مما تركتم - أيها الأزواج - إن لم يكن لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلهن الثمن مما تركتم، يُقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتكم، وقضاء ما عليكم من دين. وإن مات رجل ليس له والد ولا ولد، أو ماتت امرأة ليس لها والد ولا ولد، وكانا للميت منهما أخ لأم أو أخت لأم؛ فلكل واحد من أخيه لأمه أو أخته لأمه السدس فرضاً، فإن كان الإخوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد؛ فلجميعهم الثلث فرضاً يشتركون فيه، يستوي في ذلك ذكراً وأنثاهم، وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميت، وقضاء ما عليه من دين، بشرط أن تكون وصيته لا تدخل الضرر على الورثة؛ كأن تكون وصية بأكثر من ثلث ماله، هذا الحكم الذي تضمنته الآية عهد من الله إليكم أوجب عليكم، والله عليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، حليم لا يعاجل العاصي بالعقوبة.

﴿١٣﴾ تلك الأحكام المذكورة في شأن اليتامى وغيرهم، شرائع الله التي شرعها لعباده ليعملوا بها، ومن يطع الله ورسوله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه؛ يدخله الله جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ماكثين فيها لا يلحقهم فناء، وذلك الجزاء الإلهي هو الفلاح العظيم الذي لا يضاهيه فلاح.

﴿١٤﴾ ومن يعص الله ورسوله بتعطيل أحكامه وترك العمل بها، أو الشك فيها، ويتجاوز حدود ما شرعه؛ يدخله ناراً ماكثاً فيها، وله فيها عذاب مُدَلِّل.

﴿١٥﴾ من قَوَّيْدِ الْآيَاتِ،

- لا تقسم الأموال بين الورثة حتى يقضى ما على الميت من دين، ويخرج منها وصيته التي لا يجوز أن تتجاوز ثلث ماله.
- التحذير من التهاون في قسمة الموارث؛ لأنها عهد الله ووصيته لعباده المؤمنين؛ فلا يجوز تركها أو التهاون فيها.
- من علامات الإيمان امتثال أوامر الله، وتعظيم نواهيه، والوقوف عند حدوده.
- من عدل الله تعالى وحكمته أن من أطاعه وعده بأعظم الثواب، ومن عصاه وتعدى حدوده توعده بأعظم العقاب.

﴿١٥﴾ واللاتي يرتكبن فاحشة الزنى من نسائكم محصنات وغير محصنات فاستشهدوا عليهن أربعة رجال مسلمين عدول، فإن شهدوا عليهن بارتكابها **فاحبسوهن** في البيوت عقوبة لهن، حتى تنقضي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقاً غير طريق الحبس. ثم يبين الله السبيل لهن بعد ذلك، فشرع جلد البكر الزانية مئة جلدة وتغريب عام، ورجم المحصنة.

﴿١٦﴾ واللدان يرتكبان فاحشة الزنى من الرجال - مُحْصَنَيْنِ أو غير مُحْصَنَيْنِ - فعاقبوهما باللسان واليد بما يحق الإهانة والزجر، فإن أقلما عما كانا عليه، وصلحت أعمالهما؛ فأعرضوا عن أذاهما؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله كان تواباً على من تاب من عباده رحيماً بهم. والاكتفاء بهذا النوع من العقاب كان في أول الأمر، ثم نسخ بعد ذلك بجلد البكر وتغريبه، ورجم المحصن.

﴿١٧﴾ إنما يقبل الله توبة الذين أقدموا على ارتكاب الذنوب والمعاصي بجهل منهم لعاقبتها وشؤمها - وهذا شأن كل مرتكب ذنب متعمداً كان أو غير متعمد - ثم يرجعون متيبين إلى ربهم قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، وكان الله عليماً بأحوال خلقه، حكيمًا في تقديره وتشريعه.

﴿١٨﴾ ولا يقبل الله توبة الذين يُصِرُّونَ على المعاصي، ولا يتوبون منها إلى أن يعاينوا سكرات الموت، فعندئذ يقول الواحد منهم: إني تبت الآن مما ارتكبته من المعاصي. ولا يقبل الله - كذلك - توبة الذين يموتون وهم مُصِرُّونَ على الكفر، أولئك العصاة المُصِرُّونَ على المعاصي، والذين يموتون وهم على كفرهم؛ أعددنا لهم عذاباً أليماً.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يجوز لكم أن تترثوا نساء آبائكم وأقاربكم كما يورث المال، وتتصرفوا فيهن بالزواج بهن، أو تزويجهن ممن تشاؤون، أو منعهن من الزواج. ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهوهن للإضرار بهن، حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتموهن من مهر وغيره، إلا أن يرتكبن فاحشة واضحة كالزنى، فإذا فعلن ذلك جاز لكم إمساكهن والتضييق عليهن حتى يقتدين منكم بما أعطيتموهن، وصاحبوا نساءكم صحة طبية، بكف الأذى وبذل الإحسان، فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن؛ ففعل الله يجعل فيما تكرهون خيراً كثيراً في الحياة الدنيا والآخرة.

﴿٢٠﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ارتكاب فاحشة الزنى من أكثر المعاصي خطراً على الفرد والمجتمع؛ ولهذا جاءت العقوبات عليها شديدة.
- لطف الله ورحمته بعباده حيث فتح باب التوبة لكل مذنب، ويسر له أسبابها، وأعانته على سلوك سبيلها.
- كل من عصى الله تعالى بعمد أو بغير عمد فهو جاهل بقدر من عصاه جل وعلا، وجاهل بآثار المعاصي وشؤمها عليه.
- من أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يكون نظر الزوج متوازناً، فلا يحصر نظره فيما يكره، بل ينظر أيضاً إلى ما فيه من خير، وقد يجعل الله فيه خيراً كثيراً.

﴿٢٠﴾ وإن أردتم - أيها الأزواج - تطبيق امرأة، واستبدال غيرها بها؛ فلا حرج عليكم في ذلك، وإن كنتم أعطيتكم التي عزمتم على فراقها مالا كثيرا مهرا لها؛ فلا يجوز لكم أخذ شيء منه، فإن أخذ ما أعطيتموهن يُعدّ افتراء مبيها وإثمًا واضحا! ﴿٢١﴾ وكيف تأخذون ما أعطيتموهن من المهر بعد الذي حصل بينكم من علاقة ومودة واستمتاع وإطلاع على الأسرار، فإن الطمع بما في أيديهن من مال بعد هذا أمر منكّر ومستقبح، وقد أخذن منكم عهدًا موثقًا شديدًا، وهو استحلالهن بكلمة الله تعالى وشرعه.

﴿٢٢﴾ ولا تتزوجوا ما تزوجه آباؤكم من النساء؛ فإن ذلك محرم، إلا ما سبق من ذلك قبل الإسلام فلا مؤاخذه عليه، ذلك أن تزوج الأبناء من زوجات آبائهم أمرٌ يعظم قبحه، وسبب غضب الله على فاعله، وساء طريقًا لمن سلكها.

﴿٢٣﴾ حرم الله عليكم نكاح أمهاتكم وإن علون؛ أي: أم الأم وجدتها من جهة الأب أو الأم، وبناتكم وإن نزلن؛ أي: بنتها وبنت بنتها، وكذلك بنات الابن وبنات البنت وإن نزلن، وأخوانكم من أبيويكم أو من أحدهما، وعماتكم، وكذلك عمات آبائكم وأمهاتكم وإن علون، وخالاتكم، وكذلك خالات أمهاتكم وآبائكم وإن علون، وبنات الأخ وبنات الأخت، وأولادهم وإن نزلوا، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات زوجاتكم سواء دخلتم بهن أو لم تدخلوا بهن، وبنات زوجاتكم من غيركم اللاتي ينشأن ويتربين في بيوتكم غالبًا، وكذلك إذا لم يتربين فيها، إن كنتم دخلتم بأمهاتهن، وأما إذا لم تدخلوا بهن فلا حرج عليكم في نكاح بناتهن، وحرمة عليكم نكاح زوجات آبائكم الذين من أصلابكم، ولو لم يدخلوا بهن، ويدخل في هذا الحكم زوجات آبائكم من الرضاعة، وحرمة عليكم الجمع بين الأختين من النسب أو الرضاعة إلا ما مضى من ذلك في الجاهلية فقد عفا الله عنه، إن الله كان غفورًا لعباده التائبين إليه، رحيماً بهم. وثبت في السنة تحريم الجمع كذلك بين المرأة وعمتها أو خالتها.

﴿٢٤﴾ من قوايد الآيات:

- إذا دخل الرجل بامرأته فقد ثبت مهرها، ولا يجوز له التعدي عليه أو الطمع فيه، حتى لو أراد فراقها وطلاقها.
- حرم الله تعالى نكاح زوجات الآباء؛ لأنه فاحشة تمقتها العقول الصحيحة والفطر السليمة.
- بين الله تعالى بياناً مفصلاً من يحل نكاحه من النساء ومن يحرم، سواء أكان بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاعة؛ تعظيماً لشأن الأعراض، وصيانة لها من الاعتداء.

وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قسطاً فلا تأخذوا منه شيئاً آتأخذونه وبهتتاً وإثماً مبيناً ﴿٢٠﴾ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴿٢١﴾ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقراً وساء سبيلاً ﴿٢٢﴾ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمّهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً ﴿٢٣﴾

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
مِنْهُنَّ فآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ٥٤ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ
مِّنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ
مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
٥٥ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٦

٥٤ وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا ما ملكتموهن بالسبي في الجهاد في سبيل الله، فيحل لكم وطؤهن بعد استبراء أرحامهن بحيضة، فرض الله ذلك عليكم فرضاً، وأحل الله ما عدا ذلك من النساء، أن تطلبوا بأموالكم إحصان أنفسكم وإعفافها بالحلال غير قاصدين الزنى، فمن تمتعتم بهن بالنكاح فأعطوهن مهورهن التي جعلها الله فريضة واجبة عليكم، ولا إثم عليكم فيما وقع عليه تراضيكم من بعد تحديد المهر الواجب من زيادة عليه أو مسامحة في بعضه، إن الله كان عليماً بخلقه لا يخفى عليه منهم شيء، حكيماً في تدبيره وتشريعِهِ.

٥٥ ومن لم يستطع منكم - أيها الرجال - لقلة ماله أن يتزوج الحرائر من النساء جاز له نكاح الإماء المملوكات لغيركم، إن كن مؤمنات فيما يظهر لكم، والله أعلم بحقيقة إيمانكم وبواطن أحوالكم، وأنتم وهن سواء في الدين والإنسانية، فلا تستكفوا عن الزواج منهن، فتزوجوهن بإذن مالكيهن، وآتوهن مهورهن دون نقص أو مماطلة، هذا إن كن عفيفات غير زانيات علناً، ولا متخذات أخلاء للزنى بهن سراً، فإذا تزوجن، ثم ارتكبن فاحشة الزنى فحدهن نصف عقوبة الحرائر: خمسين جلدة، ولا رجم عليهن، بخلاف المحصنات من الحرائر إذا زنين. ذلك المذكور من إباحة نكاح الإماء المؤمنات العفيفات رخصة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، ولم يقدر على الزواج من الحرائر، على أن

الصبر عن نكاح الإماء أولى؛ لتجنب الأولاد الاسترقاق، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أن شرع لهم نكاح الإماء حال العجز عن نكاح الحرائر عند خشية الزنى.

٥٦ يريد الله سبحانه بتشريع هذه الأحكام لكم أن يبين لكم معالم شرعه ودينه، وما فيه مصالحكم في الدنيا والآخرة، ويريد أن يرشدكم إلى طرق الأنبياء من قبلكم في التحليل والتحریم، وشمائهم الكريمة، وسيهرهم الحميدة لتتبعوهم، ويريد أن يرجع بكم عن معصيته إلى طاعته، والله عليم بما فيه مصلحة عباده فيشرعه لهم، حكيم في تشريعهِ وتدبيرهِ لشؤونهم.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- حُرْمَةُ نِكَاحِ الْمُتَزَوِّجَاتِ: حرائر أو إماء حتى تنقضي عدتهن أيًا كان سبب العدة.
- أن مهر المرأة يتعين بعد الدخول بها، وجواز أن تحط بعض مهرها إذا كان بطيب نفس منها.
- جواز نكاح الإماء المؤمنات عند عدم القدرة على نكاح الحرائر؛ إذا خاف على نفسه الوقوع في الزنى.
- من مقاصد الشريعة بيان الهدى والضلال، وإرشاد الناس إلى سنن الهدى التي تردهم إلى الله تعالى.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا
وُظْلَمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَحْتَبَرُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَكِرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ
وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ
نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿٢٧﴾ والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، ويريد الذين يسرون خلف ملذاتهم، أن يتعدوا عن طريق الاستقامة بعداً شديداً.

﴿٢٨﴾ يريد الله أن يخفف عنكم فيما شرع، فلا يكلفكم ما لا تطيقون؛ لأنه عالم بضعف الإنسان في خلقه وخلقته.

﴿٢٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يأخذ بعضكم مال بعض بالباطل، كالغصب والسرقة والرشوة وغيرها، إلا أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين، فيحل لكم أكلها والتصرف فيها، ولا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل أحدهم نفسه، ولا يُلق بها إلى التهلكة، إن الله كان بكم رحيمًا، ومن رحمته حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم.

﴿٣٠﴾ ومن يفعل ذلك الذي نهى عنه فيأكل مال غيره أو يتعدى عليه بقتل ونحوه عالمًا متعديًا، لا جاهلاً أو ناسيًا؛ فسيدخله الله نارًا عظيمة يوم القيامة، يعاني حرها، ويقاسي عذابها، وكان ذلك على الله هينًا؛ لأنه قادر لا يعجزه شيء.

﴿٣١﴾ إن تتعدوا - أيها المؤمنون - عن فعل كبائر المعاصي مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا؛ تتجاوز عما تتركبونه من صغائرها بتكفيرها ومحوها، وتدخلكم مكانًا كريمًا عند الله، وهو الجنة.

﴿٣٢﴾ ولا تتمنوا - أيها المؤمنون - ما فضل الله به بعضكم على بعض؛ لئلا يؤدي إلى السخط والحسد، فلا ينبغي للنساء أن يرتجبن ما خص الله به الرجال، فإن لكل فريق حظًا من الجزاء بحسبه، واطلبوا من الله أن

يزيدكم من عطائه؛ إن الله عليم بكل شيء؛ فأعطى كل نوع ما يناسبه.

﴿٣٣﴾ ولكل واحد منكم جعلنا له عَصَبَةً يرثون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراث. والذين عقدتم معهم الأيمان المؤكدة على الحلف والنصرة فأعطوهم نصيبهم من الميراث، إن الله كان على كل شيء شهيدًا، ومن ذلك شهادته على أيمانكم وعهودكم هذه، والتوارث بالحلف كان في صدر الإسلام، ثم نسخ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- سعة رحمة الله بعباده؛ فهو سبحانه يحب التوبة منهم، والتخفيف عنهم، وأما أهل الشهوات فإنما يريدون بهم ضلالاً عن الهدى.
- حفظت الشريعة حقوق الناس؛ فحرمت الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، ورتبت أعظم العقوبة على ذلك.
- الابتعاد عن كبائر الذنوب سبب لدخول الجنة ومغفرة للصغائر.
- الرضا بما قسم الله، وترك التطلع لما في يد الناس؛ يُجَنَّب المرء الحسد والسخط على قدر الله تعالى.

(٢٤) الرجال يَرْعَوْنَ النساء، ويقومون على شؤونهن، بسبب ما خصَّهم الله به من الفضل عليهن، وبسبب ما يجب عليهم من النفقة والقيام عليهن، والصالحات من النساء مطيعات لربهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في غيبتهم بسبب توفيق الله لهن، واللاتي تخافون ترفعهن عن طاعة أزواجهن في قول أو فعل، فابدؤوا -أيها الأزواج- بتذكيرهن وتخويفهن من الله، فإن لم يستجبن فاهجروهن في الفراش، بأن يوليها ظهره ولا يجامعها، فإن لم يستجبن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن رجعن إلى الطاعة؛ فلا تعتدوا عليهن بظلم أو معاتبة، إن الله كان ذا علو على كل شيء، كبيراً في ذاته وصفاته فخافوه. (٢٥) وإن خفتم - يا أولياء الزوجين- أن يصل الخلاف بينهما إلى العداوة والتدابير، فابعثوا رجلاً عدلاً من أهل الزوج، ورجلاً عدلاً من أهل الزوجة؛ ليحكمما بما فيه المصلحة من التوفيق أو التوفيق بينهما، والتوفيق أحب وأولى، فإن أراد الحكمان وسلكا الأسلوب الأمثل إليه يوفق الله بين الزوجين، ويرتفع الخلاف بينهما، إن الله لا يخفى عليه شيء من عبادته، وهو عليم بدقائق ما يخفونه في قلوبهم. (٢٦) واعبدوا الله وحده بالانقياد له، ولا تعبدوا معه سواه، وأحسنوا إلى الوالدين بإكرامهما وبرهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى وذوي الحاجة، وأحسنوا إلى الجار ذي القرابة، والجار الذي لا قرابة له، وأحسنوا إلى صاحب المرافق لكم، وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطعت به

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا ۝ (٢٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ۝ (٢٥) * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ (٢٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءً آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ (٢٧)

السبل، وأحسنوا إلى ممالئكم، إن الله لا يحب من كان معجباً بنفسه، متكبراً على عبادته، مادحاً لنفسه على وجه الفخر على الناس. (٢٧) ولا يحب الله الذين يمعنون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق مما أعطاهم من رزقه، ويأمرون بقولهم وفعلهم غيرهم بذلك، ويخفون ما آتاهم الله من فضله من الرزق والعلم وغيره، فلا يبينون للناس الحق، بل يكتُمونه، ويظهرون الباطل، وهذه الخصال من خصال الكفر، وقد هيأنا للكافرين عذاباً مخزياً.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ثبوت قَوَّامة الرجال على النساء بسبب تفضيل الله لهم باختصاصهم بالولايات، وبسبب ما يجب عليهم من الحقوق، وأبرزها النفقة على الزوجة.
- التحذير من البغي وظلم المرأة في التأديب بتذكير العبد بقدرة الله عليه وعلوه سبحانه.
- التحذير من ذميم الأخلاق، كالكبر والتفاخر والبخل وكتُم العلم وعدم تبيينه للناس.

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ وَقَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٢٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٣١﴾ يَوْمَ يَذِيذُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٣٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٣٤﴾

﴿٣٨﴾ وهيانا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم من أجل أن يراهم الناس ويمدحهم، وهم لا يؤمنون بالله، ولا بيوم القيامة؛ أعدنا لهم ذلك العذاب المخزي، وما أضلهم إلا متابعتهم للشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحبًا ملازمًا فساء صاحبًا.

﴿٣٩﴾ وماذا يضر هؤلاء لو أنهم آمنوا بالله حقًا وبيوم القيامة، وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يجبها ويرضاها؟ بل في ذلك الخير كله، وكان الله بهم عليماً، لا يخفى عليه حالهم، وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٤٠﴾ إن الله تعالى عدل لا يظلم عباده شيئاً، فلا ينقص من حسناتهم مقدار نملة صغيرة، ولا يزيد في سيئاتهم شيئاً، وإن تكن زنة الذرة حسنة يضاعف ثوابها فضلاً منه، ويؤت من عنده مع المضاعفة ثواباً عظيماً.

﴿٤١﴾ فكيف يكون الأمر يوم القيامة حين نجى نبي كل أمة يشهد عليها بما عملت، ونجى بك - أيها الرسول - على أمتك شاهداً؟

﴿٤٢﴾ في ذلك اليوم العظيم يود الذين كفروا بالله وعصوا رسوله لو صاروا تراباً فكانوا سواء هم والأرض، ولا يخفون عن الله شيئاً مما عملوا؛ لأن الله يهتم على أسنتهم فلا تنطق، ويأذن لجوارحهم فتشهد عليهم بعملهم.

﴿٤٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تصلوا وأنتم في حال سكر حتى تصحوا من سكركم، وتميزوا ما تقولون - وكان هذا قبل تحريم الخمر

مطلقاً - ولا تصلوا وأنتم في حال جنابة، ولا تدخلوا المساجد في حالها إلا مُجْتَازِينَ دون بقاء فيها؛ حتى تغتسلوا، وإن أصابكم مرض لا يمكن استعمال الماء معه، أو كنتم مسافرين، أو أحدث أحدكم، أو جامعتم النساء؛ فلم تجدوا ماء - فاقصدوا تراباً طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، إن الله كان عفواً عن تقصيركم، غفوراً لكم.

﴿٤٤﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أمر اليهود الذين أعطاهم الله حظاً من العلم بالتوراة يستبدلون الضلال بالهدى، وهم حريصون على إضلالكم - أيها المؤمنون - عن الصراط المستقيم الذي جاء به الرسول؛ لتسلخوا طريقهم المموج؟

﴿٤٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من كمال عدله تعالى وتماز رحمته أنه لا يظلم عباده شيئاً مهما كان قليلاً، ويفضل عليهم بمضاعفة حسناتهم.
- من شدة هول يوم القيامة وعظم ما ينتظر الكافر يتمنى أن يكون تراباً.
- الجنابة تمنع من الصلاة والبقاء في المسجد، ولا بأس من المرور به دون مكث فيه.
- تيسير الله على عباده بمشروعية التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله.

﴿٤٥﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
- أيها المؤمنون - فأخبركم بهم
وبيّن لكم عداوتهم، وكفى بالله وليًا
يحفظكم من بأسهم، وكفى بالله
نصيرًا يمنعكم من كيدهم وأذاهم
وينصركم عليهم.

﴿٤٦﴾ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
من اليهود قوم سوء يغيرون
الكلام الذي أنزله الله، فيؤولونه على
غير ما أنزل الله، ويقولون للرسول
ﷺ حين يأمرهم بأمر: سمعنا قولك،
وعصينا أمرك، ويقولون مستهزين:
اسمع ما نقول لا سمعنا، ويوهمون
بقولهم: «راعنا» أنهم يريدون: راعنا
سمعك، وإنما يريدون الرعونة: يلون
بها ألسنتهم، يريدون الدعاء عليه
ﷺ، ويقصدون القدح في الدين،
ولو أنهم قالوا: سمعنا قولك، وأطعنا
أمرك، بدلًا من قولهم: سمعنا قولك،
وعصينا أمرك، وقالوا: اسمع، بدل
قولهم: اسمع لا سمعنا، وقالوا:
انتظرنا نفهم عنك ما تقول، بدل
قولهم: راعنا؛ لكان ذلك خيرًا لهم
مما قالوه أولًا، وأعدل منه؛ لما فيه
من حسن الأدب اللائق بجناب
النبي ﷺ، ولكن لعنهم الله، فطردهم
من رحمته بسبب كفرهم، فلا يؤمنون
إيمانًا ينفعهم.

﴿٤٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
يا أيها الذين آمنوا أوتوا الكتاب من
اليهود والنصارى، آمنوا بما أنزلنا
على محمد ﷺ، الذي جاء مصدقًا لما
معكم من التوراة والإنجيل، من قبل
أن نمحوها في الوجوه من الحواس،
ونجعلها ناحية أدبارهم، أو نطردهم
من رحمة الله كما طردنا منها
أصحاب السبب الذين اعتدوا بالصيد
فيه بعد نهيهم عنه، فمسخهم الله

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرِفُونَ الْقَوْلَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِاللِّسَانِ
وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

قردة، وكان أمره تعالى وقدره واقعًا لا محالة.

﴿٤٨﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به شيء من مخلوقاته، ويتجاوز عما دون الشرك والكفر من المعاصي لمن يشاء بفضله، أو يعذب بها
من شاء منهم بقدر ذنوبهم بعدله، ومن يُشرك مع الله غيره فقد اختلق إثماً عظيماً لا يُغفر لمن مات عليه.
﴿٤٩﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك الذين يشئون ثناء تزكية على أنفسهم وأعمالهم؟ بل الله وحده هو الذي يثني على من شاء
من عباده ويزكيهم؛ لأنه عالم بخفايا القلوب، ولن ينقصوا شيئاً من ثواب أعمالهم ولو كان قدر الخيط الذي في نواة التمر.
﴿٥٠﴾ انظر - أيها الرسول - كيف يختلقون على الله الكذب بثأثهم على أنفسهم؛ وكفى بذلك ذنباً مبيناً عن ضلالهم.
﴿٥١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - وتتعجب من حال اليهود الذين آتاهم الله حظاً من العلم، يؤمنون بما اتخذوه من معبودات من دون
الله، ويقولون - مصانعةً للمشركين -: إنهم أهدى طريقاً من أصحاب محمد ﷺ؟

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- كفاية الله للمؤمنين ونصره لهم تقنيهم عما سواه.
- بيان جرائم اليهود، كتحريفهم كلام الله، وسوء أدبهم مع رسوله ﷺ، وتحاكمهم إلى غير شرعه سبحانه.
- بيان خطر الشرك والكفر، وأنه لا يُغفر لصاحبه إذا مات عليه، وأما ما دون ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى.

أولئك الذين يعتقدون هذا الاعتقاد الفاسد هم الذين طردهم الله من رحمته، ومن طرده الله فلن تجد له نصيراً يتولاه.

ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم هذا لما أعطوا أحداً منه شيئاً، ولو كان قدر النقطة التي في ظهر نواة التمر.

بل يحسدون محمداً ﷺ وأصحابه على ما آتاهم الله من النبوة والإيمان والتمكين في الأرض. فلم يحسدونهم وقد سبق أن آتينا ذرية إبراهيم الكتاب المنزل، وما أوحيناه إليهم سوى الكتاب، وآتيناهم ملكاً واسعاً على الناس؟

من أهل الكتاب من آمن بما أنزل الله على إبراهيم ﷺ وعلى أنبيائه من ذريته، ومنهم من أعرض عن الإيمان به، وهذا موقفهم مما أنزل على النبي محمد ﷺ، والنار هي العذاب المكافئ لمن كفر منهم. إن الذين كفروا بآياتنا سوف ندخلهم يوم القيامة ناراً تحيط بهم، كلما أحرقت جلودهم بدلناهم جلوداً أخرى غيرها؛ ليستمر عليهم العذاب، إن الله كان عزيزاً لا يغالبه شيء، حكيمًا فيما يديره ويقضي به.

والذين آمنوا بالله واتبعوا رسله، وعملوا الطاعات سندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكين فيها أبدًا، لهم في هذه الجنات زوجات مطهرات من كل قدر، وسندخلهم ظللاً ممتداً كثيفاً لا حرق فيه ولا برد.

إن الله يأمركم أن توصلوا كل ما ائتمنتم عليه إلى أصحابه،

ويأمركم إذا قضيت بين الناس أن تقسطوا ولا تميلوا وتجوروا في الحكم، إن الله نعم ما يذكركم به ويرشدكم إليه في كل أحوالكم، إن الله كان سميعاً لاقوالكم، بصيراً بأفعالكم.

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله، بامتثال ما أمر واجتباب ما نهى، وأطيعوا ولاة أموركم ما لم يأمروا بمعصية، فإن اختلفتم في شيء فارجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة خير من التماذي في الخلاف والقول بالرأي، وأحسن عاقبة لكم.

من فوائد الآيات:

- من أعظم أسباب كفر أهل الكتاب حسدهم المؤمنين على ما أنعم الله به عليهم من النبوة والتمكين في الأرض.
- الأمر بمكارم الأخلاق من المحافظة على الأمانات، والحكم بالعدل.
- وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية، والرجوع عند التنازع إلى حكم الله ورسوله ﷺ تحقيقاً لمعنى الإيمان.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَعَتْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
أَنْ تُوَدُّوا إِلَى الْأَمْنِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - تَنَاقُضَ

المنافقين من اليهود الذين يَدْعُونَ كَذِبًا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ شَرَعَ اللَّهُ مِمَّا وَضَعَهُ الْبَشَرُ، وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ

اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا

إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّى يَحْكُمُواكَ فَإِذَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١٦﴾

﴿١٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لَأَجْلِ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ بِمُشِيئَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ حِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بَارْتَكَابَ الْمَعَاصِي جَاءُوكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - فِي حَيَاتِكَ مُقِرِّينَ بِمَا

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمُواكَ فَإِذَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١٦﴾

ارتكبوه نادمين تائبين، وطلبوا المغفرة من الله، وطلبت المغفرة لهم؛ لوجدوا الله توابًا عليهم رحيمًا بهم.

﴿١٥﴾ فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون. ثم أقسم الله بذاته ﷻ أنهم لا يكونون مصدقين حقًا حتى يتحاكموا إلى الرسول في حياته وإلى شرعه بعد وفاته في كل ما يحصل بينهم من خلاف، ثم يرضون بحكم الرسول، ولا يكون في صدورهم ضيق منه ولا شك فيه، ويسلموا تسليماً تاماً بانقياد ظواهرهم وبيواطنهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الاحتكام إلى غير شرع الله والرضا به مناقض للإيمان بالله تعالى، ولا يكون الإيمان التام إلا بالاحتكام إلى الشرع، مع رضا القلب والتسليم الظاهر والباطن بما يحكم به الشرع.

• من أبرز صفات المنافقين عدم الرضا بشرع الله، وتقديم حكم الطواغيت على حكم الله تعالى.

• التدب إلى الإعراض عن أهل الجهل والضلالات، مع المبالغة في نصحتهم وتخويفهم من الله تعالى.

﴿٦٦﴾ ولو أنا فرضنا عليهم قتل بعضهم بعضاً، أو الخروج من ديارهم؛ ما امتثل أمرنا منهم إلا عدد قليل، فليحمدوا الله أنه لم يكلفهم ما يشق عليهم، ولو أنهم فعلوا ما يذكرون به من طاعة الله لكان خيراً من المخالفة، وأشد رسوخاً لإيمانهم، ولاتيناهم من عندنا ثواباً عظيماً، ولو فقتناهم إلى الطريق الموصل إلى الله وجنته.

﴿٦٧﴾ ومن يطع الله والرسول فهو مع من أنعم الله عليهم بدخول الجنة من الأنبياء والصديقين الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، وعملوا به، والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، والصالحين الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم فصلحت أعمالهم، ما أحسن أولئك من رفقاء في الجنة.

﴿٦٨﴾ ذلك الثواب المذكور تفضل من الله على عباده، وكفى بالله عليماً بأحوالهم، وسيجازي كلأ بعمله.

﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خذوا الحذر من أعدائكم باتخاذ الأسباب المعينة على قتالهم، فاخرجوا إليهم جماعة بعد جماعة، أو اخرجوا إليهم جميعاً، كل ذلك حسب ما فيه مصلحتكم، وما فيه النكاية بأعدائكم.

﴿٧٠﴾ وإن منكم - أيها المسلمون - أقواماً يتباطؤون عن الخروج لقتال أعدائكم لجبنهم، ويبطئون غيرهم، وهم المنافقون وضعيفو الإيمان، فإن نالكم قتل أو هزيمة قال أحدهم فرحاً بسلامته: قد تفضل الله علي فلم أحضر القتال معهم فيصيبني ما أصابهم.

﴿٧١﴾ ولئن نالكم - أيها المسلمون - فضل من الله بنصر أو غنime ليقولن هذا المتخلف عن الجهاد كأنه ليس منكم ولم تكن بينكم وبينه محبة وصحبة: يا ليتني كنت معهم في قتالهم هذا فأظفر بعضهم ما ظفروا به.

﴿٧٢﴾ فليقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الحياة الدنيا رغبة عنها، بالآخرة رغبة فيها، ومن يقاتل في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا فيقتل شهيداً، أو يظهر على عدوه، ويظفر به، فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة ورضوان الله.

﴿٧٣﴾ من قواعد الآيات،

● فعل الطاعات من أهم أسباب الثبات على الدين.

● أخذ الحيطة والحذر باتخاذ جميع الأسباب المعينة على قتال العدو، لا بالقعود والتخاذل.

● الحذر من التباطؤ عن الجهاد وتثبيط الناس عنه؛ لأن الجهاد أعظم أسباب عزة المسلمين ومنع تسلط العدو عليهم.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَأَتَيْتَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَنَاتٍ وَاجْمِعُوا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لُّبِّطٌ فَإِنْ أُصِيبَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أُصِيبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يُلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَيُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ وما المانع لكم - أيها المؤمنون - من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولاستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين يدعون الله قائلين: يا ربنا، أخرجنا من مكة لظلم أهلها بالشرك بالله والاعتداء على عباده، واجعل لنا من عندك من يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيرًا يدفع عنا الضر.

﴿٧٦﴾ المؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل آلهتهم، فقاتلوا أعوان الشيطان، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم؛ لأن تدبير الشيطان كان ضعيفًا لا يضر المتوكلين على الله تعالى.

﴿٧٧﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - شأن بعض أصحابك الذين سألوا أن يُفرض عليهم الجهاد، ف قيل لهم: امنعوا أيديكم عن القتال، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة - وكان ذلك قبل فرض الجهاد - فلما هاجروا إلى المدينة، وصار للإسلام منعة، وفُرض القتال؛ شق ذلك على بعضهم، فصاروا يخافون الناس كخوفهم من الله أو أشد، وقالوا: يا ربنا، لم فرضت علينا القتال؟ هلا أخرته مدة قريبة حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم - أيها الرسول -: متاع الدنيا مهما بلغ قليل زائل، والآخرة خير لمن اتقى الله تعالى لدوام ما فيها من النعيم، ولا تُفقدون من أعمالكم الصالحة أي شيء، ولو كان قدر الخيط الذي في نواة التمرة.

﴿٧٨﴾ حيثما تكونوا يلحقكم الموت إذا حضر أجلكم، ولو كنتم في قصور

منبوعة بعيدة عن ساحة القتال، وإن يئَل هؤلاء المنافقين ما يسرهم من ولد ورزق كثير قالوا: هذه من عند الله، وإن يئَلهم شدة في ولد أو رزق تشاءموا من النبي ﷺ وقالوا: هذه السيئة بسببك، قل - أيها الرسول - ردًا على هؤلاء: كل من السراء والضراء بقضاء الله وقدره، فما هؤلاء الذين يصدر عنهم هذا القول لا يكادون يفقهون كلامك لهم؟

﴿٧٩﴾ ما نالك - يا ابن آدم - مما يسرك من رزق وولد فهو من الله، تفضل به عليك، وما نالك مما يسوؤك في رزقك وولدك فهو من نفسك بسبب ما ارتكبته من المعاصي. وقد بعثناك - أيها النبي - لجميع الناس رسولاً من الله تبلغهم رسالة ربك، وكفى بالله شاهدًا على صدقك فيما تبلغه عنه، بما آتاك من أدلة وبراهين.

﴿٨٠﴾ من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- وجوب القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين، ودم الخوف والجبن والاعتراض على أحكام الله.
- الدار الآخرة خير من الدنيا وما فيها من متاع وشهوات لمن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته.
- الخير والشر كله بقدر الله، وقد يبتلي الله عباده ببعض السوء في الدنيا لأسباب، منها: ذنوبهم ومعاصيهم.

﴿٨٠﴾ من يطع الرسول بامتثال ما أمر به، واجتنب ما نهى عنه؛ فقد استجاب لأمر الله، ومن أعرض عن طاعته - أيها الرسول - فلا تحزن عليه، فما أرسلناك مراقباً عليه تحفظ أعماله، وإنما نحن من يحصي عمله ويحاسبه.

﴿٨١﴾ ويقول المنافقون لك بالسنتم: نطيع أمرك ونمتثل، فإذا خرجوا من عندك دبر جماعة منهم على وجه الخفاء خلاف ما أظهروا لك، والله يعلم ما يدبرون، وسيجازيهم على كيدهم هذا، فلا تلتفت لهم؛ فلن يضروك شيئاً، وفوض أمرك إلى الله، واعتمد عليه، وكفى بالله وكيلًا تعتمد عليه.

﴿٨٢﴾ لم لا يتأمل هؤلاء القرآن ويدرسونه حتى يثبت لهم أنه لا يوجد فيه اختلاف ولا اضطراب؟ وحتى يعلموا صدق ما جئت به، ولو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اضطراباً في أحكامه واختلافًا كثيرًا في معانيه.

﴿٨٣﴾ وإذا جاء هؤلاء المنافقين أمر مما فيه أمن المسلمين وسرورهم، أو خوفهم وحزنهم؛ أفشوه ونشروه، ولو تأنوا وأرجعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ وإلى أهل الرأي والعلم والنصح؛ لأدرك أهل الرأي والاستنباط ما ينبغي أن يعمل بشأنه من نشر أو كتمان، ولولا فضل الله عليكم بالإسلام ورحمته بكم بالقرآن - أيها المؤمنون - فعافاكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين؛ لاتبعتم وساوس الشيطان إلا قليلاً منكم.

﴿٨٤﴾ فقاتل - أيها الرسول - في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا تسأل عن غيرك ولا تلزم به؛ لأنك لا تكلف إلا حمل نفسك على القتال، ورغب المؤمنين في القتال وحثهم عليه، عسى الله أن يدفع بقتالكم قوة الكافرين، والله أشد قوة، وأشد عقوبة.

﴿٨٥﴾ من يسعى لجلب الخير للغير؛ يكن له حظ من الثواب، ومن يسعى لجلب الشر للغير؛ يكن له حظ من الإثم، وكان الله على كل ما يعمل الإنسان شهيداً وسيجزيه عليه. فمن كان منكم سبباً في حصول خير فله منه حظ ونصيب، ومن كان سبباً في حصول شر فانه يناله منه شيء.

﴿٨٦﴾ وإذا سلم عليكم أحد فردوا السلام عليه بأفضل مما سلم عليكم، أو ردوا عليه بمثل ما قال، والرد بالأحسن أفضل، إن الله كان على ما تعملون حفيظاً، وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٨٧﴾ من قوايد الآيات:

- تدبر القرآن الكريم يورث اليقين بأنه تنزيل من الله؛ لسلامته من الاضطراب، ويظهر عظيم ما تضمنه من الأحكام.
- لا يجوز نشر الأخبار التي تنشأ عنها زعزعة أمن المؤمنين، أو دُبُّ الرعب بين صفوفهم.
- التحدث بقضايا المسلمين والشؤون العامة المتصلة بهم يجب أن يصدر من أهل العلم وأولي الأمر منهم.
- مشروعية الشفاعة الحسنة التي لا إثم فيها ولا اعتداء على حقوق الناس، وتحريم كل شفاعة فيها إثم أو اعتداء.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِيًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَادَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلقَتُلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ أَعْرَابِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

﴿٨٧﴾ الله لا معبود بحق غيره، ليجمعن أولكم وآخركم يوم القيامة الذي لا شك فيه؛ لمجازاتكم على أعمالكم، ولا أحد أصدق حديثاً من الله.

﴿٨٨﴾ ما شأنكم - أيها المؤمنون - صرتم فريقين مختلفين في شأن التعامل مع المنافقين: فريق يقول بقتالهم لكفرهم، وفريق يقول بترك قتالهم لإيمانهم؟ فما كان لكم أن تختلفوا بشأنهم، والله ردهم إلى الكفر والضلال بسبب أعمالهم، أتريدون أن تهتدوا من لم يوفقه الله إلى الحق؟ ومن يضل الله فلن تجد له طريقاً إلى الهداية.

﴿٨٩﴾ تمنى المنافقون لو تكفرون بما أنزل عليكم كما كفروا فتكونون مستوين معهم في الكفر، فلا تتخذوا منهم أولياء لعداوتهم حتى يهاجروا في سبيل الله من دار الشرك إلى بلاد الإسلام دلالة على إيمانهم، فإن أعرضوا واستمروا على حالهم فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً يواليكم على أموركم، ولا نصيراً يعينكم على أعدائكم.

﴿٩٠﴾ إلا من وصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم عقد مؤكد على ترك القتال، أو من جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم فلا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم، ولو شاء الله لمكنهم منكم فقاتلوكم، فاقبلوا من الله عافيته، ولا تتعرضوا لهم بقتل ولا أسر، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وانقادوا إليكم مصالحين تاركين قتالكم، فما جعل الله لكم عليهم طريقاً يقتلهم أو أسرهم.

﴿٩١﴾ ستجدون - أيها المؤمنون - فريقاً آخر من المنافقين يظهرون لكم الإيمان ليأمنوا على أنفسهم، ويظهرون لقومهم من الكفار الكفر إذا رجعوا إليهم ليأمنوهم، كلما دُعوا إلى الكفر بالله والشرك به وقعوا فيه أشد الوقوع، فهؤلاء إذا لم يتركوا قتالكم، وينقادوا إليكم مصالحين، ويكفوا أيديهم عنكم؛ فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، وأولئك الذين هذه صفتهم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً.

● من قوايد الآيات،

- خفاء حال بعض المنافقين أوقع الخلاف بين المؤمنين في حكم التعامل معهم.
- بيان كيفية التعامل مع المنافقين بحسب أحوالهم ومقتضى المصلحة معهم.
- عدل الإسلام في الكف عن من لم تقع منه أذية متعدية من المنافقين.
- يكشف الجهاد في سبيل الله أهل النفاق بسبب تخلفهم عنه وتكلف أعدائهم.

﴿٩٢﴾ وما ينبغي لمؤمن أن يقاتل مؤمناً إلا أن يقع ذلك منه على وجه الخطأ، ومن قتل مؤمناً على وجه الخطأ فعليه عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، وعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مؤسّمة إلى ورثة القتيل، إلا أن يعفوا عن الدية فتسقط، فإن كان القتيل من قوم محاربين لكم وهو مؤمن؛ فيجب على القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة، ولا دية عليه، وإن كان القتيل غير مؤمن لكنه من قوم بينكم وبينهم عهد مثل أهل الذمة، فعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مؤسّمة إلى ورثة القتيل، وعلى القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، فإن لم يجد من يعتقه أو لا يستطيع أن يدفع ثمنه، فعليه صيام شهرين متتابعين بلا انقطاع لا يفطر فيهما، ليتوب الله عليه مما فعل، وكان الله عليهما بأعمال عبادته ونياتهم، حكيمًا في تشريعه وتديبره.

﴿٩٣﴾ ومن يقتل مؤمناً على وجه القصد بغير حق؛ فجزاؤه دخول جهنم خالدًا فيها، إن استحل ذلك أولم يتب، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وأعد له عذاباً عظيماً لاقترافه هذا الذنب الكبير.

﴿٩٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا خرجتم للجهاد في سبيل الله فتبثّبوا في أمر من تقاتلون، ولا تقولوا لمن أظهر لكم ما يدل على إسلامه: لست مؤمناً، وإنما حملك على إظهار الإسلام الخوف على دملك ومالك، فتقتلوه تطلبون بقتله متاع الدنيا الزهيد كالغنيمة منه، فعند الله مغانم كثيرة، وهي خير وأعظم من هذا، كذلك كنتم من قبل مثل هذا الذي يخفي إيمانه من قومه، فمن الله عليكم بالإسلام فعصم دماءكم فتبثّبوا، إن الله لا يخفي عليه شيء من عملكم وإن دق، وسيجازيكم به.

﴿٩٥﴾ من قوايد الآيات،

- جاء القرآن الكريم معظماً حرمة نفس المؤمن، ونهاياً عن انتهاكها، ومرتباً على ذلك أشد العقوبات.
- من عقيدة أهل السنّة والجماعة أن المؤمن القاتل لا يُخلد أبداً في النار، وإنما يُعذب فيها مدة طويلة ثم يخرج منها برحمة الله تعالى.
- وجوب التثبت والتبثّب في الجهاد، وعدم الاستعجال في الحكم على الناس حتى لا يعتدى على البريء.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

﴿٩٥﴾ لا يستوي المؤمنون القاعدون عن الجهاد في سبيل الله غير أصحاب الأعدار كالمرضى والمكفوفين، والمجاهدون في سبيل الله ببذل أموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين ببذل أموالهم وأنفسهم على القاعدين عن الجهاد درجة، وكل من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد لعذر أجره الذي يستحقه، وفضل الله المجاهدين على القاعدين بإعطائهم ثواباً عظيماً من عنده.

﴿٩٦﴾ هذا الثواب منازل بعضها فوق بعض، مع مغفرة ذنوبهم ورحمته بهم، وكان الله غفوراً لعباده رحيماً بهم. ﴿٩٧﴾ إن الذين توفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، تقول لهم الملائكة حال قبض أرواحهم توبيخاً لهم: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ فيجيبون معذرتهم: كنا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة نرد بها عن أنفسنا، فتقول لهم الملائكة توبيخاً لهم: ألم تكن بلاد الله واسعة فتخرجوا إليها لتأمنوا على دينكم وأنفسكم من الإذلال والقهر؟ فأولئك الذين لم يهاجروا مثاهم الذي يستقرون فيه هو النار، وساءت مرجعاً ومآباً لهم.

﴿٩٨﴾ ويُسْتَتْنِي من هذا الوعيد الضعفاء أصحاب الأعدار رجالاً كانوا أو نساءً أو أطفالاً، ممن لا قوة لهم يدفعون بها عنهم الظلم والقهر، ولا يهتدون إلى طريقة للتخلص مما هم فيه من القهر، فأولئك عسى الله برحمته ولطفه أن يعفو عنهم، وكان الله عفواً عن عباده غفوراً لمن تاب منهم.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَْعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَلْكُمُ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

ولما ذكر الوعيد على ترك الهجرة مع القدرة عليها رغب فيها، فقال:

﴿٩٩﴾ ومن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله يجد في الأرض التي هاجر إليها متحولاً وأرضاً غير أرضه التي ترك، ينال فيها العزة والرزق الواسع، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم ينزل به الموت قبل وصوله إلى مهاجره، فقد ثبت أجره على الله، ولا يضره أنه لم يصل إلى مهاجره، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم. ﴿١٠٠﴾ وإذا سافرتكم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من أربع ركعات إلى ركعتين، إن خفتكم أن يلحقكم مكروه من الكافرين، إن عداوة الكافرين لكم عداوة ظاهرة بينة، وقد ثبت بالسنة الصحيحة جواز القصر في السفر حال الأمن.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فضل الجهاد في سبيل الله وعظم أجر المجاهدين، وأن الله وعدهم منازل عالية في الجنة لا يبلغها غيرهم.
- أصحاب الأعدار يسقط عنهم فرض الجهاد مع ما لهم من أجر إن حسنت نيتهم.
- فضل الهجرة إلى بلاد الإسلام، ووجوبها على القادر إن كان يخشى على دينه في بلده.
- مشروعية قصر الصلاة في حال السفر.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٣

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ١٠٤ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٥ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥

﴿١٠٣﴾ وإذا كنت فيهم فأقم لهم الصلاة - أيها الرسول - في الجيش وقت قتال العدو، فأردت أن تصلي بهم، فقسّم الجيش جماعتين: تقوم جماعة منهم تصلي معك، وليأخذوا أسلحتهم معهم في صلاتهم، ولتكن الجماعة الأخرى في حراستكم، فإذا صلت الجماعة الأولى ركعة مع الإمام أتمت لنفسها الصلاة، فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم تجاه العدو، ولتأت طائفة منكم في الحراسة ولم يصلوا، فليصلوا ركعة مع الإمام، فإذا سلم الإمام أتموا ما بقي من صلاتهم، وليأخذوا حذرهم من عدوهم، وليحملوا أسلحتهم، فإن الذين كفروا يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمعتكم إذا صليتم فيحملون عليكم حملة واحدة، ويأخذونكم في غفلتكم، ولا إثم عليكم إن أصابكم أذى بسبب المطر أو كنتم مرضى ونحوه، أن تضعوا أسلحتكم فلا تحملوها، واحترزوا من عدوكم بما تستطيعون، إن الله هبّا للكافرين عذاباً مهلاً لهم.

﴿١٠٤﴾ فإذا فرغتم - أيها المؤمنون - من الصلاة فادكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل في كل أحوالكم قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم، فإذا زال عنكم الخوف وأمتمت فادوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها ومستحباتها على ما أمرتم، إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة محددة بوقت، لا يجوز تأخيرها عنه إلا لعذر، هذا في حالة الإقامة، أما في حالة السفر فلکم الجمع والقصر.

﴿١٠٥﴾ ولا تضعوا - أيها المؤمنون - ولا تسكلوا في طلب عدوكم من الكافرين،

فإن كنتم تتوجعون لما يصيبكم من القتل والجراح فإنهم كذلك يتوجعون كما تتوجعون، ويصيبهم مثل ما يصيبكم، فلا يكن صبرهم أعظم من صبركم، فإنكم ترجون من الله من الثواب والنصر والتأييد ما لا يرجونه، وكان الله عليماً بأحوال عباده، حكيماً في تدبيره وتشريعه.

﴿١٠٥﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق؛ لتفصل بين الناس في كل شؤونهم بما علمك الله وألهمك لا بهواك ورايك، ولا تكن للخائنين لأنفسهم وأمانتهم مدافعاً ترد عنهم من طالهم بالحق.

﴿١٠٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- استحباب صلاة الخوف وبيان أحكامها وصفتها.
- الأمر بالأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وأن المؤمن لا يعذر في تركها حتى لو كان في عبادة.
- مشروعية دوام ذكر الله تعالى على كل حال، فهو حياة القلوب وسبب طمأنينتها.
- النهي عن الضعف والكسل في حال قتال العدو، والأمر بالصبر على قتاله.

﴿١٦٦﴾ واطلب المغفرة والعفو من الله، إن الله كان غفوراً لمن تاب إليه من عباده، رحيماً به.

﴿١٦٧﴾ ولا تخاصم عن أي شخص يخون ويبالغ في إخفاء خيانتة، والله لا يحب من كان كثير الخيانة والإثم.

﴿١٦٨﴾ يستترون من الناس عند ارتكابهم معصية خوفاً وحياءاً، ولا يستترون من الله، وهو معهم بإحاطته بهم، لا يخفى عليه منهم شيء حين يدبرون خفية ما لا يرضى من القول، كالدفاع عن المذنب واتهام البريء، وكان الله بما يعملون في السر والعلن محيطاً، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٦٩﴾ ها أنتم - يا من يهكم أمر هؤلاء الذين يرتكبون جرماً - خاصمتهم عنهم في الحياة الدنيا لتبتوا براءتهم، وتدفعوا عنهم العقوبة، فمن الذي يجادل الله عنهم يوم القيامة وقد علم حقيقة حالهم؟ ومن الذي يكون وكيلاً عليهم في ذلك اليوم؟ ولا شك أن أحداً لا يستطيع ذلك.

﴿١٧٠﴾ ومن يعمل عملاً سيئاً، أو يظلم نفسه باقتراف المعاصي، ثم يطلب المغفرة من الله مقرباً بذنبه نادماً عليه مقلعاً عنه، يجد الله أبداً غفوراً لذنوبه رحيماً به.

﴿١٧١﴾ ومن يرتكب إثماً صغيراً أو كبيراً فإنما عقوبته عليه وحده، لا تتجاوز به إلى غيره، وكان الله عليماً بأعمال العباد، حكيماً في تديبره وتشريعه.

﴿١٧٢﴾ ومن يرتكب خطيئة على غير عمد، أو إثماً بعمد، ثم يتهم به إنساناً بريئاً من ذلك الذنب، فقد تحمّل بفعله

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٦٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٦٨﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٦٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ وَثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٧٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١٧٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَلَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٧٣﴾

ذلك كذباً شديداً وإثماً بيئاً.

﴿١٧٣﴾ ولولا فضل الله عليك - أيها الرسول - بعصمتك لعزمت جماعة من هؤلاء الذين يخونون أنفسهم أن يضلوك عن الحق فتحکم بغير القسط، وما يضلون حقيقة إلا أنفسهم؛ لأن عاقبة ما اقترفوه من محاولة الإضلال راجع عليهم، وما يقدر على إيدائك لعصمة الله لك، وأنزل الله عليك القرآن والسنة، وعلمك من الهدى والنور ما لم تكن تعلم قبل ذلك، وكان فضل الله عليك بالنبوة والعصمة عظيماً.

﴿١٧٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- النهي عن المدافعة والمخاصمة عن المبطلين؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.
- ينبغي للمؤمن الحق أن يكون خوفه من الله وتعظيمه والحياء منه فوق كل أحد من الناس.
- سعة رحمة الله ومغفرته لمن ظلم نفسه، مهما كان ظلمه إذا صدق في توبته، ورجع عن ذنبه.
- التحذير من اتهام البريء وقذفه بما لم يكن منه؛ وأن فاعل ذلك قد وقع في أشد الكذب والإثم.

﴿١١٦﴾ لا خير في كثير من الناس، ولا نفع منه، إلا إن كان كلامهم أمراً بصدقة، أو معروف جاء به الشرع ودل عليه العقل، أو دعوة إلى الإصلاح بين المتنازعين، ومن يفعل ذلك طلباً لرضا الله فسوف نؤتيه ثواباً عظيماً.

﴿١١٧﴾ ومن يعاند الرسول ويخالفه فيما جاء به من بعد ما اتضح له الحق، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين، نتركه وما اختار لنفسه، ولا نوقفه للحق لإعراضه عن عمد، وندخله نار جهنم يُعاني حرّها، وساءت مرجعاً لأهلها.

﴿١١٨﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به، بل يُخلد المشرك في النار، ويغفر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء برحمته وفضله، ومن يشرك مع الله أحداً فقد تاه عن الحق وبعد عنه بعداً كبيراً؛ لأنه سَوَّى بين الخالق والمخلوق. ﴿١١٩﴾ ما يعبد هؤلاء المشركون ويدعون مع الله إلا أوثاناً مسماة بأسماء الإناث كالكالات والعزى، لا نفع لها ولا ضرر، وما يعبدون في الحقيقة إلا شيطاناً خارجاً عن طاعة الله لا خير فيه؛ لأنه هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان.

﴿١٢٠﴾ ولذلك طرده الله من رحمته. وقال هذا الشيطان لربه حائفاً: لأجعلن لي من عبادك قسماً معلوماً أغويهم عن الحق.

﴿١٢١﴾ ولأصدنهم عن صراطك المستقيم، ولأمنينهم بالوعود الكاذبة التي تزين لهم ضلالهم، ولأمرتهم بتطبيع آذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولأمرهم بتغيير خلق الله وفطرته، ومن يتخذ

﴿١١٦﴾ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ جُحُوثِهِمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٧﴾ وَمَن يَعْصِ أَمْرًا مِّنْ رَّبِّهِ فَإِنَّهُ لَمِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْتِي الْأَمْرُ بِالنَّفْسِ الْكَافِرَةِ وَالْأَنفُسِ الضَّالَّةِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٨﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٩﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخْذَن مِنِّ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١٢٠﴾ وَلَا ضَلَالَنَّهُمْ وَلَا مَنِيَنَّهُمْ وَلَا مُرْتَبَنَّهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١٢١﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٢﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢٣﴾

الشيطان ولياً يتولاه ويطيعه فقد خسر خسراناً بيّناً بموالاته الشيطان الرجيم.

﴿١٢٢﴾ يصدنهم الشيطان بالوعود الكاذبة، ويؤمنهم الأمانى الباطلة، وما يعدهم في الواقع إلا باطلاً لا حقيقة له.

﴿١٢٣﴾ أولئك المتبعون لخطوات الشيطان وما يمليه عليهم مستقرهم نار جهنم لا يجدون عنها مهرباً يلجؤون إليه.

﴿١٢٤﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أكثر تناجي الناس لا خير فيه، بل ربما كان فيه وزر، وقليل من كلامهم فيما بينهم يتضمن خيراً ومعروفاً.
- معاندة الرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين نهايتها البعد عن الله ودخول النار.
- كل الذنوب تحت مشيئة الله، فقد يُغفر لصاحبها، إلا الشرك، فلا يغفره الله أبداً، إذا لم يتب صاحبه ومات عليه.
- غاية الشيطان صرف الناس عن عبادة الله تعالى، ومن أعظم وسائله تزيين الباطل بالأمانى الغرارة والوعود الكاذبة.

ولما ذكر الله جزاء أتباع الشيطان ذكر جزاء أتباع الرسل؛ فقال:
 ﴿١٢١﴾ والذين آمنوا بالله وعملوا
 الأعمال الصالحة المقربة إليه
 سندخلهم جنات تجري الأنهار من
 تحت قصورها، ماكثين فيها أبداً،
 وعداً من الله، ووعدته تعالى حق، فهو
 لا يخلف الميعاد، ولا أحد أصدق من
 الله قولاً.

﴿١٢٢﴾ ليس أمر النجاة والفوز
 تابعاً لما تتمنون - أيها المسلمون -
 أو لما يتمناه أهل الكتاب، بل الأمر
 تابع للعمل، فمن يعمل منكم عملاً
 سيئاً يجاز به يوم القيامة، ولا يجد له
 من دون الله ولياً يجلب له النفع، ولا
 نصيراً يدفع عنه الضر.

﴿١٢٣﴾ ومن يعمل من الأعمال
 الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
 بالله تعالى حقاً فأولئك الذين جمعوا
 بين الإيمان والعمل يدخلون الجنة، ولا
 ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولو
 كان شيئاً قليلاً قدر النقرة التي تكون
 في ظهر نواة التمر.

﴿١٢٤﴾ ولا أحد أحسن ديناً ممن
 استسلم لله ظاهراً وباطناً وأخلص
 نيته له، وأحسن في عمله باتباع
 ما شرع، واتبع دين إبراهيم الذي
 هو أصل دين محمد ﷺ مائلاً عن
 الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان.
 واصطفى الله نبيه إبراهيم ﷺ
 بالمحبة التامة من بين سائر خلقه.
 ﴿١٢٥﴾ ولله وحده ملك ما في السموات
 وما في الأرض، وكان الله محيطاً بكل
 شيء من خلقه علماً وقدرة وتديراً.

﴿١٢٦﴾ ويسألونك - أيها الرسول - في
 أمر النساء وما يجب لهن وعليهن، قل:

الله يبين لكم ما سألتكم عنه، ويبين لكم ما يتلى عليكم في القرآن، في شأن اليتامى من النساء اللاتي تحت ولايتكم، ولا تؤتونهن
 ما فرض الله لهن من المهر أو الميراث، ولا ترغبون في نكاحهن، وتمنعونهن من النكاح طمعاً في أموالهن، ويبين لكم ما يجب في
 المستضعفين من الصغار، من إعطائهم حقهم من الميراث، وألا تظلموهم بالاستيلاء على أموالهم، ويبين لكم وجوب القيام على
 اليتامى بالمعدل بما يصلح شأنهم في الدنيا والآخرة، وما تفعلوا من خير لليتامى وغيرهم فإن الله عليم به، وسيجازيكم به.

﴿١٢٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ما عند الله من الثواب لا يُنال بمجرد الأمانى والدعاوى، بل لا بد من الإيمان والعمل الصالح.
- الجزاء من جنس العمل، فمن يعمل سوءاً يُجزَ به، ومن يعمل خيراً يُجزَ بأحسن منه.
- الإخلاص والاتباع هما مقياس قبول العمل عند الله تعالى.
- عَظَمَ الإسلام حقوق الفئات الضعيفة من النساء والصغار، فحرم الاعتداء عليهم، وأوجب رعاية مصالحهم في ضوء ما شرع.

﴿١٢٨﴾ وَإِنْ خَافْتَ امْرَأَةً مِنْ زَوْجِهَا تَرْفُقًا عَنْهَا وَعَدَمَ رَغْبَةٍ فِيهَا فَلَا تُجْزَأُ عَنْهَا أَنْ يَتَصَالَحَا بِأَنْ تَتَنَازَلَ عَنْ بَعْضِ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ لَهَا كَحَقِّ النِّفْقَةِ وَالْمَبِيتِ، وَالصِّلَحِ هُنَا خَيْرٌ لهُمَا مِنَ الطَّلَاقِ، وَقَدْ جُبِلَتِ النُّفُوسُ عَلَى الْحِرْصِ وَالْبَخْلِ، فَلَا تُرْغَبُ فِي التَّنَازُلِ عَمَّا لَهَا مِنْ حَقٍّ، فَيَنْبَغِي لِلزَّوْجَيْنِ عِلَاجُ هَذَا الْخَلْقِ بِتَرْبِيَةِ النَّفْسِ عَلَى التَّسَامُحِ وَالْإِحْسَانِ. وَإِنْ تَحَسَّنُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ بَيْنَكُمَا، وَتَتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿١٢٩﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا - أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ - أَنْ تَعْدِلُوا الْعَدْلَ التَّامَّ مَعَ الزَّوْجَاتِ فِي الْمِيلِ الْقَلْبِيِّ، وَلَوْ حَرَصْتُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ بِسَبَبِ أُمُورٍ رُبَّمَا تَكُونُ خَارِجَةً عَنْ إِرَادَتِكُمْ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ عَنِ الَّتِي لَا تَحِبُّونَهَا فَتَتْرَكُوهَا مِثْلَ الْمُعْلَقَةِ لَا هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ يَقُومُ بِحَقِّهَا، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ زَوْجٍ فَتَتَطَلَّعَ لِلزَّوْاجِ، وَإِنْ تَصَلَحُوا مَا بَيْنَكُمْ بِأَنْ تَحْمِلُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ الزَّوْجَةِ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا بِكُمْ.

﴿١٣٠﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَ الزَّوْجَانِ بِطُلَاقٍ أَوْ خُلْعٍ يَغْنِي اللَّهُ كُلَّاهُمَا مِنْ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، حَكِيمًا فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَلِكٌ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَعَهِدْنَا إِلَيْكُمْ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَإِنْ تَكْفُرُوا بِهَذَا الْعَهْدِ فَلَنْ تُضْرَرُوا إِلَّا أَنْفُسُكُمْ، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَتِكُمْ، فَلَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، الْمُسْتَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ، وَكُفِيَ بِاللَّهِ مَتَوَلِّيًا تَدْبِيرَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.
 ﴿١٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُهْلِكْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَيَأْتِ بِآخِرِينَ غَيْرِكُمْ يَطِيعُونَ اللَّهَ وَلَا يَعِصُونَهُ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا.
 ﴿١٣٤﴾ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَرِيدُ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَقَطْ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَطْلُبُ ثَوَابَهُمَا مِنْهُ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا لِقَوْلِكُمْ، بَصِيرًا بِأَفْعَالِكُمْ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿١٣٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- استحباب المصالحة بين الزوجين عند المنازعة، وتغليب المصلحة بالتنازل عن بعض الحقوق لإدامة لعقد الزوجية.
- أوجب الله تعالى العدل بين الزوجات خاصة في الأمور المادية التي هي في مقدور الأزواج، وتسامح الشرع حين يتعذر العدل في الأمور المعنوية، كالحب والميل القلبي.
- لا حرج على الزوجين في الفراق إذا تعذر العشرة بينهما.
- الوصية الجامعة للخلق جميعاً أولهم وآخرهم هي الأمر بتقوى الله تعالى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي.

وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرٍ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا
 أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا
 أَلَمْ نَسْتَحْذِثْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا
 قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
 اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى
 هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ
 الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
 ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
 دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
 إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿١٤١﴾ الذين ينتظرون ما يحصل لكم من خير أو شر، فإن كان لكم نصر من الله وغنمتم قالوا لكم: ألم تكن معكم، شهدنا ما شهدتم؟! لينالوا من الغنيمة، وإن كان للكافرين حظ قالوا لهم: ألم نتول شؤونكم ونحطكم إحاطة العناية والنصرة ونحكم من المؤمنين بإعانتكم وتذليلهم؟! فالله يحكم بينكم جميعاً يوم القيامة، فيجازي المؤمنين بدخول الجنة، ويجازي المنافقين بدخول الدرك الأسفل من النار، ولن يجعل الله بفضلته للكافرين حجة على المؤمنين يوم القيامة، بل سيجعل العقوبة للمؤمنين ما داموا عاملين بالشرع صادقوا بالإيمان.

﴿١٤٢﴾ إن المنافقين يخادعون الله بإظهار الإسلام وإضمار الكفر، وهو خادعهم؛ لأنه عصم دماءهم مع علمه بكفرهم، وأعد لهم أشد العقوبة في الآخرة، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى كارهين لها، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم، ولا يخلصون لله، ولا يذكرون الله إلا قليلاً إذا رأوا المؤمنين.

﴿١٤٣﴾ هؤلاء المنافقون مترددون في خيرة، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا مع الكافرين، بل ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين، ومن يضل الله فلن تجد له - أيها الرسول - طريقاً لهديته من الضلال. ﴿١٤٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تتخذوا الكافرين بالله أوصياء توالونهم من دون المؤمنين، أتريدون بفعلكم هذا أن تجعلوا الله عليكم حجة بينة دالة على استحقاتكم العقاب؟!

﴿١٤٥﴾ إن المنافقين سيجعلهم الله في المكان الأسفل من النار يوم القيامة، ولن تجد لهم نصيراً يدفع عنهم العذاب. ﴿١٤٦﴾ إلا الذين رجعوا إلى الله بالتوبة من نفاقهم، وأصلحوا باطنهم، وتمسكوا بعهد الله، وأخلصوا عملهم لله بلا رياء، فأولئك المتصفون بهذه الصفات مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثواباً جزيلاً. ﴿١٤٧﴾ لا حاجة لله في تعذيبكم إن شكرتم له وآمنتم به، فهو تعالى البر الرحيم، وإنما يعذبكم بذنوبكم، فإن أصلحتكم العمل، وشكرتموه على نعمه، وآمنتم به ظاهراً وباطناً فلن يعذبكم، وكان الله شاكراً لمن اعترف بنعمه فيجزل لهم الثواب عليها، عليماً بإيمان خلقه، وسيجازي كلًا بعمله.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان صفات المنافقين، ومنها: حرصهم على حظ أنفسهم سواء كان مع المؤمنين أو مع الكافرين.
- أعظم صفات المنافقين تَبَذُّهُمُ وحيرتهم واضطرابهم، فلا هم مع المؤمنين حقاً ولا مع الكافرين.
- النهي الشديد عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- أعظم ما يتيق به المرء عذاب الله تعالى في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح.

﴿١٤٨﴾ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ
 اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ تُبَدُّوْا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوْهُ أَوْ تَعْفَوْا عَنْ
 سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ
 نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
 بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا
 لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
 أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٣﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ
 أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
 مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
 ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا
 عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٤﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
 الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
 لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٥﴾

١٠٢

﴿١٤٨﴾ لا يحب الله الجهر بقول السوء، بل يبغيضه ويتوعد عليه، لكن من ظلم جاز له أن يجهر بقول السوء؛ للشكاية من ظالمه والدعاء عليه ومجازاته بمثل قوله، لكن صبر المظلوم أولى من جهره بالسوء، وكان الله سميعاً لأقوالكم، عليمًا بنياتكم، فاحذروا قول السوء أو قصده.

﴿١٤٩﴾ إن تظهروا أي خير قولي أو فعلي، أو تستروه، أو تتجاوزوا عمن أساء إليكم؛ فإن الله كان عفواً قديراً، فليكن العفو من أخلاقكم، لعل الله أن يعفو عنكم.

﴿١٥٠﴾ إن الذين يكفرون بالله ويكفرون برسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله؛ بأن يؤمنوا به، ويكذبوا بهم، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعضهم، ويريدون أن يتخذوا طريقاً بين الكفر والإيمان يتوهمون أنها تتجهيم.

﴿١٥١﴾ أولئك الذين يسلكون هذا المسلك هم الكافرون حقاً؛ ذلك أن من كفر بالرسول أو ببعضهم فقد كفر بالله وبرسله، وأعدنا للكافرين عذاباً مدلاً لهم يوم القيامة، عقاباً لهم على تكبرهم عن الإيمان بالله وبرسله.

ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر بعده جزاء المؤمنين فقال:

﴿١٥٢﴾ والذين آمنوا بالله ووعده، ولم يشركوا به أحداً، وصدقوا برسله جميعاً، ولم يفرقوا بين أحد منهم كما يفعله الكافرون، بل آمنوا بهم جميعاً؛ أولئك سوف يعطيهم الله أجراً عظيماً جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة النابعة منه، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيمًا بهم.

﴿١٥٣﴾ يسألك - أيها الرسول - اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة كما وقع لموسى، يكون علامة لصدقك، فلا تستعظم منهم ذلك، فقد سأل أسلافهم موسى أعظم مما سألك هؤلاء، حيث سأله أن يريهم الله عياناً، فصُعبوا عقاباً لهم على ما ارتكبوه، ثم أحياهم الله، فعبدوا العجل من دون الله من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله وتفرده بالربوبية والألوهية، ثم تجاوزنا عنهم، وأعطينا موسى حجة واضحة على قومه.

﴿١٥٤﴾ ورفعنا فوقهم الجبل بسبب العهد المؤكد عليهم تخويماً ليعملوا بما فيه، وقلنا لهم بعد رفعه: ادخلوا باب بيت المقدس سجداً بانحناء الرؤوس، فدخلوا يزحزون على أدبارهم، وقلنا لهم: لا تعتدوا بالإقدام على الصيد يوم السبت، فما كان منهم إلا أن اعتدوا فاصطادوا، وأخذنا عليهم عهداً موثقاً شديداً بذلك، فنقضوا العهد المأخوذ عليهم.

﴿١٥٥﴾ من قوايد الآيات،

- يجوز للمظلوم أن يتحدث عن ظلمه وظالمه لمن يرجى منه أن يأخذ له حقه، وإن قال ما لا يسر الظالم.
- حض المظلوم على العفو - حتى وإن قدر - كما يعفو الرب - سبحانه - مع قدرته على عقاب عباده.
- لا يجوز التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم دون بعض، بل يجب الإيمان بهم جميعاً.

فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥ وَبِكَفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا
عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
۝١٥٨ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩ فِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا
حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ۝١٦٠ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦١ لَّكِنِ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٦٢

١٠٣

١٥٥ فطردها من رحمتنا بسبب نقضهم العهد المؤكد عليهم، وبسبب كفرهم بآيات الله، وجراءتهم على قتل الأنبياء، وبقولهم لمحمد ﷺ: قلوبنا في غطاء، فلا تعي ما تقول، والأمر ليس كما قالوا، بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يصل إليها خير؛ فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم.

١٥٦ وطردها من الرحمة بسبب كفرهم، وبسبب رميهم مريم ﷺ بالزنى زورًا وبهتانًا.

١٥٧ ولعنناهم بقولهم مفتخرين كذبًا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه كما ادعوا وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلًا ألقى الله شبه عيسى عليه وصلبوه، فظنوا أن المقتول هو عيسى ﷺ. والذين ادعوا قتله من اليهود والذين أسلموه إليهم من النصارى، كلاهما في حيرة من أمره وشك، فليس لهم به علم، وإنما يتبعون الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وما قتلوا عيسى، وما صلبوه قطعا.

١٥٨ بل نجاه الله من مكرهم، ورفعهم الله بجسمه وروحه إليه، وكان الله عزيزًا في ملكه، لا يغالبه أحد، حكيماً في تديره وقضائه وشرعه.

١٥٩ وما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمّن بعيسى ﷺ بعد نزوله آخر الزمان وقبل موته، ويوم القيامة يكون عيسى ﷺ شاهداً على أعمالهم؛ ما يوافق الشرع منها وما يخالف.

١٦٠ فبسبب ظلم اليهود حرّمنا عليهم بعض المأكّل الطيبة التي كانت حلالاً لهم، فحرّمنا عليهم كل ذي

ظفر، ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما، وبسبب صدهم أنفسهم وصدهم غيرهم عن سبيل الله، حتى صار الصد عن الخير سجية لهم.

١٦١ وبسبب تعاملهم بالربا بعد أن نهاهم الله عن تناوله، وبسبب أخذ أموال الناس بغير حق شرعي، وأعدنا للكافرين منهم عذاباً

موجعاً.

ولما ذكر مثالب أهل الكتاب ذكر المؤمنين منهم فقال: ١٦٢ لكن الثابتون المتمكنون في العلم من اليهود، والمؤمنون يصدّقون بما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من القرآن، ويصدّقون بما أنزل من الكتب على من قبلك من الرسل كالنوراة والإنجيل، ويقومون الصلاة، ويعطون زكاة أموالهم، ويصدقون بالله إلهًا واحدًا لا شريك له، ويصدقون بيوم القيامة: أولئك المتصفون بهذه الصفات سنعطيتهم ثواباً عظيماً.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عاقبة الكفر الختم على القلوب، والختم عليها سبب لحرمانها من الفهم.
- بيان عداوة اليهود للنبي الله عيسى ﷺ، حتى إنهم وصلوا لمرحلة محاولة قتله.
- بيان جهل النصارى وحيرتهم في مسألة الصلب، وتعاملهم فيها بالظنون الفاسدة.
- بيان فضل العلم، فإن من أهل الكتاب من هو متمكن في العلم حتى أدى به تمكّنه هذا للإيمان بالنبي محمد ﷺ.

﴿١٦٣﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَأَلَّا سَبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَمَا اتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٤﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٦٥﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّكَ يَكُونُ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٦٦﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ﴿١٦٩﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٠﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧١﴾

١٠٤

﴿١٦٣﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ - أيها الرسول - كما أَوْحَيْنَا إِلَى الأنبياء من قبلك، فليست بِدَعَا من الرسل، فقد أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى الأنبياء الذين جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَى ابْنَيْهِ: إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، وَإِلَى يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ، وَإِلَى الْأَسْبَاطِ، (وَهُمُ الْآلِيبَاءُ الَّذِينَ كَانُوا فِي قِبَائِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْاَثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَأَوْحَيْنَا إِلَى عِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ، وَأَعْطَيْنَا دَاوُدَ كِتَابًا هُوَ الزَّبُورُ.

﴿١٦٤﴾ وَأَرْسَلْنَا رُسُلًا قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ، وَأَرْسَلْنَا رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ فِيهِ، وَتَرَكْنَا ذِكْرَهُمْ فِيهِ لِحُكْمَةٍ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى - دُونَ وَسَاطَةِ - تَكْلِيمًا حَقِيقِيًّا يَلِيقُ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكْرِيمًا لِمُوسَى.

﴿١٦٥﴾ أَرْسَلْنَاهُمْ مُبَشِّرِينَ بِالشَّوَابِ الْكَرِيمِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَمُخَوِّفِينَ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، حَتَّى لَا تَكُونَ لِلنَّاسِ حُجَّةٌ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ إِسْرَالِ الرُّسُلِ يَعْتَذِرُونَ بِهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا فِي مُلْكِهِ حَكِيمًا فِي قَضَائِهِ.

﴿١٦٦﴾ إِنْ كَانَ الْيَهُودُ يَكْفُرُونَ بِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَصْدُقُكَ بِصَحَّةِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ - أيها الرسول - مِنَ الْقُرْآنِ، أَنْزَلَ فِيهِ عِلْمُهُ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُطْلَعَ الْعِبَادُ عَلَيْهِ مِمَّا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَوْ يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ بِصَدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ مَعَ شَهَادَةِ اللَّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَشَهَادَتُهُ كَافِيَةٌ عَنْ شَهَادَةِ غَيْرِهِ.

﴿١٦٧﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنُبُوتِكَ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ قَدْ بَعُدُوا عَنِ الْحَقِّ بَعْدًا شَدِيدًا.

﴿١٦٨﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ،

وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِبِقَائِهَا عَلَى الْكُفْرِ، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ مَا هُمْ مُصْرُّونَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى طَرِيقِ تَجَنُّبِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿١٦٩﴾ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى دُخُولِ جَهَنَّمَ مَا كَثُرَ فِيهَا دَائِمًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ هَيْئًا، فَهُوَ لَا يَجْزُهُ شَيْءٌ.

﴿١٧٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَآمِنُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَكْفُرُوا بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ إِيْمَانِكُمْ، وَلَا يَضُرُّهُ كُفْرُكُمْ، فَلَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَهُ مُلْكُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ فَيُسِرُّهَا لَهُ، وَبِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا فَيُعْطِيهِمُهَا عَنْهَا، حَكِيمًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

﴿١٧١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● إِبْثَاتُ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ فِي شَأْنِ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ ذُرِّيَّاتِهِمَا مِمَّنْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَمِمَّنْ لَمْ يَذْكُرْ أَخْبَارَهُمْ لِحُكْمَةٍ يَعْلَمُهَا سَبْحَانَهُ.

● إِبْثَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ يَلِيقُ بِذَاتِهِ وَجَلَالِهِ، فَقَدْ كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

● تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَشْهَدُ عَلَى صَدْقِ دَعْوَاهُ فِي كَوْنِهِ نَبِيًّا، وَكَذَلِكَ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ.

(١٧١) قل - أيها الرسول - للنصارى أهل الإنجيل: لا تتجاوزوا الحد في دينكم، ولا تقولوا على الله في شأن عيسى ﷺ إلا الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله بالحق، خلقه بكلمته التي أرسل بها جبريل ﷺ إلى مريم، وهي قوله: كن، فكان، وهي نفخة من الله نفخها جبريل بأمر من الله، فأمنوا بالله ورسله جميعاً دون تفريق بينهم، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة، انتهوا عن هذه المقولة الكاذبة الفاسدة يكن انتهاؤكم عنها خيراً لكم في الدنيا والآخرة، إنما الله إله واحد تنزه عن الشريك وعن الولد، فهو غني، له ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فيهما، وحسب ما في السماوات والأرض بالله قتيماً ومديراً لهما.

(١٧٢) لن يألف عيسى بن مريم ويمتنع أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة الذين قربهم الله له، ورفع منزلتهم أن يكونوا عبداً لله، فكيف تتخذون عيسى الهاً؟ وكيف يتخذ المشركون الملائكة آلهة؟ ومن يألف عن عبادة الله، ويرفع عنها فإن الله سيحشر الجميع إليه يوم القيامة، ويجازي كل بما يستحق. ولما بين أن الجميع سيحشره الله إليه فضل جزاءهم في قوله: (١٧٣) فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا برسله، وعملوا الأعمال الصالحات مخلصين لله عاملين وفق ما شرع، فسيُعطيهم ثواب أعمالهم غير منقوص، وسيزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وأما الذين أُنْفُوا عن عبادة الله وطاعته وترفعوا تكبراً، فيعذبهم عذاباً موجعاً، ولا يجدون من

يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) يَأْيُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥)

١٠٥

دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر.

(١٧٦) يا أيها الناس قد جاءكم من ربكم حجة جليلة تقطع العذر وتزيل الشبهة - وهو محمد ﷺ -، وأنزلنا إليكم ضياءً واضحا، وهو هذا القرآن.

(١٧٧) فأما الذين آمنوا بالله وتمسكوا بالقرآن الذي أنزل على نبيهم فسيرحمهم الله بدخول الجنة، ويزيدهم ثواباً ورَقَع درجات، ويوفقهم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الطريق الموصل إلى جنات عدن.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- بيان أن المسيح بشر، وأن أمه كذلك، وأن الضالين من النصارى غلوا فيهما حتى أخرجوهما من حد البشرية.
- بيان بطلان شرك النصارى القائلين بالتثليث، وتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شريك أو شبيه أو مقارب، وبيان انفرادة - سبحانه - بالوحدانية في الذات والأسماء والصفات.
- إثبات أن عيسى ﷺ والملائكة جميعهم عباد مخلوقون لا يستكبرون عن الاعتراف بعبوديتهم لله تعالى والانقياد لأوامره، فكيف يسوغ اتخاذهم آلهة مع كونهم عبيداً لله تعالى؟
- في الدين حجج وبراهين عقلية تدفع الشبهات، ونور وهداية تدفع الحيرة والشهوات.

﴿١٧٦﴾ يسألونك - أيها الرسول - أن تفتنيهم بشأن ميراث الكلالة، وهو من يموت ولم يترك أباً ولا ولداً، قل: الله يبين الحكم بشأنها: إن مات شخص ليس له والد ولا ولد، وله أخت شقيقة أو أخت لأبيه فلها نصف ما ترك من المال فرضاً، وأخوه الشقيق أو لأب يرث ما ترك من مال تعصيباً إن لم يكن معه صاحب فرض، فإن كان معه صاحب فرض ورث الباقي بعده، فإن تعددت الأخوات الشقيقات أو لأب - بأن كانتا اثنتين فأكثر - ورثتا أو ورثن الثلاث فرضاً، وإن كان الإخوة الأشقاء أو لأب فيهم الذكور والإناث ورثوا بالتعصيب تبعاً لقاعدة: (لذكر مثل حظ الأنثيين) بأن يُضَعَّف نصيب الذكر منهم على نصيب الأنثى. يبين الله لكم حكم الكلالة وغيره من أحكام الميراث حتى لا تضلوا في أمرها، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

— مَدِينَة —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الأمر بالوفاء بالعقود، والتحذير من مشابهة أهل الكتاب في نقضها.

● التفسير:

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا آمنوا كل العهود الموثقة بينكم وبين خالقكم وبينكم وبين خلقه، وقد أحل الله لكم - رحمة بكم - بهيمة الأنعام: (الأبل، والبقر، والغنم) إلا ما يُقَرَأ عليكم تحريمه، وإلا ما حُرِّم عليكم من الصيد البري في حال الإحرام بحج أو

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ رِثَتُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

آيَاتُهَا ١٢٠

رَتَبَهَا ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

١٠٦

عمرة، إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مُكْرَهَ له، ولا معترض على حكمه. ﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تستحلوا حرمات الله التي أمركم بتعظيمها، وكفُّوا عن محظورات الإحرام: كلبس المخيط، وعن محرّمات الحَرَم كالصيد، ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم، وهي (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب)، ولا تستحلوا ما يُهدى إلى الحرم من الأنعام ليذبح لله هناك بغضب ونحوه، أو منعه من وصوله إلى محله، ولا تستحلوا البهيمة التي عليها قلادة من صوف وغيره للإشعار بأنها هدي، ولا تستحلوا قاصدي بيت الله الحرام يطلبون ربح التجارة ومرضاة الله، وإذا حللتم من الإحرام بحج أو عمرة، وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم، ولا يحملنكم بفض قوم لصدهم لكم عن المسجد الحرام على الجور وترك العدل فيهم، وتعاونوا - أيها المؤمنون - على فعل ما أمركم به، وترك ما نهيتكم عنه، ولا تعاونوا على المعاصي التي يَأْتُم صاحبها، وعلى العدوان على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وخافوا الله بالتزام طاعته والبعد عن معصيته، إن الله شديد العقاب لمن عصاه، فاحذروا من عقابه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عناية الله بجميع أحوال الورثة في تقسيم الميراث عليهم.
- الأصل هو حل الأكل من كل بهيمة الأنعام، سوى ما خصه الدليل بالتحريم، أو ما كان صيداً يعرض للمحرم في حجه أو عمرته.
- النهي عن استحلال المحرمات، ومنها: محظورات الإحرام، والصيد في الحرم، والقتال في الأشهر الحُرْم، واستحلال الهدي بغضب ونحوه، أو منعه وصوله إلى محله.

﴿٣﴾ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا مَاتَ مِنْ حَيوانٍ دُونَ ذِكَاةٍ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الدَّمَّ الْمَسْفُوحَ، وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ، وَمَا ذَكَرَ عَلَيْهِ اسْمٌ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ الذَّبْحِ، وَالْمَيْتَةَ بِالْخَنْقِ، وَالْمَيْتَةَ بِالضَّرْبِ، وَالْمَيْتَةَ بِالسَّقُوطِ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ، وَالْمَيْتَةَ بِنَطْحِ غَيْرِهَا لَهَا، وَمَا افْتَرَسَهُ سَبْعٌ مِثْلُ الْأَسَدِ وَالنَّمْرِ وَالذَّبِّ، إِلَّا مَا أَدْرَكْتُمُوهُ حَيًّا مِنْ الْمَذْكُورَاتِ وَذَكَيْتُمُوهُ، فَهُوَ حَلَالٌ لَكُمْ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا كَانَ ذَبِيحَةً لِلْأَصْنَامِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا مَا قَسَمَ لَكُمْ مِنَ الْغَيْبِ بِالْأَقْدَاحِ وَهِيَ حِجَارَةٌ أَوْ سَهَامٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا (افعل) أَوْ (لا تفعل) فيعمل بما يخرج له منها. ففعل تلك المحرمات المذكورة خروج عن طاعة الله. اليوم يئس الذين كفروا من ارتدادكم عن دين الإسلام لما رأوا من قوته، فلا تخافوهم وخافوني وحدي، اليوم أكملت لكم دينكم الذي هو الإسلام، وأتممت عليكم نعمتي الظاهرة والباطنة، واختبرت لكم الإسلام دينًا، فلا أقبل دينًا غيره، فمن ألجئ بسبب مجاعة إلى الأكل من الميتة غير ماثل للإثم فلا إثم عليه في ذلك، إن الله غفور رحيم.

ولما ذكر الله ما حرم أكله ذكر ما أباح أكله، فقال:

﴿٤﴾ يسألك - أيها الرسول - صحابتك ماذا أحل الله لهم أكله؟ قل - أيها الرسول -: أحل الله لكم ما طاب من المأكَل، وأكل ما صادته المدربات من ذوات الأنياب كالكلاب والفهود، وذوات المخالب كالصقور، تعلمونها الصيد مما مَنَّ الله عليكم به من العلم بأدابه، حتى صارت إذا أُمِرَتْ اتَّخَمَتْ، وإذا رُجِرَتْ ازدجرت، فكلوا

مما أمسكته من الصيد ولو قتلته، واذكروا اسم الله عند إرسالها، واتقوا الله بامثال أوامره، والكف عن نواهيه، إن الله سريع الحساب للأعمال.

﴿٥﴾ اليوم أحلَّ الله لكم أكل المستلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم، وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى إذا أعطيتهم مهورهن، وكنتم متعففين عن ارتكاب الفاحشة غير متخذين عشيقات ترتبون الزنى معهن، ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مخلدًا.

﴿٦﴾ من قَوَائِدِ الْإِكْبَاتِ،

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَيْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا
أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ تَعَامُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾
الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

١٠٧

﴿٦﴾ اليوم أحلَّ الله لكم أكل المستلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم، وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى إذا أعطيتهم مهورهن، وكنتم متعففين عن ارتكاب الفاحشة غير متخذين عشيقات ترتبون الزنى معهن، ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مخلدًا.

﴿٧﴾ من قَوَائِدِ الْإِكْبَاتِ،

- تحريم ما مات دون ذكاة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه اسمٌ غير اسم الله عند الذبح، وكل ميت خنقًا، أو ضربًا، أو بسقوط من علو، أو نطحًا، أو افتراسًا من وحش، ويُسْتَتَى من ذلك ما أدرك حيًّا ودُكِّيَ بذبح شرعي.
- حل ما صاد كل مدرب ذي ناب أو ذي مخالب.
- إباحة ذبائح أهل الكتاب، وإباحة نكاح حرائرهم من العفيفات.

﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا

أرდتم القيام لأداء الصلاة، وكنتم مُحدثين حدثاً أصغر فَتَوَضَّؤُوا بِأَنْ تَغْسِلُوا وجوهكم، وتغسلوا أيديكم مع مرافقها، وتمسحوا برؤوسكم، وتغسلوا أرجلكم مع الكعبين الناتئين بمفصل الساق، وإن كنتم مُحدثين حدثاً أكبر فاغسلوا، وإن كنتم مرضى تخافون من زيادة المرض أو تأخر بُرْئه، أو كنتم مسافرين في حال صحة، أو كنتم مُحدثين حدثاً أصغر بقضاء الحاجة مثلاً، أو مُحدثين حدثاً أكبر بمجامعة النساء، ولم تجدوا ماء بعد البحث عنه لتتطهروا به - فاقصدوا وجه الأرض، واضربوه بأيديكم، وامسحوا وجوهكم وامسحوا أيديكم منه، ما يريد الله أن يجعل عليكم ضيقاً في أحكامه بأن يلزمكم استعمال الماء المؤدي إلى ضرركم، فشرع لكم بدلاً عنه عند تعذره لمرض أو لفقد الماء إتماماً لنعمته عليكم لعلمكم تشكرون نعمة الله عليكم، ولا تكفرونها.

﴿٧﴾ واذكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام، واذكروا عهد الذي عاهدكم عليه حين قلتم لما بايعتم النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واتقوا الله بامتثال أوامره - ومنها عهوده - واجتناب نواهيه، إن الله عليم بما في القلوب، فلا يخفى عليه منه شيء.

﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورسوله، كونوا قائمين بحقوق الله عليكم مبتغين بذلك وجهه، وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور، ولا يحملنكم بُغْض قوم على ترك العدل، فالعدل

مطلوب مع الصديق والعدو، فاعدلوا معهم، فالعدل أقرب إلى الخوف من الله، والجور أقرب إلى الجسارة عليه، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٩﴾ وَعَدَ اللَّهُ - الذي لا يخلف الميعاد - الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم، وبالثواب العظيم وهو دخول الجنة.

﴿١٠﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الأصل في الطهارة هو استعمال الماء بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر.
- في حال تعذر الحصول على الماء، أو تعذر استعماله لمرض مانع أو برد قارس، يشرع التيمم (بالتراب) لرفع حكم الحدث (الأصغر أو الأكبر).
- الأمر بتوخي العدل واجتناب الجور حتى في معاملة المخالفين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ
الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُنِيمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى
أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

﴿١٠﴾ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أولئك هم أصحاب النار الذين يدخلونها عقوبة على كفرهم وتكذيبهم، ملازمين لها كما يلازم صاحب صاحبه.

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم ما أنعم الله به عليكم من الأمن والقاء الخوف في قلوب أعدائكم حين قصدوا أن يمدوا أيديهم إليكم ليطبشوا بكم ويفتكوا، فصرههم الله عنكم وعصمكم منهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في تحصيل مصالحهم الدينية والدنيوية.

﴿١٢﴾ ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بما سيأتي ذكره قريباً، وأقام عليهم اثني عشر رئيساً، كل رئيس يكون ناظرًا على من تحته، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بالنصر والتأييد إذا أدبتم الصلاة على الوجه الأكمل، وأعطيتكم زكاة أموالكم، وصدقتهم برسلي جميعاً دون تفريق بينهم، وعظمتهمهم، ونصرتهمهم، وأنفقتهم في وجوه الخير، فإذا قمتم بذلك كله لأكفرن عنكم السيئات التي ارتكبتوها، ولأدخلنكم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، فمن كفر بعد أخذ هذا العهد الموثق عليه فقد تنكب طريق الحق عالمًا عامداً.

﴿١٣﴾ فيسبب نقضهم العهد المأخوذ عليهم طردناهم من رحمتنا، وصيرنا قلوبهم غليظة صلبة لا يصل إليها خير، ولا تنفعها موعظة، يُخَرِّقُونَ الكلم عن مواضعه بالتبديل لأنفاظه، وبالتأويل

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُّهُمْ
مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا
بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

لمعانيه بما يوافق أهواءهم، وتركوا العمل ببعض ما دُكِّرُوا به، ولا تزال -أيها الرسول- تكتشف منهم خيانة لله ولعباده المؤمنين، إلا قليلاً منهم وَقُوا بما أخذ عليهم من عهد، فاعف عنهم ولا تؤاخذهم، واصفح عنهم؛ فإن ذلك من الإحسان، والله يحب المحسنين.

﴿١٤﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من عظيم إنعام الله ﷻ على النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه أن حماهم وكف عنهم أيدي أهل الكفر وضررهم.
- أن الإيمان بالرسول ونصرتهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب، سبب عظيم لحصول معية الله تعالى وحدوث أسباب النصر والتمكين والمغفرة ودخول الجنة.
- نقض المواثيق الملزمة بطاعة الرسل سبب لغظة القلوب وقساوتها.
- ذم مسالك اليهود في تحريف ما أنزل الله إليهم من كتب سماوية.

﴿١٤﴾ وكما أخذنا على اليهود عهداً مؤكداً موثقاً أخذنا على الذين زكّوا أنفسهم بأنهم أتباع عيسى عليه السلام، فتركوا العمل بجزء مما ذكروا به، كما فعل أسلافهم من اليهود، وألقينا بينهم الخصومة والكرهية الشديدة إلى يوم القيامة، فأصبحوا متقاتلين متناحرين يُكفّر بعضهم بعضاً، وسوف يخبرهم الله بما كانوا يصنعون، ويجازيهم عليه.

ولما ذكر الله أهل الكتاب وما أخذ عليهم من العهد، ونقضهم لها، أمرهم بالإيمان بمحمد ﷺ، فقال: ﴿١٥﴾ يا أهل الكتاب من اليهود أصحاب التوراة، والنصارى أصحاب الإنجيل، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه من الكتاب المنزل عليكم، ويتجاوز عن كثير من ذلك مما لا مصلحة فيه إلا افتضاحكم، قد جاءكم القرآن كتاباً من عند الله، وهو نور يُستضاء به، وكتاب مبين لكل ما يحتاج إليه الناس في شؤونهم الدنيوية والأخروية.

﴿١٦﴾ يهدي الله بهذا الكتاب من اتبع ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح إلى طرق السلامة من عذاب الله، وهي الطرق الموصلة إلى الجنة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة بإذنه، ويوفّقهم إلى الطريق القويم المستقيم طريق الإسلام.

﴿١٧﴾ لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم، قل لهم - أيها الرسول -: من يقدر أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى ابن مريم ويهلك أمه، ويهلك من في

الأرض كلهم إذا أراد إهلاكهم؟ وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك دلّ ذلك على أنه لا إله إلا الله، وأن الجميع: عيسى بن مريم وأمّه وسائر الخلق هم خلق الله، والله ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، يخلق ما يشاء، وممن شاء خلقه: عيسى عليه السلام، فهو عبده ورسوله، والله على كل شيء قدير.

﴿١٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ترك العمل بمواثيق الله وعهوده قد يوجب وقوع العداوة وإشاعة البغضاء والتنافر والتقاتل بين المخالفين لأمر الله تعالى.
- الرد على النصارى القائلين بأن الله تعالى تجسد في المسيح عليه السلام، وبيان كفرهم وضلال قولهم.
- من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى إن أراد أن يهلك المسيح وأمّه ﷺ وجميع أهل الأرض فلن يستطيع أحد رده، وهذا يثبت تفرده سبحانه بالأمر وأنه لا إله غيره.
- من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى يُذكر بكونه تعالى ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (المائدة: ١٧)، فهو يخلق من الأبوين، ويخلق من أم بلا أب كعيسى عليه السلام، ويخلق من الجماد كحية موسى عليه السلام، ويخلق من رجل بلا أنثى كحواء من آدم عليه السلام.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ آدَكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوْمُ آدَخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُرُوا غِلْبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١١١

﴿١٨﴾ وادَّعى كل من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لماذا يعذبكم الله بالذنوب التي ترتكبونها؟ فلو كنتم أحبائه كما زعمتم لما عذبكم بالقتل والمسخ في الدنيا، وبالنار في الآخرة؛ لأنه لا يعذب من أحب، بل أنتم بشر كسائر البشر، من أحسن منهم جازاه بالجنة، ومن أساء عاقبه بالنار، فالله يغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله، والله وحده ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، وإليه وحده المرجع.

﴿١٩﴾ يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بعد انقطاع من الرسل وشدة الحاجة إلى إرساله؛ لئلا تقولوا معترزين: ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقابه، فقد جاءكم محمد ﷺ مبشرًا بثوابه ومنذرًا بعقابه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ومن قدرته إرسال الرسل، وختمهم بمحمد ﷺ.

﴿٢٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم نعمة الله عليكم حين جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، وجعلكم ملوكًا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين مُستعبدين، وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحدًا من العالمين في زمانكم. ﴿٢١﴾ قال موسى: يا قوم، ادخلوا الأرض المطهرة: (بيت المقدس وما حوله) التي وعدكم الله بدخولها وقتال من فيها من الكافرين، ولا تنهزموا أمام الجبارين، فيكون مآلكم الخسران في الدنيا والآخرة.

﴿٢٢﴾ قال له قومه: يا موسى، إن في الأرض المقدسة قومًا أولي قوة وأولي بأس شديد، وهذا يمنعنا من دخولها، فلن ندخلها ما دام هؤلاء فيها؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة بقتالهم، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون فيها.

﴿٢٣﴾ قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه، أنعم الله عليهما بالتوفيق لطاعته، يحضنان قومهما على امتثال أمر موسى ﷺ: ادخلوا على الجبابرة باب المدينة، فإذا اقتحمتهم الباب، ودخلتموه فإنكم - بإذن الله - ستغلبونهم وثوقًا بسنة الله بترتيب النصر على اتخاذ الأسباب من الإيمان بالله وإعداد الوسائل المادية، وعلى الله وحده اعتمدوا وتوكلوا إن كنتم مؤمنين حقًا، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

﴿٢٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تعذيب الله تعالى لكفرة بني إسرائيل بالمسخ وغيره يوجب إبطال دعوهم في كونهم أبناء الله وأحباؤه.
- التوكل على الله تعالى والثقة به سبب لاستئصال النصر.
- جاءت الآيات لتحذر من الأخلاق الرديئة التي كانت عند بني إسرائيل.
- الخوف من الله سبب لنزول النعم على العبد، ومن أعظمها نعمة طاعته سبحانه.

﴿٢٤﴾ قال قوم موسى من بني إسرائيل مُصْرِيْنَ عَلَى مَخَافَةِ أَمْرِ نَبِيِّهِمْ مُوسَى ﴿٢٥﴾: إِنَّا لَنَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَا دَامَ الْجَبَّارُونَ فِيهَا، فَادْهَبْ أَنْتَ - يَا مُوسَى - وَبِكَ فَقَاتِلَا الْجَبَّارِينَ، أَمَا نَحْنُ فَسَنَبْقَى مُقِيمِينَ فِي مَكَانِنَا مُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْقِتَالِ مَعَكُمْ.

﴿٢٥﴾ قال موسى لربه: يَا رَبِّ لَا سُلْطَانُ لِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِي وَأَخِي هَارُونَ، فَافْصَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْخَارجِينَ عَنْ طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ.

﴿٢٦﴾ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُوسَى ﴿٢٧﴾: إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ دُخُولَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَدَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَضْلُونَ هَذِهِ الْمَدَّةَ فِي الصَّحَرَاءِ حَيَارَى لَا يَهْتَدُونَ، فَلَا تَأْسَفُ - يَا مُوسَى - عَلَى الْقَوْمِ الْخَارجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنْ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ عِقَابٍ هُوَ بِسَبَبِ مَعَاصِيهِمْ وَذُنُوبِهِمْ.

﴿٢٧﴾ وَأَقْصَصَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَى هَؤُلَاءِ الْحَسَدَةِ الظَّالِمِينَ مِنَ الْيَهُودِ خَبَرَ ابْنَيْ آدَمَ، وَهَمَّا قَابِيلُ وَهَابِيلُ، بِالْصِّدْقِ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، حِينَ قَدَّمَ قُرْبَانًا يَتَقَرَّبُ بِهِ كُلُّ مَنِهْمَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَقَبِلَ اللَّهُ الْقُرْبَانَ الَّذِي قَدَّمَهُ هَابِيلُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، وَلَمْ يَقْبَلْ قُرْبَانَ قَابِيلَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، فَاسْتَكْرَقَابِيلُ قَبُولَ قُرْبَانِ هَابِيلِ حَسَدًا، وَقَالَ: لَا قَتْلَكَ يَا هَابِيلُ، فَقَالَ هَابِيلُ: إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ قُرْبَانَ مَنْ اتَّقَاهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ. ﴿٢٨﴾ لَئِنْ مَدَدْتُ يَدَكَ إِلَيَّ تَقْصِدَ قَتْلِي فَلَسْتُ بِمِثْلِ صَنْعِكَ، ذَلِكَ لَيْسَ جَبْنًا مِنِّي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْمَخْلُوقَاتِ.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣١﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ وَكَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوِيلَتُنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٢﴾

الجزء ١٣

١١٢

﴿٣٢﴾ فَقَالَ لَهُ مَرْهَبًا: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ بِإِثْمِ قَتْلِي ظَلَمًا وَعُدْوَانًا إِلَى أَثَامِكَ السَّابِقَةِ، فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ جَزَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَرْجِعَ بِإِثْمِ قَتْلِكَ فَأَكُونَ مِنْهُمْ.

﴿٣٣﴾ فَرِيَّتُ لِقَابِيلَ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسَّوْءِ قَتَلَ أَخِيهِ هَابِيلَ ظَلَمًا فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ النَّاقِصِينَ أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهُمْ فِي دَنِيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ.

﴿٣٤﴾ فَأَرْسَلَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ أَمَامَهُ لِيَدْفِنَ فِيهَا غُرَابًا مِثْلًا؛ لِيَعْلَمَهُ كَيْفَ يَسْتَرِ بَدَنَ أَخِيهِ، قَالَ الْقَاتِلُ أَخَاهُ حِينَئِذٍ: يَا وَيلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ الَّذِي وَارَى الْغُرَابَ الْآخَرَ الْمِثْلَ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي، فَوَارَاهُ حِينَئِذٍ؛ فَأَصْبَحَ مِنَ الْمَتَحَسِّرِينَ.

﴿٣٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَقْبَاتِ:

- مخالفة الرسل توجب العقاب، كما وقع لبني إسرائيل؛ إذ عاقبهم الله تعالى بالنَّهْيِ.
- قصة ابني آدم ظاهرها أن أول ذنب وقع في الأرض - في ظاهر القرآن - هو الحسد والبغى، والذي أدى به للظلم وسفك الدم الحرام الموجب للخسران.
- الندامة عاقبة مرتكبي المعاصي.
- أن من سَنَّ سُنَّةً قَبِيحَةً أَوْ أَشَاعَ قَبِيحًا وَشَجَّعَ عَلَيْهِ، فَإِنْ لَهُ مِثْلُ سَيِّئَاتِهِ مِنْ اتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ.

مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ وَمَنْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا
مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ
مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

١١٣

﴿٣٢﴾ من أجل قتل قابيل أخاه أعلمنا بني إسرائيل أن من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص أو إفساد في الأرض بالكفر أو الجراية، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق عنده بين البريء والجاني. ومن امتنع عن قتل نفس حرّمها الله تعالى معتقدا حرمة قتلها ولم يقتل؛ فكأنما أحيا الناس جميعًا؛ لأن صنيعه فيه سلامتهم جميعًا، ولقد جاءت رسلنا إلى بني إسرائيل بالحجج الواضحة والبراهين الجلية، ومع هذا فإن كثيرًا منهم متجاوزون لحدود الله بارتكاب المعاصي، ومخالفة رسوله. ﴿٣٣﴾ ما عاقبة الذين يحاربون الله ورسوله، ويبايعونه بالعداوة والإفساد في الأرض بالقتل وأخذ الأموال وقطع الطريق؛ إلا أن يُقَتَّلُوا من غير صلب، أو يقتلوا مع الصلب على خشبة ونحوها، أو تقطع يد أحدهم اليمنى مع الرجل اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، أو يغرّبوا في البلاد؛ ذلك العقاب لهم فضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ﴿٣٤﴾ إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين من قبل قدرتهم - يا أيها الأمر - عليهم، فاعلموا أن الله غفور لهم بعد التوبة، رحيم بهم، ومن رحمته بهم إسقاط العقاب عنهم. ﴿٣٥﴾ يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واطلبوا القرب منه بأداء ما أمركم به، والبعد عما نهاكم عنه، واجاهدوا الكفار ابتغاء مرضاته؛ لعلكم تتألون ما تطلبونه، وتجنّبون ما ترهبونه إذا قمتم بذلك. ﴿٣٦﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله، لو قدر أن لكل منهم ملك ما في الأرض جميعًا ومثله معه فقدموه ليفكوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ما قبل منهم ذلك الفداء، ولهم عذاب موعج.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- حرمة النفس البشرية، وأن من صانها وأحياها فكأنما فعل ذلك بجميع البشر، وأن من أ تلف نفسًا بشرية أو أذاها من غير حق فكأنما فعل ذلك بالناس جميعًا.
- عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله ممن يفسدون بالقتل وانتهاب الأموال وقطع الطرق هي: القتل بلا صلب، أو مع الصلب، أو قطع الأطراف من خلاف، أو بتغريبهم من البلاد؛ وهذا على حسب ما صدر منهم.
- توبة المفسدين من المحاربين وقاطعي الطريق قبل قدرة السلطان عليهم توجب العفو.

﴿٢٧﴾ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴿٢٧﴾ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴿٢٨﴾ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴿٢٩﴾ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويعفو من يشاء والله على كل شيء قدير ﴿٣٠﴾ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسرعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقومهم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿٤١﴾

﴿٢٧﴾ يريدون الخروج من النار إذا دخلوها، وأنى لهم ذلك؟ قلن يخرجوا منها، ولهم فيها عذاب دائم. ولما ذكر الله حكم من يجاهر بأخذ أموال الناس يئن حكم من يأخذها خفية وهو السارق، فقال: ﴿٢٨﴾ والسارق والسارقة فاقطعوا أيها الحكام - اليد اليمنى لكل منهما مجازاة لهما وعقوبة من الله على ما ارتكباه من أخذ أموال الناس بغير حق، وترهيبا لهما ولغيرهما، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في تقديره وتشريعه.

﴿٢٩﴾ فمن تاب إلى الله من السرقة، وأصلح عمله، فإن الله يتوب عليه تفضلاً منه؛ ذلك أن الله غفور لذنوب من تاب من عبادته، رحيم بهم، لكن لا يسقط عنهم الحد بالتوبة إذا وصل الأمر إلى الحكام. ﴿٣٠﴾ لقد علمت - أيها الرسول - أن الله له ملك السموات والأرض يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه يعذب من يشاء بعدله، ويفغر لمن يشاء بفضله، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٤١﴾ يا أيها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في إظهار أعمال الكفر ليغيظوك من المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر. ولا يحزنك اليهود الذين يصنعون لكذب كبارهم ويقبلونه، مقلدين لزعمائهم الذين لم يأتوك إعراساً منهم عنك، يُبدّلون كلام الله في التوراة بما يوافق أهواءهم، يقولون لأتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالفها فاحذروا منه، ومن يرد الله إضلاله من الناس فلن تجد - أيها الرسول - من يدفع عنه الضلال ويهديه إلى سبيل الحق، أولئك المتصفون بهذه الصفات من اليهود والمنافقين هم الذين لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر، لهم في الدنيا خزي وعار، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهو عذاب النار.

﴿٤١﴾ من قوايد الآيات:

- حكمة مشروعية حد السرقة: ردع السارق عن التعدي على أموال الناس، وتخويف من عداه من الوقوع في مثل ما وقع فيه.
- قبول توبة السارق ما لم يبلغ السلطان وعليه إعادة ما سرق، فإذا بلغ السلطان وجب الحكم، ولا يسقط بالتوبة.
- يحسن بالداعية إلى الله ألا يحمل همًا وغمًا بسبب ما يحصل من بعض الناس من كُفر ومكر وتأمّر؛ لأن الله تعالى يبطل كيد هؤلاء.
- حرص المنافقين على إغالة المؤمنين بإظهار أعمال الكفر مع ادعائهم الإسلام.

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ فَيَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الدِّينِ كَمَا خَرَجَهُمْ مِنْهُ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنْ كَانُوا لَا يَفْقَهُوا دِينَ اللَّهِ فَالْيَوْمِئَظْ يَسْأَلُ اللَّهُ النَّبِيَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٤٢

وَعِنْدَهُمْ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٣

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ٤٤

وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٤٥

٤٢ هؤلاء اليهود كثيرو الاستماع للكذب، كثيرو الأكل للمال الحرام كالربا، فإن تحاكموا إليك - أيها الرسول - فافصل بينهم إن شئت، أو اترك الفصل بينهم إن شئت، فأنت مُخَيَّر بين الأمرين، وإن تركت الفصل بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء، وإن فصلت بينهم فافصل بينهم بالعدل، وإن كانوا ظلمة وأعداء، إن الله يحب العادلين في حكمهم، ولو كان المتحاكمون أعداء للحاكم.

٤٣ وَإِنْ أَمَرَ هَؤُلَاءَ لِعَجَب، فهُمْ يَكْفُرُونَ بِكَ، وَيَتَحَاكَمُونَ إِلَيْكَ طَمَعًا فِي حُكْمِكَ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَهُمْ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ الَّتِي يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ بِهَا، فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ، ثُمَّ يَعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِكَ إِذَا لَمْ يُوَافِقِ أَهْوَاءَهُمْ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ بِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ حُكْمِكَ، وَمَا صَنِيعَ هَؤُلَاءَ بِصَنِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلْيَسُوا إِذَنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ.

٤٤ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى فِيهَا إِرْشَادٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى الْخَيْرِ، وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ، يَحْكُمُ بِهَا أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ انْقَادُوا لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَيَحْكُمُ بِهَا الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ الَّذِينَ يُرَبُّونَ النَّاسَ لِمَا اسْتُحْفِظَهُمُ اللَّهُ عَلَى كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُمْ أَمْنَاءَ عَلَيْهِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، وَهُمْ شُهَدَاءُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَإِلَيْهِمْ يَرْجِعُ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ، فَلَا تَخَافُوا - أَيُّهَا الْيَهُودَ - النَّاسَ وَخَافُونِي وَحْدِي، وَلَا تَأْخُذُوا بِدَلَالَةٍ مِنَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ رِئَاسَةٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْوَحْيِ مُسْتَحِلًّا ذَلِكَ، أَوْ مَفْضُلًا عَلَيْهِ غَيْرِهِ، أَوْ مُسَاوِيًا لَهُ مَعَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا.

٤٥ وَفَرْضْنَا عَلَى الْيَهُودِ فِي التَّوْرَةِ أَنْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مَتَعَمَّدًا بِغَيْرِ حَقِّ قَتَلٍ بِهَا، وَمَنْ قَتَلَ عَيْنًا مَتَعَمَّدًا قُلَعَتْ عَيْنُهُ، وَمَنْ جَدَعَ أَنْفًا مَتَعَمَّدًا جُدِعَ أَنْفُهُ، وَمَنْ قَطَعَ أذنًا مَتَعَمَّدًا قُطِعَتْ أذُنُهُ، وَمَنْ قَتَلَ سَنًا مَتَعَمَّدًا قُلَعَتْ سَنَتُهُ، وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ فِي الْجُرُوحِ يُعَاقَبُ الْجَانِي بِمِثْلِ جَنَائِيَّتِهِ، وَمَنْ تَطَوَّعَ بِالْعَفْوِ عَنِ الْجَانِي كَانَ عَفْوُهُ كَفَّارَةً لِدُنُوبِهِ: لِعَفْوِهِ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِ الْقِصَاصِ وَفِي شَأْنِ غَيْرِهِ، فَهُوَ مُتَجَاوِزٌ لِحُدُودِ اللَّهِ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تعداد بعض صفات اليهود، مثل الكذب وأكل الربا ومحبة التحاكم لغير الشرع؛ لبيان ضلالهم وللتحذير منها.
- بيان شرعة القصاص العادل في الأنفس والجراحات، وهي أمر فرضه الله تعالى على من قبلنا.
- الحث على فضيلة العفو عن القصاص، وبيان أجرها العظيم المتمثل في تكفير الذنوب.
- التهيب من الحكم بغير ما أنزل الله في شأن القصاص وغيره.

﴿٤٦﴾ وَأَتْبَعْنَا آثَارَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُؤْمِنًا بِمَا فِي التَّوْرَةِ،
وَحَاكِمًا بِهَا، وَأَعْطَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ مُشْتَمَلًا
عَلَى الْهَدَايَةِ لِلْحَقِّ، وَعَلَى مَا يَزِيلُ
الشُّبُهَاتِ مِنَ الْحُجُجِ، وَيَحُلُّ الْمَشْكَلاتِ
مِنَ الْأَحْكَامِ، وَمُوَافِقًا لِمَا نَزَلَ مِنْ قَبْلِهِ
مِنَ التَّوْرَةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ مِمَّا نَسَخَهُ مِنْ
أَحْكَامِهَا، وَجَعَلْنَا الْإِنْجِيلَ هُدًى يَهْتَدِي
بِهِ الْمُتَّقُونَ، وَزَاجِرًا عَنِ ارْتِكَابِ مَا
حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿٤٧﴾ وَلَيُؤْمِنَنَّ النَّصَارَى بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَلِيَحْكُمُوا بِهِ - فِيمَا
جَاءَ بِهِ مِنْ صَدَقٍ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ
إِلَيْهِمْ - وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ،
التَّارِكُونَ لِلْحَقِّ، الْمَائِلُونَ إِلَى الْبَاطِلِ.
وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَدَحَهُمَا، ذَكَرَ الْقُرْآنَ وَمَدَحَهُ فَقَالَ:

﴿٤٨﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -
الْقُرْآنَ بِالْصِّدْقِ الَّذِي لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ
أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ
مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ، وَمُؤْتَمِّنًا عَلَيْهَا،
فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا خَالَفَهُ
فَهُوَ بَاطِلٌ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِيهِ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
الَّتِي أَخَذُوا بِهَا، تَارِكًا مَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ
مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَقَدْ جَعَلْنَا
لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرِيعَةً مِنَ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَةِ
وَطَرِيقَةً وَاضِحَةً يَهْتَدُونَ بِهَا، وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ تَوْحِيدَ الشَّرَائِعِ لَوَحَّدَهَا، وَلَكِنَّهُ
جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرِيعَةً؛ لِيُخْتَبَرِ الْجَمِيعُ
فِيظْهَرُ الْمَطْبُوعُ مِنَ الْعَاصِي، فَسَارَعُوا
إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ،
فَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ رُجُوعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَسَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِيهِ،
وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ.

﴿٤٩﴾ وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَتَّبِعْ آرَاءَهُمُ النَّابِعَةَ مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَاحْذَرَهُمْ أَنْ يَضْلُوكَ
عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَلَنْ يَأْتُوا جَهْدًا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ
يُعَاقِبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ عَقُوبَةً دُنْيَوِيَّةً، وَيُعَاقِبَهُمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ لَخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.
﴿٥٠﴾ يُعْرَضُونَ عَنْ حُكْمِكَ طَالِبِينَ حُكْمَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ تَبَعًا لِأَهْوَاءِهِمْ؛ فَلَا أَحَدٌ أَحْسَنَ حُكْمًا مِنْ
اللَّهِ عِنْدَ أَهْلِ الْيَقِينِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ مَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ، لَا أَهْلَ الْجَهْلِ وَالْأَهْوَاءِ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ وَإِنْ كَانَ
بَاطِلًا.

﴿٥١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الْأَنْبِيَاءُ مُتَّفِقُونَ فِي أَصُولِ الدِّينِ مَعَ وَجُودِ بَعْضِ الْفُرُوقِ بَيْنَ شَرَائِعِهِمْ فِي الْفُرُوعِ.
- وَجُوبُ تَحْكِيمِ شَرْعِ اللَّهِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا عَدَاهُ مِنَ الْأَهْوَاءِ.
- ذَمُّ التَّحَاكُمِ إِلَى أَحْكَامِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَعْرَافِهِمْ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ
نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ
فِيَصِيبُكُمْ عَلَىٰ مَا أَسْرَأْتُمْ أَنْفُسُكُمْ فَتَمُنُّ مِنْكُمْ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا
أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةً لَئِيمَةً ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَآتَوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

﴿٥١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، لا تجعلوا من اليهود والنصارى حلفاء وأصفياء توالونهم، فاليهود إنما يوالون أهل ملتهم، والنصارى إنما يوالون أهل ملتهم، وكلما الفريقين تجمعهم معاداتكم، ومن يتولهم منكم فإنه في عدادهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين بسبب موالاتهم للكفار.

﴿٥٢﴾ فتري - أيها الرسول - المنافقين ضعفاء الإيمان يبادرون إلى موالاته اليهود والنصارى قائلين: نخاف أن يظفر هؤلاء، وتكون لهم الدولة فينالنا منهم مكروه، فلعل الله يجعل الظفر لرسوله وللمؤمنين، أو يأتي بأمر من عنده تدفع به صولة اليهود ومن يواليهم، فيصبح المسارعون إلى موالاتهم نادمين على ما أخفوه من النفاق في قلوبهم؛ لبطلان ما تعلقوا به من أسباب واهية.

﴿٥٣﴾ ويقول المؤمنون متعجبين من حال هؤلاء المنافقين: أهؤلاء الذين حلفوا مؤكدين أيمانهم: إنهم لمعكم - أيها المؤمنون - في الإيمان والنصرة والموالاتة؟! بطلت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين بفوات مقصودهم، وما أعد لهم من عذاب.

﴿٥٤﴾ يا أيها الذين آمنوا، من يرجع منكم عن دينه إلى الكفر فسوف يأتي الله بقوم بدلا منهم يحبهم ويحبونه لاستقامتهم، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون تعنيف من يعنفهم؛ لتقديهم رضا الله على رضا المخلوقين، ذلك من عطاء الله الذي يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل

والإحسان، عليم بمن يستحق فضله فيمنحه إياه، ومن لا يستحقه فيحرمه.

ولما نهى الله عن موالاته اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، أخبر بمن يتبعين على المؤمنين موالاتهم، فقال:

﴿٥٥﴾ ليس اليهود ولا النصارى ولا غيرهم من الكفار، أولياءكم، بل إن وليكم وناصركم الله ورسوله، والمؤمنون الذين يؤدون الصلاة كاملة، ويعطون زكاة أموالهم وهم خاضعون لله أذلاء.

﴿٥٦﴾ ومن يتول الله ورسوله والمؤمنين بالنصرة فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون؛ لأن الله ناصرهم.

﴿٥٧﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الذين يسخرون من دينكم، ويتلاعبون به من الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى والمشركين حلفاء وأصفياء، واتقوا الله باجتنب ما نهاكم عنه من موالاتهم إن كنتم مؤمنين به، وبما أنزله عليكم.

﴿٥٨﴾ من قوايد الآيات،

- التنبيه على عقيدة الولاء والبراء التي تلخص في الموالاته والمحبة لله ورسوله والمؤمنين، وبغض أهل الكفر وتجنب محبتهم.
- من صفات أهل النفاق: موالاته أعداء الله تعالى.
- التخاذل والتقصير في نصرة الدين قد ينتج عنه استبدال المَقْصَر والإتيان بغيره، ونزع شرف نصرة الدين عنه.
- التحذير من الساخرين بدين الله تعالى من الكفار وأهل النفاق، ومن موالاتهم.

وكذلك يسخرون ويلعبون إذا أدّنتُم للصلاة التي هي أعظم قربة، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون عن الله معاني عبادته وشرائعه التي شرعها للناس.

٥٨ قل - أيها الرسول - للمستهزئين من أهل الكتاب: هل تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وبما أنزل على من قبلنا، وإيماننا أن أكثركم خارجون عن طاعة الله بتركهم للإيمان وامتنال الأوامر! فما تعيبونه علينا مخدّعة لنا، وليس مدّة.

٥٩ قل - أيها الرسول -: هل أخبركم بمن هم أولى بالعب، وأشدّ عقابًا من هؤلاء، إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، وغضب عليهم، وصيّرهم بعد المسخ قردة وخنازير، وجعل منهم عبّادًا للطاغوت، والطاغوت هو كل من يُعبد من دون الله راضيًا، أولئك المذكورون شر منزلة يوم القيامة، وأضل سعيًا عن الطريق المستقيم.

٦٠ وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - المنافقون منهم أظهروا لكم الإيمان نفاقًا منهم، والواقع أنهم عند دخولهم وخروجهم مُتلبّسون بالكفر لا ينفكون عنه، والله أعلم بما يُضمرونه من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم، وسيجازيهم على ذلك.

٦١ وترى - أيها الرسول - كثيرًا من اليهود والمنافقين يُبادرون إلى ارتكاب المعاصي مثل الكذب والاعتداء على الآخرين بظلمهم وأكل أموال الناس بالحرّام، ساء ما يعملون.

٦٢ هَلَا يَزِرْهُمْ أَلَمُتْهُمْ وَعِلْمَاؤُهُمْ عَمَّا يَسَارِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِ الْكُذْبِ

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَلَعِبَاءَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ٥٨ قُلْ يَا هَلْ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ٥٩ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ٦٠ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُهُ آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ٦١ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ٦٢ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ٦٣ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِيَاسَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَدَاةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ٦٤

وشهادة الزور وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيع أئمتهم وعلماؤهم الذين لا يتهنونهم عن المنكر.

٦٤ وقالت اليهود لما أصابهم جَهْدٌ وَجَدَبٌ: يد الله مقبوضة عن بذل الخير والعطاء، أمسك عنا ما عنده، ألا حُسِبَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْعَطَاءِ، وطُردوا من رحمة الله بقولهم هذا، بل يدها مَبْسُوطَتَانِ بالخير والعطاء، ينفق كيف يشاء، يبسط ويقبض، لا حاجر عليه ولا مُكرِه له، ولا يزيد اليهود ما أنزل إليك - أيها الرسول - إلا تجاوزًا للحد وجحودًا؛ ذلك لما هم عليه من الحسد، وألقينا بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء، كلما جمعوا للحرب، وأعدوا لها عدة، أو تأمروا لإشعالها شَتَّتَ اللَّهُ جَمْعَهُمْ، وأذهب قوتهم، ولا يزالون يجتهدون في ارتكاب ما فيه فساد في الأرض من السعي لإبطال الإسلام والكيد له، والله لا يحب أهل الفساد.

٦٥ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ذمُّ العالم على سكوته عن معاصي قومه وعدم بيانه لمنكراتهم وتحذيرهم منها.
- سوء أدب اليهود مع الله تعالى، وذلك لأنهم وصفوه سبحانه بأنه مغلول اليد، حابس للخير.
- إثبات صفة اليمين، على وجه يليق بذاته وجلاله وعظيم سلطانه.
- الإشارة لما وقع فيه بعض طوائف اليهود من الشقاق والاختلاف والعداوة بينهم نتيجة لكفرهم وميلهم عن الحق.

﴿٦٥﴾ ولو أن اليهود والنصارى آمنوا بما جاء به محمد ﷺ، وأنفقوا الله باجتناّب المعاصي، فكفّرنا عنهم المعاصي التي ارتكبوها ولو كانت كثيرة، ولأدخلناهم يوم القيامة جنة النعيم، يتمتعون بما فيها من نعيم لا ينقطع.

﴿٦٦﴾ ولو أن اليهود عملوا بما في التوراة، وأن النصارى عملوا بما في الإنجيل، وعملوا جميعاً بما أنزل عليهم من القرآن - ليسرّك لهم أسباب الرزق من إنزال المطر وإنبات الأرض، ومن أهل الكتاب المعتدل الثابت على الحق، والكثير منهم ساء عمله لعدم إيمانهم.

﴿٦٧﴾ يا أيها الرسول أخبر بما أنزل إليك من ربك كاملاً، ولا تكتّم منه شيئاً، فإن كتمت منه شيئاً فما أنت بمبلغ رسالة ربك (وقد بلغ رسول الله ﷺ كل ما أمر بتبليغه، فمن زعم خلاف ذلك فقد أعظم الفرية على الله)، والله يحملك من الناس بعد اليوم، فلا يستطيعون الوصول إليك بسوء، فما عليك إلا البلاغ، والله لا يوفق للرشد الكافرين الذين لا يريدون الهداية.

﴿٦٨﴾ قل - أيها الرسول -: لستم - أيها اليهود والنصارى - على شيء من الدين المعتدّ به حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وتعملوا بما أنزل عليكم من القرآن الذي لا يصحّ إيمانكم إلا بالإيمان به، والعمل بما فيه، وليزيدنّ كثيراً من أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك طغياناً إلى طغيان، وكفراً إلى كفر؛ لما هم عليه من الحسد، فلا تأسف على هؤلاء الكافرين، وفيمن اتبعك من المؤمنين غنية وكفاية.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْ مَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٧١﴾ إن المؤمنين واليهود والصابئين - وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء - والنصارى، من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿٧٢﴾ لقد أخذنا العهود المؤكدة على بني إسرائيل بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم رسلاً لتبليغهم شرع الله، فنقضوا ما أخذ عليهم من الميثاق واتبعوا ما تمليه أهواؤهم من الإعراض عما جاءتهم به رسلهم، ومن تكذيبهم بعضاً وقتلهم بعضاً.

﴿٧٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- العمل بما أنزل الله تعالى سبب لتكفير السيئات ودخول الجنة وسعة الأرزاق.
- توجيه الدعاة إلى أن التبليغ المعتدّ به والمُبرئ للذمة هو ما كان كاملاً غير منقوص، وفي ضوء ما ورد به الوحي.
- لا يُعْتَدَ بأي معتد ما لم يُقَمَّ صاحبه دليلاً على أنه من عند الله تعالى.

﴿٧١﴾ وظنوا أن نقضهم للعهود والمواثيق، وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء لا يترتب عليه ضرر بهم، فترتب عليه ما لم يظنوه، فعموا عن الحق، فلا يهتدون إليه، وصموا عن سماعه سماع قبول، ثم تاب الله عليهم تفضلاً منه، ثم عموا بعد ذلك عن الحق، وصموا عن سماعه، حدث ذلك لكثير منهم، والله بصير بما يعملونه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم عليه.

﴿٧٢﴾ لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم؛ لنسبتهم الألوهية لغير الله، مع أن المسيح بن مريم نفسه قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدا الله وحده، فهو ربي وربكم، فتحن في عبوديته سواء، ذلك أن من يشرك بالله غيره فإن الله قد منع عليه دخول الجنة أبداً، ومستقره نار جهنم، وما له ناصر عند الله ولا معين، ولا منقذ ينقذه مما ينظره من العذاب.

﴿٧٣﴾ لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مؤلف من ثلاثة، هم: الأب والابن وروح القدس، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فليس الله بمتعدد، إنما هو إله واحد لا شريك له، وإن لم يكفوا عن هذه المقالة الشنيعة لَيَنَالَنَّهُمْ عذاب موجع.

﴿٧٤﴾ أفلا يرجع هؤلاء عن مقالتهم هذه تائبين إلى الله منها، ويطلبون منه المغفرة على ما ارتكبوها من الشرك به؟! والله غفور لمن تاب من أي ذنب كان، ولو كان الذنب الكفر به، رحيم بالمؤمنين.

﴿٧٥﴾ ليس المسيح عيسى بن مريم إلا رسولاً من بين الرسل، يجري عليه

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا شَرَّتَابَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ وَصِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ فَانْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ إِلَىٰ يَوْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُونِ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَهُ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

ما جرى عليهم من الموت، وأمه مريم عليها السلام كثيرة الصدق والتصديق، وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فكيف يكونان إلهين مع حاجتهما للطعام؟! فانظر - أيها الرسول - نظر تأمل: كيف نوضح لهم الآيات الدالة على الوحدانية، وعلى بطلان ما هم عليه من المغالاة في نسبة الألوهية لغيره سبحانه، وهم مع ذلك يتكبرون لهذه الآيات، ثم انظر نظر تأمل: كيف يُصَرِّفُونَ عن الحق صرفاً مع هذه الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله. ﴿٧١﴾ قل - أيها الرسول - مُحْتَجًّا عليهم في عبادتهم لغير الله: أتعبدون ما لا يجلب لكم نفعاً، ولا يدفع عنكم ضرراً؟! فهو عاجز، والله منزّه عن العجز، والله هو وحده السميع لأقوالكم، فلا يفوته منها شيء، العليم بأفعالكم، فلا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها. ﴿٧٢﴾ قل - أيها الرسول - للنصارى: لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتكم به من اتباع الحق، ولا تبالغوا في تعظيم من أمرتكم بتعظيمه - مثل الأنبياء - فتعتقدوا فيهم الألوهية كما فعلتم بعيسى بن مريم، بسبب اقتدائكم بأسلافكم من أهل الضلال الذين أضلوا كثيراً من الناس، وضلوا عن طريق الحق.

﴿٧٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• بيان كفر النصارى في زعمهم ألوهية المسيح ﷺ، وبيان بطلانها، والدعوة للتوبة منها. • من أدلة بشرية المسيح وأمه: أكلهما للطعام، وفعل ما يترتب عليه. • عدم القدرة على كف الضر وإيصال النفع من الأدلة الظاهرة على عدم استحقاق المعبودين من دون الله للألوهية: كونهم عاجزين. • النهي عن الغلو وتجاوز الحد في معاملة الصالحين من خلق الله تعالى.

يخبر الله سبحانه أنه طرد الكافرين من بني إسرائيل من رحمته في الكتاب الذي أنزله على داود وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى بن مريم وهو الإنجيل، ذلك الطرد من الرحمة بسبب ما ارتكبه من المعاصي والاعتداء على حُرِّمات الله.

كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن ارتكابه المعصية، بل يجاهر العصاة منهم بما يقترفونه من المعاصي والمنكرات؛ لأنه لا مُنْكَر يُنْكَر عليهم، لئسَّ ما كانوا يفعلون من ترك النهي عن المنكر.

شاهد - أيها الرسول - كثيراً من الكفرة من هؤلاء اليهود يحبون الكافرين ويميلون إليهم، ويعادونك ويعادون الموحدين، ساء ما يُقْدِمُونَ عليه من موالاتهم الكافرين، فإنها سبب غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبداً.

ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقاً، ويؤمنون بنبِيِّه، ما جعلوا من المشركين أولياء يحبونهم ويميلون إليهم دون المؤمنين؛ لأنهم نُهَو عن اتخاذ الكافرين أولياء، ولكن كثيراً من هؤلاء اليهود خارجون عن طاعة الله وولايته، وولاية المؤمنين.

لتجدن - أيها الرسول - أعظم الناس عداوة للمؤمنين بك، وبما جئت به اليهود؛ لما هم عليه من الحقد والحسد والكبر، وعبدة الأصنام، وغيرهم من المشركين بالله، ولتجدن أقربهم محبة للمؤمنين بك، وبما جئت به الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم

نصارى، وقرب مودة هؤلاء للمؤمنين لأن منهم علماء وعبَّاداً، وأنهم متواضعون، غير متكبرين؛ لأن التكبر لا يصل الخير إلى قلبه. وهؤلاء - كالنجاشي وأصحابه - قلوبهم لئنة، حيث إنهم سيكون خشوعاً عند سماع ما أنزل من القرآن لما عرفوا أنه من الحق؛ لمعرفتهم بما جاء به عيسى عليه السلام، يقولون: يا ربنا آمنا بما أنزلت على رسولك محمد ﷺ، فاكتبنا - يا ربنا - مع أمة محمد ﷺ التي تكون حجة على الناس يوم القيامة.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب للعن والطرد من رحمة الله تعالى.

● من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.

● موالات أعداء الله توجب غضب الله ﷻ على فاعلها.

● شدة عداوة اليهود والمشركين لأهل الإسلام، وفي المقابل وجود طوائف من النصارى يدينون بالمودة للإسلام؛ لعلهم أنه دين الحق.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ *لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

لأن التكبر لا يصل الخير إلى قلبه. وهؤلاء - كالنجاشي وأصحابه - قلوبهم لئنة، حيث إنهم سيكون خشوعاً عند سماع ما أنزل من القرآن لما عرفوا أنه من الحق؛ لمعرفتهم بما جاء به عيسى عليه السلام، يقولون: يا ربنا آمنا بما أنزلت على رسولك محمد ﷺ، فاكتبنا - يا ربنا - مع أمة محمد ﷺ التي تكون حجة على الناس يوم القيامة.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب للعن والطرد من رحمة الله تعالى.

● من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.

● موالات أعداء الله توجب غضب الله ﷻ على فاعلها.

● شدة عداوة اليهود والمشركين لأهل الإسلام، وفي المقابل وجود طوائف من النصارى يدينون بالمودة للإسلام؛ لعلهم أنه دين الحق.

﴿٨٤﴾ وأي سبب يحول بيننا وبين الإيمان بالله وما أنزله من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟ ونحن نرجو دخول الجنة مع الأنبياء وأتباعهم المطيعين لله الخائفين من عذابه. ﴿٨٥﴾ فجازاهم الله على إيمانهم واعترفهم بالحق جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها ما كنين فيها أبداً، وذلك جزاء المحسنين في اتباعهم للحق واتباعهم له دون قيد أو شرط.

﴿٨٦﴾ والذين كفروا بالله وبرسوله، وكذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسوله، أولئك الملازمون للنار المتأججة، لا يخرجون منها أبداً. ﴿٨٧﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تحرموا المستلذات المباحة من المأكول والمشارب والمناكح، لا تحرموها تزهداً أو تعبداً، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله عليكم، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده، بل يبغضهم. ﴿٨٨﴾ وكلوا مما يسوقه الله إليكم من رزقه حال كونه حلالاً طيباً، لا إن كان حراماً كالماخوذ غصباً أو مُستخبئاً، واتقوا الله بامتنال أوامرهِ واجتناب نواهيه، فهو الذي تؤمنون به، وإيمانكم به يوجب عليكم أن تتقوه.

﴿٨٩﴾ لا يحاسبكم الله - أيها المؤمنون - بما يجري على ألسنتكم من الخلف من غير قصد، وإنما يحاسبكم بما عزمتم عليه، وعقدتم القلوب عليه وحنثتم، فيمحو عنكم إثم ما عزمتم عليه من إيمان ونطقتموه إذا حنثتم أحد ثلاثة أشياء على التخيير هي: إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام أهل بلدكم، لكل مسكين نصف

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُوَاقِظُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُوَاقِظُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

﴿١٢٢﴾

صاع، أو كسوتهم بما يُعتبر عَرَفًا كسوة، أو إعتاق رقبة مؤمنة، فإذا لم يجد المكفر عن يمينه أحد هذه الأشياء الثلاثة كفر عنها بصيام ثلاثة أيام، ذلك المذكور هو كفارة إيمانكم - أيها المؤمنون - إذا أقسمتم بالله وحنثتم، وصونوا إيمانكم عن الحلف بالله كذباً، وعن كثرة القسم بالله، وعن عدم الوفاء بالقسم ما لم يكن عدم الوفاء خيراً، فافعلوا الخير، وكفروا عن إيمانكم، كما بيّن الله لكم كفارة اليمين يبيّن الله لكم أحكامه المبنية للحلال والحرام، لعلكم تشكرون الله على أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

﴿٩٠﴾ يا أيها الذين آمنوا، إنما المُسكر الذي يذهب العقل، والقمار المشتمل على عوض من الجانبين، والحجارة التي يدبج عندها المشركون تعظيماً لها أو ينصبونها لعبادتها، والقِدَاح التي كانوا يطلبون بها ما قسم لهم من الغيب، كل ذلك إثم من تزوين الشيطان، فابتعدوا عنه لعلكم تموزون بحياة كريمة في الدنيا وبنعيم الجنة في الآخرة.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الأمر بتوخي الطيب من الأرزاق وترك الخبيث.
- عدم المؤاخذه على الحلف عن غير عزم للقلب، والمؤاخذه على ما كان عن عزم القلب ليفعل أو لا يفعل.
- بيان أن كفارة اليمين: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة مؤمنة، فإذا لم يستطع المكفر عن يمينه الإتيان بواحد من الأمور السابقة، فليكفر عن يمينه بصيام ثلاثة أيام.
- قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾ هي آخر آية نزلت في الخمر، وهي نص في تحريمه.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشْيَءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ وَالْغَيْبُ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُ صِيَامًا لِّذَوْقٍ وَبِالْأَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿٩١﴾ إنما يقصد الشيطان من تزيين المسكر والقمار إيقاع العداوة والبغضاء بين القلوب، والصرف عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم - أيها المؤمنون - تاركون هذه المنكرات؟ لا شك أن ذلك هو اللائق بكم، فانتهاوا. ﴿٩٢﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول بامتنال ما أمر الشرع به، واجتناب ما نهى عنه، واحذروا من المخالفة، فإن أعرضتم عن ذلك فاعلموا أنما على رسولنا التبليغ لما أمره الله بتبليغه، وقد بلغ، فإن اهتديتم فلا تنفكوا، وإن أسأتم فعليها.

ولما نزل تحريم الخمر تمنى بعض المؤمنين معرفة حال إخوانهم الذين ماتوا مسلمين قبل تحريمها؛ فنزلت الآية التالية:

﴿٩٣﴾ ليس على الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة تقرباً إليه؛ ثم فيما تناولوه من الخمر قبل تحريمها، إذا اجتنبوا المحرمات، متقين سخط الله عليهم، مؤمنين به، قائمين بالأعمال الصالحة، ثم ازدادوا مراقبة لله حتى أصبحوا يبعدونه كأنهم يرونه، والله يحب الذين يبعدونه كأنهم يرونه؛ لما هم فيه من استشعار رقابة الله الدائمة، وذلك ما يقود المؤمن إلى إحسان عمله وإتقانه.

﴿٩٤﴾ يا أيها الذين آمنوا، ليختبرنكم الله بشيء يسوقه إليكم من الصيد البري وأنتم مُحْرَمُونَ، تتناولون الصغار منه بأيديكم، والكبار برماحكم، ليعلم الله - علم ظهورٍ يحاسب عليه العباد - من يخافه بالغيب لكمال إيمانه بعلم الله، فيمسك عن الصيد خوفاً من خالقه الذي لا يخفى عليه عمله، فمن تجاوز

الحد، واصطاد وهو مُحْرَمٌ بجح أو عمرة فله عذاب موجه يوم القيامة؛ لارتكابه ما نهى الله عنه.

﴿٩٥﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تقتلوا الصيد البري وأنتم مُحْرَمُونَ بجح أو عمرة، ومن قتله منكم متعمداً فعليهِ جزاء مماثل لما قتله من الصيد من الإبل أو البقر أو الغنم، يحكم به رجلان متصفان بالعدالة بين المسلمين، وما حكما به يُفَعَّلُ به ما يُفَعَّلُ بالهدي من الإرسال إلى مكة وذبحه في الحرم، أو قيمة ذلك من الطعام تُدْفَعُ لفقراء الحرم، لكل فقير نصف صاع، أو صيام يوم مقابل كل نصف صاع من الطعام، كل ذلك ليدوق قاتل الصيد عاقبة ما أقدم عليه من قتله. تجاوز الله عما مضى من قتل صيد الحرم وقتل المحرم صيد البر قبل تحريمه، ومن عاد إليه بعد التحريم انتقم الله منه بأن يعذبه على ذلك، والله قوي منيع، ومن قوته أنه ينتقم ممن عصاه إن شاء، لا يمنعه منه مانع.

﴿٩٦﴾ من قوايد الآيات:

- عدم مؤاخذه الشخص بما لم يُحْرَمْ أو لم يبلغه تحريمه.
- تحريم الصيد على المحرم بالحج أو العمرة، وبيان كفارة قتله.
- من حكمة الله ﷻ في التحريم: ابتلاء عباده، وتمحيصهم، وفي الكفارة: الردع والزجر.

أَحْلَ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ ۖ مَتَّعَالَكُمْ وَلَلْسَّيَّارَةُ
وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْدَةَ ذَلِكُمْ لِنَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِي اللَّهُ يَأُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن
أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَشُومُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْءَانُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ
اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَثْرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

١٢٤

﴿٩٦﴾ أَحْلَ اللَّهُ لَكُمْ صَيْدَ الْحَيَوَانَاتِ
المائية، وما يقذفه البحر لكم حياً أو
ميتاً منفعة لمن كان منكم مقيماً أو
مسافراً يتزود به، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ
البر ما دمتهم محرمين بحج أو عمرة،
واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب
نواهيه، فهو الذي إليه وحده ترجعون
يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.
﴿٩٧﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قياماً للناس، به تقوم مصالحهم
الدينية من الصلاة والحج والعمرة،
ومصالحهم الدنيوية بالأمن في الحرم
وجباية ثمرات كل شيء إليه، وجعل
الأشهر الحرم وهي: (ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ورجب) قياماً لهم
بأمنهم فيها من قتال غيرهم لهم،
والهدي والقلائد المُشْعَرَة بأنها
مسوقة إلى الحرم قياماً لهم بأمن
أصحابها من التعرض لهم بأذى، ذلك
الذي من الله به عليكم لتعلموا أن الله
يعلم ما في السماوات وما في الأرض،
وأن الله بكل شيء عليم، فإن تشريع
لذلك - لجلب المصالح لكم ودفع
المضار عنكم قبل حصولها - دليل
على علمه بما يصلح للعباد.

﴿٩٨﴾ اَعْلَمُوا - أيها الناس - أن الله
شديد العقاب لمن عصاه، وغفور لمن
تاب، رحيم به.

﴿٩٩﴾ ليس على الرسول إلا تبليغ ما أمره
الله بتبليغه، فليس عليه توفيق الناس
إلى الهداية، فذلك بيد الله وحده،
والله يعلم ما تظهورونه، وما تخفونه
من الهداية أو الضلال، وسيجازيكم
على ذلك.

﴿١٠٠﴾ قل - أيها الرسول -: لا يستوي
الخبيث من كل شيء مع الطيب من كل

شيء، ولو أعجبك كثرة الخبيث، فإن كثرت له تدل على فضله، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بترك الخبيث وفعل الطيب لعلكم
تفوزون بالجنة. ﴿١٠١﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تسألوا رسولكم عن أشياء لا حاجة لكم بها، وليست مما يعينكم على أمر دينكم، إن
تظهر لكم تشومكم لما فيها من المشقة، وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي تهيمت عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على الرسول تبين
لكم، وذلك على الله يسير، فقد تجاوز الله عن أشياء سكنت عنها القرآن، فلا تسألوا عنها، فإنكم إن سألتهم عنها نزل عليكم التكليف
بحكمها، والله غفور لذنوب عباده إذا تابوا، حلیم عن أن يعاقبهم بها. ﴿١٠٢﴾ قد سأل عن مثلها قوم ممن سبقوكم، فلما كلفوا بها لم
يعملوا بها، فأصبحوا كافرين بسببها. ﴿١٠٣﴾ أحل الله الأنعام، فلم يحرم منها ما حرمه المشركون على أنفسهم لأصنامهم من البحيرة
وهي الناقة التي تقطع أذننها إذا أنجبت عدداً معيناً، والسائبة وهي الناقة التي إذا بلغت سنّاً معينة تترك لأصنامهم، والوصيلة وهي
الناقة التي تصل إنجاب أنثى بأنثى، والحامي وهو فحل الإبل إذا نتج عدد من الإبل من صلبه، لكن الكفار زعموا كذباً وبهتاناً أن الله
حرم المذكورات، وأكثر الكافرين لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام.

﴿١٠٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الأصل في شعائر الله تعالى أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد الدنيوية والأخروية، ودفع المضار عنهم.
- عدم الإعجاب بالكثرة، فإن كثرة الشيء ليست دليلاً على حله أو طيبه، وإنما الدليل يكمن في الحكم الشرعي.
- من أدب المُسْتَفْتَى: تقييد السؤال بحدود معينة، فلا يسوغ السؤال عما لا حاجة للمرء ولا غرض له فيه.
- ذم مسالك المشركين فيما اخترعوه وزعموه من محرمات الأنعام ك: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي.

وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتَبَتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أُرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿١٠٤﴾ وإذا قيل لهؤلاء المفترين على الله الكذب بتحريم بعض الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى سنة الرسول ﷺ لتعرفوا الحلال من الحرام، قالوا: يكفي ما أخذناه وورثناه عن أسلافنا من الاعتقادات والأقوال والأفعال، كيف يكفيهم ذلك وقد كان أسلافهم لا يعلمون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق؟ فلا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً، فهم جبهة ضالون.

﴿١٠٥﴾ يا أيها الذين آمنوا، عليكم أنفسكم فألزموها بالقيام بما يصلحها، لا يضركم من ضل من الناس ولم يستجب لكم، إذا اهتديتم أنتم، ومن اهتداكم أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر، إلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٠٦﴾ يا أيها الذين آمنوا، إذا اقترب موت أحدكم بظهور علامة من علامات الموت فليشهد على وصيته عدلين من المسلمين أو رجلين من الكفار عند الاحتياج لفقد غيرهما من المسلمين، إن سافرتم فنزل بكم الموت، وإن حدث ارتياب في شهادتهما فقفوهما بعد إحدى الصلوات، فيحلفان بالله: لا يبيعان حظهما من الله بعوض، ولا يجابيان به قريباً، ولا يكتمان شهادة لله عندهما، وأنهما إن فعلا ذلك كانا من المذنبين العاصين لله.

﴿١٠٧﴾ فإن تبين بعد التحليف كذبهما في الشهادة أو اليمين، أو ظهرت خيانتهم؛ فليشهد أو يحلف اثنان يقومان مقامهما من أقرب الناس إلى

الميت على ما هو حق، فيحلفان بالله لشهادتهما أحق من شهادتهما على صدقهما وأمانتهما، وما حلفنا زوراً، إنا شهدنا زوراً لمن الظالمين المتجاوزين لحدود الله.

﴿١٠٨﴾ ذلك المذكور من تحليف الشاهدين بعد الصلاة عند الشك في شهادتهما، ومن رد شهادتهما، أقرب إلى إتيانهما بالشهادة على الوجه الشرعي للإتيان بها، فلا يحرفان الشهادة أو يبدلونها أو يخونان، وأقرب إلى أن يخافا أن ترد أيمان الوريثة بعد إيمانها، فيحلفون على خلاف ما شهدا به فيفضحان، واتقوا الله بترك الكذب والخيانة في الشهادة واليمين، واسمعوا ما أمرتكم به سماعاً يصبه قبول، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

من فوائد الآيات،

- إذا ألزم العبد نفسه بطاعة الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بحسب طاقته، فلا يضره بعد ذلك ضلال أحد، ولن يسأل عن غيره من الناس، وخاصة أهل الضلال منهم.
- الترغيب في كتابة الوصية، مع صيانتها بإشهاد العدول عليها.
- بيان الصورة الشرعية لسؤال الشهود عن الوصية.

﴿١٢٦﴾ اذكروا - أيها الناس - يوم القيامة حيث يجمع الله جميع الرسل، فيقول لهم: ماذا أجابكم به أممكم التي أرسلتكم إليها؟ قالوا مَفْضِينَ الجواب إلى الله: لا علم لنا، وإنما العلم لك - ربنا - إنك أنت وحدك من تعلم الأمور الغائبة.

﴿١٢٧﴾ واذكر حين قال الله مخاطبًا عيسى عليه السلام: يا عيسى بن مريم، اذكر نعمتي عليك حين خلقتك من غير أب، واذكر نعمتي على أمك مريم عليها السلام حين اصطفتيها على نساء زمانها، واذكر مما أنعمت به عليك حين قوّيتك بجبريل عليه السلام، تكلم الناس - وأنت رضيع - بدعوتهم إلى الله، وتكلمهم في كهولتك بما أرسلتك به إليهم، ومما أنعمت به عليك أن علمتك الخلق، وعلمتك التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليك، وعلمتك أسرار الشرع وفوائده وحكمه، ومما أنعمت به عليك أنك تصوّر من الطين مثل صورة طير، ثم تنفخ فيه فيكون طيرًا، وأنت تشفي من وُلِدَ أعمى من عماه، وتشفي الأبرص، فيصير سليم الجلد، وتحيي الموتى بدعائك الله أن يحييهم، كل ذلك ياذني، ومما أنعمت به عليك أن دفعت عنك بني إسرائيل لئلا همؤا بقتلك حين جئتهم بالمعجزات الواضحة، فما كان منهم إلا أن كفروا بها، وقالوا: ما هذا الذي جاء به عيسى إلا سحر واضح.

﴿١٢٨﴾ واذكر مما أنعمت به عليك أن يسرّرت لك أعوانًا حين ألهمت الحواريين أن يؤمنوا بي وبك، فأنقادوا لذلك واستجابوا، وقالوا: آمنا، واشهد

*يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣٠﴾

- يا ربنا - بأننا مسلمون لك متقادون.

﴿١٢٦﴾ واذكر حين قال الحواريون: هل يستطيع ربك إذا دعوته أن يُنْزِلَ مائدة من السماء؟ فأجابهم عيسى عليه السلام: بأن أمرهم بتقوى الله وترك طلب ما سألوا، إذ لعل فيه فتنة لهم، وقال لهم: توكّلوا على ربكم في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين.

﴿١٢٧﴾ قال الحواريون لعيسى: نريد أن نأكل من هذه المائدة، وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، وبأنك رسوله، ونعلم علم اليقين أنك صدقْتَنَّا فيما جئت به من عند الله، ونكون عليها من الشاهدين لمن لم يحضرها من الناس.

﴿١٢٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إثبات جمع الله للخلق يوم القيامة جليلهم وحقيرهم.
- إثبات بشرية المسيح عليه السلام وإثبات آياته الحسية من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص التي أجراها الله على يديه.
- بيان أن آيات الأنبياء تهدف لتثبيت الأتباع وإفحام المخالفين، وأنها ليست من تلقاء أنفسهم، بل تأتي بإذن الله تعالى.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّاغِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عُذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ وَتَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أُمَرْتُ بِهِ أَنْ أَعْبُدَ وَاللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ
تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٤﴾ فَأَجَابَ عِيسَى طَلِبَهُمْ، ودعا الله قائلًا: ربنا أنزل علينا مائدة طعام نتخذ من يوم نزولها عيدًا نعظمه شكرًا لك، للأحياء منا اليوم، ومن يجيء بعدنا منا وتكون علامة وبرهانًا على وحدانيتك، وعلى صدق ما بُعِثْتُ به، وارضقنا رزقًا يعيننا على عبادتك، وأنت - يا ربنا - خير الراغقين.

﴿١١٥﴾ فاستجاب الله دعاء عيسى عليه السلام، وقال: إِنِّي مُنَزِّلُ هَذِهِ الْمَائِدَةَ الَّتِي طَلِبْتُمْ أَنْزَالَهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ أَنْزَالِهَا فَلَا يُلَوِّمُنِي إِلَّا نَفْسُهُ، فَسَأُعَذِّبُهُ عُذَابًا شَدِيدًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا؛ لِأَنَّهُ شَهِدَ آيَةَ الْبَاهِرَةِ، فَكَانَ كُفْرُهُ كُفْرَ عَنَادٍ، وَحَقَّقَ اللَّهُ لَهُمْ وَعَدَهُ فَأَنْزَلَ لَهَا عَلَيْهِمْ.

﴿١١٦﴾ واذكر حين يقول الله يوم القيامة مخاطبًا عيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى ابن مريم، هل قلت للناس: صَبِّرُونِي وَأُمِّي مَعْبُودَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَأَجَابَ عِيسَى مُنَزِّهَا رَبَّهُ: لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ لَهُمْ إِلَّا الْحَقَّ، وَإِنْ قُدِّرَ أَنْي قُلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ عَلِمْتُهُ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ، تَعْلَمُ مَا أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ وَحْدَكَ مِنْ تَعْلَمُ كُلَّ غَائِبٍ وَكُلِّ خَفِيٍّ وَكُلِّ ظَاهِرٍ.

﴿١١٧﴾ قَالَ عِيسَى لِرَبِّهِ: مَا قُلْتُ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا أُمَرْتُنِي بِقَوْلِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِإِفْرَادِكَ بِالْعِبَادَةِ، وَكُنْتُ رَقِيبًا عَلَى مَا يَقُولُونَ طِيلَةَ وَجُودِي بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَلَمَّا أَنْهَيْتُ مَدَّةَ بَقَائِي بَيْنَهُمْ بَرَفَعِي إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا كُنْتُ - يَا رَبِّ - أَنْتَ الْحَفِيفُ لِأَعْمَالِهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، لَا يَغِيبُ عَنْكَ شَيْءٌ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا قُلْتُ لَهُمْ، وَمَا قَالُوا بَعْدِي.

﴿١١٨﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ - يَا رَبِّ - فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَشَاءُ، وَإِنْ تَمُنَّنْ عَلَى مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ فَلَا مَانِعَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِكَ. ﴿١١٩﴾ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى عليه السلام: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ صَادِقِي النِّيَّاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ صِدْقُهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارُهَا مَائِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَمُوتُ فِيهَا أَحَدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَرَضُوا عَنْهُ لَمَّا نَالُوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، ذَلِكَ الْجِزَاءُ وَالرِّضَا عَنْهُمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، فَلَا فَوْزَ يَدَانِيهِ. ﴿١٢٠﴾ لِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ خَالِقُهُمَا وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِمَا، وَلَهُ مُلْكُ مَا فِيهِنَّ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

﴿١٢١﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

توعد الله تعالى كل من أصرَّ على كفره وعناده بعد قيام الحجة الواضحة عليه.

تَبَرُّةُ الْمَسِيحِ عليه السلام من ادعاء النصارى بأنه أبلغهم أنه الله أو أنه ابن الله أو أنه ادعى الربوبية أو الألوهية.

أن الله تعالى يسأل يوم القيامة عظماء الناس وأشرفهم من الرسل، فكيف بمن دونهم درجة؟

علمو منزلة الصدق، وتشاء الله تعالى على أهله، وبيان نفع الصدق لأهله يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ٢ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ٣ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٥
أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ٦ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ٧ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْآمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ٨

١٢٨

١ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
تقرير عقيدة التوحيد والرد على
ضلالات المشركين.

٢ التفسير:

٣ الوصف بالكمال المطلق، والشاء
بالمحاسن العليا مع المحبة، ثابت لله
الذي خلق السماوات وخلق الأرض من
غير مثال سابق، وخلق الليل والنهار
يَتَعاقَبان، فأظلم الليل، وأُتار النهار،
ومع هذا فالذين كفروا يُسَوِّون به
غيره، ويجعلونه شريكاً له.

٤ هو سبحانه الذي خلقكم - أيها
الناس - من طين حين خلق أبائكم
آدم ﷺ منه، ثم ضرب سبحانه مدة
لإقامتكم في الحياة الدنيا، وضرب
أجلاً آخر لا يعلمه إلا هو لبعثكم يوم
القيامة، ثم أنتم تشكون في قدرته
سبحانه على البعث.

٥ وهو سبحانه المعبود بحق في
السماوات والأرض، لا يخفى عليه
شيء، فهو يعلم ما تخفون من النيات
والأقوال والأعمال، ويعلم ما تعلنون من
ذلك، وسيجازيكم عليها.

٦ وما تأتي المشركين من حجة
من عند ربهم إلا تركوها غير مباليين
بها، فقد جاءتهم الحجج الواضحة
والبراهين الجلية الدالة على توحيد
الله، وجاءتهم الآيات الدالة على
صدق رسله، ومع ذلك أعرضوا عنها
غير عابئين بها.

٧ وهم إن أعرضوا عن تلك الحجج
الواضحة والبراهين الجلية فقد
أعرضوا عما هو أوضح، فقد كذبوا بما

جاء به محمد ﷺ من القرآن، وسيعرفون أن ما كانوا يستهزئون به مما جاءهم به هو الحق حين يرون العذاب يوم القيامة.
٨ ألم يعلم هؤلاء الكافرون سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة؟ لقد أهلك الله من قبلهم أمماً كثيرة أعطاهم من أسباب القوة
والبقاء في الأرض ما لم يعط هؤلاء الكافرين، وأنزل عليهم الأمطار المتتابعة، وأجرى لهم الأنهار تجري من تحت مساكنهم، فقصوا
الله، فأهلكهم بما ارتكبه من المعاصي، وخلق من بعدهم أمماً أخرى.

٩ ولو نزلنا عليك - أيها الرسول - كتاباً مكتوباً في أوراق، وشاهدوه بأعينهم، وتأكدوا منه بتحسُّسهم الكتاب بأيديهم؛ لَمَّا آمنوا
به جحوداً منهم وتعنُّتاً، ولقالوا: لا يبعد ما جئت به أن يكون سحراً واضحاً، فلن نؤمن به.

١٠ وقال هؤلاء الكافرون: لو أنزل الله مع محمد ملكاً يكلمنا ويشهد أنه رسول لأمناً. ولو أنزلنا ملكاً على الوصف الذي أرادوا
لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا، ولا يَهْلِكُونَ للتوبة إذا نَزَلَ.

١١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• شدة عناد الكافرين، وبيان إصرارهم على الكفر على الرغم من قيام الحجة عليهم بالأدلة الحسية.

• التأمل في سنن الله تعالى في السابقين لمعرفة أسباب هلاكهم والحذر منها.

• من رحمة الله بعباده أن لم ينزل لهم رسولاً من الملائكة لأنهم لا يمهلون للتوبة إذا نزل.

﴿٩﴾ ولو جعلناه المرسل إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل ليمكنوا من سماعه والتلقي عنه؛ إذ لا يستطيعون ذلك مع الملك على هيئته التي خلقه الله عليها، ولو جعلناه في صورة رجل لاشتبه عليهم أمره.

﴿١٠﴾ فإن يستهزئ هؤلاء بطلبهم إنزال ملك معك فقد استهزأت أمم من قبلك برسلها، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به عند تخويفهم منه.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المستهزئين: سيروا في الأرض، ثم تأملوا كيف كانت نهاية المكذبين لرسول الله، فقد حل بهم عقاب الله بعدما كانوا فيه من القوة والمنعة.

﴿١٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لمن مملكت السماوات ومملكت الأرض ومملكت ما بينهما؟ قل: مملكتها كلها لله، كتب على نفسه الرحمة تقضاً منه على عباده، فلا يعاجلهم بالعقوبة، حتى إذا لم يتوبوا جمعهم جميعاً يوم القيامة، هذا اليوم الذي لا شك فيه، الذين خسروا أنفسهم بالكفر بالله لا يؤمنون فينقدوا أنفسهم من الخسران.

﴿١٣﴾ والله وحده ملك كل شيء، مما استقر في الليل والنهار، وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يعبدون مع الله غيره من الأصنام وغيرها: أيغفل أن تأخذ غير الله ناصرًا أو إليه وأستصرمه؟ وهو الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، فلم يُسَبِّقْ إلى خلقهما،

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَن يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

وهو الذي يرزق من يشاء من عباده، ولا أحد من عباده يرزقه، فهو الغني عن عباده، وعباده مفتقرون إليه، قل - أيها الرسول -: إنني أمرني ربي سبحانه أن أكون أول من انتقاد لله وخضع له من هذه الأمة، ونهاني أن أكون من الذين يشركون معه غيره.

﴿١٥﴾ قل - أيها الرسول -: إنني أخاف إن عصيت الله بارتكاب ما حُرِّمَ علي من الشرك وغيره، أو ترك ما أمرني به من الإيمان وغيره من الطاعات، أن يعذبني عذاباً عظيماً يوم القيامة. ﴿١٦﴾ مَن يُبْعِدَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ الْعَذَابُ يوم القيامة، فقد فاز برحمة الله له، وتلك النجاة عن العذاب هي الفوز الواضح الذي لا يُدَانِيهِ فوز. ﴿١٧﴾ وَإِن يَنَلِّكْ - يا ابن آدم - من الله بلاء فلا دافع للبلاء عنك إلا الله، وإن يَنَلِّكْ منه خير فلا مانع له من ذلك، ولا زائد لفضله، فهو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء. ﴿١٨﴾ وهو الغالب على عباده المذلل لهم، العالي عليهم من كل وجه الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه أحد، الجميع له خاضعون، فوق عباده كما يليق به سبحانه، وهو الحكيم في خلقه وتديبره وشرعه، الخبير فلا يخفى عليه شيء.

﴿١٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- بيان حكمة الله تعالى في إرسال كل رسول من جنس من يرسل إليهم؛ ليكون أبلغ في السماع والوعي والقبول عنه.
- الدعوة للتأمل في أن تكرار سنن الأولين في العصيان قد يقابله تكرار سنن الله تعالى في العقاب.
- وجوب الخوف من المعصية ونتائجها.
- أن ما يصيب البشر من بلاء ليس له صارف إلا الله، وأن ما يصيبهم من خير فلا مانع له إلا الله، فلا زائد لفضله، ولا مانع لنعيمته.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين المكذبين بك: أي شيء أجل وأعظم شهادة على صدقي؟ قل: الله أجل شيء وأعظم شهادة على صدقي، هو شهيد بيني وبينكم، يعلم ما جئكم به، وما ستردون به، وقد أوحى الله إلي هذا القرآن لأخوفكم به، وأخوف به من بلغه من الإنس والجن، إنكم - أيها المشركون - تؤمنون أن مع الله معبودات أخرى، قل - أيها الرسول -: لا أشهد على ما أقرتكم به لبطلانه، إنما الله إله واحد لا شريك له، واني بريء من كل ما تشركونه معه.

﴿٢٠﴾ اليهود الذين أعطيتهم التوراة والنصارى الذين أعطيتهم الإنجيل يعرفون النبي محمدا ﷺ معرفة تامة، كما يعرفون أبناءهم من أبناء غيرهم، فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإدخالها النار، فهم لا يؤمنون.

﴿٢١﴾ لا أحد أعظم ظلماً ممن نسب لله شريكاً، فعبده معه، أو كذب بآياته التي أنزلها على رسوله، إن الظالمين بنسبة الشريك إلى الله وتكذيب آياته لا يفوزون أبداً إن لم يتوبوا.

﴿٢٢﴾ واذكر يوم القيامة حين نجمهم جميعاً، لا تغادر منهم أحداً، ثم نقول للذين عبدوا مع الله غيره توبيخاً لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون كاذبين أنهم شركاء لله؟ ﴿٢٣﴾ ثم لم يكن اعتذارهم بعد هذا الاختيار إلا أن تبرؤوا من معبوداتهم، وقالوا كذباً: والله ربنا ما كنا في الدنيا مشركين بك، بل كنا مؤمنين بك، موحدين لك.

﴿٢٤﴾ انظر - يا محمد - كيف كذب هؤلاء على أنفسهم بتفيهم الشرك عن

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَْتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَبَتُّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يَجِدُوا لَوْكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

أنفسهم، وغاب عنهم وخذلهم ما كانوا يخلقونه من الشركاء مع الله في حياتهم الدنيا؟

﴿٢٥﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن، لكنهم لا ينتفعون بما يستمعون إليه؛ لأننا جعلنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفقهوا القرآن، بسبب عنادهم وإعراضهم، وجعلنا في آذانهم صمماً عن السماع النافع، ومهما يروا من الدلالات الواضحة والحجج الجليلة لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يخاصمونك في الحق بالباطل يقولون: ليس الذي جئت به إلا مأخوذاً عن كتب الأوائل.

﴿٢٦﴾ وهم ينهون الناس عن الإيمان بالرسول، ويتعدون عنه، فلا يتركون من ينتفع به، ولا ينتفعون هم به، وما يهلكون بصنيعهم هذا إلا أنفسهم، وما علموا أن ما يقومون به إهلاك لها.

﴿٢٧﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين يعرضون يوم القيامة على النار، فيقولون تحسراً: يا ليتنا نردُّ إلى الحياة الدنيا، ولا نُكذِّبُ بآيات الله، ونكون من المؤمنين بالله - لرأيت عجباً من سوء حالهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- بيان الحكمة في إرسال النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن، من أجل البلاغ والبيان، وأعظم ذلك الدعوة لتوحيد الله.
- نفي الشريك عن الله تعالى، ودحض افتراءات المشركين في هذا الخصوص.
- بيان معرفة اليهود والنصارى للنبي عليه الصلاة والسلام، برغم جحودهم وكفرهم.

بَلْ بَدَأَ الِهْمَ مَا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ تَهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا حَسَرْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ
نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِطِعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

١٣١

﴿٢٨﴾ ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو رُدُّوا لآمنوا، بل ظهر لهم ما كانوا يسترون من قولهم: (والله ربنا ما كنا مشركين)، حين شهدت عليهم جوارحهم، ولو قُدِّرَ أنهم رجعوا إلى الدنيا لرجعوا إلى ما نهوا عنه من الكفر والشرك، وإنهم لكاذبون في وعدهم بالإيمان إذا رجعوا.

﴿٢٩﴾ وقال هؤلاء المشركون: لا حياة إلا الحياة التي نحن فيها، ولسنا مبعوثين للحساب.

﴿٣٠﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين أوقف منكرو البعث بين يدي ربهم لرأيت العجب من سوء حالهم حين يقول لهم الله: أليس هذا البعث الذي كنتم تكذبون به حقًا ثابتًا لا مرية فيه ولا شك؟ قالوا: أقسمنا بربنا الذي خلقنا إنه لحق ثابت لا شك فيه، فيقول لهم الله عند ذلك: فذوقوا العذاب بسبب كفركم بهذا اليوم؛ فكنتم به تكذبون في الحياة الدنيا.

﴿٣١﴾ قد خسر الذين كَذَّبُوا بالبعث يوم القيامة واستبعدوا الوقوف بين يدي الله، حتى إذا جاءتهم الساعة فجأة من غير سابق علم قالوا من شدة الندم: يا لحسرتنا وخيبة أملنا لِمَا فَصَّرْنَا فِي جَنْبِ اللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ به وعدم الاستعداد ليوم القيامة، وهم يحملون سيئاتهم فوق ظهورهم، أَلَا قُبْحٌ مَا يَحْمِلُونَ مِنْ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ.

﴿٣٢﴾ وليست الحياة الدنيا التي تكونون إليها إلا لعبًا وغرورًا لمن لا يعمل فيها بما يرضي الله، وأما الدار الآخرة فهي خير للذين يتقون الله بفعل ما أمر به من الإيمان والطاعة، وتَرْك ما نهى عنه من الشرك والمعصية،

أَفَلَا تَعْقِلُونَ - أيها المشركون - ذلك؟ فتؤمنوا وتعملوا الصالحات. ﴿٣٣﴾ نحن نعلم أنك - أيها الرسول - يحزنك تكذيبهم لك في الظاهر، فاعلم أنهم لا يكذبونك في أنفسهم؛ لعلمهم بصدقك وأمانتك، ولكنهم قوم ظالمون ينكرون أمرك ظاهراً وهم يوقنون به في أنفسهم. ﴿٣٤﴾ ولا تحسب أن هذا التكذيب خاص بما جئت به، فقد كُذِّبَتْ رسل من قبلك، وأذاهم أقوامهم، فواجهوا ذلك بالصبر على الدعوة والجهاد في سبيل الله حتى جاءهم النصر من الله، ولا مُبَدِّلَ لما كتبه الله من النصر، ووعد به رسله، ولقد جاءك - أيها الرسول - من أخبار من قبلك من الرسل وما لاقوه من أقوامهم وما حباهم الله من النصر على أعدائهم بإهلاكهم.

﴿٣٥﴾ وإن كان شق عليك - أيها الرسول - ما تلاقيه من تكذيبهم وإعراضهم عما جئتهم به من الحق، فإن استطعت أن تطلب نفقاً في الأرض أو مَصْعَدًا إِلَى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِحُجَّةٍ وَبِرْهَانٍ الَّذِي أَيْدَاكَ بِهِ فَافْعَلْ، ولو شاء الله جَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى الَّذِي جِئْتَ بِهِ لَجَمَعَهُمْ، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة بالغة، فلا تكونن من الجاهلين بذلك، فتذهب نفسك حسرات على أنهم لم يؤمنوا.

﴿٣٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من عدل الله تعالى أنه يجمع العابد والمعبود والتابع والمتبوع في عَرَصات القيامة ليشهد بعضهم على بعض.
- ليس كل من يسمع القرآن ينتفع به، فربما يوجد حائل مثل ختم القلب أو الصَّمَم عن الانتفاع أو غير ذلك.
- بيان أن المشركين وإن كانوا يكذبون في الظاهر فهم يستيقنون في دواخلهم بصدق النبي عليه الصلاة والسلام.
- تسلية النبي عليه الصلاة والسلام ومواساته بإعلامه أن هذا التكذيب لم يقع له وحده، بل هي طريقة المشركين في معاملة الرسل السابقين.

﴿٣١﴾ إنما يجيبك قابلاً ما جئت به من يسمعون الكلام ويفهمونه، والكفار موتى لا شأن لهم، فقد ماتت قلوبهم، والموتى يبعثهم الله يوم القيامة، ثم إليه وحده يرجعون ليجازيهم على ما قدموا.

﴿٣٧﴾ وقال المشركون مُبَعَّثَتَيْنِ وَمُطَاطِلَيْنِ بالإيمان: هلاً أنزل على محمد آية خارقة تكون برهاناً من ربه على صدقه فيما جاء به؟ قل - أيها الرسول -: إن الله قادر على تنزيل آية حسبما يريدون، ولكن أكثر هؤلاء المشركين المطالبين بإنزال آية لا يعلمون أن إنزال الآيات يكون وفق حكمته تعالى، وليس وفق ما يطالبون به، فلو أنزلها ثم لم يؤمنوا لأهلكهم. ﴿٣٨﴾ وما من حيوان يتحرك فوق الأرض، ولا طائر يطير في السماء إلا أجناس مثلكم - يا بني آدم - في الخلق والرزق، ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً إلا أثبتناه، والجميع علمهم عند الله، ثم إلى ربهم وحده يوم القيامة يجمعون لفصل القضاء، فيجازي كلًّا بما يستحقه.

﴿٣٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا مثل الصم الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا يتكلمون، وهم مع ذلك في الظلمات لا يبصرون، فأنى لمن هذه حاله أن يهتدي؟ من يشأ الله إضلاله من الناس يضلله، ومن يشأ هدايته يهديه بأن يجعله على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿٤٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب من الله أو جاءكم الساعة التي وعدتكم أنها آتية: أطلبون إذ ذاك غير الله

﴿٣١﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا فَارَقْنَا فِي الْأَكْتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٣٨﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٠﴾

١٣٢

ليكشف ما ينزل بكم من البلاء والشدة، إن كنتم صادقين في ادعاء أن معبوداتكم تجلب نفعا أو تدفع ضرا؟!

﴿٤١﴾ الحق أنكم لا تدعون إذ ذاك غير الله الذي خلقكم، فيصرف عنكم البلاء، ويرفع عنكم الضر إن شاء، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وأما معبوداتكم التي أشركتموها مع الله فمتركونها؛ لعلمكم أنها لا تنفع ولا تضر.

﴿٤٢﴾ ولقد بعثنا إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - رسلاً فكذبوهم، وأعرضوا عما جاؤوهم به، فعاقبناهم بالشدائد كالفقر وبما يضر أبدانهم كالمرض من أجل أن يخضعوا لربهم، ويتذللوا له. ﴿٤٣﴾ لو أنهم حين جاءهم بلاؤنا تذللوا لله، وخضعوا له ليكشف عنهم البلاء، لرحمناهم لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قست قلوبهم، فلم يعترفوا، ولم يتعظوا، وحسن لهم الشيطان ما كانوا يرتكبون من الكفر والمعاصي، فاستمروا على ما كانوا عليه. ﴿٤٤﴾ فلما تركوا ما وعظوا به من شدة الفقر والمرض، ولم يعملوا بأوامر الله، استدرجناهم بفتح أبواب الرزق عليهم، وإغنائهم بعد الفقر، وصححنا أجسامهم بعد المرض، حتى إذا أصابهم البطء، واستولى عليهم الإعجاب بما مُنِعُوا به جاءهم عذابنا فجأة، فإذا هم متحIRON يأسون مما يأمون.

﴿٤٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تشبيه الكفار بالموتى: لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب بقبوله الحق واتباعه طريق الهداية.
- من حكمة الله تعالى في الابتلاء: إنزال البلاء على المخالفين من أجل تليين قلوبهم وردهم إلى ربهم.
- وجود النعم والأموال بأيدي أهل الضلال لا يدل على محبة الله لهم، وإنما هو استدراج وابتلاء لهم ولغيرهم.

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ
 ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
 بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ أَمِنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ وَمَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَكَوْنُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ آخر أهل الكفر باستئصالهم جميعاً بالإهلاك، ونَصِرَ رسل الله، والشكرُ والشَاءُ لله وحده رب العالمين على إهلاكه أعداءه ونصره أوليائه.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أضمتكم الله بسلب أسماعكم، وأعماكم بأخذ أبصاركم، وطبع على قلوبكم، فلم تفقهوا شيئاً؛ مَنْ معبود بحق يأتيكم بما فقدتموه من ذلك؟ تأمل - أيها الرسول - كيف نبين لهم الحجج، وتنوع البراهين، ثم هم يعرضون عنها! ﴿٤٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن جاءكم عذاب الله فجأة من غير شعور منكم به، أو جاءكم ظاهراً عياناً، فإنه لا يؤخذ بذلك العذاب إلا الظالمون بكفرهم بالله وتكذيب رسله.

﴿٤٨﴾ وما نرسل من نرسله من رسلنا إلا لإخبار أهل الإيمان والطاعة بما يسرهم من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع، وتخويف أهل الكفر والعصيان من عذابنا الشديد، فمن آمن بالرسول، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في آخرتهم، ولا هم يحزنون ويتحسرون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٤٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن طاعة الله.

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لا أقول لكم: إن عِنْدِي خزائن الله من الرزق فأصرف فيها بما شئت، ولا أقول لكم: إنني أعلم من الغيب إلا ما أطلعني الله عليه من الوحي، ولا أقول لكم: إنني ملك من الملائكة، فأنا رسول من الله، لا أتبع إلا ما يُوْحَىٰ إلي، ولا أدعي ما ليس لي، قل - أيها الرسول - لهم: هل يستوي الكافر الذي غميت بصيرته عن الحق، والمؤمن الذي أبصر الحق وأمن به؟ أفلا تتأملون بعقولكم - أيها المشركون - فيما حولكم من الآيات.

﴿٥١﴾ وخوف - أيها الرسول - بهذا القرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم يوم القيامة، ليس لهم ولي غير الله يجلب لهم النفع، ولا شفيع يكشف عنهم الضر، لعلهم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فهؤلاء هم الذين ينتفعون بالقرآن.

﴿٥٢﴾ ولا تبعد - أيها الرسول - عن مجلسك فقراء المسلمين الذين هم في عبادة دائمة لله في أول النهار وآخره مخلصين له العباد، لا تبعدهم لتستميل أكابر المشركين، ليس عليك من حساب هؤلاء الفقراء شيء، إنما حسابهم عند ربهم، وما عليهم من حسابك شيء، إنك إن أبعدتهم عن مجلسك فإنك تكون من المتجاوزين لحدود الله.

● من قواید الآیات،

● الأنبياء بشر، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء البتة، ومهمتهم التبليغ، فهم لا يملكون تصرفاً في الكون، فلا يعلمون الغيب، ولا يملكون خزائن رزق ونحو ذلك.

● اهتمام الداعية بأتباعه وخاصة أولئك الضعفاء الذين لا يبتغون سوى الحق، فعليه أن يقربهم، ولا يقبل أن يبعدهم إرضاء للكفار.

● إشارة الآية إلى أهمية العبادات التي تقع أول النهار وآخره.

﴿٥٣﴾ وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض، فجعلناهم متفاوتين في حظوظهم الدنيوية، ابتليناهم بذلك ليقول الكافرون الأغنياء لفقراء المؤمنين: هؤلاء الفقراء تفضل الله عليهم بالهداية من بيننا؟ لو كان الإيمان خيرًا ما سبقونا إليه، فنحن أهل السبق. أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه، فيؤقِّفهم للإيمان، وأعلم بالكافرين لها فيخذلهم فلا يؤمنون؟ بلى إن الله أعلم بهم.

﴿٥٤﴾ وإذا جاءك - أيها الرسول - الذين يؤمنون بآياتنا الشاهدة على صدق ما جئت به، فردَّ عليهم السلام إكرامًا لهم، وبشرهم بسعة رحمة الله، فقد أوجب الله على نفسه الرحمة إيجاب تفضل، فمن ارتكب منكم معصية في حال جهل وسفه، ثم تاب من بعد ارتكابه لها، وأصلح عمله، فإن الله يغفر له ما ارتكبه، قاله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٥٥﴾ وكما بينا لك ما ذكر نبيُّنا أدلتنا وحجتنا على أهل الباطل، وإيضاح طريق المجرمين ومنهجهم؛ لاجتنابه والحذر منه.

﴿٥٦﴾ قل - أيها الرسول -: إني نهاني الله عن عبادة الذين تعبدونهم من دون الله، قل - أيها الرسول -: لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله، فأنا إن اتبعت أهواءكم في ذلك أكون ضالًّا عن طريق الحق، لا أهتدي إليه، وهذا شأن كل من اتبع الهوى دون برهان من الله.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إني على برهان واضح من ربي، لا على هوى، وأنتم كذبتهم بهذا

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَوِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذْ أَوْمَأُ أَنْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

البرهان، ليس عندي ما تستعجلون به من العذاب والآيات الخارقة التي طلبتموها، إنما ذلك بيد الله، فليس الحكم - ومن جملته ما طلبتم - إلا لله وحده، يقول الحق ويحكم به، وهو سبحانه خير من بين ومميز المُحَقِّق من المُبْطِل.

﴿٥٨﴾ قل - أيها الرسول - لهم: لو كان عندي وفي قبضتي ما تستعجلون به من العذاب لأنزلته بكم، وعند ذلك يُقَضَّى الأمر الذي بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين كم يمهلهم ومتى يعاقبهم.

﴿٥٩﴾ وعند الله وحده خزائن الغيب، لا يعلمها غيره، ويعلم كل ما في البر من مخلوقات من حيوان ونبات وجماد، ويعلم ما في البحر من حيوان ونبات وجماد، وما تسقط من ورقة في أي مكان، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب، ولا يوجد يابس، إلا كان مثبَّتًا في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

﴿٦٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الله تعالى يجعل العباد بعضهم فتنة لبعض، فتفاوت درجاتهم في الرزق وفي الكفر والإيمان، والكفر والإيمان ليس منوطًا بسعة الرزق وضيقه.

● من أخلاق الداعية طلاقة الوجه وإلقاء التحية والتبسط والسرور بأصحابه.

● على الداعية اجتناب الأهواء في عقيدته ومنهجه وسلوكه.

● إثبات تضرد الله ﷻ يعلم الغيب وحده لا شريك له، وسعة علمه في ذلك، وأنه لا يفوته شيء ولا يعزب عنه من مخلوقاته شيء إلا وهو مثبت مدوّن عنده سبحانه بأدق تفاصيله.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٦٠﴾ والله هو الذي يقبض أرواحكم عند النوم قبضاً مؤقتاً، وهو الذي يعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار وقت نشاطكم، ثم يبعثكم في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم لتقوموا بأعمالكم، حتى تنتهي آجال حياتكم المقدرة عند الله، ثم إليه وحده رجوعكم بالبعث يوم القيامة، ثم يخبركم بما كنتم تعملونه في حياتكم الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿٦١﴾ والله هو الغالب على عباده؛ المذل لهم، العالي عليهم من كل وجه، الذي خضع له كل شيء، وفوق عباده فوقية تليق بجلاله ﷻ، ويرسل عليكم - أيها الناس - ملائكة كراماً تُحصي أعمالكم حتى ينتهي أجل أحدكم بقبض ملك الموت وأعوانه روحه، وهم لا يُقْصِرُونَ فيما أُمِرُوا بِهِ.

﴿٦٢﴾ ثم رُدُّ جميع من قبضت أرواحهم إلى الله مالكم الحق ليجازيهم على أعمالهم، الذي له القضاء النافذ والحكم العدل فيهم، وهو أسرع من عدكم وأحصى أعمالكم.

﴿٦٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: من ينقذكم ويُسَلِّمُكُمْ من المهالك التي تلقونها في ظلمات البر والبحر؟ تدعونه وحده متذللين مُسْتَكِينِينَ في السر والعلن: لئن سلَّمنا ربنا من هذه المهالك لنكونن من الشاكرين لنعمه علينا بالأبعد غيره. ﴿٦٤﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله هو الذي ينقذكم منها، ويُسَلِّمُكُمْ من كل كرب، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه غيره في حالة السراء، فأَي ظلم فوق ما تقومون به؟

﴿٦٥﴾ قل لهم - أيها الرسول -:

الله هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً يأتيكم من فوقكم مثل الحجارة والصواعق والظوفان، أو يأتيكم من تحتكم مثل الزلازل والخسف، أو يخالف بين قلوبكم، فيتبع كل منكم هواه، فيقاتل بعضكم بعضاً، تأمل - أيها الرسول - كيف تنوع الأدلة والبراهين ونبيُّها لعلهم يفهمون أن ما جئت به حق، وأن ما عندهم باطل.

﴿٦٦﴾ وكذب بهذا القرآن قومك، وهو الحق الذي لا مرية في أنه من عند الله، قل لهم - أيها الرسول -: لست موكلاً بالرقابة عليكم، فما أنا إلا منذر لكم بين يدي عذاب شديد.

﴿٦٧﴾ لكل خبر وقت يستقر فيه، ونهاية ينتهي إليها، ومن ذلك خبر مآلكم وعاقبتكم، فسوف تعلمون ذلك عندما تبعثون يوم القيامة. وإذا رأيتم - أيها الرسول - المشركين يتكلمون في آياتنا بالسخرية والاستهزاء، فابتعد عنهم حتى يدخلوا في حديث خال من السخرية والاستهزاء بآياتنا، وإذا أنساك الشيطان وجلست معهم، ثم تذكرت فغادر مجلسهم ولا تجلس مع هؤلاء المعتدين.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• إثبات أن النوم موتٌ، وأن الأرواح تُقبض فيه، ثم تُرد عند الاستيقاظ. • الاستدلال على استحقاق الله تعالى للألوهية بدليل الفطرة، فإن أهل الكفر يؤمنون بالله تعالى ويرجعون لفطرتهم عند الاضطراب والوقوع في المهالك، فيسألون الله تعالى وحده. • إلزام المشركين بمقتضى سلوكهم، وإقامة الدليل على انقلاب فطرتهم، بكونهم يستغيثون بالله وحده في البحر عند الشدة، ويشركون به حين يسلمهم وينجيهم إلى البر. • عدم جواز الجلوس في مجالس أهل الباطل واللفو، ومفارقتهم، وعدم العودة لهم إلا في حال إقلاهم عن ذلك.

﴿٦٩﴾ وليس على الذين يتقون الله بامتنال أوامرهم واجتناب نواهيه من حساب هؤلاء الظالمين من شيء، وإنما عليهم أن يَنْهَوْهُمْ عما يرتكبونه من منكر، لعلهم يتقون الله، فيمتثلون أوامرهم ويجتنبون نواهيه.

﴿٧٠﴾ ودع - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين صَيَّرُوا دينهم لعباً وَلَهْوَ وَلَهْوَ وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ وَأَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتَظِرْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِلْسَّلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

﴿٧١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أنعيد من دون الله أوثاناً لا تملك نفعا فتشفعنا ولا ضرا فتضرنا، ونرتد عن الإيمان بعد أن وفقنا الله له، فنكون مثل الذي أضلته الشياطين، فتركته حيران لا يهتدي سبيلا، وله أصحاب على الطريق المستقيم يدعونهم إلى الحق، وهو يمتنع عن إجابتهم إلى ما يدعونهم إليه؟ قل لهم -أيها الرسول-: إن هدى الله هو الهدى الحق، وقد أمرنا الله أن ننقاد له سبحانه بالتزام توحيد وعبادته وحده، فهورب العالمين.

﴿٧٢﴾ وقد أمرنا بإقامة الصلاة على الوجه الأكمل، وأمرنا بتقوى الله

بامتنال أوامرهم واجتناب نواهيه، فهو وحده الذي يُجَمَعُ العباد إليه يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم. سبحانه وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق، يوم يقول الله للشيء: كن فيكون، حين يقول يوم القيامة: قوموا فيقومون، قوله الصدق الذي سيقع لا محالة، وله سبحانه وحده الملك يوم القيامة حين يَنْفَخُ إسرافيل في القَرْنِ النفخة الثانية، عالم ما غاب وعالم ما شوهد، وهو الحكيم في خلقه وتديره، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، فبواطن الأمور عنده كظواهرها.

﴿٧٣﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الداعية إلى الله تعالى ليس مسؤولاً عن محاسبة أحد، بل هو مسؤول عن التبليغ والتذكير.
- الوعد من أعظم وسائل إيقاظ الغافلين والمستكبرين.
- من دلائل التوحيد: أن من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تصرفا، هو بالضرورة لا يستحق أن يكون إلهاً معبوداً.

﴿٧٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا هَاهُنَا إِلَهَةً إِنِّي أَتُوبُ عَلَيْكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٧٤﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم ﷺ لأبيه المشرك أزرأأتتخذ أصناماً ههنا إلهة؟ إنني أتوب عليك يا أبت، أتجعل الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله؟ إني أراك وقومك الذين يعبدون الأوثان في ضلال بيّن، وحيرة عن طريق الحق بسبب عبادتكم غير الله، فهو سبحانه المعبود بحق، وغيره معبود بالباطل.

﴿٧٥﴾ وكما أريناه ضلال أبيه وقومه نريه ملك السماوات والأرض الواسع؛ ليستدل بذلك الملك الواسع على وحدانية الله واستحقاقه العبادة وحده؛ ليكون من الموقنين بأن الله واحد لا شريك له، وأنه قادر على كل شيء.

﴿٧٦﴾ فعين أظلم عليه الليل، رأى كوكباً، فقال: هذا ربي، فلما غاب الكوكب قال: لا أحب من يغيب؛ لأن الإله الحق حاضر لا يغيب.

﴿٧٧﴾ وحين رأى القمر طالعاً قال: هذا ربي، فلما غاب قال: لئن لم يوفقني الله لتوحيدته وعبادته وحده لأكونن من القوم البعيدين عن دينه الحق.

﴿٧٨﴾ وحين رأى الشمس طالعة قال: هذا الطالع ربي، هذا الطالع أكبر من الكوكب ومن القمر، فلما غابت قال: يا قوم، إنني بريء مما تشركون مع الله. ولما تبرأ مما يعبدون من دون الله كأنهم سألوه: ما تعبد إذن؟ فقال:

﴿٧٩﴾ إني أخلصت ديني للذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، مائلاً عن الشرك إلى التوحيد الخالص، ولست من المشركين الذين يعبدون معه غيره.

﴿٨٠﴾ وخاصمه قومه المشركون في توحيد الله سبحانه، وخوفوه من أصنامهم، فقال لهم: أتخاصمونني في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد وفقني ربي إليه، ولست أخاف من أصنامكم، فإنها لا تملك ضرراً فتضرني ولا نفعاً فتنفعني إلا أن يشاء الله، فما شاء الله كائن، ومع علم الله كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أفلا تتذكرون - يا قوم - ما أنتم عليه من الكفر بالله والشرك به فتؤمنوا بالله وحده؟

﴿٨١﴾ وكيف يقع مني خوف لما تعبدون من دون الله من أوثان، ولا يقع منكم أنتم خوف لشرركم بالله حين أشركتم معه ما خلقه دون برهان لكم على ذلك؟ فأَيُّ الْجَمْعَيْنِ - جمع الموحدين وجمع المشركين - أولى بالأمن والسلامة؟ إن كنتم تعلمون أولاهما فاتبعوه، وأولاهما - دون ريب - هو جمع المؤمنين الموحدين.

﴿٨٢﴾ من قواعد الآيات:

- الاستدلال على الربوبية بالنظر في المخلوقات منهج قرآني.
- الدلائل العقلية الصريحة توصل إلى ربوبية الله.

﴿٨٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَاتَّبَعُوا مَا شَرَعَ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشَرِكٍ، لَهُمُ الْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ وَحَدَهُمُ دُونُ غَيْرِهِمْ، وَهُمْ مُوفِقُونَ، وَفَقَهُمُ رَبُّهُمْ لَطَرِيقَ الْهُدَايَةِ.

﴿٨٣﴾ وتلك الحجة وهي قوله:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ...﴾
التي غلب إبراهيم بها قومه حتى انقطعت حجتهم، هي حجتنا وفقناه لمُحَاجَّةِ قومه بها، وأعطيناه إياها، نرفع من نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة، إن ربك - أيها الرسول - حكيم في خلقه وتديره، عليم بعباده.

﴿٨٤﴾ ورزقنا إبراهيم ابنه إسحاق وحفيده يعقوب، ووقفنا كلاً منهما للصراف المستقيم، ووقفنا نوحاً من قبلهم، ووقفنا لطريق الحق من ذرية نوح كلاً من داود وابنه سليمان وأيوب ويوسف وموسى وأخيه هارون. ومثل هذا الجزاء الذي جازينا به الأنبياء على إحسانهم نجازي به المحسنين من غيرهم على إحسانهم. ووقفنا كذلك كلاً من زكريا ويحيى وعيسى بن مريم والياس. وكل هؤلاء الأنبياء من الصالحين اختارهم الله رسلاً.

﴿٨٥﴾ ووقفنا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً. وكل هؤلاء الأنبياء وعلى رأسهم النبي محمد ﷺ فضلناهم على العالمين.

﴿٨٦﴾ ووقفنا بعض آبائهم وبعض أبنائهم وبعض إخوانهم ممن شئنا توفيقه، واختارناهم، ووقفناهم لسلوك الطريق المستقيم الذي هو طريق توحيد الله وطاعته.

﴿٨٧﴾ ذلك الذي حصل لهم من التوفيق هو توفيق الله يوفق له من شاء من عباده، ولو أشركوا مع الله غيره لبطل عملهم؛ لأن الشرك يبطل للعمل الصالح.

﴿٨٨﴾ أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين أعطيناهم الكتب، وأعطيناهم الحكمة، وأعطيناهم النبوة، فإن يكفر قومك بما أعطيناهم من هذه الثلاثة فقد هياناً لها وأرصدنا قوماً ليسوا بكافرين بها، بل هم مؤمنون مستمسكون بها، وهم المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿٨٩﴾ أولئك الأنبياء، ومن ذكر معهم من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم، هم أهل الهداية حقاً، فَاتَّبِعْهُمْ وَتَأَسَّ بِهِمْ، وقل - أيها الرسول - لقومك: لا أطلب منكم على إبلاغ هذا القرآن جزاء، فالقرآن ليس إلا موعظة للعالمين من الإنس والجن ليسترشدوا به إلى الصراط المستقيم، والطريق الصحيح.

﴿٩٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• من فضائل التوحيد أنه يضمن الأمن للعبد، خاصة في الآخرة حين يفزع الناس.
• تُقَرَّرُ الْآيَاتُ أن جميع من سبق من الأنبياء إنما بَلَّغُوا دَعْوَتَهُمْ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لا بقدرتهم.
• الأنبياء يشتركون جميعاً في الدعوة إلى توحيد الله تعالى مع اختلاف بينهم في تفاصيل التشريع.
• الاقتداء بالأنبياء سنة محمودة، وخاصة في أصول التوحيد.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۚ
 قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
 لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَخُفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ
 مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابُنَا أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ۚ
 وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
 غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ
 الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ عَذَابِ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ
 الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
 فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ
 ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
 شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

﴿٩١﴾ وما عظم المشركون الله حق تعظيمه حين قالوا لنبيه محمد ﷺ: ما أنزل الله على بشر شيئاً من الوحي، قل لهم - أيها الرسول -: من الذي أنزل التوراة على موسى نوراً وهداية وإرشاداً لقومه؟ يجعلها اليهود في دفاتر يظهرونها ما يوافق أهواءهم، ويكتمون ما يخالفها كصفة محمد ﷺ، وعلمتكم أنتم - أيها العرب - من القرآن ما لم تعلموا أنتم ولا أسلافكم من قبل، قل لهم - أيها الرسول -: أنزلها الله، ثم اتركهم في جهلهم وضلالهم يستهزئون ويسخرون حتى يأتيهم اليقين.

﴿٩٢﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه عليك - أيها النبي - وهو كتاب مبارك مصدق لما سبقه من الكتب السماوية، لتنذر به أهل مكة وسائر الناس في مشارق الأرض ومغاربها حتى يهتدوا، والذين يؤمنون بالحياة الآخرة يؤمنون بهذا القرآن، ويعملون بما فيه، ويحافظون على صلاتهم بإقامة أركانها وفروضها ومستحباتها في أوقاتها المحددة لها شرعاً.

﴿٩٣﴾ لا أحد أعظم ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بأن قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، أو قال كذباً: إن الله أوحى إلي، والله لم يوح إليه شيئاً، أو قال: سأنزل مثل ما أنزل الله من القرآن، ولو ترى - أيها الرسول - حين تصيب هؤلاء الظالمين سكرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم إليهم بالتعذيب والضرب، يقولون لهم على سبيل التعنيف: أخرجوا أنفسكم، فتحن نقبضها، في هذا اليوم تجزون عذاباً يهينكم وبذلكم بسبب ما كنتم تقولون على الله من الكذب بادعاء النبوة والوحي وإنزال مثل ما أنزل الله، وبسبب تكبركم عن الإيمان بآياته، لو ترى ذلك لرأيت أمراً فظيماً.

﴿٩٤﴾ ويقال لهم يوم البعث: ولقد أتيتمونا في هذا اليوم أفراداً، لا مال معكم ولا رئاسة، كما أنشأناكم أول مرة خفاة عراة غرلاً، وتركتم ما أعطيناكم من ذلك خلفكم في الدنيا رغماً عنكم، وما نرى اليوم معكم الهتكم الذين زعمتم أنهم وسطاء لكم، وزعمتم أنهم شركاء لله في استحقاق العباد، لقد تقطع الوصال بينكم، وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من شفاعتهم، وأنهم شركاء لله.

﴿٩٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إنزال الكتب على الأنبياء هو سُنَّةُ الله في المرسلين، والنبي عليه الصلاة والسلام واحد منهم.
- أعظم الناس كذباً وفرية هو الذي يكذب على الله تعالى، فينسب أو ينفي ويثبت في حق الله تعالى أمراً ليس عليه دليل صحيح.
- كل أحد يبعث يوم القيامة فرداً متجرداً عن المناصب والألقاب، فقيراً، ويحاسب وحده.

﴿٩٥﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠١﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾

١٤٠

﴿٩٥﴾ إن الله وحده هو الذي يشق الحب فيخرج منه الزروع، ويشق النوى فيخرج منه الشجر كالنخل والعنب وغيرهما، يخرج الحي من الميت؛ إذ يخرج الإنسان وسائر الحيوان من النطفة، ويخرج الميت من الحي؛ إذ يخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الدجاج، ذلكم الذي يصنع هذا هو الله الذي خلقكم، فكيف تُصرفون - أيها المشركون - عن الحق مع ما تشاهدونه من بديع صنعته؟

﴿٩٦﴾ وهو الذي يشق ضوء الصباح من ظلمة الليل، وهو الذي جعل الليل سكناً للناس يسكنون فيه عن الحركة لطلب المعاش؛ ليستريحوا من تعبهم في طلبه في النهار، وهو الذي جعل الشمس والقمر يجريان بحساب مُقَدَّر، ذلك المذكور من بديع الصُّنْع هو تقدير العزيز الذي لا يغالبه أحد، العليم بخلقه وما يصلح لهم.

﴿٩٧﴾ وهو الذي خلق لكم - يا بني آدم - النجوم في السماء لتهتدوا بها في أسفاركم إذا اشتبهت عليكم الطرق في البر والبحر، قد بيَّنا الأدلة والبراهين الدالة على قدرتنا، لقوم يتدبرون تلك الأدلة والبراهين فيستفيدون منها.

﴿٩٨﴾ وهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس أبيكم آدم، فقد بدأ خلقكم بخلق أبيكم من طين، ثم خلقكم منه، وخلق لكم ما تستقرون فيه، كأرحام أمهاتكم، ومُسْتَوْدَعًا تَسْتَوْدَعُونَ فيه، كأصلا بآبائكم، قد بيَّنا الآيات لقوم يفهمون كلام الله.

﴿٩٩﴾ وهو الذي أنزل من السماء ماء هوماء المطر، فأنبثنا به كل صنف من أصناف النبات، فأخرجنا من النبات زرعًا وشجرًا أخضر، نخرج منه حبًا يركب بعضه بعضًا كما يقع في السنابل، ومن طلع النخل تخرج عذوقه قريبة ينالها القائم والقاعد، وأخرجنا بساتين من العنب، وأخرجنا الزيتون والرمان متماثلاً ورقهما، مختلفاً ثمرهما، انظروا - أيها الناس - إلى ثمره أول ما يبدو، وإليه حين ينضج، إن في ذلكم - أيها الناس - لأدلة واضحة على قدرة الله لقوم يؤمنون بالله، فهم الذين يستفيدون من هذه الأدلة والبراهين.

﴿١٠٠﴾ وصيِّر المشركون الجن شركاء لله في العبادة حين اعتقدوا أنها تنفع وتضر، وقد أوجدهم الله، ولم يخلقهم غيره، فهو أولى بأن يُعْبَدَ، واختلقوا له بنين وبنات كما فعلت اليهود بعرَّير، والنصارى ب عيسى، وبنات كما فعل المشركون بالملائكة، تَرْتَدُّ وتَقْدَسُ عما يصفه به أهل الباطل.

﴿١٠١﴾ وهو الذي خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة؟ وهو قد خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

من قوائد الآيات،

- الاستدلال ببرهان الخلق والرزق (تخليق النبات ونموه وتحول شكله وحجمه ونزول المطر) وببرهان الحركة (حركة الأفلاك وانتظام سيرها وانضباطها)؛ وكلاهما ظاهر مشاهد - على انفراد الله ﷻ بالربوبية واستحقاق الألوهية.
- بيان ضلال وسخف عقول المشركين في عبادتهم للجن.

﴿١٠٦﴾ ذَلِكُمْ - أيها الناس - المتصف بتلك الصفات هوربكم، فلا رب لكم غيره، ولا معبود بحق غيره، وهو موجود كل شيء، فاعبدوه وحده، فهو المستحق للعبادة، وهو على كل شيء حفيظ. ﴿١٠٧﴾ لا تحيط به الأبصار، وهو سبحانه يدرك الأبصار، ويحيط بها، وهو اللطيف بعباده الصالحين، الخبير بهم.

﴿١٠٨﴾ قد جاءكم - أيها الناس - حج واضحة وبراهين جلية من ربكم، فمن تَعَقَّلَهَا وأذعن فَنَفَعُ ذلك يعود إليه، ومن عَمِيَ عنها، ولم يَتَعَقَّلَهَا، ولم يُذْغِن لها، فضرر ذلك مقصور عليه، ولست عليكم رقيباً، أحصي أعمالكم، إنما أنا رسول من ربي، وهو الرقيب عليكم.

﴿١٠٩﴾ وكما نَوَّعْنَا الأدلة والبراهين على قدرة الله نَنُوعُ الآيات في الوعد والوعيد والوعظ، وسيقول المشركون: ليس هذا وحياً، وإنما ذَرَسْتُهُ عن أهل الكتاب من قبلك. ولنبين الحق للناس بتويعنا لهذه الآيات للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فهم الذين يقبلون الحق، ويتبعونه.

﴿١١٠﴾ اتبع - أيها الرسول - ما يوحيه إليك ربك من الحق، فهو سبحانه لا معبود بحق غيره، ولا تشغل قلبك بالكافرين وعنادهم، فأمرهم إلى الله. ﴿١١١﴾ ولو شاء الله ألا يشركوا به أحداً ما أشركوا به أحداً، وما جعلناك - أيها الرسول - رقيباً تحصي عليهم أعمالهم، ولست عليهم بقيم، إنما أنت رسول، وما عليك إلا البلاغ.

﴿١١٢﴾ ولا تسبوا - أيها المؤمنون - الأصنام التي يعبدونها المشركون مع الله، وإن كانت أحقر شيء وأولاه بالسب؛ حتى لا يسب المشركون الله تطاولاً عليه، وجهلاً بما يليق به سبحانه، وكما زُيِّنَ لهؤلاء ما هم عليه من الضلال زُيِّنَ لكل أمة معلمهم، خيراً كان أو شراً، فَأَنَّا ما زُيِّنَا لهم منه، ثم إلى ربهم مرجعهم يوم القيامة، فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم عليه. ﴿١١٣﴾ وأقسم المشركون بالله أشد أيمانهم التي يقدرون عليها: لئن جاءهم محمد بأية من الآيات التي اقترحوها ليؤمننَّ بها، قل لهم - أيها الرسول -: الآيات ليست عندي فأنزلها، إنما هي عند الله ينزلها متى شاء، وما يدريكم - أيها المؤمنون - أن هذه الآيات إذا جاءت وفق ما اقترحوه لا يؤمنون؟ بل يبقون على عنادهم وجحودهم: لأنهم لا يريدون الهداية. ﴿١١٤﴾ وَتُغْلِبُ أَفْئِدَتُهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ بِالْحِيلُولَةِ بينها وبين الاهتداء للحق، كما حُلْنَا بينهم وبين الإيمان بالقرآن أول مرة بسبب عنادهم، وتركهم في ضلالهم وتمردهم على ربهم حيارى يتخبطون.

﴿١١٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٧﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٠٨﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ أَتَسْبَحُونَ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١١﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٤﴾

الله، وإن كانت أحقر شيء وأولاه بالسب؛ حتى لا يسب المشركون الله تطاولاً عليه، وجهلاً بما يليق به سبحانه، وكما زُيِّنَ لهؤلاء ما هم عليه من الضلال زُيِّنَ لكل أمة معلمهم، خيراً كان أو شراً، فَأَنَّا ما زُيِّنَا لهم منه، ثم إلى ربهم مرجعهم يوم القيامة، فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم عليه. ﴿١١٠﴾ وأقسم المشركون بالله أشد أيمانهم التي يقدرون عليها: لئن جاءهم محمد بأية من الآيات التي اقترحوها ليؤمننَّ بها، قل لهم - أيها الرسول -: الآيات ليست عندي فأنزلها، إنما هي عند الله ينزلها متى شاء، وما يدريكم - أيها المؤمنون - أن هذه الآيات إذا جاءت وفق ما اقترحوه لا يؤمنون؟ بل يبقون على عنادهم وجحودهم: لأنهم لا يريدون الهداية. ﴿١١١﴾ وَتُغْلِبُ أَفْئِدَتُهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ بِالْحِيلُولَةِ بينها وبين الاهتداء للحق، كما حُلْنَا بينهم وبين الإيمان بالقرآن أول مرة بسبب عنادهم، وتركهم في ضلالهم وتمردهم على ربهم حيارى يتخبطون.

- تنزيه الله تعالى عن الظلم الذي ترسَّخه عقيدة (الجبر)، وبيان أن كفر العباد وشرهم أمر يحدث باختيارهم.
- ليس بمقدور نبي من الأنبياء أن يأتي بأية من عند نفسه، أو متى شاء، بل ذلك أمر مردود لله تعالى، فهو القادر وحده على ذلك، وهو الحكيم الذي يُقَدِّرُ نوع الآية ووقت إظهارها.
- النهي عن سب آلهة المشركين حذراً من مفسدة أكبر وهي التعدي بالسب على جناب رب العالمين.
- قد يحول الله ﷻ بين العبد والهداية، ويَصْرِفُ بصره وقلبه على غير الطاعة؛ عقوبة له على اختياره الكفر.

﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا أَجْبَنَاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمَا
اقتراحوه، فنزلنا عليهم الملائكة
وشاهدوهم، وكلمهم الموتى،
وأخبروهم بصدقك فيما جئت به،
وجمعنا لهم كل شيء مما اقتراحوه
يوأجونه معاً؛ ما كانوا ليؤمنوا بما
جئت به، إلا من شاء الله له الهداية
منهم، ولكن أكثرهم يجهلون ذلك،
فلا يلجؤون إلى الله ليوفقهم للهداية.
﴿١١١﴾ وكما ابتليناك بمعاداة هؤلاء
المشركين لك ابتلينا كل نبي من
قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم
أعداء من مَرَدَّةِ الإنس، وأعداء من
مَرَدَّةِ الجن، يوسوس بعضهم لبعض
فيزينون لهم الباطل ليخدعوه، ولو
شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه،
ولكنه شاء لهم ذلك ابتلاء، فاتركهم
وما يفترون من الكفر والباطل، ولا
تعباً بهم.

﴿١١٢﴾ وَلِنَمِيلَ إِلَى مَا يَوسوس به
بعضهم لبعض، قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة، وليقبلوه لأنفسهم، ويرضوه
لها، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من
المعاصي والآثام.

﴿١١٣﴾ قل - أيها الرسول - هؤلاء
المشركين الذين يعبدون مع الله
غيره: هل يعقل أن أقبل غير الله
حكماً بيني وبينكم؟ قاله هو الذي
أنزل عليكم القرآن مَبِيناً مُسْتَوِفِيّاً
لكل شيء، واليهود الذين أعطيناهم
التوراة، والنصارى الذين أعطيناهم
الإنجيل، يعلمون أن القرآن مُنَزَّلٌ
عليك مشتملاً على الحق، لما وجدوه
في كتابيهما من الدليل على ذلك، فلا
تكون من الشاكين فيما أوحينا إليك.

﴿١١٤﴾ وَبَلَغَ الْقُرْآنُ غَايَةَ الصَّدَقِ فِي
الْأَقْوَالِ وَالْأَخْبَارِ، لَا مُغَيِّرَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ

﴿١١٥﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَانَ مَعَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَعْضِ
زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ ﴿١١٧﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٨﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي
حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٩﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٢٠﴾ وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٢١﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٢﴾ فَكُلُوا
مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾

١٤٢

السميع لأقوال عباده، العليم بها، فلا يخفى عليه شيء منها، وسيجازي من يسعى لتبديل كلماته.

﴿١٢٤﴾ وَلَوْ قَدَّرَ أَنْكَ أَطَعْتَ - أيها الرسول - أكثر من في الأرض من الناس يضلونك عن دين الله، فقد جرت سُنَّةُ الله أن يكون الحق مع القلة، فأكثر الناس لا يتبعون إلا الظن الذي لا مستند له، حيث ظنوا أن معبوداتهم تقربهم إلى الله رَفْعِي، وهم يكذبون في ذلك.

﴿١٢٥﴾ إِنْ رَبِّكَ - أيها الرسول - أعلم بمن يضل عن سبيله من الناس، وهو أعلم بالمهتدين إليها، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١٢٦﴾ فَكُلُوا - أيها الناس - مما ذُكِرَ اسم الله عليه عند الذبح، إن كنتم مؤمنين حقاً ببراهينه الواضحة.

﴿١٢٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• يجب أن يكون الهدف الأعظم للعبد اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي يبينها الله، ويعمل بذلك، ويرجو عَوْنَ ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته.

• من إنصاف القرآن للقلة المؤمنة العالمية إسناده الجهل والضلال إلى أكثر الخلق.

• من سنَّته تعالى في الخلق ظهور أعداء من الإنس والجنِّ للأنبياء وأتباعهم؛ لأنَّ الحقَّ يعرف بضده من الباطل.

• القرآن صادق في أخباره، عادل في أحكامه، لا يُعْتَرَّ في أخباره على ما يخالف الواقع، ولا في أحكامه على ما يخالف الحق.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثِمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَى أُولِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَّجْرِمِينَ لِيَمْلِكُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿١١٩﴾ ما الذي يمنعكم - أيها المؤمنون - من أن تأكلوا مما ذُكر اسمُ الله عليه، وقد بيّن لكم الله ما حرّم عليكم، فيجب عليكم تركه، إلا إذا ألجأكم إليه الضرورة، فالضرورة تبيح المحظور، وإن كثيراً من المشركين ليبعدون أتباعهم عن الحق بسبب آرائهم الفاسدة جهلاً منهم، حيث يُجلّون ما حرّم الله عليهم من الميتة وغيرها، ويحرّمون ما أحل الله لهم من البحيرة والوصيلة والحامي وغيرها، إن ربك - أيها الرسول - هو أعلم بالمجاوزين لحدود الله، وسيجازيهم على تجاوزهم لحدوده.

﴿١٢٠﴾ واتركوا - أيها الناس - ارتكاب المعاصي في العلانية والسر، إن الذين يرتكبون المعاصي في السر أو العلانية، سيجزيهم الله على ما اكتسبوه منها.

﴿١٢١﴾ ولا تأكلوا - أيها المسلمون - مما لم يُذكر اسم الله عليه، سواء ذُكر عليه اسم غيره أو لا، وإن الأكل منه لخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وإن الشياطين ليؤسسون إلى أوليائهم بإلقاء الشبهة لجادلوكم في أكل الميتة، وإن أطعتموهم - أيها المسلمون - فيما يلقونه من الشبهة - لإباحة الميتة - كنتم أنتم وهم سواء في الشرك.

﴿١٢٢﴾ وهل يستوي الذي كان قبل هداية الله له ميتاً - لما هو فيه من الكفر والجهل والمعاصي - فأحييناه بهدايته للإيمان والعلم والطاعة - مع من هو في ظلمات الكفر والجهل والمعاصي لا يستطيع الخروج منها،

قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك؟ كما حُسن لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الشرك وأكل الميتة والجدال بالباطل حُسن للكافرين ما كانوا يعملون من المعاصي ليجازوا عليها يوم القيامة بالعذاب الأليم.

﴿١٢٣﴾ ومثل ما حصل من أكابر المشركين في مكة من صد عن سبيل الله، جعلنا في كل قرية رؤساء وعظماء يعملون حيلهم وكيدهم في الدعوة إلى سبيل الشيطان ومحاربة الرسل وأتباعهم، والواقع أن مكدهم وكيدهم إنما يعود عليهم، ولكنهم لا يحسون بذلك لجهلهم وأتباع أهوائهم.

﴿١٢٤﴾ وإذا جاءت كبراء الكفار آية من الآيات التي ينزلها الله على نبيه، قالوا: لن نؤمن حتى يعطينا الله مثل ما أعطى الأنبياء من النبوة والرسالة، فردّ الله عليهم بأنه أعلم بمن هو صالح للرسالة والقيام بأعبائها، فيختصه بالنبوة والرسالة. سينال هؤلاء الطغاة ذل وإهانة لتكبرهم عن الحق، وعذاب شديد بسبب مكدهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها فإنه باق على الإباحة. ● كل من تكلم في الدين بما لا يعلمه، أو دعا الناس إلى شيء لا يعلم أنه حق أو باطل، فهو معتد ظالم لنفسه وللناس، وكذلك كل من أفتى وليس هو بكفاء للإفتاء. ● منفعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه، بل مُتَعَدِّية لغيره من الناس.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا يَمْعَشِرُ الْجِنِّ قَدْ أَسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أُولِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَمْعَشِرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

١٤٤

﴿١٢٥﴾ فمن يرد الله أن يوفقه إلى طريق الهداية يفسح صدره ويهيئه لقبول الإسلام، ومن يرد أن يضلّه ولا يوفقه للهداية يجعل صدره شديد الضيق عن قبول الحق، بحيث يمتنع دخول الحق إلى قلبه كامتناع ارتقائه إلى السماء وعجزه عن ذلك بذاته، وكما جعل الله حال الضال بهذه الحال من الضيق الشديد يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

﴿١٢٦﴾ وهذا الدين الذي شرعناه لك - أيها الرسول - هو صراط الله المستقيم الذي لا عوجاج فيه، قد بينا الآيات لمن له وعي وفهم يعي به عن الله.

﴿١٢٧﴾ لهم دار يسلمون فيها من كل مكروه وهي الجنة، والله ناصرهم ومؤيدهم جزاء على ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿١٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشر الله الثقّلين من الإنس والجن، ثم يقول الله: يا معشر الجن، قد أكثرتم من إضلال الإنس وصدّهم عن سبيل الله، وقال أتباعهم من الإنس مجيبين ربه: يا ربنا، تمّنع كل منا بصاحبه، فالجني تمّنع بطاعة الإنسي له، والإنسي تمّنع بنيل شهواته، وبلغنا الأجل الذي أجّلت لنا، فهذا يوم القيامة، قال الله: النار مُسْتَقَرُّكُمْ خالدين فيها إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم، فذلك المدة التي استثنّاها الله من خلودهم في النار، إن ربك - أيها الرسول - حكيم في تقديره وتدييره، عليم بعباده، وبمن يستحق منهم العذاب.

﴿١٢٩﴾ وكما وُلّينا المردة من الجن، وسَلَطْنَاهُمْ على بعض الناس لِيُضْلُوهُمْ، نولي كل ظالم ظالماً يحته على الشر ويحضه عليه، وينفّره عن الخير، ويزهده فيه؛ جزاء لهم على ما كانوا يكسبون من المعاصي.

﴿١٣٠﴾ ونقول لهم يوم القيامة: يا معشر الإنس والجن، ألم يأتكم رسل من جنسكم - فهم من الإنس - يتلون عليكم ما أنزل الله عليهم، ويخوّفونكم لقاء يومكم هذا الذي هو يوم القيامة؟ قالوا: بلى، أقرنا اليوم على أنفسنا بأن رسلك قد بلغنا، وأقرنا بقاء هذا اليوم، لكن كذبنا رسلك، وكذبنا بقاء هذا اليوم. وخذعتهم الحياة الدنيا بما فيها من زينة ورُحِف ونعيم زائل، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا كافرين بالله وبرسله، ولن ينفعهم هذا الإقرار ولا الإيمان؛ لفوات وقته.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- سُنَّةُ اللَّهِ فِي الضَّلَالِ والهداية أنهما من عنده تعالى، أي بخلقه وإيجاده، وهما من فعل العبد باختياره بعد مشيئة الله.
- ولاية الله للمؤمنين بحسب أعمالهم الصالحة، فكلما زادت أعمالهم الصالحة زادت ولايته لهم والعكس.
- من سُنَّةِ اللَّهِ أن يولي كل ظالم ظالماً مثله، يدفعه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفّره عنه.

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبَّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
 غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَما رَبُّكَ
 يَغْفِلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ
 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا
 يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾
 إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ فَسَوْفَ نَعْمَلُ
 مَنْ تَكُونُ لَهُ وَعَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
 فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
 لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
 يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ
 زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَائِهِمْ لِيُرَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿١٣١﴾ ذلك الإعذار بإرسال الرسل إلى الإنس والجن لئلا يُعاقب أحدٌ على ما جناه وهو لم يُرسل إليه رسول، ولم تبلغه دعوة، فلم تعذب أمة من الأمم إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

﴿١٣٢﴾ ولكل منهم درجات بحسب أعمالهم، فلا يستوي كثير الشر وقليله، ولا التابع والمتبوع، كما لا يستوي ثواب الذين يعملون الصالحات، وليس ربك بغافل عما كانوا يعملونه، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٣٣﴾ وربك - أيها الرسول - هو الغني عن عباده، فلا يحتاج إليهم، ولا إلى عبادتهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم فهو ذو رحمة بهم، إن يشأ إهلاككم - أيها العباد الغفصة - يستأصلكم بعداب من عنده، ويوجد بعد إهلاككم من يشاء ممن يؤمنون به ويطيعونه، كما خلقكم أنتم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

﴿١٣٤﴾ إن ما توعدون به - أيها الكفار - من البعث والنشور والحساب والعقاب لآت لا محالة، ولن تقوتوا ربكم بالهرب، فهو أخذ بنواصيكم، ومعذبكم بعذابه.

﴿١٣٥﴾ قل - أيها الرسول -: يا قوم اثبتوا على طريقتكم وما أنتم عليه من الكفر والضلال، فقد أعذرت وأقمت الحجة عليكم بالبلاغ المبين، فلست مباليًا بكفركم وضلالكم، بل سأثبت على ما أنا عليه من الحق، فستعلمون من يكون له النصر في الدنيا، ومن يرث الأرض، ومن له الدار الآخرة، إنه لا يفوز المشركون لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل عاقبتهم الخسران، وإن تمتعوا بما تمتعوا به في الدنيا.

﴿١٣٦﴾ وابتدع المشركون بالله أن جعلوا لله مما خلق من الزروع والأنعام قِسْمًا، فزعموا أنه لله، وقِسْمًا آخر لأوثانهم وأنصابهم، فما خَصَّصوه لشركائهم لا يصل إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالفقراء والمساكين، وما خَصَّصوه لله فهو يصل إلى شركائهم من الأوثان يصرف في مصالحها، ألا ساء حكمهم وقسمتهم.

﴿١٣٧﴾ وكما حَسَنَ الشيطان للمشركين هذا الحكم الجائر حَسَنَ لكثير من المشركين شركاؤهم من الشياطين أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر؛ ليهلكوهم بالوقوع في قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، وليخلطوا عليهم دينهم فلا يعرفون ما هو مشروع وما هو غير مشروع، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء ذلك لحكمة بالغة، فاترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين واقتراءهم الكذب على الله، فإن ذلك لا يضرهم، وسلَّم أمرهم لله.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تفاوت مراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات يوجب تفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب.
- اتباع الشيطان موجب لانحراف الفطرة حتى تصل لاستحسان القبيح مثل قتل الأولاد ومساواة أصنامهم بالله ﷻ.

﴿١٢٨﴾ وقال المشركون: هذه أنعام وزرع ممنوعة لا يأكل منها إلا من يشاءون بزعمهم وافترائهم من خدام الأوثان وغيرهم، وهذه أنعام حُرِّمَتْ ظهورها؛ فلا تُرْكَب، ولا يُجَمَل عليها، وهي البَحِيرَةُ والسائبة والحامي، وهذه أنعام لا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وإنما يذكرونها باسم أصنامهم؛ ارتكبوا ذلك كله كذباً على الله أن ذلك من عنده، سيجزيهم الله بعدابه بسبب ما كانوا يفترون عليه. وقالوا: ما في بطون هذه السَّوَابِجِ والبَخَائِرِ من الأجنة إن وُلِدَ حياً حلال على ذكورنا، مُحَرَّمٌ على نساتنا، وإن وُلِدَ ما في بطونها من الأجنة ميتاً فالذكور والإناث فيه شركاء. سيجزيهم الله تعالى بقولهم هذا ما يستحقون، إنه حكيم في تشريعه وتدييره شؤون خلقه، عليم بهم.

﴿١٢٩﴾ قد هلك الذين قتلوا أولادهم لِحَقَّةٍ عَقُولُهُمْ وَجَهْلُهُمْ، وَحَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ من الأنعام ناسبين ذلك إلى الله كذباً، قد يُعَدُّوا عن الصراط المستقيم، وما كانوا مهتدين إليه. ﴿١٣٠﴾ والله سبحانه هو الذي خلق بساتين مبسوطه على وجه الأرض دون ساق، ومرفوعة عليها ذات ساق، وهو الذي خلق النخل، وخلق الزرع مختلفاً ثمره في الشكل والطعم، وهو الذي خلق الزيتون والرمان ورقهما متشابه، وطعمهما غير متشابه، **أَيُّهَا النَّاسُ** - من ثمره إذا أثمر، وأدَّوا زكاته يوم حصاده، ولا تتجاوزوا الحدود الشرعية في الأكل والإنفاق، فالله لا يحب المتجاوزين لحدوده

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّتْ حَجَرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْعِمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حَرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَیَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣١﴾ وَمَنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٢﴾

١٤٦

فيهما ولا في غيرهما، بل يبغيه، إن الذي خلق ذلك كله هو الذي أباحه لعباده، فليس للمشركين تحريمه.

﴿١٣٣﴾ وهو الذي أنشأ لكم من الأنعام ما هو صالح لأن يُجَمَل عليه ككبار الإبل، وما ليس صالحاً لذلك كصغاره وكالغنم، **كُلُوا** - أيها الناس - مما رزقكم الله من هذه الأشياء التي أباحها لكم، ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله كما يفعل المشركون، إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو واضح العداوة حيث يريد منكم أن تعصوا الله بذلك.

﴿١٣٤﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ذم الله المشركين بسبع صفات هي: الخسران والسفاهة وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتمام؛ فهذه أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم.
- الأهواء سبب تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.
- وجوب الزكاة في الزروع والثمار عند حصادها، مع جواز الأكل منها قبل إخراج زكاتها، ولا يُحَسَّب من الزكاة.
- التمتع بالطيبات مع عدم الإسراف ومجاوزة الحد في الأكل والإنفاق.

﴿١٤٣﴾ خَلَقَ لَكُمْ ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ؛ مِنَ الضَّأْنِ ذَوْجَيْنِ؛ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلْمُشْرِكِينَ: هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الذَّكَرَيْنِ مِنْهُمَا لَعَلَّ الذِّكْرَةَ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَحْرِمُونَ الْإِنَاثَ؟ أَوْ أَنَّهُ حَرَّمَ الْأُنثَيَيْنِ لَعَلَّ الْأُنْثَى؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تُحَرِّمُونَ الذَّكَرَيْنِ؟ أَوْ أَنَّهُ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ لَعَلَّ اشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْحَامُ بِتَحْرِيمِ ذِكْرِهِ تَارَةً وَتَحْرِيمِ إِنَاثِهِ تَارَةً، أَخْبِرُونِي - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بِمَا تَسْتَدُونَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ.

﴿١٤٤﴾ وَبَقِيَةُ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ هِيَ: زَوْجَانِ مِنَ الْإِبِلِ، وَزَوْجَانِ مِنَ الْبَقَرِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلْمُشْرِكِينَ: اللَّهُ حَرَّمَ مَا حَرَّمَ مِنْهَا لَذِكْرَتِهِ، أَمْ لِأُنْثَوَتِهِ، أَمْ لِاشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ أَمْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - حَاضِرِينَ - بِزِعْمِكُمْ - حِينَ وَضَّاعَكُمْ اللَّهُ بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ؟! فَلَا أُحَدِّثُكُمْ أَكْبَرَ جُرْمًا مِمَّنْ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ، فَتَسْبِإُ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يَحْرَمْ؛ لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَسْتَدِلُّ بِهِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُوقِفُ لِلْهَدَايَةِ الظَّالِمِينَ بِافْتِرَائِهِمُ الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ.

﴿١٤٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَا أُحَدِّثُكُمْ فِيمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ شَيْئًا مُحَرَّمًا إِلَّا مَا مَاتَ دُونَ ذِكَاةٍ، أَوْ كَانَ دَمًا سَائِلًا، أَوْ كَانَ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ نَجَسٌ حَرَامٌ، أَوْ كَانَ مِمَّا دُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ كَالْمَذْبُوحِ لِأَصْنَامِهِمْ، فَمِنْ أَلْجَآتِهِ الضَّرُورَةُ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ لِشِدَّةِ الْجُوعِ غَيْرِ طَالِبٍ تَلَدُّدًا بِأَكْلِهَا، وَغَيْرِ مُتَجَاوِزٍ حُدُودَ الضَّرُورَةِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنْ أَكَلَ مِنْهَا، رَحِيمٌ بِهِ.

﴿١٤٦﴾ وَلَهُمَا ذِكْرُ اللَّهِ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْأُمَّةِ ذَكَرَ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْيَهُودِ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ مَا حَرَّمَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ لَا يَسْتَدُونَ فِيهِ عَلَى مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِيهِ إِمْلَاءَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ:

﴿١٤٧﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَى الْيَهُودِ مَا لَمْ يَنْتَرَقْ أَصَابِعُهُ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِلَّا مَا عُلِقَ بِظُهُورِهِمَا، أَوْ مَا حَمَلَتْهُ الْأَمْعَاءُ، أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ كَالْأَلْيَةِ وَالْجَنْبِ، وَقَدْ جَازَيْنَاهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي كُلِّ مَا نَخْبِرُ بِهِ.

﴿١٤٨﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْمَنَازِلَةِ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ، وَإِثْبَاتِ الْقَوْلِ بِالنَّظَرِ وَالْقِيَاسِ.

● الْوَحْيُ وَمَا يَسْتَبْطِئُ مِنْهُ هُوَ الطَّرِيقُ لِمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

● إِنْ مِنَ الظُّلْمِ أَنْ يُقَدِّمَ أَحَدٌ عَلَى الْإِفْتَاءِ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَكُنْ قَدْ غَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ يَفْتِي بِالصَّوَابِ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ.

● مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ الْإِذْنَ لَهُمْ فِي تَنَاوُلِ الْمَحْرَمَاتِ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ.

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإِنثَيَيْنِ أَمْآ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ ١٤٣ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإِنثَيَيْنِ أَمْآ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَضَعَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ ١٤٤ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ١٤٥ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ ١٤٦

كَالْمَذْبُوحِ لِأَصْنَامِهِمْ، فَمِنْ أَلْجَآتِهِ الضَّرُورَةُ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ لِشِدَّةِ الْجُوعِ غَيْرِ طَالِبٍ تَلَدُّدًا بِأَكْلِهَا، وَغَيْرِ مُتَجَاوِزٍ حُدُودَ الضَّرُورَةِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنْ أَكَلَ مِنْهَا، رَحِيمٌ بِهِ.

﴿١٤٦﴾ وَلَهُمَا ذِكْرُ اللَّهِ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْأُمَّةِ ذَكَرَ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْيَهُودِ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ مَا حَرَّمَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ لَا يَسْتَدُونَ فِيهِ عَلَى مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِيهِ إِمْلَاءَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ:

﴿١٤٧﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَى الْيَهُودِ مَا لَمْ يَنْتَرَقْ أَصَابِعُهُ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِلَّا مَا عُلِقَ بِظُهُورِهِمَا، أَوْ مَا حَمَلَتْهُ الْأَمْعَاءُ، أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ كَالْأَلْيَةِ وَالْجَنْبِ، وَقَدْ جَازَيْنَاهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي كُلِّ مَا نَخْبِرُ بِهِ.

﴿١٤٧﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شُهِدَآ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَشْرَافُ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿١٤٧﴾ سيقول المشركون محتجّين بمشيئة الله وقدره على صحة إشراكهم بالله: لو شاء الله ألا نشرك نحن ولا آبائنا بالله لما أشركنا به، ولو شاء الله ألا نحرم ما حرّمناه على أنفسنا لما حرّمناه. وبمثل حجّتهم الداحضة كذب الذين من قبلهم برسلمة قائلين: لو شاء الله ألا نكذب بهم لما كذبنا بهم، واستمروا على هذا التكذيب حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هل عندكم من دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به وأن تحلّوا ما حرّمه وتحرموا ما أحله؟ فمجرد وقوع ذلك منكم ليس دليلاً على رضاه عنكم، إنكم لا تتبعون في ذلك إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وما أنتم إلا تكذبون.

﴿١٤٨﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين: إن لم تكن لكم حجج إلا هذه الحجج الواهية فإن لله الحجة القاطعة التي تنقطع عندها معاذيركم التي تقدمونها، وتبطل بها شبهكم التي تتعلّقون بها، فلو شاء الله توفيقكم جميعاً للحق - أيها المشركون - لوفّقكم له.

﴿١٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرّمون ما أحل الله، ويدّعون أن الله هو الذي حرّمه: أحضروا شهودكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء التي حرّمتموها، فإن شهدوا بغير علم على أن الله حرّمها فلا تصدّقهم - أيها الرسول - في شهادتهم؛ لأنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء الذين يحكّمون أهواءهم، فقد كذبوا بآياتنا حين حرّموا ما أحل الله لهم، ولا تتبع الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم بربهم يشركون فيساوون به غيره، وكيف يتّبع من هذا مسلكه مع ربه؟

﴿١٥١﴾ قل - أيها الرسول - للناس: تعالوا أقرأ عليكم ما حرّمه الله، حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً من مخلوقاته، وأن تعفّوا آباءكم، بل يجب عليكم الإحسان إليهم، وأن تقتلوا أولادكم بسبب الفقر، كما كان يفعل أهل الجاهلية، نحن نرزقكم ونرزقهم، وحرّم أن تقرّبوا الفواحش ما علّن منها وما أسرّ به، وأن تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، كالزنى بعد الإحصان، والردة بعد الإسلام، ذلّكم المذكور وصّاكم به لعلكم تعقلون عن الله أوامره ونواهيه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الحذر من الجرائم الموصلة لبأس الله؛ لأنه لا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد. • الاحتجاج بالقضاء والقدر بعد أن أعطى الله تعالى كل مخلوق قُدرة وإرادة يتمكّن بهما من فعل ما كُلف به؛ ظلّم محض وعناد صرف. • ذلّت الآيات على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به. • النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها.

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفِ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ
مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿١٥٢﴾ وَخَرَّمُ أَنْ تَتَعَرَّضُوا لِمَالِ الْيَتِيمِ - وهو الذي فقد أباه قبل البلوغ - إلا بما فيه صلاح ونفع له وزيادة لماله حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد، وخرَّم عليكم التطفيف في الكيل والميزان، بل يجب عليكم العدل في الأخذ والإعطاء في البيع والشراء، لا تكلف نفسًا إلا طاقتها، فما لا يمكن الاحتراز منه من الزيادة أو النقصان في المكايل وغيرها لا مؤاخذه فيه، وخرَّم عليكم أن تقولوا غير الصواب في خبر أو شهادة دون محاباة قريب أو صديق، وخرَّم عليكم نقض عهد الله إن عاهدتم الله أو عاهدتم بالله، بل يجب عليكم الوفاء بذلك، ذلك المتقدم أمركم الله به أمرًا مؤكدًا؛ رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم.

﴿١٥٣﴾ وَخَرَّمُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا سُبُلَ الضلال وطرقه، بل يجب عليكم اتباع طريق الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وطرق الضلال تؤدي بكم إلى التفرق والبعد عن طريق الحق، ذلك الاتباع لطريق الله المستقيم هو الذي وصاكم الله به؛ رجاء أن تتقوه بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

﴿١٥٤﴾ ثم بعد الإخبار بما ذكر نخبر أنَّا أعطينا موسى التوراة تمامًا للنعمة جزاءً على إحسانه العمل، وتبيينًا لكل شيء يحتاج إليه في الدين، ودلالة على الحق ورحمة رجاء أن يؤمنوا ببقاء ربهم يوم القيامة فيستعدوا له بالعمل الصالح.

﴿١٥٥﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه كثير البركة؛ لما يشتمل عليه من المنافع الدنيوية والدنيوية، فاتبعوا ما أنزل فيه، واحذروا مخالفته رجاء أن ترحموا.

﴿١٥٦﴾ لئلا تقولوا - يا مشركي العرب -: إنما أنزل الله التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى من قبلنا، ولم يُنزل علينا كتابًا، وإنا لا ندري تلاوة كتبهم لأنها بلغتهم، وليست بلغتنا.

﴿١٥٧﴾ ولئلا تقولوا: لو أنزل الله علينا كتابًا كما أنزل على اليهود والنصارى لَكُنَّا أَكْثَرُ اسْتِقَامَةٍ مِنْهُمْ، فقد جاءكم كتاب أنزل الله على نبيكم محمد ﷺ بلسانكم، وذلك حجة واضحة وإرشاد إلى الحق ورحمة للأمة، فلا تعتذروا بالأعذار الواهية، وتعللوا بالعلل الباطلة، ولا أحد أعظم ظلمًا ممن كذب بآيات الله وانصرف عنها، سناقب الذين ينصرفون عن آياتنا عقابًا شديدًا بإدخالهم في نار جهنم جزاءً على انصرافهم وإعراضهم عنها.

﴿١٥٨﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لا يجوز التصرف في مال اليتيم إلا في حدود مصلحته، ولا يُسَلَّمُ ماله إلا بعد بلوغه الرشد.
- سبل الضلال كثيرة، وسبيل الله وحده هو المؤدي إلى النجاة من العذاب.
- اتباع هذا الكتاب علمًا وعملاً من أعظم أسباب نيل رحمة الله.

﴿١٥٨﴾ ما ينتظر المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم في الدنيا، أو يأتي ربك يوم الفصل في الآخرة - أيها الرسول - لفصل القضاء بينهم، أو يأتي بعض آيات ربك الدالة على الساعة، يوم يأتي بعض آيات ربك - كطلوع الشمس من مغربها - لا ينفع كافرًا إيمانه، ولا ينفع مؤمنًا لم يعمل خيرًا من قبله عمله، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: انتظروا أحد هذه الأشياء، إنا منتظرون.

﴿١٥٩﴾ إن الذين جعلوا دينهم متفرقًا من اليهود والنصارى، حيث أخذوا بعضه وتركوا بعضه، وكانوا فرقةً مختلفين، لست - أيها الرسول - منهم في شيء، فأنت بريء مما هم عليه من الضلال، وليس عليك إلا إنذارهم، فأمرهم موكل إلى الله، ثم هو يوم القيامة يخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا فيجازيهم عليه.

﴿١٦٠﴾ من أتى يوم القيامة من المؤمنين بحسنة ضاعفها الله له عشر حسنات، ومن أتى بسيئة فلن يُعاقب إلا بمثلها في الخفة والعظم، لا أكثر منها، وهم يوم القيامة لا يُظلمون بنقص ثواب الحسنات، ولا بزيادة عقاب السيئات.

﴿١٦١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: إنني أرشدني ربي إلى طريق مستقيم هو طريق الدين القائم بمصالح الدنيا والآخرة، وهو ملة إبراهيم المائل إلى الحق، والذي لم يكن من المشركين قط.

﴿١٦٢﴾ قل - أيها الرسول -: إن صلاتي ودعوتي لله وعلى اسم الله، لا

على غيره، وحياتي وموتي، كل ذلك لله رب المخلوقات وحده، وليس لغيره نصيب في ذلك. ﴿١٦٣﴾ وهو سبحانه لا شريك له، ولا معبود بحق غيره، وبهذا التوحيد الخالص من الشرك أمرني الله، وأنا أول المستسلمين له من هذه الأمة. ﴿١٦٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أغير الله أبغي ربًا وهو ^{هو} رب كل شيء؟ فهو رب المعبودات التي تعبدونها من دونه، ولا يعمل بريء ذنب غيره، ثم إلى ربكم وحده رجوعكم يوم القيامة فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من أمر الدين. ﴿١٦٥﴾ والله هو الذي جعلكم تخلفون من سبقكم في الأرض: للقيام بعمارتها، ورفع بعضكم في الخلق والرزق وغيرهما فوق بعض درجات: ليختبركم فيما آتاكم من ذلك، إن ربك - أيها الرسول - سريع العقاب، فكل ما هوأت فهو قريب، وإنه لغفور لمن تاب من عباده رحيم به.

﴿١٦٦﴾ من قوايد الآيات:

- أن الدين يأمر بالاجتماع والاتئلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف.
- من تمام عدله تعالى وإحسانه أنه يجازي بالسيئة أمثالها، وهذا أقل ما يكون من التضعيف.
- الدين الحق القيم يتطلب تسخير كل أعمال العبد واهتماماته لله ^{تعالى}، فله وحده يتوجه العبد بصلاته وعبادته ومناسكه وذبائحه وجميع قرباته وأعماله في حياته وما أوصى به بعد وفاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء
١٦

الْمَصِّ ١ كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ ۚ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ ۚ أُولَٰئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
٣ وَكَرَّمَن قَرِيَةً أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٥ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقْصِصَ عَلَيْهِمْ بِعَمَلِهِمْ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ٧
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۖ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ وَقَالَ لِذَلِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ٨ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ وَقَالَ لِذَلِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّن السَّاجِدِينَ ١١

١٥١

• من مقاصد السورة:

انتصار الحق في صراعه مع الباطل، وبيان عاقبة المستكبرين في الدنيا والآخرة.

• التفسير:

١ ﴿الْمَصِّ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ القرآن الكريم كتاب أنزله الله عليك - أيها الرسول - فلا يكن في صدرك منه ضيق ولا شك، أنزله إليك لتخوف به الناس، وتقيم به الحجة، ولتذكر به المؤمنين، فهم الذين ينتفعون بالذكرى.

٣ اتبعوا - أيها الناس - الكتاب الذي أنزله ربكم عليكم، وسنة نبيكم، ولا تتبعوا أهواء من ترونهم أولياء من شياطين أو أحبار سوء، تتولونهم تاركين ما أنزل عليكم لأجل ما تمليه أهواؤهم، إنكم قليلًا ما تذكرون؛ إذ لو تذكركم لما أترتم على الحق غيره، ولا تبعتم ما جاء به رسولكم، وعملتم به، وتركتم ما سواه.

٤ ما أكثر القرى التي أهلكتها بعدابنا لما أصرت على كفرها وضلالها، فنزل عليها عذابنا الشديد في حال غفلتها ليلا أو نهارًا، فلم يستطيعوا دفع العذاب عن أنفسهم، ولم تدفعه عنهم ألتهتهم المزعومة. ٥ فما كان منهم بعد نزول العذاب إلا أن أقروا على أنفسهم بظلمهم بالكفر بالله.

٦ فلنسألن يوم القيامة الأمم التي أرسلنا إليها رسلنا عما أجابوا به

الرسول، ولنسألن الرسل عن تبليغ ما أمروا بتبليغه، وعما أجابتهم به أمهم.

٧ فلنقصن على جميع الخلق أعمالهم التي عملوها في الدنيا بعلم منا، فقد كنا عالمين بأعمالهم كلها، لا يغيب عنا منها شيء، وما كنا غائبين عنهم في أي وقت من الأوقات. ٨ ووزن الأعمال يوم القيامة يكون بالعدل الذي لا جور معه ولا ظلم، فمن رجحت عند الوزن كفة سيئاته فأولئك هم الذين فازوا بالمطلوب، ونجوا من المرهوب. ٩ ومن رجحت عند الوزن كفة سيئاته على كفة حسناته فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك يوم القيامة، بسبب جعدهم بآيات الله. ١٠ ولقد مكناكم - يا بني آدم - في الأرض، وجعلنا لكم فيها أسبابًا للعيش، فكان عليكم أن تشكروا الله على ذلك، لكن شكركم كان قليلًا. ١١ ولقد أنشأنا - أيها الناس - أياكم آدم، ثم صورناه في أحسن صورة، وأحسن تقويم، ثم أمرنا الملائكة بالسجود لإكرامًا له، فامتثلوا وسجدوا، إلا إبليس أبى أن يسجد تكبرًا وعنادًا.

• من فوائد الآيات:

• من مقاصد إنزال القرآن الإنذار للكافرين والمعاندين، والتذكير للمؤمنين. • أنزل الله القرآن إلى المؤمنين ليتبعوه ويعملوا به، فإن فعلوا ذلك كملت تربيتهم، وتمت عليهم النعمة، وهُدوا لأحسن الأعمال والأخلاق. • الوزن يوم القيامة لأعمال العباد يكون بالعدل والقسط الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه. • هيأ الله الأرض لانتفاع البشر بها، بحيث يتمكنون من البناء عليها وحرثها، واستخراج ما في باطنها للانتفاع به.

﴿١٢﴾ قال الله تعالى توبعًا لإبليس: أي شيء منعك من امتثال أمري لك بالسجود لأدم؟ قال إبليس مجيبًا ربه: منعني أنني أفضل منه، فقد خلقتني من نار، وخلقته هو من طين، والنار أشرف من الطين.

﴿١٣﴾ قال الله له: اهبط من الجنة، فليس لك أن تتكبر فيها؛ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فما يجوز لك أن تكون فيها، إنك - يا إبليس - من الحقيرين الذليلين، وإن كنت ترى نفسك أنك أشرف من آدم.

﴿١٤﴾ قال إبليس: يا رب، أمهلني إلى يوم البعث حتى أغوي من أستطيع إغواءه من الناس.

﴿١٥﴾ قال له الله: إنك - يا إبليس - من الممهلين الذين كتبت عليهم الموت يوم النفخة الأولى في الصور حين يموت الخلق كلهم، ويبقى خالقهم وحده.

﴿١٦﴾ قال إبليس: بسبب إضلالك إياي حتى تركت امتثال أمرك بالسجود لأدم لأفقدن لبني آدم على صراطك المستقيم؛ لأصرفهم وأضلهم عنه كما ضللت أنا عن السجود لأبيهم آدم. ثم لآتيهم من جميع الجهات بالتهديد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، والقاء الشبهات، وتحسين الشهوات، ولا تجد - يا رب - أكثرهم شاكركم لك؛ لما أمليه عليهم من الكفر.

﴿١٧﴾ قال الله له: اخرج - يا إبليس - من الجنة مذمومًا مطرودًا من رحمة الله، ولأملأن جهنم يوم القيامة منك ومن كل من اتبعك وأطاعك وعصى أمر ربه.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لَّنْ يَتَّبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمَلْنَا لَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَكَادُ مَسْكَنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ إِتِهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَذَلَّلَهُمَا يَغرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ اتِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿١٩﴾ وقال الله لأدم: يا آدم، اسكن أنت وزوجتك حواء الجنة، فكلًا مما فيها من الطيبات ما شئتما، ولا تأكلا من هذه الشجرة (شجرة عينها الله لهما) فإنكما إن أكلتما منها بعد نهبي لكما كنتما من المتجاوزين لحدود الله.

﴿٢٠﴾ فألقى لهما كلامًا خفيًا إبليس: ليُظهر لهما ما سُرَّ عنهما من عوراتهما، وقال لهما: ما نهاكما الله عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين، وإلا كراهة أن تكونا من الخالدين في الجنة.

﴿٢١﴾ وحلف لهما بالله: إني لكما - يا آدم وحواء - لمن الناصحين فيما أشرت عليكما به.

﴿٢٢﴾ فخطبهما من المنزلة التي كانا فيها بخداع منه وغرور، فلما أكلا من الشجرة التي نُهيَا عن الأكل منها ظهرت لهما عوراتهما مكشوفة، فأخذا يُلْقِزان عليهما من ورق الجنة؛ ليسترَا عوراتهما، وناداهما ربهما قائلًا: ألم أنهكما عن الأكل من هذه الشجرة، وأقل لكما محذرًا لكما: إن الشيطان عدو لكما بين العداوة؟

﴿٢٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- دلّت الآيات على أن من عصى مولاه فهو ذليل.
- أعلن الشيطان عداوته لبني آدم، وتوعد أن يصدهم عن الصراط المستقيم بكل أنواع الوسائل والأساليب.
- خطورة المعصية وأنها سبب لعقوبات الله الدنيوية والأخروية.

﴿٢٣﴾ قال آدم وحواء: يا ربنا، ظلمنا أنفسنا بارتكاب ما نهيتنا عنه من الأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا ذنوبنا وترحمنا برحمتك، لنكونن من الخاسرين بإضاعتنا حظنا في الدنيا والآخرة.

﴿٢٤﴾ قال الله لآدم وحواء وإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، وسيكون بعضكم عدوا لبعض، ولكم في الأرض مكان استقرار إلى وقت معلوم، وتمتع بما فيها إلى أجل مسمى.

﴿٢٥﴾ قال الله مخاطباً آدم وحواء وذريتهما: في هذه الأرض تحيئون مدة ما قدر الله لكم من آجال، وفيها تموتون وتدفنون، ومن قبوركم تخرجون للبعث.

﴿٢٦﴾ يا بني آدم، قد جعلنا لكم لباساً ضرورياً لستر عوراتكم، وجعلنا لكم لباساً كاملياً تتجملون به في الناس، ولباس التقوى - التي هي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه - خير من هذا اللباس الحسي، ذلك المذكور من اللباس من آيات الله الدالة على قدرته، لعلمكم تتذكرون نعمه عليكم فتشكرونها.

﴿٢٧﴾ يا بني آدم، لا يعزركم الشيطان بتزيين المعصية بترك اللباس الحسي لستر العورة أو ترك لباس التقوى، فقد خدع أبويكم بتزيين الأكل من الشجرة حتى كان مآل ذلك أن أخرجهما من الجنة، وبدت لهما عوراتهما، إن الشيطان وذريته يرونكم ويشاهدونكم وأنتم لا ترونهم ولا تشاهدونهم، فيلزمكم الحذر منه ومن ذريته، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بالله، وأما المؤمنون

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمُرٍ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَتْرِكُكُمْ هُوَ وَوَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

الذين يعملون الصالحات فلا سبيل لهم عليهم. ﴿٣١﴾ وإذا ارتكب المشركون أمراً بالغ النكر كالشرك والطواف بالبيت عراة وغيرهما، اعتذروا بأنهم وجدوا آباهم يرتكبونها، وأن الله أمرهم بذلك، قل - يا محمد - ردّاً عليهم: إن الله لا يأمر بالمعاصي، بل ينهى عنها، فكيف تدّعون ذلك عليه؟ أقولون - أيها المشركون - على الله ما لا تعلمون كذباً واقتراء؟ ﴿٣٢﴾ قل - يا محمد - لهؤلاء المشركين: إن الله أمر بالعدل، ولم يأمر بالفحشاء والمنكر، وأمر أن تخلصوا له العبادة عمومًا، وعلى وجه الخصوص في المساجد، وأن تدعوه وحده مخلصين له الطاعة، كما خلقكم من عدم أول مرة يعيدكم أحياء مرة أخرى، فالقادر على بدء خلقكم قادر على إعادتكم وبعثكم. ﴿٣٣﴾ وقد جعل الله الناس فريقين: فريقاً منكم هداة، ويسر له أسباب الهداية، وصرف عنه موانعها، وفريقاً آخر وجبت عليهم الضلالة عن طريق الحق، ذلك أنهم صيروا الشياطين أولياء من دون الله، فانقادوا لهم جهلاً، وهم يظنون أنهم مهتدون إلى الصراط المستقيم.

● من قَوَائِدِ آيَاتٍ: ● من أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتباؤه ربه وهداؤه. ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنب بالإصرار والعناد - فإنه لا يزداد من الله إلا بُعداً. ● اللباس نوعان: ظاهري يستر العورة، وباطني وهو التقوى الذي يستمر مع العبد، وهو جمال القلب والروح. ● كثير من أعوان الشيطان يدعون إلى نزع اللباس الظاهري؛ لتكشف العورات، فيهن على الناس فعل المنكرات وارتكاب الفواحش. ● أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد إذا تولى - بجهله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال.

* يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذْ وَزِينَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ تَهُمُّ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ يا بني آدم، البسوا ما يستر عورتكم، وما تتجملون به من اللباس النظيف الطاهر عند الصلاة والطواف، وكلوا واشربوا ما شئتم من الطيبات التي أحلها الله، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في ذلك، ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدود الاعتدال. ﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول - ردًا على المشركين الذين يُحَرِّمونَ ما أحل الله من اللباس والطيبات من المأكولات وغيرها: من الذي حَرَّمَ عليكم اللباس الذي هو زينة لكم؟ ومن الذي حَرَّمَ عليكم الطيبات من المأكولات والمشروبات وغيرها مما رزقكم الله؟ قل - أيها الرسول -: إن تلك الطيبات للمؤمنين في الحياة الدنيا، وإن شاركهم غيرهم فيها في الدنيا فهي خاصة بهم يوم القيامة، لا يشاركهم فيها كافر؛ لأن الجنة محرمة على الكافرين، مثل هذا التفصيل نُفَصِّلُ الآيات لقوم يدركون؛ لأنهم الذين ينتفعون بها.

﴿٣٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله: إن الله إنما حرم على عباده الفواحش، وهي قبائح الذنوب، ظاهرة كانت أو باطنة، وحرم المعاصي كلها، والاعتداء ظلمًا على الناس في دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وحرم عليكم أن تشركوا مع الله غيره مما ليس لكم حجة فيه، وحرم عليكم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه. ﴿٣٤﴾ ولكل جيل وقرن مدة وميقات محدد لآجالهم، فإذا جاء ميقاتهم المُقَدَّر لا يتأخرون عنه زمانًا

وإن قل، ولا يتقدمون عليه. ﴿٣٥﴾ يا بني آدم إذا جاءكم رسل مني من أقوامكم يتلون عليكم ما أنزلت عليهم من كُتُبِي فأطيعوهم، واتبعوا ما جاؤوا به، فالذين يتقون الله بامتنال أو امره واجتناب نواهيه ويصلحون أعمالهم، لا خوف عليهم يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. ﴿٣٦﴾ وأما الكافرون الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، وترفعوا تكبرًا عن العمل بما جاءتهم به رسلهم، فإنهم أصحاب النار الملامون لها الماكثون فيها أبدًا. ﴿٣٧﴾ لا أحد أظلم من الذي يفترى على الله الكذب بنسبة الشريك إليه أو النقص أو القول عليه بما لم يقله، أو كذب بآياته الجليلة الهادية إلى صراطه المستقيم، أولئك المتصفون بذلك ينالهم حظهم المكتوب لهم في اللوح المحفوظ من خير أو شر، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم قالوا لهم توبخنا لهم: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ ادعوها لتنفعكم، قال المشركون للملائكة: لقد ذهب عنا الآلهة التي كنا نعبد وغابت، فلا ندري أين هي، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، لكن إقرارهم في ذلك الحين حجة عليهم، ولن ينفعهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• المؤمن مأمور بتعظيم شعائر الله من خلال ستر العورة والتجمل في أثناء صلاته وخاصة عند التوجه للمسجد. • من فسر القرآن بغير علم أو أفترى بغير علم أو حكم بغير علم فقد قال على الله بغير علم وهذا من أعظم المحرمات. • في الآيات دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رعب ولا فزع، وإذا لحقهم فمآلهم الأمن. • أظلم الناس من عطل مراد الله تعالى من جهتين: جهة إبطال ما يدل على مراده، وجهة إيهام الناس بأن الله أراد منهم ما لا يريد الله.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبْهُمْ وَلَا يُلْهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَتَبَتْ لَهُمْ عَذَابَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي عَصَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ٢٧

وَقَالَتْ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَرِهَتْ أَسْبَاطُكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ٢٨

وَقَالَتْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ ٢٩

وَقَالَتْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمِينَ ٣٠

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٣١

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢

٢٧ قالت لهم الملائكة: ادخلوا أيها المشركون - في جملة أمم قد مضت من قبلكم على الكفر والضلال من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة من الأمم لعنت أختها التي سبقتها إلى النار، حتى إذا تلاحقوا فيها، واجتمعوا كلهم قالت أجزأهم دخولاً وهم السفلة والأتباع، لأولاهم وهم الكبراء والسادة: يا ربنا، هؤلاء الكبراء هم الذين أضلونا عن طريق الهداية، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً لتزيينهم الضلال لنا، قال الله ردّاً عليهم: لكل طائفة منكم نصيب من العذاب مضاعف، ولكنكم تجهلون ذلك ولا تدركونه.

٢٨ وقال السادة المتبوعون لاتباعهم: ليس لكم - أيها الأتباع - علينا من فضل تستحقون به تخفيف العذاب عنكم، فالعبرة بما كسبتم من الأعمال، ولا عذر لكم في اتباع الباطل، فذوقوا - أيها الأتباع - العذاب مثملاً ذقتاه بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي.

٢٩ إن الذين كذبوا بآياتنا الواضحة، وتكبروا عن الانقياد والإذعان لها آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأعمالهم بسبب كفرهم، ولا لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يدخلون الجنة أبداً حتى يدخل الجمل - وهو من أعظم الحيوانات - في ثقب الإبرة الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من المستحيل، فالمعلق عليه وهو دخولهم الجنة مستحيل، ومثل هذا الجزاء يجزي الله من عظمت ذنوبه.

٣٠ لهؤلاء المكذبين المتكبرين من جهنم فراش يفرشونه، ولهم من فوقهم أغطية من نار، ومثل هذا الجزاء نجزي المتجاوزين لحدود الله بكفرهم به وإعراضهم عنه، والذين آمنوا بريهم وعملوا من الأعمال الصالحة ما يستطيعون - ولا يكلف الله نفساً فوق ما تستطيعه - أولئك أصحاب الجنة يدخلونها ما كتبت فيها أبداً، ومن تمام نعيمهم في الجنة أن نزع الله ما في قلوبهم من البغضاء والحقد، وأجرى الأنهار من تحتهم، وقالوا معترفين لله بإنعامه عليهم: الحمد لله الذي وفقنا لهذا العمل الصالح الذي أنالنا هذه المنزلة، وما كنا لنوفق إليه من تلقاء أنفسنا لولا أن الله وفقنا إليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه والصدق في الوعد والوعيد، ونادى فيهم مناد: أن هذه هي الجنة التي أخبرتكم بها رسلي في الدنيا، أعقبكم الله إياها بما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة، التي تريدون بها وجه الله.

٣١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● المودة التي كانت بين المكذبين في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعة. ● أرواح المؤمنين تفتح لها أبواب السماء حتى تَعْرُجَ إلى الله، وتبتهج بالقرب من ربها والخطوة برضوانه. ● أرواح المكذبين المعرضين لا تفتح لها أبواب السماء، وإذا ماتوا وصعدت فهي تستأذن فلا يؤذن لها، فهي كما لم تصعد في الدنيا بالإيمان بالله ومعرفته ومحبته، فذلك لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل. ● أهل الجنة نجوا من النار بغضو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته.

﴿٤٤﴾ ونادى أهل الجنة الملائمون لها أهل النار الملائمين لها بعد دخول كل منهما منزله المَعْد له: إنا قد لقينا ما وعدنا ربنا من الجنة واقعًا متحققًا، فقد أدخلنا إياها، فهل لقيتم - أيها الكفار - ما توعدهم الله به من النار واقعًا متحققًا؟ قال الكفار: لقد وجدنا ما توعدها به من النار حقًا، فنادى مُناد داعيًا الله أن يطرد الظالمين من رحمته، فقد فتح لهم أبواب رحمته فأعرضوا عنها في الحياة الدنيا.

﴿٤٥﴾ هؤلاء الظالمون هم الذين كانوا يعرضون عن سبيل الله بأنفسهم، ويحملون غيرهم على الإعراض عنها، ويرجون أن تكون سبيل الحق مقوجة حتى لا يسلكها الناس، وهم بالآخرة كافرون غير مستعدين لها.

﴿٤٦﴾ وبين هذين الفريقين: أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز مرتفع يسمى الأعراف، وعلى هذا الحاجز المرتفع رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم يعرفون أصحاب الجنة بعلاماتهم كبياض الوجوه، وأصحاب النار بعلاماتهم كسواد الوجوه، ونادى هؤلاء الرجال أصحاب الجنة تكريماً لهم قائلين: سلام عليكم. وأصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يأملون دخولها برحمة من الله.

﴿٤٧﴾ وإذا حُوِّلَت أبصار أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار، وشاهدوا ما هم فيه من العذاب الشديد، قالوا داعين الله: يا ربنا، لا تُصَيِّرنا مع القوم الظالمين بالكفر والشرك بك. ﴿٤٨﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوُا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

من أهل النار من الكفار يعرفونهم بعلاماتهم كسواد وجوههم وزرقة عيونهم قائلين لهم: لم ينفعكم تكثركم بالمال والرجال، وما نفعكم إعراضكم عن الحق تكبرًا واستعلاء. ﴿٤٩﴾ وقال الله موبخًا الكفار: أهؤلاء هم الذين حلفتُم أن لا ينالهم الله برحمة من عنده؟ وقال الله للمؤمنين: ادخلوا - أيها المؤمنون - الجنة لا خوف عليكم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا لما لقيتم من النعيم المقيم. ﴿٥٠﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ملتسمين منهم قائلين: أوسعوا صب الماء علينا - يا أصحاب الجنة -، أو مما رزقكم الله من الطعام، قال أصحاب الجنة: إن الله حرمهما على الكافرين بسبب كفرهم، وإننا لن نُسَعِّفكم بما حرمه الله عليكم. ﴿٥١﴾ هؤلاء الكافرون هم الذين جعلوا دينهم سخرية وعبثًا، وخذعهم الحياة الدنيا برُخرفها وزينتها، فيوم القيامة ينسأهم الله، ويطرحهم يقاسون العذاب كما نسوا لقاء يوم القيامة فلم يعملوا له، ولم يستعدوا، ولجحدوهم بجحج الله وبراهينه وإنكارهم لها مع علمهم بأنها حق.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● عدم الإيمان بالبعث سبب مباشر للإقبال على الشهوات. ● يتيقن الناس يوم القيامة تحقق وعد الله لأهل طاعته، وتحقق وعيده للكافرين. ● الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق في النار، وبينهما فريق في مكان وسط لتساوي حسناتهم وسيئاتهم، ومصيرهم إلى الجنة. ● على الذين يملكون المال والجاه وكثرة الأتباع أن يعلموا أن هذا كله لن يفيني عنهم من الله شيئًا، ولن ينجيهم من عذاب الله.

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ
يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ
بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾
أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٧﴾
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقًا
سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

الجلال والكمال، رب العالمين. ﴿٥٤﴾ ادعوا - أيها المؤمنون - ربكم بتذلل تام وتواضع خفية وسراً، مخلصين في الدعاء غير مرأين ولا مشركين به سبحانه غيره في الدعاء، إنه لا يحب المتجاوزين لحدوده في الدعاء، ومن أعظم التجاوز لحدوده في الدعاء دعاء غيره معه كما يفعل المشركون. ﴿٥٥﴾ ولا تفسدوا في الأرض بارتكاب المعاصي بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل ﷺ وإعمارها بطاعته وحده، وادعوا الله وحده مستشعرين الخوف من عقابه، ومنظرين حصول ثوابه، إن رحمة الله قريب من المحسنين، فكونوا منهم. ﴿٥٦﴾ والله سبحانه هو الذي يرسل الرياح مُبَشِّرَاتٍ بالمطر، حتى إذا حملت الرياح السحاب المُثَقَّلَ بالماء سُقْنَاهُ السحاب إلى بلد مُجْدِبٍ فَأَنْزَلْنَا بِالْبَلَدِ الْمَاءَ، فَأَخْرَجْنَا بِالماء من جميع أنواع الثمار، مثل إخراج الثمر على تلك الصورة نخرج الموتى من قبورهم أحياء، فعلنا ذلك رجاء أنكم - أيها الناس - تتذكرون قدرة الله وبديع صنعه، وأنه قادر على إحياء الموتى.

﴿٥٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- القرآن الكريم كتاب هداية فيه تفصيل ما تحتاج إليه البشرية، رحمة من الله وهداية لمن أقبل عليه بقلب صادق.
- خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام لحكمة أرادها سبحانه، ولو شاء لقال لها: كوني فكانت.
- يتعين على المؤمنين دعاء الله تعالى بكل خشوع وتضرع حتى يستجيب لهم بفضله.
- الفساد في الأرض بكل صورته وأشكاله منهى عنه.

﴿٥٨﴾ ولقد جئناهم بهذا القرآن الذي هو كتاب منزل على محمد ﷺ، وقد بيَّناه على علم منا بما نبينه، وهو هادٍ للمؤمنين إلى طريق الرشd والحق، ورحمة بهم لما فيه من الدلالة على خيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٩﴾ ما ينتظر الكفار إلا وقوع ما أخبروا بوقوعه من العذاب الأليم الذي يؤول إليه أمرهم في الآخرة، يوم يأتي ما أخبروا به من ذلك، وما أخبر به المؤمنون من الثواب، يقول الذين نسوا القرآن في الدنيا، ولم يعملوا بما جاء فيه: لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، فليت لنا وسطاء يشفعون لنا عند الله ليعفينا من العذاب، أو ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا لنعمل عملاً صالحاً نتجوبه بدل ما كنا نعمل من السيئات، قد خسر هؤلاء الكافرون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وغاب عنهم من كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم يفهمهم. ﴿٥٦﴾ إن ربكم - أيها الناس - هو الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض على غير مثال سابق في ستة أيام، ثم علا وارفع سبحانه على العرش علواً يليق بجلاله لا ندرك كيفيته، يُدْهِبُ ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلباً سريعاً بحيث لا يتأخر عنه، فإذا ذهب هذا دخل هذا، وخلق سبحانه الشمس، وخلق القمر، وخلق النجوم مَذَلَّلَاتٍ مَّهَيَّاتٍ، أَلَا لِلَّهِ وحده الخلق كله، فمن خالق غيره؟ وله الأمر وحده، وعظم خيره وكثر إحسانه، فهو المتصف بصفات

﴿٥٨﴾ والأرض الطيبة تُخْرِجُ نباتها بإذن الله إخراجاً حسناً تاماً، وهكذا المؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها، فتنتج عملاً صالحاً، والأرض السَّيِّئَةُ المالحة لا تُخْرِجُ نباتها إلا عَسِيراً لا خير فيه، وهكذا الكافر لا ينتفع بالمواعظ، فلا تنتج عنده عملاً صالحاً ينتفع به، مثل هذا التشويع البديع تنوع البراهين والحجج لإثبات الحق لقوم يشكرون نعم الله، فلا يكفرونها، ويطيعون ربهم.

﴿٥٩﴾ لقد بعثنا نوحاً رسولاً إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله، وترك عبادة غيره، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم في حال إصراركم على الكفر.

﴿٦٠﴾ قال له سادة قومه وكبرؤهم: إنا لنراك - يا نوح - في بعد عن الصواب واضح.

﴿٦١﴾ قال نوح لكبراء قومه: لست ضالاً كما زعمتم، وإنما أنا على هدى من ربي، فأنا رسول إليكم من الله ربي وربكم ورب العالمين كلهم.

﴿٦٢﴾ أبلغكم ما أرسلني الله به إليكم مما أوحى إلي، وأريد لكم الخير بترغيبكم في امتثال أمر الله وما يترتب عليه من ثواب، وترهيبكم من ارتكاب نواهيه وما يترتب عليه من العقاب، وأعلم من الله سبحانه ما لا تعلمون مما علمني عن طريق الوحي.

﴿٦٣﴾ أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم وحي وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم تعرفونه؟ فقد نشأ فيكم، ولم يكن كذاباً ولا ضالاً، وليس من جنس آخر، جاءكم ليخوفكم من عقاب الله إن كذبتهم وعصيتهم، ولتتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ورجاء أن تُرحموا إن أنتم به. ﴿٦٤﴾ فكذبهم قومه، ولم يؤمنوا به، بل استمروا على كفرهم، فدعا عليهم أن يهلكهم الله، فسلمناهم وسلمنا الذين معه في السفينة من المؤمنين من الغرق، وأهلكنا الذين كذبوا بآياتنا واستمروا على تكذيبهم بالغرق بالطوفان المنزل عقاباً لهم، إن قلوبهم كانت عمياً عن الحق. ﴿٦٥﴾ وأرسلنا إلى قبيلة عاد رسولاً منهم، هو هود، قال: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تتقون؟ ﴿٦٦﴾ قال الكبراء والسادة من قومه الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله: إنا لنعلم أنك - يا هود - في خفة عقل وطيش حين تدعونا إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وإنا لنعتقد جازمين أنك من الكاذبين فيما تدعيه من أنك مرسل. ﴿٦٧﴾ قال هود ردّاً على قومه: يا قوم ليس بي خفة عقل وطيش، بل إني رسول من رب العالمين.

﴿٦٨﴾ من قوايد الآيات:

● الأرض الطيبة مثال للقلوب الطيبة حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، وكما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتثبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، والعكس. ● الأنبياء والمرسلون يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم. ● من سُنَّة الله إرسال كل رسول من قومه وبلسانهم: تأليفاً لقلوب الذين لم تقسُد فطرتهم، وتيسيراً على البشر. ● من أعظم السفهاء من قابل الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للعلماء والنصحاء، وانتقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَاذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبَثَ لَإِيْحُجْ
إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِّنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَى
عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ
جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ
أَتَجِدُونَنِي فِي سَّمَاءٍ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ
الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَى شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَكُومُ عَبْدُ اللَّهِ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ وَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾

اللَّهُ وعبادته، قال لهم صالح: يا قوم، اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود غيره يستحق العبادة، قد جاءكم آية واضحة من الله على صدق ما جئتمكم به، يتمثل في ناقة تخرج من صخرة، لها وقت تشرب فيه، ولكم شرب يوم معلوم، فاتركوها تأكل في أرض الله، فليس عليكم من مؤنتها شيء، ولا تصيبوها بأذى، فيصيبكم بسبب إيذاها عذاب موحج.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ينبغي الثَّحْلِي بالصبر في الدعوة إلى الله تأسياً بالأنبياء ﷺ.
- من أولويات الدعوة إلى الله الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ورفض الإشراك به ونبذ.
- الاغترار بالقوة المادية والجسدية يصرف صاحبها عن الاستجابة لأوامر الله ونواهيه.
- النبي يكون من جنس قومه، لكنه من أشرفهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم معشراً، وأرفعهم خلقاً.
- الأنبياء وورثتهم يقابلون السَّهَاءَ بالحلم، ويغضون عن قول السَّوء بالصَّحْ والعفو والمغفرة.

﴿٦٨﴾ أبلِّغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم من توحيده وشرعه، وأنا لكم ناصح فيما أمرت بتبليغه آمين، لا أزيد فيه ولا أنقص.

﴿٦٩﴾ أو أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم تذكير من ربكم على لسان رجل من جنسكم، ليس من جنس الملائكة أو الجن لينذركم؟ واحمدوا ربكم واشكروه على أن مكَّن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون قوم نوح الذين أهلكهم الله بكفرهم، واشكروا الله أن خصَّكم بعظم الأجسام والقوة وشدة البطش، واذكروا نعم الله الواسعة عليكم رجاء أن تقوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٧٠﴾ قال قومه له: اجئنا - يا هود - لتأمرنا بعبادة الله وحده، ولنترك ما كان يعبد آباؤنا؟ فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

﴿٧١﴾ فرد عليهم هود قائلاً: لقد استوجبتكم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، أتجادلونني في أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وليس لها حقيقة؟ فما نزل الله حجة تحتجون بها على ما تدعون لها من الألوهية، فانظروا ما طلبتم تعجيله لكم من العذاب، وأنا معكم من المنتظرين، فهو واقع.

﴿٧٢﴾ فسلمنا هوداً ﷺ ومن كان معه من المؤمنين برحمة منا، واستأصلنا بالهلاك الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين، بل كانوا مكذبين، فاستحقوا العذاب.

﴿٧٣﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً يدعوهم إلى توحيد

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا مَنْ أَمِنْ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنْ صَلَحَ مَا رَسَلُ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِأَلَّذِي
ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أُنْتُمْ إِنَّمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَإِذًا لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

﴿٧٤﴾ وتذكروا نعمة الله عليكم حين جعلكم تخلفون قوم عاد، وأنزل لكم في أرضكم تتمتعون بها، وتدركون مطالبكم، وذلك بعد إهلاك عاد بعد تماديهم في الكفر والتكذيب، تبنون في سهول الأرض القصور، وتقطعون الجبال لتصنعوا بيوتاً لكم، فاذكروا نعم الله عليكم لتشكروا الله عليها، واتركوا السعي في الأرض بالفساد، وذلك بترك الكفر بالله وترك المعاصي.

﴿٧٥﴾ قال السادة والرؤساء ممن استكبروا من قومه للمؤمنين من قومه الذين يستضعفونهم: أتعلمون أيها المؤمنون - أن صالحاً رسول من الله حقاً؟ فأجابهم المؤمنون المستضعفون: إنا بالذي أرسل به صالح إلينا مصدقون ومقررون ومنقادون، وبشرعه عاملون.

﴿٧٦﴾ قال المستعطفون من قومه: إنا بالذي صدقتم به - أيها المؤمنون - كافرون، فلن نؤمن به، ولن نعمل بشرعه.

﴿٧٧﴾ فتعروا الناقة التي نهاهم أن يمسوها بإيذاء، مستكبرين عن امتثال أمر الله، وقالوا مستهزئين مُستبِعين لما توعدهم به صالح: يا صالح، جئنا بما توعدتنا به من العذاب الأليم إن كنت من رسل الله حقاً.

﴿٧٨﴾ فجاء الكافرين ما استعجلوه من العذاب، حيث أخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا صرعى ملتصقة وجوههم وركبتهم بالأرض، لم ينج منهم أحد من الهلاك.

﴿٧٩﴾ فأعرض صالح ﷺ عن قومه بعد اليأس من استجابتهم، وقال لهم:

يا قوم، لقد أوصلت لكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم، ونصحتكم مرعياً لكم ومرهّباً، ولكنكم قوم لا تحبون الناصحين الحريصين على دلائلكم على الخير وإبعادكم عن الشر.

﴿٨٠﴾ واذكر لو طأ حين قال مستكراً على قومه: أتأتون الفعلة المنكرة المُستقبحة وهي إتيان الذكور؟ هذه الفعلة التي ابتدعتها، فلم يسبقكم إلى ارتكابها أحد!

﴿٨١﴾ إنكم لتأتون الرجال لقضاء الشهوة دون النساء اللائي خلُقن لقضاها، فلم تتبعوا في فعلتكم هذه عقلاً ولا نقلاً ولا فطرة، بل أنتم متجاوزون لحدود الله بخروجكم عن حد الاعتدال البشري، وانحرافكم عما تقتضيه العقول السليمة، والفطر الكريمة.

من قوايد الآيات،

- الاستكبار يتولد غالباً من كثرة المال والجاه، وقلة المال والجاه تحمل على الإيمان والتصديق والانقياد غالباً.
- جواز البناء الرفيع كالقصور ونحوها؛ لأن من آثار النعمة: البناء الحسن مع شكر المنعم.
- الغالب في دعوة الأنبياء أن يبادر الضعفاء والفقراء إلى الإصغاء لكلمة الحق التي جاؤوا بها، وأما السادة والزعماء فيتمردون ويستعلون عليها.
- قد يعم عذاب الله المجتمع كله إذا كثر فيه الحَبْثُ، وعُدم فيه الإنكار.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ وَقَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَآوُوا إِلَى الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ ۖ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ ۖ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿٨٢﴾ وما كان ردُّ قومه المرتكبين لهذه الفاحشة عما أنكره عليهم إلا أن قالوا معرضين عن الحق: أخرجوا لوطاً وأهله من قريبتكم: إنهم أناس يتطهرون عن عملنا هذا، فلا يليق بنا أن يبقوا بين ظهرانينا.

﴿٨٣﴾ فسلمناه وأهله حيث أمرناهم بالخروج ليلاً من القرية التي سيق عليها العذاب، إلا امرأته صارت مع الباقين مع قومها، فأصابها ما أصابهم من العذاب.

﴿٨٤﴾ وأمطرنا عليهم مطراً عظيماً، حيث رميناهم بحجارة من طين، وقلبنا القرية، فجعلنا عليها سافلها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة قوم لوط المجرمين؟ فقد كانت عاقبتهم الهلاك والخزي الدائم.

﴿٨٥﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم شعيباً ﷺ، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، قد جاءكم برهان من الله واضح، وحجة جلية على صدق ما جئكم به من ربي، أدوا إلى الناس حقوقهم بإكمال الكيل وإكمال الوزن، ولا تنقصوا الناس بغيب سلعمهم، والتزهيد فيها، أو المخادعة لأصحابها، ولا تقسدوا في الأرض بالكفر وارتكاب المعاصي بعد إصلاحها ببعثة الأنبياء من قبل، ذلك المذكور خير لكم وأنفع إن كنتم مؤمنين؛ لما فيه من ترك المعاصي اجتناباً لنهي الله عنها، ولما فيه من التقرب إلى الله بفعل ما أمر به.

﴿٨٦﴾ ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من سلكه من الناس لتسلبوا أموالهم، وتصدوا عن دين الله من أراد الاهتداء به، طالبين أن تكون سبيل الله معوجة حتى لا يسلكها الناس، واذكروا نعمة الله عليكم لتشكروها له، فقد كان عدكم قليلاً فكثركم، وتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض من قبلكم، فإن عاقبتهم كانت الهلاك والدمار.

﴿٨٧﴾ وإن كان جماعة منكم آمنوا بما جئت به من ربي، وجماعة أخرى لم يؤمنوا بذلك فانتظروا - أيها المكذبون - ما يفصل الله بينكم وهو خير من يفصل وأعدل من يقضي.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- اللواط فاحشة تدلُّ على انتكاس الفطرة، وناسب أن يكون عقابهم من جنس عملهم فنكس الله عليهم قراهم.
- تقوم دعوة الأنبياء - ومنهم شعيب ﷺ - على أصليين: تعظيم أمر الله؛ ويشمل الإقرار بالتوحيد وتصديق النبوة، والشفقة على خلق الله؛ ويشمل ترك البُخْس وترك الإفساد وكل أنواع الإيذاء.
- الإفساد في الأرض بعد الإصلاح جُرم اجتماعي في حق الإنسانية؛ لأن صلاح الأرض بالعبادة والأخلاق فيه خير للجميع، وإفساد الأرض عدوان على الناس.
- من أعظم الذنوب وأكبرها وأشدّها وأفحشها أخذُ ما لا يحقُّ أخذه شرعاً من الوظائف المالية بالقهر والجبر؛ فإنه غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له.

* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
 كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
 إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَبِيًّا إِنَّكُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ
 ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ
 كَذَبُوا شُعَبِيًّا كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَبِيًّا كَانُوا
 هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
 رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ
 كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا
 بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا
 مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا
 الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

١٦٢

﴿٨٨﴾ قال الكبراء والرؤساء الذين
 استكبروا من قوم شعيب لشعيب
 ﴿٨٩﴾ لنخرجنك - يا شعيب - من
 قريتنا هذه أنت ومن معك من الذين
 صدّقوا بك، أو لترجعنَّ إلى ديننا، قال
 لهم شعيب منكراً ومتعجباً: أأتابعكم
 على دينكم وملّتكم حتى لو كنا كارهين
 لها لعلّنا بيطلان ما أنتم عليه؟

﴿٩٠﴾ قد اختلفنا على الله كذباً إن
 نحن اعتقدنا ما أنتم عليه من شرك
 وكفر بعد أن سلّمنا الله بفضله منه،
 وما يصح ولا يستقيم لنا أن نرجع إلى
 ملّتكم الباطلة إلا أن يشاء الله ربنا،
 لخضوع الجميع لمشيئته سبحانه،
 أحاط ربنا بعلم كل شيء، لا يخفى
 عليه منه شيء، على الله وحده اعتمدنا
 ليثبتنا على الصراط المستقيم،
 ويعصمنا من طرق الجحيم، يا ربنا،
 احكم بيننا وبين قومنا الكافرين
 بالحق، فانصر صاحب الحق المظلوم
 على الظالم المعاند، فأنت - يا ربنا -
 خير الحاكمين.

﴿٩١﴾ وقال الكبراء والرؤساء الكافرون
 من قومه الراضون لدعوة التوحيد
 مُحذَرين من شعيب ودينه: لئن دخلتم
 - يا قومنا - في دين شعيب، وتركتم
 دينكم ودين آبائكم إنكم بذلك
 لهلكون.

﴿٩٢﴾ فأخذتهم الزلزلة الشديدة،
 فأصبحوا هلكى في ديارهم، منكبين
 على ركبهم ووجوههم، ميتين هامدين
 في دارهم.

﴿٩٣﴾ الذين كَذَبُوا شُعَبِيًّا هلكوا
 جميعاً، وصاروا كأنهم لم يقيموا
 بدارهم ولم يتمتعوا فيها، الذين كذبوا
 شعبيّاً كانوا هم الخاسرين؛ لأنهم

خسروا أنفسهم وما ملّكوا، ولم يكن المؤمنون من قومه هم الخاسرين كما ادعى هؤلاء الكافرون المكذبون.
 ﴿٩٤﴾ وأعرض عنهم بنبيهم شعيب ﴿٩٥﴾ لَمَّا هلكوا، وقال مخاطباً إياهم: يا قوم، لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم، ونصحت
 لكم فلم تقبلوا نصحي، ولم تتقادوا لإرشادي، فكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرين على كفرهم؟
 ﴿٩٦﴾ وما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَكَذَّبَ أَهْلَهَا وَكَفَرُوا، إِلَّا أَخَذْنَاهُمْ بِالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ رَجَاءً أَنْ يَتَذَلَّلُوا
 لِلَّهِ فَيَتْرَكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْتِكْبَارِ. وهذا تحذير لقريش ولكل من كفر وكذب بذكر سُنَّةِ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةِ.
 ﴿٩٧﴾ ثم بدلناهم بعد الأخذ بالبؤس والمرض خيراً وسعة وأمناً حتى كثرت أعدادهم، ونمت أموالهم، وقالوا: ما أصابنا من الشر
 والخير هو عادة مُطَّردة أصابت أسلافنا من قبل، ولم يدركوا أن ما أصابهم من نَقَمٍ يُرَادُ بِهِ الْإِعْتِبَارُ، وما أصابهم من نعم يُرَادُ بِهِ
 الاستدراج، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم لا يشعرون بالعذاب ولا يترقبونه.

﴿٩٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من مظاهر إكرام الله لعباده الصالحين أنه فتح لهم أبواب العلم ببيان الحق من الباطل، وبنجاة المؤمنين، وعقاب الكافرين.
- من سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادَةِ الْإِمَهَالِ: لكي يتعظوا بالأحداث، ويُقَلِّعُوا عما هم عليه من معاص وموبقات.
- الابتلاء بالشدة قد يصبر عليه الكثيرون، ويحتمل مشقاته الكثيرون، أما الابتلاء بالرخاء فالذين يصبرون عليه قليلون.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
 مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
 بِلَيْتٍ أَوْ هُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم
 بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ
 فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ
 لِلَّذِينَ يَرْتُوثَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءُ
 أَصَبَتْهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَتَطَّعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
 ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ
 قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
 لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿٩٦﴾ ولو أن أهل هذه القرى التي أرسلنا إليها رسلنا صدّقوا ما جاءتهم به رسلهم، واتقوا ربهم بترك الكفر والمعاصي وامتنال أوامرهم لفتحنا عليهم أبواب الخير من كل جهة، ولكنهم لم يصدقوا ولم يتقوا، بل كذبوا بما جاءت به رسلهم، فأخذناهم بالعذاب فجأة بسبب ما كانوا يكسبونه من الآثام والذنوب.

﴿٩٧﴾ أفأمن أهل هذه القرى المكذبة أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون مستغرقون في راحتهم وهدوئهم؟

﴿٩٨﴾ أوأمنوا أن يأتيهم عذابنا أول النهار، وهم لاهون غافلون لانشغالهم بدنياهم؟

﴿٩٩﴾ انظروا إلى ما منحهم الله من الإمهال، وأنعم عليهم به من القوة وسعة الرزق استدراجاً لهم؛ أفأمن هؤلاء المكذبون من أهل تلك القرى مكر الله وتدييره الخفي؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون، وأما الموفقون فإنهم يخافون مكره، فلا يفترون بما أنعم به عليهم، وإنما يرون مثته عليهم، فيشكرونه.

﴿١٠٠﴾ أولم يتبين للذين يستخفون في الأرض بعد إهلاك أسلافهم من الأمم بسبب ذنوبهم، ثم لم يعتبروا بما حل بهم، بل عملوا أعمالهم، ألم يتبين لهؤلاء أن الله لو شاء إصابتهم بذنوبهم لأصابهم بها كما هي سنته؟ ويختم على قلوبهم فلا تتعظ بموعظة، ولا تتفهمها ذكرى.

﴿١٠١﴾ تلك القرى السابقة - وهي قرى أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - نتلو عليك ونخبرك - أيها الرسول - من أخبارها وما كانت عليه من تكذيب

وعناد وما حل بها من هلاك؛ ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر، وموعظة لمن يتعظ، ولقد جاءت أهل هذه القرى رسلهم بالبراهين الواضحة على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به. ومثل ختم الله على قلوب أهل هذه القرى المكذبين برسلهم يختم الله على قلوب الكافرين بمحمد ﷺ، فلا يهتدون للإيمان.

﴿١٠٢﴾ وما وجدنا لأكثر الأمم التي أرسل إليها الرسل من وفاء والتزام بما أوصاهم الله، ولم نجد لهم انقياداً لأوامره، وإنما وجدنا أكثرهم خارجين عن طاعة الله.

﴿١٠٣﴾ ثم أرسلنا بعد أولئك الرسل موسى ﷺ بحججنا وأدلتنا البينة الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه، فما كان منهم إلا أن جحدوا تلك الآيات وكفروا بها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة فرعون وقومه، فقد أهلكهم الله بالغرق، وأتبعهم اللعنة في الدنيا والآخرة.

﴿١٠٤﴾ وقال موسى لَمَّا بعثه الله إلى فرعون وجاءه: يا فرعون، إني مرسل من خالق الخلق أجمعين ومالكهم ومدير أمورهم.

﴿١٠٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الإيمان والعمل الصالح سبب لإفاضة الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة.
- الصلة وثيقة بين سعة الرزق والتقوى، وإن أنعم الله على الكافرين فإن هذا استدراج لهم ومكر بهم.
- على العبد ألا يأمن من عذاب الله المفاجئ الذي قد يأتي في أية ساعة من ليل أو نهار.
- يقص القرآن أخبار الأمم السابقة من أجل تثبيت المؤمنين وتحذير الكافرين.

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِّلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّ
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَ وَبِسَحَرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا
هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١٦٤

إِنْ لَكُمْ مَكَافَأَةٌ وَاجِبًا، وَتَكُونُونَ مِنَ الْقَرِيبِينَ بِالْمَنَاصِبِ.

﴿١١٦﴾ قَالَ السَّحَرَةُ وَاثْقِينَ بِنَصْرِهِمْ عَلَى مُوسَى بِاسْتِعْلَاءِ وَتَكْبِيرِ: اختر - يا موسى - ما شئتَ من ابتدائك بإلقاء ما تريد إلقاءه أو ابتدائنا بذلك.

﴿١١٧﴾ فَأَجَابَهُمْ مُوسَى وَاثِقًا بِنَصْرِ رَبِّهِ لَهُ غَيْرُ مَبَالٍ بِهِمْ: ارموا حبالكم وعصيكم، فلما ألقوها سحروا أعين الناس بصرفها عن صفة إدراكها، وأرغبوهم، وجاؤوا بسحر قوي في أعين الناظرين.

﴿١١٨﴾ وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَى: أَنْ ارم - يا موسى - عصاك، فرماها، فانقلبت العصا حية تبتلع حبالهم وعصيهم التي كانوا يستعملونها في قلب الحقائق، وإيهام الناس أنها حيات تسعى. ﴿١١٩﴾ فظهر الحق وتبين صدق ما جاء به موسى، وتبين بطلان ما صنعه السحرة من السحر. ﴿١٢٠﴾ فغلبوا وهزموا، وانتصر موسى عليهم في ذلك المشهد، ورجعوا أدلاء مهزومين. ﴿١٢١﴾ فما كان من السحرة حين شاهدوا عظيم قدرة الله، ورأوا الآيات البينات، إلا أن خرُّوا سجدًا له.

﴿١٢٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• من حكمة الله ورحمته أن جعل آية كل نبي مما يدركه قومه، وقد تكون من جنس ما برعوا فيه. • أن فرعون كان عبدًا ذليلاً مهينًا عاجزًا، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى. • يدل على ضعف السحرة - مع اتصالهم بالشياطين التي تلبس مطالبهم - طلبهم الأجر والجاه عند فرعون.

﴿١٠٥﴾ قَالَ مُوسَى: وَلَمَّا كُنْتُ مَرْسَلًا مِنْهُ فَأَنَا جَدِيرٌ بِالْأَقُولِ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقُّ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ وَاضِعَةٍ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِي وَأَنِّي مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّي إِلَيْكُمْ، فَأُطْلَقُ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْأَسْرِ وَالْقَهْرِ.

﴿١٠٦﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: إِنْ كُنْتَ أَتَيْتَ بِآيَةٍ كَمَا تَزْعُمُ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ.

﴿١٠٧﴾ فَرَمَى مُوسَى عَصَاهُ فَتَحَوَّلَتْ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ ظَاهِرَةٌ لِمَنْ يَشَاهِدُهَا.

﴿١٠٨﴾ وَأَخْرَجَ يَدَهُ وَأَظْهَرَهَا مِنْ فَتْحَةٍ قَمِيصِهِ مِنْ عِنْدِ صَدْرِهِ أَوْ مِنْ تَحْتِ

إِبْطِهِ فَخَرَجَتْ بَيْضَاءُ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ، تَتَلَأَلُ لِّلنَّازِرِينَ لَشِدَّةِ بَيَاضِهَا.

﴿١٠٩﴾ وَقَالَ الْكِبَرَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ لِمَا شَاهَدُوا انْقِلَابَ عَصَا مُوسَى حَيَّةً

وَصِيرُورَةً يَدُهُ بَيْضَاءُ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ: لَيْسَ مُوسَى إِلَّا سَاحِرًا قَوِيَّ الْعِلْمِ

بِالسَّحَرِ.

﴿١١٠﴾ يَقْصِدُ بِمَا يَقُومُ بِهِ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَهِيَ مِصْرُ. ثُمَّ

اسْتَشَارَهُمْ فِرْعَوْنُ بِشَأْنِ مُوسَى قَائِلًا لَهُمْ: مَاذَا تَشِيرُونَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ

الرَّأْيِ؟

﴿١١١﴾ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: أَخَّرْ مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ، وَابْتَعْثْ فِي مَدَائِنِ مِصْرَ

مِنْ يَجْمَعُ السَّحَرَةَ فِيهَا.

﴿١١٢﴾ يَأْتِيكَ هَؤُلَاءُ الَّذِينَ أَرْسَلْتَهُمْ لَجْمِ السَّحَرَةِ مِنَ الْمَدَائِنِ بِكُلِّ سَاحِرٍ

مَاهِرٍ بِالسَّحَرِ قَوِيٍّ فِي صِنَاعَتِهِ.

﴿١١٣﴾ فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ مِنْ يَجْمَعُ السَّحَرَةَ،

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ سَأَلُوهُ: هَلْ

لَهُمْ مَكَافَأَةٌ إِنْ غَلِبُوا مُوسَى بِسَحَرِهِمْ

وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِ؟

﴿١١٤﴾ فَأَجَابَهُمْ فِرْعَوْنُ بِقَوْلِهِ: نَعَمْ،

﴿١٦١﴾ قَالَ السَّحرة: آمنا برب الخلق أجمعين.

﴿١٦٢﴾ رب موسى وهارون ؑ، فهو المستحق للعبادة دون غيره من الآلهة المزعومة.

﴿١٦٣﴾ قال لهم فرعون متوعداً إياهم بعد إيمانهم بالله وحده: صدقتم بموسى قبل أن أذن لكم؟ إن إيمانكم به وتصديقكم لما جاء به موسى لخدعة ومكيدة دبّرتموها أنتم وموسى لإخراج أهل المدينة منها، فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحل بكم من عقاب وما يصيبكم من نكال.

﴿١٦٤﴾ لأقطعن من كل واحد منكم يده اليمنى ورجله اليسرى أو يده اليسرى ورجله اليمنى، ثم لأعلقنكم جميعاً على جذوع النخل تنكلاً بكم وترهيباً لكل من يشاهدكم على هذه الحالة.

﴿١٦٥﴾ قال السحرة رداً على وعيد فرعون: إنا إلى ربنا وحده راجعون، فلا نبالي بما تتوعد به.

﴿١٦٦﴾ ولست تنكر منا وتجد علينا - يا فرعون - إلا تصديقنا بآيات ربنا لما جاءتنا على يد موسى، فإن كان هذا ذنباً يُعاقب به فهو ذنبنا، ثم توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين في تضرع: يا ربنا، صَبِّ علينا الصبر حتى نغفرنا لنثبت على الحق، وأمتنا مسلمين لك، متفادين لأمرك، متبعين لرسولك.

﴿١٦٧﴾ وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون، محرضين إياه على موسى ومن معه من المؤمنين: أترك - يا فرعون - موسى وقومه لينشروا الفساد في الأرض، وليترك أنت والهلك، ويدعو إلى عبادة الله وحده! قال فرعون: سنقتل أبناء بني إسرائيل الذكور، ونستبقي نساءهم للخدمة،

وإنا مستعلون عليهم بالقهر والغلبة والسلطان.

﴿١٦٨﴾ قال موسى موصياً قومه: يا قوم، اطلبوا العون من الله وحده في دفع الضر عنكم وجلب النفع إليكم، واصبروا على ما أنتم فيه من الابتلاء، فإن الأرض لله وحده، وليست لفرعون ولا غيره حتى يتحكم فيها، والله يداولها بين الناس حسب مشيئته، ولكن العاقبة الحسنة في الأرض للمؤمنين الذين يمتثلون أوامر ربهم ويجتنبون نواهيه، فهي لهم وإن أصابهم ما أصابهم من محن وابتلاءات.

﴿١٦٩﴾ قال قوم موسى من بني إسرائيل لموسى ؑ: يا موسى ابْتَلِنا على يد فرعون بقتل آبائنا واستبقاء نساينا من قبل مجيئك إلينا ومن بعده، قال لهم موسى ؑ ناصحاً لهم، ومُبَشِّراً بالفرج: لعل ربكم يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويُمَكِّن لكم في الأرض من بعدهم، فينظر ما تعملون بعد ذلك من شكر أو كفر.

﴿١٧٠﴾ ولقد عاقبنا آل فرعون بالجذب والقحط، واختبرناهم بنقص ثمار الأرض وغلاتها: رجاء أن يتذكروا ويتعظوا بأن ما جاءهم من ذلك إنما هو عقاب لهم على كفرهم، فيتوبوا إلى الله.

● مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- موقف السحرة وإعلان إيمانهم بجرأة وصراحة يدل على أنَّ الإنسان إذا تجرّد عن هواه، وأدعن للعقل والفكر السليم يادر إلى الإيمان عند ظهور الأدلة عليه. ● أهل الإيمان بالله واليوم الآخر هم أشد الناس حزمًا، وأكثرهم شجاعة وصبرًا في أوقات الأزمات والمحن والحروب. ● المنتفعون من السلطة يُحَرِّضُونَ وَيُهَيِّجُونَ السلطان لمواجهة أهل الإيمان؛ لأن في بقاء السلطان بقاء لمصالحهم. ● من أسباب حبس الأمطار وغلاء الأسعار: الظلم والفساد.

﴿١٦﴾ فَإِذَا جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ الْحَبْصُ
وَصَلَحَ الثَّمَارُ وَرُخِصَ الْأَسْعَارُ
قَالُوا: أَعْطَيْنَا هَذِهِ لِنَسْتَحِقَّاقِنَا لَهَا
وَإِخْتِصَاصِنَا بِهَا، وَإِنْ تِلْكَ أَوْ تُصِيبُهُمْ
مُصِيبَةٌ مِّنْ جَدَبٍ وَقَحْطٍ وَكَثْرَةِ
أَمْرَاضٍ وَغَيْرِهَا مِّنَ الرِّزَايَا يَتَشَاءُ مَوَا
جِمُوسَى وَمِنْ مَعِهِ مَن بَنَى إِسْرَآئِيلَ،
وَالْحَقُّ أَنَّ مَا يَصِيبُهُمْ مِّنْ ذَلِكَ كُلِّهِ
إِنَّمَا هُوَ بِتَقْدِيرِ مِّنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ،
وَلَيْسَ لَهُمْ وَلَا لِمُوسَى ﷺ شَأْنٌ فِيهِ إِلَّا
مَا كَانَ مِنْ دَعَاءِ مُوسَى عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَيَنْسُبُونَهُ إِلَى غَيْرِ
اللَّهِ.

وَقَالَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْحَقِّ: أَيُّ آيَةٍ وَدَلَالَةٍ جِئْتَنَا بِهَا، وَأَيُّ حُجَّةٍ أَقَمْتَهَا عَلَى بَطْلَانِ مَا عِنْدَنَا لِتُصْرِفَنَا عَنْهُ، وَعَلَى صَدَقِ مَا جِئْتَ بِهِ؛ فَلَنْ نُصَدِّقَ بِكَ.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَاءَ الْكَثِيرَ
عِقَابًا لَهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ،
فَأَغْرَقَ زُرْعَهُمْ وَثَمَارَهُمْ، وَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ فَأَكَلَ مَحَاصِيلَهُمْ،
وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ دُوبِيَّةً تُسَمِّي الْقَمَلَ
تَضَيِّبُ الزَّرْعَ أَوْ تُؤْذِي الْإِنْسَانَ فِي
شَعْرِهِ، وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ
فَيَلَّاتُ أَوْعِيَتِهِمْ، وَأَفْسَدَتْ أَطْعَمَتَهُمْ،
وَأَرْقَّتْ مَضَاجِعَهُمْ، وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الْدَّمَ فَتَحَوَّلَتْ مِيَاهُ آبَارِهِمْ وَأَنْهَارِهِمْ
دَمًا، أَرْسَلْنَا كُلَّ ذَلِكَ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
مُفْرَقَاتٍ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَمَعَ كُلِّ
مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعِقَابَاتِ اسْتَعْلَوْا عَنِ
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ
بِهِ مُوسَى ﷺ، وَكَانُوا قَوْمًا يَرْتَكِبُونَ
الْمَعَاصِيَ، وَلَا يَنْزِعُونَ عَنِ بَاطِلٍ، وَلَا
يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ.

﴿١٣٤﴾ ولما أصابهم العذاب بهذه الأمور اتجهوا إلى موسى عليه السلام، فقالوا

له: يا موسى، ادع لنا ربك بما اختصك به من النبوة، وبما عهد إليك من رفع العذاب بالتوبة أن يرفع عنا ما أصابنا من العذاب، فإن رفعت عنا ذلك لنؤمننَّ بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، ونطلقهم. ﴿١٢٥﴾ فلما رفعنا عنهم العذاب إلى مدة معلومة قبل إهلاكهم بالغرق إذا هم ينتقضون ما أخذوه على أنفسهم من التصديق وإرسال بني إسرائيل، فاستمروا على كفرهم، وامتنعوا من إرسال بني إسرائيل مع موسى ﷺ. ﴿١٢٦﴾ فلما حل الأجل المحدد لإهلاكهم أنزلنا عليهم نقمنا يا غرقهم في البحر بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق الذي لا مرية فيه. ﴿١٢٧﴾ وأورثنا بني إسرائيل الذين كان يستدلهم فرعون وقومه مشارق الأرض ومغاربها، والمقصود بذلك بلاد الشام، هذه البلاد التي بارك الله فيها بإخراج زروعها وثمارها على أكمل ما يكون، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - الحسنی وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَنَّمَا عَلَّ الَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: ٥)، فَمَكَّنَ الله لهم في الأرض بسبب صبرهم على ما أصابهم من أذى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان يصنع فرعون من المزارع والمساكن، وما كانوا يبنون من القصور.

مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ

● الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك. ● شأن الناس في وقت المحنة والمصائب اللجوء إلى الله بدافع نداء الإيمان الفطري. ● يحسن بالمؤمن تأمل آيات الله وسنته في الخلق، والتدبر في أسبابها ونتائجها. ● تتلاشى قوة الأفراد والدول أمام قوة الله العظمى، والإيمان بالله هو مصدر كل قوة. ● يكافئ الله تعالى عباده المؤمنين الصابرين بأن يمكّنهم في الأرض بعد استضعافهم.

﴿١٣٨﴾ وَغَبَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ لَمَّا ضَرَبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ فَانْفَلَقَ، فَمَرُّوا عَلَى قَوْمٍ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامٍ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﷺ: يَا مُوسَى، اجْعَلْ لَنَا صِنْمًا نَعْبُدُهُ كَمَا لَهُؤَلَاءِ أَصْنَامُ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى: يَا قَوْمَ، إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ تَعْظِيمٍ وَتَوْحِيدٍ، وَمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ شِرْكٍ وَعِبَادَةٍ لغيرِهِ.

﴿١٣٩﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ عِبَادَةٍ غَيْرِهِ، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةٍ لِإِشْرَاكَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ غَيْرِهِ.

﴿١٤٠﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمَ، كَيْفَ أَطْلُبُ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ تَعْبُدُونَهُ، وَقَدْ شَهِدْتُمْ مِنْ آيَاتِهِ الْعِظَامَ مَا شَهِدْتُمْ، وَهُوَ ﷻ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِهْلَاكِ عَدُوِّكُمْ، وَاسْتِخْلَافِكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينِ لَكُمْ فِيهَا؟

﴿١٤١﴾ وَادْكُرُوا - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ - حِينَ أَنْجَيْنَاكُمْ بِإِنْقَاذِكُمْ مِنْ اسْتِذْلَالِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ لَكُمْ، إِذْ كَانُوا يَذْبُقُونَكُمْ أَنْوَاعَ الْهَوَانِ مِنْ تَقْتِيلِ أَبْنَائِكُمُ الذَّكَورَ، وَاسْتِبْقَاءِ نِسَائِكُمْ لِلخِدْمَةِ، وَفِي إِنْقَاذِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ اخْتِبَارَ عَظِيمٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَقْتَضِي مِنْكُمْ الشُّكْرَ.

﴿١٤٢﴾ وَوَاعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُوسَى لِمَنَاجَاتِهِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِزِيَادَةِ عَشْرِ، فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ لِمَا أَرَادَ الذَّهَابَ لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ: يَا هَارُونَ، كُنْ خَلِيفَةً لِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلَحْ أَمْرَهُمْ

بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الْمُفْسِدِينَ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَلَا تَكُنْ مَعِينًا لِلْعَصَاةِ. وَحِينَ جَاءَ مُوسَى لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ فِي الْمَوْعِدِ الْمَحْدَدِ لَهُ، وَهُوَ تَمَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّمَهُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ وَالنَّوَاحِي وَغَيْرِهَا، تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى رُؤْيَا رَبِّهِ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ ﷻ: لَنْ تَرَانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِعَدَمِ قُدْرَتِكَ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ إِذَا تَجَلَّيْتُ لَهُ فَإِنَّ بَقِيَّ مَكَانِهِ لَمْ يَتَأَثَّرْ فَسَوْفَ تَرَانِي، وَإِنْ صَارَ مُسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ فَلَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ مُسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنَ الْغَشْيَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ قَالَ: أَنْزَلَكَ - يَا رَبُّ - تَنْزِيهًا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِكَ، هَا أَنَا تَبَتُّ إِلَيْكَ مِمَّا سَأَلْتُكَ مِنْ رُؤْيَاكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِي.

﴿١٤٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

- تَوْكُّدُ الْأَحْدَاثِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَنْتَقِلُونَ مِنْ ضَلَالَةٍ إِلَى أُخْرَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى بَيْنَهُمْ.
- مِنْ مَظَاهِيرِ خِذْلَانِ الْأُمَّةِ أَنَّ تَحَسُّنَ الْقَبِيحِ، وَتَقَبُّحَ الْحَسَنِ بِمَجْرَدِ الرَّأْيِ وَالْأَهْوَاءِ.
- إِصْلَاحُ الْأُمَّةِ وَإِغْلَاقُ أَبْوَابِ الْفُسَادِ هَدَفٌ سَامٍ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالِدُّعَاةِ.
- قَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا، وَسَوْفَ يَكْرَمُ مَنْ يَجِبُ مِنْ عِبَادَةِ بَرُؤِيَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْعِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتِيلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَمِيقَتْ رِبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿١٤٣﴾ قال الله لموسى: يا موسى، إنني اخترتك وفضلتك على الناس برسالاتي حين أرسلتك إليهم، وفضلتك بكلامي لك دون واسطة، فخذ ما أعطيتك من هذا الشرف الكريم، وكن من الشاكرين لله على هذا العطاء العظيم.

﴿١٤٤﴾ وكتبنا لموسى في ألواح من خشب أو غيره من كل ما يحتاجه بنو إسرائيل من أمور دينهم ودنياهم موعظة لمن يتعظ منهم، وتفصيلاً للأحكام التي يحتاج إلى تفصيلها، فخذ هذه التوراة - يا موسى - بجد واجتهاد، وأمر قومك بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسن ما فيها مما أجره أعظم كفعل المأمور به على أكمل وجه، وكالصبر والعفو، ساريكم عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي، وما يصير إليه من الهلاك والدمار.

﴿١٤٥﴾ سأصرف عن الاعتبار بآياتي في الآفاق والأنفس، وعن فهم آيات كتابي: الذين يستعلون على عباد الله وعلى الحق بغير حق، وإن يروا كل آية لا يصدقوها؛ لاعتراضهم عليها وإعراضهم عنها، ولمخادتهم الله ورسوله، وإن يروا طريق الحق الموصول إلى مرضاة الله لا يسلكوه، ولا يرغبوا فيه، وإن يروا طريق الغواية والضلال الموصول إلى سخط الله يسلكوه، ذلك الذي أصابهم إنما أصابهم لتكذبيهم بآيات الله العظيمة الدالة على صدق ما جاء به الرسل، ولغفلتهم عن النظر فيها.

﴿١٤٦﴾ والذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسلنا، وكذبوا بقاء الله يوم القيامة، بطلت أعمالهم التي هي

قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي
فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ
الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ
عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَيَرُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن
لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

من جنس الطاعات، فلا يُتأبون عليها فقد شرطها الذي هو الإيمان، ولا يجزون يوم القيامة إلا ما كانوا يعملونه من الكفر بالله والشرك به، وجزاء ذلك الخلود في النار.

﴿١٤٩﴾ ووضع قوم موسى من بعد ذهابه لمناجاة ربه من حُلِيِّهم تمثالَ عَجَلٍ لا روح فيه وله صوت، ألم يعلموا أن هذا العجل لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى طريق خير حسي أو معنوي، ولا يجلب لهم نفعاً أو يكشف عنهم ضرراً؟ اتخذوه معبوداً وكانوا ظالمين لأنفسهم بذلك.

﴿١٥٠﴾ ولما ندموا وتخيروا وعلموا أنهم قد ضلوا عن الصراط المستقيم باتخاذهم العجل معبوداً مع الله تضرعوا إلى الله فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بالتوفيق لطاعته، ويغفر لنا ما أقدمنا عليه من عبادة العجل، لنكونن من الذين خسروا دنياهم وآخرتهم.

﴿١٥١﴾ من فوائد الآيات:

- على العبد أن يكون من المظهرين لإحسان الله وفضله عليه، فإن الشكر مقرون بالمزيد.
- على العبد الأخذ بالأحسن في الأقوال والأفعال.
- يجب تلقي الشريعة بحزم وجد وعزم على الطاعة وتنفيذ ما ورد فيها من الصلاح والإصلاح ومنع الفساد والإفساد.
- على العبد إذا أخطأ أو قصر في حق ربه أن يعترف بعظيم الجرم الذي أقدم عليه، وأنه لا ملجأ من الله في إقالة عثرته إلا إليه.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ غَضَبًا وَحَرًّا
 قَالُوا يَا قَوْمِ - بِهَا بَعْدَ ذَهَابِنَا مِنْكُمْ؛ لَمَّا
 تَوَدَّيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالشَّقَاءِ، أَمَلْتُمْ مِنْ
 أَنْتَظَارِي، فَأَقْدَمْتُمْ عَلَىٰ عِبَادَةِ الْعَجَلِ؟
 وَرُمَى الْأَلْوَاحَ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ
 الْغَضَبِ وَالْحُزْنِ، وَأَمْسَكَ بِرَأْسِ أَخِيهِ
 هَارُونَ وَلِحْيَتِهِ يَسْحَبُهُ إِلَيْهِ لِبِقَائِهِ مَعَهُمْ
 وَعَدَمَ تَغْيِيرِهِ لَمَّا رَأَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ عِبَادَةِ
 الْعَجَلِ، قَالَ هَارُونَ مُعْذِرًا إِلَىٰ مُوسَى
 مُسْتَغْفِلًا إِيَّاهُ: يَا ابْنَ أُمِّي، إِنْ الْقَوْمَ
 حَسِبُونِي ضَعِيفًا فَاسْتَدْلُونِي، وَأَوْشِكُوا
 أَنْ يَقْتُلُونِي، فَلَا تَعَاظِبْنِي بِعَقُوبَةِ تَسَرُّ
 أَعْدَائِي، وَلَا تُصَيِّرْنِي بِسَبَبِ غَضَبِكَ
 عَلَيَّ فِي عِدَادِ الظَّالِمِينَ مِنَ الْقَوْمِ
 بِسَبَبِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ.
 ﴿١٥١﴾ فَدَعَا مُوسَىٰ رَبَّهُ: يَا رَبِّ اغْفِرْ
 لِي، وَلِأَخِي هَارُونَ، وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
 وَاجْعَلْهَا تَحِيطَ بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَنْتَ
 - يَا رَبَّنَا - أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ.
 ﴿١٥٢﴾ إِنْ الَّذِينَ صَبَّرُوا الْعَجَلَ إِلَهًا
 يَعْبُدُونَهُ سَيُصِيبُهُمْ غَضَبٌ شَدِيدٌ
 مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُوَ أَنْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
 لِإِغْضَابِهِمْ رَبَّهُمْ وَاسْتِهَانَتِهِمْ بِهِ، وَبِمِثْلِ
 هَذَا الْجَزَاءِ نَجْزِي الْمُخْتَلِقِينَ الْكَذِبِ
 عَلَى اللَّهِ.
 ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
 بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَىٰ الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ فِي شُحَّتِهَا
 هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ بَرَّهْبُونَ ﴿١٥٥﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ
 قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ
 رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّائِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
 السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي
 مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿١٥١﴾ ولما سكن عن موسى الغضب وهداً؛ أخذ الألواح التي رماها بسبب الغضب، وهذه الألواح مشتملة على الهداية من الضلال وبيان الحق، ومشتملة على الرحمة للذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه.

﴿١٥٢﴾ واصطفى موسى سبعين رجلاً من خيار قومه ليعتذروا إلى ربهم مما فعله سفهاؤهم من عبادة العجل، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا تجرؤوا على الله، وطلبوا من موسى أن يريهم الله عياناً، فأخذتهم الزلزلة فصعقوا من هولها وهلكوا، فتضرع موسى إلى ربه، فقال: يا رب، لو شئت إهلاكهم وإهلاكهم معهم من قبل مجيئهم لأهلكتهم، أتهلكنا بسبب ما فعله خفاف العقول منا؟ فما قام به قومي من عبادة العجل ما هو إلا ابتلاء واختبار تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت متولي أمرنا فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير من غفر ذنباً، وعفا عن إثم.

﴿١٥٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في الآيات دليل على أن الخطأ في الاجتهاد مع وضوح الأدلة لا يعذر فيه صاحبه عند إجراء الأحكام عليه، وهو ما يسميه الفقهاء بالتأويل البعيد.
- من آداب الدعاء البدء بالنفس، حيث بدأ موسى ﷺ دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفریط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك.
- التحذير من الغضب وسلطته على عقل الشخص؛ ولذلك نسب الله للغضب فعل السكوت كأنه هو الأمر والنهي.
- ضرورة التوقي من غضب الله، وخوف بطشه، فانظر إلى مقام موسى ﷺ عند ربه، وانظر خشيته من غضب ربه.

وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْ بِهَا الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ ۚ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن
قَوْمٍ مُّوسَى ۖ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿١٥٦﴾ واجعلنا من الذين أكرمهم في هذه الحياة بالنعم والعافية ووفقتهم للعمل الصالح، وممن أعددت لهم الجنة من عبادك الصالحين في الآخرة، إنا تبنا إليك، ورجعنا مُقَرَّرِينَ بتقصيرنا، قال الله تعالى: عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ممن يعمل بأسباب الشقاء، ورحمتي شملت كل شيء في الدنيا؛ فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وعَمَّرَهُ فضله وإحسانه، فسأكتب رحمتي في الآخرة للذين يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، والذين يعطون زكاة أموالهم مستحقها، والذين هم بآياتنا يؤمنون. ﴿١٥٧﴾ الذين يتبعون محمداً ﷺ، وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما يوحى إليه ربه، وهو الذي يجدون اسمه ووصفه ونبوته مكتوباً في التوراة المُنزَّلة على موسى ﷺ، والإنجيل المُنزَّل على عيسى ﷺ، يأمرهم بما عُرف حسنه وصلاحه، وينهاهم عما عُرف قبحه في العقول الصحيحة والفطر السليمة، ويبيح لهم المُستلذَّات مما لا ضرر فيه من المطاعم والمشارب والمناجح، ويحرم عليهم المُستَحَبَّات منها، ويزيل عنهم التكاليف الشاقة التي كانوا يُكَلِّفُونَ بها، كوجوب قتل القاتل سواء كان القتل عمداً أم خطأ، فالذين آمنوا به من بني إسرائيل ومن غيرهم، وعَظَّمُوهُ ووَفَّروهُ، ونصروه على من يعاديه من الكفار، واتبعوا القرآن الذي أنزل عليه كالنور الهادي؛ أولئك هم المفلحون الذين ينالون ما يطلبونه، وَيَجْنِبُونَ ما يرهبونه.

﴿١٥٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها

الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، عربكم وعجمكم، الذي له وحده ملك السماوات، وله ملك الأرض، لا معبود بحق غيره سبحانه، يُحْيِي الموتى، ويميت الأحياء، فأمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا بمحمد ﷺ رسوله النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما جاء بوحى يوحى إليه ربه، الذي يؤمن بالله، ويؤمن بما أنزل إليه وما أنزل على النبيين من قبله دون تقريظ، واتبعوه فيما جاء به من ربه؛ رجاء أن تهتدوا إلى ما فيه مصلحتكم في الدنيا والآخرة.

ولمَّا ذكر الله ما ذكر عن بني إسرائيل من عبادة العجل ذكر سبحانه أن منهم أمة مخالفة لما عليه الذين عبدوا العجل، فقال:

﴿١٥٩﴾ ومن قوم موسى من بني إسرائيل جماعة مستقيمة على الدين الصحيح، يدلون الناس عليه، ويحكمون بالعدل فلا يجورون.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تضمَّنت التوراة والإنجيل أدلة ظاهرة على بعثة النبي محمد ﷺ وعلى صدقه.
- رحمة الله وسعت كل شيء، ولكن رحمة الله عبادة ذات مراتب متفاوتة، تتفاوت بحسب الإيمان والعمل الصالح.
- الدعاء قد يكون مُجْمَلاً وقد يكون مُفَصَّلاً حسب الأحوال، وموسى في هذا المقام أجمل في دعائه.
- من صور عدل الله ﷻ إنصافه للقلَّة المؤمنة، حيث ذكر صفات بني إسرائيل المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهَّم متوهِّم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ وَآنَ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾
وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَآزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٦﴾ وَقَسَمْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى حِينَ طَلَبَ مِنْهُ قَوْمُهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَهُمْ: أَنْ اضْرِبْ - يَا مُوسَى - بِعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَضْرِبْهُ مُوسَى، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا بَعْدَ قَبَائِلِهِمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، قَدْ عَلِمْتَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْهُمْ مَشْرِيبَهَا الْخَاصَّ بِهَا، فَلَا تَشْتَرِكُ مَعَهَا فِيهِ قَبِيلَةٌ أُخْرَى. وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ السَّحَابَ يَسِيرُ بِسِيرِهِمْ، وَيَتَوَقَّفُ بِتَوَقُّفِهِمْ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ نَعْمَانَا شَرَابًا حَلَوًا مِثْلَ الْعَسَلِ وَطَائِرًا صَفِيرًا طَيِّبَ اللَّحْمِ يَشْبِيهِ السَّمَانِي، وَقَنَّا لَهُمْ: كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، وَمَا نَقْصُونَا شَيْئًا بِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَكَفْرَانِ النِّعَمِ، وَعَدِمَ تَقْدِيرُهَا حَقَّ قُدْرَتِهَا، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلُمُونَ بِنَقْصِ حَظْوِظِهَا حِينَ أَوْرَدُوهَا مَوَارِدَ الْهَلَاقِ بِمَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ مَخَافَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّكْرَرِ لِنَعْمِهِ.

﴿١٦٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين
قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا بيت
المقدس، واكلوا من ثمار قريته من أي
مكان منه وفي أي وقت شئتم، وقلوا:
يا ربنا، **حُطُّ عَنَّا خَطَايَانَا**، وادخلوا
الباب راكعين خاضعين لربكم، فإن
فعلتم ذلك تجاوزنا عن ذنوبكم،
وسنزيد المحسنين من خيري الدنيا
والآخرة.

﴿فَقِيلَ لَهُمُ الْمَوْلُودُ مِنْكُمْ نَجَسٌ﴾
الذي أمرُوا به فقالوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ،
عوضًا عما أمرُوا به من طلب المغفرة،
وغيروا الفعل الذي أمرُوا به، فدخلوا
يزحسون على أدبارهم بدلًا من الدخول
خاضعين لله مُقَنِّعِي رُؤُوسِهِمْ، فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ.

﴿١٢٦﴾ وأسأل - أيها الرسول - اليهود تذكيرًا لهم بما عاقب الله به أسلافهم عن قصة القرية التي كانت بقرب البحر حين كانوا يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت بعد نهيهم عنه حين ابتلاهم الله بأن صارت الأسماك تأتيهم ظاهرة على وجه البحر يوم السبت، وفي سائر الأيام لا تأتيهم، ابتلاهم الله بذلك بسبب خروجهم عن الطاعة وارتكابهم المعاصي، فاحتالوا لصيده بأن نصبوا شباكهم، وحضروا حضرم، فكانت الحيتان تقع فيها يوم السبت، فإذا كان يوم الأحد أخذوها وأكلوها.

● **مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

● الجحود والكفران سبب في الحرمان من النعم.

● من أسباب حلول العقاب ونزول العذاب التحايل على الشرع؛ لأنه ظلم وتجاوز لحدود الله.

كانت جماعة منهم تتهاهم عن هذا المنكر، وتحذرهم منه، فقالت لها جماعة أخرى: لِمَ تتصحون جماعةً الله مُلْكُها في الدنيا بما ارتكبتة من المعاصي، أو معذبها يوم القيامة عذاباً شديداً؟ قال الناصحون: نصيحتنا لهم معذرة إلى الله بفعل ما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يؤاخذنا بترك ذلك، ولعلمهم ينتقمون بالموعظة، فيعلمون عما هم فيه من المعصية. ﴿١٦٥﴾ فلما أعرض العصاة عما

﴿١٦٦﴾ فلما تجاوزوا الحد في عصيان الله تكبراً وعناداً، ولم يعطوا، قلنا لهم: أيها العصاة، كونوا قردة أذلاء؛ فكانوا كما أردنا، إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له: كن، فيكون.

﴿١٦٧﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم الله إعلاماً صريحاً لا لبس فيه ليسلطن على اليهود من يذلهم ويهينهم في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة، إن ربك - أيها الرسول - لسريع العقاب لمن عصاه، حتى إنه قد يُعجل له العقوبة في الدنيا، وإنه لغفورٌ لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم. ﴿١٦٨﴾ وفرقتاهم في الأرض، وفرقتاهم فيها طوائف، بعد أن كانوا مجتمعين، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقتصدون، ومنهم المترفون على أنفسهم

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعُظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ بَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْتَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَنَّ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

بالمعاصي، واختبرناهم باليسر والعسر رجاء أن يرجعوا عما هم فيه.

﴿١٧١﴾ فجاء من بعد هؤلاء أهل سوء يخلفونهم، أخذوا التوراة من أسلافهم، يقرؤونها ولا يعملون بما فيها، يأخذون متاع الدنيا الرديء رشوة لتحريفهم كتاب الله، والحكم بغير ما أنزل فيه، ويؤمنون أنفسهم بأن الله سيفغر لهم ذنوبهم، وإن يأتهم متاع دنيوي زهيد يأخذوه مرة بعد مرة، ألم يأخذ الله العهد والمواثيق على هؤلاء ألا يقولوا على الله إلا الحق دون تحريف أو تبديل؟ ولم يكن تركهم للعمل بالكتاب عن جهل، بل كان على علم، فقد قرأوا ما فيه وعلموه، فذنبهم أشد، والدار الآخرة وما في الدار الآخرة من نعيم دائم خير من ذلك المتاع الزائل للذين يتقون الله بامتنال أوامر واجتناب نواهيه، أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون هذا المتاع الزهيد أن ما أعد الله للمتقين في الآخرة خير وأبقى؟

﴿١٧٢﴾ والذين يمتسكون بالكتاب، ويعملون بما فيه، وقيمون الصلاة بالمحافظة على أوقاتها وشروطها وواجباتها وسننها، سيجازيهم الله على أعمالهم، فالله لا يضيع أجر من عمل صالح.

● من تَوَابِدَ الْآيَاتِ ●

● إذا نزل عذاب الله على قوم بسبب ذنوبهم ينجم منه من كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيهم. ● يجب الحذر من عذاب الله؛ فإنه قد يكون رهيباً في الدنيا، كما فعل سبحانه بطائفة من بني إسرائيل حين مسخهم قردة بسبب تمردهم. ● كتب الله على بني إسرائيل الذلة والمسكنة، وتأذن بأن يبعث عليهم كل مدة من يذيقهم العذاب بسبب ظلمهم وانحرافهم. ● نعيم الدنيا مهما بدا أنه عظيم فإنه قليل تافه بجانب نعيم الآخرة الدائم. ● أفضل أعمال العبد بعد الإيمان إقامة الصلاة؛ لأنها عمود الأمر.

﴿١٧١﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيَّ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٥﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَالْأَوْيَاطِ أَمْ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧٣

﴿١٧١﴾ واذكر - يا محمد - إذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل لما امتنعوا من قبول ما في التوراة، فصار الجبل كأنه سحابة تظل رؤوسهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، وقيل لهم: خذوا ما أعطيناكم بجد واجتهاد وعزيمة، وتذكروا ما فيه من الأحكام التي شرعها الله لكم ولا تنسوه؛ رجاء أن تتقوا الله إذا قمتم بذلك.

﴿١٧٢﴾ واذكر - يا محمد - إذ أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذرياتهم، وقررهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فطرمهم من الإقرار بأنه خالقهم وربهم قائلاً لهم: ألسنت ربكم؟ قالوا جميعاً: بلى أنت ربنا، قال: إنما امتحناكم وأخذنا عليكم الميثاق حتى لا تنكروا يوم القيامة حجة الله عليكم، وتقولوا: إنه لا علم لكم بذلك.

﴿١٧٣﴾ أو تحتجوا بأن آباءكم هم الذين نقضوا العهد فأشركوا بالله، وأنكم كنتم مقلدين لآبائكم فيما وجدتموهم عليه من الشرك، فتقولوا: أفؤخذنا - يا ربنا - بما فعله آبائنا الذين أبطلوا أعمالهم بالشرك بالله فتعذبنا؟ فلا ذنب لنا؛ لجهلنا وتقليدنا لآبائنا.

﴿١٧٤﴾ وكما بينا الآيات في مصير الأمم المكذبة كذلك نبئنا هؤلاء؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الشرك إلى توحيد الله وعبادته وحده؛ كما جاء في العهد الذي قطعوه لله على أنفسهم.

﴿١٧٥﴾ واقرأ - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبر رجل منهم أعطيناه آياتنا ففعلها وفهم الحق الذي دلت عليه، ولكنه لم يعمل بها، بل تركها وانخلع منها، فلحقه الشيطان، وصار

قريباً له، فأصبح من الضالين الهالكين بعد أن كان من المهتدين الناجين.

﴿١٧٦﴾ ولو شئنا لنفعه بهذه الآيات لرفعناه بها بأن نوفقه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه اختار ما يؤدي إلى خذلانه حين مال إلى شهوات الدنيا مؤثراً دنياه على آخرته، واتباع ما تهواه نفسه من الباطل، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثل الكلب لا يزال لاهثاً في كل حال، إن كان رابضاً لهث، وإن طرد لهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الضالين بتكذيبهم بآياتنا، فاقصص - أيها الرسول - القصص عليهم؛ رجاء أن يتفكروا فينزعوا عما هم فيه من التكذيب والضلال.

﴿١٧٧﴾ ليس أسوأ من القوم الذين كذبوا بحجبنا وبراهيننا، ولم يصدقوا بها، وهم بذلك يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك، من يوفقه الله للهداية إلى صراطه المستقيم فهو المهتدي حقاً؛ ومن يبعده عن الصراط المستقيم، فأولئك هم الناقصون أنفسهم حظوظهم حقاً، الذين خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

﴿١٧٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- المقصود من إنزال الكتب السماوية العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها فقط، فإن ذلك نَبَذَ لها.
- أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، فإذا كانت فطرته سليمة، ولم يدخل عليها ما يفسدها أدرك هذه الأدلة، وعمل بمقتضاها.
- في الآيات عبرة للمؤقتين للعمل بآيات القرآن؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم للعمل بها؛ لتزكو نفوسهم.
- في الآيات تلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال.

﴿١٧٩﴾ ولقد أنشأنا لجهنم كثيرًا من الجن، وكثيرًا من الإنس؛ لعلنا بأنهم سيعملون بعمل أهلها، لهم قلوب لا يدركون بها ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آيات الله في الأنفس والآفاق فيعتبرون بها، ولهم أذان لا يسمعون بها آيات الله فيتدبرون ما فيها، أولئك المتصفون بهذه الصفات مثل البهائم في فقد العقل، بل هم أكثر بعدًا في الضلال من البهائم، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله واليوم الآخر.

﴿١٨٠﴾ ولله - سبحانه - الأسماء الحسنى التي تدل على جلاله وكماله، فتوسلوا بها إلى الله في طلب ما تريدون وأثقوا عليه بها، واتركوا الذين يميلون عن الحق في هذه الأسماء يجعلها لغير الله، أو نفيها عنه، أو تحريف معناها أو تشبيه غيره بها، سنجزئ هؤلاء الذين يميلون بها عن الحق: العذاب المولم بما كانوا يعملون.

﴿١٨١﴾ وممن خلقتنا جماعة يهتدون في أنفسهم بالحق، ويدعون إليه غيرهم فيهتدون، ويحكمون به بالعدل فلا يجوزون.

﴿١٨٢﴾ والذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، بل جحدوها، سنفتح لهم أبواب الرزق لا إكرامًا لهم، بل لاستدراجهم حتى يتمادوا فيما هم عليه من الضلال، ثم يصيبهم عذابنا على حين غرة.

﴿١٨٣﴾ وأؤخر عنهم العقوبة حتى يظنوا أنهم غير معاقبين، فيستمرروا على تكذيبهم وكفرهم حتى يضاعف عليهم العذاب، إن كيدي قوي، فأظهر لهم الإحسان، وأريد بهم الخذلان.

﴿١٨٤﴾ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا.

﴿١٨٥﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا. ﴿١٨٦﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا. ﴿١٨٧﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا. ﴿١٨٨﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا. ﴿١٨٩﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا. ﴿١٩٠﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا.

﴿١٩١﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا.

• خلق الله للبشر آلات الإدراك والعلم - القلوب والأعين والأذان - لتحصيل المنافع ودفع المضار. • الدعاء بأسماء الله الحسنى سبب في إجابة الدعاء، فيُدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، مثل: اللهم تب عليّ يا تواب. • التفكير في عظمة السماوات والأرض، والتوصل بهذا التفكير إلى أن الله تعالى هو المستحق للألوهية دون غيره؛ لأنه المنفرد بالصنع.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أُولَٰئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكَوَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْبَغْةُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٨﴾ قل - يا محمد -: لا أستطيع جلب خير لنفسي، ولا كشف سوء عنها، إلا ما شاء الله، وإنما ذلك إلى الله، ولا أعلم إلا ما علمني الله، فلا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تجلب لي المصالح، وتدفع عني المفاسد؛ لعلمي بالأشياء قبل كونها وعلمي بما تؤول إليه، لست إلا رسولاً من عند الله، أخوف من عقابه الأليم، وأبشّر بثوابه الكريم قوماً يؤمنون بأني رسول منه ﷺ، ويصدقون بما جئت به.

﴿١٨٩﴾ هو الذي أوجدكم - أيها الرجال والنساء - من نفس واحدة هي آدم ﷺ، وخلق من آدم ﷺ زوجته حواء، خلقها من ضلعه ليأنس إليها، ويطمئن بها، فلما جامع زوج زوجته حملت حملاً خفيفاً لا تشعر به؛ لأنه كان في بدايته، واستمرت على حملها هذا تمضي في حوائجها لا تجد ثقلاً، فلما أثقلت به حين كبر في بطنها دعا الزوجان ربهما قائلين: لئن أعطيتنا - يا ربنا - ولداً صالح الخلقه تأمها لنكونن من الشاكرين لنعمك.

﴿١٩٠﴾ فلما استجاب الله دعاءهما، وأعطاهما ولداً صالحاً كما دعوا صييراً لله شركاء فيما وهبهما فعبداً ولدتهما لغيره، وسَمَّيَاهُ عبد الحارث، فتعالى الله وتنزه عن كل شريك، فهو المنفرد بالربوبية والألوهية.

﴿١٩١﴾ يجعلون هذه الأصنام وغيرها شركاء لله في العبادة، وهم يعلمون أنها لا تخلق شيئاً فتستحق العبادة، بل هي مخلوقة، فكيف يجعلونها شركاء لله؟

﴿١٩٢﴾ ولا تقدر هذه المعبودات نصر عابديها، ولا تقدر نصر أنفسها، فكيف يعبدونها؟

﴿١٩٣﴾ وإن تدعوا - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة من دون الله إلى الهدى لا يجيبكم إلى ما دعوتهم إليه ولا يتبعوكم، فسواء عندها دعائكم لها وسكويتكم عنها؛ لأنها مجرد جمادات؛ لا تعقل، ولا تسمع، ولا تنطق. ﴿١٩٤﴾ إن الذين يعبدونهم - أيها المشركون - من دون الله هم مخلوقون لله، مملوكون له، فهم أمثالكم في ذلك مع أنكم أفضل حالاً؛ لأنكم أحياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون، وأصنامكم ليست كذلك، فادعوهم وليردوا عليكم الجواب إن كنتم صادقين فيما تدعونه لهم. ﴿١٩٥﴾ أهؤلاء الأصنام الذين اتخذتموهم آلهة: أرجل يمشون بها فيسعون في حوائجكم؟ أم لهم أيد يدفون بها عنكم بقوة؟ أم لهم أعين يبصرون بها ما غاب عنكم فيخبرونكم؟ أم لهم أذان يسمعون بها ما خفي عنكم فيوصلون علمه لكم؟ فإن كانت معطلة من ذلك كله فكيف تعبدونها رجاء جلب نفع أو دفع ضرر؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا من ساوواهم بالله، ثم احتالوا لضري، ولا تمهلوني.

﴿١٩٦﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● في الآيات بيان جهل من يقصد النبي ﷺ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر؛ لأن النفع إنما يحصل من قتل ما أرسل به من البشارة والنذارة. ● جعل الله بمنته من نوع الرجل زوجته؛ ليألفها ولا يجفوق ربها ويأنس بها؛ للتحقق الحكمة الإلهية في التناسل. ● لا يليق بالأفضل الأكمل الأشرف من المخلوقات وهو الإنسان أن يشتغل بعبادة الأخس والأرذل من الحجارة والخشب وغيرها من الآلهة الباطلة.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
 (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ
 وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
 وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ الْعَفْوَ
 وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ
 مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ
 الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
 فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ
 لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ قَالُوا لَوْلَا جِئْنَاهُمَا
 قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُكُمْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَادْكُرْ رَبَّكَ
 فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
 وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)

(١٩٦) إِنْ نَصِيرِي وَمُعِينِي اللَّهُ الَّذِي
 يحفظني، فلا أرجو غيره، ولا أخاف
 شيئاً من أصنامكم، فهو الذي نَزَلَ عَلَيَّ
 القرآن هدى للناس، وهو الذي يتولى
 الصالحين من عباده، فيحفظهم
 وينصرهم. (١٩٧) والذين تدعونهم
 - أيها المشركون - من هذه الأصنام
 لا يقدرُونَ على نصركم، ولا يقدرُونَ
 على نصر أنفسهم، فهم عاجزون،
 فكيف تدعونهم من دون الله؟

(١٩٨) وَإِنْ تَدْعُوا - أيها المشركون -
 أصنامكم التي تعبدونها من دون الله
 إلى الاستقامة لا يسمعون دعاءكم،
 وتراهم يقابلونك بأعين مصورة،
 وهي جماد لا تبصر، فقد كانوا
 يصنعون تماثيل على هيئة بني آدم
 أو الحيوانات، ولها أيد وأرجل وأعين،
 لكنها جامدة، لا حياة فيها ولا حركة.
 (١٩٩) أَقْبِلْ - أيها الرسول - من الناس
 ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم
 من الأعمال والأخلاق، ولا تكلفهم
 ما لا تسمح به طبائعهم، فإن ذلك
 ينفرهم، وأْمُرْ بكل قول جميل وفعل
 حسن، وأَعْرِضْ عن الجاهلين، فلا
 تقابلهم بجهلهم، فمن آذاك فلا تؤذ،
 ومن حَزَمَكَ فلا تُحَزِّمْه. (٢٠٠) وَإِذَا
 أَحْسَسْتَ - أيها الرسول - أن الشيطان
 أصابك بوسوسة أو تَبْطِيط عن فعل
 الخير فالتجئ إلى الله، واعصم
 به، فإنه سميع لما تقوله، عليم
 بالتجائك، فسبحميك من الشيطان.
 (٢٠١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا الله بامتثال أوامره
 واجتباب نواهيه إِذَا أصابتهم وسوسة
 من الشيطان فَأَذْنَبُوا؛ تذكروا عظمة
 الله وعقابه للعصاة وثوابه للمطيعين،
 فتابوا من ذنوبهم، وأَنَابُوا إلى ربهم،
 فَإِذَا هُمْ قد استقاموا على الحق،

وَصَحَّوْا مما كانوا عليه، وانتهوا. (٢٠٢) وإخوان الشياطين من الفجار والكفار لا يزال الشياطين يزيدونهم في الضلال بذنوبهم بعد ذنب،
 ولا يَمْسُكُونَ، لا الشياطين عن الإغواء والإضلال، ولا الفجار من الإنس عن الانقياد وفعل الشر. (٢٠٣) وَإِذَا جِئْتَ - أيها الرسول - بأية
 كذبوك وأعرضوا عنها، وإن لم تأتِهم بأية قالوا: هَلَّا اخترعت آية من عندك واختلفتها، قل لهم - أيها الرسول -: ليس لي أن آتي
 بأية من تلقاء نفسي، ولا أتبع إلا ما يوحى الله إلي، هذا القرآن الذي أقرؤه عليكم حجج وبراهين من الله خالقكم ومدير شؤونكم،
 وإرشاد ورحمة للمؤمنين من عباده، وأما غير المؤمنين فهم ضلَّالٌ أشقياء. (٢٠٤) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لِقراءته، ولا تتكلموا، ولا
 تشغلوا بغيره؛ رجاء أن يرحمكم الله. (٢٠٥) واذكر - أيها الرسول - الله ربك مثلاً متواضعاً خائفاً، واجعل دعاءك وسطاً بين رفع
 الصوت وخفضه في أول النهار وآخره لفضل هذين الوقتين، ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى. (٢٠٦) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ - أيها
 الرسول - من الملائكة لا يترفعون عن عبادته سبحانه، بل ينقادون لها مذعنين لا يفترون، وهم يُبَرِّهُونَ الله بالليل والنهار عما لا
 يليق به، وله وحده يسجدون.

● من تَوَابِ الْأَيَّاتِ: ● الواجب على العاقل عبادة الله تعالى؛ لأنه هو الذي يحقق له منافع الدين بإنزال الكتاب المشتمل على العلوم
 العظيمة في الدين، ومنافع الدنيا بتولي الصالحين من عباده وحفظه لهم ونصرتها إياهم، فلا تضرهم عداوة من عاداهم. ● في
 الآيات بشارة للمسلمين المستقيمين على صراط نبيهم ﷺ بأن ينصرهم الله كما نصر نبيه وأوليائه. ● في الآيات جماع الأخلاق،
 فعلى العبد أن يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه. ● على العبد إِذَا مَسَّهُ سوء من الشيطان - فأذنب بفعل محرم،
 أو ترك واجب - أن يستغفر الله تعالى، ويستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الماحية.

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الامتنان على المؤمنين بنصر الله لهم في بدر، وبيان سنن النصر والهزيمة.

● التفسير:

١ يسألك أصحابك - أيها الرسول - عن الفنائم، كيف قَسَمْتَنَاهَا؟ وعلى من تكون القسمة؟ قل - أيها الرسول - مجيباً سؤالهم: الفنائم لله ورسوله، وحكمها لله ولرسوله في التصرف والتوزيع، فما عليكم إلا الانقياد والاستسلام، فاتقوا الله - أيها المؤمنون - بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التقاطع والتدابير بالتواد والتواصل وحسن الخلق والعفو، وَاَلْزَمُوا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقاً؛ لأن الإيمان يبعث على الطاعة والبعد عن المعصية. وكان هذا السؤال بعد وقعة بدر.

٢ إنما المؤمنون حقاً الذين إذا ذكر الله ﷻ خافت قلوبهم؛ فانسأقت قلوبهم وأبدانهم للطاعة، وإذا قُرِئَتْ عليهم آيات الله تدبروها فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مفاسدهم.

٣ الذين يداومون على أداء الصلاة بصفتها التامة في أوقاتها، ومما رزقناهم يخرجون النفقات الواجبة والمستحبة.

٤ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم المؤمنون حقاً؛ لجمعهم بين خصال الإيمان والإسلام الظاهرة،

وجزاؤهم منازل عالية عند ربهم، ومغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو ما أعد الله لهم من النعيم.

٥ كما أن الله ﷻ انتزع منكم قسمة الفنائم بعد اختلافكم في قسمتها وتنازعكم فيها، وجعلها إليه وإلى رسوله ﷺ، كذلك أَمَرَكَ رَبِّكَ - أيها الرسول - بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحى أنزله عليك، مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك.

٦ تجادلُك - أيها الرسول - هذه الطائفة من المؤمنين في قتال المشركين بعدما اتضح لهم أنه واقع، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون إليه عياناً، وذلك لشدة كراهتهم للخروج للقتال؛ لأنهم لم يأخذوا له أميته، ولم يعدوا له عدته.

٧ واذكروا - أيها المؤمنون المجادلون - إذ يعدمكم الله أنه سيكون لكم الظفر بإحدى طائفتي المشركين، وهي إما العير وما تحمله من أموال فتأخذونه غنيمه، وإما النفير فتقاتلونهم وتُصَرِّفُونَهُمْ عليهم، وتحبون أنتم أن تغفروا بالعير لسهولة الاستيلاء عليها ويُسرّه دون قتال، ويريد الله أن يحق الحق بأمركم بالقتال؛ لتقتلوا صناديد المشركين، وتأسروا كثيراً منهم حتى تظهر قوة الإسلام.

٨ ليحق الله الحق بإظهار الإسلام وأهله، وذلك بما يظهره من الشواهد على صدقه، وليبطل سبحانه الباطل بما يظهر من البراهين على بطلانه، ولو كره المشركون ذلك، فالله مُّظْهِرُهُ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وبنّيته؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها. ● الجدل محله وفائده عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح وبان فليس إلا الانقياد والإذعان. ● أمر قسمة الفنائم متروك للرسول ﷺ، والأحكام مرجعها إلى الله تعالى ورسوله لا إلى غيرهما. ● إرادة تحقيق النصر الإلهي للمؤمنين؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّكُمْ بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
وَلِتُظْمِنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يَغْشَى كُرُ النَّعَاسِ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ
عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُرُ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ
رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
ءَامَنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ
دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضِبِ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

١٧٨

الله ورسوله في ذلك فإن الله شديد العقاب له في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار.

﴿١١﴾ ذلكم العذاب المذكور لكم - أيها المخالفون لله ورسوله - فذوقوه مُعْجَلًا لكم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة لكم عذاب النار إن متم على كفركم وعنادكم.

﴿١٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا قابلتم المشركين في القتال متقاربين فلا تنهزموا عنهم، وتولوهم ظهوركم هاربين، ولكن اثبتوا في وجوههم، واصبروا على لقاءهم، فالله معكم بنصره وتأييده.

﴿١٣﴾ ومن يولهم ظهره فأزًا منهم غير منعطف لقتالهم بأن يريهم الفرّ مكيدة منه، وهو يريد الكرّ عليهم، أو غير مُنْضَم إلى جماعة من المسلمين حاضرة يستجد بها: فقد رجع بغضب من الله، واستحقه، ومقامه في الآخرة جهنم، وبئس المصير مصيره، وبئس المُثْقَل مُثْقَلُهُ.

﴿١٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في الآيات اعتناء الله العظيم بحال عباده المؤمنين، وتيسير الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية. • أن النصر بيد الله، ومن عنده سبحانه، وهو ليس بكثرة عدد ولا عُدَد مع أهمية هذا الإعداد.
- الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر. • في الآيات تعليم المؤمنين قواعد القتال الحربية، ومنها: طاعة الله والرسول، والثبات أمام الأعداء، والصبر عند اللقاء، وذكر الله كثيرًا.

﴿٩﴾ واذكروا يوم بدر حين طلبتم الفوت من الله بالنصر على عدوكم، فاستجاب الله لكم بأنه ممدكم - أيها المؤمنون - ومعينكم بألف من الملائكة، متتابعين يتبع بعضهم بعضًا.

﴿١٠﴾ وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم - أيها المؤمنون - بأنه ناصركم على عدوكم، ولتسكن قلوبكم موقنة بالنصر، وليس النصر بكثرة العدد، وتوافر العدد، وإنما النصر من عند الله سبحانه، إن الله عزيز في ملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في شرعه وقدره.

﴿١١﴾ اذكروا - أيها المؤمنون - إذ يُلقِي الله النعاس عليكم أممًا مما حصل لكم من الخوف من عدوكم، وينزل عليكم مطرًا من السماء؛ ليطهركم من الأحداث، وليرزقكم وساوس الشيطان، وليثبت به قلوبكم لتثبت أبدانكم عند اللقاء، وليثبت به الأقدام بتليد الأرض الرملية حتى لا تسيخ فيها الأقدام.

﴿١٢﴾ إذ يوحى ربك - أيها النبي - إلى الملائكة الذين أمد الله بهم المؤمنين في بدر: أني معكم - أيها الملائكة - بالنصر والتأييد، فقوموا عزائم المؤمنين على قتال عدوهم، سألني في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد؛ فاضربوا - أيها المؤمنون - أعناق الكافرين ليموتوا، واضربوا مفاصلهم وأطرافهم ليعطلوا عن قتالكم.

﴿١٣﴾ ذلك الواقع بالكفار من القتل وضرب الأطراف سببه أنهم خالفوا الله ورسوله، فلم يأتروا بما أمروا به، ولم ينتهوا عما نهوا عنه، ومن يخالف

﴿١٧﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -

يوم بدر المشركين بحولكم وقوتكم، ولكن الله أعانكم على ذلك، وما رميت - أيها النبي - المشركين حين رميتهم، ولكن الله هو الذي رماهم حين أوصل رميتك إليهم، وليختبر المؤمنين بما أنعم عليهم من إظهارهم على عدوهم مع ما هم فيه من قلة العدد والعدة ليشكروهم، إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم، عليم بأعمالكم، وبما فيه صلاحكم.

﴿١٨﴾ ذلك المذكور من قتل المشركين، ورميهم حتى انهزموا وولّوا هارين، والإنعام على المؤمنين بإظهارهم على عدوهم؛ هو من الله، والله مُضْعِفُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ.

﴿١٩﴾ إن تطلبوا - أيها المشركون - أن يوقع الله عذابه وبأسه على الظالمين المعتدين فقد أوقع الله عليكم ما طلبتم، فأنزل بكم ما كان نكالاً لكم وعبرة للمتقين، وإن تكفوا عن طلب ذلك فهو خير لكم، فربما أمهلكم ولم يعجل انتقامه منكم، وإن تعودوا إلى طلبه وإلى قتال المؤمنين نَعْدُ بِيَأْفَاقِ الْعَذَابِ عَلَيْكُمْ وَبِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَنْ تَغْنِي عَنْكُمْ جَمَاعَتُكُمْ وَلَا أَنْصَارُكُمْ وَلَوْ كَانَتْ كَثِيرَةً الْعُدَّةُ وَالْعُدَّةُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَأنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَلَا غَالِبَ لَهُ.

﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ واجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَلَا تَعْرِضُوا عَنْهُ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَإِتْيَانِ نَهْيِهِ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ. وَلَا تَكُونُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ قَالُوا: سَمِعْنَا بِأَذَانِنَا مَا يَتْلَى عَلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَاتْعَاطٍ؛ فَيَنْتَفِعُوا بِمَا سَمِعُوا. ﴿٢١﴾

﴿٢٢﴾ من يَدْبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ سَمَاعَ قَبُولِ الْبُحْمِ الَّذِينَ لَا يَنْطِقُونَ، فَهَمُ الَّذِينَ لَا يَدْرُونَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَلَا نَوَاحِيهِ. ﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمَكِيدِينَ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ سَمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَيَتَعَقَّلُونَ عَنْهُ الْحُجْجَ وَالْبَرَاهِينَ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَلَوْ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَسْمَعَهُمْ - عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ - لَتَلَوُوا عَنِ الْإِيمَانِ عَنَادًا، وَهُمْ مَعْرُضُونَ. ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِالْإِتْقَانِ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَاجْتَنَابِ لِمَا نَهَى عَنْهُ، إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا فِيهِ حَيَاتُكُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَأَقْبُوا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمُ الَّتِي عَمَلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا. وَاحْذَرُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَذَابًا لَا يَنَالُ الْعَاصِيَ مِنْكُمْ وَحْدَهُ، بَلْ يَنَالُهُ وَيَنَالُ غَيْرَهُ، وَذَلِكَ حِينَ يَظْهَرُ الظُّلْمُ فَلَا يُعَيَّرُ، وَأَقْبُوا أَنَّ اللَّهَ قَوِي الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ؛ فَاحْذَرُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • مَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَهُوَ الْمَنْصُورُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا قَلِيلًا عَدَدَهُ، وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ تَكُونُ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ. • الْمُؤْمِنُ مُطَالِبٌ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الْمَادِيَةِ، وَالْقِيَامِ بِالتَّكْلِيفِ الَّذِي كُلِّفَهُ اللَّهُ، ثُمَّ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَيَفُوضُ الْأَمْرَ إِلَيْهِ، أَمَا تَحْقِيقُ النَّتَاجِ وَالْأَهْدَافِ فَهُوَ مَتْرُوكٌ لِلَّهِ ﷻ. • فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمْنَعُ الْإِيمَانَ وَالْخَيْرَ إِلَّا عَمَّنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَزْكُو لِدَيْهِ هَذَا الْإِيمَانُ وَلَا يَثْمُرُ عَنْده. • عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكْثُرَ مِنَ الدُّعَاءِ: يَا مُقْبِلَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، يَا مُصْرِفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي إِلَى طَاعَتِكَ. • أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَقْرَءُوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فَيُعْهَدُ الْعَذَابَ.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَ كُفْرُ الْفَتْحِ وَإِنْ تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَتَوَلَّوْا شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿٦١﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم في مكة قليلى العدد، يستضعفكم أهلها، ويقهرونكم، تخافون أن يأخذكم أعداؤكم بسرعة، فضمكم الله إلى ماوى تأوون إليه وهو المدينة، وقواكم بالنصر على أعدائكم في مواطن الحرب التي منها بدر، ورزقكم من الطيبات، ومن جملتها الغنائم التي أخذتموها من أعدائكم، لعلكم تشكرون لله نعمه، فيزيدكم منها، ولا تكفرونها فيفسلها منكم، ويعذبكم.

﴿٦٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تخونوا الله والرسول بترك الامثال للأوامر وعدم اجتناب النواهي، ولا تخونوا ما اتفقتكم عليه من الدين وغيره، وأنتم تعلمون أن ما قمتم به خيانة؛ فتكونوا من الخائنين. ولما كانت محبة الأموال والأولاد تدفع العبد إلى الخيانة أخبر الله أنهما فتنة، فقال:

﴿٦٨﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن أموالكم وأولادكم إنما هي ابتلاء من الله لكم واختبار، فقد تصدكم عن العمل للأخرة، وتحملكم على الخيانة، واعلموا أن الله عنده ثواب عظيم، فلا تقوؤوا عليكم هذا الثواب بمراعة أموالكم وأولادكم والخيانة من أجلهم. ﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اعلموا أنكم إن تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، فلا يلتبسان عليكم، ويمح عنكم ما اجترحتموه من السيئات، ويففر لكم ذنوبكم، والله ذو الفضل العظيم، ومن فضله العظيم جنته التي أعدها للمؤمنين من عباده.

﴿٧٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين نالاً

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذِ اتَّاتَى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٧٣﴾

١٨٠

عليك المشركون ليكيدوا لك بحبسك أو بقتلك أو نفيك من بلدك إلى بلد غيره، ويكيدونك ويرد الله كيدهم عليهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين.

﴿٧١﴾ وإذا قرئت عليهم آياتنا قالوا عنا ذلّ الحق وترفعنا عليه: قد سمعنا مثل هذا من قبل، لو نشاء قول مثل هذا القرآن لقلناه، ما هذا القرآن الذي سمعناه إلا أكاذيب الأولين؛ فلن نؤمن به.

﴿٧٢﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال المشركون: اللهم إِنْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ تَهْلِكُنَا، أو آتِنَا بعذاب شديد. قالوا ذلك مبالغة في الجحود والإنكار.

﴿٧٣﴾ وما كان الله ليعذب أمتك - سواء من كان منهم من أمة الاستجابة أو من أمة الدعوة - بعذاب يستأصلهم وأنت - يا محمد - حي موجود بين ظهرانيهم، فوجودك بينهم أمان لهم من العذاب، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله من ذنوبهم.

﴿٧٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

● الشكر نعمة عظيمة يزيد بها فضل الله تعالى، وينقص عند إغفالها.

● للأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها.

● ما عند الله من الأجر على كف النفس عن المنهيات، خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد.

● في الآيات بيان سفة عقول المعرضين؛ لأنهم لم يقولوا: اللهم إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاهْدِنَا إِلَيْهِ.

● في الآيات فضيلة الاستغفار وبركته، وأنه من موانع وقوع العذاب.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءُؤُهُ إِلَّا الْأُمْتَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ أَوْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

﴿٣٤﴾ وأي شيء يمنع من عذابهم وقد ارتكبوا ما يوجب عذابهم من منعهم الناس عن المسجد الحرام أن يطوفوا به أو يصلوا فيه؟ وما كان المشركون أولياء الله، فليس أولياء الله إلا المتقون الذين يتقونه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون حين ادعوا أنهم أولياءه، وهم ليسوا بأوليائه.

﴿٣٥﴾ وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا صفيراً وتصفيفاً، فذوقوا - أيها المشركون - العذاب بالقتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم بالله، وتكذيبكم لرسوله.

﴿٣٦﴾ إن الذين كفروا بالله ينفقون أموالهم لمنع الناس عن دين الله، فسيفقونها ولن يتحقق لهم ما أرادوا، ثم تكون عاقبة إنفاقهم لأموالهم ندامة؛ لفواتها وفوات المقصود من إنفاقها، ثم يُغْلَبُونَ بانتصار المؤمنين عليهم، والذين كفروا بالله يُسَاقُونَ إلى جهنم يوم القيامة، فيدخلونها خالدين فيها مخلدين.

﴿٣٧﴾ يُسَاق هؤلاء الكفار الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى نار جهنم ليفصل الله فريق الكفار الخبيث عن فريق المؤمنين الطيب، وليجعل الخبيث من الأشخاص والأعمال والأموال بعضه فوق بعض متراكباً متراكماً، فيجعله في نار جهنم، أولئك هم الخاسرون؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

﴿٣٨﴾ قل - أيها الرسول - للذين كفروا بالله وبرسوله من قومك: إن يكفوا عن كفرهم بالله وبرسوله، وعن

صدهم عن سبيل الله من آمن به؛ يغفر الله لهم ما قد سبق من ذنوبهم، فالإسلام يهدم ما قبله، وإن يعودوا إلى كفرهم فقد سبقت سنة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على كفرهم عاجلهم بالعقوبة.

﴿٣٩﴾ وقاتلوا - أيها المؤمنون - أعداءكم من الكفار حتى لا يكون شرك ولا صد للمسلمين عن دين الله، ويكون الدين والطاعة لله وحده لا شريك له فيها، فإن انتهى الكفار عما كانوا عليه من الشرك والصد عن سبيل الله فدعوهم، فإن الله مطلع على أعمالهم، لا تخفى عليه خافية.

﴿٤٠﴾ وإن انصرفوا عما أمرُوا به من الانتهاء عن الكفر والصد عن سبيل الله، فَأَيَّقُوا - أيها المؤمنون - أن الله ناصرهم عليهم، نعم المولى لمن والاه، ونعم الناصر لمن نصره، فمن والاه فاز، ومن نصره انتصر.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعله عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.
- عمارة المسجد الحرام وولايته شرف لا يستحقه إلا أولياء الله المتقون.
- في الآيات إنذار للكافرين بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم أموالهم في الباطل على طائل، وسوف تصيبهم الحسرة وشدة الندامة.
- دعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم.
- من كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عدواً له فلا عز له.

﴿٤١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَقَّى أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفْشَلْتُمْ وَتَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ وَعَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٤﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٦﴾

﴿٤١﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن ما أخذتم من شيء من الكفار قهراً في الجهاد في سبيل الله فإنه يقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تقسم على المجاهدين، والخمس الباقي يقسم خمسة أقسام: قسم لله ورسوله يصرف في المصارف العامة للمسلمين، وقسم لقراية النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وقسم لليتامى، وقسم للفقراء والمساكين، وقسم للمسافرين الذين انقطع بهم السبل، إن كنتم آمنتم بالله، وبما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ يوم بدر الذي فَرَّقَ الله به بين الحق والباطل حين نصركم على أعدائكم، والله الذي نصركم قدير على كل شيء. ﴿٤٢﴾ واذكروا حين كنتم بالجانب الأدنى من الوادي مما يلي المدينة، والمشركون بالجانب الأقصى منه مما يلي مكة، والغير في مكان أسفل منكم مما يلي ساحل البحر الأحمر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في بدر لخالف بعضكم بعضاً، ولكنه سبحانه جمع بينكم في بدر على غير تواعد؛ ليُبَيِّنَ أمراً كان مفعولاً وهو نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإعزاز دينه وإذلال الشرك؛ ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بنصر المؤمنين عليهم مع قلة عددهم ومعدتهم، ويعيش من عاش عن بينة وحجة أظهرها الله له، فلا يبقى لأحد على الله حجة يحتج بها، والله سميع لأقوال الجميع، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها. ﴿٤٣﴾

﴿٤٤﴾ اذكر - أيها الرسول - من نعم

الله عليك وعلى المؤمنين إذ أراك الله المشركين في منامك قليلي العدد، فأطلعت المؤمنين على ذلك فاستبشروا به خيراً، وقويت عزائمهم على لقاء عدوهم وقتاله، ولو أنه سبحانه أراك المشركين في منامك كثيراً لضعفت عزائم أصحابك، وخافوا القتال، ولكنه سلم من ذلك، فغصمهم من الفشل، فقللهم في عين رسوله ﷺ، إنه عليم بما تتطوي عليه القلوب، وبما تخفيه النفوس.

﴿٤٥﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - إذ يريكهم الله المشركين حين التقيتهم بهم قليلاً، فجراكم على الإقدام على قتالهم، ويقللهم في أعينهم فيتقدمون لقتالكم، ولا يفكرون في الرجوع ليقضي الله أمراً كان مفعولاً بالانتقام من المشركين بالقتل والأسر، والإنعام على المؤمنين بالنصر والظفر بالأعداء، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فيجازي المسيء على إساءته، والمحسن على إحسانه.

﴿٤٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا واجهتم جماعة من الكفار فاثبتوا عند لقاءهم ولا تجبنوا، واذكروا الله كثيراً وادعوه، فهو القادر على نصركم عليهم؛ رجاء أن يُبَلِّغكم ما تطلبون، ويجنبكم ما تحذرون.

﴿٤٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

- الغنائم لله يجعلها حيث شاء بالكيفية التي يريد، فليس لأحد شأن في ذلك.
- من أسباب النصر تدبير الله للمؤمنين بما يعينهم على النصر، والصبر والثبات والإكثار من ذكر الله.
- قضاء الله نافذ وحكمته بالغة وهي الخير لعباد الله وللاُمة كلها.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنَفْسُكُمْ وَأَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَآعِمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ
تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ وَذُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

﴿٤٦﴾ والزموا طاعة الله وطاعة رسوله في أقوالكم وأفعالكم وجميع أحوالكم، ولا تختلفوا في الرأي؛ فإن الاختلاف سبب لضعفكم وجبنكم، وذهاب قوتكم، واصبروا عند لقاء عدوكم، إن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد والعون، ومن كان الله معه فهو الغالب والمنتصر لا محالة.

﴿٤٧﴾ ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من مكة كِبَرًا ومراءاة للناس، ويصدون الناس عن دين الله، ويمنعونهم من الدخول فيه، والله بما يعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٤٨﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - من نعم الله عليكم أن حسن الشيطان للمشركين أعمالهم، فشجعهم على ملاقاته المسلمين وقتالهم، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم، وإني ناصركم، ومُجِيركم من عدوكم، فلما التقى الفريقان: فريق المؤمنين معهم الملائكة ينصرونهم، وفريق المشركين معهم الشيطان الذي سيخذلهم؛ ولَّى الشيطان هاربًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى الملائكة الذين جاؤوا لنصرة المؤمنين، إني أخاف أن يهلكني الله، والله شديد العقاب، فلا يقدر على تحمل عقابه أحد.

﴿٤٩﴾ اذكروا إذ يقول المنافقون وضعفة الإيمان: خدع هؤلاء المسلمين دينهم الذي يعدهم بالنصر على أعدائهم مع قلة العدد وضعف العدة، وكثرة عدد أعدائهم وقوة عتادهم، ولم يُدْرِك هؤلاء أن من يعتمد على الله وحده ويتق بما وعد به من النصر فإن الله ناصر،

ولن يخذله مهما كان ضعفه، والله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه.

﴿٥٠﴾ ولو تشاهد - أيها الرسول - الذين كفروا بالله وبرسله حين تقبض الملائكة أرواحهم، وتتزعها وهم يضربون وجوههم إذا أقبلوا، ويضربون أدبارهم إذا ولوا هاربين، ويقولون لهم: ذوقوا - أيها الكافرون - العذاب المحرق، لو تشاهد ذلك لشاهدت أمرًا عظيمًا.

﴿٥١﴾ ذلك العذاب المؤلم عند قبض أرواحكم - أيها الكفار -، والعذاب المحرق في قبوركم وفي الآخرة، سببه ما كسبت أيديكم في الدنيا، فالله لا يظلم الناس، وإنما يحكم بينهم بالعدل فهو الحكم العدل.

﴿٥٢﴾ وليس هذا العذاب النازل بهؤلاء الكافرين خاصًا بهم، بل هو سُنَّةُ الله التي أمضاها على الكافرين في كل زمان ومكان، فقد أصاب آل فرعون والأمم من قبلهم حين كفروا بآيات الله سبحانه، فأخذهم الله بسبب ذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، فأنزل بهم عقابه، إن الله قوي لا يُقهر ولا يُغلب، شديد العقاب لمن عصاه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● البَطَرُ مرض خطير يُخَرُّ في تكوين شخصية الإنسان، ويُعَجِّل في تدمير كيانه صاحبه.

● الصبر يعين على تحمل الشدائد والمصاعب، وللصبر منفعة إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالاً لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة.

● التنازع والاختلاف من أسباب انقسام الأمة، وإنذار بالهزيمة والتراجع، وذهاب القوة والنصر والدولة.

● الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يُقَدِّم عليها الجيوش العظام.

٥٣ ذلك العقاب الشديد بسبب أن الله إذا أنعم على قوم نعمة من عنده لم ينزعها منهم حتى يغيروا أنفسهم من حالها الطيب من الإيمان والاستقامة وشكر النعم إلى حال سيئة من الكفر بالله ومعصيته وكفران نعمة، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

٥٤ شأن هؤلاء الكافرين كشأن غيرهم ممن كفر بالله مثل آل فرعون والأمم المكذبة من قبلهم، كذبوا بآيات ربه، فأهلكهم الله بسبب ما ارتكبوه من المعاصي، وأهلك الله آل فرعون بالغرق في البحر، وكل من آل فرعون والأمم من قبلهم كانوا ظالمين بسبب كفرهم بالله وشكرهم به، فاستوجبوا بذلك عقابه سبحانه، فأوقعه عليهم.

٥٥ إن شر من يبدؤ على الأرض هم الذين كفروا بالله وبرسله، فهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية؛ لإصرارهم على الكفر، فقد تعطلت فيهم وسائل الهداية من عقل وسمع وبصر.

٥٦ الذين عقدت معهم العهود والمواثيق - كبنى قريظة -، ثم ينقضون ما عاهدتهم عليه في كل مرة، وهم لا يخافون الله، فلا يوفون بعهودهم، ولا يلتزمون بالمواثيق المأخوذة عليهم.

٥٧ فإن قابلت - أيها الرسول - هؤلاء النافضين لعهودهم في الحرب فتكلم بهم أشد تكلم حتى يسمع بذلك غيرهم، لعلهم يعتبرون بحالهم، فيهابون قتالك ومظاهرة أعدائك عليك.

٥٨ وإن خفت - أيها الرسول - من قوم عاهدتهم غشاً ونقضاً للعهد

بأمانة تظهر لك فأعلمهم بطرح عهدهم حتى يستوا معك في العلم بذلك، ولا تباغتهم قبل إعلامهم، فإن مباغتهم قبل إعلامهم من الخيانة، والله لا يحب الخائنين، بل بمقتهم، فاحذر أنت من الخيانة.

٥٩ ولا يظن الذين كفروا أنهم فاتوا عقاب الله وأفلتوا منه، إنهم لا يفوتونه ولا يفلتون من عقابه، بل هو مدرهم ولاحق بهم. وأعدوا - أيها المؤمنون - ما قدرتم على إعداده من العدد والعدة؛ كالرمي، وأعدوا لهم ما حبستم من الخيل في سبيل الله، تخوفون أعداء الله وأعداءكم من الكافرين الذين يتربصون بكم الدوائر، وتخوفون به قومًا آخرين، لا تعلمونهم، ولا تعلمون ما يضمرون لكم من عداوة، بل الله وحده هو الذي يعلمهم، ويعلم ما يضمرون في أنفسهم، وما تنفقوا من مال قل أو كثر يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويعطكم ثوابه كاملاً غير منقوص في الآخرة، فبادروا إلى الإنفاق في سبيله. ٦٠ وإن مالوا إلى الصلح وتوكل قتالك، فمِلْ - أيها الرسول - إليه، وعاهدهم، واعتمد على الله، وثق به، فلن يخذلك، إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.

٦١ من قوايد الآيات،

• من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، كما أنها زجر لمن عملها ألا يعاودها.

- من أخلاق المؤمنين الوفاء بالعهد مع المعاهدين، إلا إن وجدت منهم الخيانة المحققة.
- يجب على المسلمين الاستعداد بكل ما يحقق الإرهاب للعدو من أصناف الأسلحة والرأي والسياسة.
- جواز السلم مع العدو إذا كان فيه مصلحة للمسلمين.

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ
اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا أَمَّا ثَلَاثِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
عَنَّا كَرِهَ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَمَّا ثَلَاثِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا
أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَأَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْ لَا كَتَبَ
مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا
مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

﴿٦٢﴾ وإن قصدوا بميلهم للصلح وترك القتال أن يخدعوك - أيها الرسول - بذلك ليستعدوا لقتالكم، فإن الله كافيك مكرهم وخداعهم، هو الذي قوّك بنصره، وقوّك بنصر المؤمنين لك من المهاجرين والأنصار.

﴿٦٣﴾ وجمع بين قلوب المؤمنين الذين نصرك بهم بعد أن كانت متفرقة، لو أنفقت ما في الأرض من مال لتجمع بين قلوبهم المتفرقة ما جمعت بينها، لكن الله وحده جمع بينها، إنه عزيز في ملكه لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وتدييره وشرعه.

﴿٦٤﴾ يا أيها النبي إن الله كافيك شر أعدائك، وكافي المؤمنين معك، فتق بالله واعتمد عليه.

﴿٦٥﴾ يا أيها النبي حُكَّ الْمُؤْمِنِينَ على القتال، وحُصِّمَ عليهم بما يقوي عزائمهم وينشط همهم، إن يكن منكم - أيها المؤمنون - عشرون صابرون على مقاتلة الكفار يغلبوا مئتين من الكفار، وإن تكن منكم مئة صابرة يغلبوا ألفاً من الكافرين؛ ذلك بأن الكافرين قوم لا يفهمون سنة الله بنصر أوليائه، ودحر أعدائه، ولا يدركون المقصود من القتال، فهم يقاتلون من أجل العلو في الدنيا.

﴿٦٦﴾ الآن خفف الله عنكم - أيها المؤمنون - لما علمه من ضعفكم، فخفف عنكم لطفاً منه بكم، فأوجب على الواحد منكم أن يثبت أمام اثنين من الكفار بدل عشرة منهم، فإن يكن منكم مئة صابرة على قتال الكفار يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا ألفين من الكفار بإذن

الله، والله مع الصابرين من المؤمنين بالتأييد والنصر.

﴿٦٧﴾ ما ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من الكفار الذين يقاتلونهم حتى يُكْثِرَ القتل فيهم؛ ليدخل الربح في قلوبهم حتى لا يعودوا إلى قتاله، تريدون - أيها المؤمنون - باتخاذ أسرى بدر أخذ الفداء، والله يريد الآخرة التي تُنال بنصر الدين وإعزازه، والله عزيز في ذاته وصفاته وقهره، لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه.

﴿٦٨﴾ لولا كتاب من الله سبق به قضاؤه وقدره أنه أحل لكم الغنائم، وأباح لكم فداء الأسرى لأصابعكم عذاب شديد من الله بسبب ما أخذتم من الغنيمة والفداء من الأسرى قبل نزول وحي من الله بإباحة ذلك.

﴿٦٩﴾ فكلوا - أيها المؤمنون - مما أخذتم من الكفار من غنيمة فهو حلال لكم، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- في الآيات وَعَدَ مِنَ اللَّهِ لعباده المؤمنين بالكفاية والنصرة على الأعداء.
- الثبات أمام العدو فرض على المسلمين لا اختيار لهم فيه، ما لم يحدث ما يُرَخِّصُ لهم بخلافه.
- الله يحب لعباده معالي الأمور، ويكره منهم سَفَسَافَهَا، ولذلك حثهم على طلب ثواب الآخرة الباقي والدائم.
- مفاداة الأسرى أو المنّ عليهم بإطلاق سراحهم لا يكون إلا بعد توافر الغلبة والسلطان على الأعداء، وإظهار هيبة الدولة في وجه الآخرين.

﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ أَتْرَافِكُمُ الَّذِينَ أُسْرُوا بِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ: إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا - يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ - وَيَعْفِرْ لَكُمْ - وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ أُسْتَنْصَرُوا فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّسْقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿٧١﴾ وَإِنْ يَقْصِدُوا - يَا مُحَمَّد - خِيَانَتَكَ بِمَا يُظْهِرُونَ لَكَ مِنَ الْقَوْلِ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ نَصَرَكِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ وَأُسِرَ مِنْ أُسِرَ، فَلْيَنْتَظِرُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ عَادُوا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِخَلْقِهِ وَبِمَا يَصْلَحُهُمْ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ.

﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَقُوا رَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، وَهَاجَرُوا مِنْ بِلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ، أَوْ إِلَى مَكَانٍ يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ آمِنِينَ، وَجَاهَدُوا بِبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ وَبَذْلِ أَنْفُسِهِمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَنَصَرُوهُمْ - أَوْلَئِكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالَّذِينَ نَصَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي النَّصْرَةِ وَالْمَعُونَةِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَلَمْ يَهَاجِرُوا مِنْ بِلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ تَنْصُرُوهُمْ وَتَحْمُوهُمْ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ ظَلَمَهُمُ الْكُفَرَاءُ فَطَلِبُوا مِنْكُمْ النَّصْرَ فَانصُرُوهُمْ عَلَىٰ عَدْوِهِمْ، إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدْوِهِمْ عَهْدٌ لَمْ يَنْقُضُوهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا. ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ يَجْمَعُهُمُ

الْكُفْرَ، فَيَنَاصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَا يَوَالِيهِمْ مُؤْمِنٌ، إِنْ لَمْ تَوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَادُوا الْكَافِرِينَ تَكُنْ فِتْنَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ لَمْ يَجِدُوا مِنْ يَنَاصِرُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ فِي الدِّينِ، وَيَكُنْ فَسَادٌ عَظِيمٌ بِالْأَرْضِ بِالصَّدْعِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِهِ، وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنَصَرُوهُمْ، أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَصَفُّونَ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ حَقًّا، وَجَزَاؤُهُمْ مِنَ اللَّهِ مَغْفِرَةٌ لِّذُنُوبِهِمْ، وَرِزْقٌ كَرِيمٌ مِنْهُ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَهَاجَرُوا مِنْ بِلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، أَوْلَئِكَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -، لَهُمْ مَا لَكُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَأَصْحَابُ الْقَرَابَةِ فِي حُكْمِ اللَّهِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي الْإِرْثِ مِنَ التَّوَارِثِ بِالْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ الَّذِي كَانَ مُوجُودًا سَابِقًا، إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَصْلَحُ لِعِبَادِهِ، فَيُشْرِعُهُ لَهُمْ.

﴿٧٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- يجب على المؤمنين ترغيب الأسرى في الإيمان.
- تضمنت الآيات بشارة للمؤمنين باستمرار النصر على المشركين ما داموا آخذين بأسباب النصر المادية والمعنوية.
- إن المسلمين إذا لم يكونوا يداً واحدة على أهل الكفر لم تظهر شوكتهم، وحدث بذلك فساد كبير.
- فضيلة الوفاء بالعهود والمواثيق في شرعة الإسلام، وإن عارض ذلك مصلحة بعض المسلمين.

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ
فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
ۚ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا
وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحْدَفَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۚ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ
فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ وَإِنْ أَحَدٌ
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ
اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۚ

فَأَكْمَلُوا لَهُمُ الْوَفَاءَ بَعْدَهُمْ حَتَّىٰ تَقْضِي مَدَّتَهُ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَمِنْهَا الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَبِاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ وَمِنْهَا

الْخِيَانَةُ. ١٢٩ فَإِذَا انْتَهَتْ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ الَّتِي أَمَنْتُمْ فِيهَا أَعْدَاءَكُمْ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ لَقِيتُمُوهُمْ، وَأَسْرُوهُمْ، وَحَاصِرُوهُمْ فِي مَعَاقِلِهِمْ، وَتَرَصَّدُوا لَهُمْ طَرَقَهُمْ، فَإِنْ تَابُوا إِلَى اللَّهِ مِنَ الشَّرِّ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَعْطَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ؛ فَقَدْ أَصْبَحُوا إِخْوَانَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَاتْرَكُوا قِتَالَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِّمَن تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِ.

١٣٠ وَإِنْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - مَبَاحُ الدَّمِ وَالْمَالِ - وَطَلَبَ جَوَارِكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - فَأَجِبْهُ إِلَى طَلَبِهِ حَتَّى يَسْمَعَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ أَوْصِلْهُ إِلَى مَكَانٍ يَأْمَنُ فِيهِ، ذَلِكَ أَنْ الْكُفَّارَ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ حَقَائِقَ هَذَا الدِّينِ، فَإِذَا عَلِمُوهُمَا مِنْ سَمَاعِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ رُبَّمَا اهْتَدَوْا.

١٣١ مِّن قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى حُرْصِ الْإِسْلَامِ عَلَى تَسْوِيَةِ الْعِلَاقَاتِ الْخَارِجِيَةِ مَعَ الْأَعْدَاءِ عَلَى أَسَاسِ مِنَ السَّلَامِ وَالْأَمْنِ وَالتَّفَاهُمِ.
- الْإِسْلَامُ يُقَدِّرُ الْعَهْدَ، وَيُوجِبُ الْوَفَاءَ بِهَا، وَيَجْعَلُ حِفْظَهَا نَبْأًا مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَلَاذِمًا لِنَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى. ● أَنَّ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءَ الزَّكَاةِ دَلِيلٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْهُمَا يَعْصِمَانِ الدَّمَّ وَالْمَالِ، وَيُوجِبَانِ لِمَن يُؤَدِّيهِمَا حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حِفْظِ دَمِهِ وَمَالِهِ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ؛ كَارْتِكَابِ مَا يُوجِبُ الْقَتْلَ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ الْبَرِيَّةِ، وَزِنَى الزَّانِي الْمُحْصَنِ، وَالرَّذَّةِ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ. ● مَشْرُوعِيَّةُ الْأَمَانِ؛ أَيُّ: جَوَازُ تَأْمِينِ الْحَرْبِيِّ إِذَا طَلَبَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَسْمَعَ مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْإِسْلَامِ، وَفِي هَذَا سَمَاحَةٌ وَتَكْرِيمٌ فِي مَعَامَلَةِ الْكُفَّارِ، وَدَلِيلٌ عَلَى إِثَارِ السَّلَامِ.

١٣٢ مِّن مَّقَاصِدِ الشُّرُوعِ:
البراءة من المشركين والمنافقين
وجهادهم، وفتح باب التوبة للتائبين.

١٣٣ التَّضْيِيرُ:

١ هذه براءة من الله، ومن رسوله، وإعلان بنهاية العهد التي عاهدتم -أيها المسلمون- عليها المشركين في جزيرة العرب.

٢ فسيروا - أيها المشركون - في الأرض مدة أربعة أشهر آمينين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان، وأيقنوا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله وعقابه إن استمررتكم على كفركم به، وأيقنوا أن الله مذل الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، ويدخل النار يوم القيامة. ويشمل هذا من نقضوا عهدهم، ومن كان عهدهم مطلقاً غير مؤقت، وأما من له عهد مؤقت ولو كان أكثر من أربعة أشهر فإنه يُتِمُّ له عهده إلى مدته.

٣ وإعلام من الله، وإعلام من رسوله إلى جميع الناس يوم النحر أن الله سبحانه بريء من المشركين، وأن رسوله بريء كذلك منهم، فإن تبتم -أيها المشركون- من شرككم فتوبتكم خير لكم، وإن أعرضتم عن التوبة فأيقنوا أنكم لن تقوتوا الله، ولن تفلتوا من عقابه، وأخبر -أيها الرسول- الذين كفروا بالله بما يسوؤهم، وهو عذاب موجه ينتظرهم.

٤ إلا الذين عاهدتم من المشركين، ووفوا بعهدكم، ولم ينقصوا منه شيئاً، فهم مُسْتَتَنُونَ من الحكم السابق، فأكملوا لهم الوفاء بعهدهم حتى تقضي مدته،

﴿٧﴾ لا يصح أن يكون للمشركين بالله عهد وأمان عند الله وعند رسوله إلا عهد أولئك المشركين الذين عاهدتموهم - أيها المسلمون - عند المسجد الحرام في صلح الحديبية، فما أقاموا لكم على العهد الذي بينكم وبينهم ولم ينقضوه فأقيموا أنتم عليه ولا تنقضوه، إن الله يحب المتقين من عباده الذين يمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿٨﴾ كيف يكون لهم عهد وأمان وهم أعداؤكم، وإن يظفروا بكم لا يراعوا فيكم الله ولا قرابة، ولا عهدا، بل يسومونكم سوء العذاب؛ يرضونكم بالكلام الحسن الذي تنطق به ألسنتهم، لكن قلوبهم لا تطوع ألسنتهم، فلا يكون بما يقولون، وأكثرهم خارجون عن طاعة الله لنقضهم العهد.

﴿٩﴾ اعتاضوا، واستبدلوا عن اتباع آيات الله التي منها الوفاء بالعهود ثمنا حقيقيا من حطام الدنيا الذي يتوصلون به إلى شهواتهم وأهوائهم، فصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وأعرضوا عنه، وصدوا غيرهم عن الحق، إنهم ساء عملهم الذي كانوا يعملون.

﴿١٠﴾ لا يراعون الله ولا قرابة ولا عهدا في مؤمن؛ لما هم عليه من العداوة، فهم متجاوزون لحدود الله؛ لما يتصفون به من الظلم والعدوان. ﴿١١﴾ فإن تابوا إلى الله من كفرهم، ونطقوا بالشهادتين، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم - فقد صاروا مسلمين، وهم إخوانكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ولا يحل لكم قتالهم، فإسلامهم يعصم دماءهم

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَلُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

وأموالهم وأعراضهم، ونبيين الآيات ونوضحها لقوم يعلمون، فهم الذين ينتفعون بها، وينفعون بها غيرهم. ﴿١٤﴾ وإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على ترك القتال مدة معلومة عهودهم ومواثيقهم، وعابوا دينكم وانتقصوا منه فقاتلوهم، فهم أئمة الكفر وقادته، ولا عهود لهم، ولا مواثيق تحقق دماءهم، قاتلوهم رجاء أن ينتهوا عن كفرهم ونقضهم للعهود وانتقاصهم للدين.

﴿١٥﴾ لم لا تقاتلون - أيها المؤمنون - قوماً نقضوا عهودهم ومواثيقهم، وسعوا في اجتماعهم في دار الندوة إلى إخراج الرسول ﷺ من مكة، وهم بدوؤكم بالقتال أول مرة عندما أعانوا بكرًا حلفاء قريش على خيانة حلفاء الرسول ﷺ، أتخافون ملاقاتهم في الحرب؟ قال الله سبحانه أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقًا.

﴿١٦﴾ من قوايد الآيات:

- دلت الآيات على أن قتال المشركين الناكثين العهد كان لأسباب كثيرة، أهمها: نقضهم العهد.
- في الآيات دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة فإنه يُقاتل حتى يؤديهما، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه.
- استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ على وجوب قتل كل من طعن في الدين عامداً مستهزئاً به.
- في الآيات دلالة على أن المؤمن الذي يخشى الله وحده يجب أن يكون أشجع الناس وأجرأهم على القتال.

﴿١٤﴾ قَاتِلُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَذَلِكَ بِقِتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَيُذَلِّهِمْ بِالْهَزِيمَةِ وَالْأَسْرِ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ بِجَعْلِ الْغَلْبَةِ لَكُمْ، وَيَبْرَأُ دَاءَ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ لَمْ يَشْهَدُوا الْقِتَالَ بِمَا حَصَلَ لَعْدُوهُمْ مِنَ الْقِتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْهَزِيمَةِ وَنَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ. ﴿١٥﴾ وَيُبْعِدُ الْغِيْظَ عَنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا نَالُوهُ مِنَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ. وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ إِنْ تَابُوا كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِصَدَقِ التَّائِبِ مِنْهُمْ، حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَشْرِيعِهِ.

﴿١٦﴾ أَظُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ يَتْرَكَكُمْ اللَّهُ دُونَ ابْتِلَاءٍ؟ فَالْإِبْتِلَاءُ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِهِ، سَتُبَلِّغُونَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ عَلَمًا ظَاهِرًا لِلْعِبَادِ الْمَجَاهِدِينَ مِنْكُمْ بِإِخْلَاصِ اللَّهِ، الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ بَطَانَةً مِنْ الْكُفَّارِ يُوَالُونَهُمْ، وَأَصْفِيَاءَ مِنْهُمْ يُوَادُّونَهُمْ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٧﴾ مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ بِالتَّعْبَادَةِ وَأَنْوَاعِ الطَّاعَةِ، وَهُمْ مُقِرُّونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ، أُولَئِكَ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ لِقَدْرِ شَرْطِ قَبُولِهَا الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ، وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَدْخُلُونَ النَّارَ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا إِلَّا إِنْ تَابُوا مِنْ الشِّرْكِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عِمَارَةَ الْمَسَاجِدِ وَيَقُومُ بِحَقِّهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ، وَلَمْ يَخَفْ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُرْجَى أَنْ يَكُونُوا مُهْتَدِينَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُونَ عَنْ ذَلِكَ.

﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - الْقَائِمِينَ عَلَى سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعَلَى عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِثْلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، أَجَعَلْتُمُوهُمْ سَوَاءً فِي الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ؟ لَا يَسْتَوُونَ أَبَدًا عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ الظَّالِمِينَ بِالشِّرْكِ، وَلَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ خَيْرِ كَسَقَايَةِ الْحَاجِّ.

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْهَجْرَةِ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ أَعْظَمُ رَتْبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الظَّافِرُونَ بِالْجَنَّةِ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● فِي الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتِنَائِهِمْ بِأَحْوَالِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ جَعَلَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ شِفَاءَ مَا فِي صُدُورِهِمْ وَذَهَابَ غِيْظِهِمْ. ● شَرَعَ اللَّهُ الْجِهَادَ لِيَحْصَلَ بِهِ هَذَا الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَهُوَ أَنْ يَتِمَّزِ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ لَا يَتَحَيَّزُونَ إِلَّا لِلدِّينِ وَاللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ. ● عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ الْحَقِيقِيِّينَ هُمُ مَنْ وَصِّفُوا بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَبِالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَمَّاها الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَبِخَشْيَةِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ. ● الْجِهَادُ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ أَصْلَ الدِّينِ، وَأَمَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ذُرْوَةُ سَنَامِ الدِّينِ.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

﴿٢١﴾ يخبرهم الله ربهم بما يسره من رحمته، ومن إحلال رضوانه عليهم، فلا يسخط عليهم أبداً، ويدخل جنات لهم فيها نعيم دائم لا ينقطع أبداً.

﴿٢٢﴾ ماكثين في تلك الجنان مكثاً لا نهاية له، ثواباً لهم على أعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا، إن الله عنده ثواب عظيم لمن امتثل أوامره، واجتنب نواهيه مخلصاً له الدين.

﴿٢٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاء به رسوله، لا تصيروا آباءكم وإخوانكم في النسب وغيرهم من قرابتكم أضيافاً توالونهم بإفشاء أسرار المؤمنين إليهم، والتشاور معهم؛ إن أثروا الكفر على الإيمان بالله وحده، ومن يصيبرهم أولياء مع بقائهم على الكفر ويظهر لهم المودة فقد عصى الله، وظلم نفسه بإيرادها موارد الهلاك بسبب المعصية.

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول -: إن كان أبواؤكم - أيها المؤمنون - وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وأقرباؤكم، وأموالكم التي اكتسبتموها، وتجارعتكم التي تحبون رواجها، وتخافون كسادها، وبيوتكم التي ترضون المقام فيها - إن كان كل أولئك أحب إليكم من الله ورسوله، ومن الجهاد في سبيله فانتظروا ما ينزله الله بكم من العقاب والنكال، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته للعمل بما يرضيه.

﴿٢٥﴾ لقد نصركم الله - أيها المؤمنون - على عدوكم من المشركين في غزوات كثيرة على قلة عددكم وضعف عدتكم حين توكلتم

على الله وأخذتم بالأسباب، ولم تُعْجَبُوا بكثرتم، فلم تكن الكثرة سبب نصركم عليهم، ونصركم يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم، فقلتم: لن نُغْلِبَ اليوم من قلة، فلم تنفعكم كثرتكم التي أعجبتكم شيئاً، فتغلب عليكم عدوكم، وضاعت عليكم الأرض على سعتها، ثم وليتم عن أعدائكم فارين منهزمين.

﴿٢٦﴾ ثم بعد فراركم من عدوكم أنزل الله الطمانينة على رسوله، وأنزلها على المؤمنين، فثبتوا للقتال، وأنزل ملائكة لم تروههم، وعذب الذين كفروا بما حصل لهم من القتل والأسر وأخذ الأموال وسبي الذراري، وذلك الجزاء الذي جوزي به هؤلاء هو جزاء الكافرين المكذبين لرسولهم المعارضين عما جاء به.

﴿٢٧﴾ من قوايد الآيات،

- مراتب فضل المجاهدين كثيرة، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذي درجة، فلهم المزية والمرتبة العلية، وهم الفائزون الظافرون الناجون، وهم الذين يبشرهم ربهم بالنعيم.
- في الآيات أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وتقديم هذه المحبة على محبة كل شيء.
- تخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب؛ لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ﷺ وحصول الهزيمة عند إيثار الحطوط العاجلة على الامتثال.
- فضل نزول السكينة، فسكينة الرسول ﷺ سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف.

﴿٢٧﴾ ثم إن من تاب من كفره وضلاله من بعد ذلك التعذيب فإن الله يتوب عليه، ويقبل توبته، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، حيث يقبل منهم التوبة بعد الكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا ما شرعه لهم، إنما المشركون نجس؛ لما فيهم من الكفر والظلم والأخلاق الذميمة والعادات السيئة؛ فلا يدخلوا الحرم المكي -ومن ضمنه المسجد الحرام- ولو كانوا حجاجاً أو معتمرين بعد عامهم هذا الذي هو سنة تسع للهجرة، وإن خفتم -أيها المؤمنون- فقراً بسبب انقطاع ما كانوا يجلبون إليكم من الأطعمة والتجارات المختلفة فإن الله سيكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالكم التي أنتم عليها، حكيم فيما يدبره لكم.

﴿٢٩﴾ قاتلوا -أيها المؤمنون- الكافرين الذين لا يؤمنون بالله إلهاً لا شريك له، ولا يؤمنون بيوم القيامة، ولا يجتنبون ما حرمه الله ورسوله عليهم من الميتة ولحم الخنزير والخمر والربا وغيرها، ولا يخضعون لما شرعه الله، من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية بأيديهم أذلاء مهقورين.

﴿٣٠﴾ إن كلاً من اليهود والنصارى مشركون، فاليهود أشركوا بالله لما ادعوا أن عزيراً ابن الله، والنصارى أشركوا به لما ادعوا أن المسيح عيسى ابن الله، ذلك القول الذي افتروه قالوه بأفواههم دون إقامة برهان عليه، وهم يشابهون في هذا القول قول المشركين من قبلهم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أهلكهم الله، كيف يُصَرِّفون عن الحق البين إلى الباطل؟

﴿٣١﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عبّادهم: أرباباً من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويجرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعبّاد النصارى وما أمر عزيراً وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

﴿٣٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● في الآيات دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي التوكل.

● في الآيات دليل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته.

● الجزية واحد من خيارات ثلاثة يعرضها الإسلام على الأعداء، يقصد منها أن يكون الأمر كله للمسلمين بنزع شوكة الكافرين.

● في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن تجرؤوا على الله، وتتقصوا من عظمتهم سبحانه.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عبّادهم: أرباباً من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويجرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعبّاد النصارى وما أمر عزيراً وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَسْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا
فِي نَارِجَهَمُ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَوُظُّهُرُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَا نَفْسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْزُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

١٩٢

﴿٣٢﴾ يريد هؤلاء الكفار وغيرهم
ممن هم على ملة من ملل الكفر
بافتراءاتهم هذه وتكذيبهم بما جاء
به محمد ﷺ أن يقضوا على الإسلام
ويبطلوه، ويبطلوا ما جاء فيه من
الحجج الواضحة والبراهين الجلية
على توحيد الله، وأن ما جاء به رسوله
حق، ويأبى الله ﷻ إلا أن يكمل دينه
ويظهره، ويعليه على غيره، ولو كره
الكافرون إكمال دينه وإظهاره وإعلاءه
فإن الله ﷻ مُمْتَهُ وَمُظْهِرُهُ وَمُعْلِيهِ، وإذا
أراد الله أمراً بطلت إرادة غيره.

﴿٣٣﴾ والله سبحانه هو الذي أرسل
رسوله محمداً ﷺ بالقرآن الذي
هو هدى للناس، وبدين الحق الذي
هو دين الإسلام لِيُعْلِيَهُ بما فيه من
الحجج والبراهين والأحكام على غيره
من الأديان، ولو كره المشركون ذلك.
﴿٣٤﴾ يا أيها الذين آمنوا، وعملوا
بما شرعه الله لهم، إن كثيراً من
علماء اليهود، وكثيراً من عبّاد
النصارى، ليأخذون أموال الناس بغير
حق شرعي، فهم يأخذونها بالرشوة
وغيرها، وهم يمنعون الناس من
الدخول في دين الله. والذين يجمعون
الذهب والفضة، ولا يؤدون ما يجب
عليهم من زكاتها، فأخبرهم - أيها
الرسول - بما يسوؤهم يوم القيامة
من عذاب موجه.

﴿٣٥﴾ يوم القيامة يوقد على ما
جمعوه ومنعوا حقه في نار جهنم، فإذا
اشتدت حرارتها وُضِعَتْ على جباههم
وعلى جنوبهم وعلى ظهورهم، ويقال
لهم على سبيل التوبيخ: هذه هي
أموالكم التي جمعتوها ولم تؤدوا
الحقوق الواجبة فيها، فذوقوا وبال ما

كنتم تجمعونه ولا تؤدون حقوقه، وعاقبة ذلك.

﴿٣٦﴾ إن عدد شهور السنة في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهراً، فيما أثبتته الله في اللوح المحفوظ أول ما خلق السماوات والأرض،
من هذه الأشهر الاثني عشر أربعة أشهر حرم الله فيهن القتال، وهي ثلاثة سرد: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، وواحد فرد،
وهو (رجب). ذلك المذكور من عدد شهور السنة، ومن تحريم أربعة منها، هو الدين المستقيم، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحُرْمِ
أنفسكم بإيقاع القتال فيها، وهتك حرمتها، وقتلوا المشركين جميعاً كما أنهم يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه
بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه بالنصر والتثبيت، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد.

• مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- دين الله ظاهر ومنصور مهما سعى أعداؤه للنيل منه حسداً من عند أنفسهم.
- تحريم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.
- تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.
- الحرص على تقوى الله في السر والعلن، خصوصاً عند قتال الكفار؛ لأن المؤمن يبقى الله في كل أحواله.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُؤْطِطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

﴿٢٧﴾ إن التأخير لحرمة شهر مُحَرَّم إلى شهر غير مُحَرَّم وجعله مكانه - كما كان يفعل العرب في الجاهلية - زيادة في الكفر على كفرهم بالله؛ حيث كفروا بحكمه في الأشهر الحُرْم، يُضِلُّ بها الشيطان الذين كفروا بالله حين سئ لهم هذه السُّنة السيئة، يحلون الشهر الحرام عامًا بإبداله بشهر من شهور الحل، ويبقونه على تحريمه عامًا ليوافقوا عدد الأشهر التي حرم الله وإن خالفوا أعيانها، فلا يحلون شهرًا إلا حرموا مكانه شهرًا، فيحلون بذلك ما حرمه الله من الأشهر الحرم، ويخالفون حكمه، حسن لهم الشيطان الأعمال السيئة فعملوها، ومنها ما ابتدعوه من النسيء، والله لا يوفق الكافرين المُصْرِينَ على كفرهم.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما شرعه لهم، ما شأنكم إذا دُعِيتُم إلى الجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم تباطأتم، وملتم إلى الاستقرار في مساكنكم؟! أرضيتُم بمتاع الحياة الدنيا الزائلة ولذاتها المنقطعة عوضًا عن نعيم الآخرة الدائم الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله؟! فما متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا حقير، فكيف لماعل أن يختار فانيًا على باق، وحقيرًا على عظيم؟!

﴿٢٩﴾ إن لم تخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم يعاقبكم الله بالقهر والإذلال وغيره، ويستبدل بكم قومًا مطيعين لله إذا استنفروا للجهاد نفروا، ولا تنصروه شيئًا بمخالفتم أمره، فهو غني عنكم، وأنتم الفقراء إليه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على نصر دينه ونبيه من دونكم.

﴿٣٠﴾ إن لم تنصروا - أيها المؤمنون - رسول الله ﷺ، وتستجيبوا لدعوته للجهاد في سبيل الله، فقد نصره الله دون أن تكونوا معه حين أخرجه المشركون هو وأبا بكر ﷺ، لا ثالث لهما حين كانا في غار ثور مستخفيين من الكفار الذين كانوا يبحثون عنهما، حين يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق حين خاف عليه أن يدركه المشركون: لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره، فأنزل الله الطمأنينة على قلب رسوله، وأنزل عليه جنودًا لا تشاهدونهم وهم الملائكة يؤيدونه، وصير كلمة المشركين السفلى، وكلمة الله هي العليا حين أعلى الإسلام، والله عزيز في ذاته وقهره وملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وقدره وشرعه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- العادات المخالفة للشرع بالاستمرار عليها دونما إنكار لها يزول قبحها عن النفوس، وربما ظُن أنها عادات حسنة.
- عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة.
- فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش فيها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.
- أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين وخاصة عند الخوف على فوات مصلحة عامة.

﴿٤١﴾ **سيروا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله في العسر واليسر، شبابًا وشيوخًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فاحرصوا عليه.**

﴿٤٢﴾ لو كان ما تدعون إليه الذين استأذنوك من المنافقين في التخلف غنيمَةً سهلة وسفرًا لا مشقة فيه لاتبعوك - أيها النبي - ولكن بُعِثَ عليهم المسافة التي دعوتهم لقطعها إلى العدو فتخلفوا، وسيحلف بالله هؤلاء المستأذنون من المنافقين في التخلف عندما ترجع إليهم قائلين: لو استطعنا الخروج إلى الجهاد معكم لخرجنا، يهلكون أنفسهم بتعريضها لعقاب الله بسبب تخلفهم وبسبب هذه الأيمان الكاذبة، والله يعلم أنهم كاذبون في دعواهم، وفي أيمانهم هذه.

﴿٤٣﴾ عفا الله عنك - أيها الرسول - اجتهادك في الإذن لهم في التخلف، فلم سمحت لهم فيه؟ حتى يتضح لك الصادقون في أذارهم التي قدموها، والكاذبون فيها، فتأذن للصادقين منهم دون الكاذبين.

﴿٤٤﴾ ليس من شأن المؤمنين بالله، وبيوم القيامة إيمانًا صادقًا أن يطلبوا منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل شأنهم أن ينفروا متى استنفرتهم، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالممتقين من عباده الذين لا يستأذنونك إلا لأعذار تمنعهم من الخروج معك.

﴿٤٥﴾ إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله هم المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيوم القيامة، وأصاب قلوبهم الشك في دين الله، فهم في شكهم يترددون حيارى لا يهتدون إلى الحق.

﴿٤٦﴾ ولو كانوا صادقين في دعوى أنهم يريدون الخروج معك للجهاد في سبيل الله لتأهبوا له بإعداد العدة، ولكن أبغض الله خروجهم معك، فثقل عليهم الخروج حتى أثروا القعود في منازلهم.

﴿٤٧﴾ ولما كان تخلف هؤلاء قد يحزن المؤمنين طمانهم الله بأن خروجهم أكثر ضررًا من تخلفهم فقال: من الخير ألا يخرج هؤلاء المنافقون معكم، فهم إن خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادًا بما يقومون به من التخاذيل وإلقاء الشبه، ولا سراعوا في صفوفكم بنشر النميمة لتفريقكم، وفيكم - أيها المؤمنون - من يستمع إلى ما يروجونه من الكذب، فيقبله وينشره، فينشأ الاختلاف بينكم، والله عليم بالظالمين من المنافقين الذين يلقون الدسائس والشكوك بين المؤمنين.

﴿٤٨﴾ من قوايد الآيات:

- وجوب الجهاد بالنفس والمال كلما دعت الحاجة.
- الأيمان الكاذبة توجب الهلاك.
- وجوب الاحتراز من العجلة، ووجوب الثبوت والتأني، وترك الاغترار بظواهر الأمور، والمبالغة في التفحص والتريث.
- من عناية الله بالمؤمنين تشبيطه المنافقين ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين، رحمة بالمؤمنين ولفظًا من أن يداخلهم من لا ينفعهم بل يضرهم.

٤٨ لقد حرص هؤلاء المنافقون على الإفساد بتفريق كلمة المؤمنين، وتشيت شملهم من قبل غزوة تبوك، ونوعوا وصرفوا لك - أيها الرسول - الأمور بتدبير الحيل، لعل حيلهم تؤثر في عزمك على الجهاد، حتى جاء نصر الله وتأييده لك، وأمر الله دينه وقهر أعداءه، وهم كارهون لذلك؛ لأنهم كانوا يرغبون في انتصار الباطل على الحق.

٤٩ ومن المنافقين من يعتذر بالأعذار المأخوذة فيقول: يا رسول الله، ائذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا تحملني على الخروج معك حتى لا أصيب ذنباً بسبب فتنة نساء العدو - الروم - إذا شاهدتهن. ألا قد وقعوا في فتنة أعظم مما زعموا، وهي فتنة النفاق، وفتنة التخلف، وإن جهنم يوم القيامة لمحيطه بالكافرين، لا يفوتها منهم أحد، ولا يجدون عنها مهرباً.

٥٠ إن نالتك - يا رسول الله - نعمة من الله بما يسرك من نصر أو غنيمة كرهوا ذلك، وحزنوا له، وإن نالتك مصيبة من شدة أو انتصار عدو يقول هؤلاء المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم حين لم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون، فأصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ثم ينصرف هؤلاء المنافقون إلى أهلهم مسرورين بالسلامة.

٥١ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: لن ينالنا إلا ما كتبه الله لنا، فهو سبحانه سيدنا وملجؤنا الذي نلجأ إليه، ونحن متوكلون عليه في أمورنا، وإليه وحده يفوض المؤمنون أمورهم، فهو كافيهم، ونعم الوكيل.

٥٢ قل - أيها الرسول - لهم:

هل تنتظرون أن يقع لنا إلا النصر أو الشهادة؟ ونحن ننتظر أن ينزل بكم الله عذاباً من عنده يهلككم أو يعذبكم بأيدينا بقتلكم وأسركم إذا أذن لنا بقتلكم، فانتظروا عاقبتنا، إنا منتظرون عاقبتكم.

٥٣ قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها ل كفركم وخروجكم عن طاعة الله.

٥٤ وما منعه من قبول نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتناقلهم إذا صلوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

٥٥ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- دأب المنافقين السعي إلى إلحاق الأذى بالمسلمين عن طريق الدسائس والتجسس.
- التخلف عن الجهاد مفسدة كبرى وفتنة عظيمة، وهي معصية لله ومعصية لرسوله.
- في الآيات تعليم للمسلمين ألا يحزنوا لما يصيبهم؛ لئلا يهتوا وتذهب قوتهم، وأن يرضوا بما قدر الله لهم، ويرجوا رضا ربهم؛ لأنهم واثقون بأن الله يريد نصر دينه.
- من علامات ضعف الإيمان وقلة التقوى التكاثر في أداء الصلاة والإنفاق عن غير رضا ورجاء للثواب.

لَقَدْ أَتَبَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ٤٨ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَقِتْ لِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٤٩ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ٥٠ قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٥١ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَ دِينٍ أَفَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ٥٢ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُم كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٣ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ٥٤

﴿٥٥﴾ فلا تعجبك - أيها الرسول - أموال المنافقين ولا أولادهم، ولا تستحسنها، فعاقبة أموالهم وأولادهم سيئة، فאלله يجعلها عذاباً عليهم بالكذب والتعجب لتحصيلها، وبما ينزل من مصائب فيها إلى أن يخرج الله أرواحهم حال كفرهم فيعذبون بالخلود في الدرك الأسفل من النار.

﴿٥٦﴾ ويُقسم المنافقون لكم - أيها المؤمنون - كاذبين: إنهم لمن جملتكم، وهم ليسوا منكم في بواطنهم، وإن أظهروا أنهم منكم، لكنهم قوم يخافون أن يحل بهم ما حل بالمشركين من القتل والسبي، فيظهرون الإسلام تقية.

﴿٥٧﴾ لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأً من حصن يحفظون فيه أنفسهم، أو يجدون كهوفاً في الجبال يختبئون فيها، أو يجدون نفقاً يدخلون فيه لالتجؤوا إليه، ودخلوا فيه وهم مسرعون.

﴿٥٨﴾ ومن المنافقين من يعيبك - أيها الرسول - في قسمة الصدقات عندما لا ينالون منها ما يريدون، فإن أعطيتهم منها ما يطلبون رضوا عنك، وإن لم تعطهم ما يطلبون منها أظهروا التذمر.

﴿٥٩﴾ ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما فرضه الله لهم، وبما أعطاهم رسوله منها، وقالوا: كافينا الله، سيعطينا الله من فضله ما شاء، وسيعطينا رسوله مما أعطاه الله، إنا إلى الله وحده راغبون أن يعطينا من فضله، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم من أن يعيبوك.

ولما عابوا رسول الله ﷺ في

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
بِهَافِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ
﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَذْخَلًا
لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي
الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنُّ قُلٍّ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

قسمتها بين لهم مصارفها ومستحقها تبرئة لرسوله، فقال:

﴿٦٠﴾ إنما الزكوات الواجبة يجب أن تصرف للفقراء، وهم المحتاجون الذين لديهم مال من مهنة أو وظيفة، لكنه لا يكفيهم ولا ينبتهم لحالهم، والمساكين الذين لا يكادون يملكون شيئاً ولا يخفون على الناس بسبب حالهم، وللسعاة الذين يرسلهم الإمام لجمعها، وللکفار الذين يتألفون بها ليسلوا، أو لضعفة الإيمان ليقوى إيمانهم، أو لمن يدفع بها شره، وتصرف في الأرقاء ليعتقوا بها، وللمدنيين في غير إسراف ولا معصية إن لم يجدوا وفاء لما عليهم من دين، وتصرف في تجهيز المجاهدين في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت نفقته. قصر صرف الزكوات على هؤلاء فريضة من الله، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدييره وشرعه.

﴿٦١﴾ ومن المنافقين من يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام، فيقولون لنا شاهدوا حلمه ﷺ: إنه يسمع من كل أحد ويصدق، ولا يميز بين الحق والباطل، قل لهم - أيها الرسول -: إن الرسول لا يسمع إلا الخير، يصدق بالله، ويصدق ما يخبر به المؤمنون الصادقون ويرحمهم، فإن بعثته رحمة لمن آمن به، والذين يؤذونه ﷺ بأي نوع من أنواع الإيذاء لهم عذاب موجه.

من نوادر الآيات:

- الأموال والأولاد قد تكون سبباً للعذاب في الدنيا، وقد تكون سبباً للعذاب في الآخرة، فليتعامل العبد معهم بما يرضي مولاه، فتتحقق بهما النجاة. ● توزيع الزكاة موكل لاجتهاد ولاية الأمور يضعونها على حسب حاجة الأصناف وسعة الأموال.
- إيذاء الرسول ﷺ فيما يتعلق برسائله كفر، يترتب عليه العقاب الشديد. ● ينبغي للعبد أن يكون أذن خير لا أذن شر، يستمع ما فيه الصلاح والخير، ويُعرض ترفعاً وإباءً عن سماع الشر والفساد.

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَوْا نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ
 تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزْؤُا
 إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذِّبْ طَائِفَةً
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

١٩٧

يُقَسِّمُ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ
 - أيها المؤمنون - أنهم لم يقولوا شيئاً
 يؤذي النبي ﷺ، ذلك ليرضوكم عنهم،
 والله ورسوله أولى بالإرضاء بالإيمان
 والعمل الصالح إن كان هؤلاء مؤمنين
 حقاً.

﴿٦٣﴾ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنهم
 يعملهم هذا معادون لله ورسوله، وأن
 من يعاديهما يدخل يوم القيامة نار
 جهنم ما كُتِبَ فيها أبداً! ذلك الهوان
 والذل الكبير.

﴿٦٤﴾ يخاف المنافقون أن ينزل الله
 على رسوله سورة تُطْلِعُ الْمُؤْمِنِينَ على
 ما يضمرونه في قلوبهم من الكفر،
 قل - أيها الرسول -: استمروا - أيها
 المنافقون - على سخريتكم وطعنكم
 في الدين، فالله مخرج ما تخافون
 بإزالة سورة أو بإخبار رسوله بذلك.

﴿٦٥﴾ ولئن سألت - أيها الرسول -
 المنافقين عما قالوا من الطعن وسب
 المؤمنين بعد إخبار الله لك به ليقولنَّ:
 كنا في حديث نمزح فيه ولم تكن
 جادين، قل - أيها الرسول -: أبالله
 وآياته ورسوله كنتم تستهزئون! ﴿٦٦﴾

﴿٦٦﴾ لا تعتذروا بهذه الأعذار الكاذبة،
 فقد أظهرتم الكفر باستهزائكم بعد
 أن كنتم تضمرونه، إن نتجاوز عن
 فريق منكم لتركه النفاق وتوبته منه
 وإخلاصه لله، نعذب فريقاً منكم
 لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم
 منه.

﴿٦٧﴾ المنافقون رجالاً ونساءً متفقون
 في أحوال النفاق، وهم على النقيض
 من المؤمنين، فهم يأمرُونَ بالمنكر،
 وينهَوْنَ عن المعروف، ويبخلون
 بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله،
 تركوا الله أن يطيعوه، فتركهم الله من
 توفيقه، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال.

﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ مَكْتِبِينَ فِيهَا أَبَدًا، هي كافيتهم عقاباً، وطردهم الله من
 رحمته، ولهم عذاب مستمر.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- قِيَابُحُ الْمُنَافِقِينَ كَثِيرَةٌ، ومنها الإقدام على الإيمان الكاذبة، ومعاداة الله ورسوله، والاستهزاء بالقرآن والنبي والمؤمنين،
 والتخوف من نزول سورة في القرآن تقض شأنهم، واعتذارهم بأنهم هازلون لاعبون، وهو إقرار بالذنب، بل هو عذر أقبح من الذنب.
- لَا يُقْبَلُ الْهَزْلُ فِي الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ، ويعد الخوض بالباطل في كتاب الله ورسله وصفاته كُفْرًا.
- النِّفَاقُ: مرض مُضَالٍ متأصل في البشر، وأصحاب ذلك المرض متشابهون في كل عصر وزمان في الأمر بالمنكر والنهي عن
 المعروف، وقَبْضُ أيديهم وإسآكهم عن الإنفاق في سبيل الله للجهاد، وفيما يجب عليهم من حق.
- الجزء من جنس العمل، فالذي يترك أوامر الله ويأتي نواهيه يتركه من رحمته.

في الكفر والاستهزاء مثل الأمم المكذبة من قبلكم، كانوا أعظم قوة منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا بنصيبهم المكتوب لهم من ملذات الدنيا وشهواتها، فتمتعتم أنتم - أيها المنافقون - بنصيبكم المقدر لكم من ذلك مثل تمتع الأمم المكذبة السابقة بنصيبهم، وخضتم في التكذيب بالحق والطعن في الرسول مثل خوضهم في التكذيب به والطعن على رسلهم، أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين بطلت أعمالهم لفسادها عند الله بالكفر، وهم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

٧٦ ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر ما فعلته الأمم المكذبة، وما فعل بها من عقاب: قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، وقرى قوم لوط؛ جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والحجج الجلية، فما كان الله ليظلمهم؛ فقد أنذرتهم رسلهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كانوا عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله.

٧٧ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض وأعوانهم؛ لجمع الإيمان بينهم، يأمرون بالمعروف؛ وهو كل محبوب لله تعالى من وجوه طاعته كالتوحيد والصلاة، وينهون عن المنكر؛ وهو كل ما أبغضه الله تعالى من المعاصي كالكفر والربا، ويؤدون الصلاة كاملة على أكمل وجه، ويطيعون الله، ويطيعون رسوله؛ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة سيدخلهم الله في رحمته، إن الله

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا مَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كََمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٧٦
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودَ وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٧
أُولَئِكَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
٧٨
وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٧٩

٧٨ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِهِ أَنْ يَدْخُلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا مَآكِنٌ فِيهَا دَائِمًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَنْقُطُ نَعِيمُهُمْ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَدْخُلَهُمْ مَسَاكِنُ حَسَنَةٌ فِي جَنَّاتٍ إِقَامَةٍ، وَرِضْوَانٌ يَحِلُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، ذَلِكَ الْجِزَاءُ الْمَذْكُورُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فَوْزٌ.

٧٩ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● سبب العذاب للكفار والمنافقين واحد في كل العصور، وهو إيثار الدنيا على الآخرة والاستمتاع بها، وتكذيب الأنبياء والمكر والخديعة والفدر بهم.

● إهلاك الأمم والأقوام الغابرة بسبب كفرهم وتكذيبهم الأنبياء فيه عظة وعبرة للمعتبر من العقلاء.

● أهل الإيمان رجالاً ونساء أمة واحدة مترابطة متعاونة متناصرة، قلوبهم متحدة في التوآذ والتحاب والتعاطف.

● رضا رب الأرض والسموات أكبر من نعيم الجنات؛ لأن السعادة الروحانية أفضل من الجسمانية.

﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بَقَاتِلِهِمْ بِالسَّيْفِ، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحِجَّةِ، وَاشْدُدْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ؛ فَهُمْ أَهْلُ لَذَلِكَ، وَمَقَرُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ مَصِيرُهُمْ.

﴿٧٧﴾ يحلف المنافقون بالله كاذبين: ما قالوا ما بلغك عنهم من السب لك والعيب لديك، ولقد قالوا ما بلغك عنهم مما يعفُّهم، وأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإيمان، ولقد همُّوا بما لم يظفروا به من الفتك بالنبي ﷺ، وما أنكروا شيئاً إلا شيئاً لا يَنكُرُ، وهو أن الله تفضل عليهم بإغنائهم من الغنائم التي منَّ بها على نبيه، فإن يتوبوا إلى الله من نفاقهم تكن توبتهم منه خيراً لهم من البقاء عليه، وإن يتولَّوا عن التوبة إلى الله يعذبهم عذاباً موجعاً في الدنيا بالقتل والأسر، ويعذبهم عذاباً موجعاً في الآخرة بالنار، وليس لهم ولي يتولاهم فينقذهم من العذاب، ولا ناصر يدفع عنهم العذاب.

﴿٧٨﴾ ومن المنافقين من عاهد الله قاتلاً: لئن أعطانا الله من فضله لتتصدقن على المحتاجين، ولنتكونن من الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

﴿٧٩﴾ فلما أعطاهم الله سبحانه من فضله لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، بل منعوا أموالهم فلم يتصدقوا بشيء، وتولَّوا وهم معرضون عن الإيمان.

﴿٨٠﴾ فجعل عاقبتهم نفاقاً ثابتاً في قلوبهم إلى يوم القيامة؛ عقاباً لهم على إخلافتهم لعهد الله، وعلى كذبهم.

﴿٨١﴾ ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما يخفون من الكيد والمكر في مجالسهم، وأن الله سبحانه علام الغيوب؟ فلا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٨٢﴾ الذين يعيبون المتطوعين من المؤمنين ببذل الصدقات اليسيرة، الذين لا يجدون إلا شيئاً قليلاً هو حاصل ما يقدرون عليه، فيسخرُون منهم قائلين: ماذا تجدي صدقتهم؟ سخر الله منهم جزاء على سخريتهم بالمؤمنين، ولهم عذاب موجع.

﴿٨٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- وجوب جهاد الكفار والمنافقين، فجهاد الكفار باليد وسائر أنواع الأسلحة الحربية، وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.
- المنافقون من شرِّ الناس؛ لأنهم غادرون يقابلون الإحسان بالإساءة.
- في الآيات دلالة على أن نقض العهد وإخلاف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه.
- في الآيات ثناء على قوة البدن والعمل، وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ حَظٌّ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٦﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ
يُمَارِئُونَ أَوْ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَيْنَءَاتِنَا
مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٨﴾ فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُّعْرِضُونَ ﴿٧٩﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ
بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٨٠﴾
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٢﴾

﴿٨٠﴾ اطلب - أيها الرسول - المغفرة لهم، أو لا تطلبها لهم، فإن طلبتها سبعين مرة، فإنها على كثرتها لن توصل إلى مغفرة الله لهم؛ لأنهم كافرون بالله ورسوله، والله لا يوفق للحق الخارجين عن شرعه عن عمد وقصد.

﴿٨١﴾ فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك بعودهم عن الجهاد في سبيل الله مخالفين رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴿٨٢﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكو كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٣﴾ فإن رجعت الله إلى طائفة منهن فاستعدنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخلفين ﴿٨٤﴾ ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴿٨٥﴾ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كفرون ﴿٨٦﴾ وإذا أنزلت سورة آمنوا بالله وجهدوا مع رسولهم استعدنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُنْ مع القاعدين ﴿٨٧﴾

﴿٨٢﴾ فليضحك هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد قليلاً في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيراً في حياتهم الآخرة الباقية؛ جزاء ما كانوا اكتسبوه من الكفر والمعاصي والآثام في الدنيا.

﴿٨٣﴾ فإن أعادك الله - أيها النبي - إلى فريق من هؤلاء المنافقين ثابت على نفاقه، فطلبوا منك الإذن بالخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا - أيها المنافقون - معي في الجهاد في سبيل الله أبداً عقوبة لكم، وحذراً من المفساد المترتبة على وجودكم معي، فقد رضيتم بالقعود والتخلف في غزوة تبوك، فاقعدوا وابقوا مع المتخلفين من المرضى والنساء والصبيان.

﴿٨٤﴾ ولا تصل - أيها الرسول - على أي ميت من موتى المنافقين أبداً، ولا تقف على قبره للدعاء له بالمغفرة، ذلك لأنهم كفروا بالله وكفروا برسوله، وماتوا وهم خارجون عن طاعة الله، ومن كان كذلك لا يُصلَّى عليه ولا يُدعى له.

﴿٨٥﴾ ولا تعجبك - أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وذلك بما يعانونه من المشاق في سبيلها، وما يصابون به من مصائب فيها، وأن تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم على كفرهم.

﴿٨٦﴾ وإذا أنزل الله سورة على نبيه محمد ﷺ متضمنة للأمر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله طلب الإذن في التخلف عنك أصحاب الفنى واليسار منهم، وقالوا: اتركنا نتخلف مع أصحاب الأعداء كالضعفاء والزمنى.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً.

● الآيات تدل على قصر نظر الإنسان، فهو ينظر غالباً إلى الحال والواقع الذي هو فيه، ولا ينظر إلى المستقبل وما يَتَمَخَّصُ عنه من أحداث.

● التهاون بالطاعة إذا حضر وقتها سبب لعقوبة الله وتشبيطه للعبد عن فعلها وفضلها.

● في الآيات دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، وزيارة قبورهم والدعاء لهم بعد موتهم، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك في المؤمنين.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٧﴾ رَضِيَ هؤلاء المنافقون لأنفسهم الذلة والمهانة حين رَضُوا أَن يتخلفوا مع أصحاب الأعداء، وختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم ونفاقهم، فهم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم.

﴿٨٨﴾ أما الرسول والمؤمنون معه فلم يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله مثل هؤلاء، وإنما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكان جزاؤهم عند الله حصول المنافع الدنيوية لهم كالنصر والغنائم، وحصول المنافع الآخروية، ومنها دخول الجنة، وحصول الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

﴿٨٩﴾ هيا الله لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها ما كثين فيها أبداً، لا يلحقهم فناء، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم الذي لا يدانيه فلاح. ﴿٩٠﴾ وجاء قوم من أعراب المدينة ومن حولها يعتذرون إلى رسول الله ﷺ؛ ليأذن لهم في التخلف عن الخروج والجهاد في سبيل الله، وتخلف قوم آخرون لم يعتذروا أصلاً عن الخروج؛ لعدم تصديقهم للنبي ولعدم إيمانهم بوعد الله، سينال هؤلاء بسبب كفرهم هذا عذاب مؤلم موجه.

﴿٩١﴾ ليس على النساء والصبيان والمرضى والعجزة والعمي والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه من المال ليتجهزوا به، ليس على هؤلاء جميعاً إثم في التخلف عن الخروج؛ لأن أعداءهم قائمة، إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ليس على المحسنين من أصحاب هذه الأعداء طريق لإيقاع العقاب عليهم، والله غفور لذنوب المحسنين، رحيم بهم.

﴿٩٢﴾ ولا إثم كذلك على المتخلفين عنك الذين إذا جاؤوك - أيها الرسول - يطلبون ما تحملهم عليه من الدواب وقلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب؛ أدبروا عنك وأعينهم تسيل من الدمع أسفاً على أنهم لم يجدوا ما ينفقون من عند أنفسهم أو من عندك. ﴿٩٣﴾ لما بين أن لا طريق لعقوبة أهل الأعداء ذكر من يستحق العقوبة والمؤاخاة، فقال: إنما الطريق بالعقوبة والمؤاخاة على أولئك الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد وهم قادرون عليه بوجود ما يتجهزون به، رضوا لأنفسهم الذلة والهوان بأن يبقوا مع الخوالم في البيوت، وختم الله على قلوبهم فلا تتأثر بموعظة، وهم بسبب هذا الختم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم ليختاروه، وما فيه مفسدتهم ليتجنبوه.

من قوايد الآيات:

- المجاهدون سيحصلون الخيرات في الدنيا، وإن فاتهم هذا فلهم الفوز بالجنة والنجاة من العذاب في الآخرة.
- الأصل أن المحسن إلى الناس تكرمًا منه لا يؤاخذ إن وقع منه تقصير.
- أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سعيًا فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر - فإنه يُنَزَّل مَنَزِلَةُ الفاعل له.
- الإسلام دين عدل ومنطق؛ لذلك أوجب العقوبة والمأثم على المنافقين المستأذنين وهم أغنياء ذوو قدرة على الجهاد بالنفس.

﴿٩٤﴾ يُقَدِّمُ الْمُنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ أَعْدَاؤًا وَاِهِيَةً لِلْمُسْلِمِينَ حِينَ عَوَدَتِهِمْ مِنَ الْجِهَادِ، وَيُوجِّهُ اللَّهُ نَبِيَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ: لَا تَعْتَذِرُوا بِالْأَعْدَادِ الْكَاذِبَةِ، لَنْ نَصْدَقَكُمْ فِيهَا أَخْبَرْتُمُونَا بِهَ مِنْهَا، قَدْ أَعْلَمْنَا اللَّهُ شَيْئًا مِمَّا فِي نَفْسِكُمْ، وَسِيرَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ: هَلْ سَتْتَوِبُونَ، فَيَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَكُمْ، أَوْ تَسْتَمِرُّونَ عَلَى نِفَاقِكُمْ؟ ثُمَّ تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، فَيُادِرُوا إِلَى التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿٩٥﴾ سَيَقْسِمُ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ بِاللَّهِ إِذَا رَجَعْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِلَيْهِمْ تَأْكِيدًا لِأَعْدَادِهِمُ الْبَاطِلَةِ: لَتَكُونُوا عَنْ لَوْمَتِهِمْ وَتَوْبِيخِهِمْ، فَاتْرَكُوهُمْ تَرَكَ سَاحِطًا وَاهْجُرُوهُمْ، إِنَّهُمْ أَفْجَاسُ خِيَنَاءٍ الْبَاطِنِ، وَمُسْتَقْرَهُمُ الَّذِي يَأْوِنُ إِلَيْهِ هُوَ جَهَنَّمُ: جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَى مَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ النِّفَاقِ وَالْآثَامِ.

﴿٩٦﴾ يَقْسِمُ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - لَتَرْضُوا عَنْهُمْ، وَتَقْبَلُوا أَعْدَادَهُمْ، فَلَا تَرْضُوا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضُوا عَنْهُمْ فَقَدْ خَالَفْتُمْ رَبَّكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْخَارجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ بِالْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ: فَاحْذَرُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَنْ تَرْضُوا عَمَّنْ لَا يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ.

﴿٩٧﴾ أَهْلُ الْبَادِيَةِ إِنْ كَفَرُوا أَوْ نَافَقُوا كَانَ كُفْرُهُمْ أَشَدَّ مِنْ كُفْرِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ، وَنِفَاقُهُمْ أَشَدُّ مِنْ نِفَاقِ أَوْلَئِكَ، وَهُمْ أُخْرَى بِالْجَهْلِ بِالْإِيمَانِ، وَأَحَقُّ بِأَلَّا يَعْلَمُوا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ وَضَوَائِطَ الْأَحْكَامِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ: لَمَّا هَمَّ عَلَيْهِ مِنَ الْجَفَاءِ

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَالْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَالْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتٍ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

والغلظة وقلة المخالطة، والله عليم بأحوالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿٩٨﴾ ومن سكان البادية المنافقين من يعتقد أن ما ينفقه من مال في سبيل الله خسران وغرامة؛ لتوهمه أنه لا يؤجر إن أنفق، ولا يعاقبه الله إن أمسك، ولكنه مع هذا ينفق أحياناً رياءً وتقية، وينتظر أن ينزل بكم - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - شر فيخلص منكم، جعل الله ما يمتنون أنه يقع على المؤمنين من الشر ودوران الزمان بما لا تحمد عقباه واقعاً عليهم هم لا على المؤمنين، والله سميع لما يقولونه، عليم بما يضمرونه.

﴿٩٩﴾ ومن سكان البادية من يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة، ويجعل ما ينفقه من مال في سبيل الله قربات يتقرب بها إلى الله، ووسيلة للظفر بدعاء الرسول ﷺ واستغفاره له، ألا إن إنفاقه في سبيل الله ودعاء الرسول له قربات له عند الله، سيجد ثوابها عنده بأن يدخله الله في رحمته الواسعة التي تشمل مغفرته وجنته، إن الله غفور لمن تاب عن عبادته، رحيم بهم.

﴿١٠٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ميدان العمل والتكاليف خير شاهد على إظهار كذب المنافقين من صدقهم.
- أهل البادية إن كَفَرُوا فَهُمْ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ؛ لِتَأْثِيرِ الْبَيْئَةِ.
- الحُضْرُ عَلَى النِّفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ، وَعَظَمِ أَجْرِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ.
- فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الخطأ.

وَالسَّيْقُونِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
 مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ
 عَظِيمٍ ﴿١٤﴾ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
 وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 ﴿١٥﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
 إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
 اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
 وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَءَاخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ
 إِمَّا يَعْزِذُ بِهِمْ لَمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾

الذين بادروا أولاً إلى الإيمان من المهاجرين الذين هاجروا من ديارهم وأوطانهم إلى الله، ومن الأنصار الذين نصرروا نبيه ﷺ، والذين اتبعوا المهاجرين والأنصار السابقين إلى الإيمان بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأفعال - رضي الله عنهم فقبل طاعتهم، ورضوا عنه لما أعطاهم من ثوابه العظيم، وأعدَّ لهم جنات تجري الأنهار تحت قصورها، ماكنين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم. ﴿١٣﴾ وممن هم قريون من المدينة من سكان البادية منافقون، ومن أهل المدينة منافقون أقاموا على النفاق وثبتوا عليه، لا تعلمهم - أيها الرسول - الله هو الذي يعلمهم، سيُعَذِّبُهُمُ الله مرتين: مرة في الدنيا بانكشاف نفاقهم وقتلهم وأسْرهم، ومرة في الآخرة بعذاب القبر، ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في الدرك الأسفل من النار.

﴿١٤﴾ ومن أهل المدينة قوم آخرون تخلفوا عن الغزو من غير عذر، فأفروا على أنفسهم بأنهم لم يكن لهم عذر، ولم يأتوا بأعذار كاذبة، مزجوا أعمالهم الصالحة السابقة من القيام بطاعة الله، والتمسك بشرائعه، والجهاد في سبيله بعمل سيئ يرجون من الله أن يتوب عليهم، ويتجاوز عنهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٥﴾ خذ - أيها الرسول - من أموالهم زكاة تطهرهم بها من دنس المعاصي والآثام، وتُزَكِّي حَسَنَاتِهِمْ بِهَا، وادع لهم بعد أخذها منهم، إن دعاءك رحمة لهم وطمأنينة، والله سميع لدعائكم، عليم بأعمالهم ونياتهم.

﴿١٦﴾ ليعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد والتائبون إلى الله أن الله يقبل التوبة من عباده التائبين إليه، وأنه يقبل الصدقات وهو غني عنها، ويثيب المتصدق على صدقته، وأنه سبحانه هو التواب على من تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٧﴾ وقال - أيها الرسول - لهؤلاء المُتَخَلِّفِينَ عن الجهاد والتائبين من ذنوبهم: اجبروا ضرر ما فاتكم، وأخلصوا أعمالكم لله، واعملوا بما يرضيه، فسيرى الله ورسوله والمؤمنون أعمالكم، وسترجعون يوم القيامة إلى ربكم الذي يعلم كل شيء، فيعلم ما تسرون وما تعلنون، وسيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٨﴾ ومن المُتَخَلِّفِينَ عن غزوة تبوك قوم آخرون لم يكن لهم عذر، فهؤلاء مُؤَخَّرُونَ لقضاء الله وحكمه فيهم، يحكم فيهم بما يشاء: إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا إليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا، والله عليم بمن يستحق عقابه، وبمن يستحق عفوه، حكيم في شرعه وتدبيره، وهؤلاء هم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فضل المسارعة إلى الإيمان، والهجرة في سبيل الله، ونصرة الدين، واتباع طريق السلف الصالح. ● استثناء الله ﷻ بعلم الغيب، فلا يعلم أحد ما في القلوب إلا الله. ● الرجاء لأهل المعاصي من المؤمنين بتوبة الله عليهم ومغفرته لهم إن تابوا وأصلحوا عملهم.
- وجوب الزكاة وبيان فضلها وأثرها في تنمية المال وتطهير النفوس من البخل وغيره من الآفات.

﴿١١٧﴾ ومن المنافقين أيضًا أولئك الذين ابتنوا مسجدًا لغير طاعة الله، بل للإضرار بالمسلمين، وإظهار الكفر بتقوية أهل النفاق، وللتفريق بين المؤمنين، وللإعداد والانتظار لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد، وليحلفن هؤلاء المنافقون لكم: ما قصدنا إلا الرفق بالمسلمين، والله يشهد إنهم لكاذبون في دعواهم هذه.

﴿١١٨﴾ مسجد هذه صفته لا تستجب -أيها النبي- لدعوة المنافقين لك للصلاة فيه، فإن مسجد قباء الذي أُسِّس أول ما أُسِّس على التقوى أولى بأن تصلي فيه من هذا المسجد الذي أُسِّس على الكفر، في مسجد قباء رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والأخبار بالماء، ومن المعاصي بالتوبة والاستغفار، والله يحب المتطهرين من الأحداث والأخبار والذنوب.

﴿١١٩﴾ أيستوي من أُسِّس بنيانه على تقوى من الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، ورضوان الله بالتوسع في أعمال البر مع من بنى مسجدًا للإضرار بالمسلمين وتقوية الكفر، والتفريق بين المؤمنين؟ لا يستويان أبدًا، فالأول بنيانه قوي متماسك لا يخشى عليه السقوط، وهذا مثله كمثل من بنى بنيانًا على شفير حفرة فتهدم وسقط، فانهار به بنيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق القوم الظالمين بالكفر والنفاق وغير ذلك.

﴿١٢٠﴾ لا يزال مسجدهم الذي بنوه ضرارًا شكا ونفاقًا ثابتًا في قلوبهم حتى تنقطع قلوبهم بالموت أو القتل بالسيف، والله عليم بأعمال عباده،

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١١٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢١﴾

حكيم فيما يحكم به من جزاء على الخير أو الشر.

ولما بين الله فضائح المنافقين المتخلفين عن الجهاد ذكر جزاء المجاهدين في سبيله فقال:

﴿١٢١﴾ إن الله سبحانه اشترى من المؤمنين أنفسهم - مع أنهم ملوكه: تقصلاً منه - بثمن غال هو الجنة، حيث يقاتلون الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، فيقتلون الكفار، ويقتلهم الكفار، وعد الله بذلك وعدًا صدقًا في التوراة: كتاب موسى، والإنجيل: كتاب عيسى عليه السلام، والقرآن: كتاب محمد ﷺ، ولا أحد أوفى بعهد من الله سبحانه: فافرحوا وسروا - أيها المؤمنون - ببيعكم الذي بايعتم به الله، فقد ربحتم فيه ربحًا عظيمًا، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

﴿١٢٢﴾ من فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- محبة الله ثابتة للمتطهرين من الأنجاس البدنية والروحية. ● لا يستوي من عمل عملاً قصد به وجه الله؛ فهذا العمل هو الذي سبقي ويسعد به صاحبه، مع من قصد بعمله نصرة الكفر ومحاربة المسلمين؛ وهذا العمل هو الذي سيفني ويشقى به صاحبه.
- مشروعية الجهاد والحض عليه كانت في الأديان التي قبل الإسلام أيضًا. ● كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين واثلتافهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها.

هؤلاء الحاصلون على هذا الجزاء هم الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبه ويرضاه، الذين ذكروا خشية لله وتواضعاً فجاءوا في طاعته، العائدون لربهم على كل حال، الصائمون، المصلون، الآمرون بما أمر الله به أو أمر به رسوله، الناهون عما نهى الله عنه ورسوله، الحافظون لأوامر الله بالاتباع، ولنواهيها بالاجتناب، وأخير - أيها الرسول - المؤمنين المتصفين بهذه الصفات بما يسرهم في الدنيا والآخرة.

لا ينبغي للنبي ولا ينبغي للمؤمنين أن يطلبوا المغفرة من الله للمشركين، ولو كانوا أقرباءهم، من بعد ما اتضح لهم أنهم من أصحاب النار؛ لموتهم على الشرك.

وما كان طلب إبراهيم المغفرة لأبيه إلا بسبب وعده إياه ليطالبها له؛ رجاء أن يسلم، فلما اتضح لإبراهيم أن أباه عدو لله لعدم نفع النصيحة فيه، أو لعلمه بوحى أنه يموت كافراً تبرأ منه، وكان استغفاره له اجتهاذاً منه، لا مخالفة لحكم أوحى الله إليه به، إن إبراهيم كثير التضرع إلى الله، كثير الصفح والتجاوز عن قومه الظالمين.

وما كان الله ليحكم على قوم بالضلal بعد أن وفقهم للهداية حتى يبين لهم المحرمات التي يجب اجتنابها، فإن ارتكبوا ما حرم عليهم بعد بيان تحريمه حكم عليهم بالضلال، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، وقد علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

الَّتِي بَيَّنَّ الْعَبِيدُونَ الْحَمْدُوتَ السَّيِّئَاتِ
الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٤﴾ وَمَا
كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٨﴾

﴿١١٣﴾ إن الله له ملك السماوات وملك الأرض، لا شريك له فيهما، لا يخفى عنه فيهما خافية، يُحْيِي من شاء إحياءه، ويميت من شاء إماتته، وما لكم - أيها الناس - غير الله من ولي يتولى أموركم، وما لكم من نصير يدفع عنكم السوء، وينصركم على عدوكم.

﴿١١٤﴾ لقد تاب الله على النبي محمد ﷺ إذ أذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، ولقد تاب على المهاجرين، وعلى الأنصار الذين لم يتخلفوا عنه، بل اتبعوه في غزوة تبوك مع شدة الحر وقلة ذات اليد وقوة الأعداء، بعدما كادت تميل قلوب طائفة منهم هموا بترك الغزو؛ لما هم فيه من الشدة العظيمة، ثم وفقهم الله للثبات والخروج إلى الغزو، وتاب عليهم، إنه سبحانه رؤوف بهم رحيم، ومن رحمته توفيقهم للتوبة وقبولها منهم.

من قوايد الآيات:

- بطلان الاحتجاج على جواز الاستغفار للمشركين بفعل إبراهيم ﷺ.
- أن الذنوب والمعاصي هي سبب المصائب والخذلان وعدم التوفيق.
- أن الله هو مالك الملك، وهو ولينا، ولا ولي ولا نصير لنا من دونه.
- بيان فضل أصحاب النبي ﷺ على سائر الناس.

وهم: كعب بن مالك، ومراة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ الذين خَلَفُوا عن التوبة وأَخَرُوا قبول توبتهم بعد تخلفهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فأمر النبي ﷺ الناس بهجرانهم، وأصابهم حزن وغم على ذلك حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت صدورهم بما حصل لهم من الوحشة، وعلموا أَن لا ملجأ لهم يلجؤون إليه إلا إلى الله وحده، فرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبل توبتهم، إنه هو التواب على عبادِهِ، الرحيم بهم.

﴿١١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِشْرَعِهِ، اتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، واجتنبوا نواهيه، وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، فلا منجاة لكم إلا في الصدق.

﴿١٢٠﴾ ليس لأهل المدينة ولا لمن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الجهاد بنفسه، وليس لهم أن يَشْحُوا بأنفسهم، ويصونوها عن نفسه ﷺ، بل الواجب عليهم أن يبذلوا أنفسهم دون نفسه؛ ذلك لأنهم لا ينالهم عطش، ولا تعب، ولا مجاعة في سبيل الله، ولا ينزلون مكاناً يثير وجودهم به غيظ الكفار، ولا يصيبون من عدو قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة - إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح يقبله منهم، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يوفيهم إياه كاملاً، ويزيدهم عليه.

﴿١٢١﴾ ولا يبذلون مالاً قليلاً كان أو كثيراً، ولا يتجاوزون وادياً إلا كتب لهم

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

ما عملوه من بذل ومن سفر ليكاftهم الله، فيعطيه في الآخرة أجر أحسن ما كانوا يعملون. ﴿١٢٢﴾ وما ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا للقتال جميعاً حتى لا يُسْتَأْصَلُوا إذا ظهر عليهم عدوهم، فهلاً خرج للجهاد فريق منهم، وبقي فريق ليرافقوا رسول الله ﷺ، ويتفقهوا في الدين بما يسمعون منه ﷺ من القرآن وأحكام الشرع، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلموه؛ رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه. وكان هذا في السرايا التي كان يبعثها رسول الله إلى النواحي، ويختار لها طائفة من أصحابه.

﴿١٢٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- وجوب تقوى الله والصدق وأنهما سبب للنجاة من الهلاك.
- عظم فضل النفقة في سبيل الله.
- وجوب التفقه في الدين مثله مثل الجهاد، وأنه لا قيام للدين إلا بهما معاً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا
مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

آياتها

١٠٩

سورة التوبة

ترتيبها

١٠

٢٠٧

﴿١٢٣﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بقتال من يجاورهم من الكفار؛ لما يسببون من خطر على المؤمنين بسبب قربهم، وأمرهم كذلك أن يُظهروا قوة وشدة من أجل إرهابهم ودفع شرهم، والله تعالى مع المؤمنين المتقين بعبودته وتأيبه.

﴿١٢٤﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فمن المنافقين من يسأل مستهزئًا ساخرًا: أيكم زادته هذه السورة النازلة إيمانًا بما جاء به محمد؟ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله فقد زادهم نزول السورة إيمانًا إلى إيمانهم السابق، وهم مسرورون بما نزل من الوحي؛ لما فيه من منافعهم الدنيوية والأخروية.

﴿١٢٥﴾ وأما المنافقون فإن نزول القرآن بما فيه من أحكام وقصص يزيدهم مرضًا وخبثًا بسبب تكذيبهم بما ينزل، فيزداد مرض قلوبهم بزيادة نزول القرآن؛ لأنهم كلما نزل شيء شكوا بما فيه وماتوا على الكفر.

﴿١٢٦﴾ أولًا ينظر المنافقون معتبرين بابتلاء الله لهم بكشف حالهم وفضح نفاقهم كل سنة مرة أو مرتين؛ ثم مع علمهم بأن الله تعالى هو فاعل ذلك بهم لا يتوبون إليه من كفرهم، ولا يقلعون عن نفاقهم، ولا هم يتذكرون ما حل بهم وأنه من الله!

﴿١٢٧﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فيها ذكر أحوال المنافقين نظر بعض المنافقين إلى بعض قائلين: هل يراكم أحد؟ فإن لم يره أحد انصرفوا عن المجلس، ألا صرف الله قلوبهم عن الهداية والخير، وخذلهم بأنهم قوم لا يفهمون.

﴿١٢٨﴾ لقد جاءكم - يا معشر العرب - رسول من جنسكم، فهو عربي مثلكم، شاق عليه ما يشق عليكم، شديدة رغبته في هدايتكم والعناية بكم، وهو بالمؤمنين خاصة كثير العطف والرحمة.

﴿١٢٩﴾ فإن أعرضوا عنك، ولم يؤمنوا بما جئت به، فقل لهم - أيها الرسول -: يكفيني الله الذي لا معبود بحق سواه، عليه وحده اعتمدت، وهو سبحانه رب العرش العظيم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- وجوب ابتداء القتال بالأقرب من الكفار إذا اتسعت رقعة الإسلام، ودعت إليه حاجة.
- بيان حال المنافقين حين نزول القرآن عليهم وهي الترقُّب والاضطراب.
- بيان رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين وحرصه عليهم.
- في الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتقيد إيمانه ويتعاهده فيجده وينميهِ؛ ليكون دائمًا في صعود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ وَبَدَّوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ٦

٢٠٨

● من مَقاصِدِ السُّورَةِ: تقرير النبوة بالأدلة، ودعوة المكذابين للإيمان مع تهديدهم بالعذاب.

التفسير:

١ ﴿الر﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات المتولة في هذه السورة آيات القرآن المحكم المتقن المشتمل على الحكمة والأحكام.

٢ ﴿أ﴾ أكان باعثاً للناس على التعجب أن أنزلنا الوحي على رجل من جنسهم؛ أمرين إياه أن يحذرهم من عذاب الله؟ وأخبر - أيها الرسول - الذين آمنوا بالله بما يسره؛ أن لهم منزلة عالية جزاء على ما قدموه من عمل صالح عند ربهم سبحانه، قال الكافرون: إن هذا الرجل الذي جاء بهذه الآيات لساحر ظاهر السحر.

٣ ﴿إ﴾ إن ربكم - أيها المتعجبون - هو الله الذي خلق السماوات على عظمها، والأرض على اتساعها في ستة أيام، ثم علا وارتفع على العرش، فكيف تعجبون من إرساله رجلاً من جنسكم؟ وهو وحده الذي يقضي ويقدر في ملكه الواسع، وما لأحد أن يشفع لديه في شيء إلا بعد إذنه ورضاه عن الشافع، ذلکم المتصف بهذه الصفات هو الله ربكم، فأخلصوا له العبادة وحده، أفلا تتعظون بكل هذه البراهين والحجج على وحدانيته؟ فمن كان له أدنى اتعاض علم ذلك، وآمن به.

٤ ﴿إ﴾ إليه وحده رجوعكم يوم القيامة؛ ليجازيكم على أعمالكم، وعد

الله الناس بذلك وعداً صادقاً لا يخلفه، إنه على ذلك قادر، يبدأ إيجاد المخلوق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد موته؛ ليجزي سبحانه الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات بالعدل فلا ينقص من حسناتهم، ولا يزيد في سيئاتهم، والذين كفروا بالله وبرسله لهم شراب من ماء متناهي الحرارة، يقطع أمعاءهم، ولهم عذاب موجه بسبب كفرهم بالله وبرسله.

٥ ﴿ه﴾ هو الذي جعل الشمس تنشع الضوء وتشره، وجعل القمر نوراً يستنار به، وقدر سيره بعدد منازل الثماني والعشرين، والمنزلة هي المسافة التي يقطعها كل يوم وليلة؛ لتعلموا - أيها الناس - بالشمس عدد الأيام، وبالقمر عدد الشهور والسنين، ما خلق الله السماوات والأرض وما فيها إلا بالحق؛ ليظهر قدرته وعظمته للناس، يبين الله هذه الأدلة الواضحة والبراهين الجلية على وحدانيته لقوم يعلمون الاستدلال بها على ذلك.

٦ ﴿و﴾ إن في تناوب الليل والنهار على العباد، وما يصحب ذلك من ظلمة وضياء، وقصر أحدهما وطوله، والمخلوقات التي في السماوات والأرض لعلامات دالة على قدرة الله لقوم يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● إثبات نبوة النبي ﷺ وأن إرساله أمر معقول لا عجب فيه. ● خلق السماوات والأرض ومن فيهما، وتدير الأمر، وتقدير الأزمان واختلاف الليل والنهار كلها آيات عظيمة دالة على الوهية الله سبحانه. ● الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الله، ورضي قوله وفعله. ● تقدير الله ﷻ لحركة الشمس وللمنازل القمر يساعد على ضبط التاريخ والأيام والسنين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ
النَّهَارُ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْ لَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيئِهِ أَوْقَاعِدًا أَوْقَايِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُ وَمَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُتَسَرِّفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ إِنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يَتَوَقَّعُونَ لِقَاءَ اللَّهِ فِيخَافُوهُ أَوْ يَطْمَعُوا فِيهِ، وَارْتَضُوا الحياة الدنيا الفانية بدلاً من الحياة الآخروية الباقية، وسكنت أنفسهم إليها فرحة بها، والذين هم عن آيات الله ودلائله معرضون عنها لاهون.

﴿٨﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات مستقرهم الذي يأوون إليه هو النار؛ بسبب ما اكتسبوه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة.

﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الأعمال الصالحات يرزقهم الله الهداية إلى العمل الصالح الموصل إلى رضاه؛ بسبب إيمانهم، ثم يدخلهم الله يوم القيامة في جنات النعيم الدائم، تجري من تحتهم الأنهار.

﴿١٠﴾ دعاؤهم في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وتحية الله لهم وتحية الملائكة وتحية بعضهم لبعض؛ سلام، وخاتمة دعائهم الشاء على الله رب المخلوقات كلها.

﴿١١﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ سبحانه استجابة دعاء الناس على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بالشر عند الغضب، مثل ما يستجيب لهم في دعائهم بالخير - لهلكوا، ولكن الله يمهلهم، فيترك الذين لا ينتظرون لقاءه - لأنهم لا يخافون عقاباً ولا يرتجون ثواباً - يتركهم مترددين حائرين مرتابين في يوم الحساب.

﴿١٢﴾ وإذا أصاب الإنسان المسرف على نفسه مرض أو سوء حال، دعانا متذلاً متضرعاً مضطجعاً على جنبه أو قاعداً أو قائماً؛ رجاء أن يزيل ما به من ضرر، فلما استجبنا دعاءه، وأزلنا ما به من ضرر مضى على ما كان عليه كأنه لم يدعنا لكشف ضرر أصابه، كما زُيِّنَ لهذا المعرض الاستمرار في ضلاله زُيِّنَ للمتجاوزين للحدود بكفرهم ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي، فلا يتركونه.

﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الأمم من قبلكم - أيها المشركون - لتكذيبهم برسول الله وارتكابهم المعاصي، وقد جاءتهم رسلهم بالبينات، ولم يستمعوا لهم، ولم يوفقههم له، كما جازينا تلك الأمم الظالمة نجزي أمثالهم في كل زمان ومكان.

﴿١٤﴾ ثُمَّ صَيَّرْنَاكُمْ - أيها الناس - خَلَفًا لتلك الأمم المكذبة التي أهلكناها؛ لننظر كيف تعملون، هل تعملون خيراً فتثابوا عليه، أو تعملون شراً فتعاقبوا عليه؟

﴿١٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لطف الله بعباده في عدم إجابة دعائهم على أنفسهم وأولادهم بالشر.
- بيان حال الإنسان بالدعاء في الضراء والإعراض عند الرخاء والتحذير من الاتصاف بذلك.
- هلاك الأمم السابقة كان سببه ارتكابهم المعاصي والظلم.

وَإِذْ أَتَى عَلَىٰ آلِهِمْ عَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِفِرْعَوْنٍ غَيْرِهِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ وَمَنْ تِلْقَايَ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ وَعَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿١٥﴾ وإذا تُقَرَأ عليهم الآيات القرآنية الواضحة الدالة على توحيد الله، قال منكرو البعث الذين لا يرجون ثواباً، ولا يخافون عقاباً: جئ - يا محمد - بقرآن غير هذا القرآن المشتمل على سب عبادة الأصنام أو غيره بتسخ بعضه أو كله بما يوافق أهواءنا، قل لهم - أيها الرسول -: لا يصح أن أغَيِّره أنا، ولا أستطيع - بالأولى - الإتيان بغيره، بل الله وحده هو الذي يبدل منه ما يشاء، فلست أتبع إلا ما يوحيه الله إلي، إني أخاف إن عصيت الله بإجابتكم إلى ما طلبتم عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول -: لو شاء الله ألا أقرأ القرآن عليكم ما قرأته عليكم، وما بلغتكم إياه، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن على لساني، فقد مكثت بينكم زمناً طويلاً - هو أربعون سنة - لا أقرأ ولا أكتب، ولا أطلب هذا الشأن ولا أبحث عنه، أفلا تدركون بقولكم أن ما جئكم به هو من عند الله، ولا شأن لي فيه؟

﴿١٧﴾ فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فكيف لي أن أبطل القرآن اقتراء عليه، إن الشأن أن المتجاوزين لحدود الله بالاقتراء عليه لا يفوزون بمطلوبهم.

﴿١٨﴾ ويعبد المشركون من دون الله آلهة مزعومة، لا تتفع ولا تضر، والمعبود بالحق ينفع ويضر متى شاء، ويقولون عن معبوداتهم: هؤلاء وسطاء يشفعون لنا عند الله فلا يعذبنا بذنوبنا، قل لهم - أيها الرسول -: أنخبرون الله العليم أن له شريكاً، وهو لا يعلم له شريكاً في السماوات ولا في الأرض،

تَقْدُسُ وَتَنْزَهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ.

﴿١٩﴾ وما كان الناس إلا أمة واحدة مؤمنة موحدة فاختلفوا، فمنهم من بقي مؤمناً، ومنهم من كفر، ولولا ما مضى من قضاء الله أنه لا يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا، وإنما يحكم بينهم فيه يوم القيامة، لولا ذلك لحكم بينهم في الدنيا فيما يختلفون فيه، فيتبين المهتدي من الضال.

﴿٢٠﴾ ويقول المشركون: هلاً أنزل على محمد آية من ربه دالة على صدقه؟ فقل لهم - أيها الرسول -: نزول الآيات غيب يختص الله بعلمه، فانتظروا ما اقترحوه من الآيات الحسية، إني معكم من المنتظرين لها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- عظم الاقتراء على الله والكذب عليه وتحريف كلامه كما فعل اليهود بالتوراة.
- النفع والضرر بيد الله ﷻ وحده دون ما سواه.
- بطلان قول المشركين بأن آلهتهم تشفع لهم عند الله.
- اتباع الهوى والاختلاف على الدين هو سبب الفرقة.

وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ
 فِيءٍ يَا تَبَّ أَقْبَلِ اللَّهُ أَسْرَعَ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
 ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحَ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
 وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
 دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذَا وَهَلْ نَكُونَنَّ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْتُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَّتَعٌ الْحَيَوةِ
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾
 إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ
 بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا
 أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ
 عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
 بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا
 إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿٢١﴾ وإذا أذقنا المشركين نعمة من مطر وخصب بعد جدد وبؤس أصابهم، إذا لهم استهزاء وتكذيب بآياتنا، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: الله أعجل مكرًا، وأسرع استدراجًا لكم وعقوبة، إن الحفظة من الملائكة يكتبون ما تدبرون من مكر، لا يفوتهم منه شيء، فكيف يفوت خالقهم؟! وسيجازيكم الله على مكركم.

﴿٢٢﴾ الله هو الذي يُسَيِّرُكم - أيها الناس - في البر على أقدامكم وعلى دوابكم، وهو الذي يسيركم في البحر في السفن، حتى إذا كنتم في السفن في البحر، وجرت بهم بريح طيبة، فرح الركاب بتلك الريح الطيبة، فبينما هم في فرحهم جاءتهم ريح قوية الهبوب، وجاءهم موج البحر من كل جهة، وغلب على ظنهم أنهم هالكون؛ دعوا الله وحده، ولم يشركوا معه غيره قائلين: لئن أنقذتنا من هذه المحنة المهلكة لنكونن من الشاكرين لك على ما أنعمت به علينا.

﴿٢٣﴾ فلما استجاب دعاءهم، وأنقذهم من تلك المحنة، إذا هم يفسدون في الأرض بارتكاب الكفر والمعاصي والآثام. أفيقوا - أيها الناس - إنما عاقبة بغيكم السيئة على أنفسكم، فالله لا يضره بغيكم، تتمتعون به في الحياة الدنيا وهي فانية، ثم إلينا رجوعكم يوم القيامة، فنخبركم بما كنتم تعملون من المعاصي، ونجازيكم عليها.

﴿٢٤﴾ إنما مثل الحياة الدنيا التي تتمتعون فيها في سرعة انقضائها كمثل مطر اختلط به نبات الأرض مما

يأكل الناس من الحبوب والثمار، ومما تأكل الأنعام من الحشيش وغيره، حتى إذا أخذت الأرض لونها الزاهي، وتجمعت بما تنبت من أنواع النبات، وظن أهلها أنهم قادرون على حصاد ما أنبت وقطافه، جاءها قضاؤنا بإهلاكها، فصرناها محصورة كأن لم تكن عامرة بالأشجار والنباتات في عهد قريب، كما بينا لكم حال الدنيا وسرعة انقضائها نبين الأدلة والبراهين لمن يتفكرون ويعتبرون. ﴿٢٥﴾ والله يدعو جميع الناس إلى جنته التي هي دار السلام، يسلم فيها الناس من المصائب والهموم، ويسلمون من الموت، والله يوفق من شاء من عباده إلى دين الإسلام الموصل إلى دار السلام هذه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الله أسرع مكرًا بمن مكر بعباده المؤمنين.
- بغي الإنسان عائد على نفسه ولا يضر إلا نفسه.
- بيان حقيقة الدنيا في سرعة انقضائها وزوالها، وما فيها من النعيم فهو فاني.
- الجنة هي مستقر المؤمن؛ لما فيها من النعيم والسلامة من المصائب والهموم.

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ۖ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ مَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۚ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارٌ تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٣٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۚ فَإِنِّي نَصْرَفُوكَ ۚ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾

٢١٢

الحق الذي هو الله الذي يتولى حسابهم، وذهب عنهم ما افتروه من شفاعة أصنامهم.

﴿٣٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: من يرزقكم من جهة السماء بإنزال المطر عليكم؟ ومن يرزقكم من الأرض بما ينبت فيها من نبات، وبما تحويه من معادن؟ ومن يخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة، والطير من البيضة، ومن يخرج الميت من الحي كالنطفة من الحيوان، والبيضة من الطير؟ ومن يدبر أمر السماوات والأرض وما فيهن من مخلوقات؟ فسيجيبن بأن فاعل ذلك كله هو الله، فقل لهم: أفلا تعلمون ذلك، وتتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؟

﴿٣٧﴾ فذلکم - أيها الناس - الذي يفعل ذلك كله هو الله الحق خالقكم، ومدبر أمركم، فماذا بعد معرفة الحق غير البعد عنه والضياع؟ فأين تذهب عقولكم عن هذا الحق الجلي؟

﴿٣٨﴾ كما ثبتت الربوبية الحق لله وجبت - أيها الرسول - كلمة ربك القدرية على الذين خرجوا عن الحق عنادًا أنهم لا يؤمنون.

﴿٣٩﴾ من قوايد الآيات:

- أعظم نعيم يرغب به المؤمن هو النظر إلى وجه الله تعالى.
- بيان قدرة الله، وأنه على كل شيء قدير.
- التوحيد في الربوبية والإشراك في الإلهية باطل، فلا بد من توحيدهما معًا.
- إذا قضى الله بعدم إيمان قوم بسبب معاصيهم فإنهم لا يؤمنون.

﴿٣٦﴾ للذين أحسنوا بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الطاعات، وترك ما حرم عليهم من المعاصي؛ المثوبة الحسنی، وهي الجنة، ولهم زيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله الكريم، ولا يغشى وجوههم غبار، ولا يفشاها هوان ولا خزي، أولئك المتصفون بالإحسان أصحاب الجنة هم فيها ما كثون.

﴿٣٧﴾ والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي لهم جزاء السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة، وتغشى وجوههم ذلة وهوان، ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله إذا أنزل بهم، كأنما ألست وجوههم سوادًا من الليل المظلم من كثرة ما يغشاها من دخان النار وسوادها، أولئك المتصفون بتلك الصفات أصحاب النار هم فيها ما كثون أبدًا.

﴿٣٨﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة حين نحشر جميع الخلائق، ثم نقول للذين أشركوا بالله في الدنيا: الزموا - أيها المشركون - مكانكم أنتم ومعبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله. ففرقتنا بين المعبودين والعابدين، وتبرأ المعبودون من العابدين قائلين: لم تكونوا تعبدوننا في الدنيا.

﴿٣٩﴾ هنا تتبرأ منهم ألتهم التي عبدوها من دون الله قائلة: فالله شاهد - وكفى به - أنا لم نرض بعبادتك لنا، ولم نأمركم بها، وأنا لم نشعر بعبادتك.

﴿٤٠﴾ في ذلك الموقف العظيم تختبر كل نفس ما أمضت من عمل في حياتها الدنيا، وأرجع المشركون إلى ربهم

المشركين: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يُشْئِ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته؟ قل لهم: الله يُشْئِ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته، فكيف تصرفون - أيها المشركون - عن الحق إلى الباطل؟

﴿٢٥﴾ قل لهم - أيها الرسول -: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يرشد إلى الحق؟ قل لهم: الله وحده يرشد إلى الحق، فهل من يرشد الناس إلى الحق، ويدعوهم إليه أولى بأن يتبع أو معبوداتكم التي لا تهتدي بنفسها إلا أن يهديها غيرها؟ فما لكم كيف تحكمون بالباطل حين تزعمون أنهم شركاء لله؟ تعالى الله عن قولكم علواً كبيراً.

﴿٢٦﴾ وما يتبع معظم المشركين إلا ما لا علم لهم به، فما يتبعون إلا وهماً وشكاً، إن الشك لا يقوم مقام العلم، ولا يغني عنه، إن الله عليم بما يفعلونه، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢٧﴾ وما يصح لهذا القرآن أن يُخْلَقَ، وينسب إلى غير الله لعجز الناس ضرورة عن الإتيان بمثله، ولكنه مصدق لما نزل من الكتب قبله، ومبين لما أجمل فيها من الأحكام، فهو لا شك فيه أنه منزل من رب المخلوقات.

﴿٢٨﴾ بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمداً ﷺ اختلق هذا القرآن من نفسه، ونسبه إلى الله، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: إن كنت قد أتيت به من عندي وأنا بشر مثلكم فأتوا أنتم بسورة من مثله، وادعوا من استطعتم دعاءً لمظاهرتكم إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أن القرآن مخلوق مكذوب، ولن تستطيعوا ذلك، وعدم قدرتك - وأنتم أصحاب اللسان وأرباب الفصاحة - دال على أن القرآن منزل من عند الله.

﴿٢٩﴾ فلم يجيبوا، بل سارعوا بتكذيب القرآن قبل أن يتفهموه ويتدبروه، وقبل أن يحصل ما أنذروا به من العذاب، وقد اقترب إتيان ذلك، مثل هذا التكذيب كذبت الأمم السابقة، فنزل بها ما نزل من العذاب، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأمم المكذبة، فقد أهلكهم الله.

﴿٣٠﴾ ومن المشركين من سيؤمن بالقرآن قبل موته، ومنهم من لا يؤمن به عناداً ومكابرة حتى يموت، وربك - أيها الرسول - أعلم بالمُصْرِّين على كفرهم، وسيجازيهم على كفرهم. ﴿٣١﴾ فإن كذبك - أيها الرسول - قومك فقل لهم: لي ثواب عملي وأنا أنحمل تبعه عملي، ولكم ثواب عملكم وعليكم عقابه، أنتم بريئون من عقاب ما أعمل، وأنا بريء من عقاب ما تعملون. ﴿٣٢﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن استماعاً غير مقبول واذعان، أفأنت تقدر على إسماع من سلب السمع؟ فكذلك لن تقدر على هداية هؤلاء الذين صموا عن سماع الحق فلا يعقلونه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. ● الحث على تطلب الأدلة والبراهين والهدايات للوصول للعلم والحق وترك الوهم والظن. ● ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بأية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. ● سفة المشركين وتكذيبهم بما لم يفهموه ويتدبروه.

● الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. ● الحث على تطلب الأدلة والبراهين والهدايات للوصول للعلم والحق وترك الوهم والظن. ● ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بأية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. ● سفة المشركين وتكذيبهم بما لم يفهموه ويتدبروه.

● الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. ● الحث على تطلب الأدلة والبراهين والهدايات للوصول للعلم والحق وترك الوهم والظن. ● ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بأية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. ● سفة المشركين وتكذيبهم بما لم يفهموه ويتدبروه.

● الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. ● الحث على تطلب الأدلة والبراهين والهدايات للوصول للعلم والحق وترك الوهم والظن. ● ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بأية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. ● سفة المشركين وتكذيبهم بما لم يفهموه ويتدبروه.

﴿٤٣﴾ ومن المشركين من ينظر إليك - أيها الرسول - ببصره الظاهر لا ببصيرته، أفأنت تستطيع تبصير الذين سلبت أبصارهم؟ إنك لا تستطيع ذلك، وكذلك لا تستطيع هداية فاقد البصيرة.

﴿٤٤﴾ إن الله تنزه عن ظلم عباده، فهو لا يظلمهم مثقال ذرة، ولكنهم هم الذين يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك؛ بسبب التعصب للباطل والمكابرة والعناد.

﴿٤٥﴾ ويوم يحشر الله الناس يوم القيامة لحسابهم كأن لم يمكثوا في حياتهم الدنيا وفي برزخهم إلا ساعة من نهار لا أزد، يعرف بعضهم بعضاً فيها، ثم تقطع معرفتهم لشدة ما شاهدوا من أهوال القيامة، قد خسر الذين يكذبون بقاء ربهم يوم القيامة، وما كانوا مؤمنين في الدنيا بيوم البعث حتى يسلموا من الخسران.

﴿٤٦﴾ وأما نبيك - أيها الرسول - بعضاً مما وعدناهم به من العذاب قبل موتك، أو تنويفك قبل ذلك، ففي كلتا الحالتين إلينا رجوعهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على ما كانوا يعملون، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿٤٧﴾ ولكل أمة من الأمم السابقة رسول أرسل إليهم، فإذا بلغهم ما أمر بتبليغه، وكذبوه حكم بينهم وبينه بالعدل، فتجاه الله فضله، وأهلكهم بعده، وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئاً.

﴿٤٨﴾ ويقول هؤلاء الكفار معاندين ومتحذئين: متى زمن ما وعدتمونا به من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعون؟

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا مَنَّ رَبُّكَ بِعُضِّ آلِكَ وَقَتِّكَ فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن اتَّكُمُ عَذَابُهُ بُيُوتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمِرُّ إِذَا مَاقَعَاءُ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَنْتُمْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ ؕ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَبِعُونَكَ أَهَقُ هُوَ قَوْلُ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

الحزب

٢١٤

﴿٤٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لا أملك لنفسي ضرراً أضرها به أو أدفعه عنها، ولا نفعاً أنفعها به، فكيف ينفع غيري أو ضرره؟ إلا ما شاء الله من ذلك، فكيف لي أن أعلم غيبه؟ لكل أمة من الأمم توعداها الله بهلاك زمنٍ محدد لها، لا يعلمه إلا الله، فإذا جاء زمن هلاكها لم تتأخر عنه وقتاً ما ولم تتقدم.

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين للعذاب: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في أي وقت من ليل أو نهار، ما الذي تستعجلونه من هذا العذاب؟

﴿٥١﴾ أبعد أن يقع عليكم العذاب الذي وعدتموه تؤمنون حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل؟ أتؤمنون الآن، وقد كنتم تستعجلون العذاب من قبل على وجه التكذيب به؟

﴿٥٢﴾ ثم بعد إدخالهم في العذاب وطلبهم الخروج منه يقال لهم: ذوقوا العذاب الدائم في الآخرة، فهل تتأبون إلا ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي؟ ويستخبرك - أيها الرسول - المشركون: أهذا العذاب الذي وعدنا به حق؟ قل لهم: نعم، إنه - والله - لحق، ولستم بمفلقين منه.

﴿٥٣﴾ من قوايد الآيات:

● الإنسان هو الذي يورد نفسه موارد الهلاك، فאלله مُنَزَّهٌ عن الظلم. ● مهمة الرسول هي التبليغ للمرسل إليهم، والله يتولى حسابهم وعقابهم بحكمته، فقد يجعله في حياة الرسول أو يؤخره بعد وفاته. ● النفع والضرر بيد الله ﷻ، فلا أحد من الخلق يملك لنفسه أو لغيره ضرراً ولا نفعاً. ● لا ينفع الإيمان صاحبه عند معاينة الموت.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ مَوْعِظَةٍ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
 فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى
 اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
 وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
 فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿٥٤﴾ ولو أن لكل مشرك بالله جميع ما في الأرض من أموال نفيسة لجعله مقابل فكاكه من عذاب الله لو أتيح له أن يفتردي به، وأخفى المشركون الندم على كفرهم لما شاهدوا العذاب يوم القيامة، وقضى الله بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون، وإنما يجزون على أعمالهم.

﴿٥٥﴾ ألا إن الله وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، ألا إن وعد الله بعقاب الكافرين واقع لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك فيشكون.

﴿٥٦﴾ هو سبحانه يبعث الموتى، ويميت الأحياء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم. ﴿٥٧﴾ يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن فيه تذكير وترغيب وترهيب، وهو شفاء لما في القلوب من مرض الشك والارتباب، وإرشاد لطريق الحق، وفيه رحمة للمؤمنين، فهم المنتفعون به.

﴿٥٨﴾ قل - أيها الرسول - للناس: ما جئكم به من القرآن هو فضل من الله عليكم، ورحمة منه بكم، فيفضل الله فافرحوا لا بسواهما، فما جاءهم به محمد ﷺ من ربه خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الزائل.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني عما من الله به عليكم من إنزال الرزق، فعملتم فيه بأهوائكم، فحرمتم بعضه، وأحللتم بعضه، قل لهم: هل الله أباح لكم تحليل ما أحللتم، وتحريم ما حرمتم، أم أنكم تختلقون عليه الكذب؟

﴿٦٠﴾ وأي شيء يظنه مختلقو الكذب عليه واقعاً بهم يوم القيامة؟ أيتظنون أن يغفر لهم؟ هيئات، إن الله لذو إفضال على الناس بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ولكن أكثرهم جاحدون نعم الله عليهم فلا يشكرونها.

﴿٦١﴾ وما تكون - أيها الرسول - في أمر من الأمور، وما تقرأ من قرآن، وما تعملون - أيها المؤمنون - من عمل إلا كنا نراكم عالمين بكم ونسمعكم حين تشرعون في العمل مندفعين فيه، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة في السماء أو في الأرض، ولا أصغر من وزنها ولا أكبر، إلا وهو مسجل في كتاب واضح لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عظم ما ينتظر المشركين بالله من عذاب، حتى إنهم يتمنون دفعه بكل ما في الأرض، ولن يقبل منهم.
- القرآن شفاء للمؤمنين من أمراض الشهوات وأمراض الشبهات بما فيه من الهدايات والدلائل العقلية والنقلية.
- ينبغي للمؤمن أن يفرح بنعمة الإسلام والإيمان دون غيرهما من حطام الدنيا.
- دقة مراقبة الله لعباده وأعمالهم وخواطرهم ونياتهم.

﴿٦٢﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حُظُوظِ
الدُّنْيَا.

﴿٦٣﴾ هؤلاء الأولياء هم الذين كانوا
يتصفون بالإيمان بالله وبرسوله
ﷺ، وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره
واجتناب نواهيه.

﴿٦٤﴾ لهم البشارة من ربهم في
الدنيا بما يسرهم برؤيا صالحة أو
ثناء الناس عليهم، ولهم البشارة
من الملائكة عند قبض أرواحهم،
وبعد الموت، وفي الحشر، لا تغيير
لما وعدهم الله به، ذلك الجزاء
هو النجاح العظيم؛ لما فيه من نيل
المطلوب، والنجاة من المرهوب.

﴿٦٥﴾ ولا تحزن - أيها الرسول - لما
يقوله هؤلاء من الطعن والقدح في
دينك، إن القهر والغلبة كلها لله، فلا
يعجزه شيء، هو السميع لأقوالهم،
العليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٦٦﴾ ألا إن لله وحده ملك من في
السموات وملك من في الأرض، وأي
شيء يتبعه المشركون الذين يعبدون
من دون الله شركاء؟ لا يتبعون في
الحقيقة إلا الشك، وما هم إلا يكذبون
في نسبتهم الشركاء إلى الله، تعالى
الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿٦٧﴾ هو وحده الذي جعل لكم - أيها
الناس - الليل لتسكنوا فيه عن الحركة
والتعب، وجعل النهار مضيئاً لتسعوا
فيه بما يرجع إليكم بنفع في معاشكم،
إن في ذلك لدلائل واضحة لقوم
يسمعون سماع اعتبار وقبول.

﴿٦٨﴾ قال فريق من المشركين: اتخذ
الله الملائكة بنات، تقدس الله عن
قولهم، فهو سبحانه الغني عن جميع
مخلوقاته، له ملك ما في السموات وملك ما في الأرض، ليس عندكم - أيها المشركون - برهان على قولكم هذا، أقولون على الله

﴿٦٢﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

مخلوقاته، له ملك ما في السموات وملك ما في الأرض، ليس عندكم - أيها المشركون - برهان على قولكم هذا، أقولون على الله قولاً عظيماً - إذ تسبون إليه الولد - لا تعلمون حقيقته دون برهان؟

﴿٦٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: إن الذين يختلقون على الله الكذب بنسبة الولد إليه لا يظفرون بما يطلبونه، ولا ينجون مما يرهبونه.
﴿٧٠﴾ فلا يفتروا بما يتمتعون به من ملذات الدنيا ونعيمها، فهو متاع قليل زائل، ثم إلينا رجوعهم يوم القيامة، ثم نذيقهم العذاب القوي بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسوله.

﴿٧١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

● ولاية الله تكون لمن آمن به، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، واتبع رسوله ﷺ، وأولياء الله هم الآمنون يوم القيامة، ولهم البشري في الدنيا إما بالرؤيا الصالحة أو عند الموت.

● العزة لله جميعاً وحده؛ فهو مالك الملك، وما يُحَدُّ من دون الله لا حقيقة له.

● البحث على التفكير في خلق الله؛ لأن ذلك يقود إلى الإيمان به وتوحيده.

● حرمة الكذب على الله ﷻ، وأن صاحبه لن يفلح، ومن أعظم الكذب نسبة الولد له سبحانه.

﴿٧١﴾ واقتصص - أيها الرسول - على هؤلاء المشركين المكذبين خبر نوح عليه السلام حين قال لقومه: يا قوم، إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم، وشق عليكم تذكيري بآيات الله ووعظي، وعزمت على قتلي، فعلى الله وحده اعتمدت في إحباط ما تكيدون، فأحكموا أمركم، واعزموا على إهلاكه، وادعوا آلهكم لتستعينوا بها، ثم لا يكن كيدكم سرًا مبهمًا، ثم بعد تدبيركم لقتلي امضوا إلي ما تُضمِّرون، ولا تؤخروني لحظة.

﴿٧٢﴾ فإن كنتم قد أعرضتم عن دعوتي فقد علمتم أنني ما طلبت منكم جزاء على تبليغكم رسالة ربي، ليس ثوابي إلا على الله، أنتم بي، أم كفرتم، وأمرني الله أن أكون من المتقادين له بالطاعة والعمل الصالح.

﴿٧٣﴾ فكذب قومه، ولم يصدقوا به، فتجنبا هو ومن كان معه في السفينة من المؤمنين، وصبرناهم حلقًا لمن كان قبلهم، وأهلكنا الذين كذبوا بما جاء به من الآيات والحجج بالطوفان، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية أمر القوم الذين أنذرتهم نوح عليه السلام، فلم يؤمنوا.

﴿٧٤﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم، فجاء الرسل أمهم بالآيات والبراهين، فما كانت لهم إرادة أن يؤمنوا بسبب إصرارهم السابق على تكذيب الرسل، فخنم الله على قلوبهم. مثل هذا الختم الذي ختمنا به على قلوب أتباع الرسل الماضين نختم به على قلوب الكافرين المتجاوزين لحدود الله بالكفر في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالآيات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قومًا مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٧٦﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الذين جاء به موسى وهارون عليهما السلام قالوا عن آياته الدالة على صدق ما جاء به موسى: إنه لسحر واضح، وليس حقًا.

﴿٧٧﴾ قال موسى مستكبرًا عليهم: أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟ كلا، ما هو بسحر، وإني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبدًا، فكيف لي بتعاطيه؟

﴿٧٨﴾ أجاب قوم فرعون موسى عليه السلام قائلين: أجبنا بهذا السحر لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمقرين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

﴿٧٩﴾ من قواعد الآيات:

- سلاح المؤمن في مواجهة أعدائه هو التوكل على الله.
- الإصرار على الكفر والتكذيب بالرسل يوجب الختم على القلوب فلا تؤمن أبدًا.
- حال أعداء الرسل واحد، فهم دائماً يصفون الهدى بالسحر أو الكذب.
- إن الساحر لا يفلح أبدًا.

﴿٧٠﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مَبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالآيات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قومًا مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٧٦﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الذين جاء به موسى وهارون عليهما السلام قالوا عن آياته الدالة على صدق ما جاء به موسى: إنه لسحر واضح، وليس حقًا.

﴿٧٧﴾ قال موسى مستكبرًا عليهم: أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟ كلا، ما هو بسحر، وإني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبدًا، فكيف لي بتعاطيه؟

﴿٧٨﴾ أجاب قوم فرعون موسى عليه السلام قائلين: أجبنا بهذا السحر لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمقرين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقُومُ
 كُنْتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَسْأَلِينَ ﴿٨٤﴾
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٧﴾ وخلصنا برحمتك - ربنا - من أيدي قوم فرعون الكافرين، فقد استعبدونا وأذونا بالتعذيب والقتل.

﴿٨٨﴾ وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون ﴿٨٨﴾ أن اختارا واتخذا لقومكما بمصر بيوتًا لعبادة الله وحده، وصيروا بيوتكم متجهة إلى جهة القبلة (بيت المقدس)، واثبوا بالصلاة كاملة، وأخبر - يا موسى - المؤمنين بما يسرهم من نصر الله وتأييدهم، وإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض.

﴿٨٩﴾ وقال موسى ﴿٨٩﴾: ربنا، إنك أعطيت فرعون والأشراف من قومه من زخرف الدنيا وبها رجاها زينة، وأعطيتهم أموالاً في هذه الحياة الدنيا، فلم يشكروك على ما أعطيتهم، بل استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمح أموالهم وامحقتها، واجعل قلوبهم قاسية، فلا يؤمنوا إلا حين يشاهدون العذاب الموجه حين لا ينفعهم إيمانهم.

﴿٩٠﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الثقة بالله وبنصره والتوكل عليه ينبغي أن تكون من صفات المؤمن القوي.
- بيان أهمية الدعاء، وأنه من صفات المتوكلين.
- تأكيد أهمية الصلاة ووجوب إقامتها في كل الرسالات السماوية وفي كل الأحوال.
- مشروعية الدعاء على الظالم.

﴿٧٩﴾ وقال فرعون لقومه: جيئوني بكل ساحر خبير بالسحر متقن له. ﴿٨٠﴾ فلما جاؤوا فرعون بالسحرة قال لهم موسى ﴿٨٠﴾ واثبوا بانتصاره عليهم: اطرحوا - أيها السحرة - ما أنتم طارحوه.

﴿٨١﴾ فلما طرحوا ما عندهم من السحر قال لهم موسى ﴿٨١﴾: الذي أظهرتموه هو السحر، إن الله سيصير ما صنعتكم باطلاً لا أثر له، إنكم بسحركم مفسدون في الأرض، والله لا يصلح عمل من كان مفسداً.

﴿٨٢﴾ وبيّنت الله الحق، ويمكن له بكلماته القدرية، وبما في كلماته الشرعية من الحجج والبراهين، ولو كره ذلك الكافرون المجرمون من آل فرعون.

﴿٨٣﴾ صمّم القوم على الإعراض، فما صدّق بموسى ﴿٨٣﴾ - مع ما جاء به من الآيات الظاهرة، والحجج الواضحة - إلا شباب من قومه بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وكبراء قومه أن يصرفوهم عن إيمانهم بما يذيقونهم من العذاب إن كشف أمرهم، وإن فرعون لمتكبر متسلط على مصر وأهلها، وإنه لمن المتجاوزين للحد في الكفر والتقتيل والتعذيب لبني إسرائيل.

﴿٨٤﴾ وقال موسى ﴿٨٤﴾ لقومه: يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله إيماناً حقاً، فعلى الله وحده اعتمدوا إن كنتم مسلمين، فالتوكل على الله يدفع عنكم السوء، ويجلب لكم الخير.

﴿٨٥﴾ فأجابوا موسى ﴿٨٥﴾، فقالوا: على الله وحده توكلنا، ربنا لا تسلط علينا الظالمين، فيفتنونا عن ديننا بالتعذيب والقتل والإغراء.

﴿٨٨﴾ قَالَ اللَّهُ: قَدْ أَجَبْتُ دَعَاءَكُمْ

- يَا مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَى فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ، فَاثْبَتَا عَلَى دِينِكُمَا، وَلَا تَحْتَرِفَا عَنْهُ إِلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْجَهَالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ.

﴿٨٩﴾ وَيَسِّرْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عُبُورَ الْبَحْرِ بَعْدَ قَلْبِهِ حَتَّى جَاوَزُوهُ سَالِمِينَ، فَلَحَقَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ظُلْمًا وَعَتَاءً، حَتَّى إِذَا انْطَبَقَ عَلَيْهِ الْبَحْرُ، وَنَالَهُ الْفَرْقُ، وَيُسُّ مِنَ النِّجَاجَةِ. قَالَ: أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا الَّذِي أَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا مِنَ الْمُنْقَادِينَ لِلَّهِ بِالطَّلَاعَةِ.

ولما كانت معارضة الموت مانعة من قبول التوبة، قال الله تعالى:

﴿٩٠﴾ أَتُؤْمِنُ الْآنَ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ؟ وَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ - يَا فِرْعَوْنَ - قَبْلَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِالْكَفْرِ بِهِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ بِسَبَبِ ضَلَالِكَ فِي نَفْسِكَ وَاضْلَالِكَ لغيرِكَ.

﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نَخْرُجُكَ - يَا فِرْعَوْنَ - مِنَ الْبَحْرِ، وَنَجْعَلُكَ عَلَى مَرْتَعٍ مِنَ الْأَرْضِ: لِيُعْتَبَرَ بِكَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ، وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ حُجْبِنَا وَدَلَائِلِ قُدْرَتِنَا لِعَافِلُونَ، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا.

﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ مَنْزِلًا مَحْمُودًا وَمَكَانًا مَرْضِيًّا فِي بِلَادِ الشَّامِ الْمُبَارَكَةِ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، فَمَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ دِينِهِمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ مُصَدِّقًا لِمَا قَرَأُوهُ فِي التَّوْرَةِ مِنْ نِعْمَتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمَّا أَنْكَرُوا ذَلِكَ سُلِّيتِ أَوْطَانُهُمْ، إِنْ رِبِكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، فَيُجَازِي الْمَحِقَّ وَالْمُبْطِلَ مِنْهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ مَنْهُمَا.

﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - فِي

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاستَقِيمُوا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَبَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

ارتياح وحيرة من حقيقة ما أنزلنا إليك من القرآن فاسأل من آمن من اليهود الذين يقرؤون التوراة، والنصارى الذين يقرؤون الإنجيل، فسيعبرونك بأن الذي أنزل عليك حق؛ لما يجدون من نفعه في كتابيهما، لقد جاءك الحق الذي لا مزية فيه من ربك، فلا تكون من الشاكِّين.

﴿٩٥﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللَّهِ وَبِرَاهِينِهِ فَتَكُونُ بِذَلِكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِرَادَتِهَا مَوَارِدَ الْهَلَاكِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَكُلُّ هَذَا التَّحْذِيرُ لِبَيَانِ خَطَرَةِ الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ مَعْصُومٌ عَنْ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا.

﴿٩٦﴾ إِنْ الَّذِينَ ثَبَتَ عَلَيْهِمْ قَضَاءُ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكَفْرِ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَيْهِ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا.

﴿٩٧﴾ وَلَوْ أَتَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْ كُونِيَّةٍ حَتَّى يَشَاهِدُوا الْعَذَابَ الْمَوْجِعَ، فَيُؤْمِنُوا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ.

﴿٩٨﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● وجوب الثبات على الدين، وعدم اتباع سبيل المجرمين.

● لا تقبل توبة من حشرت روحه، أو عاين العذاب.

● أن اليهود والنصارى كانوا يعلمون صفات النبي ﷺ، لكن الكبر والعناد هو ما منعهم من الإيمان.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ
لَمَاءَ أَمْنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ٩٨ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهْمُ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الرِّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٠ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيَّاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
١٠١ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ١٠٢ ثُمَّ نُنْجِي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُؤْمِنِينَ ١٠٣
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠٤ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ١٠٦

٩٨ لم يحدث أن آمنت قرية من القرى التي أرسلنا إليها رسلنا إيماناً مُعْتَدّاً به قبل معاينة العذاب، فينفعها إيمانها لمجيئه قبل معاينته، إلا قوم يونس حين آمنوا إيماناً صادقاً رفعنا عنهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى وقت انقضاء أجالهم.

٩٩ ولو شاء ربك - أيها الرسول - إيمان جميع من في الأرض لآمنوا، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة، فهو يضل من يشاء بعده، ويهدي من يشاء بفضل، فليس باستطاعتك إكراه الناس على أن يكونوا مؤمنين، فتوفيقهم للإيمان بيد الله وحده.

١٠٠ وما ينبغي لنفس أن تؤمن من تلقاء نفسها إلا أن يأذن الله، فلا يقع إيمان إلا بمشيئته، فلا تذهب نفسك حسرات عليهم، ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يدركون عنه حجه وأوامره ونواهيه.

١٠١ قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يسألونك الآيات: تأملوا ماذا في السماوات والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته، وما ينفع إنزال الآيات والحجج والرسول في قوم ليس لهم استعداد أن يؤمنوا؛ لإصرارهم على الكفر.

١٠٢ فهل ينتظر هؤلاء المكذبون إلا مثل الوقائع التي أوقعها الله على الأمم المكذبة السابقة؟ قل - أيها الرسول - لهم: انتظروا عذاب الله، إني معكم من المنتظرين لوعده ربي.

١٠٣ ثم ننزل بهم العقاب، ونُنْجِي رسلنا، ونُنْجِي الذين آمنوا معهم، فلا يصيبهم ما أصاب قومهم، كما أنجينا أولئك الرسل والمؤمنين معهم نُنْجِي

رسول الله والمؤمنين معه إنجاءً حقاً ثابتاً علينا.

١٠٤ قل - أيها الرسول - يا أيها الناس: إن كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم إليه وهو دين التوحيد، فأنا على يقين من فساد دينكم فلا أتبعه، فلا أعبد الذين تعبدونهم من دون الله، ولكني أعبد الله الذي يميتكم، وأمرني أن أكون من المؤمنين المخلصين له الدين.

١٠٥ وأمرني كذلك أن أستقيم على الدين الحق، وأثبت عليه مائلاً عن كل الأديان إليه، ونهاني أن أكون من المشركين به.

١٠٦ ولا تدع - أيها الرسول - من دون الله من الأوثان والأصنام وغيرها ما لا يملك نفعاً فينفعك، ولا ضرراً فيضرك، فإن عبدتها فإنك إذن من الظالمين المعتدين على حق الله وحق أنفسهم.

من فوائد الآيات:

- الإيمان هو السبب في رفعة صاحبه إلى الدرجات العلى والتمتع في الحياة الدنيا.
- ليس في مقدور أحد حمل أحد على الإيمان؛ لأن هذا عائد لمشيئة الله وحده.
- لا تنفع الآيات والنذر من أصر على الكفر ودأوم عليه.
- وجوب الاستقامة على الدين الحق، والبعد كل البعد عن الشرك والأديان الباطلة.

وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصَّ بِكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٩﴾

سورة هود

آياتها ١١٩

ترتيبها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكْتَابِ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُمْ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
يَتَنُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يَلْسُرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

٢٢١

﴿١١٧﴾ وإن يصيبك الله - أيها الرسول - ببلاء، وطلبت صرفه عنك فلا صارف له إلا هو سبحانه، وإن يردك برءاء فلا أحد يمنع فضله، يصيب فضله من يشاء من عباد، فلا مكره له، وهو الغفور لمن تاب من عباد، الرحيم بهم.

﴿١١٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن منزلاً من ربكم، فمن اهتدى وأمن به فتنفع ذلك عائد إليه؛ لأن الله غني عن طاعة عباد، ومن ضل فإن أثر ضلاله عليه وحده، فالله لا تضره معصية عباد، ولست عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم، وأحاسبكم عليها.

﴿١١٩﴾ واتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك ربك واعمل به، واصبر على إيذاء من خالفك من قومك، وعلى تبليغ ما أمرت بتبليغه، واستمر على ذلك حتى يحكم الله فيهم بحكمه بنصرك عليهم في الدنيا، وبعدابهم في الآخرة إن ماتوا على كفرهم.

سورة هود

— مكية —

● من مقاصد السورة:

تثبيت النبي والمؤمنين بقصص الأنبياء السابقين، وتشديد الوعيد للمكذبين.

● التفسير:

﴿الر﴾ تقدم الكلام على نظائرها في سورة البقرة. القرآن كتاب اتقنت آياته نظماً ومعنى، فلا ترى فيها خللاً ولا نقصاً، ثم بيّنت بذكر الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص وغير ذلك،

من عند حكيم في تديره وتشريعه، خير بأحوال عباد، وبما يصلحهم.

﴿١﴾ مضمون هذه الآيات المنزلة على محمد ﷺ: نهى العباد أن يعبدوا مع الله غيره، إنني - أيها الناس - مخوف لكم من عذاب الله إن كفرتم به وعصيتموه، ومبشركم بثوابه إن أمتم به، وعلمتم بشرعه.

﴿٢﴾ وأطلبوا - أيها الناس - مغفرة ذنوبكم من ربكم، وارجعوا إليه بالندم على ما فرطتم في جنبه، يمتعكم في حياتكم الدنيا متاعاً حسناً إلى وقت انقضاء أجالكم المحددة، ويعط كل من له فضل في الطاعة والعمل جزاء فضله كاملاً غير منقوص، وإن تعرضوا عن الإيمان بما جئت به من ربي فإني أخاف عليكم عذاب يوم شديد الأحوال وهو يوم القيامة.

﴿٣﴾ إلى الله وحده رجوعكم - أيها الناس - يوم القيامة، وهو سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجزه إحياءكم وحسابكم بعد موتكم وبعثكم.

﴿٤﴾ ألا إن هؤلاء المشركين يحنون صدورهم ليعتصموا ما فيها من شك عن الله جهلاً منهم به، ألا حين يغطون رؤوسهم بثيابهم، يعلم الله ما يكتُمون وما يظهرون، إنه عليم بما تخفيه الصدور.

● من فوائد الآيات:

● إن الخير والشر والنفع والضرب بيد الله دون ما سواه. ● وجوب اتباع الكتاب والسنة والصبر على الأذى وانتظار الفرج من الله. ● آيات القرآن محكمة لا يوجد فيها خلل ولا باطل، وقد فصلت الأحكام فيها تفصيلاً تاماً. ● وجوب المسارعة إلى التوبة والندم على الذنوب لنيل المطلوب والنجاة من المهراب.

﴿١﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُ مُبِينٌ ﴿٣﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۖ كَفُورٌ ﴿٥﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْجَاءَ مَعَهُ وَمَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٨﴾

٢٢٢

﴿١﴾ وما من مخلوق يدب على وجه الأرض مهما كان إلا تكفل الله برزقه تفضلاً منه، ويعلم سبحانه موضع استقراره في الأرض، ويعلم موضع موته الذي يموت فيه، فكل من الدواب ورزقها ومواقع استقرارها ومواقع موتها، في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

﴿٢﴾ وهو سبحانه الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما، وخلق ما فيهما في ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء؛ ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيكم أسوأ عملاً بما يسخطه، فيجازي كلًا بما يستحقه، ولئن قلت - أيها الرسول -: إنكم - أيها الناس - مبعوثون بعد موتكم لتحاسبوا ليقولن الذين كفروا بالله وأنكروا البعث: ما هذا القرآن الذي تتلوه إلا سحر واضح، فهو باطل واضح البطلان.

﴿٣﴾ ولئن أخرنا عن المشركين ما يستحقون من العذاب في الحياة الدنيا إلى مدة أيام معدودة ليقولن مستعجلين له مستهزئين: أي شيء يحبس عنا العذاب؟ ألا إن العذاب الذي يستحقونه له أمد عند الله، ويوم يأتيهم لن يجدوا صارفاً يصرفه عنهم، بل يقع عليهم، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وسخرية.

﴿٤﴾ ولئن أعطينا الإنسان منا نعمة كنعمة الصحة والغنى، ثم سلبنا منه تلك النعمة إنه لكثير اليأس من رحمة الله، عظيم الكفران بنعمه، ينساها إذا سلبها الله منه.

﴿٥﴾ ولئن أذقناه سعة في الرزق وصحة بعد فقر ومرض أصابه ليقولن:

ذهب السوء عني، وزال الضر، ولم يشكر الله على ذلك، إنه لكثير الفرح بطراً، وكثير التطاول على الناس والتباهي بما أنعم الله عليه. ﴿٦﴾ إلا الذين صبروا على المكاره والطاعات وعن المعاصي، وعملوا الأعمال الصالحات، فلهم حال آخر، حيث لا يصيبهم يأس، ولا كفر بنعم الله، ولا تطاول على الناس، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم، ولهم جزاء كبير في الآخرة. ﴿٧﴾ فاعلمك أيها الرسول - لما واجهته من كفرهم وعنادهم واقتراحهم الآيات - تارك تبليغ بعض ما أمرك الله بتبليغه مما يشق عليهم العمل به، وضائق صدرك بتبليغه لئلا يقولوا: هلاً أنزل عليه كنز يغيثه، أو جاء معه ملك يصدقه، فلا تترك بعض ما يوحى إليك من أجل ذلك، فما أنت إلا نذير، تبلغ ما أمرك الله بتبليغه، وليس عليك الإتيان بما يقترحونه من الآيات، والله على كل شيء حفيظ.

﴿٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق مخلوقاته من إنسان وحيوان وغيرهما.
- بيان علة الخلق؛ وهي اختبار العباد بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه.
- لا ينبغي الاعتزاز بامهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.
- بيان حال الإنسان في حالتي السعة والشدة، ومدح موقف المؤمن المتمثل في الصبر والشكر.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ
كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَأْتِ النَّارُ مَوْعِدَهُ وَفَلَاتَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿١٣﴾ بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن، وليس وحياً من الله، قل - أيها الرسول - متحدياً بإهام: فأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن **مُخْتَلَقَاتٍ** لا تلتزمون فيها بصدق مثل القرآن الذي زعمتم أنه **مُخْتَلَقٌ**، وادعوا من استطعتم دعاءه: لتستعينوا به على ذلك، إن كنتم صادقين في دعوى أن القرآن **مُخْتَلَقٌ**.

﴿١٤﴾ فإن لم يأتوا بما طلبتم منهم لعدم قدرتهم عليه فاعلموا - أيها المؤمنون - علم يقين أن القرآن إنما أنزله الله بعلمه على رسوله، وليس **مُخْتَلَقًا**، واعلموا أن لا معبود بحق إلا الله، فهل أنتم متفادون له بعد هذه الحجج القاطعة؟

﴿١٥﴾ من كان يريد بعمله الحياة الدنيا و**مُنْعَهَا** الفانية ولا يريد به الآخرة، **نعتلهم** ثواب أعمالهم في الدنيا: صحة، وأماناً، وسعة في الرزق، لا **ينقصون** من ثواب عملهم شيئاً.

﴿١٦﴾ أولئك المتصفون بهذا القصد الذميمة ليس لهم يوم القيامة ثواب إلا النار يدخلونها، وذهب عنهم ثواب أعمالهم، وأعمالهم باطلة: لأنها لم يسبقها إيمان ولا قصد صحيح، فلم يريدوا بها وجه الله والدار الآخرة.

﴿١٧﴾ لا يستوي النبي محمد ﷺ الذي معه برهان من ربه تعالى، ويتبعه شاهد من ربه، وهو جبريل. ويشهد له من قبل على نبوته التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ قدوة الناس ورحمتهم، لا يستوي هو ومن آمن معه مع أولئك الكافرين **الْمُخْطِطِينَ** في الضلال، أولئك يؤمنون بالقرآن، وبمحمد ﷺ الذي أنزل عليه، ومن يكفر به من

أصحاب الملل فالنار موعده يوم القيامة، فلا تكن - أيها الرسول - في ارتياب من القرآن ومن موعدهم، فهو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع تضافر الأدلة الواضحة والبراهين الجلية.

﴿١٨﴾ ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك أو الولد إليه، أولئك الذين يختلقون الكذب على الله يُعْرَضُونَ على ربهم يوم القيامة ليسألهم عن أعمالهم، ويقول الشهود عليهم من الملائكة والمرسلين: هؤلاء هم الذين كذبوا على الله بما نسبوه إليه من الشريك ومن الولد، ألا طرد الله من رحمته الظالمين لأنفسهم بالكذب على الله.

﴿١٩﴾ الذين يمنعون الناس عن سبيل الله المستقيم، ويطلبون لسبيله الاعوجاج عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وهم يكفرون بالبعث بعد الموت ويجحدونه.

● **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

- تحدي الله تعالى للمشركين بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وبيان عجزهم عن الإتيان بذلك.
- إذا **أَعْطِيَ** الكافر مبتغاه من الدنيا فليس له في الآخرة إلا النار.
- عظم ظلم من يفترى على الله الكذب وعظم عقابه يوم القيامة.

﴿٢٠﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات لم يكونوا قادرين على الهرب في الأرض من عذاب الله إذا نزل بهم، وليس لهم حلفاء ونصراء من دون الله يدفعون عقاب الله عنهم؛ يزداد عليهم العذاب يوم القيامة بسبب صرْفهم أنفسهم وصرْفهم غيرهم عن سبيل الله، ما كانوا في الدنيا يستطيعون سماع الحق والهدى سماع قبول، وما كانوا يبصرون آيات الله في الكون إحصاءً يفيدهم؛ لإعراضهم الشديد عن الحق.

﴿٢١﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك باتخاذ الشركاء مع الله، وذهب عنهم ما كانوا يختلقونه من الشركاء والشفعاء.

﴿٢٢﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الاخسرون صفقة، حيث استبدلوا الكفر بالإيمان، والدنيا بالآخرة، والعذاب بالرحمة.

﴿٢٣﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وخضعوا وخشعوا لله أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها ماكتون أبداً.

﴿٢٤﴾ مثل فريق الكفار والمؤمنين مثل الأعمى الذي لا يبصر، والأصم الذي لا يسمع، وهذا مثل فريق الكفار الذين لا يسمعون الحق سماع قبول، ولا يبصرونه إحصاءً يفيدهم، ومثل السميع البصير، وهذا مثل فريق المؤمنين الذي يجمع بين السمع والبصير، هل يستوي هذان الفريقان حالاً وصفة؟ لا يستويان، أفلا تعتبرون بعدم استوائهما؟

ولما ظهر ما ظهر من إعراض

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ *مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِيمِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْنِكَ الْإِبْرَاهِمَ مَثَلًا وَمَا تَرْنَكَ أَتَّبِعُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ بَادُوا الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَآتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُكُمْ هَا وَنَثَرْتُ لَهَا كِرْهُونَ ﴿٢٨﴾

٢٢٤

المشركين عن الإيمان سلى الله نبيه ﷺ بأنه ليس هو أول من كُذِّب، وذلك بذكر قصص الأنبياء، فقال سبحانه:

﴿٢٥﴾ ولقد بعثنا نوحاً رسولاً إلى قومه، فقال لهم: يا قوم، إني نذير لكم من عذاب الله، مبين لكم ما أرسلت به إليكم.

﴿٢٦﴾ وأدعوكم إلى عبادة الله وحده، فلا تعبدوا إلا إياه، إني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم.

﴿٢٧﴾ فقال الأشراف والرؤساء الذين كفروا من قومه: لن نستجيب لدعوتك: لأنه لا مزية لك علينا، فأنت بشر مثنا، ولأننا لا نراك اتبعك إلا أسافلنا فيما ظهر لنا من رأينا، ولأنه ليس لكم زيادة في الشرف والمال والجاه تؤهلكم لأن نتبعكم، بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه.

﴿٢٨﴾ قال لهم نوح: يا قوم، أخبروني إن كنت على برهان من ربي يشهد لصدقي، ويوجب عليكم تصديقي، وأعطاني رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة، وأخفيت عليكم لجهلكم بها: أنجبركم على الإيمان بها، وندخله في قلوبكم كرهاً؟ لا نقدر على ذلك، فالذي يوفق للإيمان هو الله.

﴿٢٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الكافر لا ينتفع بسمعه وبصره انتفاعاً يقود للإيمان، فهما كالمُتَنَفِّين عنه بخلاف المؤمن.
- سُنَّةُ اللَّهِ فِي أَتْبَاعِ الرِّسْلِ أَنَّهُمُ الْفُقَرَاءُ وَالضُّعَفَاءُ لَخُلُوفِهِمْ مِنَ الْكِبَرِ، وَخُصُومِهِمُ الْأَشْرَافُ وَالرُّؤَسَاءُ.
- تَكْبَرُ الْأَشْرَافُ وَالرُّؤَسَاءُ وَاحْتِقَارُهُمْ لِمَنْ دُونَهُمْ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ.

وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ بِهِمْ وَلَكِنِّي أَرْبُكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي
إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا لَئِنْ نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ
قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَنْجُرُمُونَ
﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٢٩﴾ **ويا قوم، لا أطلب منكم على** تبليغ الرسالة مالا، فما ثوابي إلا على الله، ولست بمُبْعِدٍ عن مجلسي الفقراء من المؤمنين الذين طلبتم طردهم، إنهم ملاقور ربهم يوم القيامة، وهو مجازيهم على إيمانهم، ولكني أراكم قوما لا تفهمون حقيقة هذه الدعوة حين تطلبون طرد الضعفاء من المؤمنين.

﴿٣٠﴾ **ويا قوم، من يدفع عني عذاب الله إن طردت هؤلاء المؤمنين ظلما** بغير ذنب؟ أفلا تتذكرون، وتسعون إلى ما هو أصح لكم وأنفع؟!

﴿٣١﴾ **ولا أقول لكم - يا قومي -:** عندي خزائن الله التي فيها رزقه، أنفقها عليكم إن أمتتم، ولا أقول لكم: إنني أعلم الغيب، ولا أقول لكم: إنني من الملائكة، بل أنا بشر مثلكم، ولا أقول عن الفقراء الذين تحتقرهم أعينكم وتستصغروهم: لن يعطيهم الله توفيقا ولا هداية، الله أعلم بنياتهم وأحوالهم، إنني إن ادعيت ذلك لمن الظالمين الذين يستحقون عذاب الله. ﴿٣٢﴾ **قالوا نعتنا وتكبرا: يا نوح، قد خاسمتنا وناظرتنا، فأكثر** مخاصمتنا ومناظرتنا، فأنتا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تدعيه.

﴿٣٣﴾ **قال لهم نوح:** أنا لا أتكم بالعذاب، إنما يأتكم به الله إن شاء، وما أنتم بقادرين على الإفلات من عذاب الله إن أراد بكم عذابا.

﴿٣٤﴾ **ولا ينفعكم نصحي** وتذكيري لكم، إن كان الله يريد أن يضلكم عن الصراط المستقيم، ويخذلكم عن الهداية بسبب عنادكم، هوربكم، فهو

الذي يملك أمركم، فيضلكم إن شاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٣٥﴾ **وسبب كفر قوم نوح** أنهم يزعمون أنه اختلق على الله هذا الدين الذي جاء به، قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته، فعلي وحدي عقاب إثمي، ولا أحمل من إثم تكذيبكم شيئا، فأنا بريء منه.

﴿٣٦﴾ **وأوحى الله إلى نوح:** أنه لن يؤمن من قومك - يا نوح - إلا من قد آمن من قبل، فلا تحزن - يا نوح - بسبب ما كانوا يفعلونه من التكذيب والاستهزاء خلال تلك المدة الطويلة.

﴿٣٧﴾ **واصنع السفينة** بمرأى منا محفوظا منا، وبوحينا بتعليمك كيف تصنعها، ولا تخاطبني طالبا إمهال الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، إنهم مُّغْرَقُونَ - لا محالة - بالطوفان؛ عقابا لهم على إصرارهم على الكفر.

﴿٣٨﴾ **من قوايد الآيات،**

● عفة الداعية إلى الله وأنه يرجو منه الثواب وحده.

● حرمة طرد فقراء المؤمنين، ووجوب إكرامهم واحترامهم.

● استئثار الله تعالى وحده بعلم الغيب.

● مشروعية جدال الكفار ومناظرتهم.

﴿٢٨﴾ فامتثل نوح أمر ربه، وطَفِقَ يصنع السفينة، وكلما مر عليه كبراء قومه وسادتهم استهزؤوا به؛ لما يقوم به من صنع السفينة وليس في أرضه ماء ولا أنهار، فلما تكرر استهزؤهم به؛ قال: إن تستهزئوا - أيها الملأ - منا اليوم عندما نصنع السفينة، فإننا نستهزئ بكم لجهلكم بما يصير إليه أمركم من الفرق.

﴿٢٩﴾ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله ويهينه، وينزل عليه يوم القيامة عقاب دائم لا ينقطع.

﴿٣٠﴾ وأنهى نوح ﷺ صنع السفينة التي أمره الله بصنعها، حتى إذا جاء أمرنا ياهلاكهم، وفار الماء من التور الذي كانوا يخبرون فيه؛ إعلامًا ببدء الطوفان؛ قلنا لنوح ﷺ: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوان فوق الأرض زوجين: ذكرًا وأنثى، واحمل أهلك إلا من سبق الحكم بأنه مغر؛ لكونه لم يؤمن، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه من قومه إلا عدد قليل على طول المدة التي مكث فيها يدعوهم إلى الإيمان بالله.

﴿٣١﴾ وقال نوح لمن آمن من أهله وقومه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جري السفينة، وباسمه يكون رُسُوهَا، إن ربي غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته بالمؤمنين أن أنجاهم من الهلاك. ﴿٣٢﴾ والسفينة تسير بمن فيها من الناس وغيرهم في موج عظيم مثل الجبال، وبعاطفة الأبوة نادى نوح ﷺ ابنه الكافر، وكان منفردًا عن أبيه وقومه في مكان: يا بني اركب معنا في السفينة؛ لتتجو من الفرق، ولا تكن مع

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ
﴿٢٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ
﴿٢٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٣١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِىْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ
﴿٣٢﴾ قَالَ سَتَأْوِى إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ
﴿٣٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿٣٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ
﴿٣٥﴾

٢٢٦

الكافرين، فيصيبك ما أصابهم من الهلاك بالفرق.

﴿٣٦﴾ قال ابن نوح لنوح: سألجأ إلى جبل مرتفع؛ ليمنعني من وصول الماء إليّ، قال نوح لابنه: لا مانع اليوم من عذاب الله بالفرق بالطوفان إلا الله الرَّاحِمُ برحمته من يشاء سبحانه، فإنه يمنعه من الفرق، وفرَّق الموج بين نوح وابنه الكافر، فكان ابنه من المغرقين بالطوفان لكفره.

﴿٣٧﴾ وقال الله للأرض بعد نهاية الطوفان: يا أرض، اشربي ما عليك من ماء الطوفان، وقال للسماء: يا سماء أمسكي ولا ترسلي المطر، ونَقَضَ الماء حتى جفت الأرض، وأهلك الله الكافرين، ووقفت السفينة على جبل الجودي، وقيل: بُعْدًا وهلاكًا للقوم المتجاوزين لحدود الله بالكفر.

﴿٣٨﴾ ونادى نوح ﷺ ربه مستغيثًا به، فقال: يا رب، إن ابني من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، وإن وعدك هو الصدق الذي لا خُلف فيه، وأنت أعدل الحاكمين وأعلمهم.

﴿٣٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان عادة المشركين في الاستهزاء والسخرية بالأنبياء وأتباعهم.
- بيان سُنَّةِ الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون.
- لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من أمره إلا هو سبحانه.

قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَنْحُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمِتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسُرُهُمُ رَبُّنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٨ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩
 وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ٥٢ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَيْثَنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣

٤٦ قال الله لنوح: يا نوح، إن ابنك الذي سألتني إنجاءه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم؛ لأنه كافر، إن سؤالك يا نوح عمل غير مناسب منك، ولا يصلح لمن هو في مقامك، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إنني أحذرك أن تكون من الجاهلين، فتسألني ما يخالف علمي وحكمتي.
 ٤٧ قال نوح ﷺ: رب، إنني ألتجئ واعتصم بك من أن أسألك ما لا علم لي به، وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الخاسرين الذين خسروا حظوظهم في الآخرة.
 ٤٨ قال الله لنوح ﷺ: يا نوح، انزل من السفينة على الأرض بسلامة وأمن، وبنعم من الله كثيرة عليك، وعلى ذرية من كانوا معك في السفينة من المؤمنين يأتون من بعدك، وثمة أمة أخرى من ذريتهم كافرون ستمتهم في هذه الحياة الدنيا، ونعطهم ما يعيشون به، ثم ينالهم منا في الآخرة عذاب موجه.

٤٩ قصة نوح هذه من أخبار الغيب، ما كنت - أيها الرسول - تعلمها أنت، وما كان قومك يعلمونها من قبل هذا الوحي الذي أوحينا إليك، فاصبر على أذى قومك وتكذيبهم كما صبر نوح ﷺ، إن النصر والغلبة للذين يمثلون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.
 ٥٠ وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ﷺ. قال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا معه أحدًا، ليس لكم معبود بحق غيره سبحانه، ولستم في دعواكم أن له شريكًا إلا كاذبين.

٥١ يا قوم، لا أطلب منكم ثوابًا على ما أبلغكم من ربي، وأدعوكم إليه، ليس ثوابي إلا على الله الذي خلقتني، أفلا تعقلون ذلك، وتستجيبن لما أدعوكم إليه؟

٥٢ يا قوم، اطلبوا المغفرة من الله، ثم توبوا إليه من ذنوبكم - وأكبرها الشرك - يبيئكم على ذلك بإنزال المطر الكثير، ويزدكم عزًا إلى عزكم بإكثار الذرية والأموال، ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه، فتكونوا من المجرمين بإعراضكم عن دعوتي، وكفركم بالله وتكذيبكم بما جئت به.

٥٣ قال قومهم: يا هود، ما جئنا بحجة جلية تجعلنا نؤمن بك، ولسنا بتاركي آلهتنا من أجل قولك الخالي من حجة، ولسنا بمؤمنين لك فيما تدعيه من أنك رسول.

من قواعد الآيات،

- لا يملك الأنبياء الشفاعة لمن كفر بالله حتى لو كانوا أبناءهم.
- عفة الداعية وتنزهه عما في أيدي الناس أقرب للقبول منه.
- فضل الاستغفار والتوبة، وأنهما سبب إنزال المطر وزيادة الذرية والأموال.

آلهتنا بجنون لما كنت تهاننا عن عبادتهم، قال هود: إني أشهد الله، وأشهدوا أنتم أنني بريء من عبادة آلهتكم التي تعبدونها من دون الله، فامكروا بي أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها أصابتني بجنون، ثم لا تمهلوني.

﴿٥٦﴾ إني توكلت على الله وحده، واعتمدت عليه في أمري، فهو ربي وربكم، ما من شيء يدب على وجه الأرض إلا وهو خاضع لله تحت ملكه وسلطانه، يصرفه كيف يشاء، إن ربي على الحق والعدل، فلن يسلمكم علي؛ لأنني على الحق وأنتم على الباطل.

﴿٥٧﴾ فإن تعرضوا وتذبخوا عما جئت به فما علي إلا إبلاغكم، وقد أبلغتكم كل ما أرسلني الله به، وأمرني بإبلاغه، وقد قامت عليكم الحجة، وسيهلككم ربي، ويأتي بقوم غيركم يخلفونكم، ولا تضرون الله ضرراً كبيراً ولا صغيراً بتكذيبكم وإعراضكم؛ لأنه غني عن عبادته، إن ربي على كل شيء رقيب، فهو الذي يحفظني من سوء الذي تكيدونني به.

﴿٥٨﴾ ولما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا نالهم، وسلمناهم من عذاب شديد عذبنا به قومه الكافرين.

﴿٥٩﴾ وتلك عاد كفروا بأيات الله ربهم، وعصوا رسولهم هوداً، وأطاعوا أمر كل متكبر على الحق، طاع لا يقبله، ولا يذعن له.

﴿٦٠﴾ ولحقهم في هذه الحياة الدنيا الخزي والطرود من رحمة الله، وكذلك يوم القيامة هم مبعدون من رحمة

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضْنَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٧﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ وَشَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٩﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٠﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمُ هُودٍ ﴿٦١﴾ * وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٣﴾

سورة هود
الجزء الثاني عشر

الله، وذلك بسبب كفرهم بالله تعالى، ألا فأبعدهم الله من كل خير، وقربهم من كل شر.

﴿٦٤﴾ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، هو خلقكم من تراب الأرض بخلق أبيكم آدم منه، وجعلكم عُمَارَهَا، فاطلبوا منه المغفرة ثم ارجعوا إليه بعمل الطاعات وترك المعاصي، إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة، مجيب من دعاء.

﴿٦٥﴾ قال له قومه: يا صالح، قد كنت فينا صاحب مكانة عالية قبل دعوتك هذه، فقد كنا نرجو أن تكون عاقلاً صاحب نصيح ومشورة، أتهاننا - يا صالح - عن عبادة ما كان آبؤنا يعبدونه؟ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه من عبادة الله وحده، يجعلنا نهمك بالكذب على الله.

﴿٦٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من وسائل المشركين في التنفير من الرسل الاتهام بخفة العقل والجنون.
- ضعف المشركين في كيدهم وعدائهم، فهم خاضعون لله مقهورون تحت أمره وسلطانه.
- أدلة الربوبية من الخلق والإنشاء مقتضية لتوحيد الألوهية وترك ما سوى الله.

قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَاسَنِي
 مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي
 غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٢﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
 عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٣﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
 نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَرَحْمَةً مِنَّا وَمِن
 خِزْيٍ يُومِذُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٥﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٦﴾
 كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
 بُعْدَ التَّمُودَ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا
 سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ
 أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٩﴾ وَأَمْرَانَهُ وَقَائِمَةٌ
 فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٠﴾

﴿٦٢﴾ قال صالح ردًا على قومه: يا قوم، أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي، وأعطاني منه رحمة والنبوة، فمن يمنني من عقابه إن أنا عصيته بترك تبليغ ما أمرني بتبليغه إليكم؟ فما تزيدوني غير تضليل وبعد عن مرضاته.

﴿٦٣﴾ و يا قوم، هذه ناقة الله لكم علامة على صدقي، فاتركوها ترعى في أرض الله، ولا تتعرضوا لها بأي أذى فينالكم عذاب قريب من وقت عقركم لها.

﴿٦٤﴾ فتحرروها إمعانًا في التكذيب، فقال لهم صالح: استمتعوا بالحياة في أرضكم مدة ثلاثة أيام من عقركم إياها، ثم يأتيكم عذاب الله، فإتيان عذابه بعد ذلك وعد واقع لا محالة غير مكذوب، بل هو وعد صدق.

﴿٦٥﴾ فلما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وسلمناهم من هوان ذلك اليوم وذلك، إن ربك - أيها الرسول - هو القوي العزيز الذي لا يغالبه أحد، ولذلك أهلك الأمم المكذبة.

﴿٦٦﴾ وأخذ صوت شديد مهلك تمود فماتوا من شدته، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿٦٧﴾ كان لم يقيموا في بلادهم في نعمة ورغد عيش، ألا إن تمود كفروا بالله ربهم، لا زالوا مُتَّبِعِينَ من رحمة الله.

﴿٦٨﴾ ولقد جاءت الملائكة في هيئة رجال إلى إبراهيم ﷺ، مبشرين إياه وزوجته بإسحاق ثم يعقوب، فقال الملائكة: سلامًا، فرد عليهم إبراهيم بقوله: سلام، وذهب مسرعًا، فجاءهم بعجل مشوي؛ ليأكلوا منه ظنًا منه أنهم رجال.

﴿٦٩﴾ فلما رأى إبراهيم أن أيديهم لا تصل إلى العجل، وأنهم لم يأكلوا منه استنكر ذلك منهم، وأخفى في نفسه الخوف منهم، فلما رأت الملائكة خوفه منهم قالوا: لا تخف منا، نحن نبشركم ولدًا، فاستبشرت.

﴿٧٠﴾ وامرأة إبراهيم «سارة» قائمة، فأخبرناها بما يسرها، وهو أنها تلد إسحاق، ويكون لإسحاق ولد هو يعقوب، فضحكت واستبشرت بما سمعت.

﴿٧١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● عناد واستكبار المشركين حيث لم يؤمنوا بآية صالح ﷺ وهي من أعظم الآيات.

● استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له.

● مشروعية السلام لمن دخل على غيره، ووجوب الرد.

● وجوب إكرام الضيف.

﴿٧١﴾ قالت سارة لما بشرتها الملائكة بتلك البشرى متعجبة: كيف ألد وأنا كبيرة آيسة من الولد، وهذا زوجي بلغ سن الشيخوخة؟ إن إنجاب ولد في هذه الحالة شيء عجيب، لم تجر العادة به.

﴿٧٢﴾ قالت الملائكة لسارة لما تعجبت من البشرى: أتعجبين من قضاء الله وقدره؟ فمثلك لا يخفى عليه أن الله قادر على مثل هذا، رحمة الله وبركاته عليكم - يا أهل بيت إبراهيم - إن الله حميد في صفاته وأفعاله، ذو مجد ورفعة.

﴿٧٣﴾ فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أصابه من ضيوفه الذين لم يأكلوا طعامه بعد علمه أنهم ملائكة، وجاءه الخبر السار بأنه سيولد له إسحاق، ثم يعقوب، طفق يجادل رسلنا في شأن قوم لوط؛ لعلهم يؤخرون عنهم العذاب، ولعلهم ينجون لوطاً وأهله.

﴿٧٤﴾ إن إبراهيم حليم، يحب تأخير العقوبة، كثير التضرع إلى ربه، كثير الدعاء، تائب إليه.

﴿٧٥﴾ قال الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا الجدل في قوم لوط، إنه قد جاء أمر ربك بإيقاع العذاب الذي قدره عليهم، وإن قوم لوط آتيهم عذاب عظيم، لا يرد جدال ولا دعاء. ولما جاءت الملائكة لوطاً في هيئة رجال ساءه مجيئهم، وضاق صدره بسبب الخوف عليهم من قومه الذين يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال لوط: هذا يوم شديد؛ لظنه أن قومه سيغالبنه على ضيوفه.

﴿٧٦﴾ وجاء قوم لوط لوطاً مسرعين قاصدين فعل الفاحشة بضيوفه، ومن قبل ذلك كان عاداتهم إتيان الرجال شهوة من دون النساء، قال لوط مدافعاً قومه ومعذراً لنفسه أمام ضيوفه: هؤلاء بناتي من جملة نسائكم فتزوجوهن؛ فهن أظهر لكم من فعل الفاحشة، فخافوا من الله، ولا تجلبوا لي العار في ضيوفي، أليس منكم - يا قوم - رجل ذو عقل سديد ينهاكم عن هذا الفعل القبيح؟

﴿٧٧﴾ قال له قومه: لقد علمت - يا لوط - أنه ليس لنا حاجة في بناتك ولا نساء قومك، ولا شهوة، وإنك لتعلم ما نريده، فلا نريد إلا الرجال.

﴿٧٨﴾ قال لوط: ليت لي قوة أدفعكم بها، أو عشيرة تمنعني، فأحول بينكم وبين ضيوفي. قالت الملائكة للوط: ﴿٧٩﴾ يا لوط، إنا رسل الله، لن يصل إليك قومك بسوء، فأخرج بأهلك من هذه القرية ليلاً في ساعة مظلمة، ولا ينظر أحدكم إلى ما وراءه، إلا امرأتك ستلتفت مخالفة؛ لأنه سينالها ما نال قومك من العذاب، إن موعد إهلاكهم الصبح، وهو موعد قريب.

﴿٨٠﴾ من قوايد الآيات،

- بيان فضل ومنزلة خليل الله إبراهيم عليه السلام، وأهل بيته.
- مشروعية الجدل عمن يرجى له الإيمان قبل الرفع إلى الحاكم.
- بيان فطاعة وقبح عمل قوم لوط.

قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَ الْإِذْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ وَعَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِ لَنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَاهُ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ
 شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرِكُمْ بِخَيْرٍ
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمُ
 أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ
 اللَّهَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِخَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَّتْرَكَ
 مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ
 لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ
 عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿٨٢﴾ فلما جاء أمرنا جعلنا عالي قراهم سافلها
 برفعها وقلبها بهم، وأمطرنا عليهم
 حجارة من طين متصلب مصفوف
 بعضها فوق بعض بتتابع.

﴿٨٣﴾ هذه الحجارة مألوفة عند الله
 بعلامة خاصة، وليست هذه الحجارة
 من الظالمين من قريش وغيرهم
 ببعيدة، بل هي قريبة متى قدر الله
 إزالتها عنهم نزلت.

﴿٨٤﴾ وأرسلنا إلى مدين أخاهم
 شعيباً، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده،
 ما لكم من معبود يستحق العبادة
 غيره، ولا تنقصوا الكيل والوزن إذا
 كلتم للناس أو وزنتم لهم، إني أراكم
 في سعة من الرزق ونعمة، فلا تغيروا
 عليكم نعمة الله بالمعاصي، وإني
 أخاف عليكم عذاب يوم محيط يدرك
 كل أحد منكم، لا تجدون منه مهرباً ولا
 ملجأ.

﴿٨٥﴾ ويا قوم، أتموا المكيال والميزان
 بالعدل إن كلتم أو وزنتم لغيركم، ولا
 تنقصوا الناس من حقوقهم شيئاً
 بالتطفيف والغش والخداع، ولا تقصدوا
 في الأرض بالقتل وغيره من المعاصي.

﴿٨٦﴾ بقية الله التي يبقئها لكم
 من الحلال بعد إيفاء حقوق الناس
 بالعدل، أكثر نفعاً وبركة من الزيادة
 الحاصلة بالتطفيف والإفساد في
 الأرض، إن كنتم مؤمنين حقاً فارضوا
 بتلك البقية، ولست عليكم برقيب
 أحصي أعمالكم، وأحاسبكم عليها،
 إنما الرقيب على ذلك هو من يعلم
 السر والنجوى.

﴿٨٧﴾ قال قوم شعيب لشعيب: يا
 شعيب، أصلاتك التي تصلها لله
 تأمرك أن تترك عبادة ما كان آباؤنا يعبدونه من الأصنام، وتأمرك أن تترك التصرف في أموالنا بما نشاء، ونتميها بما نشاء؟ إنك
 لأنت الحليم الرشيد، فإنك أنت العاقل الحكيم كما عرفناك قبل هذه الدعوة، فما الذي أصابك؟

﴿٨٨﴾ قال شعيب لقومه: يا قوم، أخبروني عن حالكم إن كنتم على برهان واضح من ربي، وبصيرة منه، ورزقتي منه رزقاً حلالاً، ومنه
 النبوة، وما أريد أن أنهاكم عن شيء وأخالفكم في فعله، لا أريد إلا إصلاحكم بدعوتكم إلى توحيد ربكم وطاعته قدر استطاعتي، وما
 توفيقني إلى الحصول على ذلك إلا بالله سبحانه، عليه وحده توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع.

• من قواعد الآيات،

- من سنن الله إهلاك الظالمين بأشد العقوبات وأفظعها.
- حرمة نقص الكيل والوزن وبخس الناس حقوقهم.
- وجوب الرضا بالحلال وإن قل.
- فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب العمل بما يأمر الله به، والانتفاء عما ينهى عنه.

﴿٨٨﴾ **وَيَا قَوْمِ، لَا تَحْمِلُنَّ كُفْرَكُمْ** عداوتي على التكذيب بما جئت به؛ خوف أن ينالكم من العذاب مثل ما نال قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد، لا زماناً ولا مكاناً، وقد علمتم ما أصابهم، فاعتبروا.

﴿٨٩﴾ **وَاطْلُبُوا** المغفرة من ربكم، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، إن ربي رحيم بالتائبين، شديد المحبة لمن تاب منهم.

﴿٩٠﴾ **قَالَ قَوْمٌ** شعب لشعيب: يا شعيب، ما نفهم كثيراً مما جئت به، وإنا لنراك فينا ذا ضعف لما أصاب عينيك من ضعف أو عى، ولولا أن عشيرتك على ملتنا لقتلناك بالرمي بالحجارة، ولست علينا بعزيز حتى نهاب قتلك، وإنما تركنا قتلك احتراماً لعشيرتك.

﴿٩١﴾ **قَالَ** شعب لقومه: يا قوم، أعشيرتي أكرم عندكم وأعز من الله ربكم؟ وتركتهم الله وراءكم منبوذاً حين لم تؤمنوا بنبيه الذي بعثه إليكم، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسبجازيكم عليها في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٩٢﴾ **وَيَا قَوْمِ، اْعْمَلُوا** ما تستطيعونه على طريقتكم التي ارتضيتموها، إني عامل على طريقتي التي ارتضيها بما أستطيعه، سوف تعلمون من منّا يأتيه عذاب يذله عقاباً له، ومن منّا هو كاذب فيما يدعيه، فانتظروا ما يقضي به الله، إني معكم منتظر.

﴿٩٣﴾ **وَلَمَّا جَاءَ** أمرنا بإهلاك قوم شعيب أنقذنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأصاب الذين ظلموا من قومه صوت شديد مهلك فماتوا،

وَيَقَوْمٍ لَا يُخْرِجُ مِنْكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ **وَأَسْتَغْفِرُ** وأربكم ثم توبوا إليه إني ربي رحيم ودود ﴿٩٠﴾ **قَالُوا** يدشعب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعیفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزیز ﴿٩١﴾ **قَالَ** يقوم أرهطي أعز عليكم من الله وأخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط ﴿٩٢﴾ **وَيَقَوْمِ اْعْمَلُوا** على مكانتكم إني علم سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وأرتقبوا إني معكم رقيب ﴿٩٣﴾ **وَلَمَّا جَاءَ** أمرنا أننجينا شعيباً والذين آمنوا معه وبرحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿٩٤﴾ **كَانَ** لم يغنوا فيها إلا بعد المدين كما بعدت ثمود ﴿٩٥﴾ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا** موسى بآيتنا وسلطان مبین ﴿٩٦﴾ **إِلَى** فرعون وملأه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴿٩٧﴾

وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿٩٥﴾ **كَانَ** لم يقيموا فيها من قبل، ألا طردت مدين من رحمة الله بحلول نعمته عليهم، كما طردت منها ثمود بإنزال سخطه عليهم.

﴿٩٦﴾ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا** موسى بآياتنا الدالة على توحيد الله، وبحججنا الواضحة الدالة على صدق ما جاء به.

﴿٩٧﴾ **أَرْسَلْنَاهُ** إلى فرعون والأشراف من قومه، فاتبع هؤلاء الأشراف أمر فرعون لهم بالكفر بالله، وليس أمر فرعون بأمر ذي إصالة للحق حتى يتبع.

﴿٩٨﴾ **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،**

• ذم الجهلة الذين لا يفقهون عن الأنبياء ما جاؤوا به من الآيات.

• ذم وتسفيه من اشتغل بأوامر الناس، وأعرض عن أوامر الله.

• بيان دور العشرة في نصرة الدعوة والدعاة.

• طرد المشركين من رحمة الله تعالى.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعَنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بَشَّ
 الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ عَيْرَ تَتَّبِعُ ﴿١٠١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِأَمْرِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنْ
 النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنْ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ ﴿١٠٨﴾

﴿٩٨﴾ يتقدم فرعون قومه يوم القيامة إلى النار حتى يدخلهم فيها، وساء المورد الذي يوردهم إليه.

﴿٩٩﴾ وأتبعهم الله في الحياة الدنيا لعنة وطرذاً وإبعاداً من رحمته مع ما أصابهم من الهلاك بالفرق، وأتبعهم طرداً وإبعاداً منها يوم القيامة، ساء ما حصل لهم من ترادف اللعنتين والعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿١٠٠﴾ ذلك المذكور في هذه السورة من أخبار القرى نخبرك - أيها الرسول - به، من هذه القرى ما هو قائم المعالم، ومنها ما مَحِيَتْ معالمه، فلم يبق له أثر.

﴿١٠١﴾ وما ظلمناهم بما أصابناهم به من هلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بكفرهم بالله، فما دفعت عنهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ما نزل بهم من عذاب حين جاء أمر ربك - أيها الرسول - بإهلاكهم، وما زادتهم آلهتهم هذه إلا خسراناً وهلاكاً.

﴿١٠٢﴾ وكذلك الأخذ والاستئصال الذي أخذ الله به القرى المكذبة في كل زمان ومكان، إن أخذه للقرى الظالمة أخذ مؤلم قوي.

﴿١٠٣﴾ إن في أخذ الله الشديد لتلك القرى الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يجمع الله له الناس لمحاسبتهم، وذلك يوم مشهود يشهده أهل المحشر.

﴿١٠٤﴾ ولا تؤخر ذلك اليوم المشهود إلا لأجل معلوم العدد.

﴿١٠٥﴾ يوم يأتي ذلك اليوم لا تتكلم أي نفس بحجة أو شفاعة إلا بعد إذنه، والناس فيه نوعان: شقي يدخل النار، وسعيد يدخل الجنة.

﴿١٠٦﴾ فأما الأشقياء لكفرهم وفساد أعمالهم فيدخلون في النار، ترتفع فيها أصواتهم وأنفاسهم من شدة ما يعانون من لهيبها.

﴿١٠٧﴾ ما كثون فيها أبداً، لا يخرجون منها ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إخراجاً من عصاة الموحدين، إن ربك - أيها الرسول - فعَّال لما يريد، فلا مُسْتَكْرَهَ له سبحانه.

﴿١٠٨﴾ وأما السعداء الذين سبقت لهم السعادة من الله لإيمانهم وصلاح أعمالهم، فهم في الجنة ما كثون فيها أبداً ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إدخاله النار قبل الجنة من عصاة المؤمنين، إن نعيم الله لأهل الجنة غير مقطوع عنهم.

من قواعد الآيات،

● التحذير من اتباع رؤساء الشر والفساد، وبيان شؤم اتباعهم في الدارين.

● تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.

● لا تنفع آلهة المشركين عابديها يوم القيامة، ولا تدفع عنهم العذاب.

● انقسام الناس يوم القيامة إلى: سعيد خالد في الجنان، وشقي خالد في النيران.

﴿١٠٩﴾ فلا تكن - أيها الرسول - في ارتياب وشك من فساد ما يعبد هؤلاء المشركون، فليس لهم على صحته برهان عقلي ولا شرعي، وإنما الحامل لهم على عبادة غير الله تقليدهم لآبائهم، وإنا لَمُتَمَوِّنٌ لهم نصيبهم من العذاب دون نقص.

﴿١١٠﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، فاختلف الناس فيها، فأمن بعضهم بها، وكفر بعض، ولولا قضاء من الله سبق أنه لا يُعْجَلُ العذاب، بل يؤخره إلى يوم القيامة لحكمة، لنزل بهم ما يستحقون من العذاب في الدنيا، وإن الكافرين من يهود ومشركين لفي شك من القرآن مَوْفَعٌ في الارتياب.

﴿١١١﴾ وإن كل من ذكر من المختلفين لَيُتِمَّنْ لهم ربك - أيها الرسول - جزاء أعمالهم، فما كان خيراً كان جزاؤه خيراً، وما كان شراً كان جزاؤه شراً، إن الله بدقائق ما يعملونه عليهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿١١٢﴾ دأب على الالتزام بالطريق المستقيم - أيها الرسول - كما أمرك الله، فامثل أوامره، واجتنب نواهيه، وليستقم من تاب معك من المؤمنين، ولا تتجاوزوا الحد بارتكاب المعاصي، إنه بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ﴿١١٣﴾ ولا تميلوا إلى الكفار الظالمين بمداينة أو مودة، فتصيبكم النار بسبب ذلك الميل، وليس لكم من دون الله أولياء ينقذونكم منها، ثم لا تجدون من ينصركم.

﴿١١٤﴾ وأقم - أيها الرسول - الصلاة على أحسن وجه في طرفي النهار وهما أول النهار وآخره، وأقمها في ساعات

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ
ءَابَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ
﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كَلَامَ الْيُوفِيِّينَ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ
الْإِيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى
لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

من الليل، إن الأعمال الصالحات تمحو صفائر الذنوب، ذلك المذكور موعظة للمتعبين، وعبرة للمعتبرين. ﴿١١٥﴾ واصبر على فعل ما أمرت به من الاستقامة وغيرها، وعلى ترك ما نهيت عنه من الطغيان والركون إلى الظلمة، إن الله لا يبطل ثواب المحسنين، بل يتقبل منهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجراً ما كانوا يعملون. ﴿١١٦﴾ فهلاً كان من الأمم المعذبة قبلكم بقية من أهل الفضل والصلاح ينهون تلك الأمم عن الكفر، وعن الفساد في الأرض بالمعاصي، لم تكن منهم تلك البقية، إلا قليل منهم كانوا ينهون عن الفساد، فأنجيناهم حين أهلكنا قومهم الظالمين، واتبع الظالمون من أقوامهم ما هم فيه من النعيم، وكانوا ظالمين باتباعهم ذلك. ﴿١١٧﴾ وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى إذا كان أهلها مصلحين في الأرض، إنما يهلكها إن كان أهلها مفسدين بالكفر والظلم والمعاصي.

﴿١١٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- وجوب الاستقامة على دين الله تعالى.
- التحذير من الركون إلى الكفار الظالمين بمداينة أو مودة.
- بيان سُنَّةِ الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة.
- الحث على إيجاد جماعة من أولي الفضل يأمرهم بالمعروف، وينهون عن الفساد والشر، وأنهم عصمة من عذاب الله.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١١٩ وَكَلَّا نَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ١٢٠ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ١٢١ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ
 ١٢٢ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣

سورة يوسف

آياتها ١١١

ترتيبها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ٤

٢٣٥

سورة يوسف

مكية

١١٨ ولو شاء ربك - أيها الرسول - أن يجعل الناس أمة واحدة على الحق لفعل، لكنه لم يشأ ذلك، فلا يزالون مختلفين فيه بسبب اتباع الهوى والبغى.

١١٩ إلا من رحمهم الله بالتوفيق للهداية، فإنهم لا يختلفون في توحيده سبحانه، ولذلك الاختبار بالاختلاف خلقهم سبحانه، فمنهم شقي وسعيد، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - التي قضاه في الأزل بملء جهنم من اتباع الشيطان من الجن والناس.

١٢٠ وكل خبر ناقصه عليك - أيها الرسول - من أخبار الرسل من قبلك ناقصه لتثبت به قلبك على الحق ونقويه، وجاءك في هذه السورة الحق الذي لا شك فيه، وجاءك فيها موعظة للكافرين، وذكرى للمؤمنين الذين ينتفعون بالذكرى.

١٢١ وقل - أيها الرسول - للذين لا يؤمنون بالله، ولا يوحدونه: اعملوا على طريقكم في الإعراض عن الحق والصد عنه، إنا عاملون على طريقنا من الثبات عليه، والدعوة له، والصبر عليه.

١٢٢ وترقبوا ما ينزل بنا، إنا مترقبون ما ينزل بكم.

١٢٣ ولله وحده علم ما غاب في السماوات، وما غاب في الأرض، لا يخفى عليه شيء منه، وإليه وحده يرجع الأمر جميعه يوم القيامة، فاعبده - أيها الرسول - وحده، وتوكل عليه في كل أمور، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو عليم به، وسيجازي كلًا بما عمل.

● من مقاصد السورة:

الاعتبار بلطف تدبير الله لأوليائه وتمكينهم، وحسن عاقبتهم.

● التفسير:

١ الر - سبق الكلام عليها وعلى نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات التي أنزلت في هذه السورة من آيات القرآن الواضح فيما اشتمل عليه. ٢ إنا أنزلنا القرآن بلغة العرب لعلمكم - أيها العرب - تفهمون معانيه. ٣ نحن نقص عليك - أيها الرسول - أحسن القصص لصدقها وسلامة أنظاظها وبلاغتها، يأنزلنا عليك هذا القرآن، وإنك كنت من قبل إنزاله من الغافلين عن هذا القصص، لا علم لك به. ٤ نخبرك - أيها الرسول - حين قال يوسف لأبيه يعقوب: يا أبت، إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبًا، ورأيت الشمس والقمر، رأيت كل أولئك لي ساجدين، فكانت هذه الرؤيا عاجل بشرى ليوسف.

● من فوائد الآيات:

● بيان الحكمة من القصص القرآني، وهي تثبيت قلب النبي ﷺ وموعظة المؤمنين. ● انفراد الله تعالى بعلم الغيب لا يشركه فيه أحد. ● الحكمة من نزول القرآن عربيًا أن يعقله العرب: ليلغوه إلى غيرهم. ● اشتمال القرآن على أحسن القصص.

﴿٦﴾ قال يعقوب لابنه يوسف: يا بني، لا تذكر رؤياك لإخوتك، فيفهموها، ويحسدوك، فيدبروا لك مكيدة حسداً منهم، إن الشيطان للإنسان عدو واضح العداوة.

﴿٧﴾ وكما رأيت تلك الرؤيا يختارك - يا يوسف - ربك، ويعلمك تعبیر الرؤى، ويكمل نعمته عليك بالنبوة كما أتم نعمته على أبويك من قبلك: إبراهيم وإسحاق، إن ربك عليم بخلقه، حكيم في تدبيره.

﴿٨﴾ لقد كان في خبر يوسف وخبر إخوته عبر وعظات للسائلين عن أخبارهم.

﴿٩﴾ حين قال إخوته فيما بينهم: ليوسف وأخوه الشقيق أحب إلى أبينا منا ونحن جماعة ذوو عدد، فكيف فضلهم علينا؟ إنا لنراه في خطأ بين حين فضلهم علينا من غير سبب يظهر لنا.

﴿١٠﴾ اقتلوا يوسف، أو غيبوه في أرض بعيدة: يخلص لكم وجه أبيكم فيحبكم حباً كاملاً، وتكونوا من بعد ما تقدمون عليه من قتله أو تغييبه قوماً صالحين، حين تتوبون من ذنبكم.

﴿١١﴾ قال أحد الإخوة: لا تقتلوا يوسف، ولكن ارموه في قعر البئر يأخذه بعض المسافرين الذين يمرّون به، فهذا أخف ضرراً من قتله، إن كنتم عازمين على ما قنتم بشأنه.

﴿١٢﴾ ولما اتفقوا على إبعاده قالوا لابيهم يعقوب: يا أبانا، ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف؟ وإنا لمشفقون عليه نرعاه مما يضره، ونحن ناصحون له بحفظه ورعايته حتى يعود إليك سالماً، فما الذي يمنعك من إرساله

قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ ۚ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ أَبْيَسُ ۚ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْتَظِطُّهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ وَلَنَصْحُونُ ﴿١١﴾ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ وَلَنَحْفُظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ۖ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۖ إِنَّا إِذَا خَسِرُونَ ﴿١٤﴾

﴿١٢﴾ اسمح لنا نأخذه معنا غداً يتمتع بالطعام ويمرح، وإنا له لحافظون من كل أذى يصيبه.

﴿١٣﴾ قال يعقوب لأبنائه: إني ليحزنني ذهابكم به: لأنني لا أصبر على فراقه، وأخاف عليه من أن يأكله الذئب وأنتم لاهون عنه بالرتع واللعب.

﴿١٤﴾ قالوا لأبيهم: لئن أكل الذئب يوسف ونحن جماعة إنا في هذه الحال لا خير فينا، فتحن خاسرون إذ لم نمنعه من الذئب.

• من قوائد الآيات:

- ثبوت الرؤيا شرعاً، وجواز تعبيره.
- مشروعية كتمان بعض الحقائق إن ترتب على إظهارها شيء من الأذى.
- بيان فضل ذرية آل إبراهيم واصطفائهم على الناس بالنبوة.
- الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة والحسد بين الإخوة.

١٥ فأرسله يعقوب معهم، فلما ذهبوا به بعيداً، وعزموا على رميه في قعر البئر، أوحينا إلى يوسف في هذه الحال: لتخبرنهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بك حال إخبارك لهم. ١٦ وجاء إخوة يوسف أباهم وقت العشاء يتباكون ترويحاً لمكرهم. ١٧ قالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا نتسابق على الأرجل ونترامي بالنبال، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأزوادنا ليحفظها، فأكله الذئب، ولست بمصدق لنا، وإن كنا في الواقع صادقين فيما أخبرناك به.

١٨ وأكدوا خبرهم بحيلة، فجاؤوا بقميص يوسف ملطخاً بدم غير دمه، موهمين أنه أكل الذئب له، فظن يعقوب - بقرينة أن القميص لم يُمَرَّق - كذبهم، فقال لهم: ليس الأمر كما أخبرتم، بل زينت لكم أنفسكم أمراً سيئاً صنعتموه به، فأمرني صبر جميل لا جزع فيه، والله المطلوب منه العون على ما تذكرونه من أمر يوسف. ١٩ وجاءت قافلة مارة، فبعثوا من يستقي لهم الماء، فأرسل دؤوه في البئر، فتعلق يوسف بالحبل، فلما أبصره مرسلها قال مسروراً: يا بشراي هذا غلام، وأخفاء واردهم وبعض أصحابه عن بقية القافلة زاعمين أنه بضاعة استبضعوها، والله عليم بما يفعلونه بيوسف من الابتذال والبيع، لا يخفى عليه من عملهم شيء.

٢٠ وباعه الوارد وأصحابه بمصر بثمن زهيد، فهو دراهم سهلة العد لقلتها، وكانوا من الزاهدين فيه لحرصهم على التخلص منه سريعاً، فقد علموا من حاله أنه ليس بمملوك،

وخافوا على أنفسهم من أهله، وهذا من تمام رحمة الله به حتى لا يبقى معهم طويلاً.

٢١ وقال الرجل الذي اشتراه من مصر لامراته: أحسنني إليه وأكرميه في مقامه معنا؛ لعله ينفعنا في القيام ببعض ما نحتاج إليه، أو نصبره ولداً بالتبني، وكما أنجينا يوسف من القتل، وأخرجناه من البئر، وعطفنا عليه قلب العزيز؛ مكنا له في مصر، ولنعلمه تأويل الرؤيا، والله غالب على أمره، فأمره نافذ، فلا مكره له سبحانه، ولكن غالب الناس - وهم الكفار - لا يعلمون ذلك.

٢٢ ولما بلغ يوسف سن اشتداد البدن أعطيناه فهماً وعلماً، ومثل هذا الجزاء الذي جزيناه به نجزي المحسنين في عبادتهم لله.

٢٣ من قوائد الآيات،

● بيان خطورة الحسد الذي جرَّ إخوة يوسف إلى الكيد به والمؤامرة على قتله.

● مشروعية العمل بالقرينة في الأحكام.

● من تدبير الله ليوسف ﷺ ولطفه به أن قذف في قلب عزيز مصر معاني الأبوة بعد أن حجب الشيطان عن إخوته معاني الأخوة.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْبُيُوتِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٥ وَجَاءَ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ١٦ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ١٧ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدٌ مِرْكَبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْ أَفَصَبِرُ جَمِيلٌ ١٨ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ١٩ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ٢٠ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ٢١ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامَرَّتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ وَمِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٢ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٢٣

﴿٢٣﴾ وطلبت امرأة العزيز برفق وإعمال حيلة من يوسف عليه السلام فعل الفاحشة، وغلقت الأبواب إمعاناً في الخلوة، وقالت له: هَلُمَّ وتعال إليّ، فقال يوسف: أعتصم بالله مما دعوتني إليه، إن سيدي أحسن إليّ في مقامي عنده فلن أخونه، فإن خنته كنت ظالمًا، إنه لا يفوز الظالمون.

﴿٢٤﴾ ولقد رغبت نفسها في فعل الفاحشة، وخطر على نفسه هو ذلك، لولا أنه رأى من آيات الله ما يكفه عن ذلك ويبعده، وقد أريناه ذلك لكشف عنه السوء، ونبهه عن الزنى والخيانة، إن يوسف من عبادنا المختارين للرسالة والنبوة.

﴿٢٥﴾ وتسبقا إلى الباب: يوسف لينجو بنفسه، وهي لتمنعه من الخروج، فأمسكت بقميصه لتمنعه من الخروج، فشقته من خلفه، ووجدا زوجها عند الباب، قالت امرأة العزيز للعزيز محتالة: ليس عقاب من قصد بزوجتك - يا عزيز - فعل الفاحشة إلا السجن، أو أن يُعَذَّبَ عذابًا موجعًا.

﴿٢٦﴾ قال يوسف عليه السلام: هي التي طلبت مني الفاحشة، ولم أردها منها، فانبعث شاهدٌ من أهلها فشهد بقوله: إن كان قميص يوسف شقٌّ من أمامه فذلك قرينة على صدقها؛ لأنها كانت تمنعه من نفسها، فهو كاذب.

﴿٢٧﴾ وإن كان قميصه شقٌّ من خلفه فذلك قرينة على صدقه؛ لكونها كانت تُراوده وهو هارب عنها، فهي كاذبة.

﴿٢٨﴾ فلما شاهد العزيز أن قميص يوسف عليه السلام شقٌّ من خلفه تحقق من صدق يوسف، وقال: إن هذا القذف الذي قذفته به من جملة مكرٍ كُرمٍ -

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَ ابْرَهُنَ رَبِّيَّ كَذَلِكَ لِنَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ وَمَنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ وَفُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ وَفُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ وَفُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ وَمِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

معشر النساء - إن مكر كُرمٍ مكر قوي.

﴿٢٩﴾ وقال ليوسف: يا يوسف، اضرب عن هذا الأمر صفحًا، ولا تذكره لأحد، واطلبي أنت المغفرة لإثمك، إنك كنت من الأثمين بسبب مراودة يوسف عن نفسه.

﴿٣٠﴾ وانتشر خبرها في المدينة، وقالت طائفة من النساء على سبيل الإنكار: زوجة العزيز تدعو عبدها إلى نفسها، قد وصل حبه شغاف قلبها (أي: غلافه)، إنا لنراها بسبب مراودتها له وحباها إياه - وهو عبدها - في ضلال واضح.

﴿٣١﴾ من قواید آیات،

- قبح خيانة المحسن في أهله وماله، الأمر الذي ذكره يوسف من جملة أسباب رفض الفاحشة.
- بيان عصمة الأنبياء وحفظ الله لهم من الوقوع في السوء والفحشاء.
- وجوب دفع الفاحشة والهرب والتخلص منها.
- مشروعية العمل بالقرائن في الأحكام.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ هُنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
كَبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ
عَنِ نَفْسِهِ فَوَسَّوْا لَهُ أَن يَنفَعَهُ مَاءُ أُمِّهِ وَلَئِن سَجَنَّا
وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَلَا أَتَصَرَّفُ فِي شَيْءٍ كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَفَصَّرَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدٍ
حَتَّىٰ حِينَ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
أَرَانِي أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْتُ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ فلما سمعت امرأة العزيز إنكارهن عليها واغتيابهن إياها بعثت إليهن تدعوهن ليرين يوسف فيعذرنها، وهيات لهن محلاً فيه فراش ووسائد، وأعطت كل واحدة من المدعوات سكيناً تقطع به الطعام، وقالت ليوسف ﷺ: أخرج عليهن، فلما نظرن إليه أعظمته، واندھشن لحسنه، وانبهرن بجماله، وجرحن أيديهن - من شدة الانبهار به - بالسكاكين المعدة لقطع الطعام، وقلن: تنزه الله، ليس هذا الغلام بشراً، فما هو فيه من الجمال لم يُعهد في البشر، ليس إلا ملكاً كريماً من الملائكة الكرام.

﴿٣٢﴾ قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأت ما أصابهن: هذا هو الفتى الذي عيرتُنَّني بسبب حبه، ولقد طلبته، واحتلت لإغوائه، فامتنع، ولئن لم يفعل ما أطلب منه مستقبلاً ليدخلن السجن، وليكونن من الأذلاء.

﴿٣٣﴾ قال يوسف ﷺ داعياً ربه: يا رب، السجن الذي هددتني به أحب إليّ مما يدعونني إليه من فعل الفاحشة، وإذا لم تكشف عني مكرهن أمل إليهن، وأكن من الجاهلين إن ملئت إليهن، وطاوعتهن فيما يردن مني.

﴿٣٤﴾ فأجاب الله دعوته، وكشف عنه مكر امرأة العزيز ومكر نسوة المدينة، إنه ﷻ السميع لدعاء يوسف، ولدعاء كل داع، العليم بحاله وحال غيره.

﴿٣٥﴾ ثم كان من رأي العزيز وقومه لما شاهدوا الأدلة على براءته أن يسجنوه - حتى لا تتكشف الفضيحة - إلى مدة غير معلومة.

﴿٣٦﴾ فسجنوه، ودخل معه غلامان في السجن، قال أحد الغلامين ليوسف: إني رأيت في المنام أني أعصر العنب ليصير خمرًا، وقال الثاني: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطيور منه، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا، إنا نراك من أهل الإحسان.

﴿٣٧﴾ قال يوسف ﷻ: لا يأتیکما طعام يجري علیكما من الملك أو غيره إلا بیئت لکما حقیقته وكيفيته قبل أن یأتیکما، ذلکما التأویل الذی علّمه هو ممّا علّمه ربی، لا من الکهانة ولا من التّجیم، إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة كافرون.

﴿٣٨﴾ من قواید الآيات،

● بيان جمال يوسف ﷻ الذي كان سبب افتتان النساء به.

● إثبات يوسف ﷻ السجن على معصية الله.

● من تدبير الله ليوسف ﷻ ولطفه به تعليمه تأويل الرؤى وجعلها سبباً لخروجه من بلاء السجن.

في السجن، قال أحد الغلامين ليوسف: إني رأيت في المنام أني أعصر العنب ليصير خمرًا، وقال الثاني: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطيور منه، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا، إنا نراك من أهل الإحسان.

﴿٣٧﴾ قال يوسف ﷻ: لا يأتیکما طعام يجري علیكما من الملك أو غيره إلا بیئت لکما حقیقته وكيفيته قبل أن یأتیکما، ذلکما التأویل الذی علّمه هو ممّا علّمه ربی، لا من الکهانة ولا من التّجیم، إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة كافرون.

﴿٢٨﴾ واتبع دين آبائي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو دين التوحيد لله، ما يصح لنا أن نشرك بالله غيره، وهو المنفرد بالوحدانية، ذلك التوحيد والإيمان الذي أنا عليه وآبائي هو من فضل الله علينا أن وفقنا له، ومن فضله على الناس جميعاً حين بعث إليهم الأنبياء به، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه، بل يكفرونه.

﴿٢٩﴾ ثم خاطب يوسف الغلامين في السجن قائلاً: أعباداً آلهة متعددة خير، أم عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لغيره، الذي لا يقهره؟ ﴿٣٠﴾ ما تعبدون من دون الله إلا أسماء على غير مسميات، سميتوها أنتم وآباؤكم آلهة، ليس لها في الألوهية نصيب، لم يُنزل الله بتسميتكم لها حجة تدل على صحتها، ليس الحكم في جميع المخلوقات إلا لله وحده، لا لهذه الأسماء التي سميتوها أنتم وآباؤكم، أمر الله سبحانه أن تؤخّده بالعبادة، ونهى أن تشركوا معه غيره، ذلك التوحيد هو الدين المستقيم الذي لا عوجاج فيه، ولكن أكثر الناس لا يعملون ذلك، ولذلك يشركون بالله، فيعبدون بعض مخلوقاته.

﴿٣١﴾ يا رفيقي السجن، أما الذي رأى أنه يعصر عنباً ليصير خمراً فإنه يخرج من السجن، ويرجع إلى عمله، فيسقي الملك، وأما الذي رأى أن فوق رأسه خبزاً تَأْكُل الطير منه فإنه يقتل ويصلب، فتأكل الطير من لحم رأسه، فرغ الأمر الذي طلبتما الفتيا فيه وتم، فهو واقع لا محالة.

﴿٣٢﴾ وقال يوسف للذي ظن أنه ناج

منهما - وهو ساقى الملك -: اذكر قصتي وشأني عند الملك؛ لعله يخرجني من السجن، فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك، فمكث يوسف في السجن بعد ذلك عدة سنوات.

﴿٣٣﴾ وقال الملك: إني رأيت في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع سنبلات خضر، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والأشراف، أخبروني بتأويل رؤيائي هذه إن كنتم عالمين بتأويل الرؤيا.

﴿٣٤﴾ من قواید الآيات،

● وجوب اتباع ملة إبراهيم، والبراءة من الشرك وأهله.

● في قوله: ﴿أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ...﴾ دليل على أن هؤلاء المصريين كانوا أصحاب ديانة سماوية لكنهم أهل إشراك.

● كل الآلهة التي تعبد من دون الله ما هي إلا أسماء على غير مسميات، ليس لها في الألوهية نصيب.

● استغلال المناسبات للدعوة إلى الله، كما استغلها يوسف ﷺ في السجن.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٣١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءُوسِهَا إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَى يَافِعُونَ ﴿٣٣﴾

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
 فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
 وَأُخْرَىٰ يَأْسَتِ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
 تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
 قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
 مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي
 بِهَٰذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ
 النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾
 قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ
 لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ
 الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
 لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٤﴾ قالوا: رؤياك أحلامٌ أحلام، وما كان كذلك فلا تأويل له، ولسنا عالمين بتأويل الأحلام المختلطة.
 ﴿٤٥﴾ وقال الساقى الذى نجا من الغلامين السجينين، وتذكر يوسف ﷺ وما هو عليه من علم تأويل الرؤيا بعد مدة: أنا أخبركم بتأويل ما رآه الملك بعد سؤال من له علم بتأويلها، فابعثني - أيها الملك - إلى يوسف ليؤول رؤياك.

﴿٤٦﴾ فلما وصل الناجي إلى يوسف قال له: يا يوسف، أيها الصديق، أخبرنا عن تأويل من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر، ورأى سبع سنبلات يابسات؛ لعلني أرجع إلى الملك ومن عنده لعلمهم يعلمون تبير رؤيا الملك، ويعلمون فضلك ومكانتك.

﴿٤٧﴾ قال يوسف ﷺ معبراً هذه الرؤيا: تزرعون سبع سنين متتابعة بجد، فما حصدتم في كل سنة من تلك السنين السبع فاطر كوه في سنبله منفا له من التسوس، إلا قليلاً مما تحتاجون لأكله من الحبوب.

﴿٤٨﴾ ثم تجيء من بعد تلك السنين السبع المخصبة التي زرعت فيها سبع سنين مجدبة يأكل الناس فيها كل ما حصد في السنين المخصبة إلا قليلاً مما تحفظونه مما يكون بذراً.

﴿٤٩﴾ ثم يجيء بعد تلك السنين المجدبة عام تنزل فيه الأمطار، وتبت الزروع، ويعصر فيه الناس ما يحتاج للعصر كالعنب والزيتون والقصب.

﴿٥٠﴾ وقال الملك لأعوانه لما بلغه تبير يوسف لرؤياه: أخرجوه من السجن، وأؤتوني به، فلما جاء يوسف رسول الملك قال له: أرجع إلى سيدك الملك فاسأله عن قصة النسوة اللاتي جرّحن أيديهن، حتى تظهر براءته قبل الخروج من السجن، إن ربي بما صنعتن بي من المُرَاوَدَةِ عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٥١﴾ قال الملك مخاطباً النسوة: ما شأنكن حين طلبتن يوسف بحيلة؛ ليعمل الفاحشة معكن؟ قالت النسوة جواباً للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهماً، والله ما علمنا عليه من سوء، فعند ذلك قالت زوجة العزيز مَقْرَّةً بما صنعت: الآن ظهر الحق، أنا حاولت إغواءه، ولم يحاول إغوائى، وإنه لمن الصادقين فيما ادعاه من براءته مما رميته به.

﴿٥٢﴾ قالت امرأة العزيز: ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذى راودته، وأنه صادق أنني لم أفتري عليه في غيابه، فقد تبين لي مما حصل أن الله لا يوفق من يكذب ويمكر.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من كمال أدب يوسف أنه أشار لحدث النسوة ولم يشر إلى حدث امرأة العزيز.
- كمال علم يوسف ﷺ في حسن تبير الرؤى.
- مشروعية تبرئة النفس مما نسب إليها ظلمًا، وطلب تقصّي الحقائق لإثبات الحق.
- فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس.

﴿٥٤﴾ وَمَا أَتَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالْسُوءِ ۚ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ۖ أَمِينٌ ﴿٥٦﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٧﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نَصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦١﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ۖ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٢﴾ قَالُوا سَرَوْهُ عَنْهُ آبَاؤُا وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ وَلِحَافِظُونَ ﴿٦٥﴾

٢٤٢

﴿٥٤﴾ وواصلت امرأة العزيز كلامها قائلة: وما أنزه نفسي عن إرادة السوء، وما أردت بذلك تزكية نفسي؛ لأن شأن النفس البشرية كثرة الأمر بالسوء لميلها إلى ما تشتهييه وصعوبة كنفها عنه، إلا ما رحمه الله من النفوس، فغصمها من الأمر بالسوء، إن ربي غفور لمن تاب من عبادته، رحيم بهم. ﴿٥٥﴾ وقال الملك لأعوانه لما تبين براءة يوسف وعلمها: جيئوني به أجعله خالصاً لنفسي، فجاءوه به، فلما كلمه، وتبين له علمه وعقله قال له: إنك - يا يوسف - قد صرت اليوم عندنا صاحب مكانة وجاه وموثماً.

﴿٥٦﴾ قال يوسف للملك: ولّني على حفظ خزائن المال والأقوات في أرض مصر، فأني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه.

﴿٥٧﴾ وكما منّنا على يوسف بالبراءة والخلاص من السجن منّنا عليه بالتمكين له في مصر، ينزل ويقيم في أي مكان شاء، نعطي من رحمتنا في الدنيا من نشاء من عبادنا، ولا نضيع ثواب المحسنين، بل نوفيهم إياه كاملاً غير منقوص.

﴿٥٨﴾ ولثواب الله الذي أعده في الآخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا بالله وكانوا يتقونه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٥٩﴾ وقدم إخوة يوسف إلى أرض مصر ببضاعة لهم، فدخلوا عليه، فعرف أنهم إخوته، ولم يعرفوا أنه أخوهم؛ لطول المدة وتغير هيئته؛ لأنه كان صبيّاً حين رموه في البئر.

﴿٦٠﴾ ولما أعطاهم ما طلبوه من الميرة والزاد، قال بعد أن أخبروه أن لهم أخاً من أبيهم تركوه عند أبيه: جيئوني بأخيكم من أبيكم أزدكم حمل بغير، ألا ترون أني أكمل الكيل ولا أنقصه، وأنا خير المضفين.

﴿٦١﴾ فإن لم تجيئوني به تبين كذبكم في دعواكم أن لكم أخاً من أبيكم، فلن أكيل لكم طعاماً، ولا تقربوا بلدي.

﴿٦٢﴾ فأجابه إخوته قائلين: سنطلبه من أبيه، ونجتهد في ذلك، وإنا لفاعلون ما أمرتنا به دون تقصير.

﴿٦٣﴾ وقال يوسف لعمّاله: ردوا بضاعة هؤلاء إليهم حتى يعرفوا عند عودتهم أننا لم نبتئها منهم، وهذا يجبرهم على الرجوع ثانية ومعهم أخوهم؛ ليثبتوا ليوسف صدقهم، ويقبل منهم بضاعتهم.

﴿٦٤﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم، وقصوا عليه ما كان من إكرام يوسف لهم قالوا: يا أبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ إِن لَّمْ نَأْتِ بِأَخِينَا مَعَنَا فَابْعَثْهُ مَعَنَا، فإنك إن بعثته معنا نكتل الطعام، وإنا لنعتهد لك بحفظه حتى يرجع إليك سالمًا.

﴿٦٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• من أعداء المؤمن: نفسه التي بين جنبيه؛ لذا وجب عليه مراقبتها وتقويم اعوجاجها.

• اشتراط العلم والأمانة فيمن يتولى منصباً يصلح به أمر العامة.

• بيان أن ما في الآخرة من فضل الله، إنما هو خير وأبقى وأفضل لأهل الإيمان.

• جواز طلب الرجل المنصب ومدحه لنفسه إن دعت الحاجة، وكان مريدًا للخير والصلاح.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ
 قَبْلُ فَأَلَّهٖ خَيْرَ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَا
 مَا نَبَغِيَ هَٰذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانَا وَنَزِدُكَ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِنِي
 بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّ آتَاهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
 نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ
 وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ
 يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
 قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿ ٢٤٣ ﴾

﴿٦٤﴾ قال لهم أبوهم: هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه الشقيق: يوسف من قبل؟ فقد آمنكم عليه، وتعهدهم بحفظه، ولم تقوا بما تعهدتم به، فلا ثقة عندي بتعهدهم بحفظه، وإنما تقتي بالله، فهو خير الحافظين لمن أراد حفظه، وأرحم الراحمين بمن أراد رحمته.

﴿٦٥﴾ ولما فتحوا أوعية طعامهم الذي جلبوه وجدوا ثمنه رد إليهم، فقالوا لأبيهم: أي شيء نطلب من هذا العزيز بعد هذا الإكرام؟ وهذا ثمن طعامنا رده العزيز تفضلاً منه علينا، ونجلب الطعام لأهلنا، ونحفظ أخانا مما تخافه عليه، ونزداد كيل بعير بسبب اصطحابه، فزيادة كيل بعير أمر سهل عند العزيز. ﴿٦٦﴾ قال لهم أبوهم: لن أبعثه معكم حتى تؤتوني عهد الله مؤكداً أن تردوه إلي إلا إن أحاط هلاك بكم جميعاً، ولم يبق منكم أحداً، ولم تقدرُوا على دفعه ولا الرجوع، فلما أعطوه عهد الله المؤكد على ذلك، قال: الله شهيد على ما نقول، فتكفينا شهادته.

﴿٦٧﴾ وقال لهم أبوهم موصياً إياهم: لا تدخلوا مصر من باب واحد مجتمعين، لكن ادخلوا من أبواب متفرقة، فذلك أسلم من أن يعثمكم أحد بضرر إن أراد بهكم. ولا أقول لكم ذلك لأدفع عنكم ضرراً أراد الله بكم، ولا لأجلب لكم نفعاً لم يرد الله، فالقضاء ليس إلا قضاء الله، والأمر ليس إلا أمره، عليه وحده توكلت في كل أموري، وعليه وحده فليتوكل المتوكلون في أمورهم.

﴿٦٨﴾ فارتحلوا ومعهم أخوه الشقيق، ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة شيئاً مما قدره الله عليهم، إنما هي شفقة يعقوب على أولاده، أظهرها، ووصاهم بها، وهو يعلم أن لا قضاء إلا قضاء الله، فهو عالم بما علمناه من الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، ولكن أكثر الناس يعلمون ذلك.

﴿٦٩﴾ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف، ومعهم أخوه الشقيق، ضم إليه أخاه الشقيق، وقال له سرّاً: إني أنا أخوك الشقيق: يوسف، فلا تحزن لما كان يصنعه إخوتك من الأعمال الطائشة: من إيذاء وحقد علينا، وإلقاءهم إياي في البئر.

﴿٧٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الأمر بالاحتياط والحذر ممن أثير عنه غدرٌ، وقد ورد في الحديث الصحيح: ((لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ))، [أخرجه البخاري ومسلم].

● من وجوه الاحتياط التأكد بأخذ الموثيق المؤكدة باليمين، وجواز استحلاف المخوف منه على حفظ الودائع والأمانات.

● يجوز لطالب اليمين أن يستثني بعض الأمور التي يرى أنها ليست في مقدور من يحلف اليمين.

● من الأخذ بالأسباب الاحتياط من المهالك.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾
وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ
وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَجْزَاؤُهُ
مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٢٤٤

﴿٧٠﴾ فلما أمر يوسف خُدَّامه بتحميل
إبل إخوته بالطعام جعل مكيال الملك
الذي يكيل به الطعام للمُتَارِينَ فِي
وعاء أخيه الشقيق دون علمهم توصلاً
إلى إبقائه معه، فلما ارتحلوا عائدِينَ
إلى أهلهم نادى منادٍ في إثرهم: يا
أصحاب الإبل المحملة بالميرة، إنكم
لسارقون.

﴿٧١﴾ قال إخوة يوسف، وأقبلوا
على المنادي في إثرهم ومن معه
من أصحابه: ماذا ضاع منكم حتى
تتهمونا بالسرقة؟

﴿٧٢﴾ قال المنادي ومن معه من
أصحابه لإخوة يوسف: ضاع منَّا صاع
الملك الذي يكيل به، ولمن جاء بصاع
الملك قبل التفتيش جُعل، وهو حمل
جمل، وأنا ضامن له ذلك.

﴿٧٣﴾ قال لهم إخوة يوسف: والله
لقد علمتم نزاهتنا وبراءتنا، كما
رأيتهم من أحوالنا، وأنا ما جئنا أرض
مصر لنفسد فيها، وما كنا في حياتنا
سارقين.

﴿٧٤﴾ قال المنادي وأصحابه: فما جزاء
من سرقه عندهم إن كنتم كاذبين في
دعواكم البراءة من السرقة؟

﴿٧٥﴾ قال لهم إخوة يوسف: جزاء
السارق عندهم أن من وُجد المسروق
في وعائه يسلم برقبته للمسروق
منه يسترقه، مثل هذا الجزاء
بالاسترقاق نجزي السارقين.

﴿٧٦﴾ فأرجعهم إلى يوسف لتفتيش
أوعيتهم، فبدأ بتفتيش أوعية إخوته
غير الأشقاء قبل تفتيش وعاء أخيه
الشقيق سترًا للحيلة، ثم فتش وعاء
شقيقه، وأخرج صاع الملك منه، كما
كدنا ليوسف بتدبير وضع الصاع في
وعاء أخيه، كدنا له أمرًا آخر أن يأخذ

إخوته بعقاب بلدهم باسترقاق السارق، هذا الأمر لا يتحقق لو عمل بعقاب الملك للسارق الذي هو الضرب والتغريم، إلا أن يشاء الله
تدبيرًا آخر فهو قادر عليه، نرفع مراتب من نشاء من عبادنا كما رفعنا مرتبة يوسف، وفوق كل صاحب علم من هو أعلم منه، وفوق
علم الجميع علم الله الذي يعلم كل شيء.

﴿٧٧﴾ قال إخوة يوسف: إن يسرق فلا عجب، فقد سرق أخ له شقيق من قبل سرقة هو، يعنون يوسف ﷺ، فأخفى يوسف تأذيه
بقولتهم هذه، ولم يظهرها لهم، قال لهم في نفسه: ما أنتم عليه من حسدٍ وصنيعٍ سوءٍ سبق منكم، هو الشر بعينه في هذا المقام،
والله تعالى أعلم بهذا الافتراء الذي يصدر منكم.

﴿٧٨﴾ قال إخوة يوسف ليوسف: أيها العزيز، إن له والدًا شيخًا طاعنًا في السن يحبه كثيرًا، فأمسك أحدنا بدلًا منه، إنا نراك من
المحسنين في معاملتنا ومعاملة غيرنا، فأحسن إلينا بذلك.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- جواز الحيلة التي يُتَوَصَّلُ بها لإحقاق الحق، بشرط عدم الإضرار بالغير.
- يجوز لصاحب الضالة أو الحاجة الضائعة رصد جُعلٍ «مكافأة» مع تعيين قدره وصفته لمن عاونه على ردها.
- التغافل عن الأذى والإسرار به في النفس من محاسن الأخلاق.

﴿٧٦﴾ قَالَ يَوْسُفُ ۖ عِيَاذًا بِاللّٰهِ اَنْ نَّظْلِمَ بَرِيًّا بِجْرَمِ ظَالِمٍ، فَنَمْسِكَ غَيْرَ مِنْ وَجَدْنَا صَاعَ الْمَلِكِ فِي وَعَائِهِ، اِنَّا اِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لظَالِمُونَ، حَيْثُ عَاقَبْنَا بَرِيًّا، وَتَرَكْنَا جَانِبًا.

﴿٧٧﴾ فَلَمَّا يَأْسُوا مِنْ اِجَابَةِ يَوْسُفَ لَطَلِبُهُمْ انْقَرَدُوا عَنْ النَّاسِ لِلتَّشَاوُرِ، قَالَ اُخُوهُمْ الْكَبِيرُ: اذْكُرْكُمْ اَنْ اَبَاكُمْ قَدْ اخَذَ عَلَيْكُمْ عَهْدَ اللّٰهِ مُؤَكَّدًا عَلٰى اَنْ تَرُدُّوْا اِلَيْهِ ابْنَهُ اِلَّا اَنْ يَحَاطَ بِكُمْ بِمَا لَا تَقْدِرُوْنَ عَلٰى دَفْعِهِ، وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْ فَرَطْتُمْ فِي يَوْسُفَ، وَلَمْ تَقْوَا بِعَهْدِكُمْ لِأَيِّكُمْ فِيهِ، فَلَنْ اُتْرِكَ اَرْضُ مِصْرَ حَتَّى يَسْمَحَ لِيْ اَبِيْ بِالرَّجُوعِ اِلَيْهِ، اَوْ يَقْضِيَ اللّٰهُ لِيْ بِاَخَذِ اُخِي، وَاللّٰهُ خَيْرُ الْقَاضِيْنَ، فَهُوَ يَقْضِيْ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

﴿٧٨﴾ وَقَالَ الْاَخُ الْكَبِيرُ: عَوْدُوا اِلٰى اَيِّكُمْ، فَقُولُوا لَهُ: اِنْ اَبْنُكَ سَرَقَ، فَاسْتَرْقَهُ عَزِيزُ مِصْرَ عَقُوبَةً لَهُ عَلٰى سَرَقَتِهِ، وَمَا اَخْبَرْنَا اِلَّا بِمَا عَلِمْنَا مِنْ مُشَاهَدَتِنَا لِلصَّاعِ يَخْرُجُ مِنْ وَعَائِهِ، وَمَا كَانَ لَنَا عِلْمٌ بِاَنَّهُ يَسْرُقُ، وَلَوْ عَلِمْنَا ذَلِكَ مَا عَاهَدْنَاكَ عَلٰى رَدِّهِ.

﴿٧٩﴾ وَلِتَحَقِّقْ مِنْ صَدَقَاتِنَا اِسْأَلِ - يَا اَبَانَا - اَهْلَ مِصْرَ الَّتِي كُنَّا فِيْهَا، وَاسْأَلِ اَصْحَابَ الْقَافِلَةِ الَّتِي جِئْنَا مَعَهَا نَخْبِرُوكَ بِمَا اَخْبَرْنَاكَ بِهِ، وَاِنَّا لَصَادِقُونَ حَقًّا فِيمَا اَخْبَرْنَاكَ بِهِ مِنْ سَرَقَتِهِ.

﴿٨٠﴾ قَالَ لَهُمْ اَبُوهُمْ: لَيْسَ الْاَمْرُ كَمَا ذَكَرْتُمْ مِنْ كَوْنِهِ سَرَقَ، بَلْ زَيَّيْتُ لَكُمْ اَنْفُسَكُمْ اَنْ تَمْكُرُوا بِهِ كَمَا مَكَّرْتُمْ بِاُخِيهِ يَوْسُفَ مِنْ قَبْلِ، فَصَبِرِيْ صَبْرَ جَمِيْلٍ، لَا شَكُوْى فِيْهِ اِلَّا اِلَى اللّٰهِ، عَسٰى اللّٰهُ اَنْ يَّعِيْدَهُمْ اِلَيَّ جَمِيْعًا: يَوْسُفَ وَشَقِيْقَهُ، وَاُخَاهُمَا الْكَبِيرَ، اِنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الْعَلِيْمُ بِحَالِي، الْحَكِيْمُ فِي تَدْبِيْرِهِ لِأَمْرِيْ.

﴿٨١﴾ وَابْتَعَدَ مَعْرُضًا عَنْهُمْ، وَقَالَ: يَا شِدَّةَ حَزْنِيْ عَلٰى يَوْسُفَ، وَصَارَ سَوَادُ عَيْنِيْهِ بَيَاضًا مِنْ كَثْرَةِ مَا بَكَى عَلَيْهِ، فَهُوَ مَمْلُوءٌ حَزْنًا وَهَمًّا، يَكْتُمُ حَزْنَهِ عَنِ النَّاسِ.

﴿٨٢﴾ قَالَ اِخْوَةُ يَوْسُفَ لِأَيِّبِهِمْ: تَاللّٰهِ لَا تَزَالُ - يَا اَبَانَا - تَذْكُرُ يَوْسُفَ، وَتَتَفَجَّعُ عَلَيْهِ حَتَّى يَشْتَدَّ بِكَ الْمَرَضُ، اَوْ تَهْلِكَ فِعْلًا.

﴿٨٣﴾ قَالَ لَهُمْ اَبُوهُمْ: مَا اَشْكُوْا مَا اَصَابَنِيْ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ اِلَّا اِلَى اللّٰهِ وَحْدَهُ، وَاعْلَمْ مِنْ لَطْفِ اللّٰهِ وَاِحْسَانِهِ وَاجَابَتِهِ لِلْمُضْطَرِّ وَجَزَائِهِ لِلْمُصَابِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَهُ اَنْتُمْ.

﴿٨٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْاَيَّاتِ:

- لَا يَجُوزُ اخَذُ بَرِيٍّ بِجَرِيْرَةِ غَيْرِهِ، فَلَا يُوْخَذُ مَكَانَ الْمَجْرَمِ شَخْصٌ آخَرُ.
- الصَّبْرُ الْجَمِيْلُ هُوَ مَا كَانَتْ فِيْهِ الشَّكُوْى لِلّٰهِ تَعَالٰى وَحْدَهُ.
- عَلٰى الْمُؤْمِنِ اَنْ يَكُوْنَ عَلٰى تِمَامٍ يَقِيْنُ بِاَنْ اللّٰهُ تَعَالٰى يَفْرَجُ كَرْبَهُ.

قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اَنْ نَّأْخُذَ اِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتْلَعًا عِنْدَهُ وَاِنَّا اِذَا الظَّالِمُوْنَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا اَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ
قَالَ كَبِيْرُهُمْ اَلَمْ تَعْلَمُوْا اَنْ اَبَاكُمْ قَدْ اخَذَ عَلَيَّكُمْ مَّوْثِقًا مِنَ اللّٰهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِيْ يَوْسُفَ فَلَنْ اَبْرَحَ الْاَرْضَ حَتّٰى يَاْذَنَ لِيْ اَبِيْ اَوْ يَحْكُمَ اللّٰهُ لِيْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَ
﴿٨٠﴾ اَرْجِعُوْا اِلٰى اَيِّكُمْ فَقُولُوْا يَا اَبَانَا اِنَّ اَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا اِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِيْنَ
﴿٨١﴾ وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيْهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي اَقْبَلْنَا فِيْهَا وَاِنَّا لَصَادِقُوْنَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيْلًا عَسٰى اللّٰهُ اَنْ يَّاْتِيَنِيْ بِهِمْ جَمِيْعًا اِنَّهُ هُوَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿٨٣﴾ وَقَوَّلِيْ عَنْهُمْ وَقَالَ يٰٓاَسْفٰى عَلٰى يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيْمٌ
﴿٨٤﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ تَقْتُوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتّٰى تَكُوْنَ حَرَضًا اَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ ﴿٨٥﴾ قَالَ اِنَّمَا اَشْكُوْا بَنِيَّ وَحَزْنِيْ اِلَى اللّٰهِ وَاعْلَمْ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٨٦﴾

﴿٨٧﴾ وَابْتَعَدَ مَعْرُضًا عَنْهُمْ، وَقَالَ: يَا شِدَّةَ حَزْنِيْ عَلٰى يَوْسُفَ، وَصَارَ سَوَادُ عَيْنِيْهِ بَيَاضًا مِنْ كَثْرَةِ مَا بَكَى عَلَيْهِ، فَهُوَ مَمْلُوءٌ حَزْنًا وَهَمًّا، يَكْتُمُ حَزْنَهِ عَنِ النَّاسِ.

﴿٨٨﴾ قَالَ اِخْوَةُ يَوْسُفَ لِأَيِّبِهِمْ: تَاللّٰهِ لَا تَزَالُ - يَا اَبَانَا - تَذْكُرُ يَوْسُفَ، وَتَتَفَجَّعُ عَلَيْهِ حَتَّى يَشْتَدَّ بِكَ الْمَرَضُ، اَوْ تَهْلِكَ فِعْلًا.

﴿٨٩﴾ قَالَ لَهُمْ اَبُوهُمْ: مَا اَشْكُوْا مَا اَصَابَنِيْ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ اِلَّا اِلَى اللّٰهِ وَحْدَهُ، وَاعْلَمْ مِنْ لَطْفِ اللّٰهِ وَاِحْسَانِهِ وَاجَابَتِهِ لِلْمُضْطَرِّ وَجَزَائِهِ لِلْمُصَابِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَهُ اَنْتُمْ.

﴿٩٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْاَيَّاتِ:

- لَا يَجُوزُ اخَذُ بَرِيٍّ بِجَرِيْرَةِ غَيْرِهِ، فَلَا يُوْخَذُ مَكَانَ الْمَجْرَمِ شَخْصٌ آخَرُ.
- الصَّبْرُ الْجَمِيْلُ هُوَ مَا كَانَتْ فِيْهِ الشَّكُوْى لِلّٰهِ تَعَالٰى وَحْدَهُ.
- عَلٰى الْمُؤْمِنِ اَنْ يَكُوْنَ عَلٰى تِمَامٍ يَقِيْنُ بِاَنْ اللّٰهُ تَعَالٰى يَفْرَجُ كَرْبَهُ.

(٨٧) قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: يَا أَبْنَائِي، اذْهَبُوا فَتَعْرِفُوا مِنْ أَخْبَارِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ، وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ تَفْرِيجِ اللَّهِ وَتَفْرِيجِهِ وَتَفْرِيسِهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ عَظِيمَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَخَفِيِّ إِفْضَالِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

(٨٨) فَامْتَلَأُوا أَمْرَ أَبِيهِمْ، وَذَهَبُوا بَحْثًا عَنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ قَالُوا لَهُ: أَصَابَتْكُمُ الشَّدَّةُ وَالْفَقْرُ، وَاتَيْنَا بِبِضَاعَةٍ خَفِيرَةٍ زَهِيدَةٍ، فَكُلْ لَنَا كَيْلًا وَافِيًا كَمَا كُنْتَ تَكِيلُ لَنَا مِنْ قَبْلُ، وَتَصَدِّقْ عَلَيْنَا بِزِيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ بِالْتِغَاضِي عَنْ بِضَاعَتِنَا الْخَفِيرَةِ، إِنَّ اللَّهَ يُجَازِي الْمُتَصَدِّقِينَ بِأَحْسَنِ الْجَزَاءِ.

(٨٩) فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ رَقَ لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ، وَعَرَفَهُمْ بِنَفْسِهِ قَالَ لَهُمْ: قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَشَقِيقَتِهِ حِينَ كُنْتُمْ جَاهِلِينَ عَاقِبَتَهُ مَا فَعَلْتُمْ بِهِمَا؟

(٩٠) فَتَفَاجَّؤُوا، وَقَالُوا: إِنَّكَ أَنْتَ يُوسُفُ؟ قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: نَعَمْ أَنَا يُوسُفُ، وَهَذَا الَّذِي تَرَوْنَ مَعِيَ: أَخِي الشَّقِيقُ، قَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْخَلَاصِ مِمَّا كُنَّا فِيهِ، وَبَرَفَعَ الْقَدْرَ، إِنَّهُ مِنْ يَقِيقِ اللَّهِ بِأَمْتَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ؛ فَإِنَّ عَمَلَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، بَلْ يَحْفَظُهُ لَهُمْ.

(٩١) قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ مُعْتَذِرِينَ عَمَّا صَنَعُوا بِهِ: تَاللَّهِ لَقَدْ فَضَّلَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِمَا أَعْطَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَقَدْ كُنَّا فِيمَا صَنَعْنَا بِكَ مُسِيئِينَ ظَالِمِينَ. فَاقْبَلْ يُوسُفُ اعْتِذَارَهُمْ، وَقَالَ: لَا لَوْمَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَقْتَضِي عِقَابُكُمْ وَلَا تَوْبِيخَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ، وَهُوَ سَيَعَانَهُ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءِثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِيدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

(٩٦) فَأَعْطَاهُمْ قَمِيصَهُ لِمَا أَعْلَمُوهُ بِمَا آلَ إِلَيْهِ بَصَرَ أَبِيهِ، وَقَالَ: اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا، فَاطْرَحُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يُعْذِرَ لَهُ بَصْرَهُ، وَاحْضَرُوا إِلَيَّ أَهْلِيكُمْ كُلَّهُمْ.

(٩٧) وَلَمَّا خَرَجَتِ الْقَافِلَةُ مِنْ مِصْرَ، وَفَارَقَتِ الْعَامِرُ مِنْهَا قَالَ يَعْقُوبُ ﷺ لِأَبْنَائِهِ وَلِمَنْ عِنْدَهُ فِي أَرْضِهِ: إِنِّي لَأَشْمُ رَائِحَةَ يُوسُفَ، لَوْلَا أَنْكُمْ تَجْهَلُونَنِي وَتَسْبُونَنِي إِلَى الْخُرْفِ بِقَوْلِكُمْ: هَذَا شَيْخٌ خَرَفَ، يَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ.

(٩٨) قَالَ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ وَلَدَهُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَا تَزَالُ فِي تَوَهُمِكَ السَّابِقِ بِشَأْنِ مَنْزِلَةِ يُوسُفَ عِنْدَكَ وَإِمْكَانِيَةِ رُؤْيَيْهِ ثَانِيَةً.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- عظم معرفة يعقوب ﷺ بالله حيث لم يتغير حسن ظنه رغم توالي المصائب ومرور السنين.
- من خلق المعتذر الصادق أن يطلب التوبة من الله، ويعترف على نفسه ويطلب الصفح ممن تضرر منه.
- بالتقوى والصبر تبال أعظم الدرجات في الدنيا وفي الآخرة.
- قبول اعتذار المسيء وترك الانتقام، خاصة عند التمكن منه، وترك تأنيبه على ما سلف منه.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا
 يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
 أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
 دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
 إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
 لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
 رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم
 مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ
 رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ
 قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
 فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ
 وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

٢٤٧

﴿٩٦﴾ فلما جاء المُخْبِر بما يَسُرُّ يعقوب ألقى قميص يوسف على وجهه فصار بصيرًا، عندئذ قال لأبنائه: ألم أقل لكم إني أعلم من لطف الله وإحسانه ما لا تعلمونه أنتم؟

﴿٩٧﴾ قال أبناؤه معتذرين لأبيهم يعقوب عما فعلوه بيوسف وأخيه: يا أبانا، اطلب من الله المغفرة لذنوبنا السابقة، إنا كنا مذنبين مسيئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه. ﴿٩٨﴾ قال لهم أبوهم: سوف أطلب لكم المغفرة من ربي، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عبادته، الرحيم بهم.

﴿٩٩﴾ وخرج يعقوب وأهله من أرضهم قاصدين يوسف في مصر، فلما دخلوا عليه ضمَّ إليه أباه وأمه، وقال لإخوته وأهلهم: ادخلوا مصر بمشيئة الله آمنين لا يصيبكم فيها أذى.

﴿١٠٠﴾ وأجلس أبويه على السرير الذي يجلس عليه، وحيَّاه أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود وكان سجود تشريف لا عبادة، تحقيقًا لأمر الله كما في الرؤيا، لذا قال يوسف لأبيه: هذه التحية بالسجود لي منكم هي تأويل رؤيائي التي رأيتهَا من قبل وقصصتها عليك، قد ضيَّرها ربي حقًا بوقوعها، وقد أحسن إليَّ ربي حين أخرجني من السجن، وحين جاء بكم من البادية من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إن ربي لطيف في تدييره لما يشاء، إنه هو العليم بأحوال عبادِهِ، الحكيم في تدييره.

﴿١٠١﴾ ثم دعا يوسف ربه، فقال: يا رب، قد أعطيتني ملك مصر، وعلمتني تعبِير الرؤى، يا خالق السماوات والأرض ومبدعها على غير مثال سابق، أنت متولي جميع أموري في الحياة الدنيا، ومتولي جميعها في الآخرة، اقبضني عند انتهاء أجلي مسلمًا، وألحقني بالأنبياء الصالحين من آبائي وغيرهم في الفردوس الأعلى من الجنة.

﴿١٠٢﴾ ذلك المذكور من قصة يوسف وإخوته نوحيه إليك - أيها الرسول - لم يكن لك علم به، إذ لم تكن حاضرًا عند إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في قعر البئر، ودبروا ما دبروا من الحيلة، ولكننا أوحينا إليك ذلك. ﴿١٠٣﴾ وما أكثر الناس بمؤمنين ولو بذلت - أيها الرسول - كل جهد ليؤمنوا، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بر الوالدين وتبجيلهما وتكريمهما واجب، ومن ذلك المسارعة بالبشارة لهما فيما يدخل السرور عليهما.
- التحذير من نزغ الشيطان، ومن الذي يسعى بالوقعة بين الأحباب؛ ليفرق بينهم.
- مهما ارتفع العبد في دينه أو دنياه فإنَّ ذلك كله مرجعه إلى تفضُّل الله تعالى وإنعامه عليه.
- سؤال الله حسن الخاتمة والسلامة والفوز يوم القيامة والالتحاق برفقة الصالحين في الجنان.
- من فضل الله تعالى أنه يُطْلَع أنبياءه على بعض من أمور الغيب لغايات وحكم.

رب، قد أعطيتني ملك مصر، وعلمتني تعبِير الرؤى، يا خالق السماوات والأرض ومبدعها على غير مثال سابق، أنت متولي جميع أموري في الحياة الدنيا، ومتولي جميعها في الآخرة، اقبضني عند انتهاء أجلي مسلمًا، وألحقني بالأنبياء الصالحين من آبائي وغيرهم في الفردوس الأعلى من الجنة.

﴿١٠٢﴾ ذلك المذكور من قصة يوسف وإخوته نوحيه إليك - أيها الرسول - لم يكن لك علم به، إذ لم تكن حاضرًا عند إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في قعر البئر، ودبروا ما دبروا من الحيلة، ولكننا أوحينا إليك ذلك. ﴿١٠٣﴾ وما أكثر الناس بمؤمنين ولو بذلت - أيها الرسول - كل جهد ليؤمنوا، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بر الوالدين وتبجيلهما وتكريمهما واجب، ومن ذلك المسارعة بالبشارة لهما فيما يدخل السرور عليهما.
- التحذير من نزغ الشيطان، ومن الذي يسعى بالوقعة بين الأحباب؛ ليفرق بينهم.
- مهما ارتفع العبد في دينه أو دنياه فإنَّ ذلك كله مرجعه إلى تفضُّل الله تعالى وإنعامه عليه.
- سؤال الله حسن الخاتمة والسلامة والفوز يوم القيامة والالتحاق برفقة الصالحين في الجنان.
- من فضل الله تعالى أنه يُطْلَع أنبياءه على بعض من أمور الغيب لغايات وحكم.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَأٍ وَلَا يَرْدُ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿١٠٤﴾ ولو عقلوا لآمنوا بك؛ لأنك لم تطلب منهم - أيها الرسول - على القرآن ولا على ما تدعوهم إليه ثواباً، فليس القرآن إلا تذكيراً لجميع الناس. ﴿١٠٥﴾ وكثيرة هي الآيات الدالة على توحيده سبحانه مبثوثة في السماوات وفي الأرض، يمررون عليها وهم عن التأمل فيها والاعتبار بها معرضون، لا يلتفتون إليها.

﴿١٠٦﴾ وما يؤمن أكثر الناس بالله أنه الخالق الرازق المحيي المميت إلا وهم يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان، ويدعون أن له ولداً، سبحانه. ﴿١٠٧﴾ أفأمن هؤلاء المشركون أن تأتيهم عقوبة في الدنيا تفرمهم وتظللهم، لا يستطيعون دفعها، أو تأتيهم الساعة فجأة، وهم لا يحسون باتيانها فيستعدوا لها، فذلك لم يؤمنوا! ﴿١٠٨﴾ قل - أيها الرسول - لمن تدعوه: هذه طريقي التي أدعو الناس إليها، على حجة واضحة أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، واهتدي بهديي، واستن بسنتي، وسبحان الله عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولست من المشركين بالله، بل أنا من الموحدين له سبحانه.

﴿١٠٩﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجلاً من البشر لا ملائكة، نوحى إليهم كما أوحينا إليك، من أهل المدن لا من أهل البوادي، فكذبهم أمهم فأهلكناها، أفلم يسر هؤلاء المكذبون بك في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية المكذابين من قبلهم فيعتبروا بهم؟ وما في الدار الآخرة من النعيم خير للذين اتقوا الله في الدنيا، أفلا تعقلون أن ذلك خير

فتتقوا الله بامثال أوامره - وأعظمها الإيمان - وباجتناب نواهيه، وأكبرها الشرك بالله.

﴿١١٠﴾ هؤلاء الرسل الذين نرسلهم نهل أعداءهم، ولا نعالجهم العقوبة استدراجاً لهم، حتى إذا تأخر إهلاكهم، ويئس الرسل من هلاكهم، وظن الكفار أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من العقاب للمكذبين، وإنجاء المؤمنين؛ جاء نصرنا لرسنا، ونجى الرسل والمؤمنون من الهلاك الواقع على المكذبين، ولا يرد عذابنا عن القوم المجرمين عندما ننزل بهم.

﴿١١١﴾ لقد كان في قصص الرسل وقصص أمهم، وفي قصة يوسف وإخوته موعظة يتعظ بها أصحاب العقول السليمة، ما كان القرآن المشتغل على ذلك كلاماً مختلفاً مكدوباً على الله، ولكن كان تصديقاً للكتب السماوية المنزلة من عند الله، وتفصيلاً لكل ما يحتاج إلى تفصيله من الأحكام والشرائع، وإرشاداً لكل خير، ورحمة لقوم يؤمنون به، فهم الذين ينتفعون بما فيه.

﴿١١٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الداعية لا يملك تصريف قلوب العباد وحملها على الطاعات، وأن أكثر الخلق ليسوا من أهل الهداية.
- ذم المعرضين عن آيات الله الكونية ودلائل توحيده المبثوثة في صفحات الكون.
- شملت هذه الآية ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي...﴾ ذكر بعض أركان الدعوة، ومنها: أ - وجود منهج: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾. ب - ويقوم المنهج على العلم: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾. ج - وجود داعية: ﴿أَدْعُوا﴾. د - وجود مدعوين: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

● من مقاصد السورة:

الرد على منكري الوحي والنبوة
ببيان مظاهر عظمة الله.

● التفسير:

● (الم) تقدم الكلام على
نظائرها في بداية سورة البقرة.
هذه الآيات الرفيعة في هذه السورة،
والقرآن الذي أنزله الله عليك - أيها
الرسول - هو الحق الذي لا مرية

فيه، ولا شك أنه من عند الله، ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون به عنادًا وتكبرًا.

● (٢) الله هو الذي خلق السماوات
مرفوعات دون دعائم تشاهدونها،

ثم علا وارتفع على العرش علوًا يليق
به سبحانه من غير تكيف ولا تمثيل،

وذلل الشمس والقمر لمنافع خلقه،
كل من الشمس والقمر يجري لأمد

محدد في علم الله، يصرف سبحانه
الأمر في السماوات والأرض بما يشاء،

يبين الآيات الدالة على قدرته رجاء
أن توفقوا بقاء ربكم يوم القيامة،

فتستعدوا له بالعمل الصالح.

● (٣) وهو سبحانه الذي بسط الأرض،
وخلق فيها جبالاً ثوابت حتى لا

تضطرب بالناس، وجعل فيها أنهارًا
من ماء لتسقي الناس ودوابهم

وزروعهم، ومن كل أنواع الثمرات
جعل فيها صنفين كالذكر والأنثى في

الحيوان، يلبس الليل النهار، فيصير
مظلمًا بعدما كان منيرًا، إن في ذلك

المذكور أدلة وبراهين لقوم يتفكرون
في صنع الله، ويتأملون فيه، فهم

الذين ينتفعون بتلك الأدلة والبراهين.
● وفي الأرض بقاع متقاربة،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ
وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ
النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي الْأَرْضِ
قِطْعٌ مُّتَجَوِّزٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ
وغيرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤ وَإِنْ تَعَجَّبَ
فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءَاكُنَّا ثَرَابًا ٥ أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٌ جَدِيدٌ
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي
أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٥

وفيها بساتين من أعناب، وفيها زرع، ونخلات مجتمعة في أصل واحد، ونخلات منفردات بأصلها، تُسقى هذه البساتين وتلك الزروع
بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الطعم وغيره من الفوائد على رغم تجاورها وسقيها بماء واحد، إن في ذلك المذكور لأدلة
وبراهين لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بذلك.

● (٥) وإن تتعجب - أيها الرسول - من شيء، فأحق ما تتعجب منه تكذيبهم بالبعث، وقولهم احتجاجًا لإنكاره: إذا متنا وصرنا
ترابًا وعظامًا بالية نخرة أتبعث وتُعاد أحياء؟ أولئك المنكرون للبعث بعد الموت الذين كفروا بربهم فأنكروا قدرته على بعث الموتى،
وأولئك توضع السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك هم أصحاب النار، وهم فيها ماكثون أبدًا، لا يلحقهم فناء، ولا
يقطع عنهم العذاب.

● من قوايد الآيات:

● إثبات قدرة الله ﷻ والتعجب من خلقه للسماوات على غير أعمدة تحملها، وهذا مع عظيم خلقها واتساعها. ● إثبات قدرة
الله وكمال ربوبيته ببرهان الخلق، إذ ينبت النبات الضخم، ويخرجه من البذرة الصغيرة، ثم يسقيها من ماء واحد، ومع هذا تختلف
أحجامه وألوان ثمراته وطعمها. ● أن إخراج الله تعالى للأشجار الضخمة من البذور الصغيرة، بعد أن كانت معدومة، فيه رد على
المشركين في إنكارهم للبعث؛ فإن إعادة جمع أجزاء الرفات المتفرقة والمتحللة في الأرض، وبعثها من جديد، بعد أن كانت موجودة،
هو بمنزلة أسهل من إخراج المعدم من البذرة.

٦ ويستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعقوبة، ويستبطئون نزولها بهم قبل استكمالهم النعم التي قدرها الله لهم، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من الأمم المكذبة، فلم لا يعتبرون بها؟ وإنا ربك - أيها الرسول - لذو تجاوز للناس مع ظلمهم، فلا يعاجلهم بالعقاب ليتوبوا إلى الله، وإنه لقوي العقاب للمُصْرِينَ على كفرهم إن لم يتوبوا.

٧ ويقول الذين كفروا بالله -تماديًا في الصدود والعناد - : هلا أنزل على محمد آية من ربه مثل ما أنزل على موسى وعيسى. إنما أنت -أيها الرسول - منذر تخوف الناس من عذاب الله، وليس لك من الآيات إلا ما أعطاك الله، ولكل قوم نبي يرشدهم إلى طريق الحق، ويدلهم عليه.

٨ الله يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها، يعلم كل شيء عنه، ويعلم ما يحصل في الأرحام من نقص وزيادة وصحة واعتلال، وكل شيء عنده سبحانه مُقدَّر بمقدار لا يزيد عليه ولا ينقص عنه.

٩ لأنه سبحانه عالم كل ما غاب عن حواس خلقه، وعالم كل ما تدركه حواسهم، العظيم في صفاته وأسمائه وأفعاله، المستعلي على كل مخلوق من مخلوقاته بذاته وصفاته.

١٠ يعلم السر وأخفى، يستوي في علمه من أخفى منكم - أيها الناس - القول، ومن أعلنه، ويستوي في علمه كذلك من هو مستتر بظلمة الليل عن أعين الناس، ومن هو ظاهر بأعماله في وضح النهار.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٧ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ٨ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ٩ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ١٠ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ وَمَنْ أَمَرَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ١١ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ١٣

١١ له ملائكة يَقُوبُ بعضهم بعضًا على الإنسان، فيأتي بعضهم بالليل، وبعضهم بالنهار، يحفظون الإنسان بأمر الله من جملة الأقدار التي كتب الله لهم منعها عنه، ويكتبون أقواله وأعماله، إن الله لا يغير ما بقوم إلا يغير ما بقوم من حال طيبة إلى حال غيرها لا تسرهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من حال الشكر، وإذا أراد الله سبحانه بقوم هلاكًا فلا راد لما أراد، وما لكم - أيها الناس - من دون الله من متول يتولى أموركم، فتلجؤوا إليه لدفع ما أصابكم من بلاء.

١٢ هو الذي يريكم - أيها الناس - البرق، ويجمع لكم به الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وهو الذي ينشئ السحاب المثل بماء المطر الغزير.

١٣ ويسبح الرعد ربّه تسبيحًا مقرونًا بحمده سبحانه، وتسبح الملائكة ربّها خوفًا منه واجلالًا وتعظيمًا له، ويرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من مخلوقاته فيهلكه، والكفار يخاصمون في وحدانية الله، والله شديد الحول والقوة، فلا يريد شيئًا إلا فعله.

١٤ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

● عظيم مغفرة الله وحلمه عن خطايا بني آدم، فهم يستكبرون ويتحدّون رسله وأنبياءه، ومع هذا يرزقهم ويعافهم ويحلم عنهم.

● سعة علم الله تعالى بما في ظلمة الرحم، فهو يعلم أمر النطفة الواقعة في الرحم، وصيرورتها إلى تخليق ذكر أو أنثى، وصحته واعتلاله، ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، فعلمه بها عام شامل.

● عظيم عناية الله ببني آدم، وإثبات وجود الملائكة التي تحرسه وتصوره وغيرهم مثل الحفظة.

● أن الله تعالى يغير حال العبد إلى الأفضل متى ما رأى منه اتباعًا لأسباب الهداية، فهداية التوفيق منوطة باتباع هداية البيان.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا
كَبْسِطُ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَغِيهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝١٤ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظَلَّلَهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ۝١٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا الْخَلْقَ ۝١٦ فَشَبَّهَ
الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْدُ ۝١٧ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ ۝١٨ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مِائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتْدُوا بِهِ
أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٩

لله وحده دعوة التوحيد لا يشاركه فيها أحد، والأصنام التي يدعوها المشركون من دونه لا تستجيب دعاء من يدعوها في أي مسألة، وما دعاؤهم لها إلا مثل عطشان يبسط يده إلى الماء ليصل إلى فيه فيشرب منه، وما الماء بواصل إلى فيه، وما دعاء الكافرين لأصنامهم إلا في ضياع ويبعد عن الصواب؛ لأنها لا تملك لهم جلب نفع، ولا دفع ضرر. ١٤ ولله وحده يخضع بالسجود جميع من في السموات ومن في الأرض، يستوي في ذلك المؤمن والكافر، غير أن المؤمن يخضع له ويسجد طوعًا، وأما الكافر فيخضع له كرها، وتملئ عليه فطرته أن يخضع له طوعًا، وله ينقاد ظل كل ما له ظل من المخلوقات أول النهار وآخره. ١٥ قل - أيها الرسول - للكفار الذين يعبدون مع الله غيره: من خالق السموات والأرض ومدبر أمرهما؟ قل - أيها الرسول -: الله هو خالقهما ومدبر أمرهما، وأنتم تقررون بذلك، قل - أيها الرسول - لهم: أفأناخذكم لأنفسكم أولياء من دون الله عاجزين، لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم، ولا كشف ضرر عنها، فأنى لهم أن يستطيعوا ذلك لغيرهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: هل يستوي الكافر الذي هو أعمى البصيرة، والمؤمن الذي هو البصير المهتدي؟ أم هل يستوي الكفر الذي هو ظلمات، والإيمان الذي هو نور؟ أم جعلوا لله سبحانه شركاء معه في الخلق خلقوا مثل خلق الله، فاختلط عندهم خلق الله بخلق شركائهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: الله وحده هو خالق كل شيء، لا شريك له في الخلق، وهو المنفرد بالالوهية، الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، الغالب على كل شيء.

١٧ ضرب الله مثلاً لتلاشي الباطل وبقاء الحق بمطر نازل من السماء حتى سالت به الأودية، كل حسب حجمه صغيراً وكبيراً، فحمل السيل الغناء والرغوة مرتفعاً فوق الماء، وضرب مثلاً آخر لهما ببعض ما يوقد الناس عليه من المعادن النفيسة ابتغاء صهرها وصنع ما يترزين الناس به، فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلو ذلك زبد منه، بمثل هذين المثلين يضرب الله مثل الحق والباطل، فالباطل مثل الغناء والزبد الطافي على الماء، ومثل ما ينفیه صهر المعدن من الصدا، والحق مثل الماء الصافي الذي يشرب منه، وينبت الثمار والكأ والعشب، ومثل ما بقي من المعدن بعد صهره فينتفع الناس به، كما ضرب الله هذين المثلين يضرب الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحق من الباطل. ١٨ للمؤمنين الذين أجابوا ربهم لما دعاهم لتوحيده وطاعته المثوبة الحسنی وهي الجنة، والكفار الذين لم يجيبوا دعوته إلى توحيده وطاعته لو اتفق أن لهم ما في الأرض من أنواع المال، ولهم مثله مضاعفاً إليه؛ لبدلوا كل ذلك فداءً لأنفسهم من العذاب، أولئك الذين لم يجيبوا دعوته يحاسبون على سيئاتهم كلها، ومسكنهم الذي يأوون إليه جهنم، وساء فراشهم ومستقرهم الذي هو النار.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • بيان ضلال المشركين في دعوتهم واستغاثتهم بغير الله تعالى، وتشبيه حالهم بحال من يريد الشرب فيبسط يده للماء بلا تناول له، وليس بشارب مع هذه الحالة؛ لكونه لم يتخذ وسيلة صحيحة لذلك. • أن من وسائل الإيضاح في القرآن: ضرب الأمثال وهي تقرب المعقول من المحسوس، وتعطي صورة ذهنية تعين على فهم المراد. • إثبات سجود جميع الكائنات لله تعالى طوعاً، أو كرهاً بما تملیه الفطرة من الخضوع له سبحانه.

* أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ
﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿١٩﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٠﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢١﴾
وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
مَتَعٌ ﴿٢٣﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٥﴾

﴿١٦﴾ لا يستوي الذي يعلم أن ما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه، وهو المؤمن المستجيب لله، ومن هو أعمى، وهو الكافر غير المستجيب لله، إنما يعتبر ويتعظ بذلك أصحاب العقول السليمة. ﴿٢٠﴾ الذين استجابوا لله هم الذين يوفون بما عاهدوا الله عليه أو عاهدوا عليه عباده، ولا ينكثون العهود الموثقة مع الله، أو مع غيره. ﴿٢١﴾ وهم الذين يصلون كل ما أمر الله بوصله من الأرحام، ويخشون ربهم خشية تدفعهم إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويخافون أن يحاسبهم الله على كل ما اكتسبوه من الإثم، فمن نوقش الحساب هلك. ﴿٢٢﴾ وهم الذين صبروا على طاعة الله، وعلى ما قدره الله عليهم مما يسر أو يسوء، وصبروا عن معصيته طلباً لمرضاة الله، وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وبذلوا مما أعطيناهم من الأموال الحقوق الواجبة، وبذلوا منها تطوعاً خفية للبعد عن الرياء، وجهراً ليتأسى بهم غيرهم، ويدفعون سوء من أساء إليهم بالإحسان إليه، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة يوم القيامة.

﴿٢٣﴾ هذه العاقبة المحمودة هي جنات يقيمون فيها مُنْعِمِينَ إقامة دائمة، ومن تمام نعيمهم فيها أن يدخلها معهم من استقام من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وأولادهم إكمالاً لأنفسهم بلقائهم، والملائكة يدخلون عليهم مهنتين من جميع أبواب منازلهم في الجنة. ﴿٢٤﴾ وتحبيهم الملائكة كلما دخلوا عليهم بقولهم:

سلام عليكم؛ أي: سلمتم من الآفات بسبب صبركم على طاعة الله، وعلى مرّ أقداره، وصبركم عن معصيته، فنعمة عاقبة الدار التي كانت عاقبتكم. ولما ذكر الله صفات المؤمنين ثلّى بصفات الكفار المعرضين، فقال: ﴿٢٥﴾ والذين ينكثون عهد الله من بعد توحيده، ويقطعون ما أمر الله بوصله من الأرحام، ويفسدون في الأرض بمعصية الله تعالى، أولئك البعداء الأشقياء لهم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء العاقبة وهو النار. ﴿٢٦﴾ الله يوسع في الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء من عباده، وليس توسيع الرزق علامة على السعادة ولا على محبة الله، ولا ضيقه علامة على الشقاء، وفرح الكفار بالحياة الدنيا فركنوا واطمأنوا إليها، وليست الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متاعاً قليلاً ذاهباً. ﴿٢٧﴾ ويقول الذين كفروا بالله وبآياته: هلاً أنزل على محمد آية حسية من ربه تدل على صدقه، فتؤمن به، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المقترحين: إن الله يضل من يشاء بعدله، ويهدي إليه من رجع إليه بالتوبة فضله، وليست الهداية بأيديهم حتى يربطوها بإنزال الآيات. ﴿٢٨﴾ هؤلاء الذين يهديهم الله هم الذين آمنوا، وتستأنس قلوبهم بذكر الله بتسبيحه وتحميده، وتلاوة كتابه وسماعه، وبغير ذلك من أنواع الذكر، ألا بذكر الله وحده تستأنس القلوب، وخلق بها ذلك.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهود، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة بالحسنة والتحذير من ضدها. ● أن مقاليد الرزق بيد الله سبحانه وتعالى، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبده لا ما ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضا الله أو سخطه على ذلك العبد. ● أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. ● من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي
كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبَّتُوا
عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ
بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْنِيسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ
اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّنْ
قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٢٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يُظَاهِرُ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْ كَرِهُوا صُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢٤﴾

﴿٢٠﴾ وهؤلاء الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة التي تقرهم إلى الله، لهم عيش طيب في الآخرة، ولهم العاقبة الحسنة وهي الجنة.

﴿٢١﴾ مثل هذا الإرسال الذي أرسلنا به الرسل السابقين إلى أممهم: أرسلناك - أيها الرسول - إلى أمتك؛ لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحيناه إليك، فهو كاف في الدلالة على صدقك، لكن حال قومك أنهم يجحدون هذه الآية؛ لأنهم يكفرون بالرحمن حيث يشركون معه غيره، قل لهم - أيها الرسول -: الرحمن الذي تشركون به غيره هو ربي الذي لا معبود بحق غيره، عليه توكلت في جميع أموري، وإليه توبتي.

﴿٢٢﴾ ولو كان من صفات كتاب من الكتب الإلهية أن تزال به الجبال عن أماكنها، أو تشقق به الأرض فتستحيل أنهارًا وعيونًا، أو يقرأ على الموتى فيصبروا أحياء - لكان هذا القرآن المنزل عليك - أيها الرسول - فهو واضح البرهان، عظيم التأثير لو أنهم كانوا اتقياء القلوب، لكنهم جاحدون. بل لله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها، أفلم يعلم المؤمنون بالله أنه لو يشاء الله هداية الناس جميعًا دون إنزال آيات لهداهم جميعًا دونها؟ لكنه لم يشأ ذلك، ولا يزال الذين كفروا بالله تصيبهم بما عملوا من الكفر والمعاصي داهية شديدة تقررهم، أو تنزل تلك الداهية قريبًا من دارهم، حتى يأتي وعد الله بنزول العذاب المتصل، إن الله لا يترك إنجاز ما وعد به إذا جاء وقته المحدد له.

﴿٢٣﴾ ولست أول رسول كذب به قومه وسخروا منه، فقد استهزأت أمم من قبلك - أيها الرسول - برسلها وكذبوا بهم، فأمهلت الذين كفروا برسلهم حتى ظنوا أنني غير مهلكهم، ثم أخذتهم بعد الإمهال بصنوف العذاب، فكيف رأيت عقابي لهم؟ لقد كان عقابًا شديدًا.

﴿٢٤﴾ أفمن هو قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق رقيب على كل نفس بما كسبت من عمل، فيجازيها على أعمالها، أولى أن يُعبد، أم هذه الأصنام التي لا حق لها أن تعبد؟ وقد جعلها الكفار شركاء لله ظلمًا وزورًا، قل لهم - أيها الرسول -: سمو لنا الشركاء الذين عبدتموهم مع الله إن كنتم صادقين في دعواكم، أم تخبرون الله بما لا يعلم في الأرض من الشركاء، أم تخبرونه بظاهر من القول لا حقيقة له؟ بل حسن الشيطان للذين كفروا تدبيرهم السيء، فكفروا بالله، وصرقهم عن سبيل الرشاد والهداية، ومن يضل الله عن سبيل الرشاد فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٥﴾ لهم عذاب في الحياة الدنيا بما ينالهم من القتل والأسر على أيدي المؤمنين، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشد عليهم وأثقل من عذاب الدنيا؛ لما فيه من الشدة والدوام الذي لا ينقطع، وليس لهم مانع يحميهم من عذاب الله يوم القيامة.

﴿٢٦﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أن الأصل في كل كتاب منزل أنه جاء للهداية، وليس لاستئزال الآيات، فذاك أمر لله تعالى يقدره متى شاء وكيف شاء.
- تسليية الله تعالى للنبي ﷺ، وإحاطته علمًا أن ما يسلكه معه المشركون من طرق التكذيب، واجهه أنبياء سابقون.
- يصل الشيطان في إضلال بعض العباد إلى أن يزين لهم ما يعملونه من المعاصي والإفساد.

﴿٢٧﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ أَكْتَابَ يَقْرَحُونَ
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وَقُلْ إِنَّمَا
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِ
﴿٢٩﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣١﴾
يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٢﴾ وَإِنْ مَا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٣٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٣٤﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٣٥﴾

﴿٢٧﴾ صفة الجنة التي وعد الله بها
المتقين له بامثال أوامره واجتناب
نواهيه أنها تجري من تحت قصورها
وأشجارها الأنهار، ثمارها دائمة لا
تقطع، عكس ثمار الدنيا، وظلها
دائم لا يزول، ولا يتقلص، تلك هي
عاقبة الذين اتقوا الله بامثال أوامره
واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين
النار يدخلونها ماكنين فيها أبدًا.

﴿٢٨﴾ والذين أعطيناهم التوراة من
اليهود، والذين أعطيناهم الإنجيل
من النصارى، يفرحون بما أنزل
عليك - أيها الرسول - لموافقته
لبعض ما أنزل عليهم، ومن طوائف
اليهود والنصارى من ينكر بعض ما
أنزل إليك مما لا يتفق مع أهوائهم، أو
مما يصفهم بالتبديل والتحريف، قل
لهم - أيها الرسول -: إنما أمرني الله
أن أعبد وحده، ولا أشرك به غيره،
إليه وحده أدعو ولا أدعو غيره، وإليه
وحده مرجعي، وبهذا جاءت التوراة
والإنجيل.

﴿٢٩﴾ ومثل إنزالنا الكتب السابقة
بالسنة أقوامها أنزلنا عليك - أيها
الرسول - القرآن قولاً فصلاً مبيناً
للحق عربياً، ولئن اتبعت - أيها
الرسول - أهواء أهل الكتاب في
مساومتهم لك بحذف ما لا يتفق مع
أهوائهم بعدما جاءك من العلم الذي
علمك الله إياه، فليس لك من الله ولي
يتولى أمرك، وينصرك على أعدائك،
وليس لك مانع يمنعك من عذابه.

﴿٣٠﴾ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك
- أيها الرسول - من البشر، فليست
بدعاً من الرسل، وجعلنا لهم أزواجاً،
وجعلنا لهم أولاداً كسائر البشر، ولم

نجعلهم ملائكة لا يتزوجون ولا ينجبون، وأنت من هؤلاء الرسل الذين هم بشر يتزوجون وينجبون، فلماذا يعجب المشركون من
كونك كذلك؟ ولا يصح لرسول أن يأتي من عنده بآية إلا أن أذن الله بإتيانه بها، لكل أمر قضاء الله كتاب ذكر فيه ذلك، وأجل لا
يتقدم ولا يتأخر. ﴿٣١﴾ يزيل الله ما يشاء إزالته من خير أو شر أو سعادة أو شقاء وغيرها، ويثبت ما يشاء منها، وعنده اللوح المحفوظ،
فهو مرجع كل ذلك، وما يظهر من محو أو إثبات مطابق لما هو فيه. ﴿٣٢﴾ وإن أريناك - أيها النبي - بعض ما نعدهم به من العذاب قبل
موتك فذلك إلينا، أو أمتاك قبل أن نريك إياه فليس عليك إلا تبليغ ما أمرك بتبليغه، وليس عليك مجازاتهم ولا محاسبتهم، فذلك
علينا. ﴿٣٣﴾ أولم يشاهد هؤلاء الكفار أنا نأتي أرض الكفر نناقضها من أطرافها بنشر الإسلام، وفتح المسلمين لها، والله يحكم ويقضي
بما يشاء بين عباده، ولا أحد يتعقب حكمه بنقض أو تغيير أو تبديل، وهو سبحانه سريع الحساب، يحاسب الأولين والآخرين في
يوم واحد. ﴿٣٤﴾ وقد مكرت الأمم السابقة بأنبيائها، وكادت لهم، وكذبوا بما جاؤوا به، فماداً فعلوا بتدبيرهم لهم؟ لا شيء؛ لأن التدبير
الفاعل هو تدبير الله لا غيره، كما أنه سبحانه هو الذي يعلم جميع أعمال الخلق كلهم، لا يخفى عليه شيء منها، وعندئذ سيعلم هؤلاء
المكذبون كم كانوا مخطئين في عدم الإيمان بالله، وكم كان المؤمنون مصيبين، فحازوا بذلك الجنة والعاقبة الحسنة.

﴿٣٥﴾ من قَوَائِمِ الْآيَاتِ،

• الترغيب في الجنة ببيان صفاتها، من جريان الأنهار وديمومة الرزق والظل. • خطورة اتباع الهوى بعد ورود العلم وأنه من
أسباب عذاب الله. • بيان أن الرسل بشر، لهم أزواج وذريات، وأن نبينا ﷺ ليس بدعاً بينهم، فقد كان مماثلاً لهم في ذلك.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٦﴾

آيَاتُهَا

٥٣

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

تَرْبِيَّتُهَا

١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَابِ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٢٥٥

﴿١٣﴾ ويقول الذين كفروا: لست - يا محمد - مرسلًا من الله، قل لهم - أيها الرسول - كفى بالله شاهداً بيني وبينكم على أني مرسل من ربي إليكم، ومن عنده علم من الكتب السماوية التي جاء فيها نعتي، ومن كان الله شاهداً بصدقه، فلا يضربه تكذيب من كذب.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إثبات قيام الرسل بالبيان والبلاغ، وتهديد المعرضين عن اتباعهم بالعذاب.

• التفسير:

﴿١﴾ الرَّكَابِ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها الرسول - لتخرج الناس من الكفر والجهل والضلالة إلى الإيمان والعلم والهداية بإرادة الله تعالى ومعونته إلى دين الإسلام الذي هو طريق الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، المحمود في كل شيء.

﴿٢﴾ الله الذي له وحده ملك ما في السماوات، وله وحده ملك ما في الأرض، فهو المستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به شيء من خلقه، وسينال الذين كفروا عذاباً قوياً.

﴿٣﴾ الذين كفروا يؤثرون الحياة الدنيا وما فيها من نعيم زائل على الآخرة وما فيها من نعيم دائم، ويصرفون الناس عن طريق الله، ويطلبون لطيفته التشويه والزيغ عن الحق والميل

عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وأولئك المتصفون بتلك الصفات في ضلال بعيد عن الحق والصواب.

﴿٤﴾ وما بعثنا من رسول إلا بعثناه مُخَدَّعًا بلغة قومه؛ ليسهل عليهم فهم ما جاء به من عند الله، ولم نبعثه لإجبارهم على الإيمان بالله، فالله يضل من يشاء بعذله، ويوفق من يشاء للهداية بفضلله، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدييره. ولقد بعثنا موسى وأديناه بالآيات الدالة على صدقه، وأنه مرسل من ربه، وأمرناه أن يُخْرِجَ قومه من الكفر والجهل إلى الإيمان والعلم، وأمرناه أن يذكرهم بأيام الله التي أنعم عليهم فيها، إن في تلك الأيام دلالات جلية على توحيد الله وعظيم قدرته، وإنعامه على المؤمنين، وهذا ما ينتفع به الصابرون على طاعة الله المداومون على شكر نعمه وآلائه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن المقصد من إنزال القرآن هو الهداية بإخراج الناس من ظلمات الباطل إلى نور الحق.
- إرسال الرسل يكون بلسان أقوامهم ولغتهم؛ لأنه أبلغ في الفهم عنهم، فيكون أدعى للقبول والامتثال.
- وظيفة الرسل تتلخص في إرشاد الناس وقيادتهم للخروج من الظلمات إلى النور.

﴿١﴾ واذكر - أيها الرسول -

حين امتثل موسى أمر ربه فقال لقومه من بني إسرائيل مُذْكَرًا إياهم بنعم الله عليهم: يا قوم، اذكروا نعمة الله عليكم حين أنقذكم من آل فرعون، وسلّمكم من بأسهم، يذيقونكم شر العذاب، حيث كانوا يذبحون أبناءكم الذكور حتى لا يولد فيكم من يستولي على ملك فرعون، ويبقون نساءكم على قيد الحياة لإذلالهن وإهانتهم، وفي أفعالهم هذه اختبار لكم عظيم على الصبر، فكافأكم الله على صبركم على هذا البلاء بإنقاذكم من بأس آل فرعون.

﴿٢﴾ وقال لهم موسى: اذكروا حين أعلمكم ربكم إعلامًا بليغًا: لأن شكرتم الله على ما أنعم به عليكم من تلك النعم المذكورة ليزيدنكم عليها من إنعامه وفضله، ولأن جحدتم نعمه عليكم ولم تشكروها، فإن عذابه لشديد لمن يجحد نعمه ولا يشكرها. ﴿٣﴾ وقال موسى لقومه: يا قوم، إن تكفروا أنتم ويكفر معكم جميع من في الأرض، فضرر كفركم يعود عليكم؛ فإن الله غني بنفسه، مستوجب الحمد بذاته، لا ينفعه إيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين.

﴿٤﴾ ألم يجنّكم - أيها الكفار - خبر إهلاك الأمم المكذبة من قبلكم: قوم نوح، وعاد قوم هود، وثمود قوم صالح، والأمم الذين جاؤوا من بعدهم، وهم كثير لا يحصي عددهم إلا الله؟ أنتهم رسلهم بالدلائل الواضحة، ووضعوا أيديهم في أفواههم عاصين على أصابعهم من الغيظ على الرسل، وقالوا لرسولهم: إنا كفرنا بما أرسلتم

وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجىكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك لكم بلاءٌ من ربكم عظيم ﴿٦﴾ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذاب لي شديد ﴿٧﴾ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ﴿٨﴾ ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرونا بما أرسلتم به وإنا لفي شكٍ مما تدعوننا إليه مريب ﴿٩﴾ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتنونا بسلطين مبين ﴿١٠﴾

٢٥٦

به، وإنا لفي شك باعث على الريبة مما تدعوننا إليه.

﴿١١﴾ قالت لهم رسلهم ردًا عليهم: أفي توحيد الله وإفراده بالعبادة شك، وهو خالق السماوات والخلق الأرض، وموجدهما على غير مثال سابق؟ يدعوكم إلى الإيمان به ليمحو عنكم من ذنوبكم السابقة، ويؤخركم إلى حين استيفائكم لأجالكم المحددة في حياتكم الدنيا. قالت لهم أقوامهم: لستم إلا بشرًا مثلنا، لا مزية لكم علينا، تريدون صرفنا عن عبادة ما كان يعبد آباؤنا، فاتنونا بحجة واضحة تدل على صدقكم فيما تدعونه من أنكم رسل من الله إلينا.

﴿١٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من وسائل الدعوة تذكير المدعوين بنعم الله تعالى عليهم، خاصة إن كان ذلك مرتبطًا بنعمة كبيرة، مثل نصر على عدوه أو نجاه منه.
- من فضل الله تعالى أنه وعد عباده مقابلة شكرهم بمزيد الإنعام، وفي المقابل فإن وعيده شديد لمن يكفر به.
- كفر العباد لا يضر الله البتة، كما أن إيمانهم لا يضيف له شيئًا، فهو غني حميد بذاته.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَنْصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا
أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادِي سَيْغُهُ وَيَأْتِيهِ
الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِنْ وَرَآيِهِ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ
كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ قالت لهم رسلهم رداً عليهم: لسنا إلا بشرًا مثلكم، فتحن لا ننكر مماثلتكم في ذلك، ولكن لا يلزم من تلك المماثلة المماثلة في كل شيء، فالله يتفضل بالإنعام الخاص على من يشاء من عباده، فيصطفاهم رسلاً إلى الناس، وما يصح لنا أن نأتيكم بما طلبتم من حجة إلا بمشيئة الله، فليس الإتيان بها في مقدورنا، بل الله وحده هو القادر على ذلك، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في شؤونهم كلها.

﴿١٢﴾ وأي مانع وأي عذر يحول بيننا وبين التوكل عليه؟ وقد أرشدنا لأقوم الطرق وأوضحها، ولنصبرن على إيدائكم لنا بالكذب والسخرية، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في جميع أمورهم.

﴿١٣﴾ وقال الذين كفروا من أقوام الرسل لما عجزوا عن مُخَاجَةِ رسلهم: لنخرجنكم من قريتنا، أو لترجعن عن دينكم إلى ديننا، فأوحى الله إلى الرسل تثبيثاً لهم: لنهلكن الظالمين الذين كفروا بالله وبرسله.

﴿١٤﴾ ولنسكننكم - أيها الرسل ومن تبعكم - الأرض من بعد إهلاكهم، ذلك المذكور من إهلاك الكفار المكذبين، وإسكان رسلهم والمؤمنين الأرض من بعد إهلاكهم هو لمن استحضر عظمتي ومراقبتي له، وخاف إنذاري له بالعذاب.

﴿١٥﴾ وطلب الرسل من ربهم أن ينصرهم على أعدائهم، وخسر كل متكبر معاند للحق، لا يتبعه مع ظهوره له.

﴿١٦﴾ من أمام هذا المتكبر يوم القيامة جهنم، فهي له بالمرصاد، ويُسقى فيها من قبح أصحاب النار الذي يسيل منهم، فلا يزال يُعَذَّبُ بالعطش وغيره من صنوف العذاب.

﴿١٧﴾ يتكلف شربه مرة بعد مرة لشدة مرارته وحارته وتنته، ولا يقدر على ابتلاعه، ويأتيه الموت من كل جهة من شدة ما يقاسيه من العذاب، وليس هو بيت فيستريح، بل يبقى حياً يعاني العذاب، ومن أمامه عذاب آخر شديد ينتظره.

﴿١٨﴾ مثل ما يقدمه الكفار من أعمال البر كالصدقة والإحسان والرحمة بالضعيف، مثل رماد اشتدت به الرياح في يوم شديد هبوب الرياح، فحملته بقوة، وفزقته في كل مكان حتى لم يبق له أثر، وهكذا أعمال الكفار عصف بها الكفر، فلم تنفع أصحابها يوم القيامة، ذلك العمل الذي لم يؤسس على الإيمان هو الضلال البعيد عن طريق الحق.

﴿١٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الأنبياء والرسل بشرٌ من بني آدم، غير أن الله تعالى فضلهم بحمل الرسالة واصطفاهم لها من بين بني آدم.
- على الداعية الذي يريد التغيير أن يتوقع أن هناك صعوبات جمة سوف تقابله، ومنها الطرد والنفي والإيذاء القولي والفعلي.
- أن الدعاة والصالحين موعودون بالنصر والاستخلاف في الأرض.
- بيان إبطال أعمال الكافرين الصالحة، وعدم اعتبارها بسبب كفرهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاشَأُ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا
قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا
أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوْأَنُفُسَكُمْ
مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ
بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

﴿١٩﴾ ألم تعلم - أيها الإنسان - أن الله خلق السماوات وخلق الأرض بالحق، فلم يخلقهما عبثاً، إن يشأ إذهبكم - أيها الناس - والإتيان يخلق آخر يعبد ويطيعه بدلاً منكم لأذهبكم وجاء بخلق آخر يعبد ويطيعه، فهو أمر سهل يسير عليه.

﴿٢٠﴾ وليس إهلاككم والإتيان بخلق غيركم بمعجز له سبحانه، فهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٢١﴾ وخرج الخلائق من قبورهم إلى الله يوم الميعاد، فقال الأتباع الضعفاء للسادة الرؤساء: إنا كنا لكم - أيها السادة - أتباعاً، نأتمر بأمركم، وننتهي بنهيكم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً؟ قال السادة الرؤساء: لو وقفتنا الله للهداية لأرشدناكم إليها، فتجنونا جميعاً من عذابه، ولكن ضللنا فأضللناكم، يستوي علينا وعليكم أن نضغف عن تحمل العذاب أو أن نصبر، ليس لنا مهرب من العذاب.

﴿٢٢﴾ وقال إبليس حين دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدكم الوعد الحق، فأنجزكم ما وعدكم، ووعدتكم وعد الباطل فلم أف بما وعدتكم به، وما كان لي من قوة أفهركم بها في الدنيا على الكفر والضلال، لكن دعوتكم إلى الكفر، وزينت لكم المعاصي، فسارتم إلى اتباعي، فلا تلوموني على ما حصل لكم من الضلال، ولوموا أنفسكم، فهي أولى باللوم، ما أنا بمفيتكم بدفع العذاب عنكم، وما أنتم بمفيتي بدفعه عني، إني كضرت بجمعكم إياي شريكاً لله في العبادة، إن الظالمين

- بالشرك بالله في الدنيا والكفر به - لهم عذاب موع ينتظرهم يوم القيامة. ولما ذكر الله مصير الكفار يوم القيامة ترهيباً منه، ذكر مصير المؤمنين ترغيباً فيه، فقال:

﴿٢٣﴾ وبخلاف مصير الظالمين أدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ماكثين فيها أبداً بإذن ربهم وحوله، يُحَيِّي بعضهم بعضاً، وتحييهم الملائكة، ويحييهم ربهم سبحانه بالسلام.

﴿٢٤﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد التي هي: لا إله إلا الله، حين مثلاً بشجرة طيبة هي النخلة، جذعها ضارب في قرار الأرض تشرب الماء بعروقها الطيبة، وفرعها مرتفع إلى السماء يشرب من الندى، ويستشق الهواء الطيب من فوايد الأكيات:

- بيان سوء عاقبة التابع والمتبوع إن اجتمعا على الباطل.
- بيان أن الشيطان أكبر عدو لبني آدم، وأنه كاذب مخذول ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لأتباعه شيئاً يوم القيامة.
- اعتراف إبليس أن وعد الله تعالى هو الحق، وأن وعد الشيطان إنما هو محض الكذب.
- تشبيه كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة النمر، العالية الأغصان، الثابتة الجذور.

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَارٍ ﴿٣٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ ﴿٣٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٣٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٣٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٤٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٤١﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٤٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٤٣﴾

﴿٣٥﴾ تعطي هذه الشجرة الطيبة ثمرها الطيب كل وقت بأمر ربها، ويضرب الله الأمثال للناس رجاء أن يتذكروا.

﴿٣٦﴾ ومثل كلمة الشرب الخبيثة مثل شجرة خبيثة، وهي شجرة الحنظل، اقتلعت من أصلها، ليس لها ثبات على الأرض، ولا ارتفاع إلى السماء، فتموت وتذورها الرياح، فكلمة الكفر مألها الفناء، ولا يصعد لصاحبها إلى الله عمل طيب.

﴿٣٧﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بكلمة التوحيد الثابتة إيماناً تاماً في الحياة الدنيا حتى يموتوا وهم على الإيمان، وفي البرزخ في قبورهم عند السؤال، ويشبثهم يوم القيامة، ويضلُّ الله الظالمين بالشرك بالله والكفر به عن الصواب والرشد، ويفعل الله ما يشاء من إضلال من أراد إضلاله بعدله، ومن هداية من شاء هدايته بفضلته، فلا مُكْرَهَ له سبحانه.

﴿٣٨﴾ لقد رأيت حال الذين كفروا بالله وبرسوله من قريش حين اعتاضوا عن إنعام الله عليهم بالأمن في الحرم، وبيعة محمد ﷺ فيهم، اعتاضوا عن ذلك: الكفر بنعمه حين كذبوا بما جاءهم به من ربه، وأنزلوا من اتباعهم في الكفر من أقوامهم دار الهلاك.

﴿٣٩﴾ ودار الهلاك هي جهنم يدخلونها، يقاسون حرَّها، وساء المستقر مستقرهم.

﴿٤٠﴾ وجعل المشركون لله أمثالاً ونظراء ليضلوا من اتباعهم عن سبيل الله بعد أن ضلوا هم عنها، قل لهم - أيها الرسول -: تمتعوا بما أنتم فيه من الشهوات، ونشر الشهوات في هذه

الحياة الدنيا، فإن مرجعكم يوم القيامة إلى النار، ليس لكم مرجع غيرها.

﴿٤١﴾ قل - أيها الرسول - للمؤمنين: أيها المؤمنون، أدوا الصلاة على أكمل وجه، وأنفقوا مما رزقكم الله النفقات الواجبة والمستحبة، خفية خوفاً من الرباء، وجهراً ليقبدي بكم غيركم، من قبل أن يجيء يوم لا بيع فيه ولا فداء فيقتدى من عذاب الله، ولا صداقة حتى يشفع الصديق لصديقه.

﴿٤٢﴾ الله الذي أنشأ السماوات وأنشأ الأرض على غير مثال سابق، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرج بذلك الماء المنزل من أصناف الثمار رزقاً لكم - أيها الناس - وذلل لكم السفن تجري على الماء وفق تقديره، وذلل لكم الأنهار لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم.

﴿٤٣﴾ وذلل لكم الشمس والقمر يجريان باستمرار، وذلل لكم الليل والنهار يتعاقبان، الليل لنومكم وراحتكم، والنهار لنشاطكم وكذككم.

﴿٤٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تشبيه كلمة الكفر بشجرة الحنظل الزاحفة، فهي لا ترتفع، ولا تتج طيباً، ولا تدوم.
- الرابط بين الأمر بالصلاة والزكاة مع ذكر الآخرة هو الإشعار بأنهما مما تكون به النجاة يومئذ.
- تعداد بعض النعم العظيمة إشارة لعظم كفر بني آدم وجحدتهم بنعمه ﷻ.

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسٍ أَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٢٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

﴿٢٤﴾ وأعطاكم من جميع ما طلبتموه، ومما لم تطلبوه، وإن تعدوا نعم الله لا تقدرها على حصرها؛ لكثرتها وتعددتها، فما ذكر لكم أمثلة منها، إن الإنسان لظلوم لنفسه، كثير الجحود لنعم الله ﷻ.

﴿٢٥﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر بوادي مكة: يا رب، اجعل هذا البلد الذي أسكنت فيه أهلي - وهو مكة - بلداً ذا أمن، لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، وأبعدني وأبعد أولادي عن عبادة الأصنام.

﴿٢٦﴾ يا رب، إن الأصنام أضللن كثيراً من الناس، حيث ظنوا أنها تشفع لهم، فقتلوا بها، وعبدوها من دون الله، فمن تبعني من الناس في توحيد الله وطاعته فإنه من شيعتي وأتباعي، ومن عصاني فلم يتبعني في توحيده وطاعته فإنك - يا رب - غفور لذنوب من شئت أن تغفر لهم، رحيم بهم.

﴿٢٧﴾ ربنا إني أسكنت بعض ذريتي، وهم ابني إسماعيل وأبنائوه بوادٍ (وهو مكة) لا زرع فيه ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا أسكنتهم بجواره ليقوموا الصلاة فيه، فصير - يا رب - قلوب الناس تحن إليهم، وإلى هذا البلد، وارزقهم من الثمرات رجاء أن يشكروك على إنعامك عليهم.

﴿٢٨﴾ ربنا، إنك تعلم كل ما نسرّه، وكل ما نجره به، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، بل يعلمه، فلا يخفى عليه احتياجنا وقرنا إليه.

﴿٢٩﴾ الشكر والثناء لله سبحانه الذي أجاب دعائي أن يهب لي من الصالحين، فأعطاني على كبر سني

إسماعيل من هاجر، وإسحاق من سارة، إن ربي سبحانه سميع دعاء من دعاه.

﴿٣٠﴾ يا رب، اجعلني مؤدياً للصلاة على أكمل وجه، واجعل ذريتي ممن يؤديها كذلك، يا ربنا، وأجب دعائي واجعله مقبولاً عندك.

﴿٣١﴾ ربنا، اغفر لي ذنوبي، واغفر ذنوب والدي (قالها قبل أن يعلم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)، واغفر للمؤمنين ذنوبهم يوم يقوم الناس لحسابهم أمام ربهم.

﴿٣٢﴾ ولا تظنن - أيها الرسول - أن الله إذ يؤخر عذاب الظالمين غافل عما يعملهم الظالمون من التكذيب والصد عن سبيل الله وغير ذلك، بل هو عالم بذلك، لا يخفى عليه منه شيء، إنما يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ترتفع فيه الأبصار خوفاً من هول ما تشاهده.

﴿٣٣﴾ من قوايد الآيات:

- بيان فضيلة مكة التي دعا لها نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
- أن الإنسان مهما ارتفع شأنه في مراتب الطاعة والعبودية ينبغي له أن يخاف على نفسه وذريته من جليل الشرك ودقيقه.
- دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدل على أن العبد مهما ارتفع شأنه يظل مفتقراً إلى الله تعالى ومحتاجاً إليه.
- من أساليب التربية: الدعاء للبناء بالصلاح وحسن المعتقد والتوفيق في إقامة شعائر الدين.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْعِدَتُهُمْ هَوَاءً ۝٤٣ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ
دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ
مَّا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ۝٤٤ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ ۝٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝٤٦ فَلَا
تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ۝٤٧ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝٤٨ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَعْشَى
وُجُوهُهُمْ النَّارُ ۝٥٠ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٥١ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ الْإِلَهُ ۖ وَاحِدٌ وَلَيْدٌ كَرُّ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٥٢

٢٦١

٤٣ حين يقوم الناس من قبورهم مسرعين إلى الداعي، رافعي رؤوسهم ينظرون جزعاً إلى السماء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى شاخصة من هول ما يشاهدونه، وقلوبهم فارغة لا عقل لها، ولا فهم من فزع المشهد. ٤٤ وخوف - أيها الرسول - أمتك من عذاب الله يوم القيامة، فيقول عند ذلك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والشرك به: يا ربنا، أهلكنا، وأخر عنا العذاب، وردنا إلى الدنيا مدة يسيرة نؤمن بك، ونتبع الرسل الذين بعثتهم إلينا، فيجيبون توبيخاً لهم: ألم تكونوا حلفتُم في الحياة الدنيا أنكم لا انتقال لكم من الحياة الدنيا إلى الآخرة منكرين البعث بعد الموت؟ ٤٥ ونزلتم في مساكن الأمم السابقة الظالمة من قبلكم لأنفسها بالكفر بالله، مثل قوم هود وقوم صالح، واتضح لكم ما أوقعناه بهم من الهلاك، وضررنا لكم الأمثال في كتاب الله لتتعظوا، فما اتعظتم بها.

٤٦ وقد دبر هؤلاء النازلون في مساكن الأمم الظالمة المكائد لقتل النبي محمد ﷺ، والقضاء على دعوته، والله يعلم تدبيرهم لا يخفى عليه منه شيء، وتدبير هؤلاء ضعيف، فهو لا يزيل الجبال ولا غيرها لضعفه، خلافاً لمكر الله بهم.

٤٧ فلا تظنن - أيها الرسول - أن الله الذي وعد رسله بالنصر وإظهار الدين مُخْلِفٌ ما وعد به رسله، إن الله عزيز لا يغلبه شيء، وسيعز أوليائه، ذو انتقام شديد من أعدائه وأعداء رسله.

٤٨ هذا الانتقام من الكفار يحصل يوم تقوم القيامة، يوم تُبَدَّلُ هذه الأرض أرضاً أخرى بيضاء نقية، وتبدل السماوات سماوات غيرها، وظهر الناس من قبورهم بأبدانهم وأعمالهم للوقوف بين يدي الله المنفرد بملكه وعظمته، القهار الذي يَهْزُل ولا يَهْزُل، ويَغْلِب ولا يَغْلِب. ٤٩ وتُبَصِّر - أيها الرسول - يوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض، وتُبَدَّلُ السماوات؛ الكفار والمشركين قد سُدَّ بعضهم إلى بعض في القيود، قُرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالسلاسل، ثيابهم التي يلبسونها من القِطْرَان (وهي مادة شديدة الاشتعال)، وتعلو وجوههم الكالحة النار.

٥٠ ليثيب الله كل نفس ما عملت من خير أو شر، إن الله سريع الحساب للأعمال. ٥١ هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ إعلام من الله إلى الناس، وليُخَوِّفُوا بما فيه من الترهيب والوعيد الشديد، وليعلموا أن المعبود بحق هو الله وحده فيعبده ولا يشركوا به أحداً، وليتعظ به يعتبر أصحاب العقول السليمة؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالعظات والعبر.

٥٢ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تصوير مشاهد يوم القيامة وجزع الخلق وخوفهم وضعفهم ورهبتهم، وتبديل الأرض والسماوات.
- وصف شدة العذاب والذل الذي يلحق بأهل المعصية والكفر يوم القيامة.
- أن العبد في سعة من أمره في حياته في الدنيا، فعليه أن يجتهد في الطاعة، فإن الله تعالى لا يتيح له فرصة أخرى إذا بعثه يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ١ رَبُّمَا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ٢ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٣ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ٤ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ٥ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ٦ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ٧ مَا نُزِّلَ الْمَلَكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأْتِيهِمْ
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ١١ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
١٣ وَوَفَّحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ١٤
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ١٥

٢٦٢

مرسل، وأن العذاب نازل بنا.

١ قال الله ردًا على ما افترحوه من مجيء الملائكة: لا نزل الملائكة إلا وفق ما تقتضيه الحكمة حين يحين إهلاككم بالعذاب، وليسوا - إذا جئنا بالملائكة ولم يؤمنوا - بمُهلّين، بل سيعاجلون بالعقاب. ٢ إنا نحن الذين نزلنا هذا القرآن على قلب محمد ﷺ تذكيرًا للناس، وإنا للقرآن لحافظون من الزيادة والنقصان والتبديل والتحريف. ٣ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً في جماعات الكفر السابقة فكذبوهم، فلست بدعًا من الرسل في تكذيب أمتك لك. ٤ وما يأتي جماعات الكفر السابقة رسول إلا كذبوه وسخروا منه. ٥ كما أدخلنا التكذيب في قلوب تلك الأمم ندخله كذلك في قلوب مشركي مكة بإعراضهم وعنادهم. ٦ لا يؤمنون بهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ، وقد مضت سنة الله في إهلاك المكذبين بما جاءت به رسلكم، فليعتبر المكذبون بك. ٧ وهؤلاء المكذبون معاندون حتى لو اتضح لهم الحق بالأدلة الجلية، فلو فتحنا لهم بابًا من السماء فظلوا يصعدون. ٨ لما صدقوا، ولقالوا: إنما سُدَّتْ أَبْصَارُنَا عَنِ الْإِبْصَارِ، بل ما نراه هو بتأثير السحر، فنحن مسحورون.

٩ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• القرآن الكريم جامع بين صفة الكمال في كل شيء، والوضوح والبيان. • يهتم الكفار عادة بالماديات، فتراهم مُنغمسين في الشهوات والأهواء، مفترين بالأمانى الزائفة، منشغلين بالدنيا عن الآخرة. • هلاك الأمم مُقدَّر بتاريخ معين، ومقرر في أجل محدد، لا تأخير فيه ولا تقديم، وإن الله لا يَعْجَلُ لمجلة أحد. • تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التغير والتبديل، والزيادة والنقص، إلى يوم القيامة.

١ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: توعد المستهزئين بالقرآن، والوعد بحفظه تأييدًا للنبي وتثبيتًا له.

٢ التفسير:

١ الر: تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات رفيعة الشأن الدالة على أنها منزلة من عند الله هي آيات قرآن موضح للتوحيد والشرائع.

٢ سيتمنى الكفار يوم القيامة لو كانوا مسلمين عندما يتضح لهم الأمر، وينكشف لهم بطلان ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا.

٣ اترك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين يأكلوا كما تاكل الأنعام، ويتمتعوا بملذات الدنيا المنقطعة، ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان والعمل الصالح، فسوف يعلمون ما هم فيه من الخسران إذا وردوا على الله يوم القيامة.

٤ وما أنزلنا الهلاك على قرية من القرى الظالمة إلا كان لها أجل محدد في علم الله، لا تتقدم عنه ولا تتأخر.

٥ لا يأتي أمة من الأمم هلاكها قبل أن يحين أجلها، ولا يتأخر عنها الهلاك إذا حان أجلها، فعلى الظالمين ألا يغتروا بإمهال الله لهم.

٦ وقال الكفار من أهل مكة للرسول ﷺ: يا أيها الذي نزل عليه - كما يدعي - الذكر إنك بدعواك هذه

لمجنون تتصرف تصرف المجانين.

٧ هلا جئنا بالملائكة يشهدون لك، إن كنت من الصادقين بأنك نبي

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَئِيهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ
فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
الرَّيْحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ
لَهُ بِمُخْزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ
قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا
مِّنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ وَسَجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

٢٦٣

﴿١٦﴾ ولقد جعلنا في السماء نجومًا عظيمة يهتدي بها الناس في أسفارهم في ظلمات البر والبحر، وجعلناها لمن نظر إليها وأبصرها؛ ليستدلوا بها على قدرة الله سبحانه. ﴿١٧﴾ وحفظنا السماء من كل شيطان مطرود عن رحمة الله. ﴿١٨﴾ إلا من استمع للملأ الأعلى خلسة فإلحقه جرم مضى، فيحرقه. ﴿١٩﴾ والأرض بسطناها ليستقر الناس عليها، وجعلنا فيها جبالًا ثوابت حتى لا تميد بالناس، وأنبتنا فيها من أنواع النبات ما هو مقدر محدد بما تقتضيه الحكمة. ﴿٢٠﴾ وجعلنا لكم - أيها الناس - في الأرض ما يعيشكم من المأكول والمشارب ما دتم في الحياة الدنيا، وجعلنا لغيركم ممن لا ترزقونه من الناس والحيوان ما يعيشهم. ﴿٢١﴾ وما من شيء ينتفع به الناس والدواب إلا نحن قادرون على إيجاده ونفع الناس به، وما نوجد ما نوجده من ذلك إلا بمقدار محدد تقتضيه حكمتنا ومشيتنا. ﴿٢٢﴾ وأرسلنا الرياح تُلْقِحُ السحاب، فأنزلنا من السحاب المُلْقَحَ بها مطرًا، فسقيناكم من ماء المطر، ولستم - أيها الناس - بخازنين لهذا الماء في الأرض ليكون عيونًا وآبارًا، وإنما الله هو الذي يخزنه فيها. ﴿٢٣﴾ وإنا نحن نحوي الموتى بخلقهم من العدم وبيعثهم بعد الموت، ونميت الأحياء إذا استوفوا آجالهم، ونحن الباقون الذين نرث الأرض ومن عليها. ﴿٢٤﴾ ولقد علمنا من تقدم منكم ولادة وموتًا، وعلمنا من تأخر فيهما، لا يخفى علينا من ذلك شيء. ﴿٢٥﴾ وإن ربك - أيها الرسول - هو يحشرهم جميعًا يوم القيامة؛ ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء. ﴿٢٦﴾ ولقد خلقنا آدم من طين يابس إن نُقِرَ صَوْتُ، وهذا الطين الذي خُلِقَ منه أسود متغير الريح لطول مكثه. ﴿٢٧﴾ وخلقنا أبا الجن من قبل خلق آدم ﷺ من نار شديدة الحرارة. ﴿٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال ربك للملائكة وإبليس - وكان معهم -: إني سأخلق بشرًا من طين يابس له صوت إذا نُقِرَ، أسود متغير الريح. ﴿٢٩﴾ فإذا عُدْتُ صورته، وكملت خلقه فاسجدوا له امتثالًا لأمري وتحية له. ﴿٣٠﴾ فامتثل الملائكة، فسجدوا كلهم له كما أمرهم ربهم. ﴿٣١﴾ لكن إبليس - الذي كان مع الملائكة، ولم يكن منهم - امتنع أن يسجد لآدم مع الملائكة.

﴿٣٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ينبغي للعبد التأمل والنظر في السماء وزينتها والاستدلال بها على بارئها. • جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فخرائها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته. • الأرض مخلوقة مهيأة منبسطة تناسب مع إمكان الحياة البشرية عليها، وهي مثبتة بالجبال الرواسي؛ لئلا تتحرك بأهلها، وفيها من النباتات المختلفة ذات المقادير المعلومة على وفق الحكمة والمصلحة. • الأمر للملائكة بالسجود لآدم فيه تكريم للجنس البشري.

قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمَ أَكُنْ
لِأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمِنْ صَلَاصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
أَعْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرْطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّتَقِيلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
* نَبِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّهَهُمْ عَنْ ضَيِّفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

﴿٣٢﴾ قال الله لإبليس بعد امتناعه من السجود لأدم: ما حملك ومنعك من أن تسجد مع الملائكة الذين سجدوا امتثالاً لأمرى؟

﴿٣٣﴾ قال إبليس متكبراً: ما يصح لي أن أسجد لبشر خلقته من طين يابس كان طيناً أسود متغيراً.

﴿٣٤﴾ قال الله لإبليس: اخرج من الجنة فإنك مطرود.

﴿٣٥﴾ وإن عليك اللعنة والطرود من رحمتي إلى يوم القيامة.

﴿٣٦﴾ قال إبليس: يا رب، أهمني ولا تمنني إلى يوم يبعث الخلق.

﴿٣٧﴾ قال الله له: فإنك من الممهلين الذين أخرت آجالهم.

﴿٣٨﴾ إلى الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق عند النفخة الأولى.

﴿٣٩﴾ قال إبليس: يا رب، بسبب إضلالك لي لأحسن لهم المعاصي في الأرض، ولأضلنهم كلهم عن الصراط المستقيم.

﴿٤٠﴾ إلا من اصطفتهم من عبادك لعبادتك.

﴿٤١﴾ قال الله: هذا طريق معتدل موصل إلي.

﴿٤٢﴾ إن عبادي المخلصين ليس لك قدرة ولا تسلط على إغوائهم إلا من اتبعك من الضالين.

﴿٤٣﴾ وإن جهنم لموعدهم وإبليس ومن اتبعه من الضالين كلهم.

﴿٤٤﴾ لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها، لكل باب من أبوابها من اتباع إبليس قدر معلوم منهم يدخل منه.

﴿٤٥﴾ إن الذين اتقوا ربهم بامتثال أمره واجتناب نهيه في جنات وعيون.

﴿٤٦﴾ يقال لهم عند دخولها: ادخلوها بسلامة من الآفات، وأمن من

المخاوف.

﴿٤٧﴾ وأزلنا ما في صدورهم من حقد وعداوة، إخوة متحابين يجلسون على أسرة ينظر بعضهم إلى بعض.

﴿٤٨﴾ لا يصيبهم فيها تعب، وليسوا بمُخْرَجِينَ منها، بل هم خالدون فيها.

﴿٤٩﴾ أعلم - أيها الرسول - عبادي أنني أنا الغفور لمن تاب منهم، الرحيم به.

﴿٥٠﴾ وأعلمهم أن عذابي هو العذاب الموعود، فليتوبوا إلي لينالوا مغفرتي، ويأمنوا من عذابي.

﴿٥١﴾ وأعلمهم بخبر ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى بالولد، وبإهلاك قوم لوط.

من قوائد الآيات،

• في الآيات دليل على تزاور المتقين واجتماعهم وحسن أدهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له.

• ينبغي للعبد أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة.

• سجد الملائكة لأدم كلهم أجمعون سجدوا تحية وتكريماً إلا إبليس رفض وأبى.

• لا سلطان لإبليس على الذين هداهم الله واجتباهم واصطفاهم في أن يلقبهم في ذنب يمنهم عفو الله.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَبَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُوْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَهُمْ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٥٢﴾ حين دخلوا عليه، فقالوا له: سلاماً، فأجابهم بأحسن من تحيتهم، وقدم لهم عجلًا مشويًا لياكلوه، فقد ظن أنهم بشر، فلما لم يأكلوا منه، قال: إنا منكم خائفون.

﴿٥٣﴾ قال الرسل من الملائكة: لا تخف، إنا نخبرك بما يسرك، أنه سيكون لك ولد ذكر عليم.

﴿٥٤﴾ قال لهم إبراهيم - وقد تعجب من تبشيرهم إياه بولد -: أبشّرتموني بولد مع ما أصابني من الكبر والشيخوخة، فعلى أي وجه تبشرونني؟

﴿٥٥﴾ قال الرسل من الملائكة لإبراهيم: بشّرناك بالحق الذي لا مرية فيه، فلا تكن من اليائسين مما بشّرناك به.

﴿٥٦﴾ قال إبراهيم: وهل ينس من رحمة ربه إلا المنحرفون عن صراط الله المستقيم؟

﴿٥٧﴾ قال إبراهيم: فما شأنكم الذي جاء بكم أيها المرسلون من الله تعالى؟

﴿٥٨﴾ قال الرسل من الملائكة: إنا أرسلنا الله لإهلاك قوم عظيمي الفساد، عظيمي الشر، وهم قوم لوط.

﴿٥٩﴾ إلا أهل لوط وأتباعه من المؤمنين، فلا يشملهم الإهلاك، إنا مُسَلِّمُوهم جميعًا منه.

﴿٦٠﴾ إلا زوجته، فقد حكمنا أنها من الباقيين الذين يشملهم الهلاك.

﴿٦١﴾ فلما قدم الملائكة المرسلون إلى آل لوط في صور رجال.

﴿٦٢﴾ قال لهم لوط ﷺ: قوم غير معروفين.

﴿٦٣﴾ قال الرسل من الملائكة للوط: لا تخف، بل جئناك - يا لوط - بما كان

يشك فيه قومك من العذاب المهلك لهم.

﴿٦٤﴾ وجئناك بالحق الذي لا هزل فيه، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

﴿٦٥﴾ فسّر بأهلك بعد مُضي جانب من الليل، وسرّ خلفهم، ولا يلتفت أحد منكم إلى الوراء لينظر ما حل بهم، وامضوا إلى حيث أمركم الله أن تمضوا.

﴿٦٦﴾ وأعلمنا لوطًا عن طريق الوحي ذلك الأمر الذي قدرناه، وهو أن هؤلاء القوم سيستأصلون بإهلاك آخرهم إذا دخلوا في الصباح.

﴿٦٧﴾ وجاء أهل سدّوم مستبشرين بضيوف لوط؛ طمعًا في فعل الفاحشة.

﴿٦٨﴾ قال لهم لوط: إن هؤلاء القوم ضيوفي، فلا تفضحوني بما تريدون بهم.

﴿٦٩﴾ وخافوا الله بترك هذه الفاحشة، ولا تذلوني بصنيعكم الشنيع.

﴿٧٠﴾ قال له قومه: ألم ننهك عن إضافة أحد من الناس؟

﴿٧١﴾ من قوايد الآيات.

● تعليم أدب الضيف بالتحية والسلام حين القدوم على الآخرين.

● من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم لا سبيل له إلى القنوط من رحمة الله.

● نهى الله تعالى لوطًا وأتباعه عن الالتفات أثناء نزول العذاب بقوم لوط حتى لا تأخذهم الشفقة عليهم.

● تصميم قوم لوط على ارتكاب الفاحشة مع هؤلاء الضيوف دليل على طمس فطرتهم، وشدة فحشهم.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَلَيْنَ ۖ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ۖ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۖ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا
سَافِلَهُمَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۖ وَإِنَّهَا لِبَسِيلٍ مَُّقِيمٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ ۖ
فَأَتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۖ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ۖ وَءَاتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
ۖ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۖ فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۖ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۖ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۖ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا
مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَقُلْ
إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۖ كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۖ

٢٦٦

٧١ قال لهم لوط ﷺ معذراً لنفسه
أمام ضيوفه: هؤلاء بناتي من جملة
نساءكم، فتزوجوهن إن كنتم قاصدين
قضاء شهوتكم.

٧٢ وحياتك - أيها الرسول - إن قوم
لوط لفي طغيان شهوتهم يترددون.

٧٣ فأخذهم صوت شديد مهلك عند
دخولهم في وقت شروق الشمس.

٧٤ فقلبنا قراهم بجعل عاليها سافلاً،
وأمطرنا عليهم حجارة من طين
مُنَجَّر.

٧٥ إن في ذلك المذكور مما حل بقوم
لوط من هلاك لعلامات للمتأملين.

٧٦ وإن قرى قوم لوط لعل طريق
ثابت، يراها من يمر بها من
المسافرين.

٧٧ إن في ذلك الذي حدث لدلالة
للمؤمنين يعتبرون بها.

٧٨ وقد كان قوم شعيب أصحاب
القرية ذات الشجر الملتف ظالمين؛
لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسوله شعيب
ﷺ.

٧٩ فانتقمنا منهم حيث أخذهم
العذاب، وإن قرى قوم لوط ومواطن
أصحاب شعيب لبطريق واضح لمن
مر به.

٨٠ ولقد كذبت ثمود، وهم أصحاب
الحجر (مكان بين الحجاز والشام)
جميع الرسل حين كذبوا نبيهم صالحاً
ﷺ.

٨١ وأعطيناهم الحجج والدلائل
على صدقه فيما جاء به من ربه، ومن
ذلك الناقة، فلم يعتبروا بتلك الدلائل،
ولم يبالوا بها.

٨٢ وكانوا يقطعون الجبال ليصنعوا
بيوتاً لهم يسكنونها آمنين مما
يخافون.

٨٣ فأخذتهم صاعقة العذاب عند دخولهم وقت الصبح.

٨٤ فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يكسبون من الأموال والمساكن.

٨٥ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً دون حكمة، ما خلقنا كل ذلك إلا بالحق، وإن الساعة لآتية لا محالة،
فاعرض - أيها الرسول - عن المكذبين بك، واعف عنهم عفواً حسناً.

٨٦ إن ربك - أيها الرسول - هو الخلاق لكل شيء، العليم به.

٨٧ ولقد أعطيناك الفاتحة التي هي سبع آيات، وهي القرآن العظيم.

٨٨ لا تمدد بصرك إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار من متع زائلة، ولا تحزن على تكذيبهم، وتواضع للمؤمنين.

٨٩ وقل - أيها الرسول -: إني أنا النذير من العذاب، البين النذارة.

٩٠ أنذركم أن يصيبكم مثل ما أنزل الله على المفرقين كُتِبَ الله أجزاء فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

٩١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه. ● كراهة دخول
مواطن العذاب، ومثلها دخول مقابر الكفار، فإن دخل الإنسان إلى تلك المواضع والمقابر فعليه الإسراع. ● ينبغي للمؤمن ألا ينظر
إلى زخارف الدنيا وزهرتها، وأن ينظر إلى ما عند الله من العطاء. ● على المؤمن أن يكون بعيداً من المشركين، ولا يحزن إن لم
يؤمنوا، قريباً من المؤمنين، متواضعاً لهم، محبباً لهم ولو كانوا فقراء.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ قَوْمًا لَا يَسْتَكْبِرُونَ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَاعْرَضَ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ التَّحْلِ

آياتها
١٢٨ترتيبها
١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُوا ﴿٢﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿٩١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا الْقُرْآنَ أَجْزَاءً، فقالوا: هو سحر، أو كهانة، أو شعر.
﴿٩٢﴾ قَوْمًا - أيها الرسول - لنسألن يوم القيامة جميع الذين صيروه أجزاءً.
﴿٩٣﴾ لنسألنهم عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا.
﴿٩٤﴾ فَأَعْلَنَ - أيها الرسول - ما أمرك الله به من الدعوة إليه، ولا تلتفت إلى ما يقوله ويفعله المشركون.
﴿٩٥﴾ وَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ، فقد كفيناك كيد الساعرين من أئمة الكفر من قريش.
﴿٩٦﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا غَيْرَهُ، فسوف يعلمون عاقبة شرهم السيئة.
﴿٩٧﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ - أيها الرسول - يضيّق صدرك بما يصدر منهم من تكذيبهم لك وسخريتهم منك.
﴿٩٨﴾ فَالْجَأُ إِلَى اللَّهِ بِتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، والثناء عليه بصفات كماله، وكن من العابدين لله، المصلين له، ففي ذلك علاج لضيق صدرك.
﴿٩٩﴾ وَدَاوَمَ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ، واستمر عليها ما دمت حيًّا حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك.

سُورَةُ التَّحْلِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

• التذكير بالنعمة الدالة على النعم

• التفسير:

• اقترب ما قضى الله به من عذابكم

• أيها الكفار - فلا تطلبوا تعجيله قبل

• وأوانه، تنزه الله وتعالى عما يجعل له

المشركون من الشركاء.

• ينزل الله الملائكة بالوحي من قضائه على من يشاء من رسله: أن خُوفوا - أيها الرسل - الناس من الشرك بالله، فلا معبود

بحق إلا أنا، فاتقوني - أيها الناس - بامثال أوامري واجتنب نواهي.

• خلق الله السموات وخلق الأرض على غير مثال سابق بالحق، فلم يخلقهما باطلاً، بل خلقهما ليُسَدَّلَ بهما على عظمتيه، تنزهه

عن إشراكهم به غيره.

• خلق الإنسان من نطفة مهينة، فتما خلقاً من بعد خلق، فإذا هو شديد الجِدال بالباطل ليطمس به الحق، مبين في جداله به.

• والأنعام من الإبل والبقر والغنم خلقها لمصالحكم - أيها الناس - ومن هذه المصالح الدفء بأصوافها وأوبارها، ومصالح

أخرى في ألوانها وجلودها وظهورها، ومنها تأكلون.

• ولكم فيها زينة حين تدخلون في المساء، وحين تُخْرِجُونَهَا للمرعى في الصباح.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• عناية الله ورعايته بصَوْنِ النبي ﷺ وحمايته من أذى المشركين. • التسبيح والتحميد والصلاة علاج الهموم والأحزان،

وطريق الخروج من الأزمات والمآزق والكروب. • المسلم مطالب على سبيل الفرضية بالعبادة التي هي الصلاة على الدوام حتى

يأتيه الموت، ما لم يغلب الغشيان أو فقد الذاكرة على عقله. • سمي الله الوحي روحاً؛ لأنه تحيا به النفوس. • مَلَكْنَا الله تعالى

الأنعام والدواب ودُلَّهَا لَنَا، وأبَاحَ لَنَا تَسْخِيرَهَا وَالِانْتِفَاعَ بِهَا؛ رَحْمَةً مِنْهُ تَعَالَى بِنَا.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ٩ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ
مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنْبِتُ لَكُمْ
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّجَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
١١ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ١٣
وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ كَمَا إِذَا
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٤

٧) وتحمل هذه الأنعام التي خلقناها لكم أمتعتكم الثقيلة في أسفاركم إلى بلد لم تكونوا واصلية إلا بمشقة عظيمة على الأنفس، إن ربكم - أيها الناس - لرؤوف، رحيم بكم حيث سخر لكم هذه الأنعام.

٨) وخلق الله لكم الخيل والبغال والحمير لكي تركبوها، وتحملوا عليها أمتعتكم، وتكون جمالاً لكم تتجملون به في الناس، ويخلق ما لا تعلمون مما أراد خلقه.

٩) وعلى الله بيان الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاته وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو من طرق الشيطان المائلة عن الحق، وكل طريق غير طريق الإسلام فهو مائل، ولو شاء الله أن يوفقكم جميعاً للإيمان لوفقكم له جميعاً.

١٠) هو سبحانه الذي أنزل لكم من السحاب ماء، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه وتشربه أنعامكم، ومنه ما يحصل به نبات الشجر الذي فيه ترعون مواشيكم.

١١) ينبت الله لكم بذلك الماء الزروع التي تأكلون منها، وينبت لكم به الزيتون والنخل والأعنان، وينبت لكم من جميع الثمرات، إن في ذلك الماء وما ينشأ عنه لدلالة على قدرة الله لقوم يتفكرون في خلقه، فيستدلون به على عظمته سبحانه.

١٢) وذلل الله لكم الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار لتكسبوا فيه ما تعيشون به، وسخر لكم الشمس، وجعلها ضياء، والقمر وجعله نوراً، والنجوم مذللات لكم بأمره القدري، بها تهتدون في ظلمات البر والبحر، وتعلمون الأوقات وغير ذلك، إن في

تسخير ذلك كله لدلالات واضحة على قدرة الله لقوم يعملون عقولهم، فهم الذين يدركون الحكمة منها.

١٣) وسخر لكم ما خلق سبحانه في الأرض مما اختلفت ألوانه من المعادن والحيوان والنبات والزروع، إن في ذلك المذكور من الخلق والتسخير لدلالة جلية على قدرة الله سبحانه لقوم يعتبرون به، ويدركون أن الله قادر ومنعم.

١٤) وهو سبحانه الذي ذلل لكم البحر، فمكنكم من ركوبه واستخراج ما فيه؛ لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحماً غصاً ليناً، وتستخرجوا منه زينة تلبسونها وتلبسها نساؤكم مثل اللؤلؤ، وترى السفن تشق عباب البحر، وتركبون هذه السفن طلباً لفضل الله الحاصل من ربح التجارة، ورجاء أن تشكروا الله على ما أنعم به عليكم، وتقردوه بالعبادة.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من عظمة الله أنه يخلق ما لا يعلمه جميع البشر في كل حين يريد سبحانه.
- خلق الله النجوم لزينة السماء، والهداية في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأزمنة.
- الثناء والشكر على الله الذي أنعم علينا بما يصلح حياتنا ويعيننا على أفضل معيشة.
- الله سبحانه أنعم علينا بتسخير البحر لتناول اللحوم (الأسماك)، واستخراج اللؤلؤ والمرجان، وللكوب، والتجارة، وغير ذلك من المصالح والمنافع.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ وَيَالْجَمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ
غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ
وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا
أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿١٥﴾ وألقى في الأرض رءوساً أن تميد بكم وتميل، وأجرى فيها أنهاراً لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم، وشق فيها طرقاً تسلكونها، فتصلون إلى مقاصدكم دون أن تصلوا.

﴿١٦﴾ وجعل لكم في الأرض معالم ظاهرة تهتدون بها في السير نهراً، وجعل لكم النجوم في السماء رجاء أن تهتدوا بها ليلاً.

﴿١٧﴾ أفمن يخلق هذه الأشياء وغيرها كمن لا يخلق شيئاً؟ أفلا تتذكرون عظمة الله الذي يخلق كل شيء، وتزدوه بالعبادة، ولا تشركوا به ما لا يخلق شيئاً؟

﴿١٨﴾ وإن تحالوا - أيها الناس - عد نعم الله الكثيرة التي أنعم بها عليكم، وحضرها لا تستطيعوا ذلك لكثرتها وتنوعها، إن الله لغفور رحيم يؤاخذكم بالغفلة عن شكرها، رحيم حيث لم يقطعها عنكم بسبب المعاصي والتقصير في شكره.

﴿١٩﴾ والله يعلم ما تخفون - أيها العباد - من أعمالكم، ويعلم ما تظهرون منها، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٠﴾ والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يخلقون شيئاً ولو كان قليلاً، ومن عبدوهم من دون الله هم الذين يصنعونهم، فكيف يعبدون من دون الله ما يصنونه بأيديهم من الأصنام؟

﴿٢١﴾ ومع كون عابديهم صنعوهم بأيديهم فهم جمادات لا حياة فيها ولا علم، فهم لا يعلمون متى يبعثون مع عابديهم يوم القيامة؛ ليرموا معهم في نار جهنم.

﴿٢٢﴾ معبودكم بحق هو معبود واحد لا شريك له وهو الله، والذين لا يؤمنون بالبعث للجزاء جاحدة وحدانية الله لعدم خوفها، فهي لا تؤمن بحساب ولا عقاب، وهم متكبرون لا يقبلون الحق، ولا يخضعون له.

﴿٢٣﴾ حقاً إن الله يعلم ما يسره هؤلاء من الأعمال، ويعلم ما يظهرونه منها، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم عليها، إنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن عبادته والخضوع له، بل يمتقهم أشد المقت.

﴿٢٤﴾ وإذا قيل لهؤلاء الذين ينكرون وحدانية الخالق، ويكذبون بالبعث: ماذا أنزل الله على محمد ﷺ؟ قالوا: لم ينزل عليه شيئاً، وإنما جاء من نفسه بقصص الأولين وأكاذيبهم.

﴿٢٥﴾ ليكون ما لهم أن يحملوا آثامهم دون نقص، ويحملوا من آثام الذين أضلوهم عن الإسلام جهلاً وتقليداً، فما أشد قبح ما يحملونه من آثامهم وآثام أتباعهم. ﴿٢٦﴾ لقد أتى الكفار من قبل هؤلاء بالمكايد لرسولهم، فهدم الله أبنيتهم من أسسها، فسقطت عليهم سقوفهم من فوقهم، وجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، فقد كانوا يتوقعون أن أبنيتهم تحميهم، فأهلكوا بها.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره ودعائه.
- طبيعة الإنسان الظلم والتجبرؤ على المعاصي والتقصير في حقوق ربه، كَفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله.
- مساواة المُضِلِّ للضال في جريمة الضلال؛ إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين. ● أخذ الله للمجرمين فجأة أشد نكاية؛ لما يصحبه من الرعب الشديد، بخلاف الشيء الوارد تدريجاً.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَقَّفَهُمُ الْمَلَائِكَةُ مَوْجِعًا أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَقَّفَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

٢٧٠

﴿٢٧﴾ ثم يوم القيامة يهينهم الله بالعذاب، ويدلهم به، ويقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة، وكنتم تتجادلون أنبيائي والمؤمنين بسببهم؟ قال العلماء الربانيون: إن الهوان والعذاب يوم القيامة واقع على الكافرين.

﴿٢٨﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم وهم متلبسون بظلم أنفسهم بالكفر بالله، فانقادوا مستسلمين لما نزل بهم من الموت، وأنكروا ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي؛ ظناً منهم أن الإنكار ينفعهم، فيقال لهم: كذبتم، قد كنتم كافرين تعملون المعاصي، إن الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه.

﴿٢٩﴾ ويقال لهم: ادخلوا حسب أعمالكم أبواب جهنم ما كنتم فيها أبداً، فليست مقراً للمتكبرين عن الإيمان بالله وعبادته وحده.

﴿٣٠﴾ وقيل للذين اتقوا ربهم بامتنال أوامره واجتنب نواهيه: ماذا أنزل ربكم على نبيكم محمد ﷺ؟ أجابوا: أنزل الله عليه خيراً عظيماً، للذين أحسنوا عبادة الله وأحسنوا التعامل مع خلقه في هذه الحياة الدنيا مثوبة حسنة، منها النصر وسعة الرزق، وما أعده الله لهم من الثواب في الآخرة خير مما عجله لهم في الدنيا، ولنعم دار المتقين لربهم بامتنال أوامره واجتنب نواهيه دار الآخرة.

﴿٣١﴾ جنات إقامة واستقرار يدخلونها، تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، لهم في هذه الجنات ما تشتهي أنفسهم من المأكول والمشرب وغيرهما، يمثل هذا الجزاء الذي يجزي به المتقين من أمة محمد ﷺ يجزي المتقين من الأمم السابقة.

﴿٣٢﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم في حال طهارة قلوبهم من الكفر، تخاطبهم الملائكة بقولهم: سلام عليكم، سلمتم من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح.

﴿٣٣﴾ هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم وضرب وجوههم وادبارهم، أو يأتي أمر الله باستئصالهم بالعذاب في الدنيا؟ مثل هذا الفعل الذي يفعله المشركون في مكة فعلة المشركون من قبلهم فأهلكهم الله، وما ظلمهم حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بالكفر بالله.

﴿٣٤﴾ فنزلت عليهم عقوبات أعمالهم التي كانوا يعملونها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه إذا ذكروا به.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في الدنيا ويوم يقوم الأَشْهَاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه.
- من أدب الملائكة مع الله أنهم أسندوا العلم إلى الله دون أن يقولوا: إنا نعلم ما كنتم تعملون، وإشعاراً بأنهم ما علموا ذلك إلا بتعليم من الله تعالى.
- من كرم الله وجوده أنه يعطي أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يُدْكَرُهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.
- العمل هو السبب والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك يحصل برحمة الله ومُنَّة على المؤمنين لا بحولهم وقوتهم.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٦﴾ إِن تَحْرِصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿٢٥﴾ وقال الذين أشركوا مع الله غيره في عبادتهم: لو شاء الله أن نعبد وحده، ولا نشرك به لما عبدنا أحدًا غيره، لا نحن ولا آباؤنا من قبلنا، ولو شاء ألا نحرم شيئًا ما حرّمناه، بمثل هذه الحجة الباطلة قال الكفار السابقون، فما على الرسل إلا التبليغ الواضح لما أمروا بتبليغه، وقد بلغوا، ولا حجة للكفار في الاعتذار بالقدر بعد أن جعل الله لهم مشيئة واختيارًا، وأرسل إليهم رسله.

﴿٢٦﴾ ولقد بعثنا في كل أمة سابقة رسولًا يأمر أمته بأن يعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة غيره من الأصنام والشياطين وغيرهم، فكان منهم من وفقه الله فأمن به، واتبع ما جاء به رسوله، وكان منهم من كفر بالله وعصى رسوله فلم يوفقه، فوجبت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض لتروا بأعينكم كيف كان مصير المكذابين بعدما حل بهم من عذاب وهلاك.

﴿٢٧﴾ إن تجتهد - أيها الرسول - بما تستطيع من دعوتك لهؤلاء، وتحرص على هدايتهم، وتأخذ بأسباب ذلك؛ فإن الله لا يوفق للهداية من يضلّه، وليس لهم من دون الله من أحد ينصرهم بدفع العذاب عنهم.

﴿٢٨﴾ وخلف هؤلاء المكذبون بالبعث المبشرين في حلفهم جاهدين فيه مؤكدين له: لا يبعث الله من يموت؛ دون أن تكون لهم حجة على ذلك، بل، سيبيحت الله كل من يموت، وعدًّا عليه حقًّا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله يبعث الموتى، فينكرون البعث.

﴿٢٩﴾ يبعثهم الله جميعًا يوم القيامة ليوضح لهم حقيقة ما كانوا يختلفون

فيه من التوحيد والبعث والنبوة، وليعلم الكفار أنهم كانوا كاذبين في ادعائهم شركاء مع الله وفي إنكارهم للبعث.

﴿٣٠﴾ إنا إذا أردنا إحياء الموتى وبعثهم فلا مانع يمنعنا من ذلك، إنما نقول لشيء إذا أردناه: «كُنْ»، فيكون لا محالة.

﴿٣١﴾ والذين تركوا ديارهم وأهليهم ومآلهم مهاجرين من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله من بعد ما عذبهم الكفار وضيقوا عليهم لئلا تنزلهم في الدنيا دارًا يكونون فيها أعزّة، ولثواب الآخرة أعظم لأن منه الجنة، لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون ثواب المهاجرين لما تخلّفوا عنها.

﴿٣٢﴾ هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أذى أقوامهم ومفارقة أهليهم وأوطانهم، وصبروا على طاعة الله، وهم على ربهم وحده يعتمدون في كل أمورهم، فأعطاهم الله هذا الجزاء العظيم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- العاقل من يعتبر ويتعظ بما حل بالضالين المكذابين كيف آل أمرهم إلى الدمار والخراب والعذاب والهلاك.
- الحكمة من البعث والمعاد إظهار الله الحق فيما يختلف فيه الناس من أمر البعث وكل شيء.
- فضيلة الصبر والتوكل: أما الصبر: فلما فيه من قهر النفس، وأما التوكل: فلأن فيه الثقة بالله تعالى والتعلق به.
- جزاء المهاجرين الذين تركوا ديارهم ومآلهم وصبروا على الأذى وتوكلوا على ربهم، هو الموطن الأفضل، والمنزلة الحسنة، والعيشة الرضية، والرزق الطيب الوفير، والتصر على الأعداء، والسيادة على البلاد والعباد.

﴿٥٥﴾ شَرَكْهُمْ بِاللّٰهِ جَعَلْهُمْ يَكْفُرُونَ
نعم الله عليهم، ومنها كشف الضر؛
ولهذا قيل لهم: تمتعوا بما أنتم فيه
من نعيم حتى يأتيكم عذاب الله الأجل
والعاجل.

﴿٥٦﴾ ويجعل المشركون لأصنامهم
التي لا تعلم شيئاً - لأنها جمادات،
ولا تنفع ولا تضر - قسماً من أموالهم
التي رزقناهم، يتقربون به إليها، والله
لتسألن - أيها المشركون - يوم
القيامة عما كنتم تزعمون من أن
هذه الأصنام آلهة، وأن لها قسماً من
أموالكم.

﴿٥٧﴾ وينسب المشركون لله البنات،
ويعتقدون أنها الملائكة، فينسبون
إليه البنوة، ويختارون له ما لا يحبونه
لأنفسهم، تنزه سبحانه وتقدس عما
يجعلونه له منها، ويجعلون لهم ما تميل
إليه أنفسهم من الأولاد الذكور، فأبي
جبرم أعظم من هذا ١٩١

﴿٥٨﴾ وإذا أخبر أحد هؤلاء
المشركين بميلاد أنثى اسود وجهه من
شدة كراهية ما أخبر به، وامتلأ قلبه
هماً وحزناً، ثم هو ينسب إلى الله ما لا
يرضاه لنفسه!

﴿٥٩﴾ يختفي ويتغيب عن قومه من
سوء ما أخبر به من ميلاد أنثى،
تحدثه نفسه: أيملك هذه البنت
على ذل وانكسار أم يئدها، فيخفيها
في التراب؛ ما أقبح ما يحكم به
المشركون، حيث حكموا لربهم بما
يكرهون لأنفسهم.

﴿٦٠﴾ للكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة
صفة السوء من الحاجة للولد والجهل
والكفر، ولله الصفات الحميدة العليا
من الجلال والكمال والغنى والعلم،

وهو سبحانه العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدييره وتشريعه.

﴿٦١﴾ ولو يعاقب الله سبحانه الناس بسبب ظلمهم وكفرهم به ما ترك على الأرض من إنسان ولا حيوان يدب على وجهها، ولكنه
سبحانه يؤخرهم إلى أمد محدد في علمه، فإذا جاء ذلك الأمد المحدد في علمه لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون، ولو وقتاً يسيراً.

﴿٦٢﴾ ويجعلون لله سبحانه ما يكرهون نسبته إليهم من الإناث، وتنطق ألسنتهم بالكذب أن لهم عند الله المنزلة الحسنى إن صح
أنهم سيبعثون كما يقولون، حقاً إن لهم النار، وإنهم متروكون فيها، لا يخرجون منها أبداً.

﴿٦٣﴾ تالله لقد بعثنا رسلاً إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الشرك والكفر والمعاصي،
فهو نصيرهم المزعوم يوم القيامة فليستصروه، ولهم يوم القيامة عذاب موجه.

﴿٦٤﴾ وما أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن إلا لتبين لجميع الناس ما اختلفوا فيه من التوحيد والبعث وأحكام الشرع، وأن يكون
القرآن هداية ورحمة للمؤمنين بالله وبرسله، وبما جاء به القرآن، فهم الذين ينتفعون بالحق.

﴿٦٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ

● من جهالات المشركين: نسبة البنات إلى الله تعالى، ونسبة البنين لأنفسهم، وأنفثهم من البنات، وتغير وجوههم حزناً وغماً
بالبنات، واستخفاء الواحد منهم وتغيبه عن مواجهة القوم من شدة الحزن وسوء الخزي والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنات.

● من سنن الله إهمال الكفار وعدم معالجتهم بالعقوبة ليعترك الفرصة لهم للإيمان والتوبة. ● مهمة النبي ﷺ الكبرى هي تبيان
ما جاء في القرآن، وبيان ما اختلف فيه أهل الملل والأهواء من الدين والأحكام، فتقوم الحجة عليهم ببيانه.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿٦٥﴾ واللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ جِهَةِ السَّمَاءِ مطرًا، فأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بِإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَاحِلَةً جَافَةً، إِنَّ فِي إِنْزَالِ الْمَطَرِ مِنَ جِهَةِ السَّمَاءِ، وَإِخْرَاجِ نَبَاتِ الْأَرْضِ بِهِ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ.

﴿٦٦﴾ وَإِنَّ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ لَعِظَةً تَتَعَطَّوْنَ بِهَا، حَيْثُ نَسْقِيكُمْ مِنْ ضُرُوعِهَا لَبَنًا خَارِجًا مِنْ بَيْنِ مَا يَحْتَوِيهِ الْبَطْنُ مِنْ فَضَلَاتٍ وَمَا فِي الْجِسْمِ مِنْ دَمٍ، وَمَعَ هَذَا يَخْرُجُ لَبَنًا خَالِصًا نَقِيًّا لَذِيذًا يَطِيبُ لِلشَّارِبِينَ.

﴿٦٧﴾ وَلَكُمْ عِظَةٌ فِيَمَا نَرْزُقُكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخْلِ وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْأَعْنَابِ، فَتَتَّخِذُونَ مِنْهُ مَسْكِرًا يَذْهَبُ بِالْعَقْلِ، وَهُوَ غَيْرُ حَسَنٍ، وَتَتَّخِذُونَ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا تَتَتَّقُونَ بِهِ مِثْلَ الثَّمَرِ وَالزَّبِيبِ وَالخَلِّ وَالدَّبْسِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكَورِ لَدَلَالَةً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَى عِبَادِهِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، فَهَمُ الَّذِينَ يَتَعَبَّرُونَ.

﴿٦٨﴾ وَاللَّهُ رُبُّكُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - النحل، وأرشدنا أن: اتَّخِذِي لَكَ بُيُوتًا فِي الْجِبَالِ، وَاتَّخِذِي بُيُوتًا فِي الشَّجَرِ، وَفِيَمَا يَبْنِيهِ النَّاسُ وَيَسْقِفُونَهُ.

﴿٦٩﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَاسْلُكِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَلْهَمَكَ رَبُّكَ سُلُوكَهَا مُذَلَّلَةً، يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِ تِلْكَ النَحْلِ عَسَلٌ مُخْتَلِفٌ الْأَلْوَانُ، فِيهِ الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ وَغَيْرُهُمَا، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، يَعَالِجُونَ بِهِ الْأَمْرَاضَ، إِنَّ فِي الْإِهَامِ النَّحْلِ ذَلِكَ وَفِي الْعَسَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا لَدَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ لَشُؤُونِ خَلْقِهِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ،

فهم الذين يعتبرون. ﴿٧٠﴾ واللَّهُ خَلَقَكُمْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، ثُمَّ يَمِيتُكُمْ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَمْتَدُّ عُمُرُهُ إِلَى أَسْوَأِ مَرَاهِلِ الْعُمُرِ وَهُوَ الْهَرَمُ، فَلَا يَعْلَمُ مِمَّا كَانَ يَعْلَمُهُ شَيْئًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ، قَدِيرٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ. ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، فَجَعَلَ مِنْكُمْ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالسَّيِّدَ وَالْمَسْجُودَ، فَلَيْسَ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ فِي الرِّزْقِ بِرَادِّي مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَلَى عِبِيدِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا شُرَكَاءَ بِالْإِسْوِيَةِ مَعَهُمْ فِي الْمَلِكِ، فَكَيْفَ يَرْضَوْنَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ مِنْ عِبِيدِهِ، وَلَا يَرْضَوْنَ لَأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شُرَكَاءَ مِنْ عِبِيدِهِمْ يَسْتَوُونَ مَعَهُمْ؟ فَأَيُّ ظُلْمٍ هَذَا، وَأَيُّ جُحُودٍ لِنِعْمِ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا؟

﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ جِنْسِكُمْ أَزْوَاجًا تَأْتَسُونَ بِهِمْ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ أَوْلَادًا وَأَوْلَادًا أَوْلَادًا، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ - كَاللَّحْمِ وَالْحَبُوبِ وَالْفَوَاكِه - طَيِّبَهَا، أَفَبِالْبَاطِلِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ يُؤْمِنُونَ، وَبِنِعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُونَ حَصَرَهَا يَكْفُرُونَ وَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَحْدَهُ؟

﴿٧٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● جعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد طريًا ونضيجًا وحاضرًا ومُدَّخَرًا وطعامًا وشرابًا. ● في خلق النحلة الصغيرة وما يخرج من بطونها من عسل لذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يوحد غيره ويُدعى سواه. ● من منن الله العظيمة على عباده أن جعل لهم أزواجًا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادًا تقرُّ بهم أعينهم، ويخدمونهم ويقضون حوائجهم، ويتنعمون بهم من وجوه كثيرة.

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٢﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثَارَ زَرْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٥﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٦﴾
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾

﴿٧٢﴾ ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله أصنامًا، لا يملكون أن يرزقوهم أي رزق من السماوات ولا من الأرض، ولا يتأتى منهم أن يملكوا ذلك؛ لكونهم جمادات لا حياة لها ولا علم.

﴿٧٣﴾ فلا تجعلوا - أيها الناس - لله أشباهًا من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فليس لله شبيه حتى تشركوه معه في العبادة، إن الله يعلم ما له من صفات الجلال والكمال، وأنتم لا تعلمون ذلك، فتقعون في الشرك به، وادعاء مماثلته لأصنامكم.

﴿٧٤﴾ ضرب الله سبحانه مثالًا للرد على المشركين: عبدًا مملوكًا عاجزًا عن التصرف، ليس له ما ينفقه، وحرًا أعطيناه من لدننا مالًا حلالًا، يتصرف فيه بما يشاء، فهو يبذل منه في الخفاء والجهر ما يشاء، فلا يستوي هذان الرجلان، فكيف تستوون بين الله المالك المتصرف في ملكه بما يشاء، وبين أصنامكم العاجزة؟! الثناء لله المستحق للثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون انفراد الله بالألوهية واستحقاق أن يُعبد وحده.

﴿٧٥﴾ وضرب الله سبحانه مثالًا آخر للرد عليهم هو مثل رجلين: أحدهما أبكم لا يسمع ولا ينطق ولا يفهم؛ لصممه وبكمه، عاجز عن نفع نفسه وعن نفع غيره، وهو حمل ثقيل على من يعوله، ويتولى أمره، أينما يبعثه لجهة لا يأت بخير، ولا يظفر بمطلوب، هل يستوي من هذه حاله مع من هو سليم السمع والنطق، نفعه مُتَعَدٍّ، فهو يأمر الناس بالعدل، وهو مستقيم في نفسه، فهو على طريق واضح لا لبس فيه ولا عوج؟! فكيف تستوون - أيها

المشركون - بين الله المتصف بصفات الجلال والكمال وبين أصنامكم التي لا تسمع ولا تنطق، ولا تجلب نفعًا، ولا تكشف ضرًا؟! ولله وحده علم ما غاب في السماوات، وعلم ما غاب في الأرض، فهو المختص بعلم ذلك دون أحد من خلقه، وما شأن القيامة التي هي من الغيوب المختصة به في سرعة مجيئها إذا أَرَادَ إلا مثل انطباق جفن عين وفتحها، بل هو أقرب من ذلك، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، إذا أَرَادَ أمرًا قال له: ﴿كُنْ﴾، فيكون.

﴿٧٦﴾ والله أخرجكم - أيها الناس - من بطون أمهاتكم بعد انقضاء وقت الحمل أطفالًا لا تدركون شيئًا، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها؛ رجاء أن تشكروهم على ما أنعم به عليكم منها.

﴿٧٧﴾ ألم ينظر المشركون إلى الطير مُذَلَّلَاتٍ مَهَيَّاتٍ للطيران في الهواء بما منحها الله من الأجنحة ورقة الهواء، وألهمها قبض أجنحتها وبسطها، ما يمسكهن في الهواء عن السقوط إلا الله القادر، إن في ذلك التذليل والإمساك عن السقوط لدلالات لقوم يؤمنون بالله؛ لأنهم الذين ينتفعون بالدلالات والعبر.

﴿٧٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • لله تعالى الحكمة البالغة في قسمة الأزواق بين العباد، إذ جعل منهم الغني والفقير والمتوسط؛ ليتكامل الكون، ويتعايش الناس، ويخدم بعضهم بعضًا. • دلّ المثالن في الآيات على ضلالة المشركين وبطلان عبادة الأصنام؛ لأن شأن الإله المعبود أن يكون مالكا قادرا على التصرف في الأشياء، وعلى نفع غيره ممن يعبدونه، وعلى الأمر بالخير والعدل. • من نعمه تعالى ومن مظاهر قدرته خلق الناس من بطون أمهاتهم لا علم لهم بشيء، ثم تزويدهم بوسائل المعرفة والعلم، وهي السمع والأبصار والأفئدة، فيها يعلمون ويدركون.

﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوَمِتْعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٣﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَالْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٧﴾ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَ يَمِيزُ الْسَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْبِيَةِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنَ الْحَرِّ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَسْرَابًا وَمَغَارَاتٍ وَكُهوفًا تَسْتَكْتُمُونَ فِيهَا مِنَ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ وَالْعَدُوِّ، وَجَعَلَ لَكُمْ قِمَاصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَغَيْرِهِ تَدْفَعُ عَنْكُمْ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، وَجَعَلَ لَكُمْ دُرُوعًا تَقِيكُمْ بِأَسْ بَعْضِكُمْ فِي الْحَرْبِ، فَلَا يَنْفُذُ السِّلَاحُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، كَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ السَّابِقَةِ يَكْمُلُ نِعْمُهُ عَلَيْكُمْ رَجَاءً أَنْ تَقَادُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا.

﴿٨٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ بِمَا جِئْتُ بِهِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - إِلَّا تَبْلِيغُ مَا أَمَرْتُ بِتَبْلِيغِهِ تَبْلِيغًا وَاضِحًا، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَمْلُهُمْ عَلَى الْهَدَايَةِ.

﴿٨٣﴾ يَعْرِفُ الْمُشْرِكُونَ نِعْمَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَمِنْهَا إِرْسَالُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ يَجْحَدُونَ نِعْمَهُ بَعْدَ شُكْرِهَا، وَبِالتَّكْذِيبِ بِرَسُولِهِ، وَأَكْثَرُهُمُ الْجَا حِدُونَ لِنِعْمَةِ سَبْحَانَهُ.

﴿٨٤﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولَهَا الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهَا يَشْهَدُ عَلَى إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِ

منهم وكفر الكافر، ثم بعد ذلك لا يسمح للكفار بالاعتذار عما كانوا عليه من الكفر، ولا يرجعون إلى الدنيا ليعملوا ما يرضى عنه ربهم، فالآخرة دار حساب لا دار عمل.

﴿٨٥﴾ وَإِذَا عَايَنَ الظَّالِمُونَ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَلَا هُمْ يُمَهَّلُونَ بِتَأْخِيرِهِ عَنْهُمْ، بَلْ يَدْخُلُونَهُ خَالِدِينَ فِيهِ مَخْلُودِينَ.

﴿٨٦﴾ وَإِذَا عَايَنَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْآخِرَةِ مَعْبُودَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا: رَبَّنَا، هَؤُلَاءِ هُمُ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِكَ، قَالُوا ذَلِكَ لِيُخَمِّلُوهُمْ أَوزَارَهُمْ، فَانْطَلِقِ اللَّهُ مَعْبُودَاتِهِمْ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - لَكَاذِبُونَ فِي عِبَادَتِكُمْ شَرِيكًا مَعَ اللَّهِ، فَلَيْسَ مَعَهُ شَرِيكٌ فَيُعْبَدُ.

﴿٨٧﴾ وَاسْتَسْلِمَ الْمُشْرِكُونَ، وَانْقَادُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ مِنْ ادِّعَاءِ أَنْ أَسْمَانُهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

﴿٨٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- دلت الآيات على جواز الانتفاع بالأصواف والأوبار والأشعار على كل حال، ومنها استخدامها في البيوت والأثاث.
- كثرة النعم من الأسباب الجالية من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى.
- الشهيد الذي يشهد على كل أمة هو أركى الشهداء وأعدلهم، وهم الرسل الذين إذا شهدوا تمَّ الحكم على أقوامهم.
- في قوله تعالى: ﴿وَسَرَّيْلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾ دليل على اتخاذ العباد عِدَّةَ الْجِهَادِ؛ لِيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى قِتَالِ الْأَعْدَاءِ.

الذين كفروا بالله، وصرفوا غيرهم عن سبيل الله زدناهم عذاباً - بسبب فسادهم وإفسادهم بإضلالهم لغيرهم - على العذاب الذي استحقوه لكفرهم.

واذكر - أيها الرسول - يوم نبعث في كل أمة رسولاً يشهد عليهم بما كانوا عليه من كفر أو إيمان، هذا الرسول من جنسهم، ويتكلم بلسانهم، وجئنا بك - أيها الرسول - شهيداً على الأمم جميعاً، ونزلنا عليك القرآن لتبين كل ما يحتاج إلى تبين من الحلال والحرام والثواب والعقاب وغير ذلك، ونزلناه هداية للناس إلى الحق، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، وتبشيراً للمؤمنين بالله بما ينتظرون من النعيم المقيم.

إن الله يأمر عباده بالعدل بأن يؤدي العبد حقوق الله وحقوق العباد، وألا يفضل أحداً على أحد في الحكم إلا بحق يوجب ذلك التفضيل، ويأمر بالإحسان بأن يتفضل العبد بما لا يلزمه كالإنفاق تطوعاً والعفو عن الظالم، ويأمر بإعطاء الأقرباء ما يحتاجون إليه، وينهى عن كل ما قبح، قولاً كفحش القول، أو فعلاً كالزنى، وينهى عما ينكره الشرع، وهو كل المعاصي، وينهى عن الظلم والتكبر على الناس، يعظكم الله بما أمركم به، ونهاكم عنه في هذه الآية رجاء أن تعتبروا بما وعظكم به.

وأوفوا بكل عهد عاهدتم الله أو عاهدتم الناس عليه، ولا تنقضوا الأيمان بعد تقليظها بالحلف بالله، وقد جعلتم الله شهيداً عليكم بالوفاء بما حلفتكم عليه، إن الله يعلم ما تفعلون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۖ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

ولا تكونوا بنقض العهود سفهاء خفاف العقول، مثل امرأة حمقاء تعبت في غزل صوفها أو قطنها، وأحكمت غزلها، ثم نقضته وجعلته محلولا كما كان قبل غزله، فتعبت في غزله ونقضه، ولم تحصل على مطلوب، تُصَيِّرُونَ آيَانَكُمْ خَدِيعَةً يَخْدَعُ بِبَعْضِهَا بِهَا؛ لتكون أمتكم أكثر وأقوى من أمة أعدائكم، إنما يختبركم الله بالوفاء بالعهود، هل تفون بها، أو تنقضونها؟ وليوضحنَّ الله لكم يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، فبين المحق من المبطل، والصادق من الكاذب.

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقين على الحق، ولكنه سبحانه يضل من يشاء بخذلائه عن الحق وعن الوفاء بالعهود بعده، ويوفق من يشاء بفضلته لذلك، ولتسألنَّ يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- للكفار الذين يصدون عن سبيل الله عذاب مضاعف بسبب إفسادهم في الدنيا بالكفر والمعصية.
- لا تخلو الأرض من أهل الصلاح والعلم، وهم أئمة الهدى خلفاء الأنبياء، والعلماء حفظاء شرائع الأنبياء.
- حذرت هذه الآيات دعائم المجتمع المسلم في الحياة الخاصة والعامة للفرد والجماعة والدولة.
- النهي عن الرشوة وأخذ الأموال على نقض العهد.

﴿٩٤﴾ وَلَا تُصَيِّرُوا إِيْمَانَكُمْ خُدَيْعَةً يَخْدَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَا، تَتَّبِعُونَ فِيهَا أَهْوَاءَكُمْ، فَتَقْتَضُونَهَا مَتَى شِئْتُمْ، وَتَقُونَ بِهَا مَتَى شِئْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ ذَلِكَ زَلْتُمْ أَقْدَامَكُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ثَابِتَةً عَلَيْهِ، وَذُقْتُمْ الْعَذَابَ بِسَبَبِ ضَلَالِكُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَاضْلَالِكُمْ غَيْرِكُمْ عَنْهَا، وَلَكُمْ عَذَابٌ مُضَاعَفٌ.

﴿٩٥﴾ وَلَا تَسْتَبْدِلُوا بَعْدَ اللَّهِ عَوْضًا قَلِيلًا عَلَى نَفْسِكُمْ لِلْعَهْدِ، وَتَرَكُوا الْوَفَاءَ بِهِ، إِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنَائِمِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَتَالَوْنَهُ مِنْ عَوْضٍ قَلِيلٍ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنَ الْمَالِ وَاللَّذَاتِ وَالنِّعَمِ يَنْقُضِي وَلَوْ كَانَ كَثِيرًا، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَزَاءِ بَاقٍ، فَكَيْفَ تَوَثَّرُونَ فَانِيًا عَلَى بَاقٍ؟ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى عَهْدِهِمْ وَلَمْ يَنْقُضُوا ثَوَابَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَتَجْزِيَهُمُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

﴿٩٧﴾ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ ذِكْرًا كَانَ أَوْ أَنْتَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ؛ فَلَنُحْيِيَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِالْقَنَاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ ثَوَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

﴿٩٨﴾ فَإِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ الْمَطْرُودِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

وَلَا تَتَّخِذُوا إِيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدِ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ وَلَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿٩٩﴾ إِنْ الشَّيْطَانُ لَيْسَ لَهُ تَسْلُطٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ، وَعَلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ يَعْتَمِدُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا تَسْلُطُهُ بِالْوَسْوَاسِ عَلَى الَّذِينَ يَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا، وَيَطِيعُونَهُ فِي إِغْوَاثِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَاثِهِ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

﴿١٠١﴾ وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِآيَةٍ أُخْرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْسَخُ مِنَ الْقُرْآنِ لِحُكْمَةٍ، وَعَلِيمٌ بِمَا لَا يَنْسَخُ مِنْهُ - قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ - يَا مُحَمَّدٌ - كَاذِبٌ تَخْتَلِقُ عَلَى اللَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ النِّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ لِحُكْمَةٍ إِلَهِيَّةٍ بِالْفَعْلِ.

﴿١٠٢﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: نَزَلَ بِهَذَا الْقُرْآنِ جِبْرِيلٌ ؑ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ وَلَا تَبْدِيلَ وَلَا تَحْرِيفَ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ كُلَّمَا نَزَلَ مِنْهُ جَدِيدٌ، وَنُسْخٌ مِنْهُ بَعْضٌ، وَلِيَكُونَ هُدًى لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يَحْصِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ.

﴿١٠٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَقْرُونُ بِالْإِيْمَانِ يَجْعَلُ الْحَيَاةَ طَيِّبَةً.
- الطَّرِيقُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ هُوَ الْإِلْتِمَازُ إِلَى اللَّهِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ.
- عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلُوا الْقُرْآنَ إِمَامَهُمْ، فَيَتَرَبَّعُوا بِعُلُومِهِ، وَيَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ، وَيَسْتَضِيئُوا بِنُورِهِ، فَبِذَلِكَ تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ.
- نَسْخُ الْأَحْكَامِ وَاقِعٌ فِي الْقُرْآنِ زَمَنَ الْوَحْيِ لِحُكْمَةٍ، وَهِيَ مَرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ وَالْحَوَادِثِ، وَتَبْدِيلُ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ
﴿١١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١١٥﴾
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ
صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
﴿١١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ
وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١١٨﴾ لَاجِرَمَ
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثَمَّ جَاهِدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٣﴾ ونحن نعلم أن المشركين يقولون: إن محمداً ﷺ إنما يُعَلِّمُهُ القرآن إنساناً، وهم كاذبون في دعواهم، قلغة من يزعمون أنه يعلمه أعجمية، وهذا القرآن نزل بلسان عربي واضح ذي بلاغة عالية، فكيف يزعمون أنه تلقاه من أعجمي؟

﴿١١٤﴾ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله أنها من عنده سبحانه لا يوفقههم الله للهداية ما داموا مُصْرِّين على ذلك، ولهم عذاب موجه بسبب ما هم فيه من الكفر بالله، والتكذيب بآياته.

﴿١١٥﴾ ليس محمد ﷺ كاذباً فيما جاء به من ربه، إنما يختلق الكذب الذين لا يصدقون بآيات الله؛ لأنهم لا يخافون عذاباً، ولا يرجون ثواباً، وأولئك المتصفون بالكفر هم الكاذبون؛ لأن الكذب عادتهم التي اعتادوا عليها.

﴿١١٦﴾ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر فتطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان موقن بحقيقته، لكن من كان منفسح الصدر بالكفر فاختاره على الإيمان وتكلم به طائفاً فهو مرتد عن الإسلام فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم.

﴿١١٧﴾ ذلك الارتداد عن الإسلام بسبب أنهم آثروا ما ينالونه من حطام الدنيا مكافأة لكفرهم على الآخرة، وأن الله لا يوفق القوم الكافرين إلى الإيمان، بل يخذلهم.

﴿١١٨﴾ أولئك المتصفون بالردة بعد الإيمان الذين ختم الله على قلوبهم فلا يفهمون المواعظ، وعلى أسماعهم فلا يسمعونها سماعاً يُنْتَفَع به، وعلى أبصارهم فلا يبصرون الآيات الدالة على الإيمان، وأولئك هم الغافلون عن أسباب السعادة والشقاء، وعما أعد الله لهم من العذاب.

﴿١١٩﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بسبب كفرهم بعد إيمانهم الذي لو تمسكوا به لدخلوا الجنة.

﴿١٢٠﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - لغفور ورحيم بالمستضعفين من المؤمنين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بعدما عذبهم المشركون وامتنحوهم في دينهم حتى نطقوا بكلمة الكفر وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ثم جاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وصبروا على مشاقه، إن ربك من بعد تلك الفتن التي فُتِنُوا بها، والتعذيب الذي عُدُّوا به حتى نطقوا بكلمة الكفر: لغفور لهم، رحيم بهم؛ لأنهم ما نطقوا بكلمة الكفر إلا مُكْرَهِينَ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الترخيص للمُكره بالنطق بالكفر ظاهراً مع اطمئنان القلب بالإيمان.
- المرتدون استوجبوا غضب الله وعذابه؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وحرموا من هداية الله، وطبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وجعلوا من الغافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيامة.
- كَتَبَ الله المغفرة والرحمة للذين آمنوا، وهاجروا من بعد ما فتنوا، وصبروا على الجهاد.

﴿١١٢﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجْدِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٥﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطَرَّ غَيْرَ بَإِغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٨﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٢﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يأتي كل إنسان يُجَادُّ عن نفسه، لا يُجَادُّ عن غيرها لعظم الموقف، وتُوْفَى كل نفس جزاء ما عملت من خير وشر، وهم لا يُظْلَمُونَ بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿١١٣﴾ وضرب الله مثلاً قرية - وهي مكة - كانت آمنة لا يخاف أهلها، مستقرة والناس من حولها يُتَحَفُّونَ، يجيئها رزقها هنيئاً سهلاً من كل مكان، فكفر أهلها بما أنعم الله عليهم من النعم ولم يشكروه، فجازاهم الله بالجوع والخوف الشديد الظاهر على أجسامهم فزعاً وهزاً، حتى صاروا كاللباس لهم بسبب ما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.

﴿١١٤﴾ ولقد جاء أهل مكة رسول منهم يعرفونه بالأمانة والصدق، وهو محمد ﷺ، فكذبوه فيما أنزله عليه ربه، فنزل بهم عذاب الله بالجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك حين أشركوا بالله، وكذبوا رسوله.

﴿١١٥﴾ فكلوا - أيها العباد - مما رزقكم الله سبحانه ما كان حلالاً من جنس ما يُسْتَطَابُ أكله، واشكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم بالإقرار بهذه النعم لله وصرفها في مرضاته، إن كنتم تعبدونه وحده ولا تشركون به.

﴿١١٦﴾ حَرَّمَ الله عليكم من المأكولات ما مات دون ذكاة مما يُذَكَّى، والدم المسفوح، والخنزير بجميع أجزائه، وما ذبحه ذابحه قرباناً لغير الله، وهذا التحريم إنما هو في حالة الاختيار، فمن أجبته الضرورة إلى أكل المذكورات، فأكل منها غير راغب

في المحرم لذاته، ولا متجاوز لحد الحاجة؛ فلا إثم عليه، فإن الله غفور، يغفر له ما أكل، رحيم به حين أباح له ذلك عند الضرورة. ﴿١١٧﴾ ولا تقولوا - أيها المشركون - لما تصفه ألسنتكم من الكذب على الله: هذا الشيء حلال، وهذا الشيء حرام؛ بقصد أن تختلقوا على الله الكذب بتحريم ما لم يحرم، أو تحليل ما لم يحلل، إن الذين يختلفون على الله الكذب لا يفوزون بمطلوب، ولا ينجون من مروهوب.

﴿١١٨﴾ لهم متاع قليل حقير باتباعهم أهواءهم في الدنيا، ولهم يوم القيامة عذاب موجه. ولما ذكر الله ما حرمه من المأكولات على هذه الأمة ذكر ما حرمه على اليهود فقال:

﴿١١٩﴾ وعلى اليهود خاصة حرمنا ما قصصناه عليك - كما في الآية (١٤٦) من سورة الأنعام -، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين ارتكبوا أسباب العقاب، فجزيناهم ببغيهم، فحرمنا عليهم ذلك عقوبة لهم.

﴿١٢٠﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الجزاء من جنس العمل؛ فإن أهل القرية لما بطروا النعمة بدّلوا بنقيضها، وهو مَحَقُّهَا وَسَلْبُهَا ووقعوا في شدة الجوع بعد الشبع، وفي الخوف والهلع بعد الأمن والأطمئنان، وفي قلة موارد العيش بعد الكفاية.
- وجوب الإيمان بالله وبالرسل، وعبادة الله وحده، وشكره على نعمه وآلائه الكثيرة، وأن العذاب الإلهي لاحقٌ بكل من كفر بالله وعصاه، وجحد نعمة الله عليه.
- الله تعالى لم يحرم علينا إلا الخبائث تفضلاً منه، وصيانة عن كل مُسْتَقْذَرٍ.

﴿١١٩﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - للذين عملوا السيئات جهلاً بعاقبتها وإن كانوا متعمدين، ثم تابوا إلى الله بعد ما عملوا من سيئات، وأصلحوا أعمالهم التي فيها فساد، إن ربك من بعد التوبة لغفور لذنوبهم، رحيم بهم. ولما كان المشركون يزعمون أنهم على ملة إبراهيم رد الله عليهم دعواهم، فقال:

﴿١٢٠﴾ إن إبراهيم ؑ كان جامعاً لخصال الخير، مديماً لطاعة ربه، مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يكن من المشركين قط. وكان شاكراً لنعم الله التي أنعم بها عليه، اختاره الله للنبوة، وهداه إلى دين الإسلام القويم.

﴿١٢١﴾ وأعطيناه في الدنيا النبوة والثناء الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أعد الله لهم الدرجات العلى من الجنة.

﴿١٢٢﴾ ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والبراءة من المشركين والدعوة إلى الله والعمل بشريعته، مائلاً عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، وما كان من المشركين قط كما يزعم المشركون، بل كان موحداً لله.

﴿١٢٣﴾ إنما جعل تعظيم السبب فرضاً على اليهود الذين اختلفوا فيه؛ ليتفرغوا فيه من مشاغلهم للعبادة بعد أن ضلوا عن يوم الجمعة الذي أمروا بالتفرغ فيه، وإن ربك - أيها الرسول - ليحكم بين هؤلاء المختلفين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيجازي كلأ بما يستحق.

﴿١٢٤﴾ ادع - أيها الرسول - إلى دين الإسلام أنت ومن اتبعك من المؤمنين

بما تقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده، وبالنصح المشتمل على الترغيب والترهيب، وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن قولاً وفكراً وتهذيباً، فليس عليك هداية الناس، وإنما عليك إبلاغهم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن دين الإسلام، وهو أعلم بالمهتدين إليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٢٥﴾ وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما فعل بكم دون زيادة، ولئن صبرتم عن معاقبتكم له عند القدرة عليه فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعاقبتهم.

﴿١٢٦﴾ واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من أذاهم، وما توفيقك للصبر إلا بتوفيق الله لك، ولا تحزن لإعراض الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون به من مكر وكيد.

﴿١٢٧﴾ إن الله مع الذين اتقوه بترك المعاصي، والذين هم محسنون بأداء الطاعات، وامثال ما أمروا به، فهو معهم بالنصر والتأييد.

﴿١٢٨﴾ من قواعد الآيات،

- اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباده الذين يعملون سوء من الكفر والمعاصي، ثم يتوبون ويصلحون أعمالهم، فيغفر الله لهم.
- يحسن بالمسلم أن يتخذ إبراهيم ؑ قدوة له.
- على الدعاة إلى دين الله اتباع هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.
- العقاب يكون بالمثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِلنَّعْمَةِ أَجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمِنَ آيَاتِنَا أَنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝
ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَا لَكُمُ الْبَأْسَ وَبَنَيْنَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
۝ إِنَّ أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُكُمْ لَآ نَفْسَكُمْ وَإِن أَنَسْتُمْ فَلَهَا فَيَآذَا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَادْخُلُوهُ أُولَٰ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝

الجزء ١٥
الجزء ٢٩

• من مقاصد السورة:
تثبيت الله لرسوله ﷺ وتأنيده
بآيات البينات، وبشارته بالنصر
والثبات.

• التفسير:

﴿١﴾ تنزه الله سبحانه وتعظم؛ لقدرته
على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فهو
الذي سير عبده محمدًا ﷺ روحًا
وجسدًا يقظة بجزء من الليل من
المسجد الحرام إلى مسجد بيت
المقدس الذي باركنا حوله بالشار
والزروع وبمنازل الأنبياء ﷺ؛ ليرى
بعض آياتنا الدالة على قدرة الله
سبحانه، إنه هو السميع فلا يخفى
عليه مسموع، البصير فلا يخفى عليه
مُبصر.

﴿٢﴾ وأعطينا موسى ﷺ التوراة
وجعلناها هادية ومرشدة لبني
إسرائيل، وقلنا لبني إسرائيل: لا
تتخذوا من دوني وكيلًا تفوضون إليه
أمورك، بل توكلوا عليّ وحدي.

﴿٣﴾ أنتم من نسل من أنعمنا عليهم
بالنجاه مع نوح ﷺ من الغرق في
الطوفان، فتذكروا هذه النعمة،
واشكروا الله تعالى بعبادته وحده
وطاعته، وافتدوا في ذلك بنوح، فإنه
كان كثير الشكر لله تعالى.

﴿٤﴾ وأخبرنا بني إسرائيل وأعلمناهم
في التوراة أنه لا بد أن يقع منهم فساد
في الأرض بفعل المعاصي والبطر
مرتين، وليستعلن على الناس بالظلم
والبغي متجاوزين الحد في الاستعلاء
عليهم.

﴿٥﴾ فإذا حصل منهم الإفساد الأول سلطنا عليهم عبادًا لنا أصحاب قوة وبطش عظيم يقتلونهم ويشردونهم، فجالوا بين ديارهم
يفسدون ما مروا عليه، وكان وعد الله بذلك واقعًا لا محالة.

﴿٦﴾ ثم أعدنا لكم - يا بني إسرائيل - الدولة والغلبة على من سلطوا عليكم عندما تبتم إلى الله، وأمددناكم بأموال بعد نهبها،
وأولاد بعد سبيهم، وصيرناكم أكثر جمعًا من أعدائكم.

﴿٧﴾ إن أحسنتم - يا بني إسرائيل - أعمالكم، وجئتم بها على الوجه المطلوب، فجزاء ذلك عائد لكم، فإلله غني عن أعمالكم،
وإن أسأتم أفعالكم فعاقبة ذلك عليكم، فالله لا ينفعه إحسان أفعالكم، ولا تضره إساءتها، فإذا حصل الإفساد الثاني سلطنا عليكم
أعداءكم ليخزوكم، ويجعلوا المساء ظاهرة على وجوهكم، لما يذيقونكم من صنوف الهوان، وليدخلوا بيت المقدس ويخربوه كما
دخلوه وخربوه المرة الأولى، وليدمروا ما غلبوا عليه من البلاد تدميرًا كاملاً.

• من قوايد الآيات:

• في قوله: ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: إشارة لدخوله في حكم الإسلام؛ لأن المسجد موطن عبادة المسلمين.

• بيان فضيلة الشكر، والافتداء بالشاكرين من الأنبياء والمرسلين.

• من حكمة الله وسنته أن يبعث على المفسدين من يمنهم من الفساد؛ لتتحقق حكمة الله في الإصلاح.

• التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تتحول.

عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ٨ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٠ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ١١ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوَنَاءَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ١٢ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ١٣ أَفَرَأَيْتَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤ مَن أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ١٦ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ١٧

١٨ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمُنْزَلُ عَلَى مُحَمَّد ﷺ يدل على أحسن السبيل وهي سبيل الإسلام، ويخبر المؤمنين بالله الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم، وهو أن لهم ثواباً عظيماً من الله.

١٩ ويخبر الذين لا يؤمنون بيوم القيامة بما يسوؤهم، وهو أننا أعدنا لهم يوم القيامة عذاباً موجعاً.

٢٠ ويدعو الإنسان لجهله على نفسه وولده وماله عند الغضب بالشروع، مثل دعائه لنفسه بالخير، فلو استجبنا دعاءه بالشروع لهلك، وهلك ماله وولده، وكان الإنسان مجبولاً على العجلة؛ ولذا فإنه قد يتعجل ما يضره.

٢١ وخلقنا الليل والنهار علامتين داليتين على وحدانية الله وقدرته؛ لما فيهما من الاختلاف في الطول والقصر والحرارة والبرودة، فجعلنا الليل مظلاً للراحة والنوم، وجعلنا النهار مضياً لتبْتَغُوا رِزْقَ اللَّهِ الَّذِي قَدَرَهُ لَكُمْ بِفَضْلِهِ، ولتعلموا بتعاقبهما عدد السنين، وما تحتاجون إليه من حساب أوقات الشهور والأيام والساعات، وكل شيء يبيناً لتتميز الأشياء، ويتضح المحق من المَبْطُل.

٢٢ وكل إنسان جعلنا عمله الصادر عنه ملازماً له ملازمة القلادة للعنق، لا يفصل عنه حتى يُحاسب عليه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه جميع ما عمل من خير وشر يجده أمامه مفتوحاً مبسوطاً.

٢٣ ونقول له يومئذ: اقرأ - أيها الإنسان - كتابك، وتول حساب نفسك على أعمالك، كفى بنفسك يوم القيامة محاسباً لك.

٢٤ من اهتدى إلى الإيمان فتواب هدايته له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، ولا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، وما كنا معذبين قوماً حتى نقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم.

٢٥ وإذا أردنا إهلاك قرية لظلمها أمرنا من أبطرتهم النعمة بالطاعة فلم يمتثلوا، بل عصوا وخرجوا عن الطاعة، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بِالْعَذَابِ الْمُسْتَأْصِلِ، فأهلكناهم هلاك استئصال.

٢٦ وما أكثر الأمم المكذبة التي أهلكناها من بعد نوح مثل عاد وثمود! وكفى بربك - أيها الرسول - بذنوب عباده خبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

٢٧ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● من اهتدى بهدي القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أمورهم.

● التحذير من الدعوة على النفس والأولاد بالشر.

● اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، كل ذلك دليل على وحدانية الله ووجوده وكمال علمه وقدرته.

● تقرر الآيات مبدأ المسؤولية الشخصية، عدلاً من الله ورحمة بعباده.

﴿١٨﴾ من كان يقصد بأعمال البر الحياة الدنيا، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يُلقي لها بالاً، عَجَّلْنَا له فيها ما نشأه نحن، لا ما يشأه هو من نعيم لمن أردنا أن نفعل ذلك به، ثم جعلنا له جهنم يدخلها يوم القيامة يعني حرها، مذمومة على اختياره الدنيا وكفره بالآخرة، مطروداً من رحمة الله.

﴿١٩﴾ ومن قصد ثواب الآخرة بأعمال البر، وسعى لها سعيها الخالي من الرياء والسمعة، وهو مؤمن بما أوجب الله الإيمان به، فأولئك المتصفون بتلك الصفات كان سعيهم مقبولاً عند الله، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٠﴾ نَزِيدُ كُلَّاً من هذين الفريقين الفاجر والبَرَّ، من عطاء ربك - أيها الرسول - دون انقطاع، وما كان عطاء ربك في الدنيا ممنوناً عن أحد، بَرّاً كان أو فاجراً.

﴿٢١﴾ تأمل - أيها الرسول - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق والمراتب، وللآخرة أعظم تفاوتاً في درجات النعيم من الحياة الدنيا، وأعظم تفضيلاً، فليحرص المؤمن عليها.

﴿٢٢﴾ لا تجعل - أيها العبد - مع الله معبوداً آخر تعبد، فتصير مذمومة عند الله، وعند عباده الصالحين لا حامد لك، مخذولة منه لا ناصر لك. ﴿٢٣﴾ وأمر ربك - أيها العبد - وأوجب ألا تعبد غيره، وأمر بالإحسان إلى الوالدين خاصة عند بلوغ الكبر، فإن بلغ أحد الوالدين الكبر أو بلغه كلاهما عندك، فلا تتضرع منهما بالقوة بما يدل على ذلك، ولا تزرجهما ولا تغلظ

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَفْضُولًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ وَكَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

عليهما في القول، وقل لهما قولاً كريماً فيه لين ولطف.

﴿٢٢﴾ وتواضع لهما ذلاً ورحمة بهما، وقل: يا رب، ارحمهما رحمة لأجل تربيتهما إياي في صغري.

﴿٢٣﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص له في العبادة وأعمال الخير، والبر بالوالدين، فإن كانت نياتكم في عبادتكم ومعاملتكم لوالديكم وغيرهما صالحة فإنه سبحانه كان للرجاعين إليه بالتوبة غفوراً، فمن تاب من تقصيره السابق في طاعته لربه أو لوالديه غفر الله له.

﴿٢٤﴾ وأعط - أيها المؤمن - القريب حقه من صلة رحمه، وأعط الفقير المحتاج، وأعط المنقطع في سفره، ولا تنفق ماله في معصية، أو على وجه الإسراف.

﴿٢٥﴾ إن المنفقين أموالهم في المعاصي، والمُسرفين في الإنفاق كانوا إخوان الشياطين، يطيعونهم فيما يأمرونهم به من التبذير والإسراف، وكان الشيطان لربه كفوراً، فلا يعمل إلا بما فيه معصية، ولا يأمر إلا بما يسخط ربه.

﴿٢٦﴾ من قَوَائِدِ الآيَاتِ،

• ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ لِيُثَابَ على ذلك. • أن النعم في الدنيا لا ينبغي أن يُستبدل بها على رضا الله تعالى؛ لأنها قد تحصل لغير المؤمن، وتكون عاقبته المصير إلى عذاب الله. • الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب، وقد قرن الله شكرهما بشكره لعظيم فضلهما. • يحرم الإسلام التبذير، والتبذير إنفاق المال في غير حقه.

وَمَا تَعْرَضْنَ عَنْهُمْ أُبْتَغَاءُ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَزْرُفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَتْ
خَطَاً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْوَاقِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿٢٨﴾ وإن امتنعت عن إعطاء هؤلاء؛ لعدم وجود ما تعطيتهم إياه منتظرًا ما يفتح الله به عليك من رزق، فقل لهم قولًا لينًا سهلاً، مثل أن تدعولهم بسعة الرزق، أو تعدهم بالعطاء إن رزقك الله مالا.

﴿٢٩﴾ ولا تمسك يديك عن الإنفاق، ولا تسرف في الإنفاق، فتصير ملومًا يلومك الناس على بخلك إن أمسكت يدك عن الإنفاق، منقطعًا عن الإنفاق لإسرافك، فلم تجد ما تتفقه.

﴿٣٠﴾ إن ربك يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء لحكمة بالغة، إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا، لا يخفى عليه منهم شيء، فيصرف أمره فيهم بما يشاء.

﴿٣١﴾ ولا تقتلوا أولادكم خوفًا من الفقر مستقبلًا إذا أنفقتهم عليهم، نحن نتكفل برزقهم، ونتكفل برزقكم أنتم، إن قتلهم كان إثماً كبيرًا؛ إذ لا ذنب لهم ولا سبب يستوجب قتلهم.

﴿٣٢﴾ واحذروا الزنى، وتجنبوا ما يشجع عليه، إنه كان متناهياً في القبح، وساء طريقاً لما يؤديه من اختلاط الأنساب، ومن عذاب الله.

﴿٣٣﴾ ولا تقتلوا النفس التي عصم الله دمها بإيمان أو بأمان إلا إن استحقت القتل بردة، أو برزى بعد إحصان، أو بقصاص، ومن قتل مظلوماً دون سبب يبيع قتله فقد جعلنا لمن يلي أمره من ورثته سلطاناً على قاتله، فله أن يطالب بقتله قصاصاً، وله العفو دون مقابل، وله العفو وأخذ الدية، فلا يتجاوز الحد الذي أباحه الله له بالتمثيل بالقاتل، أو بقتله بغير ما قتل به، أو بقتل غير القاتل، إنه كان مؤيِّداً معاناً.

﴿٣٤﴾ ولا تتصرفوا في مال من مات والده من الأطفال إلا بما هو أصلح له من تميمته وحفظه حتى يبلغ كمال عقله ورشده، وأوفوا بما بينكم وبين الله، وبما بينكم وبين عباده من عهد دون نقض أو نقص، إن الله يسأل معطي العهد يوم القيامة: هل وفى به فيثيبه أو لم يف به فيعاقبه.

﴿٣٥﴾ وأنمو الكيل إذا كلتم لغيركم ولا تخسروهم، وزنوا بالميزان العدل الذي لا ينقص شيئاً ولا يبخسه، ذلك الإيفاء للكيل والوزن خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكايل والموازين.

﴿٣٦﴾ ولا تتبع - يا ابن آدم - ما لا علم لك به، فتتبع الظنون والحدس، إن الإنسان مسؤول عما استخدم فيه سمعه وبصره وفؤاده من خير أو شر، فيثاب على الخير، ويعاقب على الشر. ﴿٣٧﴾ ولا تمش في الأرض تكبراً واختيالاً، إنك إن تمش فيها متعاليًا لن تقطع الأرض بمشيئك، ولن تصل قدامتك إلى ما وصلت إليه الجبال طولاً وارتفاعاً، فعلام التكبر إذن؟! ﴿٣٨﴾ كل ما سبق ذكره كان السيئ منه عند ربك - أيها الإنسان - ممنوعاً، لا يرضى الله عن مرتكبه، بل يبعضه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الأدب الرفيع هورد ذوي القربى بلطف، ووعدهم وعدًا جميلًا بالصلة عند اليسر، والاعتذار إليهم بما هو مقبول. • الله أرحم بالأولاد من والديهم: فهني الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفًا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. • في الآيات دليل على أن الحق في القتل للولي، فلا يُقْتَص إلا بإذنه، وإن غفا سقط القصاص. • من لطف الله ورحمته باليتيم أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وتتميته حتى يبلغ أشده.

﴿٢٨﴾ ذلك الذي وضعناه من الأوامر والنواهي والأحكام من الحكمة التي أوحاها إليك ربك، ولا تتخذ - أيها الإنسان - مع الله معبودًا آخر، فتُرْمَى في جهنم يوم القيامة ملومًا تلوّمك نفسك ويلومك الناس، مطرودًا عن كل خير.

﴿٢٩﴾ يا من تدعون أن الملائكة بنات الله، أفأختصكم ربكم - أيها المشركون - بالذكر من الأولاد، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ تعالى الله عما تقولون، إنكم تقولون على الله سبحانه قولًا بالغ القبح حيث تتسبون له الولد، وتزعمون أن له البنات إمعانًا في الكفر به.

﴿٣٠﴾ ولقد أوضحنا في هذا القرآن الأحكام والمواظ والأمثال ليتعظ بها الناس، فيسلوكوا ما ينفعهم، ويتركوا ما يضرهم، والحال أن بعضهم ممن انتكست فطرتهم لم يزد بذلك إلا بعدًا عن الحق وكراهية له.

﴿٣١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله تعالى معبودات كما يقولون افتراء وكذبًا إذن لطلبت تلك المعبودات المزعومة إلى الله ذي العرش طريقًا لتغالبه على ملكه وتنازعه فيه.

﴿٣٢﴾ تنزه الله سبحانه وتقدس عما يصفه به المشركون، وتعالى عما يقولونه علوًا كبيرًا.

﴿٣٣﴾ تسبح لله السماوات، وتسبح لله الأرض، ويسبح لله من في السماوات والأرض من المخلوقات، وما من شيء إلا ينزهه قارئًا تنزيهه إياه بالثناء، ولكن لا تفهمون كيفية تسبيحهم، فأنتم لا تفهمون إلا تسبيح من يسبح

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٢٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٣١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِثُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٣٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٣٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرَ هُمْ نُفُورًا ﴿٣٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ حَمَجَوْنَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٣٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفَاتًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٩﴾

٢٨٦

بلسانكم، إنه تعالى كان حليمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لمن تاب إليه.

﴿٣٩﴾ وإذا قرأت - أيها الرسول - القرآن فسمعوا ما فيه من الزواجر والمواظ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بيوم القيامة حجابًا ساترًا يمنعهم من فهم القرآن عقابًا لهم على إعراضهم. ﴿٤٠﴾ وصبرنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفهموا القرآن، وصبرنا في آذانهم ثقلاً حتى لا يسمعه سماع انتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولم تذكر آلهتهم المزعومة رجعوا على أعقابهم متباعدين عن إخلاص التوحيد لله. ﴿٤١﴾ نحن أعلم بطريقة استماع رؤسائهم للقرآن، فهم لا يريدون الاهتداء به، بل يريدون الاستخفاف واللفو عند قراءتك، ونحن أعلم بما يتناجون به من التكذيب والصد عنه، حين يقول هؤلاء الظالمون لأنفسهم بالكفر: لا تتبعون - أيها الناس - إلا رجلاً مسحوراً اختلط عقله. ﴿٤٢﴾ تأمل - أيها الرسول - لتعجب مما وصفوك به من صفات مذمومة مختلفة، فأنصرفوا عن الحق، وحادوا فلم يهتدوا إلى طريق الحق. ﴿٤٣﴾ وقال المشركون إنكاراً للبعث: إذا متنا وصرنا عظاماً، وبليت أجسامنا، أنبعث بعثاً جديداً؟ إن هذا المستحيل.

﴿٤٤﴾ من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

• الزعم بأن الملائكة بنات الله افتراء كبير، وقول عظيم الإثم عند الله ﷻ. • أكثر الناس لا تزيدهم آيات الله إلا نفوراً؛ لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل. • ما من مخلوق في السماوات والأرض إلا يسبح بحمد الله تعالى فينبغي للعبد ألا تسبقه المخلوقات بالتسبيح.

• من حلم الله على عباده أنه لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء صنيعهم، فرحمته سبقت غضبه.

﴿٥٠﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥١﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٣﴾ وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ يُنْشَأُ يُعَذِّبَكُمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٥﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٦﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٩﴾

﴿٥٠﴾ قل لهم - أيها الرسول -: كونوا - أيها المشركون - إن استطلعتم حجارة في شدتها، أو كونوا حديدًا في قوته، ولن تستطيعوا ذلك.

﴿٥١﴾ أو كونوا خلقًا آخر أعظم منهما مما يعظم في صدوركم، فإن الله يعيدكم كما بدأكم، ومحبيكم كما خلقكم أول مرة، فسيقول هؤلاء المعاندون: من يعيدنا أحياء بعد موتنا؟ قل لهم: يعيدكم الذي خلقكم أول مرة على غير مثال سابق، فسيحكون رؤوسهم ساخرين من ردك عليهم، ويقولون مستبدين: متى هذه الإعادة؟ قل لهم: لعلها قريبة، فكل ما هو آت قريب.

﴿٥٢﴾ يعيدكم الله يوم يناديكم إلى أرض المحشر، فتستجيبون منقادين لأمره، حامدين إياه، وتظنون أنكم ما مكنتم في الأرض إلا زمنًا قليلًا.

﴿٥٣﴾ وقل - أيها الرسول - لعبادي المؤمنين بي: يقولوا الكلمة الطيبة عندما يحاورون، ويجتنبوا الكلمة السيئة المنفرة؛ لأن الشيطان يستغلها فيسعى بينهم بما يفسد عليهم حياتهم الدنيوية والأخروية، إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا واضح العداوة، فعليه أن يحذر منه.

﴿٥٤﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بكم، فلا يخفى عليه منكم شيء، إن يشأ أن يرحمكم رحمكم بأن يوفقكم للإيمان والعمل الصالح، وإن يشأ أن يعذبكم عذبتكم بأن يخذلكم عن الإيمان ويميتكم على الكفر، وما بعثناك - أيها الرسول - عليهم وكيلاً تجبرهم على الإيمان، وتمنعهم من الكفر، وتحصي عليهم أعمالهم، إنما أنت مبلغ عن الله ما أمرك بتبليغه.

﴿٥٥﴾ وربك - أيها الرسول - أعلم بكل من في السماوات والأرض، وأعلم بأحوالهم وبما يستحقون، ولقد فضلنا بعض الأنبياء على بعض بكثرة الاتباع وبإزالة الكتب، وأعطينا داود كتابًا هو الزبور.

﴿٥٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا - أيها المشركون - الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله إن نزل بكم ضرر، فهم لا يملكون دفع الضر عنكم، ولا يملكون نقله إلى غيركم لعجزهم، ومن كان عاجزًا لا يكون إلهًا.

﴿٥٧﴾ أولئك الذين يدعونهم من الملائكة ونحوهم هم أنفسهم يطلبون ما يقربهم إلى الله من العمل الصالح، ويتنافسون أيهم أقرب إليه بالطاعة، ويرجون أن يرحمهم، ويخافون أن يعذبهم، إن عذاب ربك - أيها الرسول - مما ينبغي أن يحذر.

﴿٥٨﴾ وما من قرية أو مدينة من القرى الكافرة أهلها إلا نحن منزلون بها العذاب والهلاك في الحياة الدنيا بسبب كفرها، أو مبتلوها بعقاب قوي بالقتل أو غيره بسبب كفرها، كان ذلك الإهلاك والعذاب قضاء إلهيًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

﴿٥٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- القول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.
- فاضل الله بين الأنبياء بعضهم على بعض عن علم منه وحكمة.
- الله لا يريد بعباده إلا ما هو الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم.
- علامة محبة الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها.

﴿٥٩﴾ وما تركنا إنزال العلامات الحسية الدالة على صدق الرسول التي طلبها المشركون كإحياء الموتى ونحوه، إلا لأننا أنزلناها على الأمم الأولى فكذبوا بها، فقد أعطينا ثمود آية عظيمة واضحة، هي الناقة، فكفروا بها فعاجلناهم بالعذاب، وما نبعث بالآيات على أيدي الرسل إلا تخويفاً لأممهم؛ لعلمهم يسلمون.

﴿٦٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إنا قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته، والله مانعك منهم، فبلغ ما أمرت بتبليغه، وما جعلنا ما أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا امتحاناً للناس، هل يصدقون به، أو يكذبون به؟ وما جعلنا شجرة الزقوم المذكورة في القرآن أنها تنبت في أصل الجحيم إلا ابتلاء لهم، فإذا لم يؤمنوا بهاتين الآيتين قلن يؤمنوا بغيرهما، ونخوفهم بإنزال الآيات فما يزدادون بالتخويف بإنزالها إلا زيادة في الكفر وتماديًا في الضلال.

﴿٦١﴾ واذكر - أيها الرسول - إنا قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة، فامتثلوا وسجدوا كلهم له، لكن إبليس أبى تكبراً أن يسجد له قائلاً: أأسجد لمن خلقته من الطين، وأنا خلقتني من النار؟ فأنا أشرف منه.

﴿٦٢﴾ قال إبليس لربه: رأيت هذا المخلوق الذي كرّمته عليّ بأمرك لي بالسجود له؟ لئن أبقيتني حياً إلى آخر الحياة الدنيا لأستميلن أولاده ولأغوينهم عن صراطك المستقيم إلا قليلاً ممن عصمت منهم، وهم عبادك المخلصون.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ تَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْكُمْ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي
الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ وَكَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

﴿٦٣﴾ قال له ربه: اذهب أنت ومن أطاعك منهم، فإن جهنم هي جزاؤك وجزاؤهم جزاء كاملاً موفراً على أعمالكم.

﴿٦٤﴾ واستخفف من استطعت أن تستخفّه منهم بصوتك الداعي إلى المعصية، وصحّ عليهم بفرسانك ومشاتك الداعين لطاعتك، وشاركهم في أموالهم بتزيين كل تصرف يخالف الشرع، وشاركهم في أولادهم بادعائهم كذباً، وتحصيلهم بالزنى، وتعبيدهم لغير الله عند التسمية، وزين لهم الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا الوعود الكاذبة التي تخدعهم.

﴿٦٥﴾ إن عبادي المؤمنين العاملين بطاعتي ليس لك - يا إبليس - عليهم تسلط؛ لأن الله يدفع عنهم شرّك، وكفى بالله وكيلاً لمن اعتمد عليه في أموره.

﴿٦٦﴾ ربكم - أيها الناس - هو الذي يسرّ لكم السفن في البحر رجاء أن تطلبوا رزقه بأرباح التجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيمًا حيث يسرّ لكم هذه الوسائل.

﴿٦٧﴾ من فوائد الآيات،

• من رحمة الله بالناس عدم إنزاله الآيات التي يطلبها المكذبون حتى لا يعاجلهم بالعقاب إذا كذبوا بها.

• ابتلى الله العباد بالشیطان الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله.

• من صور مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد: ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وعدم تأديب الأولاد.

﴿٦٧﴾ وَإِذَا أَصَابَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى خَشِيتُمْ الْهَلَاكَ غَابَ عَنْ خَاطِرِكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَمْ تَذْكُرُوا إِلَّا اللَّهَ فَاَسْتَغْنَيْتُمْ بِهِ، فَلَمَّا أَغَاثَكُمْ وَسَلَّمَكُمْ مِمَّا تَخَافُونَهُ، وَصَرْتُمْ فِي الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عَنْ تَوْحِيدِهِ وَدَعَايِهِ وَحْدَهُ، وَرَجَعْتُمْ إِلَى أَصْنَامِكُمْ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ جَوَّادًا لِنِعْمِ اللَّهِ.

﴿٦٨﴾ أَفَأَمَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - حِينَ نَجَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ يَنَهَارَكُمْ؟ أَوْ أَمَنْتُمْ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَابٌ مِنَ السَّمَاءِ تَمْطُرُكُمْ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطَ، ثُمَّ لَا تَجِدُوا حَافِظًا يَحْفَظُكُمْ، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ مِنَ الْهَلَاكِ.

﴿٦٩﴾ أَمْ أَمَنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ اللَّهُ إِلَى الْبَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ رِيحًا شَدِيدَةً، فَيَغْرِقَكُمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لَمَّا أَنْجَاكُمْ أَوَّلًا، ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ مُطَالِبًا يَطَالِبُنَا بِمَا فَعَلْنَا بِكُمْ أَنْتَصَارًا لَكُمْ.

﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا آدَمَ ذُرِيَةَ آدَمَ بِالْعَقْلِ وَأَسْجَادَ الْمَلَائِكَةِ لَأَبْيَهُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَسَخَرْنَا لَهُمْ مَا يَحْمِلُهُمْ فِي الْبَرِّ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْمَرَاقِبِ، وَمَا يَحْمِلُهُمْ فِي الْبَحْرِ مِنَ السَّفَنِ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَآكِحِ وَغَيْرِهَا، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِنَا تَفْضِيلًا عَظِيمًا، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوا نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

﴿٧١﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - يَوْمَ نَنَادَى كُلَّ مَجْمُوعَةٍ بِإِمَامِهَا الَّذِي كَانَتْ تَقْتَدِي بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَغْطَى كِتَابَ عَمَلِهِ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ مَسْرُورِينَ، وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَإِنْ بَلَغَ فِي صَفَرِهِ قَدْرَ الْخِيَطِ الَّذِي فِي شِقِ النَّوَاةِ.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمَنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمَنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذِقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿٧٦﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَعْمَى الْقَلْبِ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِذْعَانِ لَهُ، فَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدَّ عَمَى، فَلَا يَهْتَدِي لَطَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَأَضَلُّ طَرِيقًا عَنِ الْهَادِيَةِ، وَالْجِزَاءِ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَوْشَكَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَصْرِفُوكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ؛ لِتَخْتَلِقَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ مِمَّا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَلَوْ فَعَلْتَ مَا أَرَادُوا مِنْ ذَلِكَ لَأَصْطَفُوكَ حَبِيبًا.

﴿٧٨﴾ وَلَوْلَا أَنْ مَنَّنَا عَلَيْكَ بِالتَّثْبِيتِ عَلَى الْحَقِّ لَقَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِمْ بَعْضَ الْمَيْلِ، فَتَوَافَقَهُمْ فِيمَا اقْتَرَحَوْهُ عَلَيْكَ؛ لِقُوَّةِ خَدَائِعِهِمْ وَشِدَّةِ أَحْتِيَاجِهِمْ مَعَ فِرْطِ حِرْصِكَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ، لَكِنْ عَصَمْنَاكَ مِنَ الْمَيْلِ إِلَيْهِمْ.

﴿٧٩﴾ وَلَوْ مَلَّتْ إِلَيْهِمْ فِيمَا يَقْتَرَحُونَ عَلَيْكَ لِأَصْبَانِكَ بِعَذَابِ مُضَاعَفٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ لَا تَجِدُ نَصِيرًا يَنْصُرُكَ عَلَيْنَا، وَيُدْفَعُ عَنْكَ الْعَذَابَ.

﴿٨٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الْإِنْسَانُ كَفُورٌ لِلنِّعَمِ إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ.

● كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى دِينِهَا وَكِتَابِهَا، هَلْ عَمِلَتْ بِهِ أَوْ لَا؟ وَاللَّهُ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَمُخَالَفَتِهِ لَهَا.

● عِدَاوَةُ الْمَجْرِمِينَ وَالْمَكْذِبِينَ لِلرَّسُلِ وَوَرِثَتُهُمْ ظَاهِرَةٌ بِسَبَبِ الْحَقِّ الَّذِي يَحْمِلُونَهُ، وَلَيْسَ لِدَوَائِهِمْ.

● اللَّهُ تَعَالَى عَصَمَ النَّبِيَّ مِنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَمِنَ الْبَشَرِ، فَثَبَّتَهُ وَهَدَاهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَلَوَرِثَتُهُ مِثْلَ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ اتِّبَاعِهِمْ لَهُ.

(٧٦) ولقد أوشك الكفار أن يزعجوك بعداوتهم إياك ليخرجوك من مكة، لكن منعهم الله من إخراجك حتى هاجرت بأمر ربك، ولو أخرجوك لم يبقوا بعد إخراجك إلا زمناً يسيراً. (٧٧) ذلك الحكم بعدم بقائهم بعدك إلا زمناً يسيراً سُنَّةُ الله المطردة في الرسل من قبلك، وهي أن أي رسول أخرجه قومه من بينهم أنزل الله بهم العذاب، ولن تجد - أيها الرسول - لسنَّتنا تغييراً، بل ستجدها ثابتة مطردة.

(٧٨) أقم الصلاة بالإتيان بها على أتم وجه في أوقاتها من زوال الشمس عن كبد السماء، ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى ظلمة الليل، وتشمل المغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر وأطل القراءة فيها، فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

(٧٩) ومن الليل فقم - أيها الرسول - وصل بعضاً منه لتكون صلاتك زيادة لك في رفع درجاتك، متحرياً أن يبعثك ربك يوم القيامة شافعاً للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، ويكون لك مقام الشفاعة العظمى الذي يحمدونه الأولون والآخرون.

(٨٠) وقل - أيها الرسول -: رب، اجعل مداخلتي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، واجعل لي من عندك حجة ظاهرة تنصرنى بها على عدوي.

(٨١) وقل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: جاء الإسلام، وتحقق ما وعد الله به من نصره، وذهب الشرك والكفر، إن الباطل ذاهب مُتَلَاشٍ لا

وإن كادوا لَيَسْتَفِرُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ إِنْ مَاهُوَ شِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)

يثبت أمام الحق.

(٨٦) وننزل من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الجهل والكفر والشك، وما هو شفاء للأبدان إذا رقيت به، وما هو رحمة للمؤمنين العاملين به، ولا يزيد هذا القرآن الكفار إلا هلاكاً؛ لأن سماعه يغيظهم، ويزيدهم تكديباً وإعراضاً عنه.

(٨٧) وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة مثل الصحة والغنى أعرض عن شكر الله وطاعته، وتباعد تكبراً، وإذا أصابه مرض أو فقر ونحوهما كان شديد القنوط واليأس من رحمة الله.

(٨٨) قل - أيها الرسول -: كل إنسان يعمل على طريقته التي تشابه حاله في الهداية والضلال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق. (٨٩) ويسألك - أيها الرسول - الكفار من أهل الكتاب عن حقيقة الروح، فقل لهم: لا يعلم حقيقة الروح إلا الله، وما أُعْطِيتُمْ أنتم وجميع الخلق من العلم إلا قليلاً في جنب علم الله سبحانه. (٩٠) والله لو شئنا لذهب بالذي أنزلنا إليك - أيها الرسول - من الوحي بمحوه من الصدور والكتب لذهبنا به، ثم لا تجد من ينصرك ويتولى ردة.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● في الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له ألا يزال مُتَمَلِّقاً لربه أن يثبتته على الإيمان. ● عند ظهور الحق يَصْغَلُ الباطل، ولا يعلو الباطل إلا في الأزمنة والأمكنة التي يكسل فيها أهل الحق. ● الشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبهة، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ والمقاصد السيئة. ● في الآيات دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر ليس في مصلحة السائل فالأولى أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝٨٧ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفَرِّقُوهٗ وَقُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٣ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٤ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّن السَّمَاءِ مَكَّا رَسُولًا ۝٩٥ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝٩٦

﴿ ٢٩١ ﴾

٨٧) لكن لم نذهب به رحمة من ربك، وتركناه محفوظًا، إن فضل ربك كان عليك عظيمًا حيث جعلك رسولًا وختم بك الأنبياء، وأنزل عليك القرآن. ولما كان المشركون يذَّرعون بأن هذا القرآن من جنس ما يقوله البشر، واقترحوا تبديله تحداهم الله بالآتيان بمثله، فقال:

٨٨) قل - أيها الرسول -: لئن اجتمع الإنس والجن كلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنزل عليك في بلاغته، وحسن نظمته، وجزالته، لن يأتوا به أبدًا ولو كان بعضهم لبعض معيَّنًا ونصيرًا.

٨٩) ولقد بيَّنَّا للناس في هذا القرآن، ونوعنا فيه من كل ما يُعتَبَر به من المواعظ والوعبر والأوامر والنواهي والقصص رجاء أن يؤمنوا، فأبى معظم الناس إلا جحودًا وإنكارًا لهذا القرآن.

ولما عجزوا بدؤوا يقدمون مقترحات للتعجيز، فاقترحوا ما يلي:

٩٠) وقال المشركون: لن نؤمن بك حتى تُخرج لنا من أرض مكة عينًا جارية لا تتضب.

٩١) أو يكون لك بستان من نخيل وعنب، فتجري فيه الأنهار بغزارة.

٩٢) أو تُسْقِط علينا السماء - كما ذكرت - قطعًا من العذاب، أو تجيء بالله والملائكة عيانًا حتى يشهدوا لك بصحة ما تدعيه.

٩٣) أو يكون لك بيت مُرَحَرَف بالذهب وغيره، أو تصعد في السماء، ولن نؤمن بأنك مرسل إن صعدت إليها إلا إذا نزلت بكتاب من عند الله مسطور نقرأ فيه أنك رسول الله. قل لهم - أيها

الرسول -: سبحان ربي! هل كنت إلا بشرًا رسولًا كسائر الرسل، لا أملك الإتيان بشيء، فكيف لي أن أجيء بما اقترحتموه؟ ٩٤) وما منع الكفار من الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بما جاء به الرسول إلا إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر، حيث قالوا استكأرًا: أبعث الله إلينا رسولًا من البشر؟!

٩٥) قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لو كان علي الأرض ملائكة يسكنونها ويسرون مطمئنين كما هو حالكم لبعثنا إليهم رسولًا ملكًا من جنسهم؛ لأنه الذي يستطيع أن يفهمهم ما أُرسِلَ به، فليس من الحكمة أن نرسل إليهم رسولًا من جنس البشر، وكذلك حالكم أنتم.

٩٦) قل - أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأنني بلغتكم ما أرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ ﴾

- بيَّن الله للناس في القرآن من كل ما يُعتَبَر به من المواعظ والوعبر والأوامر والنواهي والقصص: رجاء أن يؤمنوا.
- القرآن كلام الله وآية النبي الخالدة، ولن يقدر أحد على المجيء بمثله.
- من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم بشرًا منهم، فإنهم لا يطبقون التلقي من الملائكة.
- من شهادة الله لرسوله ما أيده به من الآيات، ونَصَّرَه على من عاداه وناوأه.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ
 مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا
 وَصُمًّا مَّا وَنُهِمَ جَهَنَّمَ كَلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بَأْنَهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا
 وَرُفْتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
 قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَجَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
 اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٢٩٢

﴿٩٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يضلله عنها ويضلّه فلن تجد - أيها الرسول - لهم أولياء يهدونهم إلى الحق، ويدفعون عنهم الضرر، ويجلبون لهم النفع، ونحشُرهم يوم القيامة يُسحبون على وجوههم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، منزلهم الذي يأوون إليه جهنم، كلما سكن لهيبها زدناهم اشتعالًا.

﴿٩٨﴾ ذلك العذاب الذي يلقونه هو جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا المنزلة على رسولنا، ويقولهم استعابًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا بالية، وأجزاء مُفْتَتَّة أُنِيعت بعد ذلك خلقًا جديدًا ٩٩

ولما ذكروا ما يتشبثون به لإنكار البعث رد الله عليهم بقوله:

﴿٩٩﴾ أولم يعلم هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السموات وخلق الأرض على عظمهما قادر على أن يخلق مثلهم، فمن قدر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما دونه، وقد جعل الله لهم في الدنيا وقتًا محددًا تنتهي فيه حياتهم، وجعل لهم أجلًا لبعثهم لا شك فيه، ومع ظهور أدلة البعث أبى المشركون إلا جحودًا بالبعث مع وضوح أدلته.

﴿١٠٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفذ ولا تنقضي، إذن لا تمتنع من إنفاقها خوفًا من نفادها حتى لا تصبحوا فقراء، ومن طبع الإنسان أنه بخيل إلا إن كان مؤمنًا، فهو ينفق رجاء ثواب الله.

ولما لقي النبي ﷺ من المشركين

ما لقي من الكذب جاءت تسليته بقصة موسى مع فرعون وقومه، فقال:

﴿١٠١﴾ ولقد أعطينا موسى تسع دلائل واضحة تشهد له، وهي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل - أيها الرسول - اليهود حين جاء موسى أسلافهم بتلك الآيات، فقال له فرعون: إني لأظنك - يا موسى - رجلًا مسحورًا؛ لما تأتي به من الغرائب.

﴿١٠٢﴾ قال موسى ردًا عليه: لقد أيقنت - يا فرعون - أنه ما أنزل هذه الآيات إلا الله رب السموات والأرض، أنزلهن دلالات على قدرته، وعلى صدق رسوله، ولكنك جحدت، وإني لأعلم أنك - يا فرعون - هالك خاسر.

﴿١٠٣﴾ فأراد فرعون أن يعاقب موسى ﷺ وقومه بإخراجهم من مصر، فأهلكناه ومن كان معه من جنوده جميعًا بالفرق. ﴿١٠٤﴾ وقلنا من بعد إهلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض الشام، فإذا كان يوم القيامة آتينا بكم جميعًا إلى المحشر للحساب.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الله تعالى هو المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله ويضلّه فلا هادي له. • مأوى الكفار ومستقرهم ومقامهم جهنم، كلما سكنت نارها زادها الله نارا تلتهب. • وجوب الاعتصام بالله عند تهديد الطغاة والمُستبدين.
- الطغاة والمُستبدون يلجؤون إلى استخدام السلطة والقوة عندما يواجهون أهل الحق؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهتهم بالحجة والبيان.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾
 وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾
 قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿٢١﴾

سجدة

سُورَةُ الْكَافُرَاتِ

مكيها ١٨

آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِّنُذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

٢٩٣

الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، فلا يحتاج لمن يناصره ويعززه، وعظمته تعظيمًا كثيرًا، فلا تنسب له ولدًا ولا شريكًا في الملك ولا مناصرًا معيّنًا.

سُورَةُ الْكَافُرَاتِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

بيان منهج التعامل مع الفتن.

• التَّشْيِيرُ:

• الثناء بصفات الكمال والجلال، وبالنعيم الظاهرة والباطنة لله وحده الذي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن، ولم يجعل لهذا القرآن أعوجاجًا وميلًا عن الحق. • بل جعله مستقيمًا لا تناقض فيه ولا اختلاف؛ ليخوف الكافرين من عذاب قوي من عند الله ينتظرهم، ويخبر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم أن لهم ثوابًا حسنًا لا يدانيه ثواب. • خالددين في هذا الثواب أبدًا، فلا ينقطع عنهم. • ويخوف اليهود والنصارى وبعض المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • أنزل الله القرآن متضمنًا الحق والعدل والشرعية والحكم الأمثل. • جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى. • الدعاء أو القراءة في الصلاة يكون بطريقة متوسطة بين الجهر والإسرار. • القرآن الكريم قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس وتفرح به الأرواح.

• وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ، وبالحق نزل عليه دون تبديل ولا تحريف، وما أرسَلْنَاكَ -أيها الرسول- إلا مبشِّرًا أهل التقوى بالجنة، ومخوِّفًا أهل الكفر والعصيان من النار. • وأنزلناه قرآنًا فضَّلناه، وببَيِّنَاتِهِ رجاء أن تقرأه على الناس على مهل وترسُل في التلاوة؛ لأنه أَدْعَى للفهم والتدبر، ونزلناه مُنَجَّمًا مفرقًا حسب الحوادث والأحوال. • قل -أيها الرسول-: ءَامِنُوا بِهِ، فلا يزيد إيمانكم شيئًا، أو لا تُؤْمِنُوا بِهِ، فلا ينقصه كفركم شيئًا، إن الذين قرءوا الكتب السماوية السابقة، وعرفوا الوحي والنبوة إذا يُقْرَأ عليهم القرآن يَخِرُّون على وجوههم ساجدين لله شكرًا. • ويقولون في سجودهم: تنزه ربنا عن خلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد ﷺ، كائن، إن وعد ربنا بذلك وبغيره لواقع لا محالة.

• ويقعون على وجوههم ساجدين لله ليكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خُشُوعًا لله وخشية له. • قل -أيها الرسول- لمن أنكر عليك الدعاء بقولك: (يا الله، يا رحمن): الله والرحمن اسمان له سبحانه فادعوه بأي منهما أو بغيرهما من أسمائه، فله -سبحانه- الأسماء الحسنى، وهذان منها، فادعوه بهما أو بغيرهما من أسمائه الحسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك فيسمعك المشركون، ولا تسر بها فلا يسمعها المؤمنون، واطلب طريقًا وسطًا بين الأمرين. • وقل -أيها الرسول-: الحمد لله المستحق لأنواع المحامد الذي تنزه عن الولد، وتنزه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، فلا يحتاج لمن يناصره ويعززه، وعظمته تعظيمًا كثيرًا، فلا تنسب له ولدًا ولا شريكًا في الملك ولا مناصرًا معيّنًا.

❶ ليس لهؤلاء المفترين من علم أو دليل على ما يدعونه من نسبة الولد إلى الله، وليس لأبائهم الذين قلدوهم في ذلك علم، عظمت في القبح تلك الكلمة التي تخرج من أفواههم دون تعقل، ما يقولون إلا قولاً كذباً، لا أساس له ولا مستند.

❷ فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك حزناً وأسفاً إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

❸ إنا جعلنا ما فوق وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها لنختبرهم أيهم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيهم أسوأ عملاً، لنجزي كلًّا بما يستحقه.

❹ وأنا لمصيرون ما على وجه الأرض من المخلوقات تراثاً خالياً من النبات، وذلك بعد انقضاء حياة ما عليها من المخلوقات، فليعتبروا بذلك.

❺ لا تطئن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف، ولوحهم الذي كتبت فيه أسماؤهم من آياتنا العجيبة، بل غيرها أعجب مثل خلق السماوات والأرض.

❻ اذكر - أيها الرسول - حين التجأ الشبان المؤمنون فراراً بدينهم، فقالوا في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من عندك رحمة بأن تقفر ذنوبنا، وتتجنا من أعدائنا، واجعل لنا من أمر الهجرة عن الكفار، والإيمان، اهتداءً إلى طريق الحق وسداداً.

❼ ثم بعد سيرهم ولجوئهم إلى الكهف ضربنا على أذانهم حجاباً عن سماع الأصوات، وألقينا عليهم النوم أعواماً كثيرة.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ❶ فَلَعَلَّكَ بَدِخْتُ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ❷ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ❸ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ❹ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ❺ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ❻ ثُمَّ بَعَثْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ❼ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ❸ مِّنْ نَّفْصٍ عَلَيْكَ رَبُّهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ❹ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ❺ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ❻

❶ ثم بعد نومهم الطويل أيقظناهم لنعلم - علم ظهور - أي الطائفتين المتنازعتين في أمد مكثهم في الكهف أعلم بمقدار ذلك الأمد.

❷ نحن نطالعك - أيها الرسول - على خبرهم بالصدق الذي لا مرية معه، إنهم شبان آمنوا بربهم، وعملوا بطاعته، وزدناهم هداية وتثبيتاً على الحق.

❸ وقوينا قلوبهم بالإيمان والثبات عليه، والصبر على هجر الأوطان فيه، حين قاموا معلنين بين يدي الملك الكافر إيمانهم بالله وحده، فقالوا له: ربنا الذي آمنّا به وعبدناه هورب السماوات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا - إن عبدنا غيره - قولاً جائراً بعيداً عن الحق.

❹ ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله معبودات يعبدونها، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه.

❺ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الداعي إلى الله عليه التبليغ والسعي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا بأسف. ● في العلم بمقدار لبث أصحاب الكهف، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. ● في الآيات دليل صريح على الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرباء والأصدقاء والأوطان والأموال: خوف الفتنة. ● ضرورة الاهتمام بترقية الشباب؛ لأنهم أركى قلوباً، وأتقى أفئدة، وأكثر حماسة، وعليهم تقوم نهضة الأمم.

وَإِذْ أَعَزَّ لَتْموهُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا
﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَتْ لَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكُلُّهُمْ
بِسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿١٦﴾ وحين تَخَيَّمتَ عن قومكم، وتركتم ما يعبدون من دون الله، فلم تبدوا إلا الله وحده، فالجئوا إلى الكهف فرارًا بدينكم ببسط لكم ربكم سبحانه من رحمته ما يحفظكم به من أعدائكم ويحكمكم، وييسر لكم من أمركم ما تنتفعون به مما يعوضكم عن العيش بين ظهرائي قومكم.

﴿١٧﴾ فامتثلوا ما أمروا به، وألقى الله النوم عليهم، وحفظهم من عدوهم، وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من مشرقها تميل عن كهفهم جهة يمين الداخل فيه، وإذا غابت عند غروبها تعدل عنه جهة شماله فلا تصيبه، فهم في ظل دائم لا يؤذيهم حر الشمس، وهم في مُسَخٍّ من الكهف ينالهم من الهواء ما يحتاجون إليه، ذلك الحاصل لهم من إيوائهم إلى الكهف، والقاء النوم عليهم، وانحراف الشمس عنهم، واتساع مكانهم وإنجائهم من قومهم: من عجائب صنع الله الدالة على قدرته، من يوفقه الله لطريق الهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يخذله عنها ويضله فلن تجد له ناصرًا يوفقه للهداية، ويرشده إليها؛ لأن الهداية بيد الله، وليست بيده هو.

﴿١٨﴾ وتظنهم -أيها الناظر إليهم- مستيقظين لانفتاح أعينهم، والواقع أنهم نيام، ونقلبهم في نومهم تارة يمينًا، وتارة شمالًا حتى لا تأكل الأرض أجسامهم، وكلبهم المرافق لهم ما ذرأه بمدخل الكهف، لو اطلعت عليهم وشاهدتهم لأدبرت عنهم هاربًا خوفًا منهم، ولا متلات نفسك رعبًا منهم.

﴿١٩﴾ وكما فعلنا بهم مما ذكرنا من

عجائب قدرتنا أيقظناهم بعد مدة طويلة ليسأل بعضهم بعضًا عن المدة التي مكثوها نائمين، فأجاب بعضهم: مكثنا نائمين يومًا أو بعض يوم، وأجاب بعض منهم ممن لم تظهر له مدة مكثهم نائمين: ربكم أعلم بمدّة مكثكم نائمين، ففوضوا إليه علم ذلك وانشغلوا بما يعنيكم، فأرسلوا أحدهم بنقودكم الفضية هذه إلى مدينتنا المعهودة، فليظنر أي أهلها أطيب طعامًا وأطيب مكسبًا، فليأتكم بقوت منه، وليأتنا في دخوله وخروجه ومعاملته، وليكن لينا، ولا يدع أحدًا يعلم بمكانكم؛ لما يترتب على ذلك من ضرر عظيم.

﴿٢٠﴾ إن قومكم إن يطلعو عليكم ويعلموا بمكانكم يقتلوكم بالرجم بالحجارة، أو يرجعوكم إلى ملتهم المنحرفة التي كنتم عليها قبل أن يمن الله عليكم بالهداية إلى دين الحق، وإن رجعت إليها فلن تفوزوا أبدًا، لا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة، بل ستخسرون فيها الخسران العظيم بسبب ترككم دين الحق الذي هداكم الله إليه، ورجوعكم إلى تلك الملة المنحرفة.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من حكمة الله وقدرته أن قلبهم على جنوبهم يمينًا وشمالًا بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، وهذا تعليم من الله لعباده.
- جواز اتخاذ الكلاب للحاجة والصيد والحراسة.
- انتفاع الإنسان بصحبة الأخيار ومخالطة الصالحين حتى لو كان أقل منهم منزلة، فقد حفظ ذكر الكلب لأنه صاحب أهل الفضل.
- دلت الآيات على مشروعية الوكالة، وعلى حسن السياسة والتلطف في التعامل مع الناس.

(٢١) وكما فعلنا بهم الأفعال العجيبة الدالة على قدرتنا من إنعامهم سنين كثيرة، وإيقاظهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل مدينتهم ليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بنصر المؤمنين وبالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما انكشف أمر أصحاب الكهف وماتوا اختلف المُطَّلعون عليهم: ماذا يفعلون بشأنهم؟ قال فريق منهم: ابنوا على باب كهفهم بنياناً يحجبهم ويحميهم، ربهم أعلم بحالهم، فحالهم يقتضي أن لهم خصوصية عنده. وقال أصحاب النفوذ ممن ليس لهم علم ولا دعوة صحيحة: لننخذن على مكانهم هذا مسجداً للعبادة تكريماً لهم وتذكيراً بمكانهم.

(٢٢) سيقول بعض الخاضعين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قالتها تبعاً لظنهما من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل - أيها الرسول -: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم الله عددهم، فلا أجادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جداً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على ما نزل عليك من الوحي بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك.

(٢٣) ولا تقولن - أيها النبي - لشيء تريد فعله غداً: إني فاعل هذا الشيء غداً؛ لأنك لا تدري هل تفعله، أو يُحال بينك وبينه؟ وهو توجيه لكل مسلم.

(٢٤) إلا أن تعلق فعله على مشيئة الله بأن تقول: سأفعله - إن شاء الله - غداً، واذكر ربك بقولك: إن شاء الله - إن نسيت أن تقولها - وقل: أرجو أن يرشدني ربي لأقرب من هذا الأمر هداية وتوفيقاً.

(٢٥) ومَكَثَ أصحاب الكهف في كهفهم ثلاث مئة وتسع سنين. قل - أيها الرسول -: الله أعلم بما مكثوا في كهفهم، وقد أخبرنا بمدّة مكثهم فيه، فلا قول لأحد بعد قوله سبحانه، له سبحانه وحده ما غاب في السموات وما غاب في الأرض خلقاً وعلماً، ما أبصره سبحانه! فهو يبصر كل شيء، وما أسمعُه! فهو يسمع كل شيء، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه أحداً، فهو المنفرد وحده بالحكم. ولما بينَ ﷺ أن الحكم له وحده أمر رسوله بتلاوة ما أوحى إليه من حكم ربه واتباعه، فقال: واقرأ - أيها الرسول - واعمل بما أوحى الله به إليك من القرآن، فلا مبدل لكلماته: لأنها صدق كلها وعدل كلها، ولن تجد من دونه سبحانه ملجأً تلجأ إليه، ولا معاداً تعوذ به سواه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها؛ غير جائز في شرعنا.
- في القصة إقامة الحجة على قدرة الله على الحشر وبعث الأجساد من القبور والحساب.
- دلّت الآيات على أن المراء والجداول المحمود هو الجدال بالتّي هي أحسن.
- السُّنَّة والأدب الشرعيان يقتضيان تعليق الأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى.

وَكَذَلِكَ أَتَتْهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ لَأِئْتَنَزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَا دُورًا مِّسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

أَلَزِمَ نَفْسَكَ بِصَحْبَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ دَعَاءَ عِبَادَةٍ وَدَعَاءَ مَسْأَلَةٍ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ، مُخْلِصِينَ لَهُ، لَا تَتَجَاوَزُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ، تَرِيدُ مَجَالِسَةَ أَهْلِ الْغِنَى وَالشَّرَفِ، وَلَا تَطْعُ مِنْ صَيِّرْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَنْ ذِكْرِنَا بِخَتْمِنَا عَلَيْهِ، فَأَمْرُكَ بِتَحِيَةِ الْفُقَرَاءِ عَنْ مَجْلِسِكَ، وَقَدَّمَ اتِّبَاعَ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَكَانَتْ أَعْمَالُهُ ضَيَاعًا.

وقل - أيها الرسول - لهؤلاء اللاهين عن ذكر الله لغفلة قلوبهم: ما جئكم به هو الحق، وهو من عند الله لا من عندي، ولست مجيب دعوتكم إياي أن أطرد المؤمنين، فمن شاء منكم الإيمان بهذا الحق فليؤمن به، وسيُسَرَّ بجزائه، ومن شاء منكم الكفر به فليكفر، وسيستاء بالعقاب الذي ينتظره، إنا أعدنا للظالمين أنفسهم باختيار الكفر نازًا عظمة أحاط بهم سورها، فلا يستطيعون فرارًا منها، وإن يطلبوا غوثًا بماء من شدة ما يلاقون من العطش يغاثوا بماء كالزيت العكر شديد الحرارة، يشوي وجوههم من شدة حره، ساء شرابًا هذا الشراب الذي يُغاثون به، فهو لا يغني من عطش بل يزيده، ولا يطفئ اللهب الذي يُلْمَحُ جلودهم، وساءت النار منزلًا ينزلونه، ومقامًا يقيمون فيه.

ولما ذكر الله ما أعد للظالمين من عذاب ذكر ما أعد للمؤمنين من ثواب كريم، فقال:

﴿٣٠﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ قَدْ أَحْسَنُوا عَمَلَهُمْ فَ لَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ، إِنْ لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، بَلْ نُوَفِّهِمْ أَجُورَهُمْ كَامِلَةً غَيْرَ مَنقُوصَةٍ.

﴿٣١﴾ أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِالْإِيمَانِ وَفَعَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ يقيمون فيها أبدًا، تجري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزيّتون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثيابًا خضرًا من رقيق الحرير وجليظه، يتكئون على الأسرة المزينة بالاستائر الجميلة، حَسُنَ الثَّوَابُ ثَوَابُهُمْ، وَحَسُنَتِ الْجَنَّةُ مَنْزِلًا وَمَقَامًا يقيمون فيه.

ولما بيّن سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلًا لهما، فقال:

﴿٣٢﴾ وَاضْرِبْ - أيها الرسول - مثلًا لرجلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين من أعناب، وأحطنا الحديقتين بنخل، وانبتنا في الفارغ من مساحتها زروعًا.

﴿٣٣﴾ فَأَثْمَرَتْ كُلُّ حَديقَةٍ ثَمَارَهَا مِنْ تَمَرٍ وَعَنْبٍ وَزَرْعٍ، وَلَمْ تَقْصُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أَعْطَتْهُ وَافِيًا كَامِلًا، وَأَجْرَيْنَا بَيْنَهُمَا نَهْرًا لِسَقِيهِمَا بَيْسَرٍ.

﴿٣٤﴾ وَكَانَ لِصَاحِبِ الْحَدِيقَتَيْنِ أَمْوَالٌ وَثَمَارٌ أُخْرَى، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ يَخَاطِبُهُ لِيُؤَثِّرَ فِيهِ مُعْتَرًا: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ أَمْوَالًا، وَأَعَزُّ مِنْكَ جَانِبًا، وَأَقْوَى عَشِيرَةً.

﴿٣٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● فضيلة صحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصى.

● كثرة الذكر مع حضور القلب سبب للبركة في الأعمار والأوقات.

● قاعدتا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح؛ لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنْ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَخَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ وَثْمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

﴿٣٥﴾ أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِالْإِيمَانِ وَفَعَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ يقيمون فيها أبدًا، تجري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزيّتون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثيابًا خضرًا من رقيق الحرير وجليظه، يتكئون على الأسرة المزينة بالاستائر الجميلة، حَسُنَ الثَّوَابُ ثَوَابُهُمْ، وَحَسُنَتِ الْجَنَّةُ مَنْزِلًا وَمَقَامًا يقيمون فيه.

ولما بيّن سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلًا لهما، فقال:

﴿٣٢﴾ وَاضْرِبْ - أيها الرسول - مثلًا لرجلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين من أعناب، وأحطنا الحديقتين بنخل، وانبتنا في الفارغ من مساحتها زروعًا.

﴿٣٣﴾ فَأَثْمَرَتْ كُلُّ حَديقَةٍ ثَمَارَهَا مِنْ تَمَرٍ وَعَنْبٍ وَزَرْعٍ، وَلَمْ تَقْصُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أَعْطَتْهُ وَافِيًا كَامِلًا، وَأَجْرَيْنَا بَيْنَهُمَا نَهْرًا لِسَقِيهِمَا بَيْسَرٍ.

﴿٣٤﴾ وَكَانَ لِصَاحِبِ الْحَدِيقَتَيْنِ أَمْوَالٌ وَثَمَارٌ أُخْرَى، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ يَخَاطِبُهُ لِيُؤَثِّرَ فِيهِ مُعْتَرًا: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ أَمْوَالًا، وَأَعَزُّ مِنْكَ جَانِبًا، وَأَقْوَى عَشِيرَةً.

﴿٣٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● فضيلة صحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصى.

● كثرة الذكر مع حضور القلب سبب للبركة في الأعمار والأوقات.

● قاعدتا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح؛ لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

﴿٣٥﴾ ودخل الكافر حديثه في صعبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالغيب، قال الكافر: ما أظن أن تقضى هذه الحديقة التي تشاهدها؛ لما اتخذت لها من أسباب البقاء.

﴿٣٦﴾ وما أظن أن القيامة حادثة، إنما هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها فإذا بُعثت وأرجعت إلى ربي لأجدن بعد البعث ما أرجع إليه مما هو أفضل من حديثي هذه، فكوني غنياً في الدنيا يقتضي أن أكون غنياً بعد البعث.

﴿٣٧﴾ قال له صاحبه المؤمن وهو يراجع الكلام: أكثرت بالذي خلق أياك آدم من تراب، ثم خلقك أنت من المنى، ثم صيرك إنساناً ذكراً، وعدل أعضائك وجعلك كاملاً، فالذي قدر على ذلك كله قادر على بعثك.

﴿٣٨﴾ لكن أنا لا أقول بقولك هذا، وإنما أقول: هو الله سبحانه ربي المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به أحداً في العبادة.

﴿٣٩﴾ وهلاً حين دخلت حديثك قلت: ما شاء الله لا قوة لأحد إلا بالله، فهو الذي يفعل ما يشاء وهو القوي، فإن كنت تراني أفقر منك وأقل أولاداً، فأنا أتوقع أن يعطيني الله خيراً من حديثك، وأن يبعث على حديثك عذاباً من السماء، فتصبح حديثك أرضاً لا نبات فيها تزلق فيها الأقدام لمؤسستها.

﴿٤٠﴾ أو يذهب ماؤها غائراً في الأرض فلا تستطيع الوصول إليه بوسيلة، وإذا غار ماؤها فلا بقاء لها. ﴿٤١﴾ وتحقق ما توقعه المؤمن، فأحاط الهلاك بثمار حديقة الكافر،

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفِقُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرِنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطْلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُغْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَكِلْتَنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ وِفَاءٌ يَنْصُرُونَهُ وَمِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

فأصبح الكافر يقلب كفيه من شدة الحسرة والندم على ما بذل في عمارتها وإصلاحها من أموال، والحديقة ساقطة على دعائمها التي تتمدّد عليها أغصان العنب، ويقول: يا ليتني أمنت بربي وحده، ولم أشرك معه أحداً في العبادة. ﴿٤٦﴾ ولم تكن لهذا الكافر جماعة يمنعونه مما حلّ به من عقاب، وهو الذي كان يفتخر بجماعته، وما كان هو ممتنعاً من إهلاك الله لحديقته.

﴿٤٧﴾ في ذلك المقام النصرة لله وحده، هو سبحانه خير ثواباً لأوليائه من المؤمنين، فهو يضاعف لهم الثواب، وخير عاقبة لهم. ﴿٤٨﴾ واضرب - أيها الرسول - للمُفْتَرِّينَ بالدنيا مثلاً، فمثّلها في زوالها وسرعة انقضائها مثل ماء مطر أنزلناه من السماء، فنبت بهذا الماء نبات الأرض وأتبع، فأصبح هذا النبات متكسراً متفتتاً، تحمل الرياح أجزاءه إلى نواح أخرى، فتعود الأرض كما كانت، وكان الله على كل شيء مقتدراً، لا يعجزه شيء، فيحبي ما شاء، ويفني ما شاء.

﴿٤٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله، والإقرار بوحديته، وشكر نعمه وأفضاله عليه.
- ينبغي لكل من أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى موليتها ومُسَدِّهَا بأن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.
- إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا.
- جواز الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفوره وخسرانه.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا
 عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
 أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ
 لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
 بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ * مَا أَشْهَدُ لَهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
 ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿٤٦﴾ المال والأولاد مما يُتَزَيَّن به في الحياة الدنيا، ولا نفع للمال في الآخرة إلا إن اتَّقَى فيما يرضي الله، والأعمال والأقوال المرضية عند الله خير ثوابًا من كل ما في الدنيا من زينة، وهي خير ما يؤمله الإنسان؛ لأن زينة الدنيا فانية وثواب الأعمال والأقوال المرضية عند الله باق.

﴿٤٧﴾ واذكر يوم نُزِيلُ الجبال من مواطنها، وترى الأرض ظاهرة لزوال ما عليها من جبال وشجر وبناء، وجمعنا جميع المخلوقات، فلم نترك منهم أحدًا إلا بعثناه.

﴿٤٨﴾ وعرض الناس على ربك صفوفًا فيحاسبهم، ويقال لهم: لقد جئتمونا فَرَادَى حِصَا عَرَاةٍ غُرًّا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، بل زعمت أنكم لن تبعثوا، وأنا لن نجعل لكم زمانًا ومكانًا نجازيكم فيه على أعمالكم.

﴿٤٩﴾ وَوَضَعَ كتاب الأعمال، فَبِئْسَ أَخِيذٌ كِتَابُهُ يَمِينُهُ، ومن أَخِيذٍ إِيَّاهُ بِشِمَالِهِ، وترى - أيها الإنسان - الكافرين خائفين مما فيه؛ لأنهم يعلمون ما قدموا فيه من الكفر والمعاصي، ويقولون: يا هلاكنا ومصيبتنا! ما لهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا إلا حفظها وعدّها، ووجدوا ما عملوا في حياتهم الدنيا من المعاصي مكتوبًا مثبّتًا، ولا يظلم ربك - أيها الرسول - أحدًا، فلا يعاقب أحدًا من غير ذنب، ولا ينقص المطيع من أجر طاعته شيئًا.

﴿٥٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم له امتثالًا لأمر ربهم إلا إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فأبى واستكبر عن السجود، فخرج عن طاعة ربه، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ، فكيف تتخذون أعداءكم أولياء لكم؟! بس وقبح صنيع الظالمين الذين جعلوا الشيطان وليًا لهم بدلًا من موالاة الله تعالى. ﴿٥١﴾ هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني هم عبيد أمثالكم، ما أشهدتهم خلق السماوات ولا خلق الأرض حين خلقتهما، بل لم يكونوا موجودين، وما أشهدت بعضهم خلق بعض، فأنا المنفرد بالخلق والتدبير، وما كنت متخذ المضلين من شياطين الإنس والجن أعوانًا، فأنا غني عن الأعوان.

﴿٥٢﴾ واذكر لهم - أيها الرسول - يوم القيامة إذ يقول الله للذين أشركوا به في الدنيا: ادعوا شركائي الذين زعمت أنهم شركاء لي لعلهم ينصرونكم، فدعوه فلم يستجيبوا لدعائهم ولم ينصروهم، وجعلنا بين العابدين والمعبودين مَهْلَكًا يشتركون فيه، وهو نار جهنم.

﴿٥٣﴾ وعابن المشركون النار، فأيقنوا تمام اليقين أنهم واقعون فيها، ولم يجدوا عنها مكانًا ينصرفون إليه.

﴿٥٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- على العبد الإكثار من الباقيات الصالحات، وهي كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة.
- على العبد تذكر أهوال القيامة، والعمل لهذا اليوم حتى ينجو من أهواله، وينعم بجنة الله ورضوانه.
- كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى أَبَانَا آدَمَ ﷺ والجنس البشري بأجمعه بأمره الملائكة أن تسجد له في بدء الخليقة سجود تحية وتكريم.
- في الآيات الحث على اتخاذ الشيطان عدوًّا.

﴿٥٤﴾ ولقد بينا ونوعنا في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ الكثير من أنواع الأمثال ليتذكروا ويحفظوا، لكن الإنسان - وخاصة الكافر - أكثر شيء يظهر منه المجادلة بغير الحق. ﴿٥٥﴾ وما حال بين الكفار المعاندين وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ من ربه، وما حال بينهم وبين طلب المغفرة من الله لذنوبهم نقص البيان، فقد ضربت لهم الأمثلة في القرآن، وجاءتهم الحجج الواضحة، وإنما منعهم طلبهم - بتعتت - إيقاع عذاب الأمم السابقة عليهم، ومعاينة العذاب الذي وعدوا به.

﴿٥٦﴾ وما نبعت من نبعت من رسلنا إلا مبشرين أهل الإيمان والطاعة، ومخوفين أهل الكفر والعصيان، وليس لهم تسلط على القلوب بحملها على الهداية، ويخاصم الذين كفروا بالله الرسل مع وضوح الدليل لهم؛ ليزيلوا بباطلهم الحق المنزل على محمد ﷺ، وضلوا القرآن وما خوفوا به أضحوكة وسخرية.

﴿٥٧﴾ ولا أحد أشد ظلماً ممن دُكر بآيات ربه، فلم يعبأ بما فيها من وعيد بالعذاب، وأعرض عن الاعتاظ بها، ونسي ما قدم في حياته الدنيا من الكفر والمعاصي ولم يتب منها، إنا جعلنا على قلوب من هذا وصفهم أغشية تمنعها من فهم القرآن، وفي آذانهم سمماً عنه، فلا يسمعون سماع قبول، وإن تدعهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لما تدعوهم إليه أبداً ما دامت على قلوبهم أغشية، وفي آذانهم صمم.

﴿٥٨﴾ ولئلا ينشؤف النبي ﷺ إلى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٣٠٠

معاجلة المكذبين به بالعذاب، قال الله له: وربك - أيها الرسول - الغفور لذنوب عباده التائبين، ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أنه يمهّل العصاة لعلهم يتوبون إليه، فلو أنه تعالى يعاقب هؤلاء المعرضين لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا، لكنه حلِيم رحيم، أخر عنهم العذاب ليتوبوا، بل لهم مكان وزمان محددان يجازون فيهما على كفرهم وإعراضهم إن لم يتوبوا، لن يجدوا من دونه ملجأ يلجؤون إليه.

﴿٥٩﴾ وتلك القرى الكافرة القريبة منكم مثل قرى قوم هود وصالح وشعيب أهلكناهم حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وجعلنا لإهلاكهم وقتاً محدداً. ﴿٦٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى ﷺ لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أسير حتى أصل ملتقى البحرين، أو أسير زمناً طويلاً إلى أن ألقى العبد الصالح، فأتعلم منه. ﴿٦١﴾ فسارا، فلما وصلا ملتقى البحرين نسيا سمكتهما التي اتخذاهما زاداً لهما، فأحيا الله السمكة، واتخذت طريقاً في البحر مثل السرداب، لا يلتئم الماء معه.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عظيمة القرآن وجلالته وعمومه؛ لأن فيه كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر.
- من حكمة الله ورحمته أن تقيضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبين الباطل وفساده.
- في الآيات من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينه وبين الحق، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مُرْهَبٍ وذاجر عن ذلك.
- فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم.
- الحوت يطلق على السمكة الصغيرة والكبيرة ولم يرد في القرآن لفظ السمك، وإنما ورد الحوت والنون واللحم الطري.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا جَاءْنَا لِقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا
هَذَا نَصَبًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحَوْتَ وَمَا أُنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا
قَصَصًا ۖ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۖ قَالَ لَهُ وَمُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ
تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا ۖ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ قَالَ
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ قَالَ
فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ
ۖ قَالَ أَقَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ

٦١ فلما تعديا ذلك المكان، قال موسى ﷺ لخادمه: أتنا طعام القُدوة، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا شديدًا. ٦٢ قال الغلام: أ رأيت ما حصل حين التجأنا إلى الصخرة؟ إني نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، وما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فقد خبي الحوت، واتخذ له طريقًا في البحر يحمل على التعجب.

٦٣ قال موسى ﷺ لخادمه: ذلك ما كنا نريد، فهو علامة مكان العبد الصالح، فرجعا يتبعان آثار أقدامهما؛ لئلا يضيعا عن الطريق حتى انتهيا إلى الصخرة، ومنها إلى مدخل الحوت.

٦٤ فلما وصلا مكان فقد الحوت وجدا عنده عبدًا من عبادنا الصالحين (وهو الخضر ﷺ)، أعطيناه رحمة من عندنا، وعلمناه من عندنا علمًا لا يطلع عليه الناس، وهو ما تضمنته هذه القصة.

٦٥ قال له موسى في تواضع وتلطّف: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله من العلم ما هو رشاد إلى الحق؟

٦٦ قال الخضر: إنك لن تطيق الصبر على ما تراه من علمي؛ لأنه لا يوافق ما لديك من علم.

٦٧ وكيف تصبر على ما ترى من الأفعال التي لا تعلم وجه الصواب فيها؛ لأنك تحكم فيها بمبلغ علمك؟

٦٨ قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أرى منك من أفعال، ملتزمًا بطاعتك، لا أعصي لك أمرًا أمرتني به.

٦٩ قال الخضر لموسى: إن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا البادئ بتبيين وجهه.

٧٠ فلما اتفقا على ذلك انطلقا إلى ساحل البحر حتى لقيا سفينة، فركبا فيها دون أجره تكرمه للخضر، فخرق الخضر السفينة بقلع لوح من ألواحها، فقال له موسى: أخرقت السفينة التي حملنا أهلها فيها بغير أجره رجاء أن تُغرق أهلها؟ لقد أتيت أمرًا عظيمًا.

٧١ قال الخضر لموسى: ألم أقُل: إنك لن تطيق معي صبرًا على ما ترى مني؟

٧٢ قال موسى ﷺ للخضر: لا تؤاخذني بسبب تركي لعهدك نسيانًا، ولا تضيق عليّ وتشدّد في صحبتك.

٧٣ فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان على الساحل، فأبصرا غلامًا لم يبلغ الحلم يلعب مع غلمان، فقتله الخضر، فقال له موسى: أقتلت نفسًا طاهرة لم تبلغ الحلم دونما ذنب؟ لقد أتيت أمرًا مُنكرًا!

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- استحباب كون خادم الإنسان ذكيًا فطنًا كيّسًا ليتم له أمره الذي يريده.
- أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالأمور به، وأن الموافق لأمر الله يُعان ما لا يُعان غيره.
- التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه أُلطف خطاب.
- النسيان لا يقتضي المؤاخظة، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم.
- تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتَمَهَّر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة.
- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها.

﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَدِّقْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْظِرْكَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَ هُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿٨٢﴾ وَمَا فَعَلْتُهُ وَعَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٤﴾

حاجتهما إليه.

﴿٨١﴾ فأردنا أن يعوضهما الله ولداً خيراً منه ديناً وصلاً وطهارة من الذنوب، وأقرب رحمة بوالديه منه.

﴿٨٢﴾ وأما الحائط الذي أصلحته وأنكرت علي إصلاحه فكان لصغيرين في المدينة التي جئناها قد مات أبوهما، وكان تحت الحائط مال مدفون لهما، وكان أبوهما الصغيرين صالحاً، فأراد ربك - يا موسى - أن يبلغا سن الرشد ويكبرا، ويخرجا مالهما المدفون من تحته؛ إذ لو سقط الحائط الآن لانكشف مالهما وتعرض للضياع، وكان هذا التدبير رحمة من ربك بهما، وما فعلته من اجتهادي؛ ذلك تفسير ما لم تستطع الصبر عليه.

ولما ذكر الله قصة الخضر ذكر قصة ذي القرنين؛ لما بينهما من ترابط؛ إذ إن كلاً منهما سعى لحماية الضعفاء، فقال:

﴿٨٣﴾ ويسألك - أيها الرسول - المشركون واليهود ممتحنين عن خبر صاحب القرنين، قل: سأتلو عليكم من خبره جزءاً تعتبرون به وتذكرون.

﴿٨٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب التاني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء. • أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتُعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها. • يُدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير، ويُراعى أكبر المصلحتين بتقوية أضعفهما.

• ينبغي للصاحب ألا يفارق صاحبه ويترك صحبته حتى يُعْتَبَر منه. • استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ بنسبة الخير إليه وعدم نسبة الشر إليه. • أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته.

﴿٧٥﴾ قال الخضر لموسى: ﴿٧٥﴾: إني كنت قلت لك: إنك - يا موسى - لن تستطيع الصبر على ما أقوم به من أمر.

﴿٧٦﴾ قال موسى: ﴿٧٦﴾: إن سألت عن شيء بعد هذه المرة ففارقني، فقد وصلت إلى الغاية التي تُعَذِّر فيها على ترك مصاحبتي؛ لكوني خالفت أمرك مرتين.

﴿٧٧﴾ فسارا حتى إذا جاء أهل قرية طلبا من أهلها طعاماً، فامتنع أهل القرية من إطعامهما، وتأدية حق الضيافة إليهما، فوجدا في القرية حائطاً مائلاً قارب أن يسقط وينهدم، فسواه الخضر حتى استقام، فقال موسى: ﴿٧٧﴾ للخضر: لو شئت اتخذت أجر على إصلاحه لاتخذته؛ لحاجتنا إليه بعد امتناعهم من ضيافتنا.

﴿٧٨﴾ قال الخضر لموسى: هذا الاعتراض على عدم أخذني أجراً على إقامة الحائط هو محل الفراق بيني وبينك، سأخبرك بتفسير ما لم تستطع أن تصبر عليه مما شاهدتني قمت به.

﴿٧٩﴾ أما السفينة التي أنكرت علي خرقها؛ فكانت لضعفاء يعملون عليها في البحر لا يستطيعون الدفع عنها، فأردت أن تصير معيبة بما أحدثته فيها؛ حتى لا يستولي عليها ملك كان أمامهم يأخذ كل سفينة صالحة كرهاً من أصحابها، ويترك كل سفينة معيبة.

﴿٨٠﴾ وأما الغلام الذي أنكرت علي قتله فكان أبواه مؤمنين، وكان هو في علم الله كافراً، فخففنا إن بلغ أن يحملهما على الكفر بالله والطغيان من فرط محبتهما له، أو من فرط

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝٨٤ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذُو الْقَرَيْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تَعْذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ۖ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝٨٨ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُوا يَذُو الْقَرَيْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفَخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝٩٦ فَمَا اسْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ وَنَقَبًا ۝٩٧

٨٤ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يتعلّق به مطلوبه طريقًا يتوصّل به إلى مراده.

٨٥ فأخذ بما أعطيناه من الوسائل والطرق للتوصّل إلى مطلوبه، فاتّبعه غربًا.

٨٦ وسار في الأرض حتى إذا وصل إلى نهاية الأرض من جهة مغرب الشمس - في مرأى العين - رآها كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغرب الشمس قومًا كفارًا، قلنا له على سبيل التخيير: يا صاحب القرنين، إما أن تُعَذِّبَ هؤلاء بالقتل أو بغيره، وإما أن تُحَسِّنَ إليهم.

٨٧ قال صاحب القرنين: أما من أشرك بالله وأصرّ على ذلك بعد دعوتنا له إلى عبادة الله فسنعاقبه بالقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه يوم القيامة فيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ظَهِيرًا.

٨٨ وأما من آمن منهم بالله وعمل عملًا صالحًا فله الجنة؛ جزاء من ربه على إيمانه وعمله الصالح، وسنقول له من أمرنا ما فيه رفق ولين.

٨٩ ثم اتّبع طريقًا غير طريقه الأولى متجهًا إلى جهة شروق الشمس.

٩٠ وسار حتى إذا وصل إلى جهة مطلع الشمس - في مرأى العين - وجد الشمس تطلع على أقوام لم نجعل لهم من دون الشمس ما يقيهم من البيوت ومن ظلال الأشجار.

٩١ كذلك أمر صاحب القرنين، وقد أحاط علمنا بتفاصيل ما لديه من القوة والسلطان.

٩٢ ثم اتّبع طريقًا غير الطريقين الأولين معترضًا بين المشرق والمغرب.

٩٣ وسار حتى وصل ثغرة بين جبلين فوجد من قبلهما قومًا لا يكادون يفهمون كلام غيرهم.

٩٤ قالوا: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج (يعنون أمتين عظيمتين من بني آدم) مفسدون في الأرض بما يقومون به من القتل وغيره، فهل نجعل لك مالًا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا؟

٩٥ قال ذو القرنين: ما رزقنيه ربي من الملك والسلطان خير لي مما تعطونني من مال، فأعينوني برجال وآلات أجعل بينكم وبينهم حاجزًا.

٩٦ أَحْضَرُوا قِطْعَ الْحَدِيدِ، فَأَحْضَرُوهَا فطُفِقَ بَيْنِي بَهَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، حتى إذا ساواهما ببنائهما قال للعمال: أشعلوا النار على هذه القطع، حتى إذا احمرت قطع الحديد قال: أَحْضَرُوا نَحَاسًا أَصْبَهُ عَلَيْهِ.

٩٧ فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا عليه لارتفاعه، وما استطاعوا أن يتقبوه من أسفله لصلابته.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● أن ذا القرنين أحد الملوك المؤمنين الذين ملكوا الدنيا وسيطروا على أهلها، فقد آتاه الله ملكًا واسعًا، ومنحه حكمة وهيبة وعلمًا نافعا.

● من واجب الملك أو الحاكم أن يقوم بحماية الخلق في حفظ ديارهم، وإصلاح ثغورهم من أموالهم.

● أهل الصلاح والإخلاص يحرسون على إنجاز الأعمال ابتغاء وجه الله.

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ٩٨ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ٩٩ * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ١٠٠ * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ١٠١ * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ١٠٢ * قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ١٠٣ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ١٠٥ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَهْلِ جَهَنَّمَ ١٠٦ * يَمَّا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٧ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ١٠٨ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ١٠٩ * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ١١٠ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ١١١

٣٠٤

ذلك الجزاء المُعد لهم هو جهنم؛ لكفرهم بالله، واتخاذهم آياتي المنزلة ورسلي سخرية. ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين، فقال:

١٠٦ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات كانت لهم أعلى الجنان منزلاً لإكرامهم.

١٠٧ ماكنين فيها أبداً، لا يطلبون عنها تحولاً؛ لأنها لا يدانيها جزاء.

١٠٨ قل - أيها الرسول -: إن كلمات ربي كثيرة، فلو كان البحر حَبْرًا لها تكتب به لانتهى ماء البحر قبل أن تنتهي كلماته سبحانه، ولو أتينا ببحور أخرى لنفدت أيضاً.

١٠٩ قل - أيها الرسول -: إنما أنا بشر مثلكم، يُوحى إليّ أنّ معبودكم بحق معبود واحد لا شريك له، وهو الله، فمن كان يخاف لقاء ربه فليعمل عملاً موافقاً لشرعه، مخلصاً فيه لربه، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً.

١١٠ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● إثبات البعث والحشر بجمع الجن والإنس في ساحات القيامة بالنفخة الثانية في الصور.

● أن أشد الناس خسارة يوم القيامة هم الذين ضل سعيهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا في عبادة من سوى الله.

● لا يمكن حصر كلمات الله تعالى وعلمه وحكمته وأسراره، ولو كانت البحار والمحيطات وأمثالها دون تحديد حبراً يكتب به.

٩٨ قال ذو القرنين: هذا السد رحمة من ربي يحول بين يأجوج ومأجوج وبين الإفساد في الأرض، ويمنعهم منه، فإذا جاء الوقت الذي حدده الله لخروجهم قبل قيام الساعة ضيّرهم مستويّاً بالأرض، وكان وعد الله بتسويته بالأرض وبخروج يأجوج ومأجوج ثابتاً لا خُلف فيه.

٩٩ وتركنا بعض الخلق آخر الزمان يضطربون ويختلطون ببعض، ونُفِخَ في الصور فجمعنا الخلق كله للحساب والجزاء.

١٠٠ وأظهرنا جهنم للكافرين إظهاراً لا ليس معه ليُشاهدوها عياناً.

١٠١ أظهرناها للكافرين الذين كانوا في الدنيا عمياء عن ذكر الله؛ لما على أعينهم من حجاب مانع من ذلك، وكانوا لا يستطيعون سماع آيات الله سماع قبول.

١٠٢ أفضّل الذين كفروا بالله أن يجعلوا عبادي من ملائكة ورسل وشياطين معبودين من دوني؟ إنا هيأنا جهنم للكافرين منزلاً لإقامتهم.

١٠٣ قل - أيها الرسول -: هل نخبركم - أيها الناس - بأعظم الناس خسراناً لعمله؟

١٠٤ الذين يرون يوم القيامة أن سعيهم الذي كانوا يسعون في الدنيا قد ضاع، وهم يظنون أنهم محسنون في سعيهم، وسينتفعون بأعمالهم، والواقع خلاف ذلك.

١٠٥ أولئك هم الذين كفروا بآيات ربهم الدالة على توحيد، وكفروا بلقائه، فبطلت أعمالهم لكفرهم بها، فلا يكون لهم يوم القيامة قدر عند الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَمْ هِيَ عَصَ ١ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَزَكَرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَزَكِّرُنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١

٣٠٥

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إبطال عقيدة نسبة الولد لله من المشركين والنصارى، وبيان سعة رحمة الله بعباده.

● التفسير:

١ كَمْ هِيَ: تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذا ذكر رحمة ربك بعبدته زكريا عليه السلام، نقضه عليك للاعتبار به.

٣ إذ دعا ربه سبحانه دعاء خفياً ليكون أقرب إلى الإجابة.

٤ قال: يا رب، إني ضعفت عظامي، وكثر شيب رأسي، ولم أكن خائفاً في دعائي لك، بل كلما دعوتك أجبتني.

٥ وإني خفت قرابتي ألا يقوموا بعد موتي بحق الدين لانشغالهم بالدنيا، وكانت امرأتي عقيمًا لا تلد، فأعطني من عندك ولداً مُعِينًا.

٦ يرث النبوة عني، ويرثها من آل يعقوب عليه السلام، وصيِّره - يا رب - مرضياً في دينه وخلقه وعلمه.

٧ فاستجاب الله دعاءه، وناداه: يا زكريا، إنا نخبرك بما يسرك، فقد أجبتنا دعاءك، وأعطيناك غلاماً اسمه يحيى، لم نجعل لغيره من قبله هذا الاسم.

٨ قال زكريا متعجباً من قدرة الله: كيف يولد لي ولد وامرأتي عقيم لا تلد، وقد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام؟

٩ قال الملك: الأمر كما قلت من أن امرأتك لا تلد، وأنت قد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام، لكن ربك قال: خلق ربك ليحيى من أم عاقرة ومن أب بلغ نهاية العمر سهلاً، وقد خلقتك - يا زكريا - من قبل ذلك ولم تكن شيئاً يذكرك لأنك كنت عدماً.

١٠ قال زكريا عليه السلام: يا رب، اجعل لي علامة أطمئن بها تدل على حصول ما بشرتني به الملائكة، قال: علامتك على حصول ما بشرت به ألا تستطيع كلام الناس ثلاث ليالٍ من غير علة، بل أنت صحيح معافى.

١١ فخرج زكريا على قومه من مصلاه، فأشار إليهم من غير كلام: أن سبِّحوا الله سبحانه أول النهار وآخره.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الضعف والعجز من أحب وسائل التوسل إلى الله: لأنه يدل على التبرؤ من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

● يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه، وما يليق بالخضوع.

● الحرص على مصلحة الدين وتقديمها على بقية المصالح.

● تستحب الأسماء ذات المعاني الطيبة.

﴿١٢﴾ فولد له يحيى، فلما بلغ سنًا يخاطب فيها قلنا له: يا يحيى، خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناه الفهم والعلم والجد والعزم وهو في سن الصبا.

﴿١٣﴾ ورحمناه رحمة من عندنا، وطهرناه من الذنوب، وكان تقياً يأتمر بأوامر الله، ويجتنب نواهيه.

﴿١٤﴾ وكان براً بوالديه، لطيفاً بهما، محسناً إليهما، ولم يكن متكبراً عن طاعة ربه ولا طاعتهما، ولا عاصياً لربه أو لوالديه.

﴿١٥﴾ وسلام عليه من الله وأمان له منه يوم ولد، ويوم يموت ويخرج من هذه الحياة، ويوم يبعث حياً يوم القيامة، وهذه المواطن الثلاثة هي أوحش ما يمر به الإنسان، فإذا أمن فيها فلا خوف عليه فيما عداها.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر مريم عليها السلام إذ تَخَتَّ عن أهلها، وانفردت بمكان على جهة الشرق منهم.

﴿١٧﴾ فاتخذت لنفسها من دون قومها سائراً يسترها حتى لا يروها حال عبادتها لربها، فبعثنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها في صورة إنسان سوي الخلقة، فخافت أنه يريد بها سوء.

﴿١٨﴾ فلما رآته في صورة إنسان سوي الخلق يتجه إليها قالت: إني أستجير بالرحمن منك أن ينالني منك سوء - يا هذا - إن كنت تقياً تخاف الله.

﴿١٩﴾ قال جبريل عليه السلام: أنا لست بشراً، إنما أنا رسول من ربك أرسلني إليك لأهب لك ولداً طيباً طاهراً.

﴿٢٠﴾ قالت مريم متعجبة: كيف يكون لي ولد ولم يقربني زوج ولا غيره، ولست زانية حتى يكون لي ولد؟

﴿٢١﴾ قال لها جبريل: الأمر كما ذكرت من أنك لم يمسسك زوج ولا غيره ولم تكوني زانية، لكن ربك سبحانه قال: خلّق ولد من غير أب سهل عليّ، وليكون الولد الموهوب لك علامة للناس على قدرة الله، ورحمة منا لك ولمن آمن به، وكان خلّق ولدك هذا قضاء من الله مقدراً، مكتوباً في اللوح المحفوظ.

﴿٢٢﴾ فحملت به بعد نفخ الملك، فتخَتَّ به إلى مكان بعيد عن الناس.

﴿٢٣﴾ فضر بها المخاض، وألجأها إلى ساق نخلة، قالت مريم عليها السلام: يا ليتني متّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً لا يُذكر حتى لا يُظنّ بي السوء.

﴿٢٤﴾ فتأداها عيسى من تحت قدميها: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جدول ماءٍ تشربين منه.

﴿٢٥﴾ وأمسك بجذع النخلة وهزّيه تساقط عليك رطباً طرياً جني من ساعته.

من قَوَائِدِ الْكِتَابِ :

- الصبر على القيام بالتكاليف الشرعية مطلوب.
- علو منزلة بر الوالدين ومكانتها عند الله، فالله قرنه بشكره.
- مع كمال قدرة الله في آياته الباهرة التي أظهرها لمريم، إلا أنه جعلها تعمل بالأسباب ليصلها ثمرة النخلة.

يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾
وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾
وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾
قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لِهَذِهِ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾
فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهَزَى إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦ فَآتَتْ
بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ وَقَالُوا لِمَ مَرِمَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧
يَأْخُذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٣٦ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَابْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٣٨

٣٠٧

٢٦ فكللي من الرطب، واشربي من الماء، وطيبني نفسًا بمولودك ولا تحزني، فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن خبر المولود فقولي له: إني أوجبت على نفسي لربي صمتًا عن الكلام، فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس.

٢٧ فجاءت مريم بابنها إلى قومها تحمله، قال لها قومها مستكرين: يا مريم، لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى، حيث جئت بولد من غير أب.

٢٨ يا شبيهة هارون في العبادة (وهو رجل صالح) ما كان أبوك زانيًا، ولا كانت أمك زانية، فأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح، فكيف تأتين بولد من غير أب؟

٢٩ فأشارت إلى ابنها عيسى وهو في المهد، فقال لها قومها متعجبين: كيف نكلّم صبيًا وهو في المهد؟

٣٠ قال عيسى: إني عبد الله، أعطاني الإنجيل، وجعلني نبيًا من أنبيائه.

٣١ وجعلني كثير النفع للعباد أينما كنت، وأمرني بأداء الصلاة وإعطاء الزكاة طيلة حياتي.

٣٢ وجعلني برًا بأمي، ولم يجعلني متكبرًا عن طاعة ربي، ولا عاصيًا له.

٣٣ والأمان من الشيطان وأعدائه عليّ يوم ميلادي ويوم موتي ويوم بعثي حيًا يوم القيامة، فلم يتخططني الشيطان في هذه المواقف الثلاثة الموحشة.

٣٤ ذلك الموصوف بتلك الصفات هو عيسى بن مريم، وهذا الكلام هو قول الحق فيه، لا ما يقوله الضالون الذين يشكّون في أمره ويختلفون.

٣٥ ما ينبغي لله أن يتخذ من ولد، تقدّس عن ذلك وتنزه، إذا أراد أمرًا، فإنما يكفيه سبحانه أن يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون لا محالة، فمن كان كذلك فهو مُنَزَّه عن الولد.

٣٦ وإن الله سبحانه هوربي وهوربكم جميعًا، فأخلصوا له العبادة وحده، هذا الذي ذكرت لكم هو الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاة الله.

٣٧ فاختلف المختلفون في شأن عيسى: فصاروا أحزابًا متفرقين من بين قومه، فأمن به بعضهم وقالوا: هورسول، وكفر به آخرون كاليهود، كما غلا فيه طوائف فقال بعضهم: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك، فويل للمختلفين في شأنه من شهود يوم القيامة العظيم بما فيه من مشاهد وحساب وعقاب.

٣٨ ما أسمعهم يومئذ وما أبصرهم، سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر، لكن الظالمون في الحياة الدنيا في ضلال واضح عن الصراط المستقيم، فلا يستعدّون للآخرة حتى تأتيتهم بغتة وهم على ظلمهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في أمر مريم بالسكوت عن الكلام دليل على فضيلة الصمت في بعض المواطن.
- نذر الصمت كان جائزًا في شرع من قبلنا، أما في شرعنا فقد دلت السنة على منعه.
- أن ما أخبر به القرآن عن كيفية خلق عيسى هو الحق القاطع الذي لا شك فيه، وكل ما عداه من تقولات باطل لا يليق بالرسول.
- في الدنيا يكون الكافر أصم وأعمى عن الحق، ولكنه سيبصر ويسمع في الآخرة إذا رأى العذاب، ولن ينفعه ذلك.

يوم الندامة حين يندم المسيء على إساءته، والمحسن على عدم استكثاره من الطاعة، إذ طويت صحيف العباد، وفرغ من حسابهم، وصار كل إلى ما قدم، وهم في حياتهم الدنيا مُعْتَرُونَ بها، لاهون عن الآخرة، وهم لا يؤمنون بيوم القيامة.

٣٨ إنا نحن الباقون بعد فناء الخلائق، نرث الأرض، ونرث من عليها لفنائهم وبقاتنا بعدهم، وملكتنا لهم، وتصرفتنا فيهم بما نشاء، وإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

٣٩ وأذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إبراهيم عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات الله، ونبيًا من عند الله.

٤٠ إذ قال لأبيه أزر: يا أبت، لم تعبد من دون الله صنمًا لا يسمع دعاءك إن دعوته، ولا يبصر عبادتك إن عبادته، ولا يكشف عنك ضرًا، ولا يجلب لك نفعًا؟

٤١ يا أبت، إني قد جاءني من العلم عن طريق الوحي ما لم يأتك، فأتبعني أرشدك إلى طريق مستقيم.

٤٢ يا أبت، لا تعبد الشيطان بطاعتك له، إن الشيطان كان للرحمن عاصيًا، حيث أمره بالسجود لآدم فلم يسجد.

٤٣ يا أبت، إني أخاف أن يصيبك عذاب من الرحمن إن مت على كفرك، فتكون قريبًا للشيطان في العذاب لمؤاتك له.

٤٤ قال أزر لابنه إبراهيم عليه السلام: أعرض أنت عن أصنامي التي أعبدتها يا إبراهيم؟ لئن لم تكف عن سب

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ٣٩ إِنْ أَنْخُنْ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٤٠
 فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
 لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢ يَا أَبَتِ
 إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
 سَوِيًّا ٤٣ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
 عَصِيًّا ٤٤ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
 فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي
 يَٰٓإِبْرَاهِيمُ لِمَ تَتَنَاهَى لِرَجْمَتِهِمْ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ٤٦ قَالَ
 سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧
 وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا
 أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨ فَلَمَّا أَعَزَّلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩
 وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدِّقٍ عَلِيًّا ٥٠
 وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١

أصنامي لأمرينك بالحجارة، وفارقني زمانًا طويلًا فلا تكلمني، ولا تجتمع معي.

٤٧ قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: سلام عليك مني، لا ينالك ما تكره مني، سأطلب لك المغفرة من ربي والهداية، إنه سبحانه كان كثير اللطف بي.

٤٨ وأفارقكم وأفارق معبوداتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعوا ربي وحده لا أشرك به شيئًا، عسى ألا يمينني إذا دعوته، فأكون بدعائه شقيًا.

٤٩ فلما تركهم وترك آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، عوضناه عن فقد أهله فوهبنا له ابنه إسحاق، ووهبنا له حفيده يعقوب، وكل واحد منهما جعلناه نبيًا.

٥٠ وأعطيناهم من رحمتنا مع النبوة خيرًا كثيرًا، وجعلنا لهم ثناء حسنًا مستمرًا على السنة العباد.

٥١ وأذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر موسى عليه السلام، إنه كان مختارًا مصطفىًا، وكان رسولًا نبيًا.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لما كان اعتزال إبراهيم لقومه مشتركًا فيه مع سارة، ناسب أن يذكر هبتهما المشتركة وحفيدهما، ثم جاء ذكر إسماعيل مستقلًا مع أن الله وهبه إياه قبل إسحاق.
- التأدب واللطف والرفق في محاوراة الوالدين واختيار أفضل الأسماء في مناداتهما.
- المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته.
- وعد الله كل محسن أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وإبراهيم عليه السلام وذريته من أئمة المحسنين.

وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝٥٣ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝٥٥ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ وَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذِ اتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ هَايَتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُوَ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝٦١ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُوَ مَابَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤

٣٠٩

٥٢ ونادينه من جانب الجبل الأيمن بالنسبة لموقع موسى عليه السلام، وقربناه مناجيا، حيث أسمع الله كلامه.

٥٣ وأعطيناه - من رحمتنا وإنعامنا عليه - أخاه هارون عليه السلام نبيا؛ استجابة لدعائه حين سأل ربه ذلك.

٥٤ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إسماعيل عليه السلام، إنه كان صادق الوعد، لا يعدّ وعدا إلا وفى به، وكان رسولا نبيا.

٥٥ وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، ويأطع الزكاة، وكان عند ربه مرضيا.

٥٦ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إدريس عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات ربه، وكان نبيا من أنبياء الله.

٥٧ ورفعنا ذكره بما أعطيناه من النبوة، فكان عالي المنزلة.

٥٨ أولئك المذكورون في هذه السورة ابتداء بذكرنا وختاماً بإدريس عليه السلام، هم الذين أنعم الله عليهم بالنبوة من أبناء آدم عليه السلام، ومن أبناء نوح عليه السلام، ومن أبناء إبراهيم وأبناء يعقوب عليه السلام، ومن وفقنا للهداية إلى الإسلام، واصطفيناهم وجعلناهم أنبياء، كانوا إذا سمعوا آيات الله تقرأ سجداً لله باكين من خشيته.

٥٩ فجاء من بعد هؤلاء الأنبياء المصطفين أتباع سوء وضلال، ضيعوا الصلاة، فلم يأتوا بها على الوجه المطلوب، وارتكبوا ما تشتهيه أنفسهم من المعاصي كالزنى، فسوف يلقون شرّاً في جهنم وخيبة.

٦٠ إلا من تاب من تقصيره وتطريطه، وآمن بالله وعمل عملاً صالحاً فأولئك الموصوفون بهذه الصفات يدخلون الجنة، ولا ينقصون من أجور أعمالهم شيئا ولو قل.

٦١ جنات إقامة واستقرار التي وعد الرحمن عباد الصالحين بالغيب أن يدخلهم فيها، وهم لم يروها فأمنوا بها، فوعد الله بالجنة - وإن كان غيباً - أت لا محالة.

٦٢ لا يسمعون فيها فضولا، ولا كلام فحش، بل يسمعون سلام بعضهم على بعض، وسلام الملائكة عليهم، ويأتيتهم ما يشتهون من الطعام فيها صباحا ومساء.

٦٣ هذه الجنة الموصوفة بهذه الصفات هي التي نورثها من عبادنا من كان ممتثلًا للأوامر، مجتنبًا للنواهي.

ولما ذكر سبحانه ثواب المتقين ذكر أن التقوى هي الوقوف مع أمره، فقال:

٦٤ وقال - يا جبريل - لمحمد عليه السلام: إن الملائكة لا تنزل من تلقاء أنفسها، وإنما تنزل بأمر الله، لله ما نستقبله من أمر الآخرة، وما خلفناه من أمر الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، وما كان ربك - أيها الرسول - ناسيا شيئا.

من قواعد الآيات،

● حاجة الداعية دوماً إلى أنصار يساعده في دعوته. ● إثبات صفة الكلام لله تعالى. ● صدق الوعد محمود، وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده وهو الخلف مذموم. ● إن الملائكة رسل الله بالوحي لا تنزل على أحد من الأنبياء والرسل من البشر إلا بأمر الله.

﴿١٥﴾ خالق السماوات وخالق الأرض، ومالكهما ومدير أمرهما، وخالق ما بينهما ومالكة ومدبره، فاعبده وحده، فهو المستحق للعبادة، وأثبت على عبادته، فليس له مثل ولا نظير يشاركه في العبادة.

﴿١٦﴾ ويقول الكافر المنكر للبعث: استهزاء: إذا مت فإني سوف أخرج من قبري حيًا حياة ثانية؟ إن هذا لبعيد.

﴿١٧﴾ أولاً يتذكر هذا المنكر للبعث أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً؟ فيستدل بالخلق الأول على الخلق الثاني، مع أن الخلق الثاني أسهل وأيسر.

﴿١٨﴾ فوربك - أيها الرسول - لنخرجهم من قبورهم إلى المحشر مصحوبين بشياطينهم الذين أضلوهم، ثم لنسوقهم إلى أبواب جهنم أذلاء، باركين على ركبتهم.

﴿١٩﴾ ثم لنجذب بشدة وعنف من كل طائفة من طوائف الضلال أشدهم عصياناً، وهم قادتهم.

﴿٢٠﴾ ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بدخول النار ومقاساة حرها ومعاناته.

﴿٢١﴾ وما منكم - أيها الناس - أحد إلا سيعبر فوق الصراط المضروب على متن جهنم، كان هذا العبور قضاءً مُبرماً قضاه الله، فلا راد لقضائه.

﴿٢٢﴾ ثم بعد هذا العبور على الصراط نسلّم الذين اتقوا ربهم بامثال أوامر واجتناب نواهيه، ونترك الظالمين باركين على ركبتهم، لا يستطيعون الفرار منها.

﴿٢٣﴾ وإذا تُقرأ على الناس آياتنا المنزل على رسولنا ووضحت قال

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْعًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذْ اتَّكَلَىٰ عَلَيْهِمْ اإِيتَانُ بَيْنَتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَا وَرِيًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

﴿٣١٠﴾

الكفار للمؤمنين: أي فريقنا خير إقامة ومسكنًا، وأحسن مجلسًا ومجتمعًا: فريقنا أم فريقكم؟ ﴿٧٦﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكناها قبل هؤلاء الكفار المفتخرين بما هم فيه من تفوق مادي، هي أحسن منهم أموالاً، وأحسن منظرًا لنفاسة ثيابهم، وتتعم أبدانهم.

﴿٧٥﴾ قل - أيها الرسول -: من كان يتخبط في ضلاله فسيمهله الرحمن حتى يزداد ضلالاً، حتى إذا عاينوا ما كانوا يوعدون به من العذاب المعجل في الدنيا، أو المؤجل يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من هو شر منزلاً وأقل ناصراً، أهو فريقهم أم فريق المؤمنين؟ ومقابل الإمهال لأولئك حتى يزدادوا ضلالاً، يزداد الله الذين اهتدوا إيماناً وطاعة، والأعمال الصالحات المؤدية إلى السعادة الأبدية أنفع عند ربك - أيها الرسول - جزاءً، وخير عاقبة.

﴿٧٤﴾ من قوايد الآيات:

- على المؤمنين الاشتغال بما أمروا به والاستمرار عليه في حدود المستطاع.
- ورؤد جميع الخلائق على النار - أي: المرور على الصراط، لا الدخول في النار - أمر واقع لا محالة.
- أن معايير الدين ومفاهيمه الصحيحة تختلف عن تصورات الجهلة والعوام.
- من كان غارقاً في الضلالة متأصلاً في الكفر يتركه الله في طغيان جهله وكفره، حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعقابه.
- يتب الله المؤمنين على الهدى، ويزيدهم توفيقاً ونصرة، وينزل من الآيات ما يكون سبباً لزيادة اليقين مجازةً لهم.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
 ٧٧ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٧٨ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ٧٩ وَنَرِثُهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ٨٠ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إلهَةً
 لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ٨٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 تَوْرِهِمْ أَرَاءَ ٨٣ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا ٨٤
 يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ٨٥ وَنَسْوَقُ الْمُجْرِمِينَ
 إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ٨٦ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتَدَعَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٨٧ وَقَالُوا اخْذِ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨ لَقَدْ
 جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ
 وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
 ٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ٩٥

٧٧ أفرأيت - أيها الرسول - الذي كفر بحججنا، وأنكر وعيدنا، وقال: إن مت، وبعثت لأعطين مالا كثيرا وأولادا. ٧٨ أعلم الغيب فقال ما قال عن بيته؟ أم جعل عند ربه عهدا ليدخله الجنة، ويعطيته مالا وأولادا؟

٧٩ ليس الأمر كما زعم، سنكتب ما يقوله وما يعمل، ونزيد عذابا فوق عذابه لما يدعيه من الباطل. ٨٠ ونرث ما تركه من مال وولد بعد إهلاكنا له، ويجيئنا يوم القيامة فردا قد سلب منه ما كان يتمتع به من مال ومن جاه.

٨١ واتخذ المشركون لهم معبودين من دون الله؛ ليكونوا لهم ظهيرا ومعينا ينتصرون بهم.

٨٢ ليس الأمر كما زعموا، فهذه المعبودات التي يعبدونها من دون الله ستجحد عبادة المشركين لها يوم القيامة، وتبترأ منهم، وتكون لهم أعداء.

٨٣ ألم تر - أيها الرسول - أنا بعثنا الشياطين، وسلطانهم على الكفار تهيجهم إلى فعل المعاصي والصد عن دين الله تهييجا؟

٨٤ فلا تعجل - أيها الرسول - بطلب الله أن يعجل هلاكهم، إنما نحصي أعمارهم إحصاء، حتى إذا انتهت وقت إمالهم عاقبتهم بما يستحقون.

٨٥ اذكر - أيها الرسول - يوم القيامة يوم نجعم المتقين ربهم - بامثال أوامره واجتتاب نواهيهم - إلى ربهم وفدا مكرمين معززين.

٨٦ ونسوق الكفار إلى جهنم عطاشا. ٨٧ لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لبعضهم إلا من اتخذ عند الله في الدنيا عهدا بالإيمان به وبرسوله.

٨٨ وقال اليهود والنصارى وبعض المشركين: اتخذ الرحمن ولدا.

٨٩ لقد جئتم - أيها القائلون بهذا - شيئا عظيما.

٩٠ تكاد السماوات تتشقق من هذا القول المنكر، وتكاد الأرض تتصدع، وتكاد الجبال تسقط منهزمة.

٩١ كل ذلك من أجل أن نسبوا للرحمن ولدا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٩٢ وما يستقيم أن يتخذ الرحمن ولدا لتزهره عن ذلك.

٩٣ ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والإنس والجن إلا يأتي ربه يوم القيامة خاضعا.

٩٤ لقد أحاط بهم علما، وعدهم عدا، فلا يخفى عليه منهم شيء.

٩٥ وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا لا ناصر له ولا مال.

٩٦ من قوايد الآيات.

● تدل الآيات على سخف الكافر وسداجة تفكيره، وتُمَيِّيه الأمانى المعسولة، وهو سيجد نقيضها تماما في عالم الآخرة.

● سلط الله الشياطين على الكافرين بالإغواء والإغراء بالشر، والإخراج من الطاعة إلى المعصية.

● أهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون بإذن الله يوم القيامة.

﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
اللَّهُ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ مَحَبَّةَ بَحْبِهِ
إِيَّاهُمْ، وَبِتَحْيِيهِمْ إِلَى عِبَادِهِ.

﴿٩٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِإِذْنِ اللَّهِ
بِلِسَانِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنْ أَجْلِ
أَنْ تَبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ
أَوْامِرِي، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِي، وَتَخَوُّفَ بِهِ
قَوْمًا أَشَدَّاءَ فِي الْخُصُومَةِ وَالْمَكَابِرَةِ
فِي الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ.

﴿٩٨﴾ وَمَا أَكْثَرَ الْأُمَمَ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا
مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ، فَهَلْ تَشْعُرُ الْيَوْمَ بِأَحَدٍ
مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ؟ وَهَلْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا
خَفِيًّا؟ فَمَا أَصَابَهُمْ قَدْ يَصِيبُ غَيْرَهُمْ
حِينَ يَأْذُنُ اللَّهُ.

سُورَةُ طه

— مَكِّيَّة —

﴿١﴾ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

السَّعَادَةُ بِاتِّبَاعِ هَدْيِ الْقُرْآنِ وَحَمَلِ
رِسَالَتِهِ، وَالشَّقَاءُ بِمَخَالَفَتِهِ.

التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ طه: تقدم الكلام على
نظائرها في بداية سورة البقرة.
﴿٢﴾ ما أنزلنا عليك - أَيُّهَا الرَّسُولُ -
الْقُرْآنَ لِيَكُونَ سَبَبًا فِي إِرْهَاقِ نَفْسِكَ
أَسْفًا عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِكَ عَنِ الْإِيمَانِ
بِكَ.

﴿٣﴾ ما أنزلناه إِلَّا لِيَكُونَ تَذْكِيرًا لِمَنْ
وَفَقَهُمُ اللَّهُ لَخَشِيَّتِهِ.

﴿٤﴾ نَزَّلَهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ،
وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْمَرْفُوعَةَ، فَهُوَ قُرْآنٌ
عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ عَظِيمٍ.

﴿٥﴾ الرَّحْمَنُ عَلَا وَارْتَفَعَ عَلَى
الْعَرْشِ عَلَُوًّا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ.

﴿٦﴾ لَهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ مَا فِي

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ
مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

آيَاتُهَا
١٣٥

رَتَبَهَا
١٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾ إِنِّي
أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

٣١٢

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَ التُّرَابِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، خَلْقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا.

﴿٧﴾ وَإِنْ تَعْلَن - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْقَوْلَ، أَوْ تَخْفَهُ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَمَا هُوَ أَخْفَى مِنَ السِّرِّ مِثْلَ خَوَاطِرِ
النَّفْسِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٨﴾ اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، لَهُ وَحْدَهُ الْأَسْمَاءُ الْبَالِغَةُ الْكَمَالِ فِي الْحَسَنِ.

ولما كان النبي ﷺ يعاني من قومه الإعراض، جاءت تسليته بقصة موسى عليه السلام، فقال سبحانه:

﴿٩﴾ ولقد جاءك - أَيُّهَا الرَّسُولُ - خبر موسى بن عمران عليه السلام.

﴿١٠﴾ حين عاين في سفره نَارًا، فقال لأهله: أقيموا في مكانكم هذا، إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْ هَذِهِ النَّارِ بِشِعْلَةٍ، أَوْ أَجِدُ مِنْ
يَهْدِينِي إِلَى الطَّرِيقِ.

﴿١١﴾ فلما جاء النار ناداه الله سبحانه بقوله: يَا مُوسَى.

﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانزع نعليك استعدادًا لمناجاتي، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُطَهَّرِ (طُوًى).

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● ليس إنزال القرآن العظيم لإتباع النفس في العبادة، وإذاقتها المشقة الفادحة، وإنما هو كتاب تذكرة ينتفع به الذين يخشون
ربه. ● قَرَنَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، فَكَمَا أَنَّ الْخَلْقَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْحِكْمَةِ؛ فَكَذَلِكَ لَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى إِلَّا بِمَا هُوَ عَدْلٌ وَحِكْمَةٌ.

● على الزوج واجب الإنفاق على الأهل (المرأة) من غذاء وكساء ومسكن ووسائل تدفئة وقت البرد.

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَاتِلَكَ إِيمِينَكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لَنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهٖ أَزْرَىٰ ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

﴿١٣﴾ وأنا اصطفيتك - يا موسى - لتبليغ رسالتي، فاستمع لما أوحى إليك.
﴿١٤﴾ إنني أنا الله لا معبود بحق غيري، فاعبدني وحدي، وأذ الصلاة على أكمل وجه لتذكركني فيها.
﴿١٥﴾ إن الساعة آتية لا محالة وواقعة، أكاد أخفيها فلا يعلم وقتها مخلوق، ولكن يعرفون علاماتها بإخبار النبي لهم؛ لكي تجازي كل نفس بما عملته، خيرا كان أو شرا.
﴿١٦﴾ فلا يصرفك عن التصديق بها والاستعداد لها بالعمل الصالح من لا يؤمن بها من الكفار، واتبع ما تهواه نفسه من المحرمات، فهلك بسبب ذلك.
﴿١٧﴾ وما تلك التي بيدك اليمنى يا موسى؟
﴿١٨﴾ قال موسى ﷺ: هي عصاي؛ أعتمد عليها في المشي، وأخبط بها الشجر ليسقط ورقها لغنمي، ولي فيها منافع غير ما ذكرت.
﴿١٩﴾ قال الله: ألقها يا موسى.
﴿٢٠﴾ فألقاها موسى، فانقلبت حية تمشي بسرعة وخفة.
﴿٢١﴾ قال الله لموسى ﷺ: خذ العصا، ولا تخف من انقلابها حية، سنعيدها إذا أخذتها إلى حالتها الأولى.
﴿٢٢﴾ واضمم يدك إلى جنبك تخرج بيضاء من غير برص؛ علامة ثانية لك.
﴿٢٣﴾ أريناك هاتين العلامتين لنريك - يا موسى - من آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا، وعلى أنك رسول من عند الله.
﴿٢٤﴾ سر - يا موسى - إلى فرعون، فإنه تجاوز الحد في الكفر والتمرد على الله.
﴿٢٥﴾ قال موسى ﷺ: رب، وسع لي صدري لأتحمل الأذى، وسهل لي أمري.
﴿٢٦﴾ وأقدرني على النطق بالفصيح من الكلام.
﴿٢٧﴾ ليفهموا كلامي إذا بلغتهم رسالتك.
﴿٢٨﴾ واجعل لي معينا من أهلي يعينني في أموري.
﴿٢٩﴾ هارون بن عمران أخي.
﴿٣٠﴾ قو به ظهري. واجعله شريكا لي في الرسالة. ﴿٣١﴾ لكي تسبِّحك تسبيحا كثيرا. ﴿٣٢﴾ ونذكرك كثيرا. ﴿٣٣﴾ إنك كنت بنا بصيرا. لا يخفى عليك شيء من أمرنا. ﴿٣٤﴾ قال الله: قد أعطيناك ما طلبت يا موسى. ﴿٣٥﴾ ولقد أنعمنا عليك مرة أخرى. ﴿٣٦﴾ من قوايد الآيات.

● وجوب حسن الاستماع في الأمور المهمة، وأهمها الوحي المنزل من عند الله. ● اشتمل أول الوحي إلى موسى على أصليين في العقيدة وهما: الإقرار بتوحيد الله، والإيمان بالساعة (القيامة)، وعلى أهم فريضة بعد الإيمان وهي الصلاة. ● التعاون بين الدعاة ضروري لإنجاح المقصود؛ فقد جعل الله لموسى أخاه هارون نبيا ليعاونه في أداء الرسالة. ● أهمية امتلاك الداعية لمهارة الإفهام للمدعوين.

● اشتمل أول الوحي إلى موسى على أصليين في العقيدة وهما: الإقرار بتوحيد الله، والإيمان بالساعة (القيامة)، وعلى أهم فريضة بعد الإيمان وهي الصلاة. ● التعاون بين الدعاة ضروري لإنجاح المقصود؛ فقد جعل الله لموسى أخاه هارون نبيا ليعاونه في أداء الرسالة. ● أهمية امتلاك الداعية لمهارة الإفهام للمدعوين.

حفظك الله به من مكر فرعون.
﴿٣٩﴾ فقد أمرناها حين ألهمناها؛
أن ارميه بعد ولادته في الصندوق،
واطرحي الصندوق في البحر،
فسيطره البحر بالشاطئ بأمر منا،
فياخذه عدو لي وله، وهو فرعون،
ووضعت عليك محبة مني، فأحبك
الناس، ولتربني على عيني وفي حفظي
ورعايتي.

﴿٤٠﴾ إذ خرجت أختك تسير كلما سار
التابوت تتابعه، فقالت لمن أخذوه:
هل أُرشدكم إلى من يحفظه ويرضعه
ويربيه؟ فمنا عليك يارجاعك إلى
أمك لتسرّ برجوعك إليها، ولا تحزن
من أهلك، وقتلت القططي الذي
وَكُرَّته، فمنا عليك بإنجائك من
العقوبة، وخلصناك مرة بعد مرة
من كل امتحان تعرّضت له، فخرجت
ومكثت أعواماً في أهل مدين، ثم أتيت
في الوقت الذي قُدِّر لك أن تأتي فيه
لتكلمك يا موسى.

﴿٤١﴾ واخترتك لتكون رسولاً عني
تبلغ الناس ما أوحيت به إليك.
﴿٤٢﴾ اذهب أنت - يا موسى - وأخوك
هارون، بآياتنا الدالة على قدرة الله
ووحدانيته، ولا تضعفا عن الدعوة إليّ،
وعن ذكري.

﴿٤٣﴾ اذهبوا إلى فرعون، فإنه تجاوز
الحد في الكفر والتمرد على الله.
﴿٤٤﴾ فقولوا له قولاً لطيفاً لا عنف فيه؛
رجاء أن يتذكر، ويخاف الله فيتوب.

﴿٤٥﴾ قال موسى وهارون ﴿٤٦﴾: إننا
نخاف أن يعجل بالعقوبة قبل إتمام
دعوته، أو أن يتجاوز الحد في ظلمنا
بالقتل أو غيره.

﴿٤٧﴾ قال الله لهما: لا تخافا؛ إنني

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أَمْكُ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفْهُ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفْهُ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةَ مَنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّعَيْنَهَا
وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَلَّمْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا
تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ
عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَا تَعْذِِبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا ۖ مَنْ أَتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

معكما بالنصر والتأييد، أسمع وأرى ما يحدث بينكما وبينه.

﴿٤٧﴾ فأتياه، فقولوا له: إنا رسولوا ربك - يا فرعون - فابعث معنا بني إسرائيل، ولا تعذبهم بقتل آبائهم، واستحياء نسائهم، قد
أتيناك ببرهان من ربك على صدقتنا، والأمان من عذاب الله لمن آمن، واتبع هدى الله.

﴿٤٨﴾ إنا قد أوحى الله إلينا أن العذاب في الدنيا والآخرة على من كذب بآيات الله، وأعرض عما جاءت به الرسل.

﴿٤٩﴾ قال فرعون منكراً لما جاء به: فمن ربكما الذي زعمتما أنه أرسلكما إليّ يا موسى؟

﴿٥٠﴾ قال موسى: ربنا هو الذي أعطى كل شيء صورته وشكله المناسب له، ثم هدى المخلوقات لما خلقها له.

﴿٥١﴾ قال فرعون: فما شأن الأمم السابقة التي كانت على الكفر؟

﴿٥٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- كمال اعتناء الله بكليمه موسى ﷺ والأنبياء والرسل، ولورثتهم نصيب من هذا الاعتناء على حسب أحوالهم مع الله.
- من الهداية العامة للمخلوقات أن تجد كل مخلوق يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عن نفسه.
- بيان فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وَصُمِّتَ له العصمة.
- الله هو المختص بعلم الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل.

قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ٥٢ الَّذِي
 جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ٥٣ كُلُوا
 وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ٥٤ * مِنْهَا
 خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٥ وَلَقَدْ
 أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ٥٦ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
 مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِّثْلِهِ
 فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
 سُوًى ٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْشِرَ النَّاسُ ضُحًى
 ٥٩ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٦٠ قَالَ لَهُمُ
 مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ
 وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ٦١ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
 النَّجْوَى ٦٢ قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
 مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ٦٣
 فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعَلَى ٦٤

٥٢ قال موسى ﷺ لفرعون: عَلَّمَهَا كانت عليه تلك الأمم عند ربِّي، مثبت في اللوح المحفوظ، لا يخطئ ربِّي في علمها، ولا ينسى ما علمه منها.

٥٣ عند ربِّي الذي صَيَّر لكم الأرض مُمَهَّدَةً للعيش عليها، وجعل لكم فيها طرقًا صالحة للسير عليها، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء أصنافًا من النباتات مختلفة.

٥٤ كلوا - أيها الناس - مما أخرجنا لكم من الطيبات، وارعوا أنعامكم، إن في ذلك المذكور من النعم لدلائل على قدرة الله ووحديته لأصحاب العقول.

٥٥ من تراب الأرض خلقنا أبائكم آدم ﷺ، وفيها نرجعكم بالدفن إذا مُتُّم، ومنها نخرجكم مرة أخرى للبعث يوم القيامة.

٥٦ ولقد أظهرنا لفرعون آياتنا التسع كلها، وشاهدها فكذب بها، وامتنع أن يستجيب إلى الإيمان بالله.

٥٧ قال فرعون: أَجِئْتَنَا لتخرجنا من مصر بما جئت به من السحر - يا موسى - ليبقي لك ملكها؟

٥٨ فلنأتينك - يا موسى - بسحر مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعدًا في زمان معلوم ومكان محدد، لا نتخلف نحن ولا تتخلف أنت عنه، وليكن المكان وسطًا بين الفريقين معتدلاً.

٥٩ قال موسى ﷺ لفرعون: الموعد بيننا وبينكم يوم العيد حيث يجتمع الناس محتفلين بعيدهم ضحى.

٦٠ فنأدبر فرعون منصرفًا، فجمع مكره وجيله، ثم جاء في الزمان والمكان المحددين للمُعَالِبة.

٦١ قال موسى يعظ سحرة فرعون: احذروا، لا تخلقوا على الله كذبًا بما

تخدعون به الناس من السحر فيستأصلكم بعذاب من عنده، وقد خسر من اختلق على الله الكذب.

٦٢ فتناظر السحرة لما سمعوا كلام موسى ﷺ، وتناجوا بينهم سرًا.

٦٣ قال بعض السحرة لبعضهم سرًا: إن موسى وهارون ساحران، يريدان أن يخرجاكم من مصر بسحرهما الذي جاء به، ويذهبا بسنتكم العليا في الحياة، ومذهبكم الأرقى.

٦٤ فأحكموا أمركم، ولا تختلفوا فيه، ثم تقدموا مُصْطَفَيْن، وارموا ما عندكم دفعة واحدة، وقد ظفر بالمطلوب اليوم من غلب خصمه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إخراج أصناف من النبات المختلفة الأنواع والألوان من الأرض دليل على قدرة الله تعالى ووجود الصانع.

• ذكرت الآيات دليلين عقليين واضحين على الإعادة: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها وإيجادهم.

• كفر فرعون كفر عناد؛ لأنه رأى الآيات عيانًا لا خبرًا، واقتنع بها في أعماق نفسه.

• اختار موسى يوم العيد؛ لتعلو كلمة الله، ويظهر دينه، ويكبت الكفر، أمام الناس قاطبة في المجمع العام ليشيع الخبر.

١٥٥ قال السحرة لموسى: يا موسى، اختر أحد أمرين: أن تكون البادئ بإلقاء ما لديك من سحر، أو نكون نحن البادئين بذلك.

١٥٦ قال موسى: بل اطرحوا أنتم ماosلكم أولاً، فطرحوا ما عندهم، فإذا حبالهم وعصيهم التي طرحوها يُحْثِل إلى موسى من سحرهم أنها ثعابين تتحرك بسرعة.

١٥٧ فأسر موسى في نفسه الخوف مما صنعوا.

١٥٨ قال الله لموسى: مطمئناً إياه: لا تخف مما حُثِل إليك، إنك - يا موسى - أنت المُسْتَقْلِي عليهم بالغلبة والنصر.

١٥٩ واطرح العصا التي بيدك اليمنى تنقلب حية تبتلع ما صنعه من السحر، فما صنعه ليس إلا كيداً سحرياً، ولا يظفر الساحر بمطلوب أين كان.

١٦٠ فطرح موسى عصاه فانقلبت حية، وابتلعت ما صنعه السحرة، فسجد السحرة لله لما علموا أن ما عند موسى ليس سحراً، إنما هو من عند الله، قالوا: آمنا برب موسى وهارون، رب جميع المخلوقات.

١٦١ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم ومتوعداً: هل أمنتُم بموسى قبل أن أذن لكم بذلك؟! إن موسى لهورئيسكم - أيها السحرة - الذي علمكم السحر، فلا تقطعن من كل واحد منكم رجلاً ويداً مخالفاً بين جهتيهما، ولأصلبن أبدانكم على جذوع النخل حتى تموتوا، وتكونوا عبرة لغيركم، ولتعلمن عند ذلك أننا أقوى عذاباً، وأدوم: أنا أو رب موسى؟

١٦٢ قال السحرة لفرعون: لن نفضل اتباعك - يا فرعون - على

اتباع ما جاءنا من الآيات الواضحات، ولن نفضلك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع بنا، ما لك سلطان علينا إلا في هذه الحياة الفانية، وسيزول سلطانك.

١٦٣ إنا آمنا بربنا رجاء أن يجمعنا معاصينا السالفة من الكفر وغيره، ويمحو عنا ذنب السحر الذي أجبرتنا على تعلمه وممارسته ومغالبة موسى به، والله خير جزاء مما وعدتنا به، وأدوم عذاباً مما توعدتنا به من العذاب.

١٦٤ إن الشأن والحاصل أن من يأتي ربه يوم القيامة كافراً به فإن له نار جهنم يدخلها ماكثاً فيها أبداً، لا يموت فيها فيستريح من عذابها، ولا يحيا حياة طيبة.

١٦٥ ومن يأت ربه يوم القيامة مؤمناً به قد عمل الأعمال الصالحات فأولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة لهم المنازل الرفيعة، والدرجات العلية.

١٦٦ تلك الدرجات هي جنات إقامة تجري الأنهار من تحت قصورها ماكثين فيها أبداً، وذلك الجزاء المذكور جزاء كل من تطهر من الكفر والمعاصي.

• من فوائد الآيات،

- لا يفوز ولا ينجو الساحر حيث أتى من الأرض أو حيث احتال، ولا يحصل مقصوده بالسحر خيراً كان أو شراً.
- الإيمان يصنع المعجزات؛ فقد كان إيمان السحرة أرسخ من الجبال، فهان عليهم عذاب الدنيا، ولم يبالوا بتهديد فرعون.
- دأب الطغاة التهديد بالعذاب الشديد لأهل الحق والإيمان في ذلك للإذلال والإهانة.

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخْثِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يَقْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ٦٩ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُبْحًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ٧٠ قَالُوا آمَنَّا لَهُ وَقَبَلْ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا تُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْمُنْ أَيْنًا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ٧١ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لَعَلَّخَافَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٣ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٧٤ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ٧٦

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ٧٧ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَاهَدَى ٧٩ يَبْنِي إِسْرَاءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ٨٠ كُلُّوْا مِنْ
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
 وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
 وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ
 قَوْمِكَ يَا مُوسَى ٨٣ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى وَعِجِلْتُ إِلَيْكَ
 رَبِّ لِتَرْضَى ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
 السَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ
 يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ
 مَوْعِدِي ٨٦ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ٨٧

٧٧) ولقد أوحينا إلى موسى: أن سر بعبادي ليلاً من مصر حتى لا يشعر بهم أحد، واجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بعد ضرب البحر بالعصا، أمناً لا تخاف أن يلحق بك فرعون وملؤه، ولا تخشى من الفرق في البحر.

٧٨) فاتبعهم فرعون مصحوباً بجنوده، فغمره وغمر جنوده من البحر ما غمرهم مما لا يعلم حقيقته إلا الله، ففرقوا جميعاً وهلكوا، ونجا موسى ومن معه.

٧٩) وأضل فرعون قومه بما حسنه لهم من الكفر، وخدعهم به من الباطل، ولم يرشدهم إلى طريق الهداية.

٨٠) وقلنا لبني إسرائيل بعد أن أنقذناهم من فرعون وجنوده: يا بني إسرائيل، قد أنقذناكم من عدوكم، وواعدناكم أن نكلّم موسى بالجهة اليمنى من الوادي الواقع بجانب جبل الطور، ونزلنا عليكم في الثّيه من نعمنا شرباً حلواً مثل العسل وطائراً صغيراً طيب اللحم يشبه السّماني. ٨١) كلوا من المستلذات ممّا رزقناكم من الأطعمة الحلال، ولا تتجاوزوا ما أبناه لكم إلى ما حرّمناه عليكم، فينزل عليكم غضبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد هلك وشقي في الدنيا والآخرة.

٨٢) وإني لكثير المغفرة والعفو لمن تاب إليّ وآمن، وعمل عملاً صالحاً، ثم استقام على الحق. ٨٣) وما الذي جعلك تعجل عن قومك - يا موسى - فتتقدمهم تاركاً إياهم خلفك؟ ٨٤) قال موسى: ها هم ورأيي وسيلحقونني، وسبقت قومي إليك لترضى عني بمسارعتي إليك.

٨٥) قال الله: فإننا قد ابتلينا قومك الذين خلفتهم وراءك بعبادة العجل، فقد دعاهم إلى عبادته السامري، فأضلّهم بذلك.

٨٦) فعاد موسى إلى قومه غضبان لعبادتهم العجل، حزناً عليهم، قال موسى: يا قوم، أما وعدكم الله وعداً حسناً أن ينزل عليكم التوراة، ويدخلكم الجنة، أطفال عليكم الزمان فنسيتم؟ أم أردتم بفعلكم هذا أن ينزل عليكم غضب من ربكم، ويقع عليكم عذابه، فلذلك أخلفتم موعدي بالثبات على الطاعة حتى أرجع إليكم؟

٨٧) قال قوم موسى: ما أخلفنا موعدك - يا موسى - باختيار منّا، بل باضطراب، فقد حملنا أحمالاً وأثقالاً من حُلِيِّ قوم فرعون، فرميناها في حفرة للتخلص منها، فكما رميناها في الحفرة رمى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من سُنَّةِ اللَّهِ انتقامه من المجرمين بما يشفي صدور المؤمنين، ويقر أعينهم، ويذهب غيظ قلوبهم.
- الطلاعية شؤم على نفسه وعلى قومه؛ لأنه يضلهم عن الرشيد، وما يهديهم إلى خير ولا إلى نجاة.
- النعم تقتضي الحفظ والشكر المقرون بالمزيد، وجحودها يوجب حلول غضب الله ونزوله.
- الله غفور على الدوام لمن تاب من الشرك والكفر والمعصية، وآمن به وعمل الصالحات، ثم ثبت على ذلك حتى مات عليه.
- أن العجلة وإن كانت في الجملة مذمومة فهي ممدوحة في الدين.

﴿٨٨﴾ فَأَخْرَجَ لَهَا عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٩﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَلَهْرُونَ مِمَّا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾ أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي ﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٧﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٩﴾

﴿٨٨﴾ أفلا يرى هؤلاء الذين فُتِنُوا بالعجل فعبدوه أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم، ولا يقدر على دفع ضرر عنهم ولا عن غيرهم، ولا جلب نفع له، أو لغيره؟

﴿٩٠﴾ ولقد قال لهم هارون قبل رجوع موسى إليهم: ما في صياغة العجل من الذهب وخواره إلا اختبار لكم ليظهر المؤمن من الكافر، وإن ربكم - يا قوم - هو من يملك الرحمة لا من لا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا فضلًا عن أن يرحمكم، فاتبعوني في عبادته وحده، وأطيعوا أمري بترك عبادة غيره.

﴿٩١﴾ قال المفتونون بعبادة العجل: لن نزال مقيمين على عبادته حتى يعود إلينا موسى.

﴿٩٢﴾ قال موسى لأخيه هارون: ما الذي منعك حين رأيتهم ضلُّوا بعبادة العجل من دون الله.

﴿٩٣﴾ أن تتركهم وتلق بي؟ أفعصيت أمري لك حين استخلفتك عليهم؟

﴿٩٤﴾ ولما أخذ موسى بلحية أخيه ورأسه يسحبه إليه مستكبرًا عليه صنيعة قال له هارون مستعطفًا إياه: لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، فإن لي عذرًا في بقائي معهم، فقد خفت أن تركتهم وحدهم أن يتفرقوا، فتقول: إنني فرقت بينهم، وإنني لم أحفظ وصيتك فيهم.

﴿٩٥﴾ قال موسى ﷺ للسامري: فما

شأنك أنت يا سامري؟ وما الذي دفعك إلى ما صنعت؟

﴿٩٦﴾ قال السامري لموسى ﷺ: رأيت ما لم يروه، فقد رأيت جبريل على فرس، فأخذت قبضة من تراب من أثر فرسه، فطرحتها على الحلي المذاب المسبوك على صورة عجل، فنشأ عن ذلك جسد عجل له خور، وكذلك حسنت لي نفسي ما صنعت.

﴿٩٧﴾ قال موسى ﷺ للسامري: فاذْهَبْ أنت فإن لك أن تقول ما دمت حيًّا: لا أَمْسَ ولا أَمْسَ، فتعيش منبوءًا، وإن لك موعدًا يوم القيامة تُخَاسِبُ فيه وتُعَاقَبُ، لن يخلُقه الله هذا الموعد، وانظر إلى عجلك الذي اتخذته معبودك، وأقامت على عبادته من دون الله، لنشعلن عليه نارًا حتى ينصهر، ثم لنَذْرِيَنَّهُ في البحر حتى لا يبقى له أثر.

﴿٩٨﴾ إنما معبودكم بحق - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق غيره، أحاط بكل شيء علمًا، فلا يفوته سبحانه علم شيء.

﴿٩٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- خداع الناس بتزوير الحقائق مسلك أهل الضلال.
- الغضب المحمود هو الذي يكون عند انتهاك محارم الله.
- في الآيات أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم، وألَّا يُخَاطَبُوا.
- في الآيات وجوب التفكير في معرفة الله تعالى من خلال مفعولاته في الكون.

﴿٩٩﴾ مثل ما قصصنا عليك - أيها الرسول - خبر موسى وفرعون، وخبر قومهما نقص عليك أخبار من سبقوك من الأنبياء والأمم لتكون تسلياً لك، وقد أعطيناك من عندنا قرآناً يتذكر به من تذكر.

﴿١٠٠﴾ من أعرض عن هذا القرآن المنزل عليك فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه؛ فإنه يأتي يوم القيامة حاملاً إثماً عظيماً، ومستحقاً عقاباً أليماً.

﴿١٠١﴾ ماكتين في ذلك العذاب دائماً، وبئس الحمل الذي يحملونه يوم القيامة.

﴿١٠٢﴾ يوم ينفخ الفلّك في الصور النفخة الثانية للبعث، ونحشر الكفار في ذلك اليوم رزقاً لتغير ألوانهم وعيونهم من شدة ما لا قوة من أهوال الآخرة.

﴿١٠٣﴾ يتهامسون بقولهم: ما لبثتم في البرزخ بعد الموت إلا عشر ليال.

﴿١٠٤﴾ نحن أعلم بما يتساورون به، لا يفوتنا منه شيء، إذ يقول أوفرهم عقلاً: ما لبثتم في البرزخ إلا يوماً واحداً لا أكثر.

﴿١٠٥﴾ ويسألونك - أيها الرسول - عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: الجبال يقتلعها ربي من أصولها ويذريها، فتكون هباءً.

﴿١٠٦﴾ فيترك الأرض التي كانت تحملها مستوية لا بناء عليها ولا نبات.

﴿١٠٧﴾ لا ترى - أيها الناظر إليها - في الأرض من تمام استوائها ميلاً ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً.

﴿١٠٨﴾ في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى المحشر، لا معدل لهم عن اتباعه، وسكتت الأصوات

لرحمن رهبة، فلا تسمع في ذلك اليوم إلا صوتاً خفياً.

﴿١٠٩﴾ في ذلك اليوم العظيم لا تنفع الشفاعة من أي شافع إلا شافعاً أذن له الله أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

﴿١١٠﴾ يعلم الله سبحانه ما يستقبله الناس من أمر الساعة، ويعلم ما استدبروه في دنياهم، ولا يحيط جميع العباد بذات الله وصفاته علماً.

﴿١١١﴾ وذلت وجوه العباد، واستكانت للحي الذي لا يموت، القائم بأمر عبادته بتدبيرها وتصريفها، وقد خسر من حمل الإثم بإيراده نفسه موارد الهلاك. ﴿١١٢﴾ ومن يعمل الأعمال الصالحة وهو مؤمن بالله ورسله فسينال جزاءه وافيّاً، ولا يخاف ظلماً بأن يعذب بذنب لم يفعله، ولا نقصاً لثواب عمله الصالح. ﴿١١٣﴾ ومثل ما أنزلنا من قصص السابقين أنزلنا هذا القرآن بلسان عربي مبين، وبيناً فيه أنواع الوعيد من تهديد وتخويف: رجاء أن يخافوا الله، أو ينشئ لهم القرآن موعظة واعتباراً.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• القرآن العظيم كله تذكير ومواعظ للأمم والشعوب والأفراد، وشرف وفخر للإنسانية. • لا تنفع الشفاعة أحداً إلا شفاعة أذن له الرحمن، ورضي قوله في الشفاعة. • القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها. • من آداب التعامل مع القرآن تلقينه بالقبول والتسليم والتعظيم، والاهتداء بنوره إلى الصراط المستقيم، والإقبال عليه بالتعلم والتعليم. • ندم المجرمين يوم القيامة حيث ضيعوا الأوقات الكثيرة، وقطعوا ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْأُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَالَهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

﴿١١٥﴾ فتعالى الله وتقدس وجل، الملك الذي له ملك كل شيء، الذي هو حق وقوله حق، تعالى عما يصفه به المشركون، ولا تسرع - أيها الرسول - بقراءة القرآن مع جبريل قبل أن ينهي إليك إبلاغه، وقل: رب زدني علماً إلى ما علمتني.

ولما ذكر الله قصة موسى وما اشتملت عليه من إعراض فرعون وغفلة بني إسرائيل، ذكر قصة آدم - حثاً على رجوع من نسي إلى طاعة الله فقال:

﴿١١٥﴾ ولقد وصينا آدم من قبل بعدم الأكل من الشجرة، ونهيناه عن ذلك، وبيننا له عاقبته، فتسي الوصية وأكل من الشجرة، ولم يصبر عنها، ولم نر له قوة عزم على حفظ ما وصيناه به. واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجوداً - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجوداً تحية، فسجدوا كلهم إلا إبليس - الذي كان معهم ولم يكن منهم - امتنع من السجود تكبراً.

﴿١١٦﴾ فقلنا: يا آدم، إن إبليس عدو لك وعدو لزوجك، فلا يخرجتك أنت وزوجك من الجنة بطاعته فيما يوسوس به، فتحمّل أنت المشاق والمكاره.

﴿١١٧﴾ إن لك على الله أن يطعمك في الجنة فلا تجوع، ويكسوك فلا تعري. وأن يسقيك فلا تعطش، ويظلك فلا يصيبك حر الشمس.

﴿١١٨﴾ فوسوس الشيطان إلى آدم، وقال له: هل أرشدك إلى شجرة من أكل منها لا يموت أبداً، بل يبقى حياً مخلداً، ويملك ملكاً مستمراً لا ينقطع ولا ينتهي؟

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْئَلُ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ وَقَالَ عَلَيْهِ وَهْدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهِيْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

٣٢٠

﴿١٢١﴾ فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، فظهرت لهما عوراتهما بعد أن كانت مستورة، وشرعاً ينزعان من أوراق شجر الجنة، ويستران بها عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه إذ لم يمثل أمره باجتنب الأكل من الشجرة، فتعدى إلى ما لا يجوز له.

﴿١٢٢﴾ ثم اختاره الله وقبل توبته، ووقفه إلى الرشاد.

﴿١٢٣﴾ قال الله لآدم وحواء: انزلا من الجنة أنتما وإبليس، فهو عدو لكما وأنتما عدوان له، فإن جاءكم مني بيان لسبيلي: فمن اتبع منكم بيان سبيلي وعمل به ولم ينحرف عنه؛ فلا يضل عن الحق، ولا يشقى في الآخرة بالعذاب، بل يدخله الله الجنة.

﴿١٢٤﴾ ومن تولى عن ذكرى ولم يقبله، ولم يستجب له فإن له معيشة ضيقة في الدنيا وفي البرزخ، ونسوقه إلى المعشر يوم القيامة فاقد البصر والحجة.

﴿١٢٥﴾ يقول هذا المعرض عن الذكر: يا رب، لم حشرتني اليوم أعمى، وقد كنت في الدنيا بصيراً.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المُمَلِّي والمعلم من كلامه المتصل ببعضه ببعض.

• نسي آدم فتسيت ذريته، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة فغفر الله له، ومن يشابه أباه فما ظلم.

• فضيلة التوبة: لأن آدم ﷺ كان بعد التوبة أحسن منه قبلها.

• المعيشة الضنك في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة لأهل الكفر والضلال.

﴿١٣٦﴾ قال الله تعالى ردًا عليه: مثل ذلك فعلته في الدنيا، فقد جاءتك آياتنا فأعرضت عنها وتركتها، وكذلك فإنك تُترك اليوم في العذاب.

﴿١٣٧﴾ ومثل هذا الجزاء نجزي من انهمك في الشهوات المحرمة، وأعرض عن الإيمان بالدلائل الواضحة من ربه. ولعذاب الله في الآخرة أفظع وأقوى من المعيشة الضئيلة في الدنيا والبرزخ وأدوم.

﴿١٣٨﴾ أفلم يتبين للمشركين كثرة الأمم التي أهلكناها من قبلهم، يمشون في مساكن تلك الأمم المهلكة، ويعاينون آثار ما أصابهم؟ إن فيما أصاب تلك الأمم الكثيرة من الهلاك والدمار لعبارة لأصحاب العقول.

﴿١٣٩﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك - أيها الرسول - أنه لا يعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، ولولا أجل مُقدَّر عنده لهم لعاجلهم العذاب؛ لاستحقاقهم إياه.

﴿١٤٠﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف باطلة، وسبح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة المغرب والعشاء من ساعات الليل، وفي صلاة الظهر عند الزوال بعد نهاية الطرف الأول من النهار وفي صلاة المغرب بعد نهاية الطرف الثاني منه؛ رجاء أن تسأل عند الله من الثواب ما ترضى به.

﴿١٤١﴾ ولا تنظر إلى ما جعلناه لأصناف هؤلاء المكذبين متعة يتمتعون بها من زهرة الحياة الدنيا لنختبرهم، فإن ما جعلناه لهم من ذلك زائل، وثواب ربك الذي وعدك به حتى ترضى خير مما متّعهم به في الدنيا من متع زائلة وأدوم؛ لأنه لا ينقطع.

﴿١٤٢﴾ وأمر - أيها الرسول - أهلك بأداء الصلاة، واصطبر أنت على أدائها، لا نطلب منك رزقًا لنفسك ولا لغيرك، نحن نتكفل برزقك، والعاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة لأصحاب التقوى الذين يخافون الله، فيمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿١٤٣﴾ وقال هؤلاء الكفار المكذبون بالنبي ﷺ: هلاً يا أتينا محمد بعلمة من ربه تدل على صدقه وأنه رسول، أولم يأت هؤلاء المكذبين القرآن الذي هو تصديق للكتب السماوية من قبله؟

﴿١٤٤﴾ ولو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبين بالنبي ﷺ بإنزال عذاب عليهم لكفرهم وعنادهم قبل أن نرسل إليهم رسولاً، ونزل عليهم كتاباً

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْسَى ﴿١٣٦﴾
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٣٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١٣٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَا وَاجِلٌ مُمْسِي ﴿١٣٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٤٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٤١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٤٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ؟ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٤٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٤٤﴾ قُلْ كُلُّ مُرْتَضٍ فَرَّضُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٤٥﴾

﴿١٤٦﴾ وأمرنا أهلكنا هؤلاء المكذبين بالنبي ﷺ بإنزال عذاب عليهم لكفرهم وعنادهم قبل أن نرسل إليهم رسولاً، ونزل عليهم كتاباً لقالوا يوم القيامة معتردين عن كفرهم: هلاً أرسلت - ربنا - إلينا رسولاً في الدنيا، فنؤمن به ونتبع ما جاء به من آيات من قبل أن يحل بنا الهوان والخزي بسبب عذابك؟

﴿١٤٧﴾ قل - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين: كل واحد منكم منتظر ما يُجرّبه الله، فانتظروا أنتم، فستعلمون - لا محالة - من أصحاب الطريق المستقيم، ومن المهتدون: نحن أم أنتم؟

﴿١٤٨﴾ من قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

• من الأسباب المعينة على تحمل إيذاء المعرضين استثمار الأوقات الفاضلة في التسبيح بحمد الله. • ينبغي على العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا وإقبالاً عليها أن يوازن بين زينتها الزائلة ونعيم الآخرة الدائم. • على العبد أن يقيم الصلاة حق الإقامة، وإذا حَزَبَهُ أمر صلى وأمر أهله بالصلاة، وصبر عليهم تأسياً بالرسول ﷺ. • العاقبة الجميلة المحمودة هي الجنة لأهل التقوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَّشَاءٍ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

٣٢٢

قرية اقترحوا نزول الآيات فأعطوها كما اقترحوها، بل كذبوا بها فأهلكناهم، أفيؤمن هؤلاء؟

﴿١﴾ وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالاً من البشر نوحى إليهم، ولم نبعثهم ملائكة، فاسألوا أهل الكتاب من قبلكم إن كنتم لا تعلمون ذلك.

﴿٢﴾ وما جعلنا الرسل الذين نرسلهم ذوي جسد لا يأكلون الطعام، بل يأكلون كما يأكل غيرهم، وما كانوا باقين في الدنيا لا يموتون. ثم حققنا لرسالتنا ما وعدناهم به حيث أنقذناهم وأنقذنا من نشاء من المؤمنين من الهلاك، وأهلكنا المتجاوزين للحد بكفرهم بالله، وارتكابهم المعاصي.

﴿٣﴾ لقد أنزلنا إليكم القرآن فيه شرفكم وفخركم إن صدقتم به، وعلمتم بما فيه، أفلا تعقلون ذلك، فتسارعوا إلى الإيمان به، والعمل بما تضمنه؟

﴿٤﴾ من قواید الايات،

• قُرْبُ الْقِيَامَةِ مما يستوجب الاستعداد لها. • انشغال القلوب باللهو يصرفها عن الحق. • إحاطة علم الله بما يصدر من عباده من قول أو فعل. • اختلاف المشركين في الموقف من النبي ﷺ يدل على تخبطهم واضطرابهم. • أن الله مع رسله والمؤمنين بالتأييد والمعون على الأعداء. • القرآن شرف وعز لمن آمن به وعمل به.

• من مقاصد السورة:

إثبات الرسالة وبيان وحدة غاية الأنبياء وعناية الله بهم.

• التفسير:

﴿١﴾ قُرْبُ النَّاسِ حسابهم على أعمالهم يوم القيامة، وهم في غفلة معرضون عن الآخرة؛ لانشغالهم بالدنيا عنها.

﴿٢﴾ ما يأتهم من قرآن من ربهم حديث النزول إلا استمعوه سماعاً غير نافع، بل سماع لعب غير مباليين بما فيه.

﴿٣﴾ استمعوه وقلوبهم غافلة عنه، وأخفى الظالمون بالكفر الحديث الذي يتجادون به قائلين: هل هذا الذي يدعي أنه رسول إلا بشر مثلكم، لا ميزة له عنكم؟ وما جاء به سحر، أفنتبعونه وأنتم تدركون أنه بشر مثلكم، وأن ما جاء به سحر؟

﴿٤﴾ قال الرسول ﷺ: ربي يعلم ما أخفيتم من الحديث، فهو يعلم كل قول صادر من قائله في السماوات وفي الأرض، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٥﴾ بل ترددوا بشأن ما جاء به محمد ﷺ، فتارة قالوا: أحلام مختلطة لا تأويل لها، وقالوا تارة: لا، بل اختلقه من غير أن يكون له أصل، وقالوا تارة: هو شاعر، وإن كان صادقاً في دعواه فليجئنا بمعجزة مثل الأولين من الرسل، فقد جأؤوا بالمعجزات، مثل عصا موسى، وناقصة صالح.

﴿٦﴾ ما آمنت قبل هؤلاء المقترحين

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَائِهَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَتُوبَلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
 دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
 لَهُوَ لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ أَلْفِئَةٍ مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾
 لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا
 مِن دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِيَ وَذِكْرُ
 مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

﴿١١﴾ وما أكثر القرى التي أهلناها بسبب ظلمها بالكفر، وخلقنا بعدها قومًا آخرين!

﴿١٢﴾ فلما شاهد المهلكون عذابنا المستأصل، إذا هم من قريتهم يسرعون هربًا من الهلاك.

﴿١٣﴾ فينادون على وجه السخرية: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعم بملذاتكم، وإلى مساكنكم؛ لعلكم تسألون من دنياكم شيئًا.

﴿١٤﴾ قال هؤلاء الظالمون معترفين بذنبهم: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين لكفرنا بالله.

﴿١٥﴾ فما زال اعترافهم بذنبهم ودعائهم على أنفسهم بالهلاك دعوتهم التي يكررونها حتى صيرناها مثل الزرع المحصود، ميتين لا حراك بهن.

﴿١٦﴾ وما خلقنا السماء والأرض وبينهما لعبًا وعبثًا، بل خلقناهما للدلالة على قدرتنا.

﴿١٧﴾ لو أردنا اتخاذ صاحبة أو ولد لاتخذناه مما عندنا، وما كنا فاعلين ذلك لتنزهنا عنه.

﴿١٨﴾ بل نرمي بالحق الذي نوحى به إلى رسولنا على باطل أهل الكفر فيذخه، فإذا باطلهم ذاهب زائل، ولكم - أيها القائلون باتخاذها صاحبة وولداً - الهلاك لو صفكم له بما لا يليق به.

ولما كان اتخاذ صاحبة والولد منبئًا عن الافتقار؛ بين ﷻ أنه مالك هذا الكون، فقال:

﴿١٩﴾ وله سبحانه وحده ملك السماوات وملك الأرض، ومن عنده الملائكة لا يتكبرون عن عبادته، ولا يتعبون منها.

﴿٢٠﴾ يواظبون على تسبيح الله دائمًا، لا يملون منه.

﴿٢١﴾ بل اتخذ المشركون آلهة من دون الله، لا يحيون الموتى، فكيف يعبدون عاجزًا عن ذلك؟! ﴿٢٢﴾ لو كان في السماوات والأرض معبودات متعددة سوى الله لفسدتا بتنازع المعبودات في الملْك، والواقع خلاف ذلك، فنثره الله رب العرش عما يصفه به المشركون كذبًا من أن له شركاء.

﴿٢٣﴾ والله هو المتفرد في ملكه وقضائه، لا يسأله أحد عما قدره وقضى به، وهو يسأل عباده عن أعمالهم، ويجازيهم عليها.

﴿٢٤﴾ بل اتخذوا من دون الله معبودات، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حجتكم على استحقاقها للعبادة، فهذا الكتاب المنزل علي، والكتب المنزلة على الرسل لا حجة لكم فيها، بل معظم المشركين لا يستندون إلا إلى الجهل والتقليد، فهم معرضون عن قبول الحق.

﴿٢٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الظلم سبب في الهلاك على مستوى الأفراد والجماعات.

● ما خلق الله شيئًا عبثًا؛ لأنه سبحانه مُنَزَّهٌ عن العبث.

● غلبة الحق، ودحر الباطل سُنَّةُ إلهية.

● إبطال عقيدة الشرك بدليل الثَّمَانِ.

﴿٢٢﴾ لو كان في السماوات والأرض معبودات متعددة سوى الله لفسدتا بتنازع المعبودات في الملْك، والواقع خلاف ذلك، فنثره الله رب العرش عما يصفه به المشركون كذبًا من أن له شركاء.

﴿٢٣﴾ والله هو المتفرد في ملكه وقضائه، لا يسأله أحد عما قدره وقضى به، وهو يسأل عباده عن أعمالهم، ويجازيهم عليها.

﴿٢٤﴾ بل اتخذوا من دون الله معبودات، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حجتكم على استحقاقها للعبادة، فهذا الكتاب المنزل علي، والكتب المنزلة على الرسل لا حجة لكم فيها، بل معظم المشركين لا يستندون إلا إلى الجهل والتقليد، فهم معرضون عن قبول الحق.

﴿٢٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الظلم سبب في الهلاك على مستوى الأفراد والجماعات.

● ما خلق الله شيئًا عبثًا؛ لأنه سبحانه مُنَزَّهٌ عن العبث.

● غلبة الحق، ودحر الباطل سُنَّةُ إلهية.

● إبطال عقيدة الشرك بدليل الثَّمَانِ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ وَبَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٣٢٤

﴿٢٥﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسولاً إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا أنا فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً.

﴿٢٦﴾ وقال المشركون: اتخذ الله الملائكة بنات، نكزه سبحانه وتقدس عما يقولونه من الكذب، بل الملائكة عباد لله، مكرمون منه، مقربون إليه. ﴿٢٧﴾ لا يتقدمون ربهم بقول، فلا ينطقون به حتى يأمرهم، وهم بأمره يعملون، فلا يخالفون له أمراً.

﴿٢٨﴾ يعلم سابق أعمالهم ولاحتقائها، ولا يسألون الشفاعة إلا بإذنه لمن ارتضى الشفاعة له، وهم من خوفه سبحانه حذرون، فلا يخالفونه في أمر ولا نهى.

﴿٢٩﴾ ومن يقل من الملائكة من باب الافتراض: إني معبود من دون الله، فإننا نجزيه على قوله بعداب جهنم يوم القيامة خالداً فيها، ومثل هذا الجزاء نجزي الظالمين بالكفر والشرك بالله.

﴿٣٠﴾ أولم يعلم الذين كفروا بالله أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، لا فراغ بينهما فينزل منه المطر، ففصلنا بينهما، وجعلنا من الماء النازل من السماء إلى الأرض كل شيء من حيوان أو نبات، أفلا يعتبرون بذلك، ويؤمنون بالله وحده؟

﴿٣١﴾ وخلقنا في الأرض جبالاً ثابتة حتى لا تضطرب بمن عليها، وجعلنا فيها مسالك وطرقاً واسعة لعلمهم يهتدون في أسفارهم إلى مقاصدهم. ﴿٣٢﴾ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً من السقوط من غير عمد، ومحفوظاً من استراق السمع، والمشركون

عما في السماء من الآيات - كالشمس والقمر - معرضون لا يعتبرون.

﴿٣٣﴾ والله وحده هو الذي خلق الليل للراحة، وخلق النهار لكسب المعاش، وخلق الشمس علامة على النهار، والقمر علامة على الليل، كل من الشمس والقمر يجري في مداره الخاص به، لا ينحرف عنه ولا يميل.

﴿٣٤﴾ وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها الرسول - البقاء في هذه الحياة؟ أفإن انقضى أجلك في هذه الحياة ومِتَّ فهو لا باقون بعدك؟ كلا.

﴿٣٥﴾ كل نفس مؤمنة أو كافرة ذائقة الموت في الدنيا، ونختبركم - أيها الناس - في الحياة الدنيا بالتكاليف والنعم والنقم، ثم بعد موتكم إلينا لا إلى غيرنا ترجعون، فتجازيكم على أعمالكم.

من قوائد الآيات،

• تنزيه الله عن الولد.

• منزلة الملائكة عند الله أنهم عباد خلقهم لطاعته، لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة، بل عباد مكرمون.

• خلقت السماوات والأرض وفق سنة التدرج، فقد خلقتا ملتزقتين، ثم فصل بينهما.

• الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير.

وَإِذْ أَرَأَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُواكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا
 الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ
 كَفَرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
 آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
 لَا يَكْفُوتُ عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ طُحُورِهِمْ وَلَا
 هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
 يَسْتَطِيعُونَ رَدِّهَا وَلَا هَاوِلًا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ
 بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
 أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
 أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
 الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٦﴾ وإذا رأيك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون لا يتخذونك إلا سخرية منفرين أتباعهم بقولهم: أهذا هو الذي يسب آلهتهم التي تعبدونها؟ وهم مع السخرية بك جاحدون بما أنزل الله عليهم من القرآن وبما أعطاهم من النعم كافرين؛ فهم أولى بالغيب لجمعهم كل سوء.

﴿٣٧﴾ طبع الإنسان على العجلة، فهو يستعجل الأشياء قبل وقوعها، ومن ذلك استعجال المشركين للعذاب، سأريكم - أيها المستعجلون لعذابي - ما استعجلتموه منه، فلا تطلبوا تعجيله.

﴿٣٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث على وجه الاستعجال: متى يكون ما تعدوننا به - أيها المسلمون - من البعث إن كنتم صادقين فيما تدعونه من وقوعه؟

﴿٣٩﴾ لو يعلم هؤلاء الكفار المنكرون للبعث حين لا يردون النار عن وجوههم ولا عن طهورهم، وأن لا ناصر ينصرهم بدفع العذاب عنهم، لو يثقوا ذلك لما استعجلوا العذاب. ﴿٤٠﴾ لا تأتيهم هذه النار التي يُعدّون بها عن علم منهم، بل تأتيهم فجأة، فلا يقدرون على ردها عنهم، ولا هم يُؤخرون حتى يتوبوا فتتألمهم الرحمة. ولما عانى رسول الله ﷺ من استهزاء قومه به وتكذيبهم له، سلاه الله بقوله:

﴿٤١﴾ ولئن سخر بك قومك فلست بدعاً في ذلك، فقد استهزئ برسُل من قبلك - أيها الرسول - فأحاط بالكفار الذين كانوا يسخرون منهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا عندما تخوفهم رسلهم به.

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم بالليل والنهار مما يريد بكم الرحمن من إنزال العذاب والهلاك بكم؟ بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه معرضون، لا يتدبرون شيئاً منها جهلاً وسفهاً.

﴿٤٣﴾ أم هل لهم آلهة تمنعهم من عذابنا؟ لا يستطيعون نصر أنفسهم بدفع ضرر عنها، ولا يجلب نفع لها، ومن لا ينصر نفسه فكيف ينصر غيره؟ ولا هم يُجَارون من عذابنا.

﴿٤٤﴾ بل متعنا هؤلاء الكفار، ومتعنا آباءهم بما بسطنا عليهم من نعمنا؛ استدراجاً لهم، حتى تتأول بهم الزمن فاغثروا بذلك، وأقاموا على كفرهم، أفلا يرى هؤلاء المغترون بنعمنا المستعجلون بعذابنا أننا نأتي الأرض ننقصها من جوانبها بقهرنا لأهلها، وغلبتنا لهم، فيعتبروا بذلك حتى لا يقع بهم ما وقع بغيرهم؟ فليس هؤلاء غالبين، بل هم مغلوبون.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● بيان كفر من يستهزئ بالرسول، سواء بالقول أو الفعل أو الإشارة.

● من طبع الإنسان الاستعجال، والأناة خلق فاضل.

● لا يحفظ من عذاب الله إلا الله.

● مآل الباطل الزوال، ومآل الحق البقاء.

﴿٤٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: إِنَّمَا أَخَوْفُكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِالْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيَّ رَبِّي، وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَمُ عَنِ الْحَقِّ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ سَمَاعَ قَبُولٍ إِذَا خَوْفُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ﴿٤٦﴾ وَلَئِنْ مَسَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ نَصِيبٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَيَقُولُنَّ عِنْدُنَا: يَا هَلَاكُنَا وَخَسْرَانَا، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ بِالشَّرِكِ بِاللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ. ﴿٤٧﴾ وَنُنَصِّبُ الْمَوَازِينَ الْعَادِلَةَ لِأَهْلِ الْقِيَامَةِ لِنُوزِنَ بِهَا أَعْمَالَهُمْ، فَلَا تُظْلَمُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ نَفْسٌ بِنَقْصِ حَسَنَاتِهَا أَوْ زِيَادَةِ سَيِّئَاتِهَا، وَإِنْ كَانَ الْمَوْزُونُ قَلِيلًا مِثْلَ مَا تَزَنُّهُ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ جُنًّا بِهِ، وَكُفَى بِنَا مُحَصِّصِينَ نَحْصِي أَعْمَالَ عِبَادِنَا. ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٩﴾ التَّوْرَةَ فَارْقَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَهَدَايَةً لِمَنْ آمَنُوا بِهَا، وَتَذْكِيرًا لِلْمُتَّقِينَ لِرَبِّهِمْ. ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ يَخَافُونَ عِقَابَ رَبِّهِمْ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَشَاهِدُوهُ، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ خَائِفُونَ. ﴿٥١﴾ وَهَذَا الْقُرْآنُ الْمُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ذَكَرَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِهِ وَمَوْعِظَةً كَثِيرَ النِّفْعِ وَالْخَيْرِ، فَأَنْتُمْ لَهُ مَعَ ذَلِكَ مُنْكَرُونَ؟ أَمْ غَيْرُ مُقَرَّرِينَ بِمَا فِيهِ، وَلَا عَامِلِينَ بِهِ؟ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا إِبْرَاهِيمَ الْحِجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ فِي صَفَرِهِ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، فَأَعْطَيْنَاهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ فِي عِلْمِنَا مِنَ الْحِجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ. ﴿٥٣﴾ إِذْ قَالَ لِأَبْنَيْهِ أَزْرَ لِقَوْمِهِ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي صَنَعْتُمُوهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَالَّتِي أَنْتُمْ مُقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا؟ ﴿٥٤﴾ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: وَجَدْنَا آبَاءَنَا

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبْنَيْهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

يَعْبُدُونَهَا، فَعَبَدْنَاهَا تَأْسِيًا بِهِمْ.

﴿٥٥﴾ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: لَقَدْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا التَّابِعُونَ - أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْمَتَّبِعُونَ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

﴿٥٦﴾ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: أَجِئْتَنَا بِالْبُجْدِ حِينَ قُلْتَ مَا قُلْتَ، أَمْ أَنْتَ مِنَ الْهَازِلِينَ؟

﴿٥٧﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: بَلْ جِئْتُكُمْ بِالْبُجْدِ لَا بِالْهَزْلِ، فَرَبُّكُمْ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَأَنَا عَلَى أَنَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَلَيْسَ لِأَصْنَامِكُمْ حِطٌّ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٥٨﴾ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بَحِيثٌ لَا يَسْمَعُهُ قَوْمُهُ: وَاللَّهِ لَا دُوبِرَ لَأَصْنَامِكُمْ مَا تَكْرَهُونَ بَعْدَ أَنْ تَذْهَبُوا عَنْهَا إِلَى عَيْدِكُمْ.

﴿٥٩﴾ مِنْ تَوَابِ الْأَكْبَابِ:

• نَفْعُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ مُشْرُوطٌ بِمَصَاحِبَةِ التَّوْبَةِ قَبْلَ فَوَاتِ أَوَانِهَا.

• إِثْبَاتُ الْعَدْلِ لِلَّهِ، وَنَفْيُ الظُّلْمِ عَنْهُ.

• أَهْمِيَّةُ قُوَّةِ الْحِجَّةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.

• ضَرَرُ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى.

• التَّدْرُجُ فِي تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَالْبَدْءُ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ، فَقَدْ بَدَأَ إِبْرَاهِيمُ بِتَغْيِيرِ مُنْكَرِ قَوْمِهِ بِالْقَوْلِ وَالصَّدْعِ بِالْحِجَّةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى التَّغْيِيرِ بِالْفِعْلِ.

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِتِنَا إِنَّهُ وَلَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَنُؤَا

بِهِ عَلَى آعِينَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَتَتْ

فَعَلَتْ هَذَا بِإِلَهِتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِيرُهُمْ

هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى

أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا

عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ

أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَنَايَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ

﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ

وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿٥٨﴾ فحطّم إبراهيم أصنامهم حتى صارت قطعًا صغيرة، وأبقى كبيرها رجاء أن يرجعوا إليه ليسألوه عمن حطّمها.

﴿٥٩﴾ فلما رجعوا ووجدوا أصنامهم قد حطّمت سأل بعضهم بعضًا: من حطّم معبوداتنا؟ إن من حطّمها لمن الظالمين، حيث حقر ما يستحق التعظيم والتقدّيس.

﴿٦٠﴾ قال بعضهم: سمعنا فتى يذكرهم بسوء ويعييبهم يُدعى إبراهيم، لعله هو الذي حطّمهم.

﴿٦١﴾ قال ساداتهم: جيئوا بإبراهيم على مشهد من الناس ومرأى؛ لعلهم يشهدون على إقراره بما صنع، فيكون إقراره حجة لكم عليه.

﴿٦٢﴾ فجاؤوا بإبراهيم ﴿٦٣﴾ فسألوه: أأنت فعلت هذا الفعل الشنيع بأصنامنا يا إبراهيم؟

﴿٦٤﴾ قال إبراهيم - مُتهكّمًا بهم، مظهرًا عجز أصنامهم على مرأى من الناس -: ما فعلت ذلك، بل فعله كبير الأصنام، فاسألوا أصنامكم إن كانوا يتكلمون.

﴿٦٥﴾ فرجعوا إلى أنفسهم بالتفكير والتأمل، فتبيّن لهم أن أصنامهم لا تنفع ولا تضر، فهم ظالمون حين عبدوها من دون الله.

﴿٦٦﴾ ثم عادوا للعناد والجحود، فقالوا: لقد أيقنت - يا إبراهيم - أن هذه الأصنام لا تنطق، فكيف تأمرنا أن نسألها؟ أرادوا ذلك حجة لهم، فكان حجة عليهم.

﴿٦٧﴾ قال إبراهيم - منكرًا عليهم -: أفتعبدون من دون الله أصنامًا لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم، فهي عاجزة عن دفع الضر عن نفسها، أو جلب النفع لها.

﴿٦٨﴾ فَبَيَّنَّا لَكُمْ، وَقَبَّحْنَا لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا تَضُرُّكُمْ، فَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهَا، أَوْ جَلْبِ النَّفْعِ لَهَا.

﴿٦٩﴾ فَبَيَّنَّا لَكُمْ، وَقَبَّحْنَا لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا تَضُرُّكُمْ، فَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهَا، أَوْ جَلْبِ النَّفْعِ لَهَا.

﴿٧٠﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾

﴿٧٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٦﴾

﴿٧٧﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٩﴾

﴿٨٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٨٢﴾

﴿٨٣﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٨٥﴾

● جواز استخدام الحيلة لإظهار الحق وإبطال الباطل. ● تعلق أهل الباطل بحجج يحسبونها لهم، وهي عليهم. ● التعنيف في القول وسيلة من وسائل التغيير للمنكر إن لم يترتب عليه ضرر أكبر. ● اللجوء لاستخدام القوة برهان على العجز عن المواجهة بالحجة. ● نُصِرَ الله لعباده المؤمنين، وإنقاذهم لهم من المحن من حيث لا يحتسبون.

﴿٧٣﴾ وصيرناهم أئمة يهتدي بهم الناس في الخير، يدعون الناس إلى عبادة الله وحده بإذن منه تعالى، وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، واثبتوا بالصلاة على أكمل وجه، وأدوا الزكاة، وكانوا لنا موقنين.

﴿٧٤﴾ ولوطاً أعطيناه فصل القضاء بين الخصوم، وأعطيناه علماً بأمر دينه، وسلمناه من العذاب الذي أنزلناه على قريته (سodom) التي كان أهلها يأتون الفاحشة، إنهم كانوا قوم فساد خارجين عن طاعة ربهم.

﴿٧٥﴾ وأدخلناه في رحمتنا إذ أنجيناه من العذاب الذي أصاب قومه، إنه من الصالحين الذين يأترون بأمرنا، وينتهون بنهيها.

﴿٧٦﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة نوح؛ إذ نادى الله من قبل إبراهيم ولوط، فاستجبنا له بإعطائه ما طلب، فأنقذناه وأنقذنا أهله المؤمنين من الغم العظيم.

﴿٧٧﴾ ونجيناه من مكر القوم الذين كذبوا بما أيدناه به من الآيات الدالة على صدقه، إنهم كانوا قوم فساد وشر، فأهلكناهم أجمعين بالفرق.

﴿٧٨﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة داود وابنه سليمان عليه السلام؛ إذ يحكمان في قضية رُفعت إليهما بشأن خصمين؛ لأحدهما غنم انتشرت ليلاً في حرث الآخر فأفسدته، وكنا لحكم داود وسليمان شاهدين، لم يغب عنا من حكمهما شيء.

﴿٧٩﴾ ففهمنا القضية سليمان دون أبيه داود، وكلاً من داود وسليمان أعطيناه النبوة والعلم بأحكام الشرع، لم نخص به سليمان وحده، وطوعنا

وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

٣٢٨

مع داود الجبال تسبح بتسبيحه، وطوعنا له الطير، وكنا فاعلين لذلك التفهيم وإعطاء الحكم والعلم والتسخير.

﴿٨٠﴾ وعلمنا داود دون سليمان صناعة الدروع لتحميكم من فتك السلاح بأجسامكم، فهل أنتم - أيها الناس - شاكرون لهذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم؟!

﴿٨١﴾ وطوعنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تجري بأمره إذا أمرها إلى أرض الشام التي باركنا فيها بما بعثنا فيها من الأنبياء، وبما بسط فيها من الخيرات، وكنا بكل شيء عالمين، لا يخفى علينا منه شيء.

من قواعد الآيات،

- فعل الخير والصلاة والزكاة، مما اتفقت عليه الشرائع السماوية.
- ارتكاب الفواحش سبب في وقوع العذاب المستأصل.
- الصلاح سبب في الدخول في رحمة الله.
- الدعاء سبب في النجاة من الكرب.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَأَنَّىٰ مَسْنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجَهُ وَانَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٨٢﴾ وسخرنا من الشياطين من يفوسون له في البحار يستخرجون اللآلئ وغيرها، ويعملون غير ذلك من الأعمال كالبناء، وكنا لأعدائهم وأعمالهم حافظين، لا يفوتنا شيء من ذلك.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة أيوب ﴿٨٣﴾، إذ دعا ربه سبحانه حين أصابه البلاء قائلاً: يا رب، إني أصيبت بالمرض وفقد الأهل، وأنت أرحم الراحمين جميعاً، فاصرف عني ما أصابني من ذلك.

﴿٨٤﴾ فأجبنا دعوته، وصرفنا عنه ما أصابه من ضرر، وأعطيناه ما فقد من أهله وأولاده، وأعطيناه مثلهم معهم، كل ذلك فعلناه رحمة من عندنا، وتذكيراً لكل متفاد لله بالعبادة؛ لبصبر كما صبر أيوب.

﴿٨٥﴾ واذكر - أيها الرسول - إسماعيل وإدريس وذا الكفل ﴿٨٥﴾، كل واحد منهم من الصابرين على البلاء، وعلى القيام بما كلفهم الله به.

﴿٨٦﴾ وأدخلناهم في رحمتنا، فجعلناهم أنبياء، وأدخلناهم الجنة، إنهم من عباد الله الصالحين الذين عملوا بطاعة ربهم، وصلحت سرائرهم وعلانياتهم.

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة صاحب الحوت يونس ﴿٨٧﴾، إذ ذهب دون إذن من ربه مغاضباً قومه لتماديهم في العصيان، فظن أننا لن نُصَيِّقَ عليه؛ بعقابه على ذهابه، فابتلي بشدة الضيق والحبس حين التقمه الحوت، فدعا في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل؛ مُقَرِّراً بذنبه تائباً إلى الله منه، فقال: لا معبود بحق غيرك، تنزهت وتقدس، إني كنت من الظالمين.

﴿٨٨﴾ فأجبنا دعوته، ونَجَّيناه من كرب الشدة بإخراجه من الظلمات، ومن بطن الحوت، ومثل إنجاء يونس من كرب هذا تنجي المؤمنين إذا وقعوا في كرب ودعوا الله.

﴿٨٩﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة زكريا ﴿٨٩﴾، إذ دعا ربه سبحانه قائلاً: رب، لا تتركني منفرداً لا ولد لي، وأنت خير الباقيين، فارزقني ولداً يبقى بعدي.

﴿٩٠﴾ فأجبنا له دعوته، وأعطيناه يحيى ولداً، وأصلحنا زوجه، فصارت ولوداً بعد أن كانت لا تلد، إن زكريا وزوجه وابنه كانوا يسارعون إلى فعل الخيرات، وكانوا يدعوننا راغبين فيما عندنا من الثواب، خائفين مما عندنا من العقاب، وكانوا لنا مُتَضَرِّعِينَ.

﴿٩٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الصلاح سبب للرحمة.
- الالتجاء إلى الله وسيلة لكشف الكرب.
- فضل طلب الولد الصالح ليبقى بعد الإنسان إذا مات.
- الإقرار بالذنب، والشعور بالاضطرار لله وشكوى الحال له، وطاعة الله في الرخاء من أسباب إجابة الدعاء وكشف الضر.

﴿٩١﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة مريم عليها السلام التي صانت فرجها من الزنى، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، ففتخ فيها فحملت بعبسى عليه السلام، وكانت هي وابنها عبسى علامة للناس على قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء حيث خلقه من غير أب.

﴿٩٢﴾ إن هذه ملئكم - أيها الناس - ملة واحدة، وهي التوحيد الذي هو دين الإسلام، وأنا ربكم، فأخلصوا العبادة لي وحدي.

﴿٩٣﴾ وتفرق الناس، فصار منهم الموحّد والمشرّك والكافر والمؤمن، وكل هؤلاء المتفرّقين إلينا وحدنا راجعون يوم القيامة، فتجازيهم على أعمالهم.

﴿٩٤﴾ فمن عمل منهم الأعمال الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر فلا جحود لعمله الصالح، بل يشكر الله له ثوابه فيضاعفه له، ويجده في كتاب عمله يوم يبعث، فيسرّ به.

﴿٩٥﴾ ومستحيل على أهل قرية أهلكتها بسبب كفرها أن يرجعوا إلى الدنيا؛ ليتوبوا وتقبل توبتهم.

﴿٩٦﴾ لا يرجعون أبداً حتى إذا فُتِح سدّ يأجوج ومأجوج، وهم يومئذ من كل مرتفع من الأرض يخرجون مسرعين.

﴿٩٧﴾ واقتربت القيامة بخروجهم، وظهرت أهوالها وشدايدها، فإذا أبصار الكفار مفتوحة من شدة هولها يقولون: يا هلاكنّا، قد كنا في الدنيا في لهو وانشغال عن الاستعداد لهذا اليوم العظيم، بل كنا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٩٨﴾ إنكم - أيها المشركون - وما

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ وَكِيبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَكَ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَا وَرَدُوا هَؤُلَاءَ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿٣٣٠﴾

تعبّدونه من دون الله من الأصنام، وممن يرضى لعبادتهم له من الإنس والجن - وقود جهنم، أنتم ومعبداتكم لها داخلون. ﴿٩٩﴾ لو كانت هذه المعبدات آلهة تُعْبَد بحق ما دخلوا النار مع من عبدهم، وكل من العابدين والمعبدوين في النار، ما كثون فيها أبداً لا يخرجون منها.

﴿١٠٠﴾ لهم فيها - من شدة ما يلاقونه من الآلام - تنفس شديد، وهم في النار لا يسمعون الأصوات من شدة الهول المُفْزِع الذي أصابهم.

﴿١٠١﴾ ولما قال المشركون: (إن عيسى والملائكة الذين عُبدوا سيدخلون النار) قال الله: إن الذين سبق في علم الله أنهم من أهل السعادة مثل عيسى عليه السلام مبعدون عن النار.

﴿١٠٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● التنويه بالعفاف وبيان فضله.

● اتفاق الرسالات السماوية في التوحيد وأسس العبادات.

● فُتِحَ سدّ يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى.

● الغفلة عن الاستعداد ليوم القيامة سبب لمعاناة أهوالها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
 خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ بِلَهُنَّةٍ قَائِلِينَ: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
 يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا
 أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ
 كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
 عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
 عَلِيدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
 ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ
 أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ
 وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ
 الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنِ أَدْرَىٰ
 لَعَلَّهُ وَفْتَنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
 بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سورة الحج

آياتها ٧٨

ترتيبها ٢٢

٣٣١

﴿١٠٢﴾ لا يصل إلى سمعهم صوت جهنم، وهم فيما اشتتهه أنفسهم من النعيم والملذات ما كانوا لا يقطع نعيمهم أبداً.

﴿١٠٣﴾ لا يخيفهم الهول العظيم حين تطبق النار على أهلها، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة قائلين: هذا يومكم الذي كنتم توعدون به في الدنيا، وتبشرون بما تلاقون فيه من النعيم.

﴿١٠٤﴾ يوم نطوي السماء مثل طي الصحيفة على ما فيها، ونحشر الخلق على هيئتهم التي خلقوا بها أول مرة، وعدنا بذلك وعداً لا خلف فيه، إنا كنا منجزين ما نعد به.

﴿١٠٥﴾ ولقد كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الرسل من بعد ما كتبنا في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون العاملون بطاعته، وهم أمة محمد ﷺ.

﴿١٠٦﴾ إن فيما أنزلناه من الوعد لمنفعة وكفاية لقوم عابدين ربهم بما شرعه لهم، فهم الذين ينتفعون به.

﴿١٠٧﴾ وما بعثناك - يا محمد - رسولاً إلا رحمة لجميع الخلق؛ لما تتصف به من الحرص على هداية الناس وإنقاذهم من عذاب الله.

﴿١٠٨﴾ قل - أيها الرسول -: إنما يوحى إلي من ربي أنما معبودكم بحق معبود واحد، لا شريك له وهو الله، فانقادوا للإيمان به، والعمل بطاعته.

﴿١٠٩﴾ فإن أعرض هؤلاء عما جئتهم به، فقل - أيها الرسول - لهم: أعلمتكم أنني وإياكم على أمر مستو بيني وبينكم من المفاصلة، ولست أعلم متى ينزل بكم ما وعد الله به من عذابه.

﴿١١٠﴾ إن الله يعلم ما أعلنتم من القول، ويعلم ما تكتُمونه منه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجزىكم عليه.

﴿١١١﴾ ولست أدري لعل إمهالكم بالعذاب اختيار لكم، واستدراج، وتمتع لكم إلى أمد مقدّر في علم الله؛ لتتبادوا في كفركم وضلالكم.

﴿١١٢﴾ قال رسول الله ﷺ داعياً ربه: رب، افصل بيننا وبين قومنا الذين أصروا على الكفر بالقضاء الحق، وبربنا الرحمن نستعين على ما نقولون من الكفر والتكذيب.

﴿١﴾ من فوائد الآيات،

- الصلاح سبب للتمكين في الأرض.
- بعثة النبي ﷺ وشرعه وسنته رحمة للعالمين.
- الرسول ﷺ لا يعلم الغيب.
- علم الله بما يصدر من عباده من قول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ
 ١ يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
 كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
 بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢ وَمِنَ النَّاسِ مَن
 يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّרِيدٍ ٣
 كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَمَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
 إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ٤ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
 مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ
 ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ
 لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
 نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ
 وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ٥

٣٣٢

١ من مقاصد السورة:

تعظيم الله ﷻ وشعائره والتسليم لأمره.

٢ التفسير:

١ يا أيها الناس، اتقوا ربكم بامتثال ما أمركم به، والكف عما نهاكم عنه، إن ما يصاحب القيامة من زلزلة الأرض وغيرها من الأحوال أمر عظيم، يجب الاستعداد له بالعمل بما يرضي الله.

٢ يوم تشهدونها تفصل كل مرضعة عن رضيعها، وتسقط كل صاحبة حمل حملها من شدة الخوف، وترى الناس سكارى من شدة هول عقولهم مثل السكارى من شدة هول الموقف، وليسوا سكارى من شرب الخمر، ولكن عذاب الله شديد، فقد أفقدهم عقولهم.

ولما ذكر الله ما يصاحب قيام الساعة من أهوال رد على الذين ينكرون القيامة والبعث، فقال:

٣ ومن الناس من يخاصم في قدرة الله على بعث الأموات دون علم يستند إليه، ويتبع في اعتقاده وقوله كل متمرد على ربه من الشياطين، ومن أئمة الضلال.

٤ كتب على ذلك المتمرد من شياطين الإنس والجن أن من اتبعه وصدق به فإنه يضلّه عن طريق الحق، ويسوقه إلى عذاب النار بما يقوده إليه من الكفر والمعاصي.

٥ يا أيها الناس، إن كان لديكم شك في قدرتنا على بعثكم بعد الموت،

فأتملوا في خلقكم؛ فقد خلقنا أبائكم آدم من تراب، ثم خلقنا ذريته من مني يقذفه الرجل في رحم المرأة، ثم يتحول المنى دماً جامداً، ثم يتحول الدم الجامد إلى قطعة لحم تشبه قطعة اللحم الممضوغة، ثم تتحول قطعة اللحم إما إلى خلق سوي يبقى في الرحم حتى يخرج مولوداً حياً، وإما إلى خلق غير سوي يسقطه الرحم، لنبين لكم قدرتنا بخلقكم أطواراً، ونثبت في الأرحام ما نشاء من الأجنة حتى يولد في أجل محدد وهو تسعة أشهر، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم لتصلوا إلى كمال القوة والعقل، ومنكم من يموت قبل ذلك، ومنكم من يعيش حتى يبلغ سن الهرم حيث تضعف القوة ويضعف العقل، حتى يصير أسوأ حالاً من الصبي، لا يعلم شيئاً مما كان يعلمه، وترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تفتحت عن النبات، وارتفعت بسبب نمو نباته، وأخرجت من كل صنف من النباتات جميل المنظر.

٦ من قوائد الآيات:

- وجوب الاستعداد ليوم القيامة بزيادة التقوى.
- شدة أهوال القيامة حيث تنسى المرضعة طفلها وتسقط الحامل حملها وتذهب عقول الناس.
- التدرج في الخلق سُنّة إلهية.
- دلالة الخلق الأول على إمكان البعث.
- ظاهرة المطر وما يتبعها من إنبات الأرض دليل ملموس على بعث الأموات.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ وَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٧ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ٨ ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ٩ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ١٠ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١١ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِفْعَةَ ١٢ وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ١٣ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ١٤ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ١٥ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ١٥

١٦ ذلك الذي ذكرنا لكم - من بدء خلقكم وأطواره وأحوال من يولد منكم - لأجل أن تؤمنوا بأن الله الذي خلقكم هو الحق الذي لا شك فيه، بخلاف ما تعبدون من أصنامكم، ولتؤمنوا بأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

١٧ ولتؤمنوا بأن الساعة آتية لا شك في إتيانها، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم ليجازيهم على أعمالهم.

ولما ذكر الله سبحانه حال الضلال بسبب التقليد في الآية الثالثة ذكر حال ضلال رؤوس الكفر في هذه الآية فقال:

١٨ ومن الكفار من يجادل في توحيد الله، بغير علم منهم يصلون به إلى الحق، ولا اتباع هادٍ يدلهم عليه، ولا كتاب مضيء منزل من عند الله يهديهم إليه.

١٩ لا ويا عنقه تكبرا لبصرف الناس عن الإيمان والدخول في دين الله، لمن هذا وصفه ذل في الدنيا بما يلحقه من عقاب، ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة.

٢٠ ويقال له: ذلك العذاب الذي ذقته بسبب ما اكتسبته من الكفر والمعاصي، والله لا يعذب أحدا من خلقه إلا بذنب.

٢١ ومن الناس مضطرب يعبد الله على شك، فإن أصابه خير من صحة وغنى استمر على إيمانه وعبادته لله، وإن أصابه ابتلاء بمرض وفقر تشاءم بدينه فارتد عنه، خسر ديناه، فلن يزيده كفره حظا من الدنيا لم يكتب له، وخسر آخرته بما يلقاه من عذاب الله، ذلك هو الخسران الواضح.

٢٢ يعبد من دون الله أصناما لا تضره إن عصاها، ولا تنفعه إن أطاعها، ذلك الدعاء لأصنام لا تضر ولا تنفع هو الضلال البعيد عن الحق.

٢٣ يدعو هذا الكافر الذي يعبد الأصنام من ضرره المحقق أقرب من نفعه المفقود، لساء المعبود الذي ضره أقرب من نفعه، ساء ناصرا لمن يستنصره، وصاحبيا لمن يصحبه.

٢٤ إن الله يدخل الذين آمنوا به وعملوا الصالحات جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، إن الله يفعل ما يريد من رحمة من يرحمه، وعقاب من يعاقبه، لا مكره له سبحانه.

٢٥ من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بقطع نفسه عن الأرض، ثم لينظر هل يذهب ذلك ما يجده في نفسه من الغيظ، فإله ناصر نبيه، شاء المعاند أم أبى.

من قوائد الآيات:

- أسباب الهداية إما علم يوصل به إلى الحق، أو هادٍ يدلهم إليه، أو كتاب يوثق به يهديهم إليه.
- الكبير خلق يمنع من التوفيق للحق.
- من عدل الله أنه لا يعاقب إلا على ذنب.
- الله ناصر نبيه ودينه ولو كره الكافرون.

﴿١٦﴾ وكما بينا لكم الحج الواضحة على البعث أنزلنا على محمد ﷺ القرآن آيات واضحة، وأن الله يوفق بفضلته من يشاء لسبيل الهداية والرشاد.

﴿١٧﴾ إن الذين آمنوا بالله من هذه الأمة، واليهود، والصابئين (طائفة من أتباع بعض الأنبياء)، والنصارى، وعبد النار، وعبد الأوثان - إن الله يقضي بينهم يوم القيامة فدخل المؤمنين الجنة، ويدخل غيرهم النار، إن الله على كل شيء من أقوال عباده وأعمالهم شهيد، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿١٨﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسجد له سجد طاعة من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من مؤمني الإنس والجن، وتسجد له الشمس، ويسجد له القمر، وتسجد له النجوم في السماء، والجبال والشجر والدواب في الأرض؛ سجدوا انقياداً، ويسجد له كثير من الناس سجد طاعة، وكثير يمتنع عن السجود له طاعة، فحق عليهم عذاب الله لكفرهم، ومن يقض الله عليه بالذلة والمهانة لكفره فليس له أحد يكرمه، إن الله يفعل ما يشاء، فلا مكره له سبحانه.

ولما بين الله ﷻ من يسجد له طاعة ومن يمتنع، عقب ذلك بمصير كل منهما فقال:

﴿١٩﴾ هذان فريقان متخاصمان في ربهم أيهم المُحق: فريق الإيمان، وفريق الكفر؛ وفريق الكفر تحيط بهم النار مثل إحاطة الثياب بلاسها، ويُصَب من فوق رؤوسهم الماء

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ
النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن
مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَٰذَا نِ خَصَمَانِ
أَخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهِرُ بِهِ
مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَّقْمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

المتناهي في الحرارة.

﴿٢٠﴾ يُدَاب به ما في بطونهم من الأحشاء من شدة حره، ويصل إلى جلودهم فيذيبها.

﴿٢١﴾ ولهم في النار مطارق من حديد تضرب الملائكة بها رؤوسهم.

﴿٢٢﴾ كلما حاولوا الخروج من النار من شدة ما يلاقونه فيها من الكرب رُدُّوا إليها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

﴿٢٣﴾ وفريق الإيمان وهم الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، يدخلهم الله في جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يزينهم الله بتحليتهم بأسورة من الذهب، ويزينهم بالتحلية باللؤلؤ، ويكون لباسهم فيها الحرير.

من قوائد الآيات:

- الهداية بيد الله يمنحها من يشاء من عباده.
- رقابة الله على كل شيء من أعمال عباده وأحوالهم.
- خضوع جميع المخلوقات لله قدراً، وخضوع المؤمنين له طاعة.
- العذاب نازل بأهل الكفر والعصيان، والرحمة ثابتة لأهل الإيمان والطاعة.

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ٢٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَافِ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
 ٢٥ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
 بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧ لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا
 وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
 وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَعِنْدَ
 رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ
 فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ٣٠

٢٤) وأرشدهم الله في الحياة الدنيا إلى طيب الأقوال كشهادة أن لا إله إلا الله، والتكبير والتحميد، وأرشدهم إلى طريق الإسلام المحمود.

٢٥) إن الذين كفروا بالله، ويصرفون غيرهم عن الدخول في الإسلام، ويصدون الناس عن المسجد الحرام، مثل ما فعل المشركون عام الحديبية فسوف نذيقهم العذاب الأليم، ذلك المسجد الذي جعلناه قبلة للناس في صلاتهم ومنسكاً من مناسك الحج والعمرة، يستوي فيه المكي المقيم فيه، والطائر فيه من غير أهل مكة، ومن يرد فيه ميلاً عن الحق بالوقوع بشيء من المعاصي عامداً نذقه من عذاب مؤلم.

٢٦) واذكر - أيها الرسول - إذ بينا لإبراهيم ﷺ مكان البيت وحدوده بعد أن كان مجهولاً، وأوحينا إليه ألا تشرك بعبادتي شيئاً، بل اعبدني وحدي، وطهر بيتي من الأنجاس الحسية والمعنوية للطائفتين به، والمصلين فيه.

٢٧) وناد في الناس داعياً إياهم إلى حج هذا البيت الذي أمرناك ببنائه؛ يأتوك مشاةً أو ركباناً على كل بعير مهزول مما عانى من السير، تأتي بهم الإبل تحملهم من كل طريق بعيد.

٢٨) ليحضروا ما يعود لهم بالنفع من مغفرة الذنوب، والحصول على الثواب، وتوحيد الكلمة وغير ذلك، وليذكروا اسم الله على ما يذبحونه من الهدايا في أيام معلومات هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من هذه الهدايا، وأطعموا منها من كان شديد الفقر.

٢٩) ثم ليقضوا ما بقي عليهم من مناسك حجهم، ويتحللوا بحلق رؤوسهم وقص أظفارهم وإزالة الوسخ المتراكم عليهم بسبب الإحرام، وليوفوا بما أوجبوا على أنفسهم من حج أو عمرة أو هدي، وليطوفوا طواف الإفاضة بالبيت الذي اعتقه الله من تسلط الجبابرة عليه.

٣٠) ذلك الذي أمرتم به - من التحلل بحلق الرأس وقص الأظفار وإزالة الأوساخ، والوفاء بالنذر والطواف بالبيت - هو ما أوجبه الله عليكم، فعضموا ما أوجبه الله عليكم، ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه؛ تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها، وحرمانه أن يستحلها فهو خير له في الدنيا والآخرة عند ربه سبحانه، وأبيحت لكم - أيها الناس - الأنعام من الإبل والبقر والغنم، فلم يحرم عليكم منها حامياً ولا بغيره ولا وصيلة، فلم يحرم منها إلا ما تجدونه في القرآن من حرمة الميتة والدم وغيرهما، فابتعدوا عن القدر الذي هو الأوثان، وابتعدوا عن كل قول باطل كذب على الله أو على خلقه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- حرمة البيت الحرام تقتضي الاحتياط من المعاصي فيه أكثر من غيره.
- بيت الله الحرام مهوى أفئدة المؤمنين في كل زمان ومكان.
- منافع الحج عائدة إلى الناس سواء الدنيوية أو الأخروية.
- شكر النعم يقتضي العطف على الضعفاء.

﴿٣١﴾ اجتنبوا ذلك ماثلين عن كل دين سوى دينه المُرْتَضَى عنده، غير مشركين به في العبادة أحدًا، ومن يشرك بالله فكأنما سقط من السماء، فإما أن تخطف الطير لحمه وعظامه، أو تقذفه الريح في مكان بعيد.

﴿٣٢﴾ ذلك ما أمر الله به من توبيه والإخلاص له، واجتناب الأوثان وقول الزور. ومن يعظم معالم الدين - ومنها الهدى ومناسك الحج - فإن تعظيمها من تقوى القلوب لربها.

﴿٣٣﴾ لكم في الهدايا التي تحرونها بالبيت منافع، مثل الركوب والصوف والنسل واللبن، إلى أجل محدد بوقت ذبحها عند القرب من بيت الله الذي أعنته من تسلط الجبابرة.

﴿٣٤﴾ ولكل أمة ماضية جعلنا منسكًا لإراقة الدماء قربانًا لله؛ رجاء أن يذكروا اسم الله على ما يذبحونه من تلك القرابين عند الذبح؛ شكرًا لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فمعبودكم بحق - أيها الناس - معبود واحد لا شريك له، فله وحده انقادوا بالإذعان والطاعة، وأخبر - أيها الرسول - الخاشعين المخلصين بما يسرهم.

﴿٣٥﴾ الذين إذا ذُكر الله خافوا من عقابه، فابتعدوا عن مخالفة أمره، ويصبرون إن أصابهم بلاء، ويؤدون الصلاة تامة، وينفقون في وجوه البر مما رزقهم الله.

﴿٣٦﴾ والإبل والبقر التي تُهْدَى إلى البيت جعلناها لكم من شعائر الدين وأعلامه، لكم فيها منافع دينية ودنيوية، فقولوا: (باسم الله) عند نحرها بعد أن تصف قوائمها وهي

قائمة قد ربطت إحدى يديها حتى لا تشرد، فإذا سقطت بعد النحر على جنبها، فكلوا - أيها المهدون - منها، وأعطوا منها الفقير الذي يتعفف عن السؤال. والفقير الذي يتعرض ليعطى منها، كما ذلناها لكم لتحملوا عليها وتركبوها ذلناها لكم فانقادوا إلى حيث تحرونها؛ تقريبًا لله لعلكم تشكرون الله على نعمة تذليلها لكم.

﴿٣٧﴾ لن يصل إلى الله لحوم ما تقدمونه من هدايا ولا دماؤها، ولن ترفع إليه، لكن يرفع إليه اتقاؤكم الله فيها؛ بأن تخلصوا له في امتثالكم للتقرب بها إليه، كذلك ذلها الله لكم لتكبروا الله شاكرين إياه على ما وفقكم له من الحق، وأخبر - أيها الرسول - المحسنين في عبادتهم لربهم وفي تعاملهم مع خلقه، بما يسرهم.

﴿٣٨﴾ إن الله يدفع عن الذين آمنوا بالله شر أعدائهم، إن الله لا يحب كل خوان لأمانته، فصور لنعم الله، فلا يشكر الله عليها، بل يبغيه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● صَرْبُ المثل لتقريب الصور المعنوية بجعلها في ثوب حسي، مقصد تربوي عظيم.

● فضل التواضع.

● الإحسان سبب للسعادة.

● الإيمان سبب لدفاع الله عن العبد ورعايته له.

ولما بين الله ﷻ أنه يدافع عن المؤمنين، فاطمأنت نفوسهم أذن لهم في قتال الكفار، فقال:

﴿٣٨﴾ أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم المشركون بالقتال؛ لما وقع عليهم من ظلم أعدائهم لهم، وإن الله على نصر المؤمنين على عدوهم دون قتال لقدير، لكن حكمته اقتضت أن يختبر المؤمنين بقتال الكافرين.

﴿٣٩﴾ الذين أخرجهم الكفار من ديارهم ظلماً، لا لجُرم ارتكبهوا إلا أنهم قالوا: ربنا الله، لا رب لنا غيره، ولولا ما شرعه الله للأنبياء وللمؤمنين من قتال أعدائهم لاعتدوا على مواطن العبادة، فهدموا صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين المُعدّة للصلاة، فيها يذكر المسلمون الله ذكراً كثيراً، ولينصرون الله من ينصر دينه ونبينه، إن الله لقوي على نصر من ينصر دينه، عزيز لا يغالبه أحد.

﴿٤٠﴾ هؤلاء الموعودون بالنصر هم الذين إن مكّناهم في الأرض بالنصر على أعدائهم أدّوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالهم، وأمروا بما أمر به الشرع، ونهوا عما نهى عنه، ولله وحده مرجع الأمور في الثواب عليها والعقاب.

﴿٤١﴾ وإن يكذبك - أيها الرسول - قومك، فاصبر فلست أول من كذبه قومه من الرسل، فقد كذب قبل قومك قوم نوحاً، وكذبت عادٌ هوداً، وثمود صالحاً.

﴿٤٢﴾ وكذب قوم إبراهيم إبراهيم، وكذب قوم لوط لوطاً.

﴿٤٣﴾ وكذب أصحاب مدين شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فأخّرت عن أقوامهم العقوبة استدراجاً لهم، ثم أخذتهم بالعذاب، فتأمل كيف كان إنكاري عليهم، فقد أهلكتهم بسبب كفرهم.

﴿٤٤﴾ فما أكثر القرى التي أهلكناها - وهي ظالمة بكفرها - بعذاب مُستأصل، فديارها مهدمة خالية من سكانها، وما أكثر الآبار الخالية من وُرّادها لهلاكهم، وما أكثر القصور العالية المزخرفة التي لم تحصن ساكنيها من العذاب.

﴿٤٥﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون بما جاء به الرسول ﷺ في الأرض؛ ليعاينوا آثار تلك القرى المهلكة، فيتفكروا بعقولهم ليعتبروا، ويسمعوا قصصهم سماع قبول ليتعظوا، فإن العمى ليس عمى البصر، بل العمى المُهلك المُردّي هو عمى البصيرة، بحيث لا يكون لصاحبه اعتبار ولا اتعاظ.

﴿٤٦﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إثبات صفتي القوة والعزة لله.
- إثبات مشروعية الجهاد؛ للحفاظ على مواطن العبادة.
- إقامة الدين سبب لنصر الله لعبيده المؤمنين.
- عمى القلوب مانع من الاعتبار بآيات الله.

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٨﴾
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّ مَتَّ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَآيَاتُ اللَّهِ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤١﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٢﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٣﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٤﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٥﴾

﴿٤٦﴾ وكذب قوم لوط لوطاً، وكذب أصحاب مدين شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فأخّرت عن أقوامهم العقوبة استدراجاً لهم، ثم أخذتهم بالعذاب، فتأمل كيف كان إنكاري عليهم، فقد أهلكتهم بسبب كفرهم.

﴿٤٧﴾ فما أكثر القرى التي أهلكناها - وهي ظالمة بكفرها - بعذاب مُستأصل، فديارها مهدمة خالية من سكانها، وما أكثر الآبار الخالية من وُرّادها لهلاكهم، وما أكثر القصور العالية المزخرفة التي لم تحصن ساكنيها من العذاب.

﴿٤٨﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون بما جاء به الرسول ﷺ في الأرض؛ ليعاينوا آثار تلك القرى المهلكة، فيتفكروا بعقولهم ليعتبروا، ويسمعوا قصصهم سماع قبول ليتعظوا، فإن العمى ليس عمى البصر، بل العمى المُهلك المُردّي هو عمى البصيرة، بحيث لا يكون لصاحبه اعتبار ولا اتعاظ.

﴿٤٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إثبات صفتي القوة والعزة لله.
- إثبات مشروعية الجهاد؛ للحفاظ على مواطن العبادة.
- إقامة الدين سبب لنصر الله لعبيده المؤمنين.
- عمى القلوب مانع من الاعتبار بآيات الله.

الكفار من قومك بالعذاب المُعَجَّل في الدنيا وبالعذاب المُؤَجَّل في الآخرة لما أُنذروا بهما، ولن يخلفهم الله ما وعدهم به منه، ومن المُعَجَّل ما حل بهم يوم بدر، وإن يوماً من العذاب في الآخرة مثل ألف سنة مما تعدون من سني الدنيا بسبب ما فيه من العذاب.

﴿٤٨﴾ وما أكثر القرى التي أمهلتها بالعذاب وهي ظالمة لكفرها، ولم أعجلها به استدراجاً لها، ثم أخذتها بعذاب مُسْتَأْصِل، وإني وحدي مرجعهم يوم القيامة، فأجازيهم على كفرهم بالعذاب الدائم.

﴿٤٩﴾ قل يا أيها الناس، إنما أنا لكم منذر أبلغكم ما أرسلت به، واضح في إنذار.

﴿٥٠﴾ فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم من ربهم مغفرة لذنوبهم، ولهم رزق كريم في الجنة لا ينقطع أبداً.

﴿٥١﴾ والذين سعوا في التكذيب بآياتنا مُفْذَرِينَ أنهم سيعجزون الله ويفوتونه فلا يعذبهم، أولئك أصحاب الجحيم يلزامونه كما يلزم صاحب صاحبه.

﴿٥٢﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته ما يلبس به على الناس أنه من الوحي، فيبطل الله ما يلقى الشيطان من إلقائه، ويثبت آياته، والله عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، حكيم في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٥٣﴾ يُلقِي الشيطان في قراءة النبي ليصير الله ما يلقى امتحاناً للمنافقين، وللذين قست قلوبهم من المشركين، وإن الظالمين من المنافقين والمشركين لفي عداوة لله ورسوله وبعده عن الحق والرشاد.

﴿٥٤﴾ وليتيقن الذين أعطاهم الله العلم أن القرآن المنزل على محمد ﷺ هو الحق الذي أوحى به الله إليك - أيها الرسول - فيزدادوا إيماناً به، فتخضع له قلوبهم وتخضع، وإن الله لهادي الذين آمنوا به إلى طريق الحق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه؛ جزاء لهم على خضوعهم له.

﴿٥٥﴾ ولا يزال الذين كفروا بالله وكذبوا برسوله في شك مما أنزل الله عليك من القرآن، مستمرين حتى تأتيهم الساعة فجأة وهم على ذلك، أو يأتيهم عذاب يوم لا رحمة لهم فيه ولا خير، وهو يوم القيامة بالنسبة لهم.

﴿٥٦﴾ من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

- استدراج الظالم حتى يتمادى في ظلمه سئة الهية.
- حفظ الله لكتابه من التبديل والتحريف وصرف مكاييد أعوان الشيطان عنه.
- النفاق وقسوة القلوب مرضان قاتلان.
- الإيمان ثمرة للعلم، والخشوع والخضوع لأوامر الله ثمرة للإيمان.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ۖ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

الْمَلِكُ يَوْمَ ذَلِكَ يَمُذِّ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فُولَتْكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَتْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَتَّ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

﴿٥٦﴾ الملك يوم القيامة - يوم يأتي هؤلاء ما كانوا يوعدون به من العذاب - لله وحده، لا منازع له فيه، هو سبحانه يحكم بين المؤمنين والكافرين، فيحكم لكل منهم بما يستحقه، فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب عظيم هو جنات النعيم المقيم الذي لا ينقطع.

﴿٥٧﴾ والذين كفروا بالله وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا، لهم عذاب مُذِلٌّ يذلهم الله به في جهنم. ﴿٥٨﴾ والذين تركوا ديارهم وأوطانهم طلبًا لمرضاة الله وإعزازًا لدينه، ثم قُتِلُوا في الجهاد في سبيله، أو ماتوا - ليرزقهم الله في الجنة رزقًا حسنًا دائمًا لا ينقطع، وإن الله سبحانه لهو خير الرازقين.

﴿٥٩﴾ ليدخلهم الله موضعًا يرضونه وهو الجنة، وإن الله لعليم بأفعالهم ونياتهم، حلیم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة على ما فرطوا فيه.

﴿٦٠﴾ ذلك المذكور؛ من إدخال المهاجرين في سبيل الله الجنة، ومن الإذن بمقابلة المعتدي بمثل ما اعتدى بحيث لا إثم عليه في ذلك، فإذا عاود المعتدي اعتدائه فإن الله ينصر الْمُعْتَدَى عليه، إن الله عفو عن ذنوب المؤمنين، غفور لهم.

﴿٦١﴾ ذلك النصر للمُعْتَدَى عليه لأن الله قادر على ما يشاء، ومن قدرته إدخال الليل في النهار، والنهار في الليل؛ بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

﴿٦٢﴾ ذلك المذكور من إدخال الله الليل

في النهار، والنهار في الليل؛ لأن الله هو الحق، فدينه حق، ووعدته حق، ونصره للمؤمنين حق، وأن ما يعبد المشركون من دون الله من الأوثان هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي على خلقه ذاتًا وَقَدَّرًا وقَهْرًا، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والجلال.

﴿٦٣﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله أنزل من السماء مطرًا، فتصبح الأرض بعد نزول المطر عليها خَضْرَاءَ بما أنبتته من نبات، إن الله لطيف بعباده حيث أنزل لهم المطر، وأنبت لهم الأرض، خبير بمصالحهم، لا يخفى عليه شيء منها.

﴿٦٤﴾ له وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، وإن الله لهو الغني الذي لا يفتقر إلى أي مخلوق من مخلوقاته، المحمود في كل حال.

من قَوَائِدِ الْإِكْبَاتِ:

- مكانة الهجرة في الإسلام وبيان فضلها.
- جواز العقاب بالمثل.
- نصر الله للمُعْتَدَى عليه يكون في الدنيا أو الآخرة.
- إثبات الصفات العُلا لله بما يليق بجلاله؛ كالعلم والسمع والبصر والعلو.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَّا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْتَنَّا
بِئَنَّا تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ
ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿٦٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله دَلَّلَ لك وللناس ما في الأرض من الدواب والجمادات لمنافعكم وحاجاتكم، ودَلَّلَ لكم السفن تجري في البحر بأمره وتسخيرها من بلد إلى بلد، ويمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا بإذنه، فلو أذن لها أن تسقط عليها لسقطت، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، حيث سخر لهم هذه الأشياء مع ما فيهم من ظلم. ﴿٦٦﴾ والله هو الذي أحياكم حيث أوجدكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم إذا انقضت أعماركم، ثم يحييكم بعد موتكم ليحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها، إن الإنسان لكثير الجحد لنعم الله - مع أنها ظاهرة - بعبادته معه غيره. ﴿٦٧﴾ لكل أهل ملة جعلنا شريعة، فهم يعملون بشريعتهم، فلا يُنْزَعُ عَنْكَ - أيها الرسول - المشركون وأهل الأديان الأخرى في شريعتك، فأنت أولى بالحق منهم: لأنهم أصحاب باطل، وادع الناس إلى إخلاص التوحيد لله، إنك لعلی طريق مستقيم، لا اعوجاج فيه. ﴿٦٨﴾ وإن امتنعوا إلا أن يجادلوك بعد ظهور الحجة ففوض أمرهم إلى الله قائلًا على سبيل الوعيد: الله أعلم بما تعملون من عمل، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ﴿٦٩﴾ الله يحكم بين عباده: مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا من أمر الدين. ﴿٧٠﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماء، ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما،

إن علم ذلك مُسَجَّلٌ في اللوح المحفوظ، إن علم ذلك كله على الله سهل.

﴿٧١﴾ ويعبد المشركون من دون الله أصنامًا لم ينزل الله حجة على عبادتها في كتبه، وليس لهم عليها دليل من علم، وإنما مستندهم التقليد الأعمى لأبائهم، وليس للظالمين من نصير يمنهم مما يحل بهم من عذاب الله.

﴿٧٢﴾ وإذا تُقِرُّوا عليهم آياتنا في القرآن واضحات تعرف في وجوه الذين كفروا بالله إنكارها من عبوسهم عند سماعهم لها، يكادون من شدة الغضب يبطشون بالذين يقرؤون عليهم آياتنا، قل لهم - أيها الرسول -: أفأخبركم بما هو شر من غيظكم وعبوسكم؟ هو النار التي وعد الله الكفار أن يدخلهم فيها، وساء المصير الذي يصيرون إليه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من نعم الله على الناس تسخير ما في السماوات وما في الأرض لهم.
- إثبات صفتي الرأفة والرحمة لله تعالى.
- إحاطة علم الله بما في السماوات والأرض وما بينهما.
- التقليد الأعمى هو سبب تمسك المشركين بشركهم بالله.

﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ضُربَ مثل فاستمعوا له، واعتبروا به، إن ما تعبدون من أصنام وغيرها من دون الله لن يخلقوا ذبابًا على صغره لعجزهم، ولو اجتمعوا كلهم على أن يخلقوه ما خلقوه، وإذا أخذ الذباب شيئًا مما عليهم من طيب وما أشبهه لم يقدروا على إنقاذه منه، ويعجزهم عن خلق الذباب، وإنقاذ أشياءهم منه؛ تبين عجزهم عما هو أكبر من ذلك، فكيف تعبدونها - مع عجزها - من دون الله؟! ضَعُفَ هذا الطالب وهو الصنم المعبود الذي لا يستطيع إنقاذ ما استلبه الذباب منه، وضَعُفَ هذا المطلوب الذي هو الذباب.

﴿٧٤﴾ مَا عَظَمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ، إِنْ اللَّهَ لَقَوِيٍّ، وَمِنْ قُوَّتِهِ وَقَدْرَتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِمَا، عَزِيزٌ لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، بِخِلَافِ أَصْنَامِ الْمُشْرِكِينَ فَهِيَ ضَعِيفَةٌ ذَلِيلَةٌ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا.

﴿٧٥﴾ اللَّهُ ﷻ يَخْتَارُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَيَخْتَارُ مِنَ النَّاسِ رُسُلًا كَذَلِكَ، فَيُرْسِلُ بَعْضَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ جِبْرِيلَ أَرْسَلَهُ إِلَى الرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ، وَيُرْسِلُ الرُّسُلَ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى النَّاسِ، إِنْ اللَّهَ سَمِعَ لِمَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ فِي رُسُلِهِ، بِصِيرَ بِمَنْ يَخْتَارُهُ لِرِسَالَتِهِ.

﴿٧٦﴾ يَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا عَلَيْهِ رُسُلُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ قَبْلَ خَلْقِهِمْ وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَرْجَعُ الْأُمُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يَبْعَثُ عِبَادَهُ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى مَا قَدَمُوا مِنْ عَمَلٍ.

﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا فِي صَلَاتِكُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَافْعَلُوا الْخَيْرَ مِنْ

صدقة وصلة وغير ذلك؛ رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٧٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِهَادًا خَالصًا لُوحِجَهُ، هُوَ اخْتَارَكُمْ وَجَعَلَ دِينَكُمْ سَمْعًا لَا ضَيْقَ فِيهِ وَلَا شِدَّةَ، هَذِهِ الْمَلَّةُ السَّهْجَةُ هِيَ مَلَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَقَدْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَفِي الْقُرْآنِ؛ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ أَنَّهُ بَلَّغَكُمْ مَا أَمَرَ بِتَبْلِيغِهِ، وَلِتَكُونُوا أَنْتُمْ شُهَدَاءَ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ أَنَّ رُسُلَهَا بَلَّغَتْهَا، فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِالْإِثْنَانِ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَأَعْطُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَالْجُودَ إِلَى اللَّهِ، وَاعْتَمِدُوا عَلَيْهِ فِي أُمُورِكُمْ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ نِعَمُ الْمَوْلَى لِمَنْ تَوَلَّاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَنِعَمُ النَّصِيرِ لِمَنْ اسْتَنْصَرَهُ مِنْهُمْ، فَتَوَلَّوْهُ يَتَوَلَّوْكُمْ، وَاسْتَنْصَرُوهُ يَنْصُرَكُمْ.

﴿٧٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- أهمية ضرب الأمثال لتوضيح المعاني، وهي طريقة تربوية جلية.
- عجز الأصنام عن خلق الأدنى دليل على عجزها عن خلق غيره.
- الإشراف بالله سببه عدم تعظيم الله.
- إثبات صفتي القوة والعزة لله، وأهمية أن يستحضر المؤمن معاني هذه الصفات.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُربَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهَ سَمِعَ بِصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

آيَاتُهَا ١١٨

تَرْتِيلُهَا ١٣

٣٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ
ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْأَرْضَ دُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفْفَةً ١٣ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ١٤
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفْفَةَ عَلَقَةً ١٥ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ١٦ فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظًا ١٧ فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ١٨ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ ١٩ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ٢٠ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ
لَمِيَّتُونَ ٢١ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبَعْتُونَ ٢٢ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ٢٣ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ٢٤

٣٤٢

١ من مقاصد السورة: بيان فلاح المؤمنين وخسران الكافرين.
٢ التفسير: قد فاز المؤمنون بالله العالمون بشرعه بالحصول على ما يطلبون، والنجاة مما يرهبون.
٣ الذين هم في صلاتهم مُتَذَلِّلُونَ، قد سكنت فيها جوارحهم، وفرغت قلوبهم من الشواغل.
٤ والذين هم عن الباطل واللهو وما فيه معصية من الأقوال والأفعال معرضون.
٥ والذين هم لتطهير أنفسهم من الرذائل، وتطهير أموالهم بإخراج زكاتها فاعلون.
٦ والذين هم لفروجهم بإبعاها عن الزنى واللواط والفواحش حافظون، فهم أعفاء طاهرون.
٧ إلا على زوجاتهم أو ما يملكون من الإماء، فإنهم لا يلامون في الاستمتاع بهن بالطهارة وغيره.
٨ فمن طلب الاستمتاع بما عدا الزوجات أو إماءه اللاتي يملكن فهو متجاوز لحدود الله بتجاوز ما أحله من التمتع إلى ما حرمه منه.
٩ والذين هم لما أثنى الله عليه، أو أثنى عليه عباده، ولعهودهم حافظون لا يضيعونها، بل يوفون بها.
١٠ والذين هم على صلواتهم يحافظون بالمداومة عليها، وعلى أدائها في أوقاتها بأركانها وواجباتها ومستحباتها.
١١ أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الوارثون.
١٢ الذين يرثون أعلى الجنة هم فيها ما يكونون أبداً، لا ينقطع نعيمهم فيها.
١٣ ولقد خلقنا أبا البشر آدم من طين، أخذت تربته من خلاصة استخرجت من ماء مختلط بتربة الأرض.
١٤ ثم خلقنا ذريته متناسلين من نطفة تستقر في الرحم إلى حين الولادة.
١٥ فخلقنا بعد ذلك النطفة المستقرة في الرحم علقة حمراء، ثم جعلنا تلك العلقة الحمراء قطعة لحم ممضوغة، فخلقنا قطعة اللحم تلك عظماً مُتَّصِلاً، فألبسنا تلك العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، وإخراجه إلى الحياة، فتبارك الله أحسن الخالقين.
١٦ ثم إنكم - أيها الناس - بعد ما مررتم به من تلك الأطوار ستموتون عند انقضاء آجالكم.
١٧ ثم إنكم بعد موتكم تبعثون من قبوركم يوم القيامة؛ لتحاسبوا على ما قدمتم من عمل.
١٨ ولقد خلقنا فوقكم - أيها الناس - سبع سماوات بعضها فوق بعض، وما كنا بغافلين عن خلقنا، ولا ناسين إياها.
١٩ من قوالب الآيات،
٢٠ للفلاح أسباب متنوعة يحسن معرفتها والحرص عليها.
٢١ التدرج في الخلق والشرع سنة إلهية.
٢٢ إحاطة علم الله بمخلوقاته.

﴿١٨﴾ وأنزلنا من السماء ماء المطر بمقدار الحاجة، لا كثيراً فيفسد ولا قليلاً فلا يكفي، فجعلناه يستقر في الأرض ينقع به الناس والدواب، وإننا لقادرون على أن نذهب به فلا تنتفعون.

﴿١٩﴾ فأنشأنا لكم بذلك الماء بساتين من النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه متعددة الأشكال والألوان، كاللبن والرمان والتفاح، ومنها تأكلون. ﴿٢٠﴾ وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج في منطقة جبل سيناء، ثبثت الدهن الذي يستخرج من ثمرها يذهب به ويؤتد.

﴿٢١﴾ وإن لكم - أيها الناس - في الأنعام (الإبل، البقر، الغنم) لعبرة ودلالة تستدلون بها على قدرة الله ولطفه بكم، نسقيكم مما في بطون هذه الأنعام لبناً خالصاً سائناً للشاربين، ولكم فيها منافع كثيرة تنتفعون بها منها؛ كالركوب والصوف والوبر والشعر، وتأكلون من لحومها. ﴿٢٢﴾ وعلى الإبل من الأنعام في البر، وعلى السفن في البحر تحملون.

﴿٢٣﴾ ولقد بعثنا نوحاً ﴿٢٤﴾ إلى قومه يدعوهم إلى الله، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود بحق غيره سبحانه، أفلا تتقون الله بامتنال أوامر وأجتناب نواهيه؟

﴿٢٥﴾ فقال الأشراف والسادة الذين كفروا بالله من قومه لاتباعهم وعامتهم: ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا بشر مثلكم يريد الرئاسة والسيادة عليكم، ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولاً لأرسله من الملائكة، ولم يرسله من البشر، ما سمعنا بمثل ما ادعاه عند أسلافنا الذين سبقونا.

﴿٢٦﴾ ما هو إلا رجل به جنون، لا يعي ما يقول، فانتظروا به حتى يتضح أمره للناس.

﴿٢٧﴾ قال نوح ﴿٢٨﴾: رب انصرني عليهم بأن تتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

﴿٢٩﴾ فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وتعليمنا إياك كيف تصنعها، فإذا جاء أمرنا بإهلاكهم، ونبع الماء بقوة من المكان الذي يخبئ فيه، فأدخل فيها من كل الأحياء ذكراً وأنثى ليستمر النسل، وأدخل أهلك إلا من سبق عليه القول من الله بالإهلاك مثل زوجك وابنتك، ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالكفر بطلب نجاتهم وترك إهلاكهم، إنهم مهلكون - لا محالة - بالفرق في ماء الطوفان.

﴿٣٠﴾ من قوايد الآيات،

● لطف الله بعباده ظاهر بإنزال المطر وتيسير الانتفاع به.

● التوبة بمنزلة شجرة الزيتون.

● اعتقاد المشركين ألوهية الحجر، وتكذيبهم بنبوة البشر، دليل على سخف عقولهم.

● نصر الله لرسله ثابت عندما تكذبهم أممهم.

ومن معك من المؤمنين الناجين،
فقل: الحمد لله الذي أنقذنا من القوم
الكافرين فأهلكهم.

٢٩ وقل: رب أنزلني من الأرض
إنزالاً مباركاً، وأنت خير المنزّلين.

٣٠ إن في ذلك المذكور من
إنجاء نوح والمؤمنين معه، وإهلاك
الكافرين؛ لدلالات جليلة على قدرتنا
على نصر رسلنا وإهلاك المكذّبين
بهم، وإن كنا لمختبرين قوم نوح
بإرساله إليهم ليتضح المؤمن من
الكافر والمطيع من العاصي.

٣١ ثم أنشأنا من بعد إهلاك قوم
نوح أمة أخرى.

٣٢ فبعثنا فيهم رسولاً منهم
يدعوهم إلى الله، فقال لهم: اعبدوا
الله وحده ما لكم من معبود بحق غيره
سبحانه، أفلا تتقون الله باجتناب
نواهيهِ، وامتنال أوامره؟

٣٣ وقال الأشراف والسادة من
قومه الذين كفروا بالله، وكذبوا
بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب،
وأطفاهم ما وسّعنا لهم من النعم
في الحياة الدنيا، قالوا لأتباعهم
وعامتهم: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل
مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون
منه، فليس له مزية عليكم حتى يُبعث
رسولاً إليكم.

٣٤ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم
إذن لخاسرون لعدم انتفاعكم بطاعته
لترتكبوا آلهتكم، واتباع من لا فضيلة له
عليكم.

٣٥ أيعدكم هذا الذي يزعم أنه
رسول أنكم إذا متم وصرتم تراباً
وعظاماً بالية أنكم تخرجون من

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٨ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ
خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ٣٠ ثُمَّ أَنْشَأْنَا
مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاءَ آخَرِينَ ٣١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاتِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
مَاهَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ
مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ
٣٤ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ
٣٥ * هِيَ هَاتِ هَيَّاهُتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ٣٦ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧ إِنَّ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ٣٨ قَالَ رَبِّ
انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ٤٠
فَأَخَذْنَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ عِشَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ٤١ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاءَ آخَرِينَ ٤٢

قبوركم أحياء؟ أيعقل هذا؟

٣٦ بعيد جداً ما توعدون به من إخراجكم من قبوركم أحياء بعد موتكم، ومصيركم تراباً وعظاماً بالية.

٣٧ ليست الحياة إلا الحياة الدنيا، لا الحياة الآخرة، تموت الأحياء منا ولا تحيا، ويولد آخرون فيحيون، ولسنا بمُخْرَجِينَ بعد موتنا
لحساب يوم القيامة.

٣٨ ما هذا الذي يدعي أنه رسول إليكم إلا رجل اختلق على الله كذباً بادعائه هذا، ولسنا له بمؤمنين.

٣٩ قال الرسول: رب انصُرني عليهم بأن تتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

٤٠ فأجابه الله قائلاً: بعد زمن قليل سيصبح هؤلاء المكذّبون بما جئت به نادمين على ما وقع منهم من التكذيب.

٤١ فأخذهم صوت شديد مهلك باستحقاقهم العذاب لتعتتهم، فصيرتهم هلكى مثل غشاء السيل، فهلاكاً للقوم الظالمين.

٤٢ ثم بعد إهلاكهم أنشأنا أقواماً وأممًا آخرين مثل قوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس.

٤٣ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● وجوب حمد الله على النعم.

● الترف في الدنيا من أسباب الغفلة أو الاستكبار عن الحق.

● عاقبة الكافر الندامة والخسران.

● الظلم سبب في البعد عن رحمة الله.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُّونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتَرَكَّلَ مَا جَاءَ أُمَّةٍ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى
وَآخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَةَ وَآيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ
بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٤٣﴾ لا تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لمجيء هلاكها، ولا تتأخر عنه، مهما كان لها من الوسائل.

﴿٤٤﴾ ثم بعثنا رسلنا متتابعين رسولاً رسولاً، كلما جاء أمة من تلك الأمم رسولها المبعوث إليها كذبوه، فأتبعنا بعضهم ببعض بالهلاك، فلم يبق لهم وجود إلا أحاديث الناس عنهم، فهلكوا لقوم لا يؤمنون بما جاءتهم به رسلهم من عند ربهم.

﴿٤٥﴾ ثم بعثنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع: (العصا، اليد، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، الطوفان، السنون، نقص الثمرات)، وبجحة واضحة.

﴿٤٦﴾ بعثناهما إلى فرعون والأشرف من قومه فاستكبرا، فلم يتقادوا للإيمان لهما، وكانوا قوماً مستعجلين على الناس بالقهر والظلم.

﴿٤٧﴾ فقالوا: أنؤمن لبشرين مثلاً، لا مزية لهما علينا، وقومهما (بنو إسرائيل) لنا مطيعون خاضعون؟!

﴿٤٨﴾ فكذبوهم فيما جاء به من عند الله، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالفرق.

﴿٤٩﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة رجاء أن يهدي بها قومه إلى الحق، ويعملوا بها.

﴿٥٠﴾ وصبرنا عيسى بن مريم وأمه مريم علامة دالة على قدرتنا، فقد حملت به من غير أب، وآويناها إلى مكان مرتفع من الأرض، مستو صالح للاستقرار عليه، فيه ماء جار متجدد.

﴿٥١﴾ يا أيها الرسل، كلوا مما أحللت لكم مما يستطاب أكله، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشرع، إني بما تعملون من عمل عليم، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء.

﴿٥٢﴾ وإن ملتكم - أيها الرسل - ملة واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فاتقوني بامتثال أوامري، واجتنب نواهي. فتفرق أتباعهم بعدهم في الدين، فصاروا أحزاباً وشيعاً، كل حزب معجب بما يؤمن أنه هو الدين المرضي عند الله، ولا يلتفت إلى ما عند غيره.

﴿٥٣﴾ فاتركهم - أيها الرسول - فيما هم فيه من الجهل والحيرة إلى حين نزول العذاب بهم.

﴿٥٤﴾ أيظن هؤلاء الأحزاب الفرحون بما لديهم أن ما نعطيههم من الأموال والأولاد في الحياة الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟ ليس الأمر كما ظنوا، إنما نعطيههم ذلك إملاءً واستدراجاً لهم، لكنهم لا يحسبون بذلك.

﴿٥٥﴾ إن الذين هم مع إيمانهم وإحسانهم وجلون من ربهم.

﴿٥٦﴾ والذين هم بآيات كتابه يؤمنون.

﴿٥٧﴾ والذين هم يوحدون ربهم لا يشركون به شيئاً.

﴿٥٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الاستكبار مانع من التوفيق للحق. ● إطابة المأكّل له أثر في صلاح القلب وصلاح العمل. ● التوحيد ملة جميع الأنبياء ودعوتهم.

● الإنعام على الفاجر ليس إكراماً له، وإنما هو استدراج.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٥﴾
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
 نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٧﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ
 هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
 يَجْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ لَا تَجْعُرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٧٠﴾ قَدْ كَانَتْ
 ءَايَاتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٧١﴾
 مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٢﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ
 جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٣﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
 فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ
 وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
 عَنِ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَارَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٨﴾
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٩﴾

٣٤٦

﴿٦٥﴾ والذين يجتهدون في أعمال البر، ويتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة وهم خائفون ألا يتقبل الله منهم إنفاقهم وأعمالهم الصالحة إذا رجعوا إليه يوم القيامة.

﴿٦٦﴾ أولئك الموصوفون بهذه الصفات العظيمة يبادرون إلى الأعمال الصالحة، وهم إليها سابقون، ومن أجلها سبقوا غيرهم.

﴿٦٧﴾ ولا نكلف نفساً إلا قدر ما تستطيعه من العمل، وعندنا كتاب أثبتنا فيه عمل كل عامل، ينطق بالحق الذي لا مرية فيه، وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم، ولا زيادة سيئاتهم.

﴿٦٨﴾ بل قلوب الكفار في غفلة من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، والكتاب الذي نزل عليهم، ولهم أعمال أخرى دون ما هم عليه من الكفر هم لها عاملون.

﴿٦٩﴾ حتى إذا عاقبنا منعميهم في الدنيا بالعذاب يوم القيامة إذا هم يرفعون أصواتهم مستغيثين.

﴿٧٠﴾ فيقال لهم تبيئنا لهم من رحمة الله؛ لا تصرخوا ولا تستغيثوا في هذا اليوم، فإنه لا ناصر لكم يمنعكم من عذاب الله.

﴿٧١﴾ قد كانت آيات كتاب الله تُقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم ترجعون مولين عنها إذا سمعتموها كراهية لها.

﴿٧٢﴾ تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بما تزعمونه من أنكم أهل الحرم ولستم أهله؛ لأن أهله هم المتقون، وتسامرون حوله بالسيئ من القول، فأنتم لا تقدسونه.

﴿٧٣﴾ أفلم يتدبر هؤلاء المشركون ما

أنزل الله من القرآن ليؤمنوا به، ويعملوا بما فيه، أم جاءهم ما لم يأت أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به.

﴿٧٤﴾ أم إنهم لم يعرفوا محمدًا ﷺ الذي أرسله الله إليهم، فهم منكرون له، لقد عرفوه وعرفوا صدقه وأمانته.

﴿٧٥﴾ بل يقولون: هو مجنون، لقد كذبوا، بل جاءهم بالحق الذي لا مرية فيه أنه من عند الله، ومعظمهم كارهون للحق، مبغضون له حسداً من عند أنفسهم، وتعصباً لباطلهم.

﴿٧٦﴾ ولو أجرى الله الأمور، ودبرها على وفق ما تهووا أنفسهم لفسدت السماوات والأرض، وفسد من فيهن لجهلهم بعواقب الأمور، وبالصحيح والنافع من التدبير، بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

﴿٧٧﴾ هل طلبت - أيها الرسول - أجراً من هؤلاء على ما جئتهم به، وذلك جعلهم يرفضون الدعوة؟ هذا لم يحدث منك، فتواب ربك وأجره خير من ثواب هؤلاء وغيرهم، وهو - سبحانه - خير الرازقين.

﴿٧٨﴾ وإنك - أيها الرسول - لتدعو هؤلاء وغيرهم إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام.

﴿٧٩﴾ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب وثواب عن طريق الإسلام لماثلون إلى غيرها من الطرق المعوجة الموصلة إلى النار.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• خوف المؤمن من عدم قبول عمله الصالح. • سقوط التكليف بما لا يُستطاع رحمة بالعباد. • الترف مانع من موانع الاستقامة وسبب في الهلاك. • قصور عقول البشر عن إدراك كثير من المصالح.

﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَحِمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَاءُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَلَّا سَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿٧٥﴾ ولو رحمتهم ورفعنا عنهم ما بهم من قحط وجوع لتمادوا في ضلالهم عن الحق يترددون ويتخبطون.

﴿٧٦﴾ ولقد اخترناهم بأنواع المصائب، فما تدللوا لرَبِّهم ولا خضعوا له، وما دعوه خاشعين ليرفع عنهم المصائب عند نزولها.

﴿٧٧﴾ حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد إذا هم فيه آيسون من كل فرج وخير.

ولما كان إنكار البعث لا يقع ممن ينتفع بسمعه وبصره وعقله ذكرهم الله بما أنعم عليهم به منها، فقال:

﴿٧٨﴾ والله سبحانه هو الذي خلق لكم - أيها المكذبون بالبعث - السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتفقهوا بها، ومع ذلك لا تشكرونه على هذه النعم إلا قليلاً.

﴿٧٩﴾ وهو الذي خلقكم - أيها الناس - في الأرض، وإليه وحده يوم القيامة تحشرون للحساب والجزاء.

﴿٨٠﴾ وهو وحده سبحانه الذي يحيي فلا محيي غيره، وهو وحده الذي يميت فلا مميت سواه، وإليه وحده تقدير اختلاف الليل والنهار ظلمة وإنارة وطولاً وقصرًا، أفلا تعقلون قدرته، وتفرده بالخلق والتدبير؟

﴿٨١﴾ بل قالوا مثل ما قال آباؤهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٨٢﴾ قالوا على وجه الاستبعاد والإنكار: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية أنا لمبعوثون أحياء للحساب؟

﴿٨٣﴾ لقد وعدنا هذا الوعد - وهو البعث بعد الموت - ووعد أسلافنا من قبل بذلك، ولم نر ذلك الوعد تحقق، ما هذا إلا أباطيل الأقدمين وأكاذيبهم.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار المنكرين للبعث: لمن هذه الأرض، ومن عليها إن كان لكم علم؟

﴿٨٥﴾ سيقولون: الأرض ومن عليها لله، فقل لهم: ألا تتذكرون أن من له الأرض ومن عليها قادر على إحيائكم بعد موتكم؟

﴿٨٦﴾ قل لهم: من رب السماوات السبع؟ ومن رب العرش العظيم الذي لا يوجد مخلوق أعظم منه؟

﴿٨٧﴾ سيقولون: السماوات السبع والعرش العظيم ملك لله، فقل لهم: أفلا تتقون الله بامتنال أوامره واجتتاب نواهيه لتسلموا من عذابه؟

﴿٨٨﴾ قل لهم: من الذي بيده ملك كل شيء، لا يشذ عن ملكه شيء، وهو يغيث من شاء من عباده، ولا أحد يمتنع ممن أراه هو بسوء، فيدفع عنه العذاب، إن كان لكم علم؟

﴿٨٩﴾ سيقولون: ملك كل شيء بيده سبحانه، فقل لهم: فكيف تذهب عقولكم، وتعبدون غيره مع إقراركم بذلك؟

﴿٩٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● عدم اعتبار الكفار بالنعم أو النقم التي تقع عليهم دليل على فساد فطرهم.

● كفران النعم صفة من صفات الكفار.

● التمسك بالتقليد الأعمى يمنع من الوصول للحق.

● الإقرار بالربوبية ما لم يصحبه إقرار بالالوهية لا ينجي صاحبه.

﴿٩٠﴾ ليس الأمر كما يدعون، بل جثاهاهم بالحق الذي لا مرية فيه، وإنهم لكاذبون فيما يدعون له من الشريك والولد، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿٩١﴾ ما اتخذ الله من ولد كما يزعم الكفار، وما كان معه من معبود بحق، ولو فرض أنه معه معبود بحق لذهب كل معبود بنصيبه من الخلق الذي خلقه، ولتألب بعضهم بعضاً، فيفسد نظام الكون، والواقع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فدل على أن المعبود بحق واحد وهو الله وحده، تنزه وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من الولد والشريك.

﴿٩٢﴾ عالم كل ما غاب عن خلقه، وعالم كل ما يشاهد ويدرك بالحواس، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فتعالى سبحانه أن يكون له شريك.

﴿٩٣﴾ قل - يا أيها الرسول -: رب إما تريني في هؤلاء المشركين ما وعدتهم من العذاب.

﴿٩٤﴾ رب إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم فيصيبني ما أصابهم من العذاب.

﴿٩٥﴾ وأنا على أن نجعلك تشاهد وترى ما نعدهم به من العذاب لقادرون، لا نعجز عن ذلك ولا عن غيره.

﴿٩٦﴾ ادفع - أيها الرسول - من يسيء إليك بالخصلة التي هي أحسن؛ بأن تصفح عنه، وتصبر على أذاه، نحن أعلم بما يصفون من الشرك والتكذيب، وبما يصفونك به مما لا يليق بك كالسحر والجنون.

﴿٩٧﴾ وقل: رب أعصم بك من

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

نَزَعَاتِ الشَّيَاطِينِ وَوَسَاوِسِهِمْ.

﴿٩٨﴾ وأعوذ بك رب أن يحضروني في شيء من أموري.

﴿٩٩﴾ حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین ما ينزل به قال ندماً على ما فات من عمره، وما فرط في جنب الله: رب ارجعني إلى الحياة الدنيا. ﴿١٠٠﴾ لعلني أعمل عملاً صالحاً إذا رجعت إليها، كلا، ليس الأمر كما طلب، إنها مجرد كلمة هو قائلها، فلورُد إلى الحياة الدنيا لما وفي بما وعد به، وسيبقى هؤلاء المتوفون في حازر بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور، فلا يرجعون منه إلى الدنيا ليستدركوا ما فاتهم، ويصلحوا ما أفسدوه. ﴿١٠١﴾ فإذا نفخ الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية المؤذنة بالقيامة، فلا أنساب بينهم يتفاخرون بها لا تشغالهم بأحوال الآخرة، ولا يسأل بعضهم بعضاً لانشغالهم بما يهمهم. ﴿١٠٢﴾ فمن ثقلت موازينه برجحان حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون بما ينالونه من مطلوبهم، وما يجتنبون من مرهوبهم. ﴿١٠٣﴾ ومن خفت موازينه لرجحان سيئاته على حسناته فأولئك هم الذين ضيعوا أنفسهم بفعل ما يضرها، وترك ما ينفعها من الإيمان والعمل الصالح، فهم في نار جهنم ما كانوا، لا يخرجون منها. ﴿١٠٤﴾ تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون.

شدة العبوس.

﴿١٠٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الاستدلال باستقرار نظام الكون على وحدانية الله. • إحاطة علم الله بكل شيء. • معاملة المسيء بالإحسان أدب إسلامي رفيع له تأثيره البالغ في الخصم. • ضرورة الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وإغراءاته.

أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تِلْكَ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْسَؤْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَتَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآبِرُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا الْيَتَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ لِّشَرِّكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٢٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ءَاثِمًا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٨﴾

سورة المؤمن

آياتها ٢٨

نزلت بها ٢٨

٣٤٩

﴿١٥﴾ ويقال لهم تقریباً لهم: ألم تكن آيات القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟

﴿١٦﴾ قالوا: ربنا غلب علينا ما سبق في علمك من شقاوتنا، وكنا قوماً ضالين عن الحق.

﴿١٧﴾ ربنا أخرجنا من النار، فإن رجعنا إلى ما كنا عليه من الكفر والضلال فإننا ظالمون لأنفسنا، قد انقطع عذرنا.

﴿١٨﴾ قال الله: اسكنوا أذلاء مهانين في النار، ولا تكلموني.

﴿١٩﴾ إنه كان فريق من عبادي الذين آمنوا بي يقولون: ربنا آمنا بك فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك، وأنت خير الراحمين.

﴿٢٠﴾ فاتخذتم هؤلاء المؤمنين الداعين ربهم محلاً للاستهزاء تسخرون منهم، وتستهزئون بهم حتى أنساكم الانشغال بالسخرية منهم ذكر الله، وكنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

﴿٢١﴾ إني جزيت هؤلاء المؤمنين الفوز بالجنة يوم القيامة: لصبرهم على طاعة الله وعلى ما كانوا يتلقونه منكم من الأذى.

ولما سألو الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، ذكّرهم بما عمّروا فيها مما يمكنهم من التوبة لو أرادوا ذلك.

﴿٢٢﴾ قال: كم مكثتم في الأرض من السنين؟ وكم أضعتم فيها من وقت؟

﴿٢٣﴾ فيجيبون بقولهم: مكثنا يوماً أو جزءاً من يوم، فاسأل الذين يعفون بحساب الأيام والشهور.

﴿٢٤﴾ قال: ما مكثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً يسهل الصبر فيه على الطاعة لو أنكم كنتم تعلمون مقدار مكثكم.

﴿٢٥﴾ أفحسبتم - أيها الناس - أنما خلقناكم لعباً دون حكمة، فلا ثواب ولا عقاب مثل البهائم، وأنكم لا ترجعون إلينا يوم القيامة للحساب والجزاء؟

﴿٢٦﴾ فتزّهر الله الملك المتصرّف في خلقه بما يشاء، الذي هو حق، ووعدته حق، وقوله حق، لا معبود بحق غيره، رب العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات، ومن كان رباً لأعظم المخلوقات فهو ربها كلها.

﴿٢٧﴾ ومن يدع مع الله معبوداً آخر لا حجة له على استحقاقه العبادة (وهذا شأن كل معبود غير الله) فإنما جزاء عمله السيئ عند ربه سبحانه، فهو الذي يجازيه بالعذاب عليه، إنه لا يفوز الكافرون بنيل ما يطلبون، ولا بالنجاة مما يهربون.

﴿٢٨﴾ وقل - أيها الرسول -: رب اغفر لي ذنوبي، وارحمني برحمتك وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الكافر حقير مهان عند الله.

• الاستهزاء بالصالحين ذنب عظيم يستحق صاحبه العذاب.

• تضییع العمر لازم من لوازم الكفر.

• الثناء على الله مظهر من مظاهر الأدب في الدعاء.

• لما افتتح الله سبحانه السورة بذكر صفات فلاح المؤمنين ناسب أن تختتم السورة بذكر خسارة الكافرين وعدم فلاحهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَأَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
 (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلِمَنِ الصِّدْقَيْنِ (٦) وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَتْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلِمَنِ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصِّدْقَيْنِ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

٣٥٠

من مقاصد السورة:
 الدعوة إلى العفاف وحماية الأعراض.
 التفسير:

هذه سورة أنزلناها، وأوجبنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها آيات بينات؛ رجاء أن تتذكروا ما فيها من الأحكام فتعملوا به.

(٢) الزانية والزاني البكران فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة، ولا تأخذكم بهما رقة ورحمة بحيث لا تقيمون عليهما الحد أو تخففونه عنهما، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليحضر إقامة الحد عليهما جمع من المؤمنين إمعاناً في التشهير بهما، وردعاً لهما ولغيرهما.

(٣) لتطبيع الزنى ذكر الله أن الذي اعتاده لا يرغب في الزواج إلا من زانية مثله أو مشركة لا تتوقى الزنى مع عدم جواز نكاحها، والتي اعتادت الزنى لا ترغب في الزواج إلا من زان مثلاً أو مشرك لا يتوقاه مع حرمة زواجها منه، وحُرْم نكاح الزانية ونكاح الزاني على المؤمنين.

(٤) والذين يرمون بالفاحشة العفاف من النساء، (والأعفاء من الرجال مثلهن)، ثم لم يأتوا بأربعة شهود على ما رموهن به من الفاحشة فاجلدوهم - أيها الحكام - ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك الذين يرمون العفاف هم الخارجون عن طاعة الله.

(٥) إلا الذين تابوا إلى الله بعد الذي أقدموا عليه من ذلك، وأصلحوا أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم

وشهادتهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

(٦) والرجال الذين يرمون زوجاتهم وليس لهم شهود غير أنفسهم يشهدون على صحة ما رموهن به؛ يشهد الواحد منهم أربع شهادات بالله؛ إنه لصادق فيما رمى به زوجته من الزنى.

(٧) ثم في شهادته الخامسة يزيد الدعاء على نفسه باستحقاق اللعنة إن كان كاذباً فيما رماها به.

(٨) فتستحق هي بذلك أن تُحد حد الزنى، ويدفع عنها هذا الحد أن تشهد هي أربع شهادات بالله؛ إنه لكاذب فيما رماها به.

(٩) ثم في شهادتها الخامسة تزيد الدعاء على نفسها بغضب الله عليها إن كان صادقاً فيما رماها به.

(١٠) ولولا تفضل الله عليكم - أيها الناس - ورحمته بكم، وأنه تواب على من تاب من عباده، حكيم في تدبيره وشرعه لعاجلكم بالعقوبة على ذنوبكم، ولفضحكم بها.

من فوائد الآيات:

- التمهيد للحديث عن الأمور العظام بما يؤذن بعظمتها.
- الزاني يفقد الاحترام والرحمة في المجتمع المسلم.
- الحصار الاجتماعي على الزناة وسيلة لتحسين المجتمع منهم، ووسيلة لردعهم عن الزنى.
- تنويع عقوبة القاذف إلى عقوبة مادية (الحد)، ومعنوية (رد شهادته، والحكم عليه بالفسق) دليل على خطورة هذا الفعل.
- لا يثبت الزنى إلا ببينة، وادعائه دونها كذف.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فِإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿١١﴾ إن الذين جاءوا بالبهتان - وهو رمي أم المؤمنين عائشة - بالفاحشة جماعة تتسب إليكم - أيها المؤمنون - لا تظنوا أن ما افتروه شر لكم، بل هو خير لما فيه من الثواب والتحصيص للمؤمنين، ولما يصعبه من تبرئة أم المؤمنين، لكل واحد شارك في رميها بالفاحشة جزاء ما اكتسبه من الإثم لتكلمه بالإفك، والذي تحمّل معظم ذلك ببذئه به له عذاب عظيم، والمقصود به رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

﴿١٢﴾ هلاً إذ سمع المؤمنون والمؤمنات هذا الإفك العظيم ظنوا سلامة من افترى عليه ذلك من إخوانهم المؤمنين، وقالوا: هذا كذب واضح.

﴿١٣﴾ هلاً أتى المفترون على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - على فريتهم العظيمة بأربعة شهود يشهدون على صحة ما نسبوا إليها، فإن لم يأتوا بأربعة شهود على ذلك - ولن يأتوا بهم أبداً - فهم كاذبون في حكم الله.

﴿١٤﴾ ولولا تفضل الله عليكم - أيها المؤمنون - ورحمته بكم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وتاب على من تاب منكم؛ لأصابكم عذاب عظيم بسبب ما خضتم فيه من الكذب والافتراء على أم المؤمنين.

﴿١٥﴾ إذ يرويه بعضكم عن بعض، وتتألفونه بأفواهكم مع بطلانه؛ فما لكم به علم، وتظنون أن ذلك سهل هين، وهو عند الله عظيم؛ لما فيه من الكذب ورمي بريء.

﴿١٦﴾ وهلاً إذ سمعتم هذا الإفك قلتم: ما يصح لنا أن نتكلم بهذا الأمر الشنيع، تنزيهاً لك ربنا، هذا الذي رموا به أم المؤمنين كذب عظيم.

﴿١٧﴾ يذكركم الله وينصحكم أن تعودوا لمثل هذا الإفك فترموا بريئاً بالفاحشة إن كنتم مؤمنين بالله.

﴿١٨﴾ ويوضح الله لكم الآيات المشتملة على أحكامه ومواعظه، والله عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها، حكيم في تديبره وشرعه.

﴿١٩﴾ إن الذين يحبون أن تشيع المنكرات - ومنها القذف بالزنى - في المؤمنين، لهم عذاب موعج في الدنيا بإقامة حد القذف عليهم، ولهم في الآخرة عذاب النار، والله يعلم كذبهم، وما يقول إليه أمر عباده، ويعلم مصالحتهم، وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿٢٠﴾ ولولا تفضل الله عليكم - أيها الواقعون في الإفك - ورحمته بكم، ولولا أن الله رؤوف رحيم بكم، لعاجلكم بالعقوبة.

﴿٢١﴾ من قوائد الآيات:

- تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة.
- المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم.
- تكريم أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بتبرئتها من فوق سبع سماوات.
- ضرورة التثبت تجاه الشائعات.

﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَمَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ مَدُّ يُوْقِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٦﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾

٣٥٢

﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، لَا تَتَّبِعُوا طَرِيقَ الشَّيْطَانِ فِي تَزِينِهِ لِلْبَاطِلِ، وَمَنْ يَتَّبِعْ طَرِيقَهُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَبِمَا يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مَا طَهَّرَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا بِالتَّوْبَةِ إِنْ تَابَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَطَهِّرُ مَنْ يَشَاءُ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٢٢﴾ وَلَا يَحْلِفُ أَهْلُ الْفَضْلِ فِي الدِّينِ وَأَصْحَابُ السَّعَةِ فِي الْمَالِ عَلَى تَرْكِ إعْطَاءِ أَقْرَبَائِهِمُ الْمُحْتَاجِينَ - لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - لِذَنْبِ ارْتِكَابِهِمْ، وَلِيَعْفُوا عَنْهُمْ، وَلِيَصْفَحُوا عَنْهُمْ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ إِذَا عَفَوْتُمْ عَنْهُمْ وَصَفَحْتُمْ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَلْيَتَأَسَّ بِهْ عِبَادَهُ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؓ لَمَّا حَلَفَ عَلَى تَرْكِ الْإِنْفَاقِ عَلَى مَسْطَحٍ لِمَشَارَكَتِهِ فِي الْإِفْكِ.

﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْعَافِيَةَ مِنَ الْغَافِلَاتِ عَنِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي لَا يَفْطِنُ لَهَا الْمُؤْمِنَاتُ، مُرَدُّوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٤﴾ يَحْصُلُ لَهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَا نَطَقُوا بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

﴿٢٥﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُوقِيهِمُ اللَّهُ جَزَاءَهُمْ بِعَدَلٍ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ هُوَ الْحَقُّ، فَكُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ خَبَرٍ أَوْ وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ حَقٌّ وَاضِحٌ لَا

مَرِيَّةٌ فِيهِ.

﴿٢٦﴾ كُلُّ خَبِيثٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مُنَاسِبٌ وَمَوَاقِفٌ لِمَا هُوَ خَبِيثٌ، وَكُلُّ طَيِّبٍ مِنْ ذَلِكَ مُنَاسِبٌ وَمَوَاقِفٌ لِمَا هُوَ طَيِّبٌ، أُولَئِكَ الطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبَاتُ مُبَرَّرُونَ مِمَّا يَقُولُونَ مِمَّا يَقُولُهُمْ خَبِيثَاتُ وَخَبِيثَاتُ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ يَغْفِرُ بِهَا ذُنُوبَهُمْ، وَلَهُمْ رِزْقٌ كَرِيمٌ وَهُوَ الْجَنَّةُ.

ولما كان الاطلاع على العورات سبباً لإثارة الشهوة المؤدية إلى ارتكاب الزنى المذكور في بداية السورة، أمر الله بالاستئذان على البيوت؛ حماية للنظر من الاطلاع على العورات، فقال:

﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا سَاكِنِيهَا فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِمْ، وَتُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ بَانَ تَقُولُوا فِي السَّلَامِ وَالِاسْتِئْذَانِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخَلَ؟ ذَلِكَ الِاسْتِئْذَانُ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدَّخُولِ فَجَاءَةً، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَتَمْتَلَوْهُ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكَلَامِ:

• إغراءات الشيطان ووساوسه داعية إلى ارتكاب المعاصي، فليحذرُها المؤمن. • التوفيق للتوبة والعمل الصالح من الله لا من العبد. • العفو والصفح عن المسيء سبب لغفران الذنوب. • قذف العفاف من كبائر الذنوب. • مشروعية الاستئذان لحماية النظر، والحفاظ على حرمة البيوت.

فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمْرِهِنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَدَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ فإن لم تجدوا في تلك البيوت أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم في دخولها ممن يملك الإذن، وإن قال لكم أربابها: (ارجعوا) فارجموا ولا تدخلوها، فإنه أظهر لكم عند الله، والله بما تعملون عليم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها. ﴿٢٩﴾ ليس عليكم حرج أن تدخلوا بيوتاً استئذاناً بيوتاً عامة لا تختص بأحد، أعدت للانتفاع العام؛ كالمكتبات والحواريات في الأسواق، والله يعلم ما تظهرون من أعمالكم وأحوالكم وما تخفون، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليه.

ولما كان النظر بريذاً إلى الزنى، أمر الله بغض البصر للوقاية منه، فقال:

﴿٣٠﴾ قل - أيها الرسول - للمؤمنين يكتفوا من أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم من الوقوع في المحرم، ومن كشفها، ذلك الكف عن النظر إلى ما حرمه الله وحفظ الفروج أظهر لهم عند الله، إن الله خير بما يصنعون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيهم عليه.

﴿٣١﴾ وقل للمؤمنات يكففن من أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من العورات، ويحفظن فروجهن بالبعد عن الفاحشة وبالستر، ولا يظهرن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها مما لا يمكن إخفاؤه كالثياب، وليضربن بأغطينتهن على فتحات أعلى ثيابهن ليسترن شعورهن ووجوههن وأعناقهن، ولا يظهرن زينتهن الخفية إلا لأزواجهن، أو آبائهن، أو آباء أزواجهن، أو أبنائهن، أو أبناء أزواجهن، أو إخوانهن، أو أبناء إخوانهن، أو نساءهن المأمونات، مسلمات كن أو كافرات، أو ما ملكن من العبيد ذكورا أو إناثا، أو التابعين الذين لا غرض لهم في النساء، أو الأطفال الذين لم يطلعوا على عورات النساء لصغرهم، ولا يضرب النساء بأرجلهن قصد أن يعلم ما يسترن من زينتهن مثل الخلخال وما شابهه، وتوبوا إلى الله جميعاً - أيها المؤمنون - مما يحصل لكم من النظر وغيره؛ رجاء أن تقوزوا بالمطلوب، وتتجوا من المرهوب.

﴿٣٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- جواز دخول المباني العامة دون استئذان.
- وجوب غض البصر على الرجال والنساء عما لا يحل لهم.
- وجوب الحجاب على المرأة.
- منع استخدام وسائل الإثارة.

ولما كانت العنوسة سبباً من أسباب انتشار الزنى، أمر الله بإعانة الأيامي على النكاح، فقال:

﴿٢١﴾ وزوجوا - أيها المؤمنون - الرجال الذين لا زوجات لهم، والحرائر اللاتي لا أزواج لهن، وزوجوا المؤمنين من عبيدكم ومن إمائكم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الواسع، والله واسع الرزق، لا ينقص رزقه إغناء أحد، عليم بأحوال عباده.

ولما أمر الله المؤمنين بتزويج الأيامي، أمر الأئمة أن يستعف إذا لم يجد ما يتزوج به، فقال:

﴿٢٢﴾ وليطلب الغصة عن الزنى الذين لا يستطيعون الزواج لفقرهم إلى أن يغنيهم الله من فضله الواسع، والذين يطلبون مكاتبه أسيادهم من العبيد على دفع مال ليحرروا، فعلى أسيادهم أن يقبلوا منهم ذلك إن علموا فيهم القدرة على الأداء والصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم من مال الله الذي أعطاهم بأن يحطوا عنهم جزءاً مما كاتبوهم على دفعه، ولا تجبروا إماءكم على الزنى بحثاً عن المال - كما فعل عبد الله بن أبي بأمية حين طلبنا التعفف والبعد عن الفاحشة - لتطلبوا ما تسببه بفرجها، ومن يجبرهن منكم على ذلك فإن الله من بعد الإيجاب لهن غفور لذنبهن، رحيم بهن؛ لأنهن مكرهات، والإثم على مكرههن.

﴿٢٣﴾ ولقد أنزلنا إليكم - أيها الناس - آيات واضحة مفصلات الحق من الباطل، وأنزلنا إليكم مثلاً من الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين، وأنزلنا عليكم

وَأَنذِرُوا أَلَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أَيْمَنُكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَيْسَتِ الْغَصَّةُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٣﴾ *اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٥﴾

مَوْعِظَةٌ يَتَعَطَّ بِهَا الَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٢٥﴾ الله نور السماوات والأرض، وهادي من فيهما، مثل نوره سبحانه في قلب المؤمن ككوة في حائط غير نافذة، فيها مصباح المصباح في زجاجة متوهجة كأنها كوكب مضيء كالدر، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة، هي شجرة الزيتون، الشجرة لا يسترها عن الشمس شيء، لا في الصباح ولا في المساء، يكاد زيتها لصفائها يضيء، ولو لم تمسسه نار، فكيف إذا مسته نار؟ نور المصباح على نور الزجاجة، وهكذا قلب المؤمن إذا أشرق فيه نور الهداية، والله يوفق لاتباع القرآن من يشاء من عباده، ويبين الله الأشياء بأشبابها بضربه للأمثال، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٢٦﴾ يوقد هذا المصباح في مساجد أمر الله أن يعلو قدرها وبنائها، ويذكر فيها اسمه بالأذان والذكر والصلاة، يُصَلِّي فيها ابتغاء مرضاة الله أول النهار وآخره.

﴿٢٧﴾ مِنْ قَوْلِهَا أَلَا تَأْتِي

• الله يَضِيقُ أسباب الرق (بالحرب) ووسع أسباب العتق وحض عليه .

• التخلص من الرِّق عن طريق المكاتب وإعانة الرقيق بالمال ليعتق حتى لا يشكل الرقيق طبقة مُستَرَدَّلة تمتلئ بالفاحشة.

• قلب المؤمن نُور بنور الفطرة، ونور الهداية الربانية.

• المساجد بيوت الله في الأرض أنشأها ليعبد فيها، فيجب إبعادها عن الأقذار الحسية والمعنوية.

• من أسماء الله الحسنى (النور) وهو يتضمن صفة النور له سبحانه.

رجال لا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله سبحانه، والإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وإعطاء الزكاة لمصارفها، يخافون يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة من العذاب والخوف منه، وتتقلب فيه الأبصار إلى أي ناحية تصير.

٣٧ عملوا ذلك ليشبههم الله على أعمالهم أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله جزاء عليها، والله يرزق من يشاء بغير حساب على قدر أعمالهم، بل يعطيهم أضعاف ما عملوا.

٣٨ والذين كفروا بالله أعمالهم التي عملوها لا ثواب لها مثل السراب بمنخفض من الأرض يراه العطشان فيظنه ماءً، فيسير إليه حتى إذا جاء ووقف عليه لم يجد ماءً، وكذا الكافر يظن أن أعماله تنفعه حتى إذا مات وبعث لم يجد ثوابها، ووجد ربه أمامه فوقه حساب عمله كاملاً، والله سريع الحساب.

٣٩ أو أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق، يعلوه موج، من فوق ذلك الموج موج آخر، من فوقه سحب يستر ما يهتدي به من النجوم، ظلمات متراكم بعضها فوق بعض، إذا أخرج من وقع في هذه الظلمات يده لم يكديصرها من شدة الظلمة، وهكذا الكافر، فقد تراكت عليه ظلمات الجهل والشك والحيرة والطبع على قلبه، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة، وعلماً بكتابه، فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستتير به.

٤٠ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسبح له من في السماوات، ويسبح له من في الأرض من مخلوقاته، وتسبح له الطيور قد صفت أجنتها في الهواء، كل من تلك المخلوقات علم الله صلاة من يصلي منها كالإنسان، وتسبح من يسبح منها كالطير، والله عليم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم شيء.

٤١ ولله وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

٤٢ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسوق سحاباً، ثم يضم أجزاء بعضه إلى بعض، ثم يجعله متراكماً يركب بعضه بعضاً، فترى المطر يخرج من داخل السحاب، وينزل من جهة السماء من السحاب المتكاثفة فيها التي تشبه الجبال في عظمتها قطعاً متجمدة من الماء كالحصى، فيصيب بذلك البرد من يشاء من عباده، ويصرفه عن يشاء منهم، يكاد ضوء برق السحاب من شدة لمعانه يذهب بالأبصار.

٤٣ من قوايد الآيات،

- موازنة المؤمن بين المشاغل الدنيوية والأعمال الأخروية أمر لازم.
- بطلان عمل الكافر لفقد شرط الإيمان.
- أن الكافر نشاز من مخلوقات الله المسيجة المطيعة.
- جميع مراحل المطر من خلق الله وتقديره.

رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا بَصِيرٌ ٣٧
لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا أَوْ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهَا الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّqَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٣٩
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ
يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ٤٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يَسْبِحُ لَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلُّ
قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ٤١ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ وَعن مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ٤٣

٤٤ من قوايد الآيات،

﴿٤٤﴾ يُعَاقِبُ اللَّهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ طُولًا وَقَصْرًا، وَمَجِيئًا وَذَهَابًا، إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ دَلَالَتِ الرُّبُوبِيَّةِ عِظَةً لِأَصْحَابِ الْبَصَائِرِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ.

﴿٤٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ مَا يَدَّبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ مِنْ نَظْفَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ زَحْفًا كَالْحَيَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ كَالْإِنْسَانِ وَالطَّيْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كَالْأَنْعَامِ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِمَّا ذَكَرَ وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ.

﴿٤٦﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَاللَّهُ يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، فَيُوصِلُهُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿٤٧﴾ وَيَقُولُ الْمُنَافِقُونَ: آمَنَّا بِاللَّهِ، وَآمَنَّا بِالرُّسُولِ، وَأَطَعْنَا اللَّهَ، وَأَطَعْنَا رَسُولَهُ، ثُمَّ تَوَلَّى طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَلَا يَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ بَعْدَ مَا زَعَمُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِهِمَا، وَمَا أَوْلَيْتُكَ الْمُتَوَلِّينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ.

﴿٤٨﴾ وَإِذَا دَعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الرَّسُولِ لِيَحْكُمَ الرَّسُولَ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْتَصِمُونَ فِيهِ، إِذَا هُمْ مَعْرُضُونَ عَنْ حُكْمِهِ لِنِفَاقِهِمْ.

﴿٤٩﴾ وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ، وَأَنَّهُ سَيَحْكُمُ لِمَصَالِحِهِمْ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُنْقَادِينَ خَاضِعِينَ.

﴿٥٠﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ هَؤُلَاءِ مَرَضٌ لَازِمٌ لَهَا، أَمْ شَكُّوا فِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، أَمْ

يَخَافُونَ أَنْ يَجُورَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ فِي الْحُكْمِ؟ لَيْسَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ، بَلْ لَعَلَّةَ فِي أَنْفُسِهِمْ سَبَبٌ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ حُكْمِهِ وَعِنَادِهِمْ لَهُ.

ولما ذكر موقف المنافقين الراضين لحكم الله ورسوله ذكر موقف المؤمنين الراضين به، فقال:

﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الرَّسُولِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: سَمِعْنَا قَوْلَهُ، وَأَطَعْنَا أَمْرَهُ، وَأَوْلَيْتُكَ الْمُتَصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿٥٢﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَيَطِيعِ رَسُولَهُ، وَيَسْتَسْلِمْ لِحُكْمِهِمَا، وَيَخَفْ مَا تَجَرَّهُ الْمَعَاصِي، وَيَتَّقِ عَذَابَ اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، فَأَوْلَيْتُكَ وَحْدَهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿٥٣﴾ وَحَلَفَ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ أَقْسَى أَيْمَانِهِمْ الْمَغْلَظَةِ الَّتِي يَسْتَطِيعُونَ الْحَلْفَ بِهَا: لَنْ أَمُرْتَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ لِيُخْرِجُنَّ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - : لَا تَحْلِفُوا، فَكَذَبَكُمْ مَعْرُوفٌ، وَطَاعَتُكُمْ الْمَزْعُومَةُ مَعْرُوفَةٌ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ مَهْمَا أَخْفَيْتُمُوهَا.

﴿٥٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• تنوع المخلوقات دليل على قدرة الله. • من صفات المنافقين الإعراض عن حكم الله إلا إن كان الحكم في صالحهم، ومن صفاتهم مرض القلب والشك، وسوء الظن بالله. • طاعة الله ورسوله والخوف من الله من أسباب الفوز في الدارين. • الحلف على الكذب سلوك معروف عند المنافقين.

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مَنْ بَعَدَ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ
أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ أَوْ يَكُنْ لَهُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
﴿٥٢﴾ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أَمُرْتَهُمْ لِيُخْرِجُنَّ قُلْ
لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ ذِكْرُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿٥٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، في الظاهر والباطن، فإن تتولوا عما أمرتم به من طاعتها فإنما عليه هو ما كُلف به من التبليغ، وعليكم أنتم ما كُلفتم به من الطاعة، والعمل بما جاء به، وإن تطيعوه بفعل ما أمركم بفعله وبالكف عما نهاكم عنه تهتدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا البلاغ الواضح، فليس عليه حملكم على الهداية، وإجباركم عليها.

﴿٥٥﴾ وعد الله الذين آمنوا منكم بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أن ينصرهم على أعدائهم، ويجعلهم خلفاء في الأرض مثل ما جعل من قبلهم من المؤمنين خلفاء فيها، ووعدهم أن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم - وهو دين الإسلام - مكيئاً عزيزاً، ووعدهم أن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني وحدي، لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد تلك النعم فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٦﴾ وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الرسول بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه؛ رجاء أن تتألوا رحمة الله.

﴿٥٧﴾ لا تظنن - أيها الرسول - الذين كفروا بالله يفوتونني إذا أردت أن أنزل بهم العذاب، وماوهم يوم القيامة جهنم، ونساء مصير من جهنم مصيرهم.

ولما ذكر الله من قبل أحكام استئذان الأحرار البالغين، ذكر هنا أحكام استئذان العبيد والأحرار غير البالغين، والأطفال إذا بلغوا، فقال: يا أيها الذين آمنوا بالله،

وعملوا بما شرعه لهم، ليطلب منكم الإذن عبيدكم وإماؤكم والأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا سن الاحتلام في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الصبح وقت إبدال ثياب النوم بثياب اليقظة، وفي وقت الظهيرة حين تخلعون ثيابكم للقبولة، وبعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت نومكم وخلع ثياب اليقظة ولبس ثياب النوم، هذه ثلاثة أوقات عورات لكم، لا يدخلون فيها عليكم إلا بعد إذن منكم، ليس عليكم حرج في دخولهم دون استئذان، ولا عليهم هم حرج فيما عداها من الأوقات، هم كثيرو التطواف عليكم، بعضكم يطوف على بعض، فيتعذر منهم من الدخول في كل وقت إلا باستئذان، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان ببيان لكم الآيات الدالة على ما شرعه لكم من أحكام، والله عليم بمصالح عباد، حكيم فيما يشرعه لهم من أحكام.

من قوايد الآيات:

- اتباع الرسول ﷺ علامة الاهتداء.
- على الداعية بذل الجهد في الدعوة، والنتائج بيد الله.
- الإيمان والعمل الصالح سبب التمكين في الأرض والأمن.
- تأديب العبيد والأطفال على الاستئذان في أوقات ظهور عورات الناس.

﴿٥٨﴾ وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام فليطلبوا الإذن عند الدخول على البيوت في كل الأوقات مثل ما ذكر بشأن الكبار سابقاً، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان ببيان الله لكم آياته، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم.

﴿٥٩﴾ والعجائز اللاتي قعدن عن العيض والحمل لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في النكاح فليس عليهن إثم أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والقناع، غير مظهرات للزينة الخفية التي أمرن بسترها، وأن يتركن وضع تلك الثياب خير لهن من وضعها إمعاناً في الستر والتعفف، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليها.

﴿٦٠﴾ ليس على الأعمى الذي فقد بصره إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم؛ إن تركوا ما لا يستطيعون القيام به من التكاليف كالجهاد في سبيل الله، وليس عليكم - أيها المؤمنون - إثم في الأكل من بيوتكم، ومنها بيوت آبائكم، ولا في الأكل من بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو إخوانكم أو أخواتكم أو أعمامكم أو عماتكم، أو أخوالكم أو خالاتكم، أو ما وكلتم على حفظه من البيوت مثل حارس البستان، ولا حرج في الأكل من بيوت صدقكم لطيب نفسه عادة بذلك، ليس عليكم إثم أن تأكلوا مجتمعين أو فرادى، فإذا دخلتم بيوتاً مثل البيوت المذكورة وغيرها فسلموا على من فيها بأن تقولوا: السلام عليكم، فإن لم يكن فيها أحد فسلموا على أنفسكم بأن تقولوا: السلام علينا

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ۖ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَوْ مَفَاتِحَهُ ۚ وَأَصْدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَاسْلَمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

وعلى عباد الله الصالحين، تحية من عند الله شرعها لكم مباركة؛ لما تنشره من المودة والألفة بينكم، طيبة تطيب بها نفس سامعها، بمثل هذا التبیین المتقدم في السورة ببيان الله الآيات رجاء أن تعقلوها، وتعملوا بما فيها.

﴿٦١﴾ من فوائد الآيات،

- جواز وضع العجائز بعض ثيابهن لانتهاء الرية من ذلك.
- الاحتياط في الدين شأن المتقين.
- الأعذار سبب في تخفيف التكليف.
- المجتمع المسلم مجتمع التكافل والتأزر والتأخي.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذٍ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهُ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

آيَاتُهَا
٧٧

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

مِثْقَالُهَا
٣٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَتَقْدِيرًا ﴿٢﴾

٣٥٩

ولما ذكر الله الاستئذان عند الانصراف، فقال:
﴿٦٢﴾ إنما المؤمنون الصادقون في
إيمانهم هم الذين آمنوا بالله وأمنوا
برسوله، وإذا كانوا مع النبي ﷺ في
أمر يجمعهم لمصلحة المسلمين، لم
ينصرفوا حتى يطلبوا منه الإذن في
الانصراف، إن الذين يطلبون منك
-أيها الرسول- الإذن عند الانصراف
أولئك الذين يؤمنون بالله، ويؤمنون
برسوله حقًا، فإذا طلبوا منك الإذن
لبعض أمر يهمهم فأذن لمن شئت أن
تأذن له منهم، واطلب لهم المغفرة
لذنوبهم، إن الله غفور لذنوب من تاب
من عباده، رحيم بهم.

﴿٦٣﴾ شَرِّفُوا - أيها المؤمنون -
رسول الله، فإذا ناديتوه فلا تداوه
باسمه مثل: يا محمد، أو باسم أبيه
مثل: يا ابن عبد الله، كما يفعل بعضكم
مع بعض، ولكن قولوا: يا رسول الله،
يا نبي الله، وإذا دعاكم لأمر عام فلا
تجعلوا دعوته كدعوة بعضكم بعضًا في
الأمور التافهة عادة، بل سارعوا إلى
الاستجابة لها، فإن الله يعلم الذين
ينصرفون منكم خفية دون إذن،
فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله
ﷺ أن يصيبهم الله بحنة وبلاء، أو
يصيبهم بعداب موجه لا صبر لهم
عليه.

﴿٦٤﴾ ألا إن لله وحده ما في السموات
وما في الأرض خلقًا وملكًا وتديرًا،
يعلم ما أنتم - أيها الناس - عليه من
الأحوال، لا يخفى عليه منها شيء،
ويوم القيامة - حين يرجعون إليه
بالبعث بعد الموت - يخبرهم بما
عملوا من أعمال في الدنيا، والله بكل
شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

مَكِّيَّةٌ

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

● الانتصار للرسول ﷺ وللقرآن ودفع شبهة المشركين.

● التفسير:

● تعاضل وكثر خير الذي نزل القرآن فارقًا بين الحق والباطل على عبده ورسوله محمد ﷺ؛ ليكون رسولاً إلى الثقلين الإنس
والجن، مخوفاً لهم من عذاب الله. ﴿٢﴾ الذي له وحده ملك السموات وملك الأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وخلق
جميع الأشياء، فقد خلقها وفق ما يقتضيه علمه وحكمته تقديراً، كل بما يناسبه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● دين الإسلام دين النظام والآداب، وفي الالتزام بالآداب بركة وخير. ● منزلة رسول الله ﷺ تقتضي توقيره واحترامه أكثر من
غيره. ● شؤم مخالفة سنة النبي ﷺ. ● إحاطة ملك الله وعلمه بكل شيء.

﴿٣﴾ واتخذ المشركون من دون الله معبودات لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون، فقد خلقهم الله من عدم، ولا يستطيعون دفع ضرر عن أنفسهم، ولا جلب نفع لها، ولا يستطيعون إمامة حيٍّ، ولا إحياء ميت، ولا يستطيعون بعث الموتى من قبورهم.

ولما ذكّرهم شركهم بالله ذكر موقفهم من كتابه ومن رسوله، فقال: ﴿٤﴾ وقال الذين كفروا بالله وبرسوله: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد فنسبه بهتاناً إلى الله، وأعانه على اختلاقه أناس آخرون، فقد افترى هؤلاء الكافرون قولاً باطلاً، فالقرآن كلام الله، لا يمكن أن يأتي البشر ولا الجن بمثله.

﴿٥﴾ وقال هؤلاء المكذبون بالقرآن: القرآن أحاديث الأولين وما يسطرونه من الأباطيل، استسخها محمد، فهي تُقرأ عليه أول النهار وآخره.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: أنزل القرآن الله الذي يعلم كل شيء في السماوات والأرض، وليس مُحْتَلَقاً كما زعمتم، ثم قال مرغبا لهم بالتوبة: إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٧﴾ وقال المشركون المكذبون بالنبي ﷺ: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول من عند الله يأكل الطعام كما يأكل غيره من الناس، ويسير في الأسواق بحثاً عن المعاش، هلاً أنزل الله معه ملكاً يكون رفيقه يصدقه ويساعده.

﴿٨﴾ أو ينزل عليه كنز من السماء، أو تكون له حديقة يأكل من ثمرها،

فيستغني عن المشي في الأسواق وطلب الرزق، وقال الظالمون: ما تتبعون - أيها المؤمنون - رسولاً، وإنما تتبعون رجلاً مغلوباً على عقله بسبب السحر.

﴿٩﴾ انظر - أيها الرسول - لتعجب منهم كيف وصفوك بأوصاف باطلة، فقالوا: ساحر، وقالوا: مسحور، وقالوا: مجنون، فضلاً بسبب ذلك عن الحق، فلا يستطيعون سلوك طريق للهداية، ولا يستطيعون سبيلاً إلى القدح في صدقك وأمانتك.

﴿١٠﴾ تبارك الله الذي إن شاء جعل لك خيراً مما اقترحوه لك، بأن يجعل لك في الدنيا حقائق تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها تأكل من ثمارها، ويجعل لك قصوراً تسكن فيها مُنْعَماً.

﴿١١﴾ ولم يصدر منهم ما صدر من الأقوال طلباً للحق وبحثاً عن البرهان، بل الحاصل أنهم كذبوا بيوم القيامة، وأعدنا لمن كذب بيوم القيامة نازراً عظيمة شديدة الاشتعال.

﴿١٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اتصاف الإله الحق بالخلق والنفع والإمامة والإحياء، وعجز الأصنام عن كل ذلك.
- إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله.
- الرسالة لا تستلزم انتفاء البشرية عن الرسول.
- تواضع النبي ﷺ حيث يعيش كما يعيش الناس.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا
إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَهُمْ ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾
وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَنَذِيرًا ﴿٧﴾
أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ وَجَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۚ
وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَّقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا
۝١٣ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٤
قُلْ أَذَلِك خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۝١٥ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خُلْدٌ
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۝١٦ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٧ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَسْبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۝١٨
فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝١٩
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠

١٣ إذا عاينت النار الكفار وهم يساقون إليها من مكان بعيد سمعوا لها غليظاً شديداً، وصوتاً مزعجاً من شدة غضبها عليهم.

١٤ وإذا رُمي هؤلاء الكفار في جهنم في مكان ضيق منها مقرونة أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل دعوا على أنفسهم بالهلاك؛ رجاء الخلاص منها.

١٥ لا تدعوا - أيها الكفار - اليوم هلاكاً واحداً، وادعوا هلاكاً كثيراً، لكن لن تجابوا إلى ما تطلبون، بل ستبقون في العذاب الأليم خالدين.

١٦ قل لهم - أيها الرسول -: أذلك المذكور من العذاب الذي وُصف لكم خير أم جنة الخلد التي يدوم نعيمها، ولا ينقطع أبداً؟ وهي التي وعد الله المتقين من عباده المؤمنين أن تكون لهم ثواباً، ومرجعاً يرجعون إليه يوم القيامة.

١٧ لهم في هذه الجنة ما يشاؤون من النعيم، كان ذلك على الله وعداً، يسأله إياه عباده المتقون، ووعد الله متحقق، فهو لا يخلف الميعاد.

١٨ ويوم يحشر الله المشركين المكذبين، ويحشر ما يعبدونه من دون الله، فيقول للمعبودين تقريراً لعباديتهم: أنتم أضللتم عبادي بأمركم لهم أن يعبدوكم، أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم؟

١٩ قال المعبدون: تنزهت ربنا أن يكون لك شريك، ما يليق بنا أن نتخذ من دونك أولياء نتولاهم، فكيف ندعو عبادك أن يعبدونا من دونك؟ ولكن تمتعت هؤلاء المشركين بملذات الدنيا، وامتعت آباءهم من قبلهم استدراجاً لهم حتى نسوا ذكرك، فعبدوا معك غيرك، وكانوا قوماً هلكى بسبب شقائهم.

٢٠ فقد كذبكم - أيها المشركون - من عبدتموهم من دون الله فيما تدعونهم عليهم، فما تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم ولا نصرها لعجزكم، ومن يظلم منكم - أيها المؤمنون - بالشرك بالله نذقه عذاباً عظيماً مثل ما أذقناه من ذكر.

ولما استنكر المشركون أن الرسول ﷺ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ردّ الله عليهم بقوله: وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - من المرسلين إلا بشراً كانوا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، فلست بدّعاً من الرسل في ذلك، وجعلنا بعضكم لبعض اختباراً في الغنى والفقر والصحة والمرض بسبب هذا الاختلاف، أتصبرون على ما ابتليتم به فيثيبكم الله على صبركم؟ وكان ربك بصيراً بمن يصبر ومن لا يصبر، وبمن يطيعه ومن يعصيه.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الجمع بين التهيب من عذاب الله والترغيب في ثوابه.
- متع الدنيا مُنْسِيَةً لذكر الله.
- بشرية الرسل نعمة من الله للناس لسهولة التعامل معهم.
- تفاوت الناس في النعم والنقم اختبار إلهي لعباده.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُنَّ كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حَجَرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَكَةُ
تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ
أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُ
إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَحِيدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

٣٦٢

﴿٢١﴾ وقال الكافرون الذين لا يؤمنون
لقائنا، ولا يخشون عذابنا: هلا أنزل
الله علينا الملائكة، فتخبرنا عن
صدق محمد، أو نشاهد ربنا عياناً،
فيخبرنا بذلك؟ لقد عظم الكبر في
نفوس هؤلاء حتى منعهم من الإيمان،
وتجاوزوا بقولهم هذا الحد في الكفر
والطغيان.

﴿٢٢﴾ يوم يعاين الكافرون الملائكة
عند موتهم، وفي البرزخ، وعند
بعثهم، وحين يُساقون للحساب، وحين
يدخلون في النار - لا بشارة لهم في
تلك المواقف، بخلاف المؤمنين،
وتقول لهم الملائكة: حراماً محرماً
عليكم البشرى من الله.

﴿٢٣﴾ وعمدنا إلى ما عمله الكفار في
الدنيا من عمل البر والخير فصيرناه
في بطلانه وعدم نفعه بسبب كفرهم
مثل الغبار المفرق يراه الناظر في
شعاع الشمس الداخل من النافذة.

﴿٢٤﴾ المؤمنون أصحاب الجنة في
ذلك اليوم أفضل مقاماً، وأحسن مكان
راحة وقت قائلتهم في الدنيا من هؤلاء
الكفار؛ ذلك لإيمانهم بالله وعملهم
الصالح.

﴿٢٥﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم تتشقق
السماء عن سحب بيضاء رقيقة، ونُزِّلَ
الملائكة إلى أرض المحشر تنزيلاً
كثيراً لكثرتهم.

﴿٢٦﴾ المَلَكُ الذي هو المَلَكُ الحق
الثابت يوم القيامة للرحمن سبحانه،
وكان ذلك اليوم على الكفار صعباً
بخلاف المؤمنين فإنه سهل عليهم.

﴿٢٧﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم
يَعْصُ الظالم بسبب ترك اتباع الرسول
ﷺ على يديه من شدة الندم قائلاً: يا

ليتني اتبعت الرسول فيما جاء به من عند ربه، واتخذت معه طريقاً إلى النجاة.

﴿٢٨﴾ ويقول من شدة الأسف داعياً على نفسه بالويل: يا ويلي ليتني لم أتحذ الكافر فلاناً صديقاً.

﴿٢٩﴾ لقد أضلني هذا الصديق الكافر عن القرآن بعد أن بلغني عن طريق الرسول، وكان الشيطان للإنسان كثير الخذلان، إذا نزل
به كرب تبرأ منه.

﴿٣٠﴾ وقال الرسول في ذلك اليوم شاكياً حال قومه: يا رب، إن قومي الذين بعثتني إليهم تركوا هذا القرآن وأعرضوا عنه.

﴿٣١﴾ ومثل ما لاقيت - أيها الرسول - من قومك من الإيذاء والصد عن سبيلك جعلنا لكل نبي من الأنبياء من قبلك عدواً من
مجرمي قومه، وكفى بربك هادياً يهدي إلى الحق، وكفى به نصيراً ينصرك على عدوك.

﴿٣٢﴾ وقال الذين كفروا بالله: هلا نُزِّلَ على الرسول هذا القرآن دفعة واحدة، ولم يُنزل عليه مفرقاً، نزلنا القرآن كذلك مفرقاً
لنثبت قلبك - أيها الرسول - بنزوله مرة بعد مرة، وأنزلناه شيئاً بعد شيء لتسهيل فهمه وحفظه.

﴿٣٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الكفر مانع من قبول الأعمال الصالحة.

• خطر قرناء السوء.

• ضرر هجر القرآن.

• من جكّم تنزيل القرآن مفرقاً طمأنة النبي ﷺ وتيسير فهمه وحفظه والعمل به.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٢٣﴾
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ
 شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَآخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا
 إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٢٦﴾
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمُ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّيْسِ وَقُرُونًا بَيِّنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾ وَكُلًّا
 ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى
 الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرُ السَّوءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَتَرَجَّوْنَ نُشُورًا ﴿٣٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٣١﴾ إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٣٣﴾

﴿٢٣﴾ ولا يأتيك - أيها الرسول - المشركون بمثل مما يقترحونه إلا جئناك بالجواب الحق الثابت عليه، وجئناك بما هو أحسن بيانًا.

﴿٢٤﴾ الذين يُساقون يوم القيامة مسحوبين على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانًا؛ لأن مكانهم جهنم، وأبعد طريقًا عن الحق؛ لأن طريقهم طريق الكفر والضلال.

﴿٢٥﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، وصيّرنا معه أخاه هارون رسولًا ليكون له معينًا.

﴿٢٦﴾ فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بآياتنا. فامثلا أمرنا، وذهبا إليهم فذعواهم إلى توحيد الله، فكذبوهما فأهلكناهم إهلاكًا شديدًا.

﴿٢٧﴾ وقوم نوح لما كذبوا الرسل بتكذيبهم نوحًا ﷺ أهلكناهم بالفرق في البحر، وصيّرنا إهلاكهم دلالة على قدرتنا على استئصال الظالمين، وأعدنا للظالمين يوم القيامة عذابًا موجعًا.

﴿٢٨﴾ وأهلكنا عادًا قوم هود، وثمود قوم صالح، وأهلكنا أصحاب البئر، وأهلكنا أممًا كثيرة بين هؤلاء الثلاث. ﴿٢٩﴾ وكل من هؤلاء المهلكين وصفنا له إهلاك الأمم السابقة وأسبابه ليتعظوا، وكلًا أهلكناه إهلاكًا شديدًا لكفرهم وعنادهم.

﴿٣٠﴾ ولقد أتى المكذبون من قومك - في ذهابهم إلى الشام - إلى قرية قوم لوط التي أمطرت بالحقارة؛ عقابًا لها على فعل الفاحشة ليعتبروا، أقعّموا عن هذه القرية فلم يكونوا يشاهدونها؛ لا، بل كانوا لا يتوقعون بعثًا يحاسبون بعدهم.

﴿٣١﴾ وإذا قابلك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون سخروا منك قائلين على سبيل الاستهزاء والإنكار: أهذا الذي بعثه الله رسولًا إيناه؟

﴿٣٢﴾ لقد أوشك أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، لولا أن صبرنا على عبادتها لصرفنا عنها بحججه وبراهينه، وسوف يعلمون حين يعاينون العذاب في قبورهم ويوم القيامة من أضل طريقًا أم هو؟ وسيعلمون أنهم الأضل.

﴿٣٣﴾ أرايت - أيها الرسول - من جعل من هواها فاطعاه، فأنت تكون عليه حفيظًا تردّه إلى الإيمان، وتمنعه من الكفر؟ من قوايد الآيات،

- الكفر بالله والتكذيب بآياته سبب إهلاك الأمم.
- غياب الإيمان بالبعث سبب عدم الاتعاظ.
- السخرية بأهل الحق شأن الكافرين.
- خطر اتباع الهوى.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ وَسَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْضِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُنْشِئَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا نُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهَدَهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

الجزء
٣٧

٣٦٤

﴿٤٤﴾ بل تحسب - أيها الرسول - أن أكثر الذين تدعوهم إلى توحيد الله وطاعته يسمعون سماع قبول أو يعقلون الحجج والبراهين؟ ليسوا إلا مثل الأنعام في السماع والتعقل والفهم، بل هم أضل طريقًا من الأنعام.

﴿٤٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى آثار خلق الله حين بسط الظل على وجه الأرض، ولو شاء أن يجعله ساكنًا لا يتحرك لجعله كذلك، ثم صيرنا الشمس دلالة عليه، يطول بها ويقصر.

﴿٤٦﴾ ثم قبضنا الظل بالنقص يتدرج شيئًا فشيئًا قبضًا قليلًا حسب ارتفاع الشمس.

﴿٤٧﴾ والله هو الذي صير لكم الليل بمنزلة لباس يستركم، ويستر الأشياء، وهو الذي صير لكم النوم راحة تستريحون به من أشغالكم، وهو الذي صير لكم النهار وقتًا تتطلقون فيه إلى أعمالكم.

﴿٤٨﴾ وهو الذي بعث الرياح مبشرة بنزول المطر الذي هو من رحمته بعباده، وأنزلنا من السماء ماء المطر طاهرًا يتطهرون به.

﴿٤٩﴾ لنحيي بذلك الماء النازل أرضًا قاحلة لا نبات فيها بإنباتها بأنواع النبات وبث الخضرة فيها، ولنسقي بذلك الماء مما خلقنا أنعامًا وبشرًا كثيرًا.

﴿٥٠﴾ ولقد بينا ونوعنا في القرآن الحجج والبراهين ليعتبروا بها، فأبى معظم الناس إلا كفورًا بالحق وتنكرا له.

﴿٥١﴾ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية رسولًا ينذرهم ويخوفهم من عقاب الله، لكننا لم نشأ ذلك، وإنما بعثنا

محمدًا ﷺ رسولًا إلى جميع الناس.

﴿٥٢﴾ فلا تطع الكفار فيما يطالبونك به من مدهانتهم، وفيما يقدمونه من اقتراحات، وجاهدهم بهذا القرآن المُنَزَّل عليك جهادًا عظيمًا بالصبر على أذاهم وتحمل المشاق في دعوتهم إلى الله.

﴿٥٣﴾ والله سبحانه هو الذي خلط ماء البحرين، خلط العذب منهما بالمالح، وصير بينهما حاجزًا وسترًا ساترًا يمنعهما من التمازج. وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة بشرًا، ومن خلق البشر أنشأ علاقة القرابة وعلاقة المصاهرة، وكان ربك - أيها الرسول - قديرًا لا يعجزه شيء، ومن قدرته خلق الإنسان من مني الذكر والمرأة.

﴿٥٤﴾ ويبعد الكفار من دون الله أصنامًا لا تنفعهم إن أطاعوها، ولا تضرهم إن عصوها، وكان الكافر تابعًا للشيطان على ما يسخط الله سبحانه.

﴿٥٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• انحطاط الكافر إلى مستوى دون مستوى الحيوان بسبب كفره بالله.

• ظاهرة الظل آية من آيات الله الدالة على قدرته.

• تنويع الحجج والبراهين أسلوب تربوي ناجح.

• الدعوة بالقرآن من صور الجهاد في سبيل الله.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَعَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

﴿٥٦﴾ وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً من أطاع الله بالإيمان والعمل الصالح، ومنذراً من عصاه بالكفر والعصيان.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول -: لا أسألكم على تبليغ الرسالة من أجر إلا من شاء منكم أن يتخذ طريقاً إلى مرضاة الله بالإنفاق فليضل.

﴿٥٨﴾ وتوكل - أيها الرسول - في جميع أمورك على الله الحي الباقي الذي لا يموت أبداً، ونزّهه مثبّثاً عليه سبحانه، وكفى به بذنوب عباده خبيراً لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٥٩﴾ الذي خلق السماوات وخلق الأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم علا وارتفع على العرش علواً يليق بجلاله، وهو الرحمن، فاسأل - أيها الرسول - به خبيراً، وهو الله الذي يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء.

﴿٦٠﴾ وإذا قيل للكفار: اسجدوا للرحمن، قالوا: لا نسجد للرحمن، وما الرحمن؟ لا نعرفه ولا نقرّ به، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له ونحن لا نعرفه؟ وزادهم أمره لهم بالسجود له بُعْداً عن الإيمان بالله.

﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء منازل للكواكب والنجوم السيارة، وجعل في السماء شمساً تشعّ النور، وجعل فيها قمراً ينير الأرض بما يعكسه من ضوء الشمس.

﴿٦٢﴾ والله هو الذي صيّر الليل والنهار متعاقبين يعقب أحدهما الآخر ويخلفه، لمن أراد أن يعتبر بآيات الله فيتهدي، أو أراد شكر الله على نعمه.

ولما ذكر الله في هذه السورة الكفار المعرضين عن الإيمان بالله

وطاعته، ذكر صفات عباده الصالحين المقبلين على طاعته فقال:

﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن المؤمنون الذين يمشون على الأرض بوقار متواضعين، وإذا خاطبهم الجاهل لم يقابلوهم بالمثل، بل يقولون لهم معروفاً لا يجهلون فيه عليهم.

﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً على جباههم، وقِيَامًا على أقدامهم يصلُّون لله.

﴿٦٥﴾ والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أبعد عنا عذاب جهنم، إن عذاب جهنم كان دائماً ملازماً لمن مات كافراً.

﴿٦٦﴾ إنها ساءت مكان استقرار لمن استقرّ فيها، وساءت مقاماً لمن يقيم فيها.

﴿٦٧﴾ والذين إذا بذلوا أموالهم لم يصلُّوا في بذلهم لها إلى حد التبذير، ولم يضيّقوا في بذلها على من تجب عليهم نفقته من أنفسهم أو غيرها، وكان إنفاقهم بين التبذير والتقتير عدلاً وسطاً.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الداعي إلى الله لا يطلب الجزاء من الناس. ● ثبوت صفة الاستواء لله بما يليق به ﷻ. ● أن الرحمن اسم من أسماء الله لا يشاركه فيه أحد قط، دال على صفة من صفاته وهي الرحمة. ● إعانة العبد بتعاقب الليل والنهار على تدارك ما فاتته من الطاعة في أحدهما. ● من صفات عباد الرحمن التواضع والحلم، وطاعة الله عند غفلة الناس، والخوف من الله، والتزام التوسط في الإنفاق وفي غيره من الأمور.

﴿٣٨﴾ والذين لا يدعون مع الله سبحانه معبوداً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما أذن الله به من قتل القاتل أو المرتد أو الزاني المحصن، ولا يزنون، ومن يفعل هذه الكبائر يلقى يوم القيامة عقوبة ما ارتكبه من الإثم.

﴿٣٩﴾ يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد في العذاب ذليلاً حقيراً.

﴿٤٠﴾ لكن من تاب إلى الله وآمن، وعمل عملاً صالحاً يدل على صدق توبته، فأولئك يبدل الله ما عملوه من السيئات حسنات، وكان الله غفوراً رحيمًا لذنوب من تاب من عباده، رحيمًا بهم.

﴿٤١﴾ ومن تاب إلى الله، وبَرَّهَنَ على صدق توبته بفعل الطاعات وترك المعاصي فإن توبته توبة مقبولة.

﴿٤٢﴾ والذين لا يحضرون الباطل؛ كمواطن المعاصي والملاهي المحرمة، وإذا مروا باللغو من ساقط الأقوال والأفعال مروا عابرين، مُكْرَمِينَ أنفسهم بتزويجها عن مخالطته.

﴿٤٣﴾ والذين إذا ذُكِرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ المسموعة والمشهدة لم يصموا أذانهم عن الآيات المسموعة، ولم يعموا عن الآيات المشهدة.

﴿٤٤﴾ والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من أزواجنا، ومن أولادنا من يكون قرة عين لنا لتقواه واستقامته على الحق، وصبرنا للمتقين أئمة في الحق يُقْتَدَى بنا.

﴿٤٥﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات يجزون الغرفات العالية في الفردوس الأعلى من الجنة بسبب صبرهم على طاعة الله، وَلَقَدْ فِيهَا مِنَ الملائكة

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ﴿٢٢٧﴾ رَتَبَهَا ٢٦

بالتحية والسلام، وَيَسْلُمُونَ فِيهَا مِنَ الْآفَاتِ.

﴿٧٦﴾ ماكنين فيها أبدًا، حسنت مكان استقرار يستقرون فيه، ومكان مقام يقيمون فيه.

﴿٧٧﴾ قل - أيها الرسول - للكفار المصيرين على كفرهم: ما يبالي بكم ربي لنفع يعود إليه من طاعتكم، لولا أن له عبادًا يدعونه دعاء عبادة ودعاء مسألة لما بالى بكم، فقد كذبتكم الرسول فيما جاءكم به من ربكم، فسوف يكون جزاء الكذب ملازمًا لكم.

﴿٧٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

● من صفات عباد الرحمن: البعد عن الشرك، وتجنب قتل الأنفس بغير حق، والبعد عن الزنى، والبعد عن الباطل، والاعتبار بآيات الله، والدعاء.

● التوبة النصوح تقتضي ترك المعصية وفعل الطاعة.

● الصبر سبب في دخول الفردوس الأعلى من الجنة.

● غنى الله عن إيمان الكفار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● من مقاصد السورة:

بيان آيات الله في تأييد المرسلين وإهلاك المكذبين.

● التثنية:

● (طس) تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

● تلك آيات القرآن المبين للحق من الباطل.

● (لعلك) أيها الرسول - لحرصك على هدايتهم قاتل نفسك حزناً وحرصاً على هدايتهم.

● (إن نشأ) إنزال آية عليهم من السماء أنزلناها عليهم، فتظل أعناقهم خاضعة لها ذليلة، لكننا لم نشأ ذلك ابتلاء لهم: هل يؤمنون بالغيب؟

● وما يجيء هؤلاء المشركين من تذكير محدث إنزاله من الرحمن بحججه الدالة على توحيده وصدق نبيه إلا أعرضوا عن سماعه والتصديق به.

● فقد كذبوا بما جاءهم به رسولهم، فسيأتيهم تحقيق أنباء ما كانوا به يسخرون، ويحل عليهم العذاب.

● (أبقي هؤلاء مضرين على كفرهم فلم ينظروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل نوع من أنواع النبات حسن المنظر كثير المنافع؟)

● (إن في إنبات الأرض بأنواع مختلفة من النبات لدلالة واضحة على قدرة من أنبتها على إحياء الموتى، وما كان معظمهم مؤمنين.

● (وإن ربك) أيها الرسول - فهو الغالب الذي لا يغلبه أحد، الرحيم بعباده.

● (وإذ نادى ربك موسى أمراً إياه أن يأتي القوم الظالمين بكفرهم بالله واستعباد قوم موسى.

● وهم قوم فرعون، فبأمرهم برفق ولين بتقوى الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

● قال موسى: ﴿إني أخاف أن يكذبوني فيما أبلغهم به عنك، ويضيق صدري لتكذيبهم إياي، وينحس لسانى عن الكلام، فأرسل جبريل﴾ إلى أخي هارون ليكون معيلاً لي.

● ولهم علي ذنب بسبب قتلي القبطي فأخاف أن يقتلوني.

● قال الله لموسى: ﴿كلا، لن يقتلك، فاذهب أنت وأخوك هارون بآياتنا الدالة على صدقكم، فإننا معكم بالنصر والتأييد مستمعون لما تقولون ولما يقال لكم، لا يفوتنا من ذلك شيء.﴾ فأتيا فرعون، فقولا له: إنا رسولان إليك من رب المخلوقات كلها.﴾ أن ابعت معنا بني إسرائيل.﴾ قال فرعون لموسى: ﴿ألم نربك لدينا صغيراً، ومكثت فينا من عمرك سنين، فما الذي دعاك إلى ادعاء النبوة؟﴾ وفعلت أمراً عظيماً حين قتلت القبطي انتصاراً لرجل من قومك، وأنت من الجاحدين لنعمي عليك.

● من فوائد الآيات:

● حرص الرسول ﷺ على هداية الناس. ● إثبات صفة العزة والرحمة لله. ● أهمية سعة الصدر والفصاحة للداعية. ● دعوات الأنبياء تحرير من العبودية لغير الله. ● احتج فرعون على رسالة موسى بوقوع القتل منه ﷺ فأقر موسى بالفعل، مما يشعر بأنها ليست حجة لفرعون بالكذب.

● (وإذ نادى ربك موسى أمراً إياه أن يأتي القوم الظالمين بكفرهم بالله واستعباد قوم موسى.

● وهم قوم فرعون، فبأمرهم برفق ولين بتقوى الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

● قال موسى: ﴿إني أخاف أن يكذبوني فيما أبلغهم به عنك، ويضيق صدري لتكذيبهم إياي، وينحس لسانى عن الكلام، فأرسل جبريل﴾ إلى أخي هارون ليكون معيلاً لي.

● ولهم علي ذنب بسبب قتلي القبطي فأخاف أن يقتلوني.

● قال الله لموسى: ﴿كلا، لن يقتلك، فاذهب أنت وأخوك هارون بآياتنا الدالة على صدقكم، فإننا معكم بالنصر والتأييد مستمعون لما تقولون ولما يقال لكم، لا يفوتنا من ذلك شيء.﴾ فأتيا فرعون، فقولا له: إنا رسولان إليك من رب المخلوقات كلها.﴾ أن ابعت معنا بني إسرائيل.﴾ قال فرعون لموسى: ﴿ألم نربك لدينا صغيراً، ومكثت فينا من عمرك سنين، فما الذي دعاك إلى ادعاء النبوة؟﴾ وفعلت أمراً عظيماً حين قتلت القبطي انتصاراً لرجل من قومك، وأنت من الجاحدين لنعمي عليك.

● من فوائد الآيات:

● حرص الرسول ﷺ على هداية الناس. ● إثبات صفة العزة والرحمة لله. ● أهمية سعة الصدر والفصاحة للداعية. ● دعوات الأنبياء تحرير من العبودية لغير الله. ● احتج فرعون على رسالة موسى بوقوع القتل منه ﷺ فأقر موسى بالفعل، مما يشعر بأنها ليست حجة لفرعون بالكذب.

﴿٢٠﴾ قال موسى ﷺ لفرعون معترفاً: قتلت ذلك الرجل وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني الوحي.

﴿٢١﴾ فهربت منكم بعد قتله إلى قرية مَدْيَنَ لما خفت من قتلكم إياي به، فأعطاني ربي علماً، وصيرني من رسله الذين يرسلهم إلى الناس.

﴿٢٢﴾ وتربيتك إياي من غير أن تستعبدني مع استعبادك بني إسرائيل نعمة تمنّ بها علي بحق، لكن ذلك لا يمنعني من دعوتك.

﴿٢٣﴾ قال فرعون لموسى ﷺ: وما رب المخلوقات الذي زعمت أنك رسوله؟

﴿٢٤﴾ قال موسى مجيباً فرعون: رب المخلوقات هو رب السماوات ورب الأرض، ورب ما بينهما إن كنتم موقنين أنه ربهم فاعبدوه وحده.

﴿٢٥﴾ قال فرعون لمن حوله من سادة قومه: ألا تستمعون إلى جواب موسى، وما فيه من زعم كاذب؟

﴿٢٦﴾ قال لهم موسى: الله ربكم ورب آبائكم السابقين.

﴿٢٧﴾ قال فرعون: إن الذي يزعم أنه رسول إليكم لمجنون لا يعي كيف يجب، ويقول ما لا يعقل.

﴿٢٨﴾ قال موسى: الله الذي أدعوكم إليه هو رب المشرق، ورب المغرب، ورب ما بينهما إن كانت لكم عقول تعقلون بها.

﴿٢٩﴾ قال فرعون لموسى بعد عجزه عن مُجَاجَته: لئن عبت معبوداً غيري لأصيرنك من المسجونين.

﴿٣٠﴾ قال موسى ﷺ لفرعون: أتصيرني من المسجونين حتى لو جئتكم بما يبين صدقي فيما جئتكم به من عند الله؟

﴿٣١﴾ قال: فأنت بما ذكرت أنه يدل

قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ بِالْغَايِرِ لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ وَفِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَاحِقُولِهِ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

على صدقك إن كنت من الصادقين فيما تدّعيه.

﴿٢٠﴾ فرمى موسى عصاه فجاء ثعباناً واضحاً للعيان.

﴿٢١﴾ وأدخل يده في جيبه غير بيضاء، فأخرجها بيضاء بياضاً نورانياً لا بياض برّص، يشاهده الناظرون كذلك.

﴿٢٢﴾ قال فرعون لسادة قومه من حوله: إن هذا الرجل لساحر عليم بالسحر.

﴿٢٣﴾ يريد بسحره أن يخرجكم من أرضكم، فما رأيكم فيما تتخذونه فيه؟

﴿٢٤﴾ قالوا له: أخّره وأخّر أخاه، ولا تبادر بعقوبتهما، وأرسل في مدائن مصر من يجمعون السحرة.

﴿٢٥﴾ يأتوك بكل سحّار عليم بالسحر.

﴿٢٦﴾ فجمع فرعون سحرته لمباراة موسى في مكان وزمان محددين.

﴿٢٧﴾ وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتروا الغالب أهو موسى أم السحرة؟

﴿٢٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● أخطاء الداعية السابقة والنعم التي عليه لا تعني عدم دعوته لمن أخطأ بحقه أو أنعم عليه. ● اتخاذ الأسباب للحماية من العدو

لا ينال في الإيمان والتوكل على الله. ● دلالة مخلوقات الله على ربوبيته ووحدانيته. ● ضعف الحجة سبب من أسباب ممارسة العنف.

● إثارة العامة ضد أهل الدين أسلوب الطغاة.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِنِّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَأَنْتُمْ مُلْقُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ وَقَبِلْ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ
 وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا
 إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ
 مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَغَالِيُطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ
 ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

﴿٣٦٩﴾

﴿٤٠﴾ رجاء أن نتبع السحرة في دينهم
 إن كانت الغلبة لهم على موسى.
 ﴿٤١﴾ فلما جاء السحرة إلى فرعون
 ليغالوا موسى قالوا له: هل لنا جزاء
 مادي أو معنوي إن كانت الغلبة لنا على
 موسى؟

﴿٤٢﴾ قال لهم فرعون: نعم لكم
 جزاء، وإنكم في حال فوزكم عليه لمن
 المقربين عندي بإعطائكم المناصب
 الرفيعة.

﴿٤٣﴾ قال لهم موسى واثقاً بنصر الله
 ومبيناً أن ما عنده ليس سحراً: ألقوا ما
 أنتم ملقوه من حبالكم وعصيكم.

﴿٤٤﴾ فألقوا حبالهم وعصيتهم،
 وقالوا عند إلقائها: بظلمة فرعون إنا
 لنحن الغالبون، وموسى هو المغلوب.

﴿٤٥﴾ فألقى موسى عصاه فانقلبت
 حية، فإذا هي تبتلع ما يؤمّون به على
 الناس من السحر.

﴿٤٦﴾ فلما أبصر السحرة عصا موسى
 تبتلع ما ألقوه من سحرهم سقطوا
 ساجدين.

﴿٤٧﴾ قالوا: أمانا برب المخلوقات
 كلها.

﴿٤٨﴾ رب موسى وربي هارون.

﴿٤٩﴾ قال فرعون منكراً على السحرة
 إيمانهم: أأنتم بموسى قبل أن أذن
 لكم بذلك؟ إن موسى لهو كبيركم
 الذي علمكم السحر، وقد تأمرتم
 جميعاً على إخراج أهل مصر منها،
 فلسوف تعلمون ما أوقعه بكم من
 عقاب، فلا قطعن رجل كل واحد ويده
 مخالفاً بينهما يقطع الرجل اليمنى
 مع اليد اليسرى أو العكس، ولأصلبكنم
 أجمعين على جذوع النخل، لا أستبقي
 منكم أحداً.

﴿٥٠﴾ قال السحرة لفرعون: لا ضرر فيما تهددنا به من القطع والصلب في الدنيا، فعذابك يزول، ونحن إلى ربنا منقلبون، وسيدخلنا
 في رحمته الدائمة.

﴿٥١﴾ إنا نرجو أن يمحو الله عنا خطايانا السابقة التي ارتكبتها لأجل أن كنا أول من آمن بموسى وصدق به.

﴿٥٢﴾ وأوحينا إلى موسى آمرين إياه أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، فإن فرعون ومن معه متبعوهم ليردوهم.

﴿٥٣﴾ فبعث فرعون بعض جنوده في المدائن جامعين يجمعون الجيوش ليردوا بني إسرائيل لما علم بمسيرهم من مصر.

﴿٥٤﴾ قال فرعون مقللاً من شأن بني إسرائيل: إن هؤلاء لطائفة قليلة.

﴿٥٥﴾ وإنهم لفاعلون ما يغيظنا عليهم.

﴿٥٦﴾ وإنا لمستعدون لهم متيقظون.

﴿٥٧﴾ فأخرجنا فرعون وقومه من أرض مصر ذات الحقائق الغناء، والعيون الجارية بالماء.

﴿٥٨﴾ وذات خزان المال، والمساكن الحسنة. ﴿٥٩﴾ وكما أخرجنا فرعون وقومه من هذه النعم صيرنا جنس هذه النعم من بعدهم لبني
 إسرائيل في بلاد الشام. ﴿٦٠﴾ فسار فرعون وقومه في إثر بني إسرائيل في وقت شروق الشمس.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• العلاقة بين أهل الباطل هي المصالح المادية. • ثقة موسى بالنصر على السحرة تصديقاً لوعده ربه. • إيمان السحرة برهان
 على أن الله هو مُصَرِّفُ القلوب يصرفها كيف يشاء. • الطفيلان والظلم من أسباب زوال الملك.

﴿٦١﴾ فلما تقابل فرعون وقومه مع موسى وقومه بحيث صار يرى كل فريق الفريق الآخر، قال أصحاب موسى: إن فرعون وقومه سيلحقوننا، ولا قبل لنا بهم.

﴿٦٢﴾ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما تصورتهم، فإن معي ربي بالتأييد والنصر، سيرشدني ويدلني إلى طريق النجاة.

﴿٦٣﴾ فأوحينا إلى موسى أمرين إياه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه بها، فانشق البحر وتحول إلى اثني عشر مسلكاً بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة منشقة من البحر مثل الجبل العظيم في العظم والثبات بحيث لا يسيل منها ماء.

﴿٦٤﴾ وقرنا فرعون وقومه حتى دخلوا البحر ظانين أن الطريق سالك. ﴿٦٥﴾ وأنقذنا موسى ومن معه من بني إسرائيل، فلم يهلك منهم أحد. ﴿٦٦﴾ ثم أهلكنا فرعون وقومه بالفرق في البحر.

﴿٦٧﴾ إن في انفلاق البحر لموسى ونجاته وهلاك فرعون وقومه آية دالة على صدق موسى، وما كان أكثر من مع فرعون بمؤمنين.

﴿٦٨﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

﴿٦٩﴾ وأتل عليهم - أيها الرسول - قصة إبراهيم.

﴿٧٠﴾ حين قال لأبيه أزر وقومه: ما الذي تعبدونه من دون الله؟

﴿٧١﴾ قال له قومه: نعبد أصناماً فنظّل مقيمين على عبادتها ملازمين لها.

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَاطَّوَْدِ الْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَرْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ
﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَكَفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ
يَسْمَعُونَكُمْ إِذَا تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

٣٧٠

﴿٧٢﴾ قال لهم إبراهيم: هل تسمع الأصنام دعاءكم حين تدعونهم؟

﴿٧٣﴾ أو ينفعونكم إن أطعتموهم، أو يضرّونكم إن عصيتموهم؟

﴿٧٤﴾ قالوا: لا يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا إن أطعناهم، ولا يضرّوننا إن عصيناهم، بل الحاصل أننا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك، فنحن نقلدهم.

﴿٧٥﴾ قال إبراهيم: أتأملتُم فرأيتم ما كنتم تعبدون من الأصنام من دون الله.

﴿٧٦﴾ وما كان يعبد آباؤكم الأولون.

﴿٧٧﴾ فإنهم كلهم أعداء لي؛ لأنهم باطل إلا الله رب المخلوقات كلها.

﴿٧٨﴾ الذي خلقني، فهو يرشدني إلى خيري الدنيا والآخرة.

﴿٧٩﴾ والذي هو وحده يطعمني إذا جعت، ويسقيني إذا عطشت. ﴿٨٠﴾ وإذا مرضت فهو وحده الذي يشفيني من المرض لا شافي لي غيره. ﴿٨١﴾ والذي هو وحده يتوفاني إذا انقضى أجلي، ويحييني بعد موتي. ﴿٨٢﴾ والذي أرجوه وحده أن يغفر لي خطيئتي يوم الجزاء.

﴿٨٣﴾ قال إبراهيم داعياً ربه: رب أعطني فقهاً في الدين، والحقني بالصالحين من الأنبياء قبلي بأن تدخلني الجنة معهم.

﴿٨٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

• الله مع عباده المؤمنين بالنصر والتأييد والإنجاء من الشدائد. • ثبوت صفتي العزة والرحمة لله تعالى. • خطر التقليد الأعمى. • أمل المؤمن في ربه عظيم.

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِنَّهُ وَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُجِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَافِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدْقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَكُمْ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَكُمْ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

﴿٨٤﴾ واجعل لي ذكراً جميلاً وثناء حسناً فيمن يجيء من القرون بعدي. ﴿٨٥﴾ واجعلني ممن يرث منازل الجنة التي يتنعم فيها عبادك المؤمنون، وأسكنني فيها. ﴿٨٦﴾ واغفر لأبي؛ إنه كان من الضالين عن الحق بسبب الشرك، دعا إبراهيم لأبيه قبل أن يتبين له أنه من أصحاب الجحيم، فلما تبين له ذلك تبرأ منه ولم يدع له. ﴿٨٧﴾ ولا تفضحني بالعذاب يوم يبعث الناس للحساب. ﴿٨٨﴾ يوم لا ينفع فيه مال قد جمعه الإنسان في دنياه، ولا بنون كان ينتصر بهم. ﴿٨٩﴾ إلا من جاء الله بقلب سليم؛ لا شرك فيه ولا نفاق ولا رياء ولا عجب، فإنه ينتفع بماله الذي أنفقه في سبيل الله، وبأبنائه الذين يدعون له. ﴿٩٠﴾ وقربت الجنة للمتقين لربهم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. ﴿٩١﴾ وأظهرت النار في المحشر للضالين الذين ضلوا عن دين الحق. ﴿٩٢﴾ وقيل لهم تقريراً لهم: آين ما كنتم تعبدونه من الأصنام؟ ﴿٩٣﴾ تعبدونهم من دون الله؟ هل ينصرونكم بمنعكم من عذاب الله، أو ينتصرون هم لأنفسهم؟ ﴿٩٤﴾ فرمى بعضهم في الجحيم فوق بعضهم ومن أضلّوهم. ﴿٩٥﴾ وأعوان إبليس من الشياطين كلهم، لا يستثنى منهم أحد. ﴿٩٦﴾ قال المشركون الذين كانوا يعبدون غير الله، ويتخذونهم شركاء من دونه، وهم يتخاصمون مع من كانوا يعبدونهم من دونه:

﴿٩٧﴾ تالله لقد كنا في ضلال واضح عن الحق. ﴿٩٨﴾ إذ جعلكم مثل رب المخلوقات كلها، فتعبدكم كما نعبد. ﴿٩٩﴾ وما أضلنا عن طريق الحق إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادتهم من دون الله. ﴿١٠٠﴾ فليس لنا شافعون يشفعون لنا عند الله لينجينا من عذابه. ﴿١٠١﴾ وليس لنا صديق خالص المودة يدافع عنا ويشفع لنا. ﴿١٠٢﴾ فلو أن لنا رجعة إلى الحياة الدنيا فنكون من المؤمنين بالله. ﴿١٠٣﴾ إن في ذلك المذكور من قصة إبراهيم عليه السلام، ومصير المكذبين لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين. ﴿١٠٤﴾ وإنا ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم. ﴿١٠٥﴾ كذبت قوم نوح المرسلين حين كذبوا نوحاً عليه السلام. ﴿١٠٦﴾ إذ قال لهم أخوهم في النسب نوح: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟ ﴿١٠٧﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين لا أزيد على ما أوحاه الله إلي ولا أنقص. ﴿١٠٨﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه. ﴿١٠٩﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات لا على غيره. ﴿١١٠﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه. ﴿١١١﴾ قال له قومه: أنؤمن بك - يا نوح - ونتبع ما جئت به ونعمل والحال أن أتباعك إنما هم السفلة من الناس، فلا يوجد فيهم السادة والأشراف؟

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أهمية سلامة القلب من الأمراض كالحسد والرياء والعُجب. • تعليق المسؤولية عن الضلال على المضلين لا تتفع الضالين.
- التكذيب برسول الله تكذيب بجميع الرسل. • حسن التخلص في قصة إبراهيم من الاستطراد في ذكر القيامة ثم الرجوع إلى خاتمة القصة.

قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَه يَسْنُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَعْيُنٍ وَبَيْنٍ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتِ وَعْيُونُ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

٣٧٢

﴿١١٢﴾ قال لهم نوح ﷺ: وما علمي بما كان هؤلاء المؤمنون يعملون؟ فليست وكيلاً عليهم أحصي أعمالهم. ﴿١١٣﴾ ما حسابهم إلا على الله الذي يعلم سرائرهم وعلاياهم وليس إلي، لو تشعرون لما قلت ما قلت. ﴿١١٤﴾ ولست بطارد المؤمنين عن مجلسي استجابة لطلبكم كي تؤمنوا. ﴿١١٥﴾ ما أنا إلا نذير واضح الفذارة أذكركم عذاب الله. ﴿١١٦﴾ قال له قومه: لئن لم تكف عماً تدعونا إليه لتكونن من المشتومين والمقتولين بالرمي بالحجارة. ﴿١١٧﴾ قال نوح داعياً ربه: رب إن قومي كذَّبوني، ولم يصدقوني فيما جئت به من عندك. ﴿١١٨﴾ فاحكم بيني وبينهم حكماً يهلكهم لإصرارهم على الباطل، وأتقذني ومن معي من المؤمنين مما تهلك به الكفار من قومي. ﴿١١٩﴾ فاستجبنا له دعاء، وأنجيناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس والحيوان. ﴿١٢٠﴾ ثم أغرقنا بعدهم الباقين، وهم قوم نوح. ﴿١٢١﴾ إن في ذلك المذكور من قصة نوح وقومه، ونجاة نوح ومن معه من المؤمنين، وهلاك الكافرين من قومه لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين. ﴿١٢٢﴾ وإن ربك - أيها الرسول - هو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم. ﴿١٢٣﴾ كذبت عاد المرسلين حين كذبوا رسولهم هوداً ﷺ. ﴿١٢٤﴾ اذكر حين قال لهم أخوهم في

النسب هود: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بترك عبادة غيره خوفاً منه؟

﴿١٢٥﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، آمين لا أزيد على ما أمرني الله بتبليغه ولا أنقصه.

﴿١٢٦﴾ فاتقوا الله؛ بامتنال أوامر، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.

﴿١٢٧﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

﴿١٢٨﴾ أتبنون بكل مكان مشرف مرتفع بنياناً علماً عبثاً دون فائدة تعود عليكم في دنياكم أو آخرتكم؟

﴿١٢٩﴾ وتتخذون حصوناً وقصوراً كأنكم تخلصون في هذه الدنيا، ولا تتفكرون عنها؟

﴿١٣٠﴾ وإذا سطوتكم بالقتل أو الضرب سطوتكم جبارين من غير رافة ولا رحمة.

﴿١٣١﴾ فاتقوا الله بامتنال أوامر، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه.

﴿١٣٢﴾ وخافوا من سخط الله الذي أعطاكم من نعمه ما تعلمون. ﴿١٣٣﴾ أعطاكم أنعاماً، وأعطاكم أولاداً. ﴿١٣٤﴾ أعطاكم بساتين وعبوداً جارية. ﴿١٣٥﴾ إني أخاف عليكم - يا قومي - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة. ﴿١٣٦﴾ قال له قومه: يستوي عندنا تذكيرك لنا وعدم تذكيرك، فلن نؤمن بك، ولن نرجع عما نحن عليه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• أفضلية أهل السبق للإيمان حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء. • إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سُنَّةَ إلهية. • خطر الركوب

إلى الدنيا. • تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا خُنَّ بِمُعْذِبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ نَاءَ آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاضِمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿١٣٧﴾ ليس هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم.

﴿١٣٨﴾ ولسنا بمُعذِّبين.

﴿١٣٩﴾ فاستمروا على تكذيب نبيهم هود عليه السلام، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم بالريح العقيم، إن في ذلك الإهلاك لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿١٤٠﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عبادته.

﴿١٤١﴾ كذبت ثمود الرسل بتكذيبهم نبيهم صالحاً عليه السلام.

﴿١٤٢﴾ إذ قال لهم أخوهم في النسب صالح: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟

﴿١٤٣﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، آمين فيما أبلغه عنه لا أزيد عليه ولا أنقص منه.

﴿١٤٤﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، ونهيتمكم عنه.

﴿١٤٥﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

﴿١٤٦﴾ أطمعون أن تُتركوا فيما أنتم فيه من الخيرات والنعم آمين لا تخافون؟

﴿١٤٧﴾ في بساتين وعيون جارية.

﴿١٤٨﴾ وزروع ونخل ثمرها لين نصيب.

﴿١٤٩﴾ وتقطعون الجبال لتصنعوا بيوتاً تسكنونها وأنتم ما هرون بنحتها.

﴿١٥٠﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.

﴿١٥١﴾ ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم بارتكاب المعاصي.

﴿١٥٢﴾ الذين يفسدون في الأرض بما ينشرونه من المعاصي، ولا يصلحون أنفسهم بالتزام طاعة الله.

﴿١٥٣﴾ قال له قومه: إنما أنت ممن سُحروا مراراً حتى غلب السحر على عقولهم فأذهبها.

﴿١٥٤﴾ لست إلا بشراً مثلاً فلا مزية لك علينا حتى تكون رسولاً، فأت بعلمة تدل على أنك رسول إن كنت صادقاً فيما تدعيه من أنك رسول.

﴿١٥٥﴾ قال لهم صالح - وقد أعطاه الله علامة، وهي ناقة أخرجها الله من الصخرة - هذه ناقة ترى وتلمس، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب معلوم، لا تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم، ولا تشربون أنتم في اليوم الذي هو نصيبها.

﴿١٥٦﴾ ولا تمسوها بما يسوؤها من عُقر أو ضرب، فإننا لكم بسبب ذلك عذاب من الله يهلككم به في يوم عظيم لما فيه من البلاء النازل عليكم.

﴿١٥٧﴾ فاتقوا على عُقرها، فعقرها أشقاهم، فأصبحوا نادمين على ما أقدموا عليه لما علموا أن العذاب نازل بهم لا محالة، لكن الندم عند معاينة العذاب لا ينفع.

﴿١٥٨﴾ فأخذهم العذاب الذي أوعدوا به وهو الزلزلة والصيحة، إن في ذلك المذكور من قصة صالح وقومه لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿١٥٩﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عبادته.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• توالي النعم مع الكفر استدراج للهلاك. • التذكير بالنعم يُرتجى منه الإيمان والعودة إلى الله من العبد. • المعاصي هي سبب الفساد في الأرض.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْأَلُ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

بعده أشد إهلاك.

﴿١٦٠﴾ كذبت قوم لوط المرسلين
﴿١٦١﴾ لئذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تتقون؟
﴿١٦٢﴾ إني لكم رسول أمين
﴿١٦٣﴾ فأتقوا الله وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه.
﴿١٦٤﴾ إني لست بمرسل من ربي، لا على غيري.
﴿١٦٥﴾ أتأتون الذكر من العالمين؟
﴿١٦٦﴾ بل أنتم قوم عادون.
﴿١٦٧﴾ قالوا: لئن لم تنته يلو، لتكونن من المخرجين.
﴿١٦٨﴾ قال: إني لعملكم من القالين.
﴿١٦٩﴾ رب نجني وأهلي مما يعملون.
﴿١٧٠﴾ فجئناه وأهله أجمعين.
﴿١٧١﴾ إلا عجوزاً في الغابرين.
﴿١٧٢﴾ ثم دمرنا الآخرين.
﴿١٧٣﴾ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين.
﴿١٧٤﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين.
﴿١٧٥﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم.
﴿١٧٦﴾ كذب أصحاب لئكة المرسلين.
﴿١٧٧﴾ لئذ قال لهم شعيب: ألا تتقون؟
﴿١٧٨﴾ إني لكم رسول أمين.
﴿١٧٩﴾ فأتقوا الله وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه.
﴿١٨٠﴾ إني لست بمرسل من ربي، لا على غيري.
﴿١٨١﴾ * أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين.
﴿١٨٢﴾ وزنوا بالقسط أطلب المستقيم.
﴿١٨٣﴾ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعنوا في الأرض مفسدين.

﴿١٦٠﴾ وأُنزلنا عليهم حجارة من السماء مثل إنزال المطر، فقبح مطر هؤلاء الذين كان ينذرهم لوط ويحذرهم من عذاب الله إن هم استمروا على ما هم عليه من ارتكاب المنكر.
﴿١٦١﴾ إن في ذلك المذكور من العذاب النازل على قوم لوط بسبب فعل الفاحشة، لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.
﴿١٦٢﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.
﴿١٦٣﴾ كذب أصحاب القرية ذات الشجر الملتف ذات الشجر الملتف المرسلين حين كذبوا نبينهم شعيباً.
﴿١٦٤﴾ لئذ قال لهم نبينهم شعيب: ألا تتقون الله بترك الشرك به خوفاً منه؟
﴿١٦٥﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين فيما أبلغه عنه، لا أزيد على ما أمرني بتبليغه ولا أنقص.
﴿١٦٦﴾ فأتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.
﴿١٦٧﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.
﴿١٦٨﴾ أتأتوا للناس الكيل عندما تبيعونهم، ولا تكونوا ممن ينقص الكيل إذا باع للناس.
﴿١٦٩﴾ وزنوا إذا وزنتم لغيركم بالميزان المستقيم.
﴿١٧٠﴾ ولا تنقصوا الناس حقوقهم، ولا تكثرُوا في الأرض الفساد بارتكاب المعاصي.
﴿١٧١﴾ من قوايا الآيات،
• اللواط شذوذ عن الفطرة ومنكر عظيم. • من الابتلاء للداعية أن يكون أهل بيته من أصحاب الكفر أو المعاصي. • العلاقات الأرضية ما لم يصحبها الإيمان، لا تنفع صاحبها إذا نزل العذاب. • وجوب وفاء الكيل وحرمة التطفيف.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَآخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ وَلِتُنْزِلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ وَلَفِي زُبرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿١٨٤﴾ واتقوا الذي خلقكم، وخلق الأمم السابقة بالخوف منه أن ينزل بكم عقابه.

﴿١٨٥﴾ قال قوم شعيب لشعيب: إنما أنت من الذين أصابهم السحر مراراً حتى غلب السحر على عقلك، فقَيَّبه.

﴿١٨٦﴾ ولست إلا بشراً مثلنا فلا مزية لك علينا، فكيف تكون رسولاً؟ ولا نظنك إلا كاذباً فيما تدعيه من أنك رسول.

﴿١٨٧﴾ فأسقط علينا قطعاً من السماء إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

﴿١٨٨﴾ قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿١٨٩﴾ فاستمروا على تكذيبه، فأصابهم عذاب عظيم حيث أظلمتهم سحابة بعد يوم شديد الحر، فأمرت عليهم نازراً فأحرقتهم، إن يوم إهلاكهم كان يوماً عظيم الهول.

﴿١٩٠﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك قوم شعيب لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿١٩١﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

﴿١٩٢﴾ وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ منزل من رب المخلوقات.

﴿١٩٣﴾ نزل به جبريل الأمين ﷺ. ﴿١٩٤﴾ نزل به على قلبك - أيها الرسول - لتكون من الرسل الذين يندرون الناس، ويخوفونهم من عذاب الله.

﴿١٩٥﴾ نزل به بلسان عربي واضح.

﴿١٩٦﴾ وإن هذا القرآن لمذكور في كتب الأولين، فقد بشرت به الكتب السماوية السابقة.

﴿١٩٧﴾ أولم يكن لهؤلاء المكذبين بك علامة على صدقك أن يعلم حقيقة ما نزل عليك علماء بني إسرائيل، مثل عبد الله بن سلام.

﴿١٩٨﴾ ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم الذين لا يتكلمون باللسان العربي.

﴿١٩٩﴾ فقرأه عليهم ما صاروا به مؤمنين؛ لأنهم سيقولون: لا نفهمه، فليحمدوا الله أن نزل بلغتهم.

﴿٢٠٠﴾ كذلك أدخلنا التكذيب والكفر في قلوب المجرمين.

﴿٢٠١﴾ لا يتغيرون عما هم عليه من الكفر ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الموعود.

﴿٢٠٢﴾ فَيَأْتِيهِمْ هَذَا الْعَذَابُ فَجْأَةً، وهم لا يعلمون بمجيئه حتى يياغتهم.

﴿٢٠٣﴾ فيقولوا حين ينزل بهم العذاب بغتة من شدة الحسرة: هل نحن مُمهلون فنتوب إلى الله؟

﴿٢٠٤﴾ أفيعذابنا يستعجل هؤلاء الكفار قائلين: لن نؤمن لك حتى تُسقط السماء كما سقانا؟

﴿٢٠٥﴾ فأخبرني - أيها الرسول - إن متعنا هؤلاء الكافرين المعرضين عن الإيمان بما جئت به، بالنعيم زمناً ممتداً.

﴿٢٠٦﴾ ثم جاءهم بعد ذلك الزمن الذي نالوا فيه تلك النعم ما كانوا يوعدون به من العذاب.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• كلما تعمق المسلم في اللغة العربية، كان أقدر على فهم القرآن. • الاحتجاج على المشركين بما عند الْمُتَصِفِينَ من أهل الكتاب من الإقرار بأن القرآن من عند الله. • ما يناله الكفار من نعم الدنيا استدراج لأكرامه.

﴿٢٣٧﴾ ماذا ينفعهم ما كانوا عليه من نعم في الدنيا؟ فقد انقطعت تلك النعم، ولم تُجد شيئاً.

﴿٢٣٨﴾ وما أهلكنا من أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليها بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿٢٣٩﴾ عظة وتذكيراً لهم، وما كنا ظالمين بتعذيبهم بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿٢٤٠﴾ وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على قلب الرسول ﷺ.

﴿٢٤١﴾ وما يصح أن يتزلوا به على قلبه، وما يستطيعون ذلك.

﴿٢٤٢﴾ ما يستطيعونه لأنهم معزولون عن مكانه من السماء، فكيف يصلون إليه، ويتزلون به؟

﴿٢٤٣﴾ فلا تعبد مع الله معبوداً آخر تشركه معه، فتكون بسبب ذلك من المعذبين.

﴿٢٤٤﴾ وأنذر - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب من قومك حتى لا يصيبهم عذاب الله إن بقوا على الشرك.

﴿٢٤٥﴾ وألن جانبك فعلاً وقولاً لمن اتبعك من المؤمنين رحمة بهم ورفقاً.

﴿٢٤٦﴾ فإن عصوك، ولم يستجيبوا لما أمرتهم به من توحيد الله وطاعته، فقل لهم: إني بريء مما تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٢٤٧﴾ واعتمد في أمورك كلها على العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن أناب منهم إليه.

﴿٢٤٨﴾ الذي يراك سبحانه حين تقوم إلى الصلاة.

﴿٢٤٩﴾ ويرى سبحانه قلبك من حال إلى حال في المصلين، لا يخفى عليه شيء مما تقوم به، ولا مما يقوم به

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٣٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٣٨﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٣٩﴾ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٤٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٤١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢٤٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٤٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٤٤﴾ وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٤٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٤٧﴾ الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٤٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢٤٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥٠﴾ هَلْ أَنْتُمْ عَلَى مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٥١﴾ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٥٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٥٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٥٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٥٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٥٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٥٧﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

آيَاتُهَا ١٣

رَتَبَاتُهَا ٢٧

غيرك.

﴿٢٥٠﴾ إنه هو السميع لما تتلوه من قرآن وذكر في صلاتك، العليم بنيةك.

ولما زعموا أن الشياطين تنزلت بالقرآن، وأن محمداً ﷺ شاعر رد الله عليهم زعمهم فقال:

﴿٢٥١﴾ هل أخبركم على من تنزل الشياطين الذين زعمتم أنهم تنزلوا بهذا القرآن؟ ﴿٢٥٢﴾ تنزل الشياطين على كل كذاب كثير الإثم والمعصية من الكهان. ﴿٢٥٣﴾ يسترق الشياطين السمع من الملأ الأعلى، فيلقونه إلى أوليائهم من الكهان، وأكثر الكهان كاذبون، إن صدقوا في كلمة كذبوا معها مئة كذبة. ﴿٢٥٤﴾ والشعراء الذين زعمتم أن محمداً ﷺ منهم يتبعهم المنحرفون عن طريق الهدى والاستقامة، فيروون ما يقولونه من شعر. ﴿٢٥٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن من مظاهر غوايتهم أنهم تائهون في كل واد يمشون في المدح تارة، وفي الذم تارة، وفي غيرهما تارات. ﴿٢٥٦﴾ وأنهم يكذبون، فيقولون: فعلنا كذا، ولم يفعلوه. ﴿٢٥٧﴾ إلا الذين آمنوا من الشعراء وعملوا الأعمال الصالحات، وذكروا الله ذكراً كثيراً، وانتصروا من أعداء الله بعدما ظلموهم مثل حسان بن ثابت ؓ، وسيعلم الذين ظلموا بالشرك بالله والاعتداء على عباده أي مرجع يرجعون إليه، فسيرجعون إلى موقف عظيم، وحساب دقيق.

﴿٢٥٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه. • تنزيه القرآن عن قرب الشياطين منه. • أهمية اللين والرفق للدعاة إلى الله. • الشعر حسنة حسن، وقبيحة قبيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الامتنان على النبي ﷺ بنعمة القرآن وشكرها والصبر على تبليغه.

● التَّضْيِيرُ:

١ ﴿طَسَّ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات المنزلة عليك هي آيات القرآن، وكتاب واضح لا لبس فيه، مَنْ تدبره عَلمَ أَنَّهُ من عند الله.

٢ هذه الآيات هادية إلى الحق مرشدة إليه، ومبشرة للمؤمنين بالله ورسله.

٣ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم بصرفها إلى مصارفها، وهم موقنون بما في الآخرة من ثواب وعقاب.

٤ إن الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، حسناً لهم أعمالهم السيئة، فاستمروا على فعلها، فهم متحيرون لا يهتدون إلى صواب ولا رشد.

٥ أولئك الموصوفون بما ذُكر هم الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بالقتل والأسر، وهم في الآخرة أكثر الناس خسراناً، حيث يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بتخليد هم في النار.

٦ وإنك - أيها الرسول - لتتلقى هذا القرآن المنزل عليك من عند حكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، عليم لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده.

٧ اذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لأهله: إني أبصرت ناراً،

سورة النمل
٣٨

طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ١ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّاتٌ لَهُمْ
أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ٥ وَذَلِكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ
مِنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَاءَهَا
نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ٨ يَمْوَسَّى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
١٢ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ١٣

٣٧٧

سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْبَرٍ مَنْ موقدها يرشدنا إلى الطريق، أو آتِيكُمْ بِشِعْلَةِ نَارٍ مأخوذة منها رجاء أن تستدفئوا بها من البرد. فلما وصل إلى مكان النار التي أبصرها ناداه الله: أَنْ قُدِّسَ مِنْ فِي النَّارِ، وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَتَعْظِيمًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَتَنْزِيهاً لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَصِفُهَا بِهَا الضَّالُّونَ.

٩ قال له الله: يا موسى، إنه أنا الله العزيز الذي لا يغالبني أحد، الحكيم في خلقي وتقديري وشرعي. وألقِ عصاك، فامتثل موسى، فلما رآها موسى تضطرب وتتحرك كأنها حية ولَّى مُدْبِرًا عَنْهَا وَلَمْ يَرْجِعْ، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: لَا تَخَفْ مِنْهَا، فَإِنِّي لَا يَخَافُ عِنْدِي الْمُرْسَلُونَ مِنْ حِيَةٍ وَلَا مِنْ سِوَاهَا.

١١ لكن من ظلم نفسه بارتكاب ذنب، ثم تاب بعد ذلك فَإِنِّي غَفُورٌ لَهُ، رَحِيمٌ بِهِ. وأدخل يدك في فتحة قميصك مما يلي الرقبة تخرج بعد إدخالك لها بيضاء مثل الثلج من غير برص، ضمن تسع آيات تشهد بصدقك - هي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم - إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله بالكفر به.

١٢ فلما جاءتهم آياتنا هذه التي أيدنا بها موسى واضحة ظاهرة قالوا: هذا الذي جاء به موسى من الآيات سحر بين.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● القرآن هداية وبشرى للمؤمنين. ● الكفر بالله سبب في اتباع الباطل من الأعمال والأقوال، والحيرة، والاضطراب. ● تأمين

الله لرسله وحفظه لهم سبحانه من كل سوء.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
 وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ
 الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾
 وَحِشْرَ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
 يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا
 النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
 أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
 صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
 ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ
 مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ وكفروا بهذه الآيات البينات ولم
 يقرؤا بها، واستيقنت أنفسهم أنها من
 عند الله؛ بسبب ظلمهم واستكبارهم
 عن الحق، فتأمل - أيها الرسول -
 كيف كانت عاقبة المفسدين في
 الأرض بكفرهم ومعاصيهم، فقد
 أهلكناهم، ودمرناهم كلهم.

﴿١٥﴾ ولقد أعطينا داود وابنه
 سليمان علماً، ومنه علم كلام الطير،
 وقال داود وسليمان شاكرين الله ﷻ:
 الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به
 من العلم والنبوة على كثير من عباده
 المؤمنين.

﴿١٦﴾ وورث سليمان أباه داود في
 النبوة والعلم والملك، وقال متحدثاً
 بنعمة الله عليه وعلى آبيه: يا أيها
 الناس، علّمنا الله فهم أصوات الطير،
 وأعطانا من كل شيء أعطاه الأنبياء
 والملوك، إن هذا الذي أعطانا الله
 سبحانه لهو الفضل الواضح البين.
 ﴿١٧﴾ وجمع لسليمان جنوده من
 البشر والجن والطير، فهم يساقون
 بنظام.

﴿١٨﴾ فلم يزالوا يساقون حتى
 إذا جاؤوا إلى وادي النمل (موضع
 بالشام) قالت نملة من النمل: يا أيها
 النمل ادخلوا مساكنكم حتى لا يهلككم
 سليمان وجنوده وهم لا يعلمون
 بكم، إذ لو علموا بكم لما داسوكم.
 ﴿١٩﴾ فلما سمع سليمان كلامها
 تبسم ضاحكاً من قولها هذا، وقال
 داعياً ربه سبحانه: رب وفقني وألهمني
 أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ
 وعلى والديّ، ووفقني أن أعمل عملاً
 صالحاً ترضيه، وأدخلني برحمتك
 في جملة عبادك الصالحين.

﴿٢٠﴾ وتفقّد سليمان الطير فلم ير الهدد، فقال: ما لي لا أرى الهدد؟ أمنعني من رؤيته مانع، أم كان من الغائبين؟
 فقال لما تبين له غيابه: لأعذّبته عذاباً شديداً، أو لأذبحته عقاباً له على غيابه، أو ليأتيني بحجة واضحة تبين عذره في الغياب.
 ﴿٢١﴾ فمكث الهدد في غيابه زمناً غير بعيد، فلما جاء قال لسليمان ﷺ: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وجئتك من أهل سبأ بخبر
 صادق لا شك فيه.

﴿٢٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التبسم ضحك أهل الوفاق.
- شكر النعم أدب الأنبياء والصالحين مع ربهم.
- الاعتذار عن أهل الصلاح بظهر الغيب.
- سياسة الرعية بإيقاع العقاب على من يستحقه، وقبول عذر أصحاب الأعدار.
- قد يوجد من العلم عند الأصاغر ما لا يوجد عند الأكابر.

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا
فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيَهَا
الْمَلُوكُ إِلَى إِلَيَّ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَى وَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَأْتِيَهَا الْمَلُوكُ أَتُؤْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ
إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

٣٧٩

﴿٢٣﴾ إني وجدت امرأة تملكهم وأعطيت هذه المرأة من كل شيء من أسباب القوة والملك، ولها سرير عظيم تدير من فوقه شؤون قومها. ﴿٢٤﴾ وجدت هذه المرأة، ووجدت قومها يسجدون للشمس من دون الله ﷻ، وحسن لهم الشيطان ما هم عليه من أعمال الشرك والمعاصي، فصرفهم عن طريق الحق، فهم لا يهتدون إليه. ﴿٢٥﴾ حسن لهم الشيطان أعمال الشرك والمعاصي؛ لئلا يسجدوا لله وحده الذي يخرج ما ستره في السماء من المطر، وفي الأرض من النبات، ويعلم ما تخفونه من الأعمال وما تظهرونه، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

﴿٢٦﴾ الله لا معبود بحق غيره، رب العرش العظيم.

﴿٢٧﴾ قال سليمان ﷺ للدهد: سننظر أصدقت فيما تدعيه، أم كنت من الكاذبين.

﴿٢٨﴾ فكتب سليمان كتاباً، وسلمه للدهد، وقال له: اذهب بكتابي هذا فارمه إلى أهل سبأ وسلمهم إياه، وتخ عنهم جانباً بحيث تسمع ما يرددون بشأنه.

﴿٢٩﴾ واستلمت الملكة الكتاب، وقالت: يا أيها الأشراف إني ألقى إلي كتاب كريم جليل.

﴿٣٠﴾ مضمون هذا الكتاب المرسل من سليمان المفتوح بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»:

﴿٣١﴾ ألا تتكبروا، وأتوني منقادين مستسلمين لما أدعوكم إليه من توحيد الله وترك ما أنتم عليه من الشرك به، حيث عبدتم الشمس معه.

﴿٣٢﴾ قالت الملكة: يا أيها الأشراف

والسادة، يئنون لي وجه الصواب في أمري، ما كنت قاضية أمراً حتى تحضروني، وتظهروا رأيكم فيه.

﴿٣٣﴾ قال لها الأشراف من قومها: نحن أصحاب قوة عظيمة، وأصحاب بأس قوي في الحرب، والرأي ما تريه فانظري ماذا تأمرينا به فتحن قادرون على تنفيذه.

﴿٣٤﴾ قالت الملكة: إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى أفسدها بما يقومون به من القتل والسلب والنهب، وصيروا سادتها وأشرافها أذلاء بعد ما كانوا فيه من العزة والمنعة، وكذلك يفعل الملوك دائماً إذا تغلبوا على أهل قرية؛ ليزرعوا الهيبة والرعب في النفوس.

﴿٣٥﴾ وإني مرسلة إلى صاحب الكتاب وقومه هدية، وأنظر ماذا تأتي به الرسل بعد إرسال هذه الهدية.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إنكار الهدد على قوم سبأ ما هم عليه من الشرك والكفر دليل على أن الإيمان فطري عند الخلائق.
- التحقيق مع المتهم والتثبت من حجه.
- مشروعية الكشف عن أخبار الأعداء.
- من آداب الرسائل افتتاحها بالبسملة.
- إظهار عزة المؤمن أمام أهل الباطل أمر مطلوب.

﴿٣٦﴾ فلما جاء رسولها ومن معه من أعوانه يحملون الهدية إلى سليمان أنكر عليهم سليمان إرسال الهدية قائلاً: أتمدونني بالأموال لتثوني عنكم؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال خير مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بما يُهدى إليكم من حطام الدنيا.

﴿٣٧﴾ قال سليمان ﷺ لرسولها: ارجع إليهم بما جئت من هدية، فلنأتيها وقومها بجنود لا طاقة لهم بمواجهتهم، ولنخرجهم من سبأ وهم أذلة مهانون بعد ما كانوا فيه من العزة إن لم يأتوني منقادين.

﴿٣٨﴾ قال سليمان ﷺ مخاطباً أعيان أهل ملكه: يا أيها الملأ، أيكم يأتيني بسرير ملكها قيل أن يأتوني منقادين؟ أجابه مارد من الجن قائلاً: أنا أتيك بسريرها قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي أنت فيه، وإني لقوي على حمله أمين على ما فيه، فلن أنقص منه شيئاً.

﴿٣٩﴾ قال رجل صالح عالم عند سليمان، عنده علم من الكتاب، ومن ضمنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: أنا أتيك بسريرها قبل أن ترمش عينك؛ بأن أدعو الله فيأتي به، فدعا فاستجاب الله له دعاءه، فلما رأى سليمان سريرها مستقراً عنده قال: هذا من فضل ربي سبحانه؛ ليخبرني أشكر نعمه أم أكفرها؟ ومن شكر الله فإنما نفع شكره عائد إليه، فالله غني لا يزيده شكر العباد، ومن جحد نعم الله فلم يشكرها له فإن ربي غني عن شكره كريم، ومن كرمه إفضاله على من يجحدها.

﴿٤٠﴾ قال سليمان ﷺ: غيروا لها سرير ملكها عن هيئته التي كان عليها ننظر: أتهدي إلى معرفة أنه سريرها، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفة أشياءهم؟ فلما جاءت ملكة سبأ إلى سليمان قيل لها اختباراً لها: أهذا مثل عرشك؟ فأجابت طبق السؤال: كأنه هو، فقال سليمان: وأعطانا الله العلم من قبلها لقدرته على مثل هذه الأمور، وكنا منقادين لأمر الله مطيعين له.

﴿٤١﴾ وصرفها عن توحيد الله ما كانت تعبد من دون الله اتباعاً لقومها، وتقليداً لهم، إنها كانت من قوم كافرين بالله، فكانت كافرة مثلهم.

﴿٤٢﴾ قيل لها: ادخلي الصرح وهو كهية السطح، فلما رآته ظننته ماءً فكشفت عن ساقيتها لتخوضه، قال سليمان ﷺ: إنه صرح ممأس من زجاج، ودعاها إلى الإسلام، فأجابه إلى ما دعاها إليه قائلة: رب إني ظلمت نفسي عبادة غيرك معك، وانقدت مع سليمان لله رب المخلوقات جميعها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عزة الإيمان تحصن المؤمن من التأثير بحطام الدنيا.
- الفرح بالمداديات والركون إليها صفة من صفات الكفار.
- يقظة شعور المؤمن تجاه نعم الله.
- اختبار ذكاء الخصم بغية التعامل معه بما يناسبه.
- إبراز التفوق على الخصم للتأثير فيه.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَاءٌ أَتْنِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا
ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ
بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾
قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ
وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا
ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا
عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا
وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ
قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ وَصَرَّحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَامْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا اللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً يُمَازِلُمُوآتٍ
فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفَلَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٤٥﴾ ولقد بعثنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحاً ﷺ أن اعبدوا الله وحده، فإذا هم بعد دعوته إياهم طائفتان: طائفة مؤمنة، وأخرى كافرة يتنازعون أيهم على الحق.

﴿٤٦﴾ قال لهم صالح ﷺ: لِمَ تطلبون تعجيل العذاب قبل الرحمة؟ هلا تطلبون المغفرة من الله لذنوبكم رجاء أن يرحمكم.

﴿٤٧﴾ قال له قومه في ثعنّت عن الحق: تشاء منا بك وبمن معك من المؤمنين، قال لهم صالح ﷺ: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره، عند الله علمه لا يخفى عليه منه شيء، بل أنتم قوم تُختَبَرُونَ بما يبسط لكم من الخير وبما ينالكم من الشر.

﴿٤٨﴾ وكان في مدينة الحجر تسعة رجال يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا يصلحون فيها بالإيمان والعمل الصالح.

﴿٤٩﴾ قال بعضهم لبعض: ليحلف كل واحد منكم بالله لتأتينه في بيته ليلاً، فلنقتله وأهله، ثم لنقولن لولي دمه: ما حضرنا قتل صالح وأهله، وإنا لصادقون فيما قلنا.

﴿٥٠﴾ ودبروا مكيده خفية لإهلاك صالح وأتباعه من المؤمنين، ومكرنا مكرًا لنصره وإنجائه من مكرهم وإهلاك الكافرين من قومه، وهم لا يعلمون بذلك.

﴿٥١﴾ فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل تدبيرهم ومكرهم؟ أنا استأصلناهم بعذاب من عندنا فهلكوا عن آخرهم.

﴿٥٢﴾ فذلك بيوتهم قد انهدمت جدرانها على سقوفها، وبقيت خالية من أهلها بسبب ظلمهم، إن فيما أصابهم من العذاب بسبب ظلمهم لعمرة لقوم يؤمنون، فهم الذين يعتبرون بالآيات. وأنقذنا الذين آمنوا بالله من قوم صالح ﷺ، وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٥٣﴾ واذكر - أيها الرسول - لوطاً حين قال لقومه موبخاً إياهم ومنكراً عليهم: أتأتون الخصلة القبيحة - وهي اللواط - في أنديتكم جهاراً يبصر بعضكم بعضاً؟!

﴿٥٤﴾ أنتم لتأتون الرجال على سبيل الاشتها دون النساء، لا تريدون إعفافاً ولا ولداً، وإنما قضاء شهوة بهيمية، بل أنتم قوم تجهلون ما يجب عليكم من الإيمان والطهر والبعد عن المعاصي.

﴿٥٥﴾ من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

● الاستغفار من المعاصي سبب لرحمة الله.

● التشاؤم بالأشخاص والأشياء ليس من صفات المؤمنين.

● عاقبة التمالؤ على الشر والمكر بأهل الحق سيئة.

● إعلان المنكر أقبح من الاستتار به.

● الإنكار على أهل الفسوق والفجور واجب.

﴿٥٥﴾ أنتم لتأتون الرجال على سبيل الاشتها دون النساء، لا تريدون إعفافاً ولا ولداً، وإنما قضاء شهوة بهيمية، بل أنتم قوم تجهلون ما يجب عليكم من الإيمان والطهر والبعد عن المعاصي.

﴿٥٦﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَّرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٦﴾ فما كان لقومه من جواب إلا قولهم: أخرجوا آل لوط من قريبتكم، إنهم أناس يتزهدون عن الأقدار والأنجاس، قالوا ذلك استهزاء بآل لوط الذين لا يشاركونهم فيما يرتكبونه من الفواحش، بل ينكرون عليهم ارتكابها.

﴿٥٧﴾ فسلمناه وسلمنا أهلها، إلا امرأته حكمنا عليها أن تكون من الباقيين في العذاب لتكون من الهالكين.

﴿٥٨﴾ وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فكان مطرًا سيئًا مهلكًا لمن حوَّقوا بالعذاب ولم يستجيبوا.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه، وأمان منه من عذابه الذي عذب به قوم لوط وصالح لأصحاب النبي ﷺ، الله المعبود بحق الذي بيده ملكوت كل شيء خير أم ما يعبد المشركون من معبودات لا تملك نفسًا ولا ضرًا ١٩١

﴿٦٠﴾ أم من خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وأنزل لكم - أيها الناس - من السماء ماء الماطر، فأنبطنا لكم به حدائق ذات حسن وجمال، ما كان لكم أن تنبتوا شجر تلك الحدائق لعجزكم عن ذلك، قاله هو الذي أنبتها، أمعبود فعل هذا مع الله ١٩٢ لا، بل هم قوم ينحرفون عن الحق فيسوّون الخالق بالمخلوقين ظلمًا.

﴿٦١﴾ أم من صير الأرض مستقرة ثابتة لا تضطرب بمن عليها، وصير داخلها أنهارًا تجري، وصير لها جبالًا ثوابت، وصير بين البحرين المالح والعذب فاصلًا يمنع اختلاط المالح بالعذب حتى لا يفسده، فلا يصلح

للشرب، أمعبود فعل ذلك مع الله ١٩٣ لا، بل معظمهم لا يعلمون، ولو كانوا يعلمون لما أشركوا بالله أحدًا من مخلوقاته. ﴿٦٢﴾ أم من يضيق عليه أمره واشتد إذا دعاه، ويرفع ما يقع بالإنسان من مرض وفقر وغيرهما، ويصيركم خلفاء في الأرض يخلف بعضكم بعضًا جيلًا بعد جيل، أمعبود يفعل ذلك مع الله ١٩٤ لا، قليلًا ما تتعطلون وتعتبرون.

﴿٦٣﴾ أم من يهديكم في ظلمات البر وظلمات البحر بما ينصبه لكم من معالم ونجوم، ومن يبعث الرياح مبشرات بقرب نزول المطر الذي يرحم به عباده، أمعبود يفعل ذلك مع الله ١٩٥ تنزه الله، وتقدس عما يشركون به من مخلوقاته.

من قواعد الآيات:

- لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم حجج الحق.
- رابطة الزوجية دون الإيمان لا تنفع في الآخرة.
- ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال التذكير بنعم الله.
- كل مضطر من مؤمن أو كافر فإن الله قد وعده بالإجابة إذا دعاه.

أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ قُلْ
 أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
 لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
 أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
 شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا
 كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ الْمَخْرُجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
 نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

﴿٦٤﴾ أم من يبدأ الخلق في الأرحام مرحلة بعد مرحلة، ثم يحييه بعدما يميت، ومن يرزقكم من السماء بالمطر المنزل من جهته، ويرزقكم من الأرض بالنبات الذي ينبت فيها! أمعبود يفعل ذلك مع الله؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حججكم على ما أنتم عليه من الشرك، إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أنكم على حق.

﴿٦٥﴾ قل - أيها الرسول -: لا يعلم الغيب من في السماوات من الملائكة، ولا من في الأرض من الناس، لكن الله وحده هو الذي يعلمه، وما يعلم جميع من في السماوات ومن في الأرض متى يُبعثون للجزاء إلا الله.

﴿٦٦﴾ أم هل تتابع علمهم بالآخرة فأيقنوا بها؟ لا، بل هم في شك وحيرة من الآخرة، بل قد عميت بصائرهم عنها. ﴿٦٧﴾ وقال الذين كفروا مستنكرين: إذا متنا وكنا تراباً أيمن أن يُبعث أحياء؟

﴿٦٨﴾ لقد وعدنا نحن، ووعد آبائنا من قبل أننا نبعث جميعاً، فلم نر تحقيقاً لذلك الوعد، ما هذا الوعد الذي وعدناه جميعاً إلا أكاذيب الأولين التي دونوها في كتبهم.

﴿٦٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: سيروا في أي جهة من الأرض فتأملوا كيف كانت نهاية المجرمين المكذبين بالبعث، فقد أهلكناهم لتكذيبهم به.

﴿٧٠﴾ ولا تحزن بسبب إغراض المشركين عن دعوتك، ولا يضق صدرك من كيدهم فالله ناصرك عليهم.

﴿٧١﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث

من قومك: متى يتحقق ما تعدنا به أنت والمؤمنون من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعونه من ذلك؟

﴿٧٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: عسى أن يكون اقتراب لكم بعض ما تستعجلون به من العذاب.

﴿٧٣﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لذو فضل على الناس حيث يترك معاملتهم بالقوية مع ما هم عليه من الكفر والمعاصي، ولكن معظم الناس لا يشكرون الله على ما ينعم به عليهم.

﴿٧٤﴾ وإن ربك ليعلم ما تضرع قلوب عباده وما يظهره، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٧٥﴾ وما من شيء غائب عن الناس في السماء، ولا غائب عنهم في الأرض إلا هو في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ.

﴿٧٦﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يقص على بني إسرائيل أكثر ما يختلفون فيه، ويكشف انحرافاتهم.

﴿٧٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● علم الغيب مما اختص به الله، فادعاه كفر.

● الاعتبار بالأمم السابقة من حيث مصيرها وأحوالها طريق النجاة.

● إحاطة علم الله بأعمال عباده.

● تصحيح القرآن لانحرافات بني إسرائيل وتحريفهم لكتبهم.

﴿٧٧﴾ وأنه لهداية ورحمة للمؤمنين العاملين بما جاء فيه.

﴿٧٨﴾ إن ربك - أيها الرسول - يقضي بين الناس مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة بحكمه العدل، فيرحم المؤمن، ويعذب الكافر، وهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، ولا يغالبه أحد، العليم الذي لا يلبس عليه مُحَقٌّ بِمُتَّطِلٍ.

﴿٧٩﴾ فتوكل على الله، واعتمد عليه في جميع أمورك، إنك على الحق الواضح. ﴿٨٠﴾ إنك - أيها الرسول - لا تُسْمِع الموتى الذين ماتت قلوبهم بسبب الكفر بالله، ولا تُسْمِع مَنْ أَصَمَّ اللَّهُ سمعه عن سماع الحق ما تدعوهم إليه إذا رجعوا معرضين عنك.

﴿٨١﴾ ولست بهادي من عميت بصائرهم عن الحق، فلا تحزن عليهم وتتعب نفسك، ما تقدر أن تفهم الحق إلا من يؤمن بآياتنا فهم منقادون لأوامر الله.

﴿٨٢﴾ وإذا وجب العذاب وثبت عليهم لإصرارهم على كفرهم ومعاصيهم، وبقي شرار الناس، أخرجنا لهم عند اقتراب الساعة علامة من علاماتها الكبرى، وهي دابة من الأرض تكلمهم بما يفهمون أن الناس كانوا بآياتنا المنزلة على نبينا لا يصدقون.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم نحشر من كل أمة من الأمم جماعة من كبارهم ممن يكذب بآياتنا، يرُدُّ أولهم إلى آخرهم ثم يساقون إلى الحساب.

﴿٨٤﴾ ويستمر سوقهم، حتى إذا جاؤوا مكان حسابهم قال لهم الله توبيخاً لهم: أكذبتُم بآياتي الدالة

وَأِنَّهُ وَلَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بَيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

على توحيدي والمشتملة على شريعتي، ولم تحيطوا علماً بأنها باطلة فيسوغ لكم تكذيبها، أم ماذا كنتم تعملون بها من التصديق أو التكذيب؟!

﴿٨٩﴾ ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم بالكفر بالله وتكذيب آياته، فهم لا يتكلمون للدفاع عن أنفسهم لعجزهم عن ذلك، وبطلان حججهم، ولما كانوا ينكرون البعث نبههم الله بما يدل عليه في حياتهم، وهو نومهم الذي هو بمنزلة الموت، واستيقاظهم الذي هو بمنزلة البعث، فقال:

﴿٩٠﴾ ألم ينظر هؤلاء المكذوبون بالبعث أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم، وصيرنا النهار مضياً ليبصروا فيه، فيسعدوا إلى أعمالهم، إن في ذلك الموت المتكرر والبعث بعده لعلامات واضحة لقوم يؤمنون.

﴿٩١﴾ واذكر - أيها الرسول -: يوم ينفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية، ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من استثناه الله من الفزع؛ تفضلاً منه، وكل من مخلوقات الله يأتونه في ذلك اليوم مطيعين ذليلين.

﴿٩٢﴾ وترى الجبال في ذلك اليوم تحسبها ثابتة لا تتحرك، وهي في واقع الأمر تسير بسرعة سير السحاب، صنع الله، فهو الذي يحركها، إنه خبير بما تفعلون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أهمية التوكل على الله. • تزكية النبي ﷺ بأنه على الحق الواضح. • هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ. • دلالة النوم على الموت، والاستيقاظ على البعث.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فِرْعَ وَفِرْعَوْنِ ۚ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ ۚ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۚ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ ۚ فَمِنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۚ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ۚ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ

سورة القصص

آياتها ٨٨

ترتيبها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥

٣٨٥

٢٨ من جاء يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح فله الجنة، وهم آمنون بتأمين الله لهم من فزع يوم القيامة. ومن جاء بالكفر والمعاصي فله النار يُلقون فيها على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً لهم وإهانة: هل تجزون إلا ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي؟

٢٩ قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرت أن أعبد رب مكة الذي حرّمها، فلا يُسَفَك فيها دم، ولا يُظَلَم فيها أحد، ولا يُقتل صيدها، ولا يُقطع شجرها، وله سبحانه ملك كل شيء، وأُمرت أن أكون من المسلمين لله المتقاربين له بالطاعة.

٣٠ وأُمرت أن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بهديه، وعمل بما فيه، فتنفع هدايته لنفسه، ومن ضل وانحرف عما فيه وأنكره، ولم يعمل بما فيه، فقل: إنما أنا من المنذرين أنذركم من عذاب الله، وليس بيدي هدايتكم.

٣١ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، سيريكم الله آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق، فتعرفونها معرفة ترشدكم إلى الإذعان للحق، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

سورة القصص

— مكية —

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

سنة الله في تمكين المؤمنين المستضعفين وإهلاك الطغاة المستكبرين.

● التفسير:

١ طسّم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذه آيات القرآن الواضح.

٣ نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الذي لا مرية فيه لقوم يؤمنون: لأنهم هم الذين ينتفعون بما فيه.

٤ إن فرعون طغى في أرض مصر، وتسلط فيها، وصير أهلها طوائف مفرقاً بينها، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، بقتل ذكور أولادهم واستبقاء نساءهم للخدمة إمعاناً في إذلالهم، إنه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والظغيان والتكبر.

٥ ونريد أن نتفضل على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر: بإهلاك عدوهم، وإزالة الاستضعاف عنهم، ونجعلهم أئمة يقتدى بهم في الحق، ونجعلهم يرثون أرض الشام المباركة بعد هلاك فرعون، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْزْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...﴾.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الإيمان والعمل الصالح سببا للنجاة من الفزع يوم القيامة. ● الكفر والعصيان سبب في دخول النار. ● تحريم القتل والظلم والصيد في الحرم. ● النصر والتمكين عاقبة المؤمنين.

﴿٦﴾ ونريد أن نمكّن لهم في الأرض بجعلهم أصحاب السلطان فيها، ونُري فرعون ومسانده الأكبر في الملك هامان وجنودهما المعاوين لهما في ملكهما، ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم، وانقضائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل.

ولما ذكر الله ما سيؤول إليه ملك فرعون، وما سيكرم به موسى وقومه، ذكر نشأة موسى عليه السلام إلى أن بعثه الله رسلاً، فقال:

﴿٧﴾ وألهمنا أم موسى عليه السلام أن أرضعيه حتى إذا خشيته عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعيه في صندوق، وارميّه في نهر النيل، ولا تخافي عليه من الفرق ولا من فرعون، ولا تحزني بسبب فراقه، إنا مرجعوه إليك حياً، ومصبروه من رسل الله الذين يبعثهم إلى خلقه.

﴿٨﴾ فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في النهر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أَرادَه الله من أن موسى سيكون عدواً لفرعون يزيل الله ملكه على يده، جالباً لحزنهم، إن فرعون ووزيره هامان وأعوانهما كانوا آثمين بسبب كفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض.

﴿٩﴾ ولما أراد فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه لعله ينفعنا بالخدمة، أو نتخذه ولداً بالتبني، وهم لا يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده.

﴿١٠﴾ وأصبح قلب أم موسى عليه السلام خالياً من أي أمر من أمور الدنيا إلا من أمر موسى فلم تعد تصبر، حتى قاربت أن

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَاغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَأَبْصَرْتُ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُوتَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَقَرَّرَعَيْنَاهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿٣٨٦﴾

تظهر أنه ولدها من شدة التعلق به، لولا أن ربطنا على قلبها بتبنيته، وتصبيرها لتكون من المؤمنين المتوكلين على ربهم الصابرين على ما يقضي به.

﴿١١﴾ وقالت أم موسى عليه السلام لأختها بعد القائها له في النهر: اتبعي أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرته عن بُعد حتى لا يكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنها أخته وأنها تتفقد خبره.

﴿١٢﴾ وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء من قبل أن رده إلى أمه، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟

﴿١٣﴾ فرجعنا موسى إلى أمه كيما تقرّ عينها برؤيته عن قرب، ولا تحزن بسبب فراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرجاعه إليها حق لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أمه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

• تدبير الله لعباده الصالحين بما يسلمهم من مكر أعدائهم. • تدبير الظالم يؤول إلى تدميره. • قوة عاطفة الأمهات تجاه أولادهن. • جواز استخدام الحيلة المشروعة للتخلص من ظلم الظالم. • تحقيق وعد الله واقع لا محالة.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ
 فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ
 مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ
 مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ وَإِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ
 ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
 الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ وَمُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ
 مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ
 يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ ثَقُلْتَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ
 إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ
 ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ
 يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

ولما ذكر الله مبدأ موسى ذكر
 مرحلة شبابه، فقال:

﴿١٤﴾ ولما بلغ سن اشتداد البدن،
 واستحكم في قوته - أعطيناه فهمًا
 وعلمًا في دين بني إسرائيل قبل نبوته،
 وكما جزيينا موسى على طاعته نجزي
 المحسنين في كل زمان ومكان.

﴿١٥﴾ ودخل موسى المدينة في
 وقت راحة الناس في بيوتهم، فوجد
 فيها رجلين يتخاصمان ويتضاربان،
 أحدهما من بني إسرائيل قوم موسى
 ﷺ، والآخر من القبط قوم فرعون
 أعداء موسى، فطلب الذي هو من
 قومه أن يعينه على الذي هو من القبط
 أعدائه، فضرب موسى القبطي بقبضة
 يده، فقتله بتلك الضربة لقوته، قال
 موسى ﷺ: هذا من تزيين الشيطان
 وإغرائه، إن الشيطان عدو مضل لمن
 اتبعه، واضح العداوة، فما حصل مني
 بسبب عداوته، وبسبب أنه مضل يريد
 إضلا لي.

﴿١٦﴾ قال موسى داعيًا ربه معترفًا بما
 حصل منه: رب إني ظلمت نفسي بقتل
 هذا القبطي، فاغفر لي ذنبي، فبِئْسَ
 الله لنا مغفرته لموسى، إنه هو الغفور
 لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٧﴾ ثم واصل الخبر عن دعاء موسى
 الذي قال فيه: رب بسبب ما أنعمت علي
 به من القوة والحكمة والعلم فلن أكون
 معينًا للمجرمين على إجرامهم.

﴿١٨﴾ فلما حصل منه ما حصل من
 قتل القبطي أصبح في المدينة خائفًا
 يترقب ماذا يحدث، فإذا الذي طلب
 منه العون والنصر على عدوه القبطي
 بالأمس يستعين به على قبطي آخر،
 قال له موسى: إنك ل ذو غواية وضلال
 واضح.

﴿١٩﴾ فلما أن أراد موسى ﷺ أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظن الإسرائيلي أن موسى يريد البطش به لما سمعه
 يقول: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فقال لموسى: أتريد أن تقتلني مثلما قتلت نفسًا بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض تقتل
 الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.

﴿٢٠﴾ ولما انتشر الخبر وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعًا شفقة على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إن الأشراف من قوم
 فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إني لك من الناصحين شفقة عليك من أن يدركوك فيقتلوك.

﴿٢١﴾ فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفًا يترقب ماذا يحدث له، قال داعيًا ربه: رب نجني من القوم الظالمين،
 فلا يصلوا إليّ بسوء.

﴿٢٢﴾ من قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- الاعتراف بالذنوب من آداب الدعاء.
- الشكر المحمود هو ما يحمل العبد على طاعة ربه، والبعد عن معصيته.
- أهمية المبادرة إلى النصيحة خاصة إذا ترتب عليه إنقاذ مؤمن من الهلاك.
- وجوب اتخاذ أسباب النجاة، والالتجاء إلى الله بالدعاء.

﴿٢٢﴾ ولما سار مقيلاً بوجهه جهة مدين قال: عسى ربي أن يرشدني إلى خير طريق، فلا أضلّ عنها.

﴿٢٣﴾ ولما وصل ماء مدين الذي يستقون منه وجد جماعة من الناس يستقون مواشيهم، ووجد من دونهم امرأتين تحبسان أغنامهما عن الماء حتى يسقي الناس، قال لهما موسى: ﴿ما شأنكما لا تسقيان مع الناس؟﴾ قالتا له: عادتنا أن نتأني فلا نسقي حتى ينصرف الرعاة؛ حذرًا من مخالطتهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا يستطيع أن يسقي، فاضطررنا لسقي غنمنا.

﴿٢٤﴾ فرحمهما فسقى لهما أغنامهما، ثم انصرف إلى الظل فاستراح فيه، ودعا ربه بالتعريض بحاجته، فقال: رب اني لما أنزلت إليّ من أي خير محتاج.

﴿٢٥﴾ فلما ذهبنا أخبرتا أباهما به، فأرسل إحدهما إليه تدعوه، فجاءته تمشي في حياء، قالت: إن أبي يدعوك أن تأتيه قصد أن يجزيك أجرك على سقيك لنا، فلما جاء موسى أباهما، وأخبره بأخباره، قال له مطمئناً إياه: لا تخف نجوت من القوم الظالمين فرعون وملئه، فإنهم لا سلطان لهم على مدين، فلا يستطيعون أن يصلوا إليك بأذى.

﴿٢٦﴾ قالت إحدى ابنتيه: يا أبت استأجره ليرعى غنمنا، فهو جدير بأن تستأجره؛ لجمعه بين القوة والأمانة، فبالقوة يؤدي ما كلف به، وبالأمانة يحفظ ما أوثمن عليه.

﴿٢٧﴾ قال أبوهما مخاطباً موسى: ﴿إني أريد أن أزوجهك إحدى ابنتي

هاتين، على أن يكون مهرها أن ترعى غنمنا ثماني سنين، فإن أكملت المدة عشر سنين فهذا تفضل منك لا يلزمك؛ لأن التعاقد إنما هو على ثمان سنين، فما فوقها تطوع، وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقة عليك، ستجدين - إن شاء الله - من الصالحين الذين يوفون بالعقود، ولا ينقضون العهود.

﴿٢٨﴾ قال موسى: ﴿ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأی الأمدین عملت لك: ثمانين سنوات، أو عشر سنوات، أكون قد وفيت بها علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.

﴿٢٩﴾ من فوائد الآيات،

- الالتجاء إلى الله طريق النجاة في الدنيا والآخرة.
- حياء المرأة المسلمة سبب كرامتها وعلو شأنها.
- مشاركة المرأة بالرأي، واعتماد رأيها إن كان صواباً أمر محمود.
- القوة والأمانة صفتا المسؤول الناجح.
- جواز أن يكون المهر منفعة.

﴿٢٨﴾ فَلَمَّا أَكْمَلَ مُوسَى أَوفَى الْأَجَلِينَ عَشْرَ سَنِينَ، وَسَارَ بِأَهْلِهِ مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ أَبْصَرَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا، قَالَ لِأَهْلِهِ: اثْبُتُوا، إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشُعْلَةٍ مِنَ النَّارِ تُوقِدُونَ بِهَا نَارًا؛ لَعَلَّكُمْ تَسْتَدْفِقُونَ مِنَ الْبَرْدِ.

﴿٢٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى النَّارَ الَّتِي أَبْصَرَهَا نَادَاهُ رَبُّهُ ﷻ مِنْ جَانِبِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْمَوْقِعِ الَّذِي بَارَكَهُ اللَّهُ بِتَكْلِيمِهِ لِمُوسَى مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ: يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّكَ.

﴿٣٠﴾ وَأَنْ اطْرَحْ عَصَاكَ، فَطَرَحَهَا مُوسَى امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِ، فَلَمَّا رَأَاهَا تَحْرُكُ وَتُضْطَرِبُ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ فِي سُرْعَتِهَا وَلَّى هَارِبًا خَوْفًا مِنْهَا، وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ هَرَبِهِ، فَتَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى أَقْبِلْ، وَلَا تَخَفْ مِنْهَا؛ فَإِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِمَّا تَخَافُ.

﴿٣١﴾ أَدْخَلَ يَدَكَ الْيَمْنَى فِي فَتْحَةِ قَمِيصِكَ مِمَّا يَلِي الرِّقْبَةَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ. فَأَدْخَلَهَا مُوسَى فَخَرَجَتْ بَيْضَاءَ كَالْتَلْجِ. وَاضْمَمَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِيَهْدَأْ خَوْفَكَ، فَضَمَّهَا مُوسَى إِلَيْهِ فَذَهَبَ عَنْهُ الْخَوْفُ، فَهَذَانِ الْمَذْكُورَانِ - الْعَصَا وَالْيَدُ - حِجَّتَانِ مَرْسَلَتَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَالْأَشْرَافِ مِنْ قَوْمِهِ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ بِالْكَفْرِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي.

﴿٣٢﴾ قَالَ مُوسَى مُتَوَسِّلًا إِلَى رَبِّهِ: إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي. إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ.

﴿٣٣﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ.

﴿٣٤﴾ قَالَ اللَّهُ مُجِيبًا دَعْوَةَ مُوسَى: سَنَقْوِيكَ - يَا مُوسَى - بِبِعْتِ أَخِيكَ مَعَكَ رَسُولًا مُعِينًا، وَنَجْعَلُ لَكُمَا حِجَّةً وَتَأْيِيدًا، فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِسُوءِ تَكْرَاهَانِهِ، بِسَبَبِ آيَاتِنَا الَّتِي أَرْسَلْنَاكَمُ بِهَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْتَصِرِينَ.

﴿٣٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الوفاء بالعقود شأن المؤمنين.
- تكليم الله لموسى ﷺ ثابت على الحقيقة.
- حاجة الداعي إلى الله إلى من يؤازره.
- أهمية الفصاحة بالنسبة للدعاة.

﴿٣٦﴾ فلما جاءهم موسى ﴿٣٦﴾ بآياتنا واضحات قالوا: ما هذا إلا كذب مختلق اختلقه موسى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأقدمين.

﴿٣٧﴾ وقال موسى مخاطبًا فرعون: ربي يعلم المحق الذي جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ويعلم من تكون له العاقبة المحموده في الآخرة، إنه لا يفوز الظالمون بمطلوبهم، ولا ينجون من مرهوبهم.

﴿٣٨﴾ وقال فرعون مخاطبًا الأشراف من قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من معبود غيري، فأشعل لي يا هامان على الطين حتى يشتد فابن لي به بناءً عاليًا رجاء أن أنظر إلى معبود موسى وأقف عليه، وإنني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه أنه مرسل من الله إلي وإلى قومي.

﴿٣٩﴾ واشتد تكبر فرعون هو وجنوده واستعلوا في أرض مصر بغير موجب من الحق، وأنكروا البعث، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للحساب والعقاب.

﴿٤٠﴾ فأخذناه وأخذنا جنوده فطرحناهم في البحر غرقى حتى هلكوا جميعًا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك.

﴿٤١﴾ وجعلناهم قذوة للطغاة والضلال، يدعون إلى النار بما يبتوئونه من كفر وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنقاذهم من العذاب، بل يضاعف عليهم العذاب لما سنّوه من سنن سيئة، ودعوا إليه من ضلالة، يكتب عليهم وزر عملهم بها، ووزر عمل من اتبعهم في العمل بها.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا أَلَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ وَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾
وَأَسْتَكَبرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٤٣﴾ واتبعناهم زيادة على عقوبتهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المذمومين المُتَعَدِّين عن رحمة الله.

﴿٤٤﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة من بعد ما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلنا فكذبوهم، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم لهم، فيها ما يُبْصِرُ الناس بما ينفعهم فيعملون به، وما يضرهم فيتركونه، وفيها إرشادهم إلى الخير، ورحمة لما فيها من خيري الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم فيشكرونها ويؤمنون به.

﴿٤٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● رَدُّ الْحَقِّ بِالشَّبهِ الْوَاحِيَةِ شَأْنُ أَهْلِ الطُّغْيَانِ.

● التَّكْبَرُ مَانِعٌ مِنَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

● سُوءُ نَهَايَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنْ سُنَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

● لِلْبَاطِلِ أَثْمَتُهُ وَدُعَاةُ وَصُورُهُ وَمُظَاهَرُهُ.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّكُفْرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿٤٤﴾ وما كنت - أيها الرسول - حاضراً بجانب الجبل الغربي بالنسبة لموسى ﷺ حين أنهينا إلى موسى الأمر بإرساله إلى فرعون وملئه، وما كنت من الحاضرين حتى تعلم خبر ذلك فتقضه على الناس، فما تخبرهم به هو من وحي الله إليك. ﴿٤٥﴾ ولكننا أنشأنا أمماً وخلأنا من بعد موسى، فتباعد عليهم الزمن حتى نسوا عهد الله، وما كنت مقيماً في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا، ولكننا أرسلناك من عندنا، فأوحينا إليك خبر موسى وإقامته في مدين، فأخبرت الناس بما أوحى الله إليك من ذلك.

﴿٤٦﴾ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك لتنذر قوماً ما جاءهم رسول من قبلك ينذرهم لعلمهم يتعظون، فيؤمنون بما جئتهم به من عند الله سبحانه.

﴿٤٧﴾ ولولا أن تنالهم عقوبة إلهية بسبب ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيقولوا محتجين بعدم إرسال رسول إليهم: هلاً بعثت إلينا رسولاً فننتبع آياتك ونعمل بها، ونكون من المؤمنين العاملين بأمر ربهم، لولا ذلك لعاجلناهم بالعقاب، لكننا أخرناهم عنهم حتى نعذر إليهم ببعث رسول إليهم.

﴿٤٨﴾ فلما جاء قريشاً محمد بالرسالة من ربه سألوا يهود عنه فلقنوهم هذه الحجة فقالوا: هلاً أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من الآيات الدالة على أنه رسول من ربه؛ كاليد والعصا، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: ألم يكفر

اليهود بما أعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سحران يعضد أحدهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من التوراة والقرآن كافرون!

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: جيئوا بكتاب منزل من عند الله أهدى سبيلاً من التوراة والقرآن، فإن أتيتهم به أتبعه إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أن التوراة والقرآن سحران.

﴿٥٠﴾ فإن لم تستجب قريش لما دعوتهم إليه من الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فأيقن أن تكذيبهم بهما ليس عن دليل، وإنما هو عن اتباع للهوى، ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إن الله لا يوفق للهداية والرشاد القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم بالله.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- نفي علم الغيب عن رسول الله ﷺ إلا ما أطلعه الله عليه.
- اندراس العلم بتطاول الزمن.
- تحذير الكفار بالإتيان بما هو أهدى من وحي الله إلى رسله.
- ضلال الكفار بسبب اتباع الهوى، لا بسبب اتباع الدليل.

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا يُتْلَى
 عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمْ آيَاتُ اللَّهِ وَإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ
 مُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا أَسْمِعُوا
 لِلْغَوَا عَرْضُوا عَنْهُ وَقَالُوا إِنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾
 وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ
 نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمْ إِنَّا لَجَبِي إِيَّاهُ ثَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا
 مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
 قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ
 بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ
 مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَارِ سُولًا يَتْلُو عَلَيْهِنَّ
 آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ ولقد وصلنا للمشركون واليهود من بني إسرائيل القول بقصص الأمم السابقة، وما أحلنا عليهم من العذاب لما كذبوا رسلنا؛ رجاء أن يتعظوا بذلك فيؤمنوا حتى لا يصيبهم ما أصابهم.

﴿٥٢﴾ الذين ثبتوا على الإيمان بالتوراة من قبل نزول القرآن هم بالقرآن يؤمنون لما يجدونه في كتبهم من الإخبار به ومن نفعه.

﴿٥٣﴾ وإذا يقرأ عليهم قالوا: آيات الله الحق الذي لا مزية فيه، المنزل من ربنا، إنا كنا من قبل هذا القرآن مسلمين لإيماننا بما جاء به الرسل من قبله.

﴿٥٤﴾ أولئك الموصوفون بما ذكر يعطيهم الله ثواب عملهم مرتين بسبب صبرهم على الإيمان بكتابهم، وبإيمانهم بمحمد ﷺ حين بُعث، ويدفعون بحسنات أعمالهم الصالحة ما اكتسبوه من الآثام، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير.

﴿٥٥﴾ وإذا سمع هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب الباطل من القول أعرضوا عنه غير ملتفتين إليه، وقالوا مخاطبين أصحابه: لنا جزء أعمالنا، ولكم جزء أعمالكم، سلمتم منا من الشتم والأذى، لا نبتغي مصاحبة أصحاب الجهل لما فيها من الضرر والأذى على الدين والدنيا.

﴿٥٦﴾ إنك - أيها الرسول - لا تهدي من أحببت مثل أبي طالب وغيره بتوفيقه للإيمان، ولكن الله وحده هو الذي يوفق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن سبق في علمه أنه من المهتدين إلى الصراط المستقيم.

﴿٥٧﴾ وقال المشركون من أهل مكة معتذرين عن اتباع الإسلام والإيمان به: إن نتبع هذا الإسلام الذي جئت به ينتزعنا أعداؤنا من أرضنا بسرعة، أو لم نتمكن لهؤلاء المشركين حرماً يحرم فيه سفك الدماء والظلم، يأمنون فيه من إغارة غيرهم عليهم، تجلب إليه ثمار كل شيء رزقاً من لدنا سقناه إليهم؛ ولكن معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به عليهم فيشكروه له.

﴿٥٨﴾ وما أكثر القرى التي كُفرت نعمة الله عليها فأُسرفت في الذنوب والمعاصي، فأرسلنا عليها عذاباً فأهلكناها به، فتلك مساكنهم مندثرة يمرّ الناس عليها لم تسكن من بعد أهلها إلا قليلاً من بعض العابرين، وكنا نحن الوارثين الذين نرث السماوات والأرض ومن فيهما.

﴿٥٩﴾ ولم يكن ربك - أيها الرسول - مهلك القرى حتى يعذر إلى أهلها ببعث رسول في القرية الكبرى منها كما بعثك أنت في أم القرى، وهي مكة، وما كنا لنهلك أهل القرى وهم مستقيمون على الحق، إنما نهلكهم إن كانوا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٦٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فضل من آمن من أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ، وأن له أجرين. • هداية التوفيق بيد الله لا بيد غيره من الرسل وغيرهم.
- اتباع الحق وسيلة للأمن لا مبعث على الخوف كما يدعي المشركون. • خطر الترف على الفرد والمجتمع. • من رحمة الله أنه لا يهلك الناس إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل.

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٠﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧١﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّى أَنَّ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٥﴾

ولما اعتذر المشركون عن اتباع الحق بما يلاقونه من مصاعب الحرب وانقطاع التجارة أجابهم الله بقوله: ﴿٦٥﴾ وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتعون به وتتزينون في الحياة الدنيا ثم يفنى، وما عند الله من الثواب العظيم في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا ما هو باق على ما هو فاني؟

﴿٦٦﴾ أفمن وعدناه في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم فهو صائر إليه لا محالة كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الحياة الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المحضرين إلى نار جهنم؟

﴿٦٧﴾ ويوم يناديهم ربهم ﷻ قائلًا: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركائي؟

﴿٦٨﴾ قال الذين وجب عليهم العذاب من الدعاة إلى الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم كما ضللنا، نتبرأ إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

﴿٦٩﴾ وقيل لهم: نادوا شركاءكم ليتقذكُم مما أنتم فيه من الخزي، فنادوا شركاءهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المعد لهم، فودّوا لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق.

﴿٧٠﴾ ويوم يناديهم ربهم قائلًا: ماذا أجبتُم به رسلي الذين بعثتهم إليكم؟

﴿٧١﴾ فخفي عليهم ما يحتاجون به فلم يذكروا شيئاً، ولا يسأل بعضهم بعضاً؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنهم صائرون إليه من العذاب.

﴿٧٢﴾ فأما من تاب من هؤلاء المشركين من كفره وآمن بالله ورسله، وعمل عملاً صالحاً؛ فعسى أن يكون من الفائزين بما يطلبونه، الناجين مما يرهّبونه.

﴿٧٣﴾ وربك - أيها الرسول - يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي من يشاء لطاعته ونبوته، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزه سبحانه وتقدس عما يعبدون معه من الشركاء.

﴿٧٤﴾ وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما يعلنونه، لا يخفي عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٧٥﴾ وهو الله سبحانه لا معبود بحق غيره، له وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مردّ له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

● من قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

- العاقل من يؤثر الباقي على الفاني.
- التوبة تجب ما قبلها.
- الاختيار لله لا لعباده، فليس لعباده أن يعترضوا عليه.
- إحاطة علم الله بما ظهر وما خفي من أعمال عباده.

﴿٧١﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَهْؤَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَخْبِرُونِي إِنْ صَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ دَائِمًا مُسْتَمِرًّا، لَا انْقِطَاعَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ مَعْبُودٍ غَيْرِ اللَّهِ بِأَتْيِكُمْ بَضِيَاءَ مِثْلِ ضِيَاءِ النَّهَارِ؟ أَفَلَا تَسْمَعُونَ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَأْتِيكُم بِذَلِكَ؟

﴿٧٢﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: أَخْبِرُونِي إِنْ صَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ دَائِمًا مُسْتَمِرًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ مَعْبُودٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمُ اللَّيْلَ تَسْكُونُ فِيهِ تَسْتَرِيحُوا مِنْ عَنَاءِ الْعَمَلِ فِي النَّهَارِ؟ أَفَلَا تَبْصُرُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَأْتِيكُم بِذَلِكَ كُلَّهُ؟

﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ سَبَّحَانَهُ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - اللَّيْلَ مَظْلَمًا؛ لِتَسْكُنُوا فِيهِ بَعْدَ مَا عَانَيْتُمْ مِنْ عَمَلٍ فِي النَّهَارِ، وَجَعَلَ لَكُمْ النَّهَارَ مُضِيًّا؛ لِتَسْجُوا إِلَى طَلَبِ الرِّزْقِ فِيهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَلَا تَكْفُرُونَهَا.

﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ رَبُّهُمْ قَائِلًا: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ؟ وَأَحْضَرْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. *

﴿٧٥﴾ إِنْ قَرُّونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ وَقَوْمُهُ لَا تَفْرَحُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ. * وَأَتْبَعَ فِيْمَاءَ اتِّدَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. *

﴿٧٦﴾ وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ فَرْعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ بِسَبَبِ السُّلْطَانِ ذَكَرَ طُغْيَانَ قَارُونَ بِسَبَبِ الْمَالِ، فَقَالَ:

﴿٧٧﴾ إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَتَكْبَرُ عَلَيْهِمْ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُنُوزِ الْأَمْوَالِ مَا إِنْ مَفَاتِحُ خَزَائِنِهِ لِيُثْقَلَ حِمْلُهَا عَلَى الْجَمَاعَةِ الْقَوِيَّةِ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا تَفْرَحْ فَرَحَ الْبَطْرِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ فَرَحَ الْبَطْرِ، بَلْ يَبْغِضُهُمْ وَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. * وَاطْلُبْ فِيْمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الثَّوَابَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ؛ بِأَنْ تَتَّقَهُ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَاللِّبَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ، وَأَحْسِنِ التَّعَامُلَ مَعَ رَبِّكَ وَمَعَ عِبَادِهِ كَمَا أَحْسَنَ سَبَّحَانَهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَطْلُبِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَتَرْكِ الطَّاعَاتِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ بِذَلِكَ، بَلْ يَبْغِضُهُمْ.

﴿٧٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تعاقب الليل والنهار نعمة من نعم الله يجب شكرها له.
- الطغيان كما يكون بالرياسة والملك يكون بالمال.
- الفرح بغير عافية بمعصية الله.
- ضرورة النصيح لمن يخاف عليه من الفتنة.
- بغض الله للمفسدين في الأرض.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا
 وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
 فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ
 وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ وَمِنْ دُونَ
 اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
 مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا
 وَيَكَانَتْهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
 لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
 ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
 يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

﴿٧٨﴾ قال قارون: إنما أُعْطيت هذه الأموال لعلمٍ عندي وقُدرة، فأنا أستحقها لذلك. أَوَلَمْ يَعْلَمْ قارون أن الله قد أَهْلَكَ من قبله من الأمم من هم أَشَدُّ قُوَّةً وأكثر جمعًا لأموالهم؟ فما نفعتهم قوتهم ولا أموالهم، ولا يسأل يوم القيامة المجرمون عن ذنوبهم لعلم الله بها، فسؤالهم سؤال توكيت وتوبيخ.

﴿٧٩﴾ فخرج قارون في زِينَتِهِ مظهرًا أَهْنَهُ، قال الذين يطمعون في زينة الحياة الدنيا من أصحاب قارون: يا ليتنا أُعْطِينَا من زينة الدنيا مثل ما أُعْطِيَ قارون، إن قارون لذو نصيب وافٍ كبير.

﴿٨٠﴾ وقال الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زِينَتِهِ وسمعوا ما تمناه أصحابه: وليكم! ثواب الله في الآخرة، وما أعدّه من النعيم لمن آمَنَ به وعمل عملًا صالحًا، خيرٌ مما أُعْطِيَ قارون من زهرة الدنيا، ولا يوفق لقول هذه الكلمة والعمل بما تقتضيه إلا الصابرون الذين يصبرون على إيثار ما عند الله من ثواب على ما في الدنيا من متاع زائل.

﴿٨١﴾ فخسفنا الأرض به وبداره ومن فيها انتقامًا منه على بغيه، فما كان له من جماعة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين بنفسه.

﴿٨٢﴾ وأصبح الذين تمنوا ما كان فيه من المال والزينة قبل الخسف به يقولون متحسرين معتبرين: ألم نعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم؟ لولا أن مَنَّ الله علينا فلم يعاقبنا بما قلنا؛ لخسف بنا مثل ما خسف بقارون،

إنه لا يفوز الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إن مصيرهم ومآلهم الخسران فيهما.

﴿٨٣﴾ تلك الدار الآخرة نجعلها دار نعيم وتكريم للذين لا يريدون تكبرًا في الأرض عن الإيمان بالحق واتباعه، ولا يريدون فسادًا فيها، والعاقبة المحمودة هي بما في الجنة من نعيم، وما يحل فيها من رضا الله للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٨٤﴾ من جاء بالحسنة يوم القيامة - من صلاة وزكاة وصيام وغيره - فله جزاء خير من تلك الحسنات حيث تضاعف له الحسنات إلى عشر أمثالها، ومن جاء يوم القيامة بالسَّيِّئَةِ - من كفر وأكل ربا وزنى وغير ذلك - فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا مثل ما عملوا دون زيادة.

● مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- كل ما في الإنسان من خير ونعم، فهو من الله خلقًا وتقديرًا.
- أهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من الفتن؛ لأن العلم يوجه صاحبه إلى الصواب.
- العلو والكبر في الأرض ونشر الفساد عاقبته الهلاك والخسران.
- سعة رحمة الله وعدله بمضاعفة الحسنات للمؤمن وعدم مضاعفة السيئات للكافر.

﴿٨٥﴾ إِنْ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٥﴾ وما كنت - أيها الرسول - تأمل - قبل البعثة - أن يُلقَىٰ إليك القرآن وحيا من الله، لكن رحمة منه سبحانه اقتضت إنزاله عليك، فلا تكونن معينا للكافرين على ما هم فيه من الضلال. ﴿٨٦﴾ ولا يصرفك هؤلاء المشركون عن آيات الله بعد إنزالها عليك فتترك تلاوتها وتبليغها، وادع الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده والعمل بشرعه، ولا تكونن من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، بل كن من الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله وحده. ﴿٨٧﴾ ولا تعبد مع الله معبودا غيره، لا معبود بحق غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٨٨﴾ وما يشاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

سورة العنكبوت

— مكية —

﴿١﴾ مِنَ مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

الأمر بالصبر والثبات عند الابتلاء والفتن، وبيان حسن عاقبته.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ سيق الكلام عن نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ أظن الناس أنهم بقولهم: آمنا بالله، يتركون دون اختبار بين حقيقة ما قالوا، هل هم مؤمنون حقاً؟ ليس

سورة العنكبوت

آياتها ٢٩

ترتيبها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾

٣٩٦

الأمر كما ظنوا.

﴿١﴾ ولقد اخترنا الذين كانوا قبلهم، فليعلمن الله علم ظهور ويكشف لكم صدق الصادقين في إيمانهم وكذب الكاذبين فيه.

﴿٢﴾ بل أظن الذين يعملون المعاصي من الشرك وغيره أن يعجزونا، وينجوا من عقابنا؟ قبح حكمهم الذي يحكمون به، فهم لا يعجزون الله، ولا ينجون من عقابه إن ماتوا على كفرهم.

﴿٣﴾ من كان يأمل لقاء الله يوم القيامة ليشبهه فليعلم أن الأجل الذي ضربه الله لذلك لآت قريباً، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم، لا يقوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٤﴾ ومن جاهد نفسه بجملها على الطاعة والبعد عن المعصية، وجاهد في سبيل الله فإنما يجاهد لنفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليها، والله غني عن المخلوقات كلها، فلا تزيده طاعتهم، ولا تنقصه معصيتهم.

﴿٥﴾ من قوايد الآيات:

- النهي عن إغانة أهل الضلال.
- الأمر بالتمسك بتوحيد الله والبعد عن الشرك به.
- ابتلاء المؤمنين واختبارهم سنة إلهية.
- غنى الله عن طاعة عباده.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنَّا لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ والذين آمنوا وصبروا على امتحاننا لهم، وعملوا الأعمال الصالحات لنمحو عنهم ذنوبهم بما عملوه من الأعمال الصالحة، ولنثيبهم في الآخرة أحسن الذي كانوا يعملون في الدنيا.

﴿٨﴾ ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما ويحسن إليهما، وإن جاهدك والدك - أيها الإنسان - لتشرك بي ما ليس لك بإشراكه علم - كما وقع لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من أمه - فلا تطعهما في ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إلي وحدي رجوعكم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، وأجازيكم عليه.

﴿٩﴾ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لندخلنهم يوم القيامة في الصالحين، فنحشرهم معهم، ونثيبهم ثوابهم.

﴿١٠﴾ ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاه الكفار على إيمانه جعل عذابهم له كعذاب الله فارتد عن الإيمان موافقة للكفار، ولئن حصل نصر من ربك لك - أيها الرسول - ليقولن: إنا كنا معكم - أيها المؤمنون - على الإيمان، أليس الله بأعلم بما في صدور الناس؟ لا يخفى عليه ما فيها من الكفر والإيمان، فكيف ينبئون الله بما في قلوبهم وهو أعلم بما فيها منهم؟

﴿١١﴾ وليعلمن الله الذين آمنوا به حقاً، وليعلمن المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويضمرون الكفر.

﴿١٢﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا بالله وحده: اتبعوا ديننا وما نحن عليه،

ونحمل نحن عنكم ذنوبكم، فتجازى عليها دونكم، وليسوا بحاملين شيئاً من ذنوبهم، وإنهم لكاذبون في قولهم هذا. ولما كان نفي حملهم لخطايا غيرهم قد يفهم منه أن الكفار الداعين إلى ضلالتهم لا يأثمون إثماً زائداً بسبب ذلك رفع ذلك الإيهام بقوله:

﴿١٣﴾ وليحملن هؤلاء المشركون الداعون إلى باطلهم ذنوبهم التي اقترفوها، وليحملن ذنوب من اتبع دعوتهم دون أن ينقص من ذنوب التابعين لهم شيء، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يختلقونه في الدنيا من الأباطيل.

﴿١٤﴾ ولقد بعثنا نوحاً رسولاً إلى قومه، فمكث فيهم مدة تسع مئة وخمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه واستمروا على كفرهم، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، فهلكوا بالفرق.

﴿١٥﴾ من قوايد الآيات،

● الأعمال الصالحة يُكفر الله بها الذنوب.

● تأكد وجوب البر بالأبوين.

● الإيمان بالله يقتضي الصبر على الأذى في سبيله.

● من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

﴿١٥﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ
المؤمنين في السفينة من الهلاك بالغرق، وجعلنا السفينة عبرة للناس يعتبرون بها.

﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ اجْعَلْ لَهُ آيَةً فَلَمَّا كَانَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَ آيَةَ الْكُفْرِ وَآيَةَ الْإِيمَانِ وَلَمَّا جَاءَ الْوَحْيُ بِالْحَبْرِ قَالُوا كَذِبٌ مُّذْمُومٌ
إبراهيم حين قال لقومه أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ - أيها العابدون - الأصنام لا تنفع ولا تضر، وتختلقون الكذب حين تزعمون استحقاقها للعبادة، إن الذين تعبدهم من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فيرزقوكم، فاطلبوا عند الله الرزق فهو الرزاق، واعبدوه وحده، واشكروا له ما أنعم به عليكم من الرزق، إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء لا إلى أصنامكم. ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا - أيها المشركون - بما جاء به محمد ﷺ، فقد كذبت أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ كقوم نوح وعاد وثمود، وما على الرسول إلا البلاغ الواضح، وقد بلغكم ما أمره ربه بتبليغه إليكم. ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿٢٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

﴿٢١﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ مِن خَلْقِهِ بِفَضْلِهِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تَرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ حِينَ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿٢٢﴾ وَلَيْسَ لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ يَتَوَلَّى أَمْرَكُمْ، وَلَيْسَ لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ نَصِيرٌ يَرْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ. ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَبِقَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُولَئِكَ قُتِلُوا مِنْ رَّحْمَتِي، فَلَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَبَدًا لَكُفْرِهِمْ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّوجِعٌ يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٠﴾

- الأصنام لا تملك رزقاً، فلا تستحق العبادة.
- طلب الرزق إنما يكون من الله الذي يملك الرزق.
- بدء الخلق دليل على البعث.
- دخول الجنة محرم على من مات على كفره.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
الْثُّبُونَ وَالْكَتَبَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُ
فِي الْآخِرَةِ لِمِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿٢٤﴾ فما كان جواب قوم إبراهيم له - بعد ما أمرهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة غيره من الأوثان - إلا أن قالوا: اقتلوه أو أرموه في النار انتصاراً لألهتكم، فسلّمه الله من النار، إن في تسليمه من النار بعد رميه فيها لعِبَرًا لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر.

﴿٢٥﴾ وقال إبراهيم ﷺ لقومه: إنما اتخذتم أوثاناً آلهة تعبدونها للتعارف والتواؤم على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة ينقطع ذلك التواؤم بينكم، فيتبرأ بعضكم من بعض عند معاناة العذاب، ويلعن بعضكم بعضاً، ومقرّكم الذي تأوؤن إليه النار، وليس لكم من ناصرين يمنعونكم من عذاب الله، لا من أوثانكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولا من غيرها. ﴿٢٦﴾ فأمن له لوط ﷺ، وقال إبراهيم ﷺ: إني مهاجر إلى ربي إلى أرض الشام المباركة، إنه هو العزيز الذي لا يغالب، ولا يذل من هاجر إليه، الحكيم في تقديره وتديره.

﴿٢٧﴾ وأعطينا إبراهيم إسحاق وابنه يعقوب، وصبرنا في أولاده النبوة، والكتب المنزلة من عند الله، وأعطينا ثواب صبره على الحق في الدنيا بصلاح الأولاد والثناء الحسن، وإنه في الآخرة ليُجزى جزاء الصالحين، لا ينقص ما أعطي في الدنيا ما أعد له من الجزاء الكريم في الآخرة.

﴿٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - لوطاً حين قال لقومه: إنكم لتأتون الذنب القبيح ما سبقكم إلى الإتيان به أحد من العالمين قبلكم، فأنتم أول من ابتدع هذا الذنب الذي تأباه الفطر السليمة.

﴿٢٩﴾ أنكم لتأتون الذكران في أدبارهم لقضاء شهوتكم، وتقطعون الطريق على المسافرين فلا يمرون بكم خشية ما ترتكبونه من الفاحشة، وتأتون في مجالسكم الأفعال المنكرة كالعري وإيذاء من يمر بكم بالقول والفعل؟ فما كان جواب قومه له بعد نهيهم عن فعل المنكرات إلا أن قالوا له: اتئنا بعذاب الله الذي تهددنا به إن كنت صادقاً فيما تدّعيه.

﴿٣٠﴾ قال لوط ﷺ داعياً ربه بعد تعنت قومه وطلبهم إنزال العذاب عليهم استخفافاً به: رب انصُرني على القوم المفسدين في الأرض بما ينشرونه من الكفر والمعاصي المستقبحة.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- عناية الله بعباده الصالحين حيث ينجيهم من مكر أعدائهم.
- فضل الهجرة إلى الله.
- عظم منزلة إبراهيم وآله عند الله تعالى.
- تعجيل بعض الأجر في الدنيا لا يعني نقص الثواب في الآخرة.
- قبح تعاطي المنكرات في المجالس العامة.

﴿٢١﴾ ولما جاءت الملائكة الذين بعثناهم يبشرون إبراهيم بإسحاق ومن بعده ابنه يعقوب قالوا له: إنا مهلكو أهل قرية سدوم قوم لوط؛ إن أهلها كانوا ظالمين بما يقومون به من فعل الفاحشة.

﴿٢٢﴾ قال إبراهيم ﷺ للملائكة: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاك أهلها لوطاً، وليس هو من الظالمين، قالت الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، **لِنُنْقِذَكَ وَأَهْلَكَ** وأهلك من الهلاك المنزل على أهل القرية إلا امرأته كانت من الباقيين الهالكين، فسنةهلكها معهم.

﴿٢٣﴾ ولما أتت الملائكة الذين بعثناهم لإهلاك قوم لوط لوطاً ساء وأحزنه مجيئهم خوفاً عليهم من خبث قومه، فقد جاءت الملائكة في شكل رجال، وقومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال له الملائكة: لا تخف، فلن يصل إليك قومك بسوء، ولا تحزن على ما أخبرناك من إهلاكهم، إنا منقذك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقيين الهالكين، فسنةهلكها معهم.

﴿٢٤﴾ إنا منزلون على أهل هذه القرية التي كانت تعمل الخبائث عذاباً من السماء، وهو حجارة من سجيل: عقاباً لهم على خروجهم عن طاعة الله بما يرتكبون من الفاحشة القبيحة، وهي إتيان الرجال شهوة دون النساء.

﴿٢٥﴾ ولقد تركنا من هذه القرية التي أهلكناها آية واضحة لقوم يعقلون: لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات،

﴿٢٦﴾ وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيباً ﷺ، فقال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، وارجوا بعبادتهم

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّا فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنِ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٢٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَوَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾

إياه الجزاء في اليوم الآخر، ولا تقسدوا في الأرض بفعل المعاصي ونشرها.

﴿٢٧﴾ فكذب قومه، فأصابتهم الزلزلة، فأصبحوا في دارهم ساقطين على وجوههم قد لصقت وجوههم بالتراب، لا حراك بهم.

﴿٢٨﴾ وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وقد تبين لكم - يا أهل مكة - من مساكنهم بالشجر من حضرموت، والحجر ما يدلهم على إهلاكهم، فمساكنهم الخاوية شاهدة على ذلك، وحسن لهم الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر وغيره من المعاصي، فصرفهم عن الطريق المستقيم، وكانوا ذوي إبصار بالحق والضلال والرشد والفی بما علمتهم رسلهم، لكن اختاروا اتباع الهوى على اتباع الهدى.

﴿٢٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ...﴾ تدل على معرفة العرب بمساكنهم وأخبارهم.
- العلائق البشرية لا تنفع إلا مع الإيمان.
- الحرص على أمن الضيوف وسلامتهم من الاعتداء عليهم.
- منازل المهلكين بالعذاب عبرة للمعتبرين.
- العلم بالحق لا ينفع مع اتباع الهوى وإيتاره على الهدى.

وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٣٩﴾ وأهلكنا قارون - لما بغى على قوم موسى - بالخسف به وبيداره، وأهلكنا فرعون ووزيره هامان بالفرق في البحر، ولقد جاءهم موسى بالآيات الواضحات الدالة على صدقه، فاستكبروا في أرض مصر عن الإيمان به، وما كانوا ليسلموا من عذابنا بفوتهم لنا.

﴿٤٠﴾ فأخذنا كلًّا من المذكورين سابقًا بعذابنا المهلك، فمنهم قوم لوط الذين أرسلنا عليهم حجارة من سجيل منضود، ومنهم قوم صالح وقوم شعيب الذين أخذتهم الصيحة، ومنهم قارون الذي خسفنا به وبيداره الأرض، ومنهم قوم نوح وفرعون وهامان الذين أهلكناهم بالفرق، وما كان الله ليظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، فاستحقوا العذاب.

﴿٤١﴾ مثل المشركين الذين اتخذوا من دون الله أصنامًا يعبدونها رجاء نفعهم أو شفاعتهم كمثال العنكبوت اتخذت بيتًا يحميها من الاعتداء عليها، وإن أضعف البيوت لبیت العنكبوت، فهو لا يدفع عنها عدوًّا، وكذلك أصنامهم لا تنفع ولا تضر ولا تشفع، لو كان المشركون يعلمون ذلك لَمَا اتخذوا أصنامًا يعبدونها من دون الله.

﴿٤٢﴾ إن الله ﷻ يعلم ما يعبدونه من دونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتقديره وتديبره.

﴿٤٣﴾ وهذه الأمثال نضربها للناس لتوقظهم وتبصرهم بالحق، وتهديم إليه، وما يدركها على الوجه المطلوب إلا العالمون بشرع الله وحكمه.

﴿٤٤﴾ خلق الله ﷻ السماوات وخلق الأرض بالحق، ولم يخلقها بالباطل ولم يخلقها عبثًا، إن في ذلك الخلق لدلالة واضحة على قدرة الله للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يستدلون بخلق الله على الخالق سبحانه، وأما الكافرون فإنهم يَمُرُّون على الآيات في الآفاق والأنفس دون أن تلفت انتباههم إلى عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

﴿٤٥﴾ اقرأ - أيها الرسول - على الناس ما أوحى به الله إليك من القرآن، واثبت بالصلاة على أكمل وجه، إن الصلاة المؤداة بصفحتها الكاملة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ لما تحدثه من نور في القلوب يمنع من اقتراف المعاصي، ويرشد إلى عمل الصالحات، ولذكر الله أكبر وأعظم من كل شيء، والله يعلم ما تصنعونه، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

﴿٤٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أهمية ضرب المثل: «مثل العنكبوت».
- تعدد أنواع العذاب في الدنيا.
- تنزُّه الله عن الظلم.
- التعلق بغير الله تعلق بأضعف الأسباب.
- أهمية الصلاة في تقويم سلوك المؤمن.

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَنَا وَالْهَكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ وَبَيْمِينِكَ إِذَا لَا أَرْتَابَ الْمُبِطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٦﴾ ولا تحاوروا - أيها المؤمنون - ولا تخاصموا اليهود والنصارى إلا بالأسلوب الأحسن والطريقة المثلى وهي الدعوة بالموعظة والحجج البينة، إلا الذين ظلموا منهم بالعناد والمكابرة، وأعلنوا الحرب عليكم، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا لليهود والنصارى: آمنا بالذي أنزل الله إلينا من القرآن، وآمنا بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، وإلينا وإلهمك واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وكماله، ونحن له وحده منقادون متذللون.

﴿٤٧﴾ وكما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلنا عليك القرآن، فبعض هؤلاء الذين يقرؤون التوراة - مثل عبد الله بن سلام - يؤمنون به؛ لما يجدونه من نفعه في كتبهم، ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به، وما يكفر بأيآيات إلا الكافرون الذين دأبهم الكفر والجحود للحق مع ظهوره.

﴿٤٨﴾ وما كنت - أيها الرسول - تقرأ قبل القرآن أي كتاب، وما كنت تكتب شيئاً بيمينك؛ لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك الجاهلة من الناس في نبوتك، وتذرعوا بأنك كنت تكتب عن الكتب السابقة. بل القرآن المنزل عليك آيات واضحات في صدور الذين أعطوا العلم من المؤمنين، وما يجحد بأيآيات إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر بالله والشرك به.

﴿٥١﴾ وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد آيات من ربه مثل ما أنزل على الرسل من قبله، قل - أيها الرسول -

لهؤلاء المقترحين: إنما الآيات بيد الله سبحانه، ينزلها متى شاء، وليس إلي إنزالها، وإنما أنا نذير لكم من عقاب الله، واضح النذارة. أولم يكف هؤلاء المقترحين للآيات أنا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن يقرأ عليهم، إن في القرآن المنزل عليهم لرحمة وعظة لقوم يؤمنون، فهم الذين ينتفعون بما فيه، فما أنزل عليهم خير مما اقترحوه من نظير ما أنزل على الرسل سابقاً. ﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - كفى بالله سبحانه شاهداً على صدقي فيما جئت به، وعلى تكذيبكم به، يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، والذين آمنوا بالباطل من كل ما يعبد من دون الله، وكفروا بالله المستحق وحده للعبادة، أولئك هم الخاسرون؛ لاستبداهم الكفر بالإيمان.

من قوايد الآيات:

- مجادلة أهل الكتاب تكون بالتي هي أحسن.
- الإيمان بجميع الرسل والكتب دون تفريق شرط لصحة الإيمان.
- القرآن الكريم الآية الخالدة والحجة الدائمة على صدق النبي ﷺ.

٥٣ يستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعذاب الذي أذرتهم إياه، ولولا أن الله قدر لعذابهم وقتاً لا يتقدم عنه ولا يتأخر لجاءهم ما طلبوا من العذاب، وليأتيتهم فجأة وهم لا يتوقعونه.

٥٤ يستعجلونك بالعذاب الذي وعدتهم إياه، وإن جهنم التي وعدها الله الكافرين لمحيطه بهم، لا يستطيعون الفرار من عذابها.

٥٥ يوم يُعْطِيهِم العذاب من فوقهم، ويكون فراشاً لهم من تحت أرجلهم، ويقول لهم الله توبيخاً لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي.

٥٦ يا عبادي الذين آمنوا بي، هاجروا من أرض لا تتمكنون فيها من عبادتي، إن أرضي واسعة فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحداً.

٥٧ ولا يمنعكم من الهجرة خوف الموت، كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا وحدنا ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

٥٨ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات التي تقرب إليه نسكنهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار ماكين فيها أبداً، لا يلحقهم فيها فناء، نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذا الجزاء.

٥٩ نعم جزاء العاملين بطاعة الله الذين صبروا على طاعته وعن معصيته، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم.

٦٠ كل الدواب - على كثرتها - التي لا تستطيع جمع رزقها ولا حمله الله يرزقها ويرزقكم، فلا عذر لكم في

ترك الهجرة خوفاً من الجوع، وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم وأفعالكم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وسيجازيكم عليه. ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر وهما يتعاقبان؟ ليقولن: خلقهن الله، فكيف يصرفون عن الإيمان بالله وحده، ويعبدون من دونه آلهة لا تنفع ولا تضر؟

٦١ الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها هو، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه ما يصلح لعباده من تدبير.

٦٢ ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من نزل من السماء ماء فأنبت به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ ليقولن: أنزل المطر من السماء وأنبت به الأرض الله، قل - أيها الرسول -: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا مع الله أصناماً لا تنفع ولا تضر.

٦٣ من قواريذ الآيات،

● استعجال الكافر بالعذاب دليل على حمقه.

● باب الهجرة من أجل سلامة الدين مفتوح.

● فضل الصبر والتوكل على الله.

● الإقرار بالربوبية دون الإقرار بالأنهوية لا يحقق لصاحبه النجاة والإيمان.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٤ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٥ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
٥٥ يِعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي ارْضَىٰ وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ
٥٦ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَتَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٥٨ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٠ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ٦١ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦٢ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٦٣

٦٤ ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من نزل من السماء ماء فأنبت به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ ليقولن: أنزل المطر من السماء وأنبت به الأرض الله، قل - أيها الرسول -: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا مع الله أصناماً لا تنفع ولا تضر.

٦٥ من قواريذ الآيات،

● استعجال الكافر بالعذاب دليل على حمقه.

● باب الهجرة من أجل سلامة الدين مفتوح.

● فضل الصبر والتوكل على الله.

● الإقرار بالربوبية دون الإقرار بالأنهوية لا يحقق لصاحبه النجاة والإيمان.

فيها من الشهوات والمتاع - إلا لهوٌ لقلوب المتعلقين بها ولعب، ما يلبث أن ينتهي بسرعة، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية لبقاها، لو كانوا يعلمون لما قدّموا ما يفنى على ما يبقى. ولما سجل الله على المشركين تناقضهم؛ بإيمانهم بربوبية الله عندما يُسألون عن خلق السماوات والأرض، وكفرهم بألوهيته عندما يعبدون غيره، سجّل عليهم تناقضاً آخر هو إخلاصهم التوحيد عند الخوف من الفرق وعودتهم للشرك عند أمنهم منه، فقال: ﴿٦٥﴾ وإذا ركب المشركون في السفن في البحر دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء أن ينجيهم من الغرق، فلما نجاهم من الغرق انقلبوا مشركين يدعون معه آلتهم. ﴿٦٦﴾ انقلبوا مشركين ليكفروا بما أعطيناهم من النعم، ولينمتعوا بما أعطوا من زهرة الحياة الدنيا، فسوف يعلمون عاقبتهم السيئة عندما يموتون. ﴿٦٧﴾ أولم ير هؤلاء الجاحدون لنعمة الله عليهم حين نجاهم الله من الغرق نعمة أخرى؛ هي أننا جعلنا لهم حرماً يأمنون فيه على دماءهم وأموالهم، على حين أن غيرهم تُشَنُّ عليهم الفارات، فيقتلون ويؤسرون وتُنهب أموالهم، أفالباطل من آلتهم المزعومة يؤمنون، وبنعمة الله عليهم يكفرون، فلا يشكروها لله؟ ﴿٦٨﴾ لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بأن نسب إليه شريكاً، أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله، لا شك أن في جهنم مسكناً للكافرين ولأمثالهم. ﴿٦٩﴾ والذين جاهدوا أنفسهم ابتغاء مرضاتنا لنوفقهم لإصابة الطريق المستقيم، وإن الله مع المحسنين بالعون والنصر والهداية.

سُورَةُ الرُّومِ

— مكية —

• من مقاصد السورة:

تأكيد تقَرّد الله سبحانه بتصرف الأمور، وبيان سنن الله في خلقه.

• التفسير:

﴿١﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. ﴿٢﴾ غَلَبَتْ فارسُ الروم. ﴿٣﴾ في أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس، والروم من بعد غلبة فارس لهم سيغلبونهم. ﴿٤﴾ في زمن لا يقل عن ثلاث سنوات، ولا يزيد على عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون. ﴿٥﴾ يفرحون بنصر الله للروم لأنهم أهل كتاب، ينصر الله من يشاء على من يشاء، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الرحيم بعباده المؤمنين.

• من قواعد الآيات: • لجوء المشركين إلى الله في الشدة ونسيانهم لأصنامهم، وإشراكهم به في الرخاء؛ دليل على تخبطهم.

• الجهاد في سبيل الله سبيل للتوفيق إلى الحق. • إخبار القرآن بالغيبيات دليل على أنه من عند الله.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَفْلُونَ ٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا
 مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ٨ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا
 أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا
 عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَتَوْا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
 بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ١٠ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
 ١١ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ١٢ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ
 شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا إِشْرَكَآءَ بِهِمْ كَافِرِينَ
 ١٣ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَذِّدِ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ١٥

٦ هذا النصر كان وعدًا من الله تعالى، لا يخلف الله وعده ذلك، ويتحققه يزداد المؤمنون بقيًا بوعده الله بالنصر، أما أكثر الناس فلا يفقهون هذا لكفرهم.

٧ لا يعلمون الإيمان وأحكام الشرع، وإنما يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا يتعلق بكسب المعاش وبناء الحضارة المادية، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها.

٨ أولم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها. ما خلق الله السماوات وما خلق الأرض وما بينهما إلا بالحق، فلم يخلقهما عبثًا، وجعل لهما أجلًا محددًا لبقائهما في الدنيا، وإن كثيرًا من الناس بقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، لذلك فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح المرضي عند ربهم.

٩ أولم يسر هؤلاء في الأرض ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، كانت هذه الأمم أشد منهم قوة، وقلبوا الأرض للزراعة والتعمير، وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبراهين والحجج الواضحة على توحيد الله فكذبوا، فما ظلمهم الله حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

١٠ ثم كانت نهاية الذين ساءت أعمالهم بالشرك بالله وعمل السيئات، النهاية البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها.

١١ الله يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يفنيه، ثم يعيده، ثم إليه وحده ترجعون للحساب والجزاء يوم القيامة.

١٢ ويوم تقوم الساعة يبئس المجرمون من رحمة الله، وينقطع أملهم فيه؛ لانقطاع حجتهم على الكفر بالله. ولم يكن لهم من شركائهم - الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا - من يشفعون لإنقاذهم من العذاب، وكانوا بشركائهم كافرين، فقد خذلهم حين كانوا بحاجة إليهم لأنهم كلهم سواء في الهلاك.

١٣ ويوم تقوم الساعة في ذلك اليوم يتفرق الناس في الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا، بين مرفوع إلى عليين، ومخفوض إلى أسفل سافلين.

١٤ فأما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات المرضية عنده، فهم في جنة يُسَرَّون بما ينالون فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع أبدًا.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- العلم بما يصلح الدنيا مع الغفلة عما يصلح الآخرة لا ينفع.
- آيات الله في الأنفس وفي الآفاق كافية للدلالة على توحيده.
- الظلم سبب هلاك الأمم السابقة.
- يوم القيامة يرفع الله المؤمنين، ويخفض الكافرين.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تَصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُنحِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ
خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ
بَالَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

٤٠٦

﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وكذبوا
بآياتنا المنزلة على رسولنا، وكذبوا
بالبعث والحساب، فأولئك الذين
أحضروا للعذاب فهم ملازمون له.

﴿١٧﴾ فَسَبِّحُوا اللَّهَ حِينَ تَدْخُلُونَ
فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ؛ وهو وقت صلاتي:
المغرب والعشاء، وسبِّحوه حين
تدخلون في وقت الصباح، وهو وقت
صلاة الفجر.

﴿١٨﴾ وَلَهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ النَّهَارُ؛
ففي السماوات يحمده ملائكته، وفي
الأرض تحمده خلأته، وسبِّحوه حين
تدخلون في العشي وهو وقت صلاة
العصر، وسبِّحوه حين تدخلون في
وقت الظهر.

﴿١٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، مثل
إخراجه الإنسان من النطفة، والفرخ
من البيضة، ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ،
مثل إخراجه النطفة من الإنسان،
والبيضة من الدجاجة، ويحيي الأرض
بعد جفافها بإنزال المطر ونباتها،
ومثل إحياء الأرض بنباتها تخرجون
من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ
على قدرته ووحدانيته: أَنْ خَلَقَكُمْ
- أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ تُرَابٍ حِينَ خَلَقَ
أَبَاكُمْ مِنْهُ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَتَكَاثَرُونَ
بِالتَّوَالُدِّ، وتتشرون في مشارق
الأرض ومغاربها.

﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ كَذَلِكَ الدَّالَّةُ
على قدرته ووحدانيته أَنْ خَلَقَ لَأَجْلِكُمْ
- أَيُّهَا الرِّجَالُ - مِنْ جَنْسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَطْمَئِنَّ أَنْفُسُكُمْ إِلَيْهِمْ لِلتَّجَانُّسِ
بَيْنَكُمْ، وَصَيَّرَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مَحَبَّةً
وَشَفَقَةً، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ الْمَذْكُورِ لِبَرَاهِينٍ
وَدَلَالَاتٍ وَاضِحَةٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ؛ لأنهم

الذين يستفيدون من أعمال عقولهم.

﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ على قدرته ووحدانيته: خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَخَلْقُ الْأَرْضِ، ومنها اختلاف لغاتكم، واختلاف ألوانكم، إن
في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لأهل العلم والبصيرة.

﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ على قدرته ووحدانيته: تَوْحِيدُكُمْ بِاللَّيْلِ، وَمَنَامُكُمْ بِالنَّهَارِ لِتَسْتَرِيحُوا مِنْ عَنَاءِ أَعْمَالِكُمْ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
جَعَلَ لَكُمْ النَّهَارَ لِتَنْتَشِرُوا فِيهِ مَبْتَغِينَ الرِّزْقَ مِنْ رَبِّكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ الْمَذْكُورِ لِبَرَاهِينٍ وَدَلَالَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَسَمَاعَ قَبُولٍ.
﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ على قدرته ووحدانيته: أَنْ يَرِيَكُمْ الْبَرْقَ فِي السَّمَاءِ، وَيَجْمَعُ لَكُمْ فِيهِ بَيْنَ الْخَوْفِ مِنَ الصَّوَاعِقِ،
وَالطَّمَعِ فِي الْمَطَرِ، وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً الْمَطَرِ، فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ جَفَافِهَا بِمَا يَنْبَغُ فِيهَا مِنْ نَبَاتٍ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لِبَرَاهِينٍ وَدَلَالَاتٍ
وَاضِحَةٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿٢٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إعمار العبد أوقاته بالصلاة والتسبيح علامة على حسن العاقبة.
- الاستدلال على البعث بتجدد الحياة، حيث يخلق الله الحي من الميت والميت من الحي.
- آيات الله في الأنفس والآفاق لا يستفيد منها إلا من يُعْمِلُ وسائل إدراكه الحسية والمعنوية التي أنعم الله بها عليه.

﴿٢٥﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته قيام السماء دون سقوط، والأرض دون انهدام؛ بأمرة سبحانه، ثم إذا دعاكم سبحانه دعوة من الأرض بنفخ الملك في الصور إذا أنتم تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٢٦﴾ وله وحده من في السماوات، وله من في الأرض ملكًا وخلقًا وتقديرًا، كل من في السماوات وكل من في الأرض من مخلوقاته متفادون له مستسلمون لأمره.

﴿٢٧﴾ وهو سبحانه الذي يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد إفنائته، والإعادة أسير من الابتداء، وكلاهما سهل عليه لأنه إذا أراد شيئًا قال له: (كن) فيكون، وله الوصف الأعلى في كل ما يوصف به من صفات الجلال والكمال، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتدييره.

﴿٢٨﴾ ضرب الله لكم - أيها المشركون - مثلًا مأخوذًا من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسوية، تخافون أن يقتسموا أموالكم معكم كما يخاف بعضكم من شريكه الحر أن يقسم معه المال؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذا؟ لا شك أنكم لا ترضون بذلك، فאלله أولى بالألا يكون له شريك في ملكه من مخلوقاته وعبيده، يمثل ذلك من ضرب الأمثال وغيره نبين الحجج والبراهين بتويعها لقوم يعقلون، لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك.

﴿٢٩﴾ ليس سبب ضلالهم قصورًا في الأدلة، ولا عدم بيان لها، وإنما هو اتباع الهوى وتقليد آبائهم، جهلاً منهم لحق الله عليهم، فمن يوفق لله لا أحد يوفقه، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم عذاب الله.

﴿٣٠﴾ فتوجه - أيها الرسول - أنت ومن معك للدين الذي وجهك الله إليه؛ مائلًا عن جميع الأديان إليه، دين الإسلام الذي فطر الناس عليه، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الدين الحق هو هذا الدين.

﴿٣١﴾ وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم.

﴿٣٢﴾ ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فِرَقًا وأحزابًا، كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل.

﴿٣٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- خضوع جميع الخلق لله سبحانه قهرًا واختيارًا.
- دلالة النشأة الأولى على البعث واضحة المعالم.
- اتباع الهوى يضل ويطغي.
- دين الإسلام دين الفطرة السليمة.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَائِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُرَكَاءَ كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿٣٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

﴿٣٤﴾ فتوجه - أيها الرسول - أنت ومن معك للدين الذي وجهك الله إليه؛ مائلًا عن جميع الأديان إليه، دين الإسلام الذي فطر الناس عليه، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الدين الحق هو هذا الدين.

﴿٣٥﴾ وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم.

﴿٣٦﴾ ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فِرَقًا وأحزابًا، كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل.

﴿٣٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- خضوع جميع الخلق لله سبحانه قهرًا واختيارًا.
- دلالة النشأة الأولى على البعث واضحة المعالم.
- اتباع الهوى يضل ويطغي.
- دين الإسلام دين الفطرة السليمة.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ
مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
آتَيْنَاهُمْ فَيَسْتَعِجُوا فَيَسْأَلُوا عَنَّا أَنزِلْنَا عَلَيْهِمْ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَزَحُوا بِهَا وَإِن تَصَبَّهُمْ سَيِّئَةٌ إِنَّمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ
حَقَّهُ وَوَالْمَسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءَ آتَيْتُم مِّن رِّيًّا
لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْتُم مِّن
زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
شَرَكَا بِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِمَّن شَاءَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

﴿٣٣﴾ وإذا أصاب المشركين شدة من مرض أو فقر أو قحط دعوا ربهم سبحانه وحده راجعين إليه بالتضرع والالتجاء أن يصرف عنهم ما أصابهم، ثم إذا رحمهم بكشف ما أصابهم، إذا جماعة منهم يرجعون إلى إشراكهم مع الله غيره في الدعاء. ﴿٣٤﴾ إذا كفروا بنعم الله - ومنها نعمة كشف الضر - وتمتعوا بما بين أيديهم في هذه الحياة فسوف يرون يوم القيامة بأعينهم أنهم كانوا في ضلال واضح.

﴿٣٥﴾ ما الذي دعاهم إلى الشرك بالله ولا حجة لهم؟ فما أنزلنا عليهم حجة من كتاب يحتجون بها على شركهم بالله، وليس معهم كتاب يتكلم بشركهم، ويقرر لهم صحة ما هم عليه من الكفر.

﴿٣٦﴾ وإذا أذقنا الناس نعمة من نعمنا كالصحة والغنى فرحوا بها فرح بطر وتكبروا، وإن ينلهم ما يسوؤهم من مرض وفقر بما كسبته أيديهم من المعاصي، إذا هم يئسسون من رحمة الله، ويقنطون من زوال ما يسوؤهم. ﴿٣٧﴾ أولم يروا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً له أشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء منهم ابتلاء له أيسبر أم يتسخط؟ إن في توسيع الرزق لبعض، وتضييقه على بعض، لدلالات للمؤمنين على لطف الله ورحمته.

﴿٣٨﴾ فأعط - أيها المسلم - صاحب القرابة ما يستحقه من البر والصلة، وأعط المحتاج ما يدفع به حاجته، وأعط الغريب الذي انقطعت به السبيل عن بلده، ذلك الإعطاء في تلك الوجوه ما يطلبونه من الجنة، وبسلامتهم ما

خير للذين يريدون به وجه الله، والذين يقدمون هذه المعونة والحقوق هم الفائزون بنيلهم ما يطلبونه من الجنة، وبسلامتهم ما يطلبونه من العذاب.

ولما بين ما يتقرب به إلى الله من العمل بين ما يتراد به غير وجهه، وإنما يتراد به مقصد دنيوي رخيص، فقال: ﴿٣٩﴾ وما دفعتم من أموال إلى أحد من الناس بغية أن يردها إليكم بزيادة فلا ينمو أجره عند الله، وما أعطيتكم من أموالكم إلى من يدفع بها حاجة تريدون بذلك وجه الله، لا تريدون منزلة ولا مثوبة من الناس، فأولئك هم الذين يضاعف لهم الأجر عند الله.

﴿٤٠﴾ الله وحده هو الذي انفرد بخلقكم، ثم رزقكم، ثم إمامتكم ثم إحيائكم للبعث، هل من أصنامكم التي تعبدونها من دونه من يفعل شيئاً من ذلك؟ تتره سبحانه وتقدس عما يقول ويعتقد المشركون.

﴿٤١﴾ ظهر الفساد في البر والبحر، كالجذب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة، بسبب ما عملوه من المعاصي، ظهر ذلك ليزيقهم الله جزء بعض أعمالهم السيئة في الحياة الدنيا رجاء أن يرجعوا إليه بالتوبة.

﴿٤٢﴾ من قوايد الآيات،

• فرح البطر عند النعمة، والقنوط من الرحمة عند النعمة؛ صفتان من صفات الكفار.

• إعطاء الحقوق لأهلها سبب للفلاح.

• محق الربا، ومضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.

• أثر الذنوب في انتشار الأوبئة وخراب البيئة مشاهد.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
 كَفَرَ عَلَيْهِ كُفْرَهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
 فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ
 ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
 إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٠٩

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: سيروا في الأرض، فتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلكم؟ فقد كانت عاقبة سيئة، كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بسبب إشراكهم بالله. ﴿٤٣﴾ فأقم - أيها الرسول - وجهك لدين الإسلام المستقيم الذي لا اعوجاج فيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا راد له، في ذلك اليوم يتفرق الناس: فريق في الجنة مُنْعَمُونَ، وفريق في النار معذبون.

﴿٤٤﴾ من كفر بالله فضرر كفره - وهو الخلود في النار - عائد عليه، ومن عمل عملاً صالحاً يتغني به وجه الله فلا أنفسهم يُهَيِّئُونَ دخول الجنة والتنعيم بما فيها خالدين فيها أبداً.

﴿٤٥﴾ ليجزى الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات التي ترضي ربهم، من فضله وإحسانه، إنه سبحانه لا يحب الكافرين به وبرسله، بل يمتقهم أشد المقت، وسيعذبهم يوم القيامة.

﴿٤٦﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحديته: أن يبعث الرياح تبشر العباد بقرب نزول المطر، وليذيقكم - أيها الناس - من رحمته بما يحصل بعد المطر من خصب ورخاء، ولتجري السفن في البحر بمشيئته، ولتطلبوا من فضله بالتجارة في البحر، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم فيزيدكم منها.

﴿٤٧﴾ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً إلى أممهم، فجاءوهم بالحجج والبراهين الدالة على

صدقهم، فكذبوا بما جاءتهم به رسلهم، فانتقمنا من الذين ارتكبوا السيئات، فأهلكناهم بعدابنا، وأنجينا الرسل والمؤمنين بهم من الهلاك، وإنجاء المؤمنين ونصرهم حق أوجبناه علينا.

﴿٤٨﴾ الله سبحانه هو الذي يسوق الرياح ويبعثها، فتثير تلك الرياح السحاب وتحركه، فيمدّه في السماء كيف يشاء من قلة أو كثرة، ويصيرها قطراً، فتري - أيها الناظر - المطر يخرج من بين ذلك السحاب، فإذا أصاب بالمطر من يشاء من عبادهم إذا هم به يسرون برحمة الله لهم بإنزال المطر الذي يعقبه إنبات الأرض بما يحتاجونه لأنفسهم ولدوابهم.

﴿٤٩﴾ وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم الله المطر لآيسين من نزوله عليهم. ﴿٥٠﴾ فانظر - أيها الرسول - إلى آثار المطر الذي ينزله الله رحمة لعباده، كيف يحيي الله الأرض بما ينبت عليها من أنواع النبات بعد جفافها ويبسها، إن الذي أحيا تلك الأرض الجافة لهو باعث الأموات أحياء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٥١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إرسال الرياح، وإنزال المطر، وجريان السفن في البحر: نِعَم تستدعي أن تشكر الله عليها.
- إهلاك المجرمين ونصر المؤمنين سُنَّة إلهية.
- إنبات الأرض بعد جفافها دليل على البعث.

وَلَمَّا بَعَثْنَا عَلَىٰ زُرْعِهِمْ وَنَبَاتِهِمْ
رَيْحًا تَقْسِدُهُ عَلَيْهِمْ، فَرَأَوْا زُرْعَهُمْ
مُضْفَرَّةَ الْأَلْوَانِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحَضَّرَةً
لِظُلُومِ بَعْدِ مَشَاهِدَتِهِمْ لَهَا يَكْفُرُونَ بِنِعْمِ
اللَّهِ السَّابِقَةِ عَلَىٰ كَثَرَتِهَا.

٥٦ ﴿فَمَا أَنْكَ لَا تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعَ
الْمَوْتِ وَلَا تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعَ الصَّمِّ، وَقَدْ
ابْتَعَدُوا عَنْكَ لِتَأْكُدَ عَدَمَ سَمَاعِهِمْ،
فكَذَلِكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْدِيَ مَنْ أَشْبَهَ
هَؤُلَاءِ بِالْإِعْرَاضِ وَعَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ.

وما أنت بموفق من ضل عن الطريق المستقيم إلى سلوك سبيل الرشاد، لا تُسمع سماعاً يُنفع به إلا من يؤمن بآياتنا؛ لأنه هو الذي ينفع بما تقوله، فهم منقادون لأمرنا، خاضعون له.

٥١
الناس - من ماء مهين، ثم جعل من
بعد ضعف طفولتكم قوة الرجولة،
ثم جعل من بعد قوة الرجولة ضعف
الشيخوخة والهرم، يخلق الله ما يشاء
من ضعف وقوة، وهو العليم بكل شيء،
لا يخفى عليه شيء، التقدير الذي لا
يعجزه شيء.

وَيَوْمَ تَقُومُ الْقِيَامَةُ يَحْلِفُ
الْمُجْرِمُونَ مَا مَكَّنَّا فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا
سَاعَةً، كَمَا صُفِّرُوا عَنْ مَعْرِفَةِ قَدَرِ مَا
لَبِثُوا فِي قُبُورِهِمْ كَانُوا يَصْرِفُونَ فِي
الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ.

وقال الذين أعطاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه من يوم خلقكم إلى يوم بعثكم الذي أنكرتموه، فهذا يوم يُبعث الناس من قبورهم، ولكنكم كنتم لا تعلمون أن البعث واقع، فكفرتم به.

وَلَيْنِ أَرْسَلْنَا رِجَالًا مِّنْهُ يَخْفَرُونَ أَوْ يُصَفِّرُونَ أَلْظُلَّ أَمِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
 ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّهْرَ الدَّاعِيَ إِذَا وُلَا
 مُدِيرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا
 مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ
 مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
 قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
 ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُؤْتِيَنَا غَيْرَ
 سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ
 فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
 ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ
 وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٤٧﴾ فيوم يبعث الله الخلائق للحساب والجزاء لا ينفع الظالمين ما يكتسبونه من أعداء، ولا يطلب منهم إرضاء الله بالتوبة والإنابة إليه؛ لقوات وقت ذلك.

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن - عناية بهم - من كل مثل؛ ليوضح لهم الحق من الباطل، ولئن جئتهم - أيها الرسول - بحجة على صدقك ليقولن الذين كفروا بالله: ما أنتم إلا مبطلون فيما جئتم به.

مثل هذا الختم على قلوب هؤلاء الذين إذا جئتهم بأية لا يؤمنون بها ، يختم الله على قلوب كل الذين لا يعلمون أن ما جئتهم به حق.

﴿فَاصْبِرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ لَكَ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ ثَابِتٌ لَا مَرِيَةَ فِيهِ، وَلَا يَدْفَعُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ بِأَنَّهُمْ مِيعُوْثُونَ، إِلَى الاسْتِعْجَالِ وَتَرْكِ الصَّبْرِ.﴾

مِنْ فَوَائِدِ أَلْيَاتِ،

- يأس الكافرين من رحمة الله عند نزول البلاء.
- هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.
- مراحل العمر عبرة لمن يعتبر.
- الحتم على القلوب سببه الذنوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٨
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١١

١ من مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

الأمر باتِّباع الحكمة التي تضمنتها القرآن، والتحذير من الإعراض عنها.

٢ التَّشْيِيرُ:

١ التَّشْيِيرُ: سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذه الآيات المنزلة عليك - أيها الرسول - آيات الكتاب الذي ينطق بالحكمة.

٣ وهو هداية ورحمة للذين يحسنون العمل، بقيامهم بحقوق ربهم وحقوق عباده.

٤ الذين يؤدّون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم، وهم موقنون بما في الآخرة من بعث وحساب وثواب وعقاب.

٥ أولئك المتصفون بتلك الصفات على هدى من ربهم، وأولئك هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، والبعد عما يرهّبونه.

ولما ذكر الله صفات المحسنين ذكر صفات المسيئين فقال:

٦ ومن الناس - مثل النضر ابن الحارث - من يختار الأحاديث المُلْهية ليصرف الناس إليها عن دين الله بغير علم، ويتخذ آيات الله هُزُوًا يسخر منها، أولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم عذاب مُذَلٌّ في الآخرة. وإذا تُقِرَّأ عليه آياتنا أدير مستكبرًا عن سماعها كأنه لم يسمعها، كأن في أذنيه صَمَمًا عن سماع الأصوات، فبشّر - أيها الرسول - بعذاب موجه ينتظره.

٧ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات النعيم، يتنعمون فيما أعَدَّ الله لهم فيها.

٨ ما كُتِبَ فيها، وعدهم الله بذلك وعدًا حقًّا لا شك فيه، وهو سبحانه العزيز الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه.

٩ خلق الله السموات مرفوعة بغير أعمدة، ونصب في الأرض جبالًا ثوابت حتى لا تضطرب بكم، وبث فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزلنا من السماء ماء المطر، فأنبتنا في الأرض من كل صنف بهيج المنظر ينتفع به الناس والدواب.

١٠ هذا المذكور خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ماذا خلق الذين تعبدونهم من دون الله؟ بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق، حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئًا وهم يُخْلِقُونَ.

١١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● طاعة الله تقود إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

● تحريم كل ما يصد عن الصراط المستقيم من قول أو فعل.

● التكبر مانع من اتباع الحق.

● انفراد الله بالخلق، وتحدي الكفار أن تخلق آلهتهم شيئًا.

الدين والإصابة في الأمور، وقلنا له: اشكر - يا لقمان - لربك ما أنعم به عليك من التوفيق لطاعته، ومن يشكر ربه فإنما نفع شكره عائد إلى نفسه، فالله غني عن شكره، ومن جحد نعمة الله عليه كفر به سبحانه فإنما ضرر كفره عليه ولا يضر الله شيئاً فهو غني عن خلقه جميعاً، محمود على كل حال. واذكر - أيها الرسول - إذ قال لقمان لابنه وهو يرغبه في الخير، ويحذره من الشر: يا بني، لا تعبد مع الله غيره، إن عبادة معبود مع الله ظلم عظيم للنفس بارتكاب أعظم ذنب يؤدي إلى خلودها في النار.

﴿١٨﴾ ووضينا الإنسان بطاعة أبويه وبرهما فيما لا معصية فيه لله، حملته أمه في بطنها ملاقية مشقة بعد مشقة، وقطعه عن الرضاعة في عامين، وقلنا له: اشكر لله ما أنعم به عليك من نعم، ثم اشكر لوالديك ما قاما به من تربيتك ورعايتك، إليّ وحدي المرجع فأجازي كلاً بما يستحقه.

﴿١٩﴾ وإن بذل الوالدان جهداً ليجعلاك على أن تشرك بالله غيره تحكماً منهما، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والإحسان، واتبع طريق من أناب إليّ بالتوحيد والطاعة، ثم إليّ وحدي يوم القيامة مرجعكم جميعاً، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل، وأجازيكم عليه.

﴿٢٠﴾ يا بني، إن السيئة أو الحسنه مهما كانت صغيرة مثل وزن حبة من

خردل وكانت في بطن صخرة لا يطلع عليها أحد، أو كانت في أي مكان في السماوات أو في الأرض - فإن الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازي العبد عليها، إن الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء، خبير بحقائقها وموضعها.

﴿٢١﴾ يا بني، أقم الصلاة بأدائها على أكمل وجه، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، واصبر على ما نالك من مكروه في ذلك، إن ما أمرت به من ذلك مما عزم الله به عليك أن تفعله، فلا خيرة لك فيه.

﴿٢٢﴾ ولا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ولا تمش فوق الأرض فرحاً معجباً بنفسك، إن الله لا يحب كل مختال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم يتكبر بها على الناس ولا يشكر الله عليها.

﴿٢٣﴾ وتوسط في مشيك بين الإسراع والدبيب مشياً يظهر الوقار، واخفض من صوتك، لا ترفعه رفعاً يؤدي، إن أقبح الأصوات لصوت الحمير لارتفاع أصواتها.

﴿٢٤﴾ من قوايد الآيات،

• لما فضل سبحانه ما يصيب الأم من جهد الحمل والوضع دلّ على مزيد برّها.

• نفع الطاعة وضرر المعصية عائد على العبد.

• وجوب تعاهد الأبناء بالتربية والتعليم.

• شمول الآداب في الإسلام للسلوك الفردي والجماعي.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴿٢٢﴾ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ لِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ مَّا خَلَقَكُمْ إِلَّا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿٢٠﴾ ألم تروا وتشاهدوا - أيها الناس - أن الله يسر لكم الانتفاع بما في السماوات؛ من شمس وقمر وكواكب، ويسر لكم أيضا ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليكم نعمه ظاهرة للعيان؛ كجمال الصورة وحسن الهيئة، وباطنة خفية كالعقل والعلم، ومع وجود هذه النعم فمن الناس من يجادل في توحيد الله بغير علم مستند إلى وحي من الله، أو عقل مستتير، ولا كتاب واضح منزل من الله.

﴿٢١﴾ وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الوحي، قالوا: لا نتبعه، بل نتبع ما وجدنا عليه أسلافنا من عبادة آلهتنا، أتيتبعون أسلافهم ولو كان الشيطان يدعوهم - بما يضلهم به من عبادة الأوثان - إلى عذاب السعير يوم القيامة؟

﴿٢٢﴾ ومن يقبل على الله مخلصا له عبادته ومحسنا في عمله، فقد أمسك بأوثق ما يتعلق به من يرجو النجاة حيث لا يخاف انقطاع ما أمسك به، وإلى الله وحده مصير الأمور، ومرجعها، فيجازي كلأ بما يستحق. ﴿٢٣﴾ ومن كفر بالله فلا يحزنك - أيها الرسول - كفره، إلينا وحدنا مرجعهم يوم القيامة، فتخبرهم بما عملوا من سيئات في الدنيا، ونجازيهم عليها، إن الله عليم بما في الصدور، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

﴿٢٤﴾ نعمتهم بما نعطيتهم من الملذات في الدنيا زمنا قليلا، ثم نجثهم يوم القيامة إلى عذاب شديد هو عذاب النار.

﴿٢٥﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، قل لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحق الحمد لجهلهم.

﴿٢٦﴾ لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقا وملكا وتدييرا، إن الله هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة.

﴿٢٧﴾ ولو أن ما في الأرض من شجر قطع وبُري أقلاما، وجعل البحر حبرا لها ولو مده سبعة أبهر، ما فنيت كلمات الله لعدم تناسها، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدييره.

﴿٢٨﴾ ما خلقتكم - أيها الناس - ولا بعتكم يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كخلق نفس واحدة وبعثها في السهولة، إن الله سميع لا يشغله سماع صوت عن سماع صوت آخر، بصير لا يشغله إبصار شيء عن إبصار شيء آخر، وهكذا لا يشغله خلق نفس أو بعثها عن خلق أخرى وبعثها.

﴿٢٩﴾ من قواید الآيات،

- نعم الله وسيلة لشكركه والإيمان به، لا وسيلة للكفر به.
- خطر التقليد الأعمى، وخاصة في أمور الاعتقاد.
- أهمية الاستسلام لله والانقياد له وإحسان العمل من أجل مرضاته.
- عدم تناسي كلمات الله.

﴿٢١﴾ ألم تر أن الله ينقص من الليل ليزيد النهار، وينقص من النهار ليزيد الليل، وقدّر مسار الشمس والقمر؛ إذ يجريان كل في مداره إلى أمد مُحدّد، وأن الله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٢﴾ ذلك التدبير والتقدير يشهدان بأن الله وحده هو الحق، فهو حق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يعبد المشركون من دونه هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي بذاته وقهره وقدّره على جميع مخلوقاته، الذي لا أعلى منه، الذي هو أكبر من كل شيء.

﴿٢٣﴾ ألم تر أن السفن تجري في البحر بلطفه وتسخير؛ ليرىكم - أيها الناس - من آياته الدالة على قدرته سبحانه ولطفه، إن في ذلك لدلالات على قدرته لكل صُبّار على ما يصيبه من ضراء، شكور لما يناله من نعماء.

﴿٢٤﴾ وإذا أحاط بهم من كل جانب موج مثل الجبال والغمام، دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء والعبادة، فلما استجاب الله لهم، وأنقذهم إلى البر، وسلمهم من الغرق، فمنهم مقتصد لم يحم بما وجب عليه من الشكر على وجه الكمال، ومنهم جاحد لنعمة الله، وما يجحد بآياتنا إلا كل عُدار - مثل هذا الذي عاهد الله لئن أنجاه ليكونن من الشاكرين له - كفور بنعم الله لا يشكر ربه الذي أنعم بها عليه.

﴿٢٥﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم؛ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وخافوا عذاب

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٦﴾

آياتها

سُورَةُ الْقَمَارِ

رَبِّهَا

٤١٤

يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا يغني مولود عن والده شيئاً، إن وعد الله بالجزاء يوم القيامة ثابت وواقع لا محالة، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وملهيات، ولا يخدعكم الشيطان بعلم الله عليكم وتأخير العذاب عنكم.

﴿٢٦﴾ إن الله عنده وحده علم الساعة؛ فيعلم متى تقع، وينزل المطر متى شاء، ويعلم ما في الأرحام أذكر هو أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ وما تعلم نفس ما تكسب غداً من خير أو شر، وما تعلم نفس بأي أرض تموت، بل الله هو الذي يعلم ذلك كله، إن الله عليم خبير بكل ذلك، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

● من فوائد الآيات:

- نقص الليل والنهار وزيادتهما وتسخير الشمس والقمر: آيات دالة على قدرة الله سبحانه، ونعم تستحق الشكر.
- الصبر والشكر وسيلتان للاعتبار بآيات الله.
- الخوف من القيامة بقي من الاغترار بالدنيا، ومن الخضوع لوساوس الشياطين.
- إحاطة علم الله بالغيب كله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝
 ٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝
 ٣ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ
 أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝
 ٤ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝
 ٥ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝
 ٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝
 ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝
 ٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ۝
 ٩ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝
 ١٠ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝
 ١١

● من مقاصد السورة:

بيان حقيقة الخلق وأحوال الإنسان في الدنيا والآخرة.

● التفسير:

١) ﴿الْم﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢) هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ منزل عليه من رب العالمين لا شك في ذلك.

٣) إن هؤلاء الكافرين يقولون: إن محمدًا اختلقه على ربه، ليس الأمر كما قالوا، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، المنزل من ربك - أيها الرسول - عليك لتخوف قَوْمًا ما جاءهم رسول من قبلك يخوفهم من عذاب الله، لعلهم يهتدون إلى الحق فيتبعوه ويعملوا به.

٤) الله هو الذي خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق ما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم علا وارتفع على العرش علواً يليق بجلاله، ما لكم - أيها الناس - من دونه من ولي يتولى أمركم، أو شفيع يشفع لكم عند ربكم، أفلا تتذكرون، وتعبدون الله الذي خلقكم ولا تعبدون معه غيره؟

٥) يدبر الله ﷻ أمر جميع المخلوقات في السماوات وفي الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أنتم - أيها الناس - في الدنيا.

٦) ذلك الذي يدبر ذلك كله هو عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه منهما شيء، العزيز الذي لا يغالبه أحد الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بعباده المؤمنين.

٧) الذي أتقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق آدم من طين على غير مثال سابق.

٨) ثم جعل ذريته من بعده من الماء الذي أنسل فخرج منه (المني).

٩) ثم أتم خلق الإنسان سوياً، ونفخ فيه من روحه بأمر الملك الموكل بنفخ الروح، وجعل لكم - أيها الناس - الأسماع لتسمعوا بها، والأبصار لتبصروا بها، والأفئدة لتعقلوا بها، قليلاً ما تشكرون هذه النعم لله التي أنعم بها عليكم.

١٠) وقال المشركون المكذبون بالبعث: إذا متنا وغبنا في الأرض، وصارت أجسامنا تراباً، فهل نُبعث أحياء من جديد؟ لا يعقل ذلك، بل هم في واقع أمرهم كافرون بالبعث لا يؤمنون به.

١١) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: يتوفاكم ملك الموت الذي فوضه الله بقبض أرواحكم، ثم إلينا وحدنا يوم القيامة ترجعون للحساب والجزاء.

● من فوائد الآيات:

● الحكمة من بعثة الرسل أن يهدوا أقوامهم إلى الصراط المستقيم.

● ثبوت صفة الاستواء لله من غير تشبيه ولا تمثيل.

● استبعاد المشركين للبعث مع وضوح الأدلة عليه.

﴿١٢﴾ سوف يظهر المجرمون يوم القيامة وهم أذلاء يخفضون رؤوسهم بسبب كفرهم بالبعث، يشعرون بالخزي ويقولون: ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث، وسمعنا مصداق ما جاءت به الرسل من عندك، فارجعنا إلى الحياة الدنيا نعمل عملاً صالحاً يرضيك عنا، إنا موقنون الآن بالبعث وصدق ما جاءت به الرسل، لو رأيت المجرمين على تلك الحال رأيت أمراً عظيماً.

﴿١٣﴾ ولو شئنا إعطاء كل نفس رشدها وتوفيقها لحملناها على هذا، ولكن وجب القول مني حكمة وعدلاً: لأملأن جهنم يوم القيامة من أهل الكفر من الثقلين: الجن والإنس؛ لاختيارهم طريق الكفر والضلال على طريق الإيمان والاستقامة.

﴿١٤﴾ ويقال لهم يوم القيامة تَبَكَّيْنَا لهم وتوبيحاً: ذوقوا العذاب بسبب غفلتكم في الحياة الدنيا عن لقاء الله يوم القيامة لحسابكم، إنا تركناكم في العذاب غير مباليين بما تقاسونه منه، وذوقوا عذاب النار الدائم الذي لا ينقطع بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.

ولما ذكر الله حال المجرمين ذكر حال المؤمنين فقال:

﴿١٥﴾ إنما يؤمن بآياتنا المنزلة على رسولنا الذين إذا وعظوا بها سجدوا لله مسبحين بحمده، وهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا عن السجود له بأي حال.

﴿١٦﴾ تتباعد جنوبهم عن قُرْشِهِم التي كانوا عليها في نومهم بتركونها ويتوجهون إلى الله، يدعوهم في

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَآيِنِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجَلٌ أَلَمَّاؤِي نَزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

صلاتهم وغيرها خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته، ويذلون الأموال التي أعطيناهاهم إياها في سبيل الله.

﴿١٧﴾ فلا تعلم أي نفس ما أعدّه الله لهم مما تقرّ به أعينهم، جزاءً منه لهم على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات، فهو جزاء لا يحيط به إلا الله لعظمه.

﴿١٨﴾ من كان مؤمناً بالله عاملاً بأوامره مجتنباً لنواهيه، ليس كمن كان خارجاً عن طاعته: لا يستوي الفريقان عند الله في الجزاء.

﴿١٩﴾ أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، فجزاؤهم المعد لهم جنات يستقرون فيها كرامة من الله لهم، جزاءً على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿٢٠﴾ وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي، فمستقرّهم الذي أُعِدَّ لهم يوم القيامة النار، ماكثين فيها أبداً، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها، وقيل لهم تَبَكَّيْنَا لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون به في الدنيا عندما كانت رسلكم تخوفكم منه.

﴿٢١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● إيمان الكفار يوم القيامة لا ينفعهم؛ لأنها دار جزاء لا دار عمل.

● خطر الغفلة عن لقاء الله يوم القيامة.

● من هدي المؤمنين قيام الليل.

﴿٢١﴾ وَلَنَذِقَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ
الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ مِنَ الْمَحَنِّ
وَالْبَلَاءِ فِي الدُّنْيَا، قَبْلَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
الْمَعْدُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا؛
لَعَلَّهُمْ يَمُودُونَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

﴿٢٢﴾ وَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ وُعِظَ بِآيَاتِ
اللَّهِ فَلَمْ يَتَعِظْ بِهَا، وَأَعْرَضَ عَنْهَا غَيْرَ
مُبالٍ بِهَا، إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ - بَارْتِكَابِ
الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي الَّذِينَ يَعْرِضُونَ عَنْ
آيَاتِ اللَّهِ - مُنْتَقِمُونَ لَا مُحَالَةَ.

﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ،
فَلَا تَكُنْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - فِي شَكٍّ مِنْ
لِقَائِكَ مُوسَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ،
وَجَعَلْنَا الْكِتَابَ الْمُنْزَلَ عَلَى مُوسَى
هَادِيًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الضَّلَالِ.

﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمَّةً
يَقْتَدِي بِهِمُ النَّاسُ فِي الْحَقِّ، يَرْشُدُونَ
إِلَى الْحَقِّ، بِإِذْنِنَا لَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَقْوِينَا
إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ، لِمَا صَبَرُوا عَلَى امْتِنَالِ
أُأْمَرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَعَلَى
الْأَذَى فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ، وَكَانُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى رُسُلِهِمْ يَصْذِقُونَ بِهَا
تَصْدِيقًا جَازِمًا.

﴿٢٥﴾ إِنْ رِبَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - هُوَ
الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، فَيُبَيِّنُ
الْحَقَّ وَالْمَبْطُلَ، وَيَجَازِي كُلًّا بِمَا
يَسْتَحِقُّه.

﴿٢٦﴾ أَعْمَى هَؤُلَاءِ فَلَمْ يَتَّبِعُوا لَهُمْ
كَمِ أَهْلِكُنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ؟
فَهَا هُمْ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ الَّتِي كَانُوا
يَسْكُنُونَهَا قَبْلَ إِهْلَاكِهَا، فَلَمْ يَتَعِظُوا
بِحَالِهِمْ، إِنْ فِيمَا حَدَثَ لَتِلْكَ الْأُمَمِ
مِنَ الْإِهْلَاكِ سَبَبَ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ
لَعِبْرًا يَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى صِدْقِ رُسُلِهِمْ
الَّذِينَ جَاؤُوهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَفَلَا

يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ سَمَاعَ قَبُولٍ وَاتِّعَازٍ؟

﴿٢٧﴾ أَوَلَمْ يَرِ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَيْعِ أَنَّا نُرْسِلُ مَاءَ الْمَطَرِ إِلَى الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا، فَتَخْرُجُ بِذَلِكَ الْمَاءِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ
إِبِلُهُمْ وَبَقَرُهُمْ وَغَنَمُهُمْ، وَيَأْكُلُونَ مِنْهُ؟ أَفَلَا يَبْصُرُونَ ذَلِكَ، وَيَدْرِكُونَ أَنَّ مِنْ أَنْبَتِ الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى؟

﴿٢٨﴾ وَيَقُولُ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَيْعِ مُسْتَعْجِلِينَ الْعَذَابَ: مَتَى هَذَا الْحُكْمُ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ سَيَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَكُونُ
مَصِيرُنَا النَّارَ وَمَصِيرُكُمْ الْجَنَّةَ؟

﴿٢٩﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: هَذَا الْوَعْدُ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُ يَوْمَ الْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ حِينَ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا
تَصْدِيقُهُمْ بَعْدَ مَعَانِيَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا هُمْ يُؤَخَّرُونَ حَتَّى يَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَنْتَبِهُوا إِلَيْهِ.

﴿٣٠﴾ فَأَعْرِضْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - عَنْ هَؤُلَاءِ بَعْدَ تَمَادِيهِمْ فِي ضَلَالِهِمْ، وَانْتَظِرْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ، إِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ مَا تَعْدَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿٣١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● عَذَابُ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا وَسِيلَةٌ لِتُوبَتِهِ.

● ثُبُوتُ الْلِقَاءِ بَيْنَ نَبِيِّنَا ﷺ وَمُوسَى ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ.

● الصَّبْرُ وَالْيَقِينُ صِفَتَا أَهْلِ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ.

وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَةٌ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

آيَاتُهَا
٧٣

تَرْبِيَّتُهَا
٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ٣ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ٤ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ٦

٤١٨

١ من مقاصد السورة: بيان عناية الله بنبيه ﷺ، وحماية جنابه وأهل بيته.

٢ التفسير:

١ يا أيها النبي، اثبت ومن معك على تقوى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وحفّه وحده، ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما تهوى نفوسهم، إن الله كان عليماً بما يكيد الكفار والمنافقون، حكيمًا في خلقه وتديره. ٢ واتبع ما ينزله عليك ربك من الوحي، إن الله كان بما تعملون خبيرًا، لا يفوته من ذلك شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.

٣ واعتمد على الله وحده في أمورك كلها، وكفى به سبحانه حافظًا لمن توكل عليه من عباده.

٤ لم يجعل الله قلبين في صدر رجل واحد، وكذلك لم يجعل الزوجات بمنزلة الأمهات في التحريم، ولم يجعل كذلك الأبناء بالتبني بمنزلة الأبناء من الصلب، فإن الظهار - وهو تحريم الرجل زوجته عليه كأُمّه وأخته - وكذلك التبني: من العادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، ذلك الظهار والتبني، قول ترددونه بأفواهكم، ولا حقيقة له، فليست الزوجة أُمًا، ولا الدعي ابنًا لمن ادعاه، والله سبحانه يقول الحق ليعمل به عباده، وهو يرشد إلى طريق الحق.

٥ انسبوا من تزعمون أنهم أبناؤكم إلى آبائهم الحقيقيين،

فتسببهم إليهم هو العدل عند الله، فإن لم تعلموا لهم آباء تسببهم إليهم فهم إخوانكم في الدين ومحزروكم من الرق، فتأدوا أحدهم بيا أخي ويا ابن عمي، ولا إثم عليكم إذا أخطأ أحدكم فتسبب دعيا إلى مدعيه، ولكن تأثمون عند تعمد النطق بذلك، وكان الله غفورًا لمن تاب من عباده، رحيماً بهم حيث لم يؤاخذهم بالخطأ.

٦ النبي محمد ﷺ أحق بالمؤمنين من أنفسهم في كل ما دعاهم إليه، ولو كانت أنفسهم تميل إلى غيره، وزوجاته ﷺ بمنزلة أمهات لجميع المؤمنين، فيحرم على أي مؤمن أن يتزوج إحداهن بعد موته ﷺ، وذوو القرابة بعضهم أحق ببعض في الإرث في حكم الله من أهل الإيمان والهجرة في سبيل الله، الذين كانوا يتوارثون فيما بينهم في صدر الإسلام، ثم نسخ توارثهم بعد ذلك، إلا أن تفعلوا - أيها المؤمنون - إلى أوليائكم من غير الورثة معروفًا من إيصالهم وإحسان إليهم فلکم ذلك، كان ذلك الحكم في اللوح المحفوظ مسطورًا فيجب العمل به.

٧ من قواعد الآيات:

- لا أحد أكبر من أن يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر.
- رفع المؤاخذه بالخطأ عن هذه الأمة.
- وجوب تقديم مراد النبي ﷺ على مراد الأنفس.
- بيان علو مكانة أزواج النبي ﷺ، وحرمة نكاحهن من بعده؛ لأنهن أمهات للمؤمنين.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتُمُ الْأَبْصَارَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثَمَّةٌ سَبِيلُ الْفِتْنَةِ
لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونُ الْأَذْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

٤١٩

﴿٧﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ أخذنا من الأنبياء عهدًا مؤكدًا أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وأن يُبَلِّغُوا ما أنزل إليهم من الوحي، وأخذناه على وجه الخصوص منك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم؛ وأخذنا منهم عهدًا مؤكدًا على الوفاء بما اتَّفقوا عليه من تبليغ رسالات الله.

﴿٨﴾ أخذ الله هذا العهد المؤكد من الأنبياء ليسأل الصادقين من الرسل عن صدقهم تَبَكُّيًّا للكافرين، وأعدَّ الله للكافرين به وبرسله يوم القيامة عذابًا موجعًا هونار جهنم.

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمه الله وعملوا بما شرع، اذكروا نعمة الله عليكم، حين جاءت المدينة جنود الكفار متحزبين على قتالكم، وساندتهم المنافقون واليهود، فبعثنا عليهم ريحًا هي ريح الصَّبَا التي نُصِرَ بها النبي ﷺ، وبعثنا جنودًا من الملائكة لم تروها، فولى الكفار هاربين لا يقدرُونَ على شيء، وكان الله بما تعملون بصيرًا لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على أعمالكم.

﴿١٠﴾ وذلك حين جاءكم الكفار من أعلى الوادي ومن أسفل من جهتي المشرق والمغرب، حينها مالت الأبصار عن كل شيء إلا عن نظر عدوِّها، ووصلت القلوب إلى الحناجر من شدة الخوف، وتظنون بالله الظنون المختلفة؛ فتارة تظنون النصر، وتارة تظنون اليأس منه.

﴿١١﴾ في ذلك الموقف في غزوة الخندق اختبر المؤمنون بما لأقوه من تكالب أعدائهم عليهم، واضطربوا اضطرابًا شديدًا من شدة الخوف، وتبين بهذا الاختبار المؤمن والمنافق.

﴿١٢﴾ يومئذ قال المنافقون وضعاف الإيمان الذين في قلوبهم شك: ما وعدنا الله ورسوله من النصر على عدوِّنا والتمكين لنا في الأرض إلا باطلاً لا أساس له.

﴿١٣﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال فريق من المنافقين لأهل المدينة: يا أهل يثرب (اسم المدينة قبل الإسلام)، لا إقامة لكم عند سفح سَلْعٍ قرب الخندق فارجعوا إلى منازلكم، ويطلب فريق منهم الإذن من النبي ﷺ أن ينصرفوا إلى بيوتهم بدعوى أن بيوتهم مكشوفة للعدو، وليست بمكشوفة كما زعموا، وإنما يريدون بهذا الاعتذار الكاذب الفرار من العدو.

﴿١٤﴾ ولودخل العدو عليهم المدينة من جميع نواحيها، وسألهم العودة إلى الكفر والشرك بالله لأعطوا عدوهم ذلك، وما احتبسوا عن الردة والتكوص إلى الكفر إلا قليلًا.

﴿١٥﴾ ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله بعد فرارهم يوم أحد من القتال؛ لئن أشهدهم الله قتالًا آخر ليقاتلنَّ عدوهم، ولا يفروا خوفًا منهم، ولكنهم نكثوا، وكان العبد مسؤولًا عما عاهد الله عليه، وسوف يُحاسب عليه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- منزلة أولي العزم من الرسل.
- تأييد الله لعباده المؤمنين عند نزول الشدائد.
- خذلان المنافقين للمؤمنين في المحن.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا
لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

٤٢٠

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - هؤلاء: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من القتال خوفًا من الموت أو من القتل؛ لأن الأجل مقدر، وإذا فررتم ولم يحسن أهلكم فإنكم لا تستمتعون في الحياة إلا زمنًا قليلًا.

﴿١٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: من ذا الذي يمتنعكم من الله إن أراد بكم ما تكرهونه من الموت أو القتل، أو أراد بكم ما ترجونه من السلامة والخير، لا أحد يمتنعكم من ذلك، ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله وليًا يتولى أمرهم، ولا نصيرًا يمتنعهم من عقاب الله لهم.

﴿١٨﴾ إن الله يعلم المتبطلين منكم لغيرهم عن القتال مع رسول الله ﷺ والقائنين لإخوانهم: تعالوا إلينا ولا تقاتلوا معه حتى لا تقتلوا، فإننا نخاف عليكم القتل، وهؤلاء المتخذلون لا يأتون الحرب ولا يشاركون فيها إلا نادرًا؛ ليدفعوا عن أنفسهم العار، لا لينصروا الله ورسوله.

﴿١٩﴾ يخلاء عليكم - معشر المؤمنين - بأموالهم فلا يعينونكم ببذلها، وبخلاء بأنفسهم فلا يقاتلون معكم، وبخلاء بمودتهم فلا يواؤونكم، فإذا جاء الخوف عند ملاقات العدو رأيتهم ينظرون إليك - أيها الرسول - تدور أعينهم من الجبن مثل دوران عيني من يعاني سكرات الموت، فإذا ذهب عنهم الخوف واطمأنوا أذكركم بالكلام بالسنة سليطة، أشحّة على الغنائم يبيحثون عنها، أولئك المتصفون بهذه الصفات لم يؤمنوا حقًا، فأبطل الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك الإبطال يسيرًا على الله.

﴿٢٠﴾ يظن هؤلاء الجبناء أن الأحزاب المتألفة لقتال رسول الله ﷺ وقاتل المؤمنين لن يذهبوا حتى يستأصلوا المؤمنين، وإن قدر أن جاء الأحزاب مرة أخرى يود هؤلاء المنافقون أنهم خارجون من المدينة مع الأعراب، يسألون عن أخباركم: ماذا حدث لكم بعد قتال عدوكم لكم؟ ولو كانوا فيكم - أيها المؤمنون - ما قاتلوا معكم إلا قليلًا، فلا تبالوا بهم، ولا تأسوا عليهم.

﴿٢١﴾ لقد كان لكم فيما قاله رسول الله ﷺ وقام به وفعله، قدوة حسنة، فقد حضر بنفسه الكريمة، وباشر الحرب، فكيف تبخلون بعد ذلك بأنفسكم عن نفسه؟ ولا يتأسى برسول الله ﷺ إلا من كان يرجو ثواب الله ورحمته، ويرجو اليوم الآخر، ويعمل له، وذكر الله ذكرًا كثيرًا، وأما الذي لا يرجو اليوم الآخر ولا يذكر الله كثيرًا فإنه لا يتأسى برسوله ﷺ.

﴿٢٢﴾ ولما عاين المؤمنون الأحزاب المجتمعة لقتالهم قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والمحن والنصر، وصدق الله ورسوله في هذا، فقد تحقق، وما زادتهم معانيتهم للأحزاب إلا إيمانًا بالله واتقياء له.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الأجل محددة: لا يُقَرَّبُها قتال، ولا يُبْعَدُها هروب منه.
- التشييط عن الجهاد في سبيل الله شأن المنافقين دائمًا.
- الرسول ﷺ قدوة المؤمنين في أقواله وأفعاله.
- الثقة بالله والانتقاد له من صفات المؤمنين.

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٨﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْخُذْهُمُ اللَّهُ الْكُفْرَ وَالَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْهُمْ أَلَيْسَ الْأَقْتَالُ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٣٩﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٤٠﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٢﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٣﴾ يٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٤٤﴾

﴿٣٧﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات والصبر على الجهاد في سبيل الله، فممنهم من مات أو قتل في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيله، وما غير هؤلاء المؤمنون ما عاهدوا الله عليه مثل ما فعله المنافقون بعهودهم.

﴿٣٨﴾ ليجزي الله الصادقين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه بصدقهم ووفائهم بعهودهم، ويعذب المنافقين الناقضين لعهودهم إن شاء، بأن يميتهم قبل التوبة من كفرهم، أو يتوب عليهم بأن يوفقههم للتوبة، وكان الله غفوراً لمن تاب من ذنوبه، رحيماً به. ﴿٣٩﴾ ورد الله قريشاً وغطفان والذين معهم بكربهم وغمهم لفوتهم ما أملوا، لم يظفروا بما أرادوا من استئصال المؤمنين، وكفى الله المؤمنين القتال معهم؛ بما أرسله من الريح وأنزله من الملائكة، وكان الله قوياً عزيزاً لا يغالبه أحد إلا غلبه وخذله.

﴿٤٠﴾ وأنزل الله الذين أعانوه من اليهود من حصونهم التي كانوا يتحصنون فيها من عدوهم، وألقى الخوف في نفوسهم، فريقاً تقتلونهم - أيها المؤمنون - وفريقاً تأسرؤهم. ﴿٤١﴾ وملّكم الله بعد هلاكهم أرضهم بما فيها من زروع ونخيل، وملّكم منازلهم وأموالهم الأخرى، وملّكم أرض خيبر التي لم تطووها بعد، لكنكم ستطوونها، وهذا وعد وبشرى للمؤمنين، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

﴿٤٢﴾ يا أيها النبي، قل لأزواجك حين طلبن منك التوسعة في النفقة ولم يكن عندك ما توسع به عليهن: إن كنتم تريدن الحياة الدنيا وما فيها من زينة، فتعالين إليّ أمتعكن بما تمتع به المطلقات، وأطلقكن طلاقاً لا إضرار فيه ولا إيداء.

﴿٤٣﴾ وإن كنتم تريدن رضا الله ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة، فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجراً عظيماً.

﴿٤٤﴾ يا نساء النبي، من يأت منكن بمعصية ظاهرة يُصاعف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ، وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.

من قوائد الآيات:

- تزكية الله لأصحاب رسول الله ﷺ، وهو شرف عظيم لهم.
- عون الله ونصره لعباده من حيث لا يحتسبون إذا اتقوا الله.
- سوء عاقبة الغدر على اليهود الذين ساعدوا الأحزاب.
- اختيار أزواج النبي ﷺ رضا الله ورسوله دليل على قوة إيمانهن.

عندك ما توسع به عليهن: إن كنتم تريدن الحياة الدنيا وما فيها من زينة، فتعالين إليّ أمتعكن بما تمتع به المطلقات، وأطلقكن طلاقاً لا إضرار فيه ولا إيداء.

﴿٤٣﴾ وإن كنتم تريدن رضا الله ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة، فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجراً عظيماً.

﴿٤٤﴾ يا نساء النبي، من يأت منكن بمعصية ظاهرة يُصاعف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ، وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾ يَدْنَسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٢٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾

٤٢٢

﴿٢١﴾ ومن تدُّم على طاعة الله ورسوله منكن، وتعمل عملاً صالحاً مرضياً عند الله - نعطها من الثواب ضعف غيرها من سائر النساء، وأعدنا لها في الآخرة أجراً كريماً وهو الجنة.

﴿٢٢﴾ يا نساء النبي محمد ﷺ، لستنَّ في الفضل والشرف مثل سائر النساء، بل أنتنَّ في الفضل والشرف بالمنزلة التي لا يصل إليها غيركنَّ إن امتثلتنَّ أوامر الله واجتبتنَّ نواهيه، فلا تُلَيِّنَّ القول وتُرَفِّقنَّ الصوت إذا تكلمتنَّ مع الأجانب من الرجال، فيطمع بسبب ذلك من في قلبه مرض النفاق وشهوة الحرام، وقلنَّ قولاً بعيداً من الريبة بأن يكون جدّاً لا هزلاً بقدر الحاجة.

﴿٢٣﴾ واثبتنَّ في بيوتكنَّ، فلا تخرجنَّ منها لغیر حاجة، ولا تُظْهَرنَّ محاسنكنَّ صنيع من كنَّ قبل الإسلام من النساء حيث كنَّ يبدین ذلك استمالة للرجال، وأدین الصلاة على أكمل وجه، وأعطین زكاة أموالكنَّ، وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله سبحانه أن يذهب عنكم الأذى والسوء، يا أزواج رسول الله ويا أهل بيته، ويريد أن يطهر نفوسكم؛ بتجليتها بفضائل الأخلاق، وتخليتها عن رذائلها تطهيراً كاملاً، لا يبقى بعده دس.

﴿٢٤﴾ واذكرنَّ ما يُقرأ في بيوتكنَّ من آيات الله المنزلة على رسوله، ومن سُنَّة رسوله المطهرة، إن الله كان لطيفاً بكنَّ حين امتنَّ عليكنَّ بأن جعلكنَّ في بيوت نبيه، خبيراً بكنَّ حين اصطفاكم أزواجاً لرسوله، واختاركنَّ أمهات لجميع المؤمنين من أمته.

﴿٢٥﴾ إن المتذللين لله بالطاعة

والتذللوات، والمصدقين بالله والمصدقات، والمطيعين والمطيعات لله، والصادقين والصادقات في إيمانهم وقولهم، والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، والمتصدقين والمتصدقات بأموالهم في الفرض والنفل، والصائمين والصائمات في الفرض والنفل، والحافظين فروجهم والحافظات فروجهن بسترها عن الكشف أمام من لا يحل له النظر إليها، وبالبعد عن فاحشة الزنى ومقدماتها، والذاكرين والذاكرات الله بقلوبهم وألسنتهم كثيراً سرّاً وعلانية - أعد الله لهم مغفرة منه لذنوبهم، وأعد لهم ثواباً عظيماً يوم القيامة وهو الجنة.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من توجيهات القرآن للمرأة المسلمة: النهي عن الخضوع بالقول، والأمر بالمكث في البيوت إلا لحاجة، والنهي عن التبرج.
- فضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وأزواجه من أهل بيته.
- مبدأ التساوي بين الرجال والنساء قائم في العمل والجزاء إلا ما استثناء الشرع لكل منهما.

﴿٣٦﴾ وَلَا يَصِحُّ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا حَكَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ، أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْاِخْتِيَارُ فِي قَوْلِهِ أَوْ رَفْضِهِ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ضَلَالًا وَاضِحًا.

﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَقُولُ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ بِالْعَتَقِ - وَالْمَقْصُودُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه حِينَ جَاءَكَ مُشَاوِرًا فِي شَأْنِ طَلَاقِ زَوْجَتِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ - تَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَلَا تَطْلُقْهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ بَامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَتَكْتُمْ فِي نَفْسِكَ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ لَكَ مِنْ زَوَاجِكَ بِزَيْنَبِ خَشْيَةً مِنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَيُظْهِرُ طَلَاقَ زَيْدٍ لَهَا ثُمَّ زَوَّاجَكَ مِنْهَا وَاللَّهُ أَوْلَى أَنْ تَخْشَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمَّا طَابَتْ نَفْسُ زَيْدٍ وَرَغِبَ عَنْهَا وَطَلَقَهَا زَوْجَانِهَا؛ لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِثْمٌ فِي التَّزْوُجِ بِزَوَّجَاتِ أَبْنَائِهِمُ بِالْتَّبَنِّي إِذَا طَلَّقُوهُنَّ وَانْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا لَا مَانِعَ مِنْهُ، وَلَا حَائِلَ دُونِهِ.

﴿٣٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ إِثْمٍ أَوْ تَضْيِيقٍ فِيهِمَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ نِكَاحِ زَوْجَةِ ابْنِهِ بِالْتَّبَنِّي، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتَّبِعُ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ، فَلَيْسَ هُوَ ﷺ بِدَّعَا مِنْ الرِّسَالَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ مَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ - مِنْ إِمْتَامِ هَذَا الزَّوْجِ وَابْتِلَالِ التَّبَنِّي وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ فِيهِ رَأْيٌ أَوْ خِيَارٌ - قَضَاءً نَافِذًا لَا مَرَدَّ لَهُ.

﴿٣٩﴾ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى أُمَّمِهِمْ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﷻ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى مَا يَقُولُهُ غَيْرُهُمْ عِنْدَمَا يَفْعَلُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَكُفِيَ

بِاللَّهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ لِحَاسِبِهِمْ عَلَيْهَا، وَبِجَازِيهِمْ بِهَا؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَيْسَ هُوَ وَالِدُ زَيْدٍ حَتَّى يَحْرِمَ عَلَيْهِ نِكَاحُ زَوْجَتِهِ إِذَا طَلَقَهَا، وَلَكِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ.

﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، اذْكُرُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ وَأَسْمِعْتُمْ وَجُوهَكُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا.

﴿٤٢﴾ وَنَزَّهَ سُبْحَانَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ؛ لِفَضْلِهِمَا.

﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يَرْحَمُكُمْ وَيُنْثِي عَلَيْكُمْ، وَتَدْعُوا لَكُمْ مَا لَكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا؛ فَلَا يَعْذِبُهُمْ إِذَا هُمْ أَطَاعُوهُ فَامْتَنَلُوا أَمْرَهُ وَاجْتَنَبُوا نَهْيَهُ.

﴿٤٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَكَايِدِ،

● وَجُوبُ اسْتِسْلَامِ الْمُؤْمِنِ لِحُكْمِ اللَّهِ وَالْإِنْقِيَادَ لَهُ.

● إِطْلَاعُ اللَّهِ عَلَى مَا فِي النَفُوسِ.

● مِنْ مَنَاقِبِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: أَنَّ زَوْجَهَا اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

● فَضْلُ ذِكْرِ اللَّهِ، خَاصَّةً وَقْتُ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ^{٣٦} وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ^{٣٧} وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِلْكِ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ^{٣٨} مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ وَسُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ^{٣٩} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ^{٤٠} مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ^{٤١} وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ^{٤٢} يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ^{٤٣} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ^{٤٤} هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ^{٤٥}

٤٤ تحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام وأمان من كل سوء، وأعد الله لهم أجرًا كريمًا - وهو جنته - جزاء لهم على طاعتهم له، وبعدهم عن معصيته.

٤٥ يا أيها النبي، إنا بعثناك إلى الناس شاهدًا عليهم بأن بلغتهم ما أرسلت به إليهم، ومبشرًا للمؤمنين منهم بما أعد الله لهم من الجنة، ومخوفًا للكافرين مما أعد لهم من عذابه.

٤٦ وبعثناك داعيًا إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثناك مصباحًا منيرًا يستنير به كل من يريد الهداية. ٤٧ وأخير المؤمنين بالله الذين يعملون بما شرعه لهم، بما يسرهم أن لهم من الله سبحانه فضلًا عظيمًا يشمل نصرهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة بدخول الجنة.

٤٨ ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعون إليه من الصد عن دين الله، وأعرض عنهم، فعمل ذلك يكون أدعى لأن يؤمنوا بما جئتكم به، واعتمد على الله في كل أموركم؛ ومنها النصر على أعدائكم، وكفى بالله وكيلًا يعتمد عليه العباد في جميع أمورهم في الدنيا والآخرة.

٤٩ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا عقدتم على المؤمنات عقد نكاح، ثم طلقتموهن من قبل الدخول بهن فما لكم عليهن من عدة، سواء كانت بالأقراء أو الشهور؛ للعلم ببراءة أرحامهن بعدم البناء بهن، ومتعهن بأموالكم حسب وسعكم؛ جبرًا لخواترهن المنكسرة بالطلاق، وخلوا سبيلهن بالمعروف

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ٤٤
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥
إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ٤٦ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ٤٧ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ٤٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا
فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ٤٩ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِنَّا أَخْلَلْنَاكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّاتِ أَتَيْتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ٥٠ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكُمْ
يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥١

دون إيداء لهن.

٥٠ يا أيها النبي، إنا أبخنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن، وأحللنا لك ما ملكت من الإماء مما أفاء الله به عليك من السبايا، وأحللنا لك نكاح بنات عمك، ونكاح بنات خالك، ونكاح بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، وأحللنا لك أن تنكح امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك من غير مهر إن أردت أن تنكحها، ونكاح الهبة خاص به ﷺ لا يجوز لغيره من الأمة، قد علمنا ما أوجبناه على المؤمنين في شأن زوجاتهم حيث لا يجوز لهم أن يتجاوزوا أربع نسوة، وما شرعناه لهم في شأن إمائهم حيث إن لهم أن يستمتعوا بمن شاؤوا منهن دون تقييد بعدد، وأبخنا لك ما أبخنا مما ذكر مما لم نبخه لغيرك؛ لئلا يكون عليك ضيق ومشقة، وكان الله غفورًا لمن تاب من عبادته، رحيمًا بهم.

٥١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الصبر على الأذى من صفات الداعية الناجح.
- يُنْدَبُ للزوج أن يعطي مطلقة قبل الدخول بها بعض المال جبرًا لخاطرها.
- خصوصية النبي ﷺ بجواز نكاح الهبة، وإن لم يحدث منه.

﴿٥١﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ
مَنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥٢﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْنَسِينَ
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ
وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ
مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ يُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٥﴾

﴿٥١﴾ تؤخر - أيها الرسول - من تشاء تأخير قسمه من نسائك فلا تبیت معها، وتضمّ إليك من تشاء منهنّ فتبیت معها، ومن طلبت أن تضمها ممن أحرهنّ فلا إثم عليك في ذلك، ذلك التخيير والتوسيع لك أقرب أن تقرّ به عين نسائك، وأن يرضين بما أعطيتهنّ جميعهنّ؛ لعلهنّ أنك لم تترك واجباً، ولم تبخل بحق، والله يعلم ما في قلوبكم - أيها الرجال - من الميل إلى بعض النساء دون بعض، وكان الله عليماً بأعمال عباده، لا يخفى عليه منها شيء، حليماً لا يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يتوبون إليه.

﴿٥٢﴾ لا يجوز لك - أيها الرسول - أن تتزوج بنساء غير زوجاتك اللاتي هن في عصمتك، ولا يحلّ لك أن تطلقهن، أو تطلق بعضهنّ لتأخذ غيرهنّ من النساء، ولو أعجبك حسن من تريد أن تتزوج بها من النساء غيرهنّ، لكن يجوز لك أن تسترّي بما ملكت يمينك من الإماء دون حصر في عدد محدد، وكان الله على كل شيء حفيظاً. وهذا الحكم يدل على فضل أمهات المؤمنين، فقد منع طلاقهن والزواج عليهن.

﴿٥٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لهم، لا تدخلوا بيوت النبي إلا بعد أن يأذن لكم بدخولها بدعوتكم إلى طعام، ولا تطيلوا الجلوس تنتظرون نضج الطعام، ولكن إذا دعيت إلى طعام فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا، ولا تمكثوا بعده يستأنس بعضكم بحديث بعض، إن ذلك المكث كان يؤذي النبي ﷺ فيستحيي أن يطلب منكم الانصراف، والله لا يستحيي أن يأمر بالحق، فأمركم بالانصراف عنه حتى لا تؤذوه ﷺ بالمكث، وإذا طلبتم من زوجات النبي ﷺ حاجة مثل آنية ونحوها فاطلبوا حاجتكم تلك من وراء ستر، ولا تطلبوها منهنّ مواجهة حتى لا تراهنّ أعينكم؛ صواباً لهنّ؛ لمكانة رسول الله ﷺ، ذلكم الطلب من وراء ستر أظهر لقلوبكم وأظهر لقلوبهنّ؛ حتى لا يطرّق الشيطان إلى قلوبكم وقلوبهنّ بالوسوسة وتزيين المنكر، وما ينبغي لكم - أيها المؤمنون - أن تؤذوا رسول الله ﷺ بالمكث للحديث، ولا أن تتزوجوا نساءه من بعد موته، فهنّ أمهات المؤمنين، ولا يجوز لأحد أن يتزوج أمه، إن ذلكم الإيذاء - ومن صورته نكاحكم نساءه من بعد موته - حرام ويعدّ عند الله إثماً عظيماً.

﴿٥٤﴾ إن تظهروا شيئاً من أعمالكم أو تستروها في أنفسكم، فلن يخفى على الله منه شيء، إن الله كان بكل شيء عليماً، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ولا من غيرها، وسيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿٥٥﴾ من قوايد الآيات،

- عظم مقام النبي ﷺ عند ربه؛ ولذلك عاتب الصحابة ﷺ الذين مكثوا في بيته ﷺ لتأذيه من ذلك.
- ثبوت صفتي العلم والحلم لله تعالى.
- الحياء من أخلاق النبي ﷺ.
- صيانة مقام أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا
 أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
 ٥٥ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
 مُهِينًا ٥٧ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ
 مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
 يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَلِيهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا
 يُؤْذِينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩ ۖ لِّئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ
 وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
 لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠ مَلْعُونِينَ
 أَيْمَانُ ثِقْفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُمْ بِتَقْيِيلًا ٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢

الجزء
الثاني

٥٥ لَا إِثْمَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَرَاهُنَّ وَيَكْلَمَهُنَّ
 دُونَ حِجَابٍ: أَبَاؤُهُنَّ، وَأَوْلَادُهُنَّ، وَإِخْوَانُهُنَّ، وَأَبْنَاءُ
 أَخَوَاتِهِنَّ مِنَ النَّسَبِ أَوْ الرِّضَاعَةِ، وَلَا
 إِثْمَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكْلَمَهُنَّ دُونَ حِجَابٍ:
 النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ،
 وَاتَّقِينَ اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنَاتُ -
 فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ سَبْحَانَهُ،
 فَهُوَ مُشَاهِدٌ لِمَا يَظْهَرُ مِنْكُمْ وَيُخْفَى عَنْكُمْ.

٥٦ إِنَّ اللَّهَ يَثْنِي عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ عَلَى
 الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَلَائِكَتُهُ يَدْعُونَ
 لَهُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا
 بِمَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ، صَلُّوا عَلَى الرَّسُولِ
 وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ تَسْلِيمًا.

٥٧ وَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِتَعْظِيمِ الرَّسُولِ ﷺ
 وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ نَهَى عَنْ إِذْيَاتِهِ فَقَالَ:
 ٥٨ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ أَبْغَضَهُمُ اللَّهُ وَطَرَدَهُمُ
 مِنْ رَحَابِ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا
 مَذَلًّا جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ
 إِذْيَاءِ رَسُولِهِ.

٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ بَغَيْرِ
 ذَنْبٍ اكْتَسَبُوهُ مِنْ جَنَابَةٍ تَوْجِبُ ذَلِكَ
 الْإِذْيَاءَ، فَقَدْ احْتَمَلُوا كَذِبًا وَإِثْمًا
 ظَاهِرًا.

٦٠ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ، وَقُلْ
 لِبَنَاتِكَ، وَقُلْ لِنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: يُرْجِنَ
 عَلَيْهِنَّ مِنَ الْجَلَابِيبِ الَّتِي يَلْبَسْنَهَا
 حَتَّى لَا تَتَكَشَّفَ مِنْهُنَّ عَوْرَةٌ أَمَامَ
 الْأَجَانِبِ مِنَ الرِّجَالِ؛ ذَلِكَ أَقْرَبُ أَنْ
 يُعْرَفَ أَتُهُنَّ حُرَّاتٌ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ
 أَحَدٌ بِالْإِذْيَاءِ كَمَا يَتَعَرَّضُ بِهِ لِلْإِمَاءِ،
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِدُنُوبٍ مِنْ تَابَ مِنْ

عِبَادِهِ، رَحِيمًا بِهِ.

٦١ لِئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ نِفَاقِهِمْ؛ بِإِضْمَارِهِمُ الْكُفْرَ وَإِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ فَجُورٌ يَتَعَلَّقُهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ، وَالَّذِينَ
 يَأْتُونَ بِالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ فِي الْمَدِينَةِ لِيُفَرِّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ - لِنَأْمُرَنَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِمَعَاذَتِهِمْ، وَلِنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَا يُسَاكُنُونَكَ
 فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الزَّمَنِ؛ لِإِهْلَاكِهِمْ أَوْ طَرْدِهِمْ عَنْهَا بِسَبَبِ إِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ.

٦٢ مَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ لَقُوا أَخِذُوا وَقْتَكُمْ بِتَقْيِيلٍ؛ لِنَفَاقَتِهِمْ وَنَشْرِهِمُ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ.

هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ الْجَارِيَةُ فِي الْمُنَافِقِينَ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ، وَسُنَّةُ اللَّهِ ثَابِتَةٌ لَنْ تَجِدَ لَهَا أَبَدًا تَغْيِيرًا.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عَلُوُّ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ.
- حُرْمَةُ إِذْيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ سَبَبٍ.
- النِّفَاقُ سَبَبٌ لِنُزُولِ الْعَذَابِ بِصَاحِبِهِ.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَرْغْنَا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿٦٣﴾ يسألك المشركون - أيها الرسول - سؤال إنكار وتكذيب، ويسألك اليهود أيضًا؛ عن الساعة: متى وقتها؟ قل لهؤلاء: علم الساعة عند الله ليس عندي منه شيء، وما يشعرك - أيها الرسول - أن الساعة تكون قريبة؟

﴿٦٤﴾ إن الله سبحانه طرد الكافرين من رحمته، وهباً لهم يوم القيامة نارا ملتهبة تنتظرهم.

﴿٦٥﴾ ماكنون في عذاب تلك النار المعدة لهم أبداً، لا يجدون فيها ولياً ينفعهم، ولا نصيراً يدفع عنهم عذابها.

﴿٦٦﴾ يوم القيامة تقلب وجوههم في نار جهنم، يقولون من شدة التحسر والندم: يا ليتنا في حياتنا الدنيا كنا أطعنا الله بامثال ما أمرنا به، واجتنب ما نهانا عنه، وأطعنا الرسول فيما جاء به من ربه.

﴿٦٧﴾ جاء هؤلاء بحجة واهية باطلة فقالوا: ربنا إنا أطعنا رؤساءنا وكبراء أقوامنا، فأضلونا عن الصراط المستقيم.

﴿٦٨﴾ ربنا، اجعل لهؤلاء الرؤساء والكبراء الذين أضلونا عن الصراط المستقيم ضِعْفَيْنِ ما جَعَلْتَ لنا من العذاب لإضلالهم إيانا، واطردهم من رحمتك طرداً عظيماً.

﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تؤذوا رسولكم فتكونوا مثل الذين آذوا موسى كعبيهم له في جسده فبرَّاه الله مما قالوا، فتبين لهم سلامته مما قالوا فيه، وكان موسى عند الله وجيهاً، لا يُرَدُّ طلبه، ولا يخيب مسعاه.

﴿٧٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وقولوا قولاً صواباً صدقاً. إنكم إن اتقيتم الله وقلتم قولاً صواباً، أصلح لكم أعمالكم، وتقبلها منكم، ومَحَا عنكم ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً لا يدايه أي فوز، وهو الفوز برضا الله ودخول الجنة.

﴿٧١﴾ إنا عرضنا التكاليف الشرعية، وما يحفظ من أموال وأسرار، على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال، فامتنعن من حملها، وخفن من عاقبتها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بعاقبة حملها.

﴿٧٢﴾ حملها الإنسان بقدر من الله؛ ليعذب الله المنافقين والمنافقات من النساء، والمشركين من الرجال والمشركات من النساء؛ على نفاقهم وشركهم بالله، وليتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الذين أحسنوا حمل أمانة التكاليف، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من عباده رحيماً بهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اختصاص الله بعلم الساعة.
- تحميل الأتباع كُتْرَاءَهُمْ مسؤولية إضلالهم لا يعفيهم هم من المسؤولية.
- شدة التحريم لإيذاء الأنبياء بالقول أو الفعل.
- عظم الأمانة التي تحمّلها الإنسان.

ترتيبها ٣٤

سورة سبأ

آياتها ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٣ لَيَجْزِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧

٤٢٨

١ من مقاصد السورة:

بيان أحوال الناس مع النعم، وسنة الله في تغييرها.

٢ التفسير:

١ الحمد لله الذي له كل ما في السموات وكل ما في الأرض، خلقاً وملكاً وتديراً، وله سبحانه الثناء في الآخرة، وهو الحكيم في خلقه وتديريه، الخبير بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

٢ يعلم ما يدخل في الأرض من ماء ونبات، ويعلم ما يخرج منها من نبات وغيره، ويعلم ما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرزق، ويعلم ما يصعد في السماء من الملائكة وأعمال عباده وأرواحهم، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، الغفور لذنوب من تاب إليه.

٣ وقال الذين كفروا بالله: لا تأتينا الساعة أبداً، قل لهم - أيها الرسول - بلى والله، لتأتينكم الساعة التي تكذبون بها، لكن لا يعلم وقت ذلك إلا الله، فهو سبحانه عالم ما غاب من الساعة وغيرها، لا يغيب عن علمه سبحانه وزن أصغر نملة في السموات ولا في الأرض، ولا يغيب عنه أصغر من ذلك المذكور ولا أكبر، إلا هو مكتوب في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء كائن إلى يوم القيامة.

٤ أثبت الله ما أثبت في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أولئك

المتصفون بتلك الصفات لهم من الله مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، ولهم رزق كريم؛ وهو جنته يوم القيامة.

٥ والذين عملوا جاهدين لإبطال ما أنزل الله من آيات، فقالوا عنها: سحر، وقالوا عن رسولنا: كاهن، ساحر، شاعر، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم يوم القيامة أسوأ عذاب وأشد.

٦ ويشهد علماء الصحابة ومن آمن من علماء أهل الكتاب أن الذي أنزله الله إليك من الوحي هو الحق الذي لا مزية فيه، ويرشد إلى طريق العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في الدنيا والآخرة.

٧ وقال الذين كفروا بالله لبعضهم: تعجبنا وسخريه مما جاء به الرسول ﷺ: هل ندلكم على رجل يخبركم أنكم إذا متم وقطعتم تقطعاً أنكم ستبعثون بعد موتكم أحياء؟

٨ من فوائد الآيات:

• سعة علم الله سبحانه المحيط بكل شيء.

• فضل أهل العلم.

• إنكار المشركين لبعث الأجساد تنكراً لقدرة الله الذي خلقهم.

﴿٨﴾ وقالوا: هل اخلق هذا الرجل على الله كذباً فرغم ما زعم من بعثنا بعد موتنا، أم هو مجنون يهدي بما لا حقيقة له؟ ليس الأمر كما زعم هؤلاء، بل الحاصل أن الذين لا يؤمنون بالآخرة هم في العذاب الشديد يوم القيامة، وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا.

﴿٩﴾ أفلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث ما بين أيديهم من الأرض، ويروا ما خلفهم من السماء؟ إن نشأ خسف الأرض من تحت أقدامهم خسفناها من تحتهم، وإن نشأ أن نسقط عليهم قطعا من السماء لأسقطناها عليهم، إن في ذلك لعلامة قاطعة لكل عبد كثير الرجوع إلى طاعة ربه يستدل بها على قدرة الله، فالقادر على ذلك قادر على بعثكم بعد موتكم وتمزيق أجسامكم.

﴿١٠﴾ ولقد أعطينا داود ﴿١٠﴾ منا نبوة وملكا، وقلنا للجبال: يا جبال، سبّحي مع داود، وهكذا قلنا للطير، وصيرنا له الحديد ليصنع منه ما يشاء من أدوات.

﴿١١﴾ أن اعمل - يا داود - دروعا واسعة تقي مقاتليك بأس عدوهم، وصير المسامير مناسبة للخلق فلا تجعلها دقيقة بحيث لا تستقر فيها، ولا غليظة بحيث لا تدخل فيها، واعملوا عملا صالحا، إني بما تعملون بصير، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء، وسأجازيكم عليها.

﴿١٢﴾ وسخرنا لسليمان بن داود ﴿١٢﴾ الريح، تسير في الصباح مسافة شهر، وتسير في المساء مسافة شهر، وسيلنا له عين النحاس ليصنع من النحاس ما يشاء، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، والذي يميل من الجن عما أمرناه به من العمل نذيقه من عذاب النار الملهبة.

﴿١٣﴾ يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صور، وما يشاء من قصاع مثل حياض الماء الكبيرة، وقدور الطبخ الثابتات فلا يحركن لعظمهن، وقلنا لهم: اعملوا - يا آل داود - شكرا لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

﴿١٤﴾ فلما حكمنا على سليمان بالموت ما أرشد الجن إلى أنه قد مات إلا حشرة الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئا عليها، فلما سقط تبيّنت أنهم لا يعلمون الغيب: إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب المذلّ لهم، وهو ما كانوا عليه من الأعمال الشاقة التي يعملونها لسليمان ﴿١٤﴾ ظلما منهم أنه حيّ يراقبهم.

﴿١٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تكريم الله لنبيه داود بالنبوة والملك، وبتسخير الجبال والطير يسبحن بتسبيحه، والآلة الحديد له.
- تكريم الله لنبيه سليمان ﴿١٢﴾ بالنبوة والملك.
- اقتضاء النعم لشكر الله عليها.
- اختصاص الله بعلم الغيب، فلا أساس لما يدعى من أن للجن أو غيرهم اطلاعا على الغيب.

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَاشِئَ خُسْفٍ بِهِمْ الْأَرْضَ أَوْ تُسْقَطَ عَلَيْهِمْ كَسَافًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآتَيْنَاهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْلَيْمَنْ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَاهُ وَعَيْنَ الْقَطْرِ وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ وَمَا يُشَاءُ مِنْ مَّحَرِّبٍ وَتَمْكِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِ وَقَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿١٥﴾ يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صور، وما يشاء من قصاع مثل حياض الماء الكبيرة، وقدور الطبخ الثابتات فلا يحركن لعظمهن، وقلنا لهم: اعملوا - يا آل داود - شكرا لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

﴿١٦﴾ فلما حكمنا على سليمان بالموت ما أرشد الجن إلى أنه قد مات إلا حشرة الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئا عليها، فلما سقط تبيّنت أنهم لا يعلمون الغيب: إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب المذلّ لهم، وهو ما كانوا عليه من الأعمال الشاقة التي يعملونها لسليمان ﴿١٦﴾ ظلما منهم أنه حيّ يراقبهم.

ولما ذكر الله ما أنعم به على داود وابنه سليمان ﷺ، ذكر ما أنعم به على أهل سبأ، إلا أن داود وسليمان ﷺ شَكَرَا اللَّهَ وَأَهْلَ سَبَأٍ كَفَرُوهُ، فقال:

﴿١٥﴾ لقد كان لقييلة سبأ في مسكنهم الذي كانوا يسكنون فيه علامة ظاهرة على قدرة الله وإنعامه عليهم؛ وهي جنتان: إحداهما عن اليمين، والثانية عن الشمال، وقلنا لهم: كلوا من رزق ربكم، واشكروه على نعمه؛ هذه بلدة طيبة، وهذا الله رب غفور يغفر ذنوب من تاب إليه.

﴿١٦﴾ فأعرضوا عن شكر الله والإيمان برسله، فعاقبناهم بتبديل نعمهم نقمًا، فأرسلنا عليهم سيلًا جارفًا خرب سدهم وأغرق مزارعهم، وبدلناهم بُسْتَانِيَّهِمْ بُسْتَانَيْنِ مُثْمَرَيْنِ بالشمر المر، وفيهما شجر الأثل غير المثمر، وشيء قليل من السدر.

﴿١٧﴾ ذلك التبديل - الحاصل لما كانوا عليه من النعم - بسبب كفرهم وإعراضهم عن شكر النعم، ولا نعاقب هذا العقاب الشديد إلا الجحود لنعم الله الكفور به سبحانه.

﴿١٨﴾ وجعلنا بين أهل سبأ في اليمن وبين قرى الشام التي باركنا فيها قرى متقاربة، وقدرنا فيها السير بحيث يسيرون من قرية إلى قرية دون مشقة حتى يصلوا الشام، وقلنا لهم: سيروا فيها ما شئتم من ليل أو نهار في أمن من العدو والجوع والعطش.

﴿١٩﴾ فبطروا نعمة الله عليهم بتقريب المسافات، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا بإزالة تلك القرى حتى نذوق تعب الأسفار، وتظهر مزية

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِیْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ يَكْفُرُوا بِهِمَا بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿٤٣٠﴾

ركائبا، وظلموا أنفسهم ببطرهم نعمة الله وإعراضهم عن شكره وحسدهم للفقراء منهم، فصيرناهم أحاديث يتحدث بها من بعدهم، وفرقناهم في البلاد كل تضريق، بحيث لا يتواصلون فيما بينهم، إن في ذلك المذكور - من الإنعام على أهل سبأ ثم الانتقام منهم لكفرهم وبطرهم - لعبرة لكل صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معصيته وعلى البلاء، شكور لنعم الله عليه.

﴿٢٠﴾ ولقد حَقَّقَ عليهم إبليس ما ظننه من أنه يستطيع إغواءهم وإضلالهم عن الحق، فاتبعوه في الكفر والضلال إلا طائفة من المؤمنين فإنهم خبيوا رجاء بعدم اتباعهم له.

﴿٢١﴾ وما كان لإبليس عليهم من سلطان يقهرهم به على أن يضلوا، وإنما كان يزين لهم ويغويهم، إلا أنا أَدْنَاهُ في إغوائهم ليظهر أمر من يؤمن بالآخرة وما فيها من جزاء، ممن هو منها في شك، وربك - أيها الرسول - على كل شيء حفيظ، يحفظ أعمال عباده، ويجازيهم عليها. ﴿٢٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: نادوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون الله ليجلبوا لكم النفع أو يكشفوا عنكم الضر، فهم لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم شرك فيها مع الله، وليس لله من معين يعينه، فهو غني عن الشركاء وعن المعينين.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الشكر يحفظ النعم، والجحود يسبب سلبها. • الأمن من أعظم النعم التي يمتنُّ الله بها على العباد. • الإيمان الصحيح بعصم من اتباع إغواء الشيطان بإذن الله. • ظهور إبطال أسباب الشرك ومدخله كالزعم بأن للأصنام مُلْكًا أو مشاركة لله، أو إعانة أو شفاعة عند الله.

﴿٢٣﴾ وَلَا تَتَفَعُّ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

﴿٢٤﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ جَبْرِيلُ: قَالَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ وَقَهْرِهِ، الْكَبِيرُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ.

﴿٢٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ، وَمَنْ الْأَرْضَ بِأَنْبَاتِ الثَّمَرَاتِ وَالزَّرْعِ وَالْفَوَاكِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؟ قُلْ: اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ مِنْهَا، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - لَعَلَىٰ هُدَايَةٍ أَوْ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ عَنِ الطَّرِيقِ، فَاحْدُنَا لَا مَحَالَةَ كَذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَهْلَ الْهُدَىٰ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ هُمُ الْمُشْرِكُونَ.

﴿٢٦﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: لَا تَسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ ذُنُوبِنَا الَّتِي ارْتَكَبْنَاهَا، وَلَا نَسْأَلُ نَحْنُ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

﴿٢٧﴾ قُلْ لَهُمْ: يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ، فَيُبَيِّنُ الْمُحَقِّقَ مِنَ الْمُبْطِلِ وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ، الْعَلِيمُ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ.

﴿٢٨﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: أَرُونِي الَّذِينَ جَعَلْتُمُوهُمْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ تَشْرِكُونَهُمْ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ، كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَصَوَّرْتُمْ مَنْ أَنْ لَهُ شُرَكَاءُ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

﴿٢٩﴾ وَمَا بَعَثْنَاكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - إِلَّا لِلنَّاسِ عَامَةً مِبْشَرًا أَهْلَ التَّقْوَىٰ بِأَنَّ

لَهُمُ الْجَنَّةَ، وَمُخَوِّفًا أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ مِنَ النَّارِ، وَلَكِنْ مَعْظَمُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَلَوْ عِلْمُهُ لَمَا كَذَّبُوكَ.

﴿٣٠﴾ وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ الَّذِي يُخَوِّفُونَ مِنْهُ: مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ بِالْعَذَابِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَدْعُونَهُ مِنْ أَنَّهُ حَقٌّ؟

﴿٣١﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَهُؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ: لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ مُحَدَّدٍ: لَا تَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ سَاعَةً، وَلَا تَتَقَدَّمُونَ عَنْهُ سَاعَةً، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ مَنْزِلٌ عَلَيْهِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ السَّابِقَةِ، وَلَوْ تَرَىٰ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - إِذِ الظَّالِمُونَ مَحْبُوسُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ، يَتَرَجَعُونَ الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ، يَلْقَىٰ كُلُّ مَنْهُمْ الْمَسْئُولِيَّةَ وَاللُّومَ عَلَى الْآخَرِ، يَقُولُ الْآتِبَاعُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّفُوا لِسَادَتِهِمُ الَّذِينَ اسْتَضَعَّفُوهُمْ فِي الدُّنْيَا: لَوْلَا أَنْكُمُ اضْلَلْتُمُونَا، لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.

﴿٣٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● التَّلَطُّفُ بِالْمَدْعُوِّ حَتَّىٰ لَا يَلُودَ بِالْعِنَادِ وَالْمُكَابَرَةِ.

● صَاحِبُ الْهُدَىٰ مُسْتَعْتَلٌ بِالْهُدَىٰ مَرْتَقٍ بِهِ، وَصَاحِبُ الضَّلَالِ مَنْغَمَسٌ فِيهِ مُحْتَقِرٌ.

● شُمُولُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءُ، وَالْجَنِّ كَذَلِكَ.

﴿٢٢﴾ قال المتبوعون الذين استكبروا عن الحق للتابعين الذين استضعفوه: أنحن منكم عن الهدى الذي جاءكم به محمد؟ لا، بل كنتم ظلمة وأصحاب فساد وإفساد.

﴿٢٣﴾ وقال التابعون الذين استضعفهم سادتهم لمتبوعيههم المستكبرين عن الحق: بل صدنا عن الهدى مكرهم بنا بالليل والنهار حين كنتم تأمروننا بالكفر بالله، وعبادة مخلوقين من دونه. وأخفوا الندامة على ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا حين شاهدوا العذاب، وعلموا أنهم معذبون، وجعلنا الأصفاد في أعناق الكافرين، لا يجوزون هذا الجزاء إلا بما كانوا يعملونه في الدنيا من عبادة غير الله وارتكاب المعاصي.

وتسليية الرسول ﷺ حين كذبه قومه ذكره الله بأن التكذيب هو ذنن الأئمة من قبله، فقال:

﴿٢٤﴾ وما بعثنا في قرية من القرى من رسول يخوفهم عذاب الله إلا قال المُنْعَمُونَ فيها من أصحاب السلطان والجاه والمال: إنا بما بُعِثْتُمْ به - أيها الرسل - كافرين.

﴿٢٥﴾ وقال أصحاب الجاه هؤلاء مُتَبَجِّحِينَ مفتخرين: نحن أكثر أموالاً وأكثر أولاداً، وما زعمت من أننا مُعَذَّبُونَ كذب، فلسنا بمُعَذَّبِينَ في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿٢٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المغرورين بما أوتوا من النعم: ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء اختبأً له أيشكر أم يكفر، ويضيقه على من يشاء ابتلاءً له أيصبر أم يتسخط؟ ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الله حكيم؛

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْحُنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا لَئِنْ أَكْثَرُ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادُنَا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلُوْلَيْكَ لَهُمْ جَزَاءٌ يُضَاعَفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعَرْشِ ءَامِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩﴾

٤٣٢

لا يقدر أمرًا إلا لحكمة بالغة؛ غلما من علمها وجهلها من جهلها.

﴿٢٧﴾ وليست أموالكم ولا أولادكم التي تفتخرون بها هي التي تقودكم إلى رضوان الله، لكن من آمن بالله وعمل عملاً صالحاً حاز الأجر المضاعف؛ فالأموال تقربه بإتفاقها في سبيل الله، والأولاد بدعائهم له، فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم ثواب مضاعف لما عملوه من حسنات؛ وهم في المنازل العليا من الجنة آمنون من كل ما يخافونه من العذاب والموت وانقطاع النعيم. ﴿٢٨﴾ والكفار الذين يبذلون غاية جهدهم في صرف الناس عن آياتنا ويسعون في تحقيق أهدافهم هؤلاء خاسرون في الدنيا مُعَذَّبُونَ في الآخرة.

﴿٢٩﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، وما أنفقتم من شيء في سبيل الله، فالله ﷻ يخلفه عليكم في الدنيا بإعطائكم ما هو خير منه، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله سبحانه هو خير الرازقين، فمن طلب الرزق فليجأ إليه سبحانه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تبرؤ التابعين والمتبوعين بعضهم من بعض، لا يُعْفِي كلاً من مسؤوليته.
- الترف مُبْعِدٌ عن الإذعان للحق والانقياد له.
- المؤمن ينفعه ماله وولده، والكافر لا ينتفع بهما.
- الإنفاق في سبيل الله يؤدي إلى إخلاف المال في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تَنَادَى آيَاتُنَا بِنَبْتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَكٌ مَقْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شَتَّى وَفُرَدَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

٤٣٣

﴿٤٠﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشرهم الله جميعًا، ثم يقول سبحانه للملائكة تقريرًا للمشركين وتوبيخًا لهم: أهؤلاء كانوا يعبدونكم في الحياة الدنيا من دون الله؟

﴿٤١﴾ قال الملائكة: تزهت وتقدست! أنت ولينا من دونهم، فلا موالاة بيننا وبينهم، بل كان هؤلاء المشركون يعبدون الشياطين؛ يتمثلون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم من دون الله، معظمهم بهم مؤمنون.

﴿٤٢﴾ يوم الحشر والحساب لا يملك المعبدون لمن عبدوهم في الدنيا من دون الله نفعًا، ولا يملكون لهم ضرًا، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿٤٣﴾ وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين المكذبين آياتنا المنزلة على رسولنا واضحة لا لبس فيها قالوا: ما هذا الرجل الذي جاء بها إلا رجل يريد أن يصرفكم عما كان عليه آبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه على الله، وقال الذين كفروا بالله للقرآن لما جاءهم من عند الله: ليس هذا إلا سحرًا واضحًا؛ لتفريقه بين المرء وزوجه، والابن وأبيه.

﴿٤٤﴾ وما أعطيناكم من كتب يقرؤونها حتى ترشدكم أن هذا القرآن كذب اختلقه محمد، وما أرسلنا إليهم قبل إرسالك - أيها الرسول - من رسول يخوفهم من عذاب الله.

﴿٤٥﴾ وكذبت الأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم لوط، وما وصل المشركون من قومك إلى عُشْر ما وصلت إليه الأمم السابقة من القوة والمنعة والمال والعدد، فكذب كل منهم رسوله، فما نفعمهم ما أوتوا من المال والقوة والعدد، فوقع بهم عذابي، فأنظر - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم، وكيف كان عقابي لهم.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أشير إليكم وأنصحكم بخصلة واحدة؛ هي أن تقوموا متجردين من الهوى لله سبحانه، اثنين اثنين أو منفردين، ثم تفكروا في سيرة صاحبكم، وما علمتم من عقله وصدقه وأمانته؛ لتبينوا أنه ﷺ ليس به جنون، ما هو إلا محذر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا إلى الله من الشرك به.

﴿٤٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: ما سألتكم من ثواب أو أجر على ما جئكم به من الهدى والخير - على تقدير وجوده -، فهو لكم، ليس ثوابي إلا على الله وحده، وهو سبحانه على كل شيء شهيد، فهو يشهد على أبي بلغتكم، ويشهد على أعمالكم، فيوفيكم جزاءها.

ولما بين سبحانه الحجج على أهل الباطل والشرك بين أن ذلك سُنَّتُهُ فقال: ﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي يسلط الحق على الباطل فيبطله، وهو علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه أعمال عباده.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التقليد الأعمى للأباء صارف عن الهداية. • التفكر مع التجرد من الهوى وسيلة للوصول إلى القرار الصحيح، والفكر الصائب.
- الداعية إلى الله لا ينتظر الأجر من الناس، وإنما ينتظره من رب الناس.

المشركين المكذابين: جاء الحق الذي هو الإسلام، وزال الباطل الذي لا يبدو له أي أثر أو قوة ولا يعود إلى نفوذه.

٥٠ قل - أيها الرسول - لهؤلاء

المشركين المكذابين: إن ضللت عن الحق فيما أبلغكم فضرر ضلالي قاصر علي، لا ينالكم منه شيء، وإن اهتديت إليه فبسبب ما يوحيه إلي ربي سبحانه، إنه سميع لأقوال عباده، قريب لا يتعذر عليه سماع ما أقول.

٥١ ولوترى - أيها الرسول - إذ

فرع هؤلاء المكذبون لما عاينوا العذاب يوم القيامة، فلا مفر لهم منه، ولا ملجأ يلتجئون إليه، وأخذوا من مكان قريب سهل التناول من أول وهلة، لو ترى ذلك لرأيت أمراً عجيباً.

٥٢ وقالوا حين رأوا مصيرهم:

أما يوم القيامة، وكيف لهم تعاطي

الإيمان وتناوله وقد بعد عنهم مكان

قبول الإيمان بخروجهم من دار

الدنيا التي هي دار عمل لا جزاء،

إلى الدار الآخرة التي هي دار جزاء

لا عمل؟ ٥٣ وكيف يحصل منهم

الإيمان ويُقبل، وقد كفروا به في الحياة

الدنيا، ويرمون بالظن من جهة بعيدة

عن إصابة الحق، كقولهم في الرسول

ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر؟ ٥٤ ومُنِعَ

هؤلاء المكذبون من الحصول على ما

يشتهونه من ملذات الحياة، ومن التوبة

من الكفر والنجاة من النار، والعودة

إلى الحياة الدنيا، كما فعل بأمثالهم

من الأمم المكذبة من قبلهم، إنهم

كانوا في شك مما جاءت به الرسل

من توحيد الله والإيمان بالبعث، شك

باعت على الكفر.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩ قُلْ إِنْ ضَلَّكَتُمْ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ٥٠ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ أَفْلَاقَتْ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ٥١ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ٥٤

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةَ رُسُلًا أُولَٰئِكَ أَجْنَحَةٌ مِّثْنَىٰ وَوُكِّلَ لِيَدِي فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ يَأَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُوفِّكُونَ ٣

٤٣٤

سورة فاطر

— مكية —

- من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان فقر العباد المطلق إلى فاطر السماوات والأرض، وكمال غناه عنهم.
- التفسير: ١) الحمد لله خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، الذي جعل من الملائكة رسلاً ينفذون أوامره القدرية، ومنهم من يبلغ الأنبياء الوحي، وقواهم على أداء ما اتَّمتَّهم عليه، فمنهم ذو جناحين وذو ثلاثة وذو أربعة، يطير بها لتنفيذ ما أمر به، يزيد الله في الخلق ما يشاء من عضو أو حُسن أو صوت، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء. ٢) إن مفاتيح كل شيء بيد الله؛ فما يفتح للناس من رزق وهداية وسعادة وغير ذلك من النعم فلا أحد يستطيع أن يمنعه، وما يمسكه من ذلك فلا أحد يستطيع إرساله من بعد إمساكه له، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتديره. ٣) يا أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم، وبجوارحكم بالعمل، هل لكم من خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ينزله عليكم من المطر، ويرزقكم من الأرض بما ينبت من الثمار والزرع، وغير ذلك؟ لا معبود بحق غيره، فكيف بعد هذا تصرفون عن هذا الحق وتفترون على الله وتزعمون أن لله شركاء، وهو الذي خلقكم ورزقكم؟
- من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● مشهد فرع الكفار يوم القيامة مشهد عظيم. ● محل نفع الإيمان في الدنيا؛ لأنها هي دار العمل. ● عظم خلق الملائكة يدل على عظمة خالقهم سبحانه.

وَإِنْ يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ٤ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٦ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ وَسُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ
 اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
 حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
 الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّورُ ٩ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ
 ١٠ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ
 وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١١

٤٣٥

١ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فاصبر، فليست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت أمم من قبلك رسلكم مثل عاد وثمود وقوم لوط، وإلى الله وحده ترجع الأمور كلها، فيهلك المكذبين، وينصر رسله والمؤمنين.

٢ يا أيها الناس، إن ما وعد الله به - من البعث والجزاء يوم القيامة - حق لا شك فيه، فلا تخدعكم لذات الحياة الدنيا وشهواتها عن الاستعداد لهذا اليوم بالعمل الصالح، ولا يخدعكم الشيطان بتزيينه للباطل، والركون إلى الحياة الدنيا.

٣ إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو دائم العداوة، فاتخذوه عدوًّا بالتزام محاربتة، إنما يدعو الشيطان أتباعه إلى الكفر بالله لتكون عاقبتهم دخول النار الملتهية يوم القيامة.

٤ الذين كفروا بالله اتباعًا للشيطان، لهم عذاب قوي، والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم مغفرة من الله لذنوبهم، ولهم أجر عظيم منه وهو الجنة.

٥ إن من حسن له الشيطان عمله السيئ فاعتقده هو حسنًا، ليس كمن زين له الله الحق فاعتقده حقًا، فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لا مكره له، فلا تهلك - أيها الرسول - نفسك حزنًا على ضلال الضالين، إن الله سبحانه عليم بما يصنعون، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

٦ والله الذي بعث الرياح فتتحرك هذه الرياح سحابًا، فسقنا السحاب إلى بلد لا نبات فيه، فأحيينا بمائه الأرض بعد جفافها بما أنبتناه فيها من النبات، فكما أحيينا هذه الأرض بعد

موتها بما أودعناه فيها من النبات، يكون بعث الأموات يوم القيامة.

٧ من كان يريد العزة في الدنيا أو في الآخرة فلا يطلبها إلا من الله، فلله وحده العزة فيهما، إليه يصعد ذكره الطيب، وعمل العباد الصالح يرفعه إليه، والذين يدبرون المكائد السيئة - كمحاولة قتل الرسول ﷺ - لهم عذاب شديد، ومكر أولئك الكفار يبطل ويفسد، ولا يحقق لهم مقصدًا.

٨ والله هو الذي خلق أبائكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة، ثم جعلكم ذكورًا وإناثًا تتزاوجون بينكم، وما تحمل من أنثى جنينًا، ولا تضع ولدها إلا بعلمه سبحانه، لا يغيب عنه من ذلك شيء، وما يزداد في عمر أحد من خلقه ولا ينقص منه إلا كان ذلك مسطورًا في اللوح المحفوظ، إن ذلك المذكور - من خلقكم من تراب وخلقكم أطوارًا وكتابة أعماركم في اللوح المحفوظ - على الله سهل.

٩ من قوايد الآيات،

• تسلية الرسول ﷺ بذكر أخبار الرسل مع أقوامهم.

• الاغترار بالدنيا سبب الإعراض عن الحق.

• اتخاذ الشيطان عدوًّا باتخاذ الأسباب المعينة على التحرز منه؛ من ذكر الله، وتلاوة القرآن، وفعل الطاعة، وترك المعاصي.

• ثبوت صفة العلو لله تعالى.

﴿١٢﴾ ولا يتساوى البحران: أحدهما عذب شديد العذوبة، سهل شربه لعذوبته، والثاني ملح مر لا يمكن شربه لشدة ملوحته، ومن كل من البحرين المذكورين تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون هو السمك، وتستخرجون منهما اللؤلؤ والمرجان تلبسونهما زينة، وترى السفن - أيها الناظر - تشق بجريها البحر مقلبة ومدبرة، لتطلبوا من فضل الله بالتجارة، ولعلكم تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من نعمه الكثيرة.

﴿١٣﴾ يَدْخُلُ اللَّهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ فيزيده طولًا، ويدخل النهار في الليل فيزيده طولًا، وسخر سبحانه الشمس، وسخر القمر، كل منهما يجري لموعده، مقدر يعلمه الله، وهو يوم القيامة، ذلك الذي يقدر ذلك كله ويجريه هو الله ربكم؛ له وحده الملك، والذين تعبدونهم من دونه من الأوثان ما يملكون قدر لفافة نواة تمر، فكيف تعبدونهم من دوني؟

﴿١٤﴾ إِن تَدْعُوا مَعْبُودَكُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ، فهم جمادات لا حياة فيها ولا سمع لها، ولو سمعوا دعاءكم - على سبيل التقدير - لما استجابوا لكم، ويوم القيامة يتبرؤون من شرككم وعبادتكم إياهم، فلا أحد يخبرك - أيها الرسول - أصدق من الله سبحانه.

﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْتُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وفي كل أحوالكم، والله هو الغني الذي لا يحتاج إليكم في شيء، المحمود في الدنيا والآخرة على ما يقدره لعباده. ﴿١٦﴾ إِن يَشَأْ سَبَحَانَهُ أَنْ يَزِيلَكُمْ

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ تَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلَةٍ لَّا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾

بهلاك يهلككم به أزلكم، ويأت بخلق جديد بلكم يعبدونه، لا يشركون به شيئاً.

﴿١٧﴾ وَمَا إِزَالَتُكُمْ بِأَهْلَاكُمْ، والإتيان بخلق جديد بلكم؛ بممتنع على الله ﷻ. ﴿١٨﴾ وَلَا تَحْمِلُ نَفْسٌ مَذْنِبَةً ذَنْبَ نَفْسٍ مَذْنِبَةً أُخْرَى، بل كل نفس مذنبية تحمل ذنبها، وإن تدع نفس مُثْقَلَةٌ بحمل ذنوبها مَنْ يحمل عنها شيئاً من ذنوبها لَا يُحْمَلُ عنها من ذنوبها شيء، ولو كان المدعو قريباً لها، إنما تخوف - أيها الرسول - من عذاب الله الذين يخافون ربهم بالغيب، وأتموا الصلاة على أكمل وجوها، فهم الذين ينتقمون بتخويفك، ومن تطهر من المعاصي - وأعظمها الشرك - فإنما يتطهر لنفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليه، فالله غني عن طاعته، وإلى الله الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿١٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تسخير البحر، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر: من نعم الله على الناس، لكن الناس تعتاد هذه النعم فتغفل عنها.
- سفه عقول المشركين حين يدعون أصناماً لا تسمع ولا تعقل.
- الافتقار إلى الله صفة لازمة للبشر، والغنى صفة كمال لله.
- تزكية النفس عائدة إلى العبد؛ فهو يحفظها إن شاء أو يضيعها.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
 ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا
 الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي
 الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
 فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
 وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ
 جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾
 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ
 إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُم
 أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

٤٣٧

﴿١٦﴾ وما يستوي الكافر والمؤمن في المنزلة، كما لا يستوي الأعمى والبصير.

﴿٢٠﴾ ولا يستوي الكفر والإيمان، كما لا تستوي الظلمات والنور.

﴿٢١﴾ ولا تستوي الجنة والنار في آثارهما، كما لا يستوي الظل والريح الحارة.

﴿٢٢﴾ وما يستوي المؤمنون والكفار، كما لا يستوي الأحياء والأموات، إن الله يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ هدايته، وما أنت - أيها الرسول - بِمُسْمِعِ الكفار الذين هم مثل الموتى في القبور.

﴿٢٣﴾ ما أنت إلا منذر لهم من عذاب الله.

﴿٢٤﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - بالحق الذي لا مرية فيه، مبشرًا للمؤمنين بما أعد الله لهم من الثواب الكريم، ومنذرًا للكافرين مما أعد لهم من العذاب الأليم، وما من أمة من الأمم السابقة إلا سلف فيها رسول من عند الله ينذرهم من عذابه.

﴿٢٥﴾ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فاصبر، فلست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت الأمم السابقة لهؤلاء رسلهم مثل عاد وثمود وقوم لوط، جاءتهم رسلهم من عند الله بالهجة الواضحة الدالة على صدقهم، وجاءتهم رسلهم بالصحف، وبالكتاب المنير لمن تدبره وتأمله. ﴿٢٦﴾ ومع ذلك كفروا بالله ورسله ولم يصدقوهم فيما جاؤوا به من عنده، فأهلك الذين كفروا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم حيث أهلكتهم.

﴿٢٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله سبحانه أنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء ثمرات مختلفًا ألوانها فيها الأحمر والأخضر والأصفر وغيرها بعد أن سقينا أشجارها منه، ومن الجبال طرائق بيض وطرائق حمراء، وطرائق حالكة السواد.

﴿٢٨﴾ ومن الناس (الإبل، والبقرة، والغنم) مختلف ألوانه مثل ذلك المذكور، إنما يعظم مقام الله تعالى ويخشاه العالمون به سبحانه؛ لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، إن الله عزيز لا يغال به أحد، غفور لذنوب من تاب من عباده.

﴿٢٩﴾ إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزلناه على رسولنا ويعملون بما فيه، وأتموا الصلاة على أحسن وجه، وأنفقوا مما رزقناهم على سبيل الزكاة وغيرها خفيةً وجهًا، يرجون بتلك الأعمال تجارة عند الله لن تكسد.

﴿٣٠﴾ ليوفيهم الله ثواب أعمالهم كاملة، ويزيدهم من فضله، فهو أهل لذلك، إنه سبحانه غفور لذنوب المتصفين بهذه الصفات، شكور لأعمالهم الحسنة.

﴿٣١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● نفي التساوي بين الحق وأهله من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى.

● كثرة عدد الرسل ﷺ قبل رسولنا ﷺ دليل على رحمة الله وعناد الخلق.

● إهلاك المكذبين سُنَّةَ إلهية.

● صفات الإيمان تجارة رابحة، وصفات الكفر تجارة خاسرة.

سبحانه أنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء ثمرات مختلفًا ألوانها فيها الأحمر والأخضر والأصفر وغيرها بعد أن سقينا أشجارها منه، ومن الجبال طرائق بيض وطرائق حمراء، وطرائق حالكة السواد.

﴿٢٨﴾ ومن الناس (الإبل، والبقرة، والغنم) مختلف ألوانه مثل ذلك المذكور، إنما يعظم مقام الله تعالى ويخشاه العالمون به سبحانه؛ لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، إن الله عزيز لا يغال به أحد، غفور لذنوب من تاب من عباده.

﴿٢٩﴾ إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزلناه على رسولنا ويعملون بما فيه، وأتموا الصلاة على أحسن وجه، وأنفقوا مما رزقناهم على سبيل الزكاة وغيرها خفيةً وجهًا، يرجون بتلك الأعمال تجارة عند الله لن تكسد.

﴿٣٠﴾ ليوفيهم الله ثواب أعمالهم كاملة، ويزيدهم من فضله، فهو أهل لذلك، إنه سبحانه غفور لذنوب المتصفين بهذه الصفات، شكور لأعمالهم الحسنة.

﴿٣١﴾ والذي أوحينا إليك - أيها الرسول - من الكتاب هو الحق الذي لا شك فيه، الذي أنزله الله تصديقاً للكتب السابقة، إن الله لخبير بعباده بصير، فهو يوحى إلى رسول كل أمة ما تحتاج إليه في زمانها.

﴿٣٢﴾ ثم أعطينا أمة محمد ﷺ الذين اخترناهم على الأمم القرآن، فمنهم ظالم لنفسه بفعل المحرمات وترك الواجبات، ومنهم مقتصد بفعل الواجبات وترك المحرمات، مع ترك بعض المستحبات وفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وذلك بفعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، ذلك المذكور - من الاختيار لهذه الأمة وإعطائها القرآن - هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل. جنات إقامة يدخلها هؤلاء المصطفون، يلبسون فيها لؤلؤاً وأساور من ذهب، ولباسهم فيها حرير.

﴿٣٣﴾ وقالوا بعد دخولهم الجنة: الحمد لله الذي أزال عنا الحزن بسبب ما كنا نخافه من دخول النار، إن ربنا لغفور لذنوب من تاب من عباده، شكور لهم على طاعتهم.

﴿٣٤﴾ الذي أنزلنا دار الإقامة - التي لا نقلة بعدها - من فضله، لا بحول منا ولا قوة، لا يصيبنا فيها تعب ولا عناء. ولما ذكر الله جزاء المصطفين من عباده ذكر جزاء الأردلين منهم وهم الكفار، فقال:

﴿٣٥﴾ والذي كفروا بالله لهم نار جهنم خالدين فيها، لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم من عذاب

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذَوْقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

جهنم شيء، مثل هذا الجزاء نجزي يوم القيامة كل جحود لنعم ربه.

﴿٣٧﴾ وهم يصيحون فيها بأعلى أصواتهم يستغيثون قائلين: ربنا أخرجنا من النار نعمل عملاً صالحاً مغايراً لما كنا نعمل في الدنيا لننال رضاك، ونسلم من عذابك، فيجيبهم الله: أولم نجعلكم تعيشون عمراً يتذكر فيه من يريد أن يتذكر، فيتوب إلى الله ويعمل عملاً صالحاً، وجاءكم الرسول منذراً لكم من عذاب الله؟ فلا حجة لكم، ولا عذر بعد هذا كله، فذوقوا عذاب النار، فما للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي من نصير ينقذهم من عذاب الله أو يخففه عنهم.

﴿٣٨﴾ إن الله عالم غيب السماوات والأرض، لا يفوته شيء منه، إنه عليم بما يخفيه عباده في صدورهم من الخير والشر.

من قواعد الآيات،

- فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم.
- تفاوت إيمان المؤمنين يعني تفاوت منزلتهم في الدنيا والآخرة.
- الوقت أمانة يجب حفظها، فمن ضيعها ندم حين لا ينفع الندم.
- إحاطة علم الله بكل شيء.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نِفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

﴿٣٩﴾ هو الذي جعل جعل بعضكم - أيها الناس - يخلف في الأرض بعضًا ليختبركم كيف تعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به الرسل فإثم كفره وعقابه عائد عليه، ولا يضر كفره ربه، ولا يزيد الكفار كفرهم عند ربهم سبحانه إلا بفضًا شديدًا، ولا يزيد الكفار كفرهم إلا خسارًا، حيث إنهم يخسرون ما كان أعد الله لهم في الجنة لو آمنوا.

﴿٤٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله، ماذا خلقوا من الأرض؟ أخلقوا جبالها؟ أخلقوا أنهارها؟ أخلقوا دوابها؟ أم أنهم شركاء مع الله في خلق السماوات؟ أم أعطيناهم كتابًا فيه حجة على صحة عبادتهم لشركائهم؟ لا شيء من ذلك حاصل، بل لا يعد الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي بعضهم بعضًا إلا خداعًا.

﴿٤١﴾ إن الله سبحانه يمسك السماوات والأرض مانعًا إياهما من الزوال، ولئن زالتا - على سبيل الفرض - فلا أحد يمسكهما عن الزوال من بعده سبحانه، إنه كان حلِيمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لذنوب من تاب من عياده.

﴿٤٢﴾ وأقسم هؤلاء الكفار المكذبون قَسَمًا مؤكدًا مغلطًا: لئن جاءهم رسول من الله ينذرهم من عذابه ليكونن أكثر استقامة واتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ مرسلًا من ربه يخوفهم عذاب الله ما زادهم مجيئه إلا بُعدًا عن الحق وتعلقًا بالباطل، فلم يوفوا بما أقسموا عليه الأيمان المؤكدة من أن يكونوا أهدى ممن سبقوهم.

﴿٤٣﴾ وقسمهم بالله على ما أقسموا عليه ليس عن حسن نية وقصد سليم، بل للاستكبار في الأرض والخداع للناس، ولا يحيط المكر السيئ إلا بأصحابه الماكرين، فهل ينتظر هؤلاء المستكبرون الماكرون إلا سُنَّةَ الله الثابتة؛ وهي إهلاكهم كما أهلك أمثالهم من أسلافهم؟ فلن تجد لِسُنَّةِ اللَّهِ في إهلاك المستكبرين تبديلًا بالآ تقع عليهم، ولا تحويلًا بأن تقع على غيرهم؛ لأنها سُنَّةُ إلهية ثابتة. ﴿٤٤﴾ أفلم يسر مكذبوك من قريش في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من الأمم قبلهم؟ ألم تكن نهايتهم نهاية سوء حيث أهلكهم الله، وكانوا أشد قوة من قريش؟ وما كان الله ليفوته شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا بأعمال هؤلاء المكذبين، لا يغيب عنه من أعمالهم شيء ولا يفوته، قديرًا على إهلاكهم متى شاء.

﴿٤٥﴾ مِنْ تَوَائِدِ الْآيَاتِ

- الكفر سبب لمقت الله، وطريق للخسارة والشقاء.
- المشركون لا دليل لهم على شركهم من عقل ولا نقل.
- تدمير الظالم في تدبيره عاجلاً أو آجلاً.

﴿٤٥﴾ ولو يجعل الله العقوبة للناس بما عملوه من المعاصي، وما ارتكبوهم من الآثام، لأهلك جميع أهل الأرض في الحال وما يملكون من دواب وأموال، ولكنه سبحانه يؤخرهم إلى أجل محدد في علمه وهو يوم القيامة، فإذا جاء يوم القيامة فإن الله كان بعباده بصيرًا لا يخفى عليه منهم شيء، فيجازيهم على أعمالهم؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

سُورَةُ يَس

مكية

• من مقاصد السورة:

إثبات الرسالة والبعث ودلائلها.

التفسير:

﴿يس﴾ سبق الكلام على

نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ يقسم الله بالقرآن الذي

أحكمت آياته، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿٣﴾ إنك - أيها الرسول - لمن

الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده؛

ليأمروهم بتوحيده وعبادته وحده.

﴿٤﴾ على منهج مستقيم وشرع

قويم. وهذا المنهج المستقيم والشرع

القويم منزل من ربك العزيز الذي لا

يغالبه أحد، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿٥﴾ أنزلنا إليك ذلك لتخوف

قومًا وتذريهم، وهم العرب الذين لم

يأتهم رسول يذريهم، فهم لاهون عن

الإيمان والتوحيد، وكذلك شأن كل أمة

انقطع عنها الإنذار، تحتاج إلى من

يذكرها من الرسل.

﴿٧﴾ لقد وجب العذاب من الله لأكثر

هؤلاء، بعد أن بلغهم الحق من الله على

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا
مِنْ دَآبَةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يَس

آياتها
٨٣آياتها
٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَىٰ
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرِ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا
وَأَثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

٤٤٠

لسان رسوله فلم يؤمنوا به، وبقوا على كفرهم، فهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بما جاءهم من الحق.

﴿٨﴾ ومثلهم في ذلك مثل من جعلت أصفاد في أعناقهم، وجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت مجامع لحاهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فلا يستطيعون خفضها، فهؤلاء مغلولون عن الإيمان بالله فلا يدعون له، ولا يخفون رؤوسهم من أجله.

﴿٩﴾ وجعلنا من بين أيديهم حاجزًا عن الحق، ومن خلفهم حاجزًا، فأغشينا أبصارهم عن الحق فهم لا يبصرون إصاراتًا ينتفعون به، حصل ذلك لهم بعد أن ظهر عنادهم وإصرارهم على الكفر.

﴿١٠﴾ سواء عند هؤلاء الكفار المعاندين للحق أخوفتهم - يا محمد - أم لم تخوفهم، فهم لا يؤمنون بما جئت به من عند الله.

﴿١١﴾ إن الذي ينتفع حقًا بإنذارك من صدق بهذا القرآن واتبع ما جاء فيه، وخاف من ربه في الخلوة، حيث لا يراه غيره، فأخبر من هذه صفاته بما يسره من محو الله لذنوبه ومغفرته لها، ومن ثواب عظيم ينتظره في الآخرة وهو دخول الجنة.

﴿١٢﴾ إنا نحن نحوي الموتى بيعتهم للحساب يوم القيامة، ونكتب ما قدموه في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحة والسيئة، ونكتب ما كان لهم من أثر باق بعد مماتهم صالحًا كان كالصدقة الجارية أو سيئًا كالكفر، وقد أحصينا كل شيء في كتاب واضح؛ وهو اللوح المحفوظ.

• من قوايد الآيات:

• العناد مانع من الهداية إلى الحق. • العمل بالقرآن وخشية الله من أسباب دخول الجنة. • فضل الولد الصالح والصدقة الجارية وما شابههما على العبد المؤمن.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ
 (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا
 إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
 وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا
 رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ
 الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطِيرُ بِكُمْ لَعَنَ لَئِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَنَزَيِّجَنَّكُمْ
 وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابِ الْيَمِّ (١٨) قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ
 ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
 رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا
 مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ
 الَّذِي فُطِرَ لِي وَالْيَهُ تَرْجِعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
 إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا
 وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي ءَامَنْتُ
 بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي
 يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)

(١٣) واجعل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المعاندين مثلاً يكون لهم عبرة، وهو قصة أهل القرية حين جاءتهم رسلهم.

(١٤) حين أرسلنا إليهم أولاً رسولين ليدعواهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوا هذين الرسولين، فقويانا هما بإرسال رسول ثالث معهم، فقال الرسل الثلاثة لأهل القرية: إنا - نحن الثلاثة - إليكم مرسلون؛ لندعوكم إلى توحيد الله واتباع شرعه.

(١٥) قال أهل القرية للمرسلين: لستم إلا بشرًا مثلنا، فلا مزية لكم علينا، وما أنزل الرحمن عليكم من وحي، ولستم إلا تكذبون على الله في دعواكم هذه.

(١٦) قال الرسل الثلاثة ردًا على تكذيب أهل القرية: ربنا يعلم إنا إليكم - يا أهل القرية - مرسلون من عنده، وكفى بذلك حجة لنا.

(١٧) وليس علينا إلا تبليغ ما أمرنا بتبليغه إليكم بوضوح، ولا نملك هدايتكم.

(١٨) قال أهل القرية للرسل: إنا نشاء منا بكم، وإن لم تنتهوا عن دعوتنا إلى التوحيد لنعاقتكم بالرمي بالحجارة حتى الموت، ولينالكم منا عذاب موجع.

(١٩) قال الرسل ردًا عليهم: شؤمكم ملازم لكم بسبب كفركم بالله وترككم اتباع رسله، أتشاءمون إن ذكرناكم بالله؟ بل أنتم قوم تسرفون في ارتكاب الكفر والمعاصي.

(٢٠) وجاء من مكان بعيد من القرية رجل مسرع خوفًا على قومه من تكذيب الرسل وتهديدهم بالقتل والإيذاء، قال: يا قوم، اتبعوا ما جاء به هؤلاء المرسلون.

(٢١) اتبعوا - يا قوم - من لا يطلب منكم على إبلاغ ما جاء به ثوابًا منكم، وهم مهتدون فيما يبلغونه عن الله من وحيه، فمن كان كذلك فجدير بأن يتبع.

(٢٢) وقال هذا الرجل الناصح: وأي مانع يمنعني من عبادة الله الذي خلقتني؟ وأي مانع يمنعكم من عبادة ربكم الذي خلقكم، وإليه وحده ترجعون بالبعث للجزاء؟

(٢٣) أأخذ من دون الله الذي خلقتني معبودات بغير حق؟ إن يردني الرحمن بسوء لا تغن عني شفاعة هذه المعبودات شيئًا فلا تملك لي نفعًا ولا ضرًا، ولا تستطيع أن تتقذني من السوء الذي أرادته الله بي إن مت على الكفر.

(٢٤) إني إذا اتخذتهم معبودات من دون الله لفي خطأ واضح حيث عبدت من لا يستحق العبادة، وتركت عبادة من يستحقها. (٢٥) إني - يا قوم - آمنت بربي وربكم جميعًا فاسمعوني، فلا أبالي بما تهددونني به من القتل. فما كان من قومه إلا أن قتلوه، فأدخله الله الجنة. (٢٦) قيل تكريمًا له بعد استشهاد: ادخل الجنة، فلما دخلها وشاهد ما فيها من النعيم قال متمنيًا: يا ليت قومي الذين كذبوني وقتلونني يعلمون بما حصل لي من مغفرة الذنوب، وبما أكرمني به ربي؛ ليؤمنوا مثلاً آمنتم، وينالوا جزءًا مثل جزائي.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أهمية القصص في الدعوة إلى الله. • الطيرة والتشاؤم من أعمال الكفر. • النصيح لأهل الحق واجب. • حب الخير للناس صفة من صفات أهل الإيمان.

﴿٢٨﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٣٠﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣١﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

٤٤٢

أنزلنا عليها المطر بساتين من النخيل والعنب، وفجرنا فيها من عيون الماء ما يسقيها.

﴿٢٨﴾ لِيَأْكُلِ النَّاسُ مِنْ ثَمَرِ تِلْكَ الْبُسَاتِينِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَعْيٌ فِيهِ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهُ عَلَى نِعْمَةِ هَذِهِ بَعِيدَاتِهِ وَحَدِهِ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ؟ ﴿٢٩﴾ تَقْدُسُ اللَّهُ وَتَعَالَى الَّذِي أَنْشَأَ الْأَصْنَافَ مِنَ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ، وَمِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ حَيْثُ أَنْشَأَ الذَّكَورَ وَالْإِنَاثَ، وَمَا لَا يَعْلَمُ النَّاسُ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الْأُخْرَى فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَغَيْرِهِمَا.

﴿٣٠﴾ وَدَلَالَةِ النَّاسِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ أَنَا نَهَضُ الضِّيَاءَ بِذَهَابِ النَّهَارِ وَمَجِيءِ اللَّيْلِ حِينَ نَنْزِعُ النَّهَارَ مِنْهُ، وَنَأْتِي بِالظُّلْمَةِ بَعْدَ ذَهَابِ النَّهَارِ، فَإِذَا النَّاسُ دَاخِلُونَ فِي ظُلَامٍ. ﴿٣١﴾ وَعَلَامَةٌ لَهُمْ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ هَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ يَعْلَمُ اللَّهُ قَدْرَهُ لَا تَتَجَاوَزُهُ، ذَلِكَ التَّقْدِيرُ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ مَخْلُوقَاتِهِ.

﴿٣٢﴾ وَأَيَّةٌ لَهُمْ دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ هَذَا الْقَمَرُ الَّذِي قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ كُلِّ لَيْلَةٍ: يَبْدَأُ صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ ثُمَّ يَصْفَرُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ عَذْقِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَرِّجِ الْمُتَدَرِّسِ فِي رِقَّتِهِ وَانْحِنَائِهِ وَصَفَرْتِهِ وَقَدَمِهِ. ﴿٣٣﴾ وَأَيَّاتُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَقْدَرَةٌ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ، فَلَا تَتَجَاوَزُ مَا قَدَرَ لَهَا، فَلَا الشَّمْسُ يُمْكِنُ أَنْ تَلْحَقَ بِالْقَمَرِ لِتُغَيِّرَ مَسَارَهُ أَوْ إِذْهَابَ نُورِهِ، وَلَا اللَّيْلُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْبِقَ النَّهَارَ وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ قَبْلَ انْقِضَاءِ وَقْتِهِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَسْخُورَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْمَجَرَاتِ لَهَا مَسَارَاتُهَا الْخَاصَّةُ بِهَا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ.

﴿٣٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• مَا أَهْوَنُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ إِذَا عَصَوْهُ، وَمَا أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ إِنْ أَطَاعُوهُ. • مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى الْبُعْثِ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ بِالنَّبَاتِ الْأَخْضَرِ، وَإِخْرَاجِ الْحَبِّ مِنْهُ. • مِنَ أدلة التوحيد: خلق المخلوقات في السماء والأرض وتسييرها بقدر.

﴿٢٨﴾ وَمَا أَنزَلْنَا لِأَجْلِ إِهْلَاكِ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَبُوا وَكَلَّوْهُ جُنْدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ نَنْزِلُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْأُمَمِ إِذَا أَهْلَكْنَاهُمْ؛ فَأَمْرُهُمْ أَيْسَرُ عِنْدَنَا مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ قَدَرْنَا أَنْ يَكُونَ هَلَاكُهُمْ بِصَيْحَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ بِإِنْزَالِ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ. ﴿٢٩﴾ فَمَا كَانَتْ قِصَّةُ إِهْلَاكِ قَوْمِهِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً أَرْسَلْنَاهَا عَلَيْهِمْ فَإِذَا هُمْ صَرَعَى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ، مِثْلُهُمْ كَنَارٍ كَانَتْ مُشْتَغَلَةً فَانْطَفَأَتْ، فَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ.

﴿٣٠﴾ يَا نَدَامَةَ الْعِبَادِ الْمَكْذِبِينَ وَحَسْرَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَشْهَدُونَ الْعَذَابَ؛ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَّا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُمْ النَّدَامَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا فَرَطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ.

﴿٣١﴾ أَلَمْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالرَّسُولِ عِبْرَةً فِيمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ؟ فَقَدْ مَاتُوا، وَلَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا مَرَّةً أُخْرَى، بَلْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدِمُوا مِنْ أَعْمَالٍ، وَسَيَجَازِيهِمُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

﴿٣٢﴾ وَلَيْسَ جَمِيعُ الْأُمَمِ دُونَ اسْتِثْنَاءِ إِلَّا مُحْضَرِينَ عِنْدَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ بَعْثِهِمْ لِنَجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

﴿٣٣﴾ وَعَلَامَةٌ لِلْمَكْذِبِينَ بِالْبُعْثِ أَنَّ الْبُعْثَ حَقٌّ: هَذِهِ الْأَرْضُ الْيَاسِيَّةُ الْمَجْدِبَةُ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجْنَا فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْحَبِّ لِيَأْكُلَهَا النَّاسُ، فَالَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الْأَرْضَ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَبَعْثِهِمْ. ﴿٣٤﴾ وَصَيَّرْنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي

﴿٤١﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله كذلك وإنعامه على عباده أنا حملنا من نجا من الطوفان من ذرية آدم زمن نوح، في السفينة المملوءة بمخلوقات الله، فقد حمل الله فيها من كل جنس زوجين.

﴿٤٢﴾ وعلامة لهم على توحيدهِ وإنعامه على عباده أنا خلقنا لهم من مثل سفينة نوح مراكب، ﴿٤٣﴾ ولو أردنا إغراقهم أغرقناهم، فلا مغيث يغنيهم إن أردنا إغراقهم، ولا منقذ ينقذهم إذا غرقوا بأمرنا وقضائنا.

﴿٤٤﴾ إلا أن نرحمهم بإنجائهم من الغرق وإعادتهم ليمتعوا إلى أجل محدد لا يتجاوزونه، لعلهم يعتبرون فيؤمنوا.

﴿٤٥﴾ وإذا قيل لهؤلاء المشركين المعرضين عن الإيمان: احذروا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة وشدايدها، واحذروا الدنيا المذبذبة رجاء أن يمن الله عليكم برحمته؛ لم يمتثلوا لذلك، بل أعرضوا عنه غير مباليين به.

﴿٤٦﴾ وكلما جاءت هؤلاء المشركين المعاندين آيات الله الدالة على توحيدهِ واستحقاقه للأفراد بالعبادة، كانوا معرضين عنها غير معتبرين بها.

﴿٤٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المعاندين: ساعدوا الفقراء والمساكين من الأموال التي رزقكم الله إياها، ردوا مستكرين قائلين للذين آمنوا: أنطعم من لو يشاء الله إطعامه لأطعمه! فتحن لا نخالف مشيئته، ما أنتم - أيها المؤمنون - إلا في خطأ واضح وبُعد عن الحق.

﴿٤٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث

مكذبين به مستبعدين له: متى هذا البعث إن كنتم - أيها المؤمنون - صادقين في دعوى أنه واقع؟!

﴿٤٩﴾ ما ينتظر هؤلاء المكذبون بالبعث المستبعدون له إلا النفخة الأولى حين ينفخ في الصور، فتبغثهم هذه الصيحة وهم في مشاغلهم الدنيوية من بيع وشراء وسقي ورعي وغيرها من مشاغل الدنيا.

﴿٥٠﴾ فلا يستطيعون عندما تتجوزهم هذه الصيحة أن يوصي بعضهم بعضاً، ولا يستطيعون الرجوع إلى منازلهم وأهليهم، بل يموتون وهم في مشاغلهم هذه. ﴿٥١﴾ ونفخ في الصور النفخة الثانية للبعث، فإذا هم يخرجون جميعاً من قبورهم إلى ربهم يسرعون للحساب والجزاء. ﴿٥٢﴾ قال هؤلاء الكافرون المكذبون بالبعث نادمين: يا خسارتنا، من الذي بعثنا من قبورنا؟! فيجابون عن سؤالهم: هذا ما وعد الله به فإنه لا بد واقع، وصدق المرسلون فيما بلغوه عن ربهم من ذلك.

﴿٥٣﴾ ما كان أمر البعث من القبور إلا أثراً عن نفخة ثانية في الصور، فإذا جميع المخلوقات مُحضرة عندنا يوم القيامة للحساب. ﴿٥٤﴾ يكون الحكم بالعدل في ذلك اليوم، فلا تظلمون - أيها العباد - شيئاً بزيادة سيئاتكم أو نقصان حسناتكم، وإنما توفون جزاء ما كنتم تعملون في الحياة الدنيا.

﴿٥٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● من أساليب تربية الله لعباده أنه جعل بين أيديهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. ● الله تعالى مكّن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون به على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَايِكِ مُتَّكِوْنَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا
الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ
أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ
أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ
جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾
الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ
فَأَسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا أَسْتَطَعُوا مِضْيًا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٤٤٤﴾

الذي هو عدو واضح العداوة لكم؟

﴿٥٥﴾ إن أصحاب الجنة في يوم القيامة مشغولون عن التفكير في غيرهم؛ لما شاهدوه من النعيم المقيم، والفوز العظيم، فهم يتفكّهون في ذلك مسرورين.

﴿٥٦﴾ هم وأزواجهم يتعممون على الأسرة تحت ظلال الجنة الوارفة.

﴿٥٧﴾ لهم في هذه الجنة أنواع من الفواكه الطيبة من العنب والتين والرمان، ولهم كل ما يطلبون من الملائكة وأنواع النعيم، فما طلبوه من ذلك حاصل لهم.

﴿٥٨﴾ ولهم فوق هذا النعيم سلام حاصل لهم، قولاً من رب رحيم بهم، فإذا سلم عليهم حصلت لهم السلامة من كل الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها.

﴿٥٩﴾ ويقال للمشركين يوم القيامة: تميزوا عن المؤمنين، فلا يليق بهم أن يكونوا معكم؛ لتباين جزائكم مع جزائهم وصفاتكم مع صفاتهم.

﴿٦٠﴾ ألم أوصكم وأمركم على السنة رسلي وأقل لكم: يا بني آدم، لا تطيعوا الشيطان بارتكاب أنواع الكفر والمعاصي، إن الشيطان لكم عدو واضح العداوة، فكيف لعاقل أن يطيع عدوه الذي تظهر له عداوته؟

﴿٦١﴾ وأمرتكم - يا بني آدم - أن تعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً؛ فعبادتي وحدي وطاعتي طريق مستقيم يؤدي إلى رضاي ودخول الجنة، لكنكم لم تمتثلوا ما أوصيتكم وأمرتكم به.

﴿٦٢﴾ ولقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً، أفلم تكن لكم عقول تأمركم بطاعة ربكم وعبادته وحده سبحانه، وتحذركم من طاعة الشيطان

﴿٦٣﴾ هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم، وكانت غيباً عنكم، وأما اليوم فما أنتم ترونها رأي العين. ﴿٦٤﴾ ادخلوها اليوم، وعانوا من حرها بسبب كفركم بالله في حياتكم الدنيا. ﴿٦٥﴾ اليوم نطبع على أفواههم فيصIRON حُرْسًا لا يتكلمون بإنكار ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، وتكلمنا أيديهم بما عملت به في الدنيا، وتشهد أرجلهم بما كانوا يرتكبون من المعاصي ويمشون إليها. ﴿٦٦﴾ ولو نشاء إذهاب أبصارهم لأذهبنها فلم يبصروا، فسابقوا إلى الصراط ليعبروا منه إلى الجنة، فعبيد أن يعبروا وقد ذهبت أبصارهم. ﴿٦٧﴾ ولو نشاء تغيير خلقهم وإقعادهم على أرجلهم لغيرنا خلقهم وأقعدناهم على أرجلهم، فلا يستطيعون أن يبرحوا مكانهم، ولا يستطيعون ذهاباً إلى أمام، ولا رجوعاً إلى وراء. ﴿٦٨﴾ ومن نمد في حياته من الناس بإطالة عمره نرجعه إلى مرحلة الضعف، أفلا يتفكرون بعقولهم، ويدركون أن هذه الدار ليست دار بقاء ولا خلود، وأن الدار الباقية هي دار الآخرة. ﴿٦٩﴾ وما علمنا محمداً ﷺ الشعر، وما ينبغي له ذلك؛ لأنه ليس من طبعه، ولا تقتضيه جيلته، حتى يصح لكم ادعاء أنه شاعر، ليس الذي علمناه إلا ذكراً وقرآنًا واضحاً لمن تأمله. ﴿٧٠﴾ لينذر من كان حي القلب مستنير البصيرة، فهو الذي ينتفع به، ويحق العذاب على الكافرين، لما قامت عليهم الحجة بإنزاله وبلوغ دعوته إليهم، فلم يبق لهم عذر يعتذرون به.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • في يوم القيامة يتجلى لأهل الإيمان من رحمة ربهم ما لا يخطر على بالهم. • أهل الجنة مسرورون بكل ما تهواه النفوس وتلذه العيون ويتمناه المتمدنون. • ذو القلب هو الذي يزكو بالقرآن، ويزداد من العلم منه والعمل. • أعضاء الإنسان تشهد عليه يوم القيامة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
 ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِنَكَ قَوْلُهُمْ
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا
 خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
 مَثَلًا وَلَسَى خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
 ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
 مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
 فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

آيَاتُهَا
١٨٢تَرْجُمَتُهَا
٣٧

﴿٧١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ أَنْعَامًا، فهم لأمر تلك الأنعام مالكون؛ يتصرفون فيها بما تقتضيه مصالحهم. ﴿٧٢﴾ وسخرناها لهم وجعلناها منفادة لهم، فعلى ظهور بعضها يركبون ويحملون أثقالهم، ومن لحوم بعضها يأكلون. ﴿٧٣﴾ ولهم فيها منافع غير ركوب ظهورها والأكل من لحومها؛ مثل أصوافها وأوبارها وأشعارها وأثمانها؛ فمنها يصنعون فرشاً ولباساً، ولهم فيها مشارب حيث يشربون من ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي من عليهم بهذه النعم وغيرها؟! ﴿٧٤﴾ واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها رجاء أن تنصرهم فتقذهم من عذاب الله. ﴿٧٥﴾ تلك الآلهة التي اتخذوها لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا نصر من يعبدونهم من دون الله، وهم وأصنامهم جميعاً مُحْضَرُونَ في العذاب يتبرأ كل منهم من الآخر. ﴿٧٦﴾ فلا يخزنك - أيها الرسول - قولهم: إنك لست مرسلًا، أو إنك شاعر، وغير ذلك من بهتانهم. إنا نعلم ما يخفون من ذلك وما يظهرون، لا يخفى علينا منه شيء، وسنجازيهم عليه. ﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يفكر الإنسان الذي ينكر البعث بعد الموت أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ مَنِيٍّ، ثم مر بأطوار حتى ولد وتربى، ثم صار كثير الخصام والجدال؛ ألم ير ذلك ليستدل به على إمكان وقوع البعث؟! ﴿٧٨﴾ غَسَلَ هذا الكافر وجهه حين استدل بالعظام البالية على استحالة البعث، فقال: من يعيدها؟ وغاب عنه خلقه هو من العدم. ﴿٧٩﴾ قل - يا محمد - يحيي هذه العظام البالية مَنْ خلقها أول مرة، فمن خلقها أول مرة لا يعجز عن إعادة الحياة إليها، وهو سبحانه بكل خلق عليم، لا يخفى عليه منه شيء. ﴿٨٠﴾ الذي جعل لكم - أيها الناس - من الشجر الأخضر الرطب نارًا تستخرجونها منه فإذا أنتم توقدون منه نارًا، فمن جمع بين ضديين - بين رطوبة ماء الشجر الأخضر، والنار المشتعلة فيه - قادر على إحياء الموتى. ﴿٨١﴾ أَوَلَيْسَ الذي خلق السماوات والأرض على ما فيها من عظم بقادر على إحياء الموتى بعد إماتتهم؟ بلى، إنه لقادر عليه، وهو الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات، العليم بها، فلا يخفى عليه منها شيء. ﴿٨٢﴾ إنما أمر الله وشأنه سبحانه أنه إذا أراد إيجاد شيء أن يقول له: كن، فيكون ذلك الشيء الذي يريده، ومن ذلك ما يريده من الإحياء والإماتة والبعث وغيرها. ﴿٨٣﴾ فتزهره الله وتقدس عما ينسبه إليه المشركون من العجز، فهو الذي له ملك الأشياء كلها يتصرف فيها بما يشاء، وبيده مفاتيح كل شيء، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• من فضل الله ونعمته على الناس تدليل الأنعام لهم، وتسخيرها لمنافعهم المختلفة. • وفرة الأدلة العقلية على يوم القيامة وإعراض المشركين عنها. • من صفات الله تعالى أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتِّلْكَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ ۝١٠ وَشِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١١ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۝١٢ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۝١٣ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٤ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝١٥ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٦ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝١٧ أَمْ لَمْ يَلْبَعُوهُ ۝١٨ وَأَوْءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٩ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۝٢٠ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝٢١ وَقَالُوا يَتَوَكَّلْنَا هَذَا أَيُّومُ الدِّينِ ۝٢٢ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢٣ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٤ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٥ وَقِفُوهُمْ ۝٢٦ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۝٢٧

٤٤٦

أعضاء ممن خلقنا من السماوات والأرض والملائكة؟ إنا خلقناهم من طين لزج، فكيف ينكرون البعث، وهم مخلوقون من خلق ضعيف وهو الطين اللزج؟ ١٢ بل عجب - يا محمد - من قدرة الله وتديره لشؤون خلقه، وعجبت من تكذيب المشركين بالبعث، وهؤلاء المشركون من شدة تكذيبهم بالبعث يسخرون مما تقول بشأنه. ١٣ وإذا وعظ هؤلاء المشركون بموعظة من المواعظ لم يعظوا بها، ولم ينتفعوا؛ لما هم عليه من قساوة القلوب. ١٤ وإذا شاهدوا آية من آيات النبي ﷺ الدالة على صدقه بالغوا في السخرية والتعجب منها. ١٥ وقالوا: ما هذا الذي جاء به محمد إلا سحر واضح. ١٦ إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية متفتتة إنا لمبعوثون أحياء بعد ذلك؟ إن هذا لمستبعد. ١٧ أوتيت آباؤنا الأولون الذين ماتوا قبلنا؟ قل - يا محمد - مجيبًا إياهم: نعم تبعثون بعد أن صرتم ترابًا وعظامًا بالية، وتبعث جميعًا وأنتم صاغرون ذليلون. ١٨ فإنما هي نفخة واحدة في الصور (النفخة الثانية) فإذا هم جميعًا ينظرون إلى أهوال يوم القيامة يترقبون ما يفعل الله بهم. ١٩ وقال المشركون المكذبون بالبعث: يا هلاكنا هذا يوم الجزاء الذي يجازي فيه الله عباده على ما قدموا في حياتهم الدنيا من عمل. ٢٠ فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين العباد الذي كنتم تنكرونه وتكذبون به في الدنيا. ٢١ ويقال للملائكة في ذلك اليوم: اجمعوا المشركين الظالمين بشركهم هم وأشباههم في الشرك والمُشايعون لهم في التكذيب، وما كانوا يعبدونه من دون الله من الأصنام، فعرّفوهم طريق النار ودلوهم عليها وسوقوهم إليها، فإنها مصيرهم. ٢٢ واحبسوهم قبل إدخالهم النار للحساب، فهم مسؤولون، ثم بعد ذلك سوقوهم إلى النار.

٢٣ من قوايد الآيات: • تزيين السماء الدنيا بالكواكب لمنافع: منها: تحصيل الزينة، والحفظ من الشيطان المارد. • إثبات الصراط؛ وهو جسر ممدود على متن جهنم يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار.

﴿٢٥﴾ ويقال لهم توبيخاً لهم: ما بالكم لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا تتناصرون، وتزعمون أن أصنامكم تنصركم؟ ﴿٢٦﴾ بل هم اليوم منقادون لأمر الله ذليلون، لا ينصر بعضهم بعضاً لعجزهم وقلة حيلتهم. ﴿٢٧﴾ وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون حين لا ينفع التلاوم والتخاصم. ﴿٢٨﴾ قال الأتباع للمتبعين: إنكم - يا كبراءنا - كنتم تأتوننا من جهة الدين والحق فتزنيون لنا الكفر والشرك بالله وارتكاب المعاصي، وتنفروننا من الحق الذي جاءت به الرسل من عند الله. ﴿٢٩﴾ قال المتبعون للأتباع: ليس الأمر - كما زعمتم - بل كنتم على الكفر ولم تكونوا مؤمنين، بل كنتم منكبين. ﴿٣٠﴾ وما كان لنا عليكم أيها الأتباع من تسلط بقهر أو غلبة حتى نوقعكم في الكفر والشرك وارتكاب المعاصي، بل كنتم قومًا متجاوزين الحد في الكفر والضلال. ﴿٣١﴾ فوجب علينا وعليكم وعيد الله في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ وَمِنْ نِعَمِكُمْ بِمَنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٥)، ومن ثم فإننا ذائقون - لا محالة - ما توعد به ربنا. ﴿٣٢﴾ فدعوناكم إلى الضلال والكفر، إنا كنا ضالين عن طريق الهدى. ﴿٣٣﴾ فإن الأتباع والمتبعين في العذاب يوم القيامة مشتركون. ﴿٣٤﴾ إنا كما فعلنا بهؤلاء من إذافتهم العذاب، نفعل بالمجرمين من غيرهم. ﴿٣٥﴾ إن هؤلاء المشركين كانوا إذا قيل لهم في الدنيا: لا إله إلا الله للعمل بمقتضاها وترك ما يخالفها، رفضوا الاستجابة لذلك والإذعان له تكبراً عن الحق وترفعاً عليه. ﴿٣٦﴾ ويقولون محتجين

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَيْوَمُ مُسْتَسَامُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَبْنَاكُمْ أَنَّا كَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَ مِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَجَزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهْهُمْ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٤٤٧

لكفرهم: أنترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ يعنون بقولهم هذا رسول الله ﷺ. لقد أعظموا الفرية، فما كان رسول الله ﷺ مجنوناً ولا شاعراً، بل جاء بالقرآن الداعي إلى توحيد الله واتباع رسوله، وصدق المرسلين فيما جاؤوا به من عند الله من التوحيد وإثبات المعاد، ولم يخالفهم في شيء. ﴿٣٨﴾ إنكم - أيها المشركون - لذائقو العذاب الموعود يوم القيامة بسبب كفركم وتكذيبكم للرسل. ﴿٣٩﴾ وما تجزؤون - أيها المشركون - إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله وارتكاب المعاصي. ﴿٤٠﴾ لكن عباد الله المؤمنين الذين أخلصهم الله لعبادته، وأخلصوا له العبادة، هم بمنجاة من هذا العذاب. ﴿٤١﴾ أولئك العباد المخلصون لهم رزق يرزقهم الله إياه، معلوم في طيبه وحسنه ودوامه. ﴿٤٢﴾ ذلك الرزق فواكه متنوعة من أطيب ما يأكلونه ويشتهونه، وهم فوق ذلك مكرمون برفع الدرجات وبالنظر إلى وجه الله الكريم. ﴿٤٣﴾ كل ذلك ينالونه في جنات النعيم المقيم الثابت الذي لا يتقطع ولا يزول. ﴿٤٤﴾ يتكئون على أسرة متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض. ﴿٤٥﴾ يدار عليهم بكؤوس الخمر التي هي في صفائها كالماء الجاري. ﴿٤٦﴾ بيضاء اللون يلتذ بشربها من يشربها لذة كاملة. ﴿٤٧﴾ ليست كخمر الدنيا، فليس فيها ما يذهب العقول من السكر، ولا ينتاب متعاطيها صداع، يستلم لشاربها جسمه وعقله. ﴿٤٨﴾ وعندهم في الجنة نساء عفيفات، لا تمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، حسان العيون. ﴿٤٩﴾ كأنهن في بياض ألوانهن المشوبة بصفرة بيض طائر مصون لم تمسه الأيدي. ﴿٥٠﴾ فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون عن ماضيهم وما حدث لهم في الدنيا. ﴿٥١﴾ قال قائل من هؤلاء المؤمنين: إني كان لي في الدنيا صاحب مُنْكَرٍ لِّبَيْثٍ. • مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ، • سبب عذاب الكافرين: العمل المنكر، وهو الشرك والمعاصي. • من نعيم أهل الجنة أنهم نعموا باجتماع بعضهم مع بعض، ومقابلة بعضهم مع بعض، وهذا من كمال السرور.

﴿٥٢﴾ يقول لي منكراً وساخراً: هل أنت - أيها الصديق - من المصدقين ببعث الأموات؟ ﴿٥٣﴾ إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نخره أبنا لمبعوثون ومجازون على أعمالنا التي عملناها في الدنيا؟ ﴿٥٤﴾ قال قرينه المؤمن لأصحابه من أهل الجنة: اطلعوا معي لنرى مصير ذلك القرين الذي كان ينكر البعث؟ ﴿٥٥﴾ فاطلع هو فرأى قرينه في وسط جهنم.

﴿٥٦﴾ قال: تالله لقد قاربت - أيها القرين - أن تهلكني بدخول النار بدعوتك لي إلى الكفر وإنكار البعث. ﴿٥٧﴾ ولولا إغرام الله علي بالهداية للإيمان والتوفيق له، لكنت من المحضرين إلى العذاب مثلك. ولما أنهى كلامه مع قرينه من أهل النار توجه إلى خطاب قرنائه من أهل الجنة فقال: ﴿٥٨﴾ فلسنا نحن - أصحاب الجنة - بميتين. ﴿٥٩﴾ غير موتنا الأولى في الحياة الدنيا، بل نحن مخلدون في الجنة، ولسنا بمعذبين كما يعذب الكفار. ﴿٦٠﴾ إن هذا الذي جازانا به ربنا - من دخول الجنة والخلود فيها والسلامة من النار - لهو الظفر العظيم الذي لا ظفر يساويه.

﴿٦١﴾ لمثل هذا الجزاء العظيم يجب أن يعمل العاملون، فإن هذا هو التجارة الرباحة. ﴿٦٢﴾ أذلك النعيم المذكور الذي أعدّه الله لعباده الذين أخلصهم لطاعته، خير وأفضل مقاماً وكرامة، أم شجرة الزقوم الملعونة في القرآن التي هي طعام الكفار الذي لا يسمن ولا يغني من جوع؟ ﴿٦٣﴾ إنا صيرنا هذه الشجرة فتنة يفتتن بها الظالمون بالكفر والمعاصي، حيث قالوا: إن

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِ ذَامِنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنِ كُنتَ لَتَرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَمْ أَنَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلُّوا عَنْهُ شَجَرَةً الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا خَائِفُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَفْوَءُ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

النار تأكل الشجر، فلا يمكن أن ينبت فيها. ﴿٧٦﴾ إن شجرة الزقوم شجرة خبيثة المنبت، فهي شجرة تخرج في قعر الجحيم. ﴿٧٧﴾ ثمرها الخارج منها كرية المنظر كأنه رؤوس الشياطين، وقبح المنظر دليل على قبح المخبر، وهذا يعني أن ثمرها خبيث الطعم. ﴿٧٨﴾ فإن الكفار لآكلون من ثمرها المر القبيح، ومالئون منه بطونهم الخاوية. ﴿٧٩﴾ ثم إنهم بعد أكلهم منها لهم شراب خليط قبيح حار. ﴿٨٠﴾ ثم إن رجوعهم بعد ذلك لإلى عذاب الجحيم، فهم يتنقلون من عذاب إلى عذاب. ﴿٨١﴾ إن هؤلاء الكفار وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهداية، فتأسوا بهم تقليداً لا عن حجة. ﴿٨٢﴾ فهم يتبعون آثار آبائهم في الضلالة مسرعين. ﴿٨٣﴾ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين، فليس قومك - أيها الرسول - أول من ضل من الأمم. ﴿٨٤﴾ ولقد أرسلنا في تلك الأمم الأولى رسلاً يخوفونهم من عذاب الله، فكفروا. ﴿٨٥﴾ فانظر - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأقوام الذين أنذرتهم رسلهم فلم يستجيبوا لهم، إن نهايتهم كانت دخول النار خالدين فيها بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسولهم. ﴿٨٦﴾ إلا من أخلصهم الله للإيمان به، فإنهم ناجون من العذاب الذي كان نهاية أولئك المكذبين الكافرين. ﴿٨٧﴾ ولقد دعانا نبينا نوح عليه السلام حين دعا على قومه الذين كذبوه، فلنعم المجيبون نحن، فقد سارعنا في إجابة دعائه عليهم. ﴿٨٨﴾ ولقد سلمناه وأهل بيته والمؤمنين معه من أذى قومه ومن الغرق بالطوفان العظيم المرسل على الكافرين من قومه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الظفر بنعيم الجنان هو الفوز الأعظم، ولمثل هذا العطاء والفضل ينبغي أن يعمل العاملون. • إن طعام أهل النار هو الزقوم ذو الثمر المر الكرية الطعم والرائحة، العسير البلع، المؤلم الأكل. • أجاب الله تعالى دعاء نوح عليه السلام بإهلاك قومه، والله نعم المقصود المجيب.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ * وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِلَّهِ إِلَهِهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاةُ إِلَهِةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَفَظَرَنْظَرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِ الْمُهْتَمِمْ ﴿٩١﴾ فَقَالَ آلَتَا كُلُّونَ ﴿٩٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَتَّقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا أَبْنَاؤُا لَكَ وَبَنَاتُنَا فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَكُونُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾



﴿٧٧﴾ وَنَجِّنَا أَهْلَهُ وَاتَّبَاعَهُ الْمُؤْمِنِينَ
وَحَدَّاهُمْ، فَقَدْ أَغْرَقْنَا غَيْرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ
الْكَافِرِينَ.

﴿٧٨﴾ وأبقينا له في الأمم اللاحقة ثناءً
حسناً يشنون به عليه.

﴿٧٩﴾ أمان وسلام لنوح من أن يقال فيه سوء في الأمم اللاحقة، بل سيبقى له الثناء والذكر الحسن.

﴿٨٠﴾ إن مثل هذا الجزاء الذي جازينا به نوحًا عليه السلام نجزي المحسنين بعبادتهم وطاقاتهم لله وحده.

﴿٨١﴾ إِنْ نُوْحًا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ
الْعَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

ثم أغرقنا الباقين بالطوفان
الذي أرسلناه عليهم، فلم يبق منهم
أحد.  وإن إبراهيم من أهل دينه
الذين وافقوه في الدعوة إلى توحيد
الله.  اذكر حين جاء ربه بقلب
سليم من الشرك ناصح لله في خلقه.

حين قال لأبيه وقومه المشركين
موبخاً لهم: ما الذي تعبدونه من دون

الله؟ ﴿٨٦﴾ آلهة مكدوبة تعبدونها من دون الله؟ ﴿٨٧﴾ فما ظنكم - يا قوم - برب العالمين إذا لقيتموه وأنتم تعبدون غيره؟ ﴿٨٨﴾ وماذا ترونه صانعاً بكم؟ ﴿٨٩﴾ فنظر إبراهيم نظرة في النجوم يدبر مكيده للتخلص من الخروج مع قومه. ﴿٩٠﴾ فقال متعللاً

عن الخروج مع قومه إلى عيدهم: إني مريض. ﴿٩٠﴾ فتركوه وراءهم وذهبوا.

﴿٩١﴾ **فَمَالِ إِلَىٰ آلِهَتِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا**
مِن دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ سَاخِرًا مِّنْ آلِهَتِهِمُ:

أَلَا تَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يَصْنَعُهُ
الْمُشْرِكُونَ لَكُمْ؟ ﴿٩٢﴾ مَا شَأْنُكُمْ لَا

تتكلمون، ولا تجيبون من يسألكم؟! أمثل هذا يُعبد من دون الله؟! ﴿٩٣﴾ فمال

عليهم إبراهيم يضربهم بيده اليمنى ليكونوا
مؤمنين بالله: اتعبدون من دون الله آلهة

الأصنام، فهو المستحق لأن يعبد وحده،
 بينهم فيما يفعلونه بأمرهم، قالوا: إن

بأن يهلكوه فيستريحوا منه، فصيرناه
تاركا بلدا قوم لا يمكن من عبادته،

عَوْنًا وَعَوْضًا عَنْ قَوْمِي فِي الْغُرَبَةِ. ﴿١٠١﴾
 إِسْمَاعِيلَ. ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا شَبَّ إِسْمَاعِيلَ

عن فحوى هذه الرؤيا: يا بني، إني رأيت
أمك الله به من ذبح، ستجدني إن شاء

• من فَوَائِدِ الْآيَاتِ: • من مظاهر الإنع
الذي الجميل، والثناء الحسن: • أفعال

﴿١٠٦﴾ فلما خضعوا لله وانقادوا له،
 وضع إبراهيم ابنه على جانب جبهته
 لينفذ ما أمر به من ذبحه.
 ﴿١٠٧﴾ ونادينا إبراهيم وهو يُهْمُ بتنفيذ
 أمر الله بذبح ابنه: أن يا إبراهيم.
 ﴿١٠٨﴾ قد حققنا الرؤيا التي رأيتها
 في منامك بعزمك على ذبح ابنك،
 إنا - كما جزيناك بتخليصك من هذه
 المحنة العظيمة - نجزي المحسنين
 فتخلصهم من المحن والشدائد.
 ﴿١٠٩﴾ إن هذا لهو الاختبار الواضح،
 وقد نجح إبراهيم فيه.
 ﴿١١٠﴾ وفدينا إسماعيل بكبش عظيم
 بدلًا منه يذبح عنه.
 ﴿١١١﴾ وأبقينا على إبراهيم ثناء حسنًا
 في الأمم اللاحقة.
 ﴿١١٢﴾ تحية من الله له، ودعاءً بالسلامة
 من كل ضرر وأفة.
 ﴿١١٣﴾ كما جازينا إبراهيم هذا
 الجزاء على طاعته نجازي المحسنين.
 ﴿١١٤﴾ إن إبراهيم من عبادنا
 المؤمنين الذين يفون بما تقتضيه
 العبودية لله.
 ﴿١١٥﴾ وبشرناه بولد آخر يصير نبيًا
 وعبدًا صالحًا وهو إسحاق؛ جزاءً
 على طاعته لله في ذبح إسماعيل ولده
 الوحيد.
 ﴿١١٦﴾ وأنزلنا عليه وعلى ابنه إسحاق
 بركة منا، فأكثرنا لهما النعم، ومنها
 تكثير ولدهما، ومن ذريتهما محسن
 بطاعته لربه، ومنهم ظالم لنفسه
 بالكفر وارتكاب المعاصي واضح
 الظلم.
 ﴿١١٧﴾ ولقد مننا على موسى وأخيه
 هارون بالنبوة.
 ﴿١١٨﴾ وسلمناهما وقومهما بني إسرائيل

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَلَهُمَا لَاجِبِينَ ﴿١٠٦﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٧﴾
 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ
 هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٩﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١١٠﴾ وَتَرَكْنَا
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١١﴾ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٢﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٣﴾ إِنَّهُ وَمَنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَشَرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٧﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿١١٨﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٩﴾ وَعَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٠﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢١﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٢﴾ سَلَامًا عَلَى مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّهُمَا
 مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٧﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
 الْخَلْقِينَ ﴿١٢٨﴾ اللَّهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٩﴾

٤٥٠

من استعباد فرعون لهم ومن الفرق.

﴿١٠٦﴾ ونصرناهم على فرعون وجنوده، فكانت الغلبة لهم على عدوهم.
 ﴿١٠٧﴾ وأعطينا موسى وأخاه هارون التوراة كتابًا من عند الله واضحًا لا لبس فيه.
 ﴿١٠٨﴾ وهديناهما إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو طريق دين الإسلام الموصلة إلى مرضاة الخالق سبحانه.
 ﴿١٠٩﴾ وأبقينا عليهما ثناء حسنًا وذكرًا طيبًا في الأمم اللاحقة.
 ﴿١١٠﴾ تحية من الله طيبة لهما وثناءً عليهما ودعاءً بالسلامة من كل مكروه.
 ﴿١١١﴾ إنا كما جازينا موسى وهارون هذا الجزاء الحسن نجزي المحسنين بطاعتهم لربهم.
 ﴿١١٢﴾ إن موسى وهارون من عبادنا المؤمنين بالله العاملين بما شرع لهم. ﴿١١٣﴾ وإن إلياس لمن المرسلين من ربه، أنعم الله عليه
 بالنبوة والرسالة. ﴿١١٤﴾ إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم من بني إسرائيل: يا قوم، ألا تتقون الله؛ بامثال أوامره، ومنها التوحيد،
 وباجتناب نواهيه، ومنها الشرك؟ ﴿١١٥﴾ تعبدون من دون الله صنمكم بعلًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين؟ ﴿١١٦﴾ والله هو ربكم
 الذي خلقكم، وخلق آباءكم من قبل، فهو المستحق للعبادة، لا غيره من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

﴿١٢٨﴾ من قوايد الآيات:

• قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ دليل على أن إبراهيم وإسماعيل ﴿﴾ كانا في غاية التسليم لأمر الله تعالى. • من مقاصد الشرع تحرير
 العباد من عبودية البشر. • الثناء الحسن والذكر الطيب من النعيم المعجل في الدنيا.

﴿١٢٧﴾ فَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ كَذَّبُوهُ، وَبَسَبَ تَكْذِيبَهُمْ فَهُمْ مُنْجَسُونَ فِي الْعَذَابِ.

﴿١٢٨﴾ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ قَوْمِهِ مُؤْمِنًا مُخْلِصًا لَهُ فِي عِبَادَتِهِ؛ فَإِنَّهُ نَاجٍ مِنَ الْإِحْضَارِ إِلَى الْعَذَابِ.

﴿١٢٩﴾ وَأَبْقَيْنَا عَلَيْهِ ثَنَاءً حَسَنًا وَذَكَرًا طَبِيبًا فِي الْأُمَمِ الْلاحِقَةِ.

﴿١٣٠﴾ تَحِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَثَنَاءٌ عَلَى إِيَّاسٍ.

﴿١٣١﴾ إِنَّا كَمَا جَازَيْنَا إِيَّاسَ هَذَا الْجِزَاءَ الْحَسَنَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ.

﴿١٣٢﴾ إِنْ إِيَّاسَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

﴿١٣٣﴾ وَإِنْ لُوطًا لِمَنْ رَسَلَ اللَّهُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَى أَقْوَامِهِمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

﴿١٣٤﴾ أَذْكَرَ حِينَ سَلَمْنَاهُ وَأَهْلَهُ كُلَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمُرْسَلِ عَلَى قَوْمِهِ.

﴿١٣٥﴾ إِلَّا زَوْجَتَهُ، فَقَدْ كَانَتْ أَمْرًا شَمِلَهَا عَذَابُ قَوْمِهَا؛ لَكُونَهَا كَانَتْ كَافِرَةً مِثْلَهُمْ.

﴿١٣٦﴾ ثُمَّ أَهْلَكْنَا الْبَاقِينَ مِنْ قَوْمِهِ مِمَّنْ كَذَّبُوا بِهِ، وَلَمْ يَصْدُقُوا بِمَا جَاءَ بِهِ.

﴿١٣٧﴾ وَإِنكُمْ - يَا أَهْلَ مَكَّةَ - لَتَمُرُونَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فِي أَسْفَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ.

﴿١٣٨﴾ وَتَمُرُونَ عَلَيْهَا كَذَلِكَ لَيْلًا، أَفَلَا تَعْقِلُونَ، وَتَتَعَطَّوْنَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ وَكَفَرِهِمْ وَارْتِكَابِهِمُ الْفَاحِشَةَ الَّتِي لَمْ يَسْبِقُوا إِلَيْهَا؟

﴿١٣٩﴾ وَإِنْ عِبْدُنَا يُونُسَ لِمَنْ رَسَلَ اللَّهُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَى أَقْوَامِهِمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

﴿١٤٠﴾ حِينَ فَرَّ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ رَبِّهِ، وَرَكِبَ سَفِينَةً مَمْلُوءَةً مِنَ الرِّكَابِ وَالْأَمْتَةِ.

﴿١٤١﴾ فَأَوْشَكَتِ السَّفِينَةُ أَنْ تَغْرُقَ لَامْتِلَئِهَا، فَافْتَرَعَ الرِّكَابُ لِيُلْقُوا بَعْضُهُمْ: خَوْفًا مِنْ غَرَقِ السَّفِينَةِ بِسَبَبِ كَثَرَةِ الرِّكَابِ، فَكَانَ يُونُسُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَغْلُوبِينَ، فَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ. ﴿١٤٢﴾ فَلَمَّا أَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ أَخَذَهُ الْحَوْتَ، وَابْتَلَعَهُ، وَهُوَ آتٍ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ؛ لَذَهَابِهِ إِلَى الْبَحْرِ بِغَيْرِ إِذْنٍ رَبِّهِ. ﴿١٤٣﴾ فَلَوْلَا أَنْ يُونُسَ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا قَبْلَ مَا حَلَّ بِهِ، وَلَوْلَا تَسْبِيحُهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتَ. ﴿١٤٤﴾ لَمَكَّتْ فِي بَطْنِ الْحَوْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَحِثَ بَصِيرٍ لَهُ قَبْرًا. ﴿١٤٥﴾ فَأَلْقَيْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتَ بِأَرْضٍ خَالِيَةٍ مِنَ الشَّجَرِ وَالْبَنَاءِ، وَهُوَ ضَعِيفُ الْبَدَنِ لَمَكَّتْهُ مَدَّةٌ فِي بَطْنِ الْحَوْتَ. ﴿١٤٦﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ شَجَرَةً مِنَ الْقَرَعِ يَسْتَظِلُّ بِهَا وَيَأْكُلُ مِنْهَا. ﴿١٤٧﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى قَوْمِهِ وَعِدْدَهُمْ مِئَةَ أَلْفٍ، بَلْ يَزِيدُونَ. ﴿١٤٨﴾ فَأَمَتُوا وَصَدَقُوا بِمَا جَاءَ بِهِ، فَمَتَّعَهُمُ اللَّهُ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ انْقَضَتْ أَجَالُهُمْ الْمَحْدَدَةُ لَهُمْ. ﴿١٤٩﴾ فَاسْأَلْ - يَا مُحَمَّدُ - الْمُشْرِكِينَ سَوَالَ إِنكَارٍ: أَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ اللَّاتِي تَكْرَهُنَّ، وَتَجْعَلُونَ لَكُمْ الْبَنِينَ الَّذِينَ تَحِبُّونَهُمْ؟ أَمْ أَيْ قِسْمَةِ هَذِهِ؟

﴿١٥٠﴾ كَيْفَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ، وَهُمْ لَمْ يَحْضُرُوا خَلْقَهُمْ، وَمَا شَاهَدُوهُ؟ ﴿١٥١﴾ أَلَا إِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ لَيْسَبُونَ لَهُ الْوَلَدَ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ هَذِهِ. ﴿١٥٢﴾ هَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ الْبَنَاتَ اللَّاتِي تَكْرَهُنَّ عَلَى الْبَنِينَ الَّذِينَ تَحِبُّونَهُمْ؟ كَلَّا.

﴿١٥٣﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ وَمَنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ لُوطًا لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَئْتَهُ وَاهِلُهُ وَاجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنْ يُونُسَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَأَمَتُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمُ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمَ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

● ضرورة العظة والاعتبار بمصير الذين كذبوا الرسل حتى لا يحل بهم ما حل بغيرهم. ● جواز القرعة شرعًا لقوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾. ● ضرورة العظة والاعتبار بمصير الذين كذبوا الرسل حتى لا يحل بهم ما حل بغيرهم. ● جواز القرعة شرعًا لقوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

● ضرورة العظة والاعتبار بمصير الذين كذبوا الرسل حتى لا يحل بهم ما حل بغيرهم. ● جواز القرعة شرعًا لقوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

ذكر المخاصمة بالباطل وعاقبتها.

● التفسير:

● ص: تقدم الكلام على نظائرها من الحروف المقطعة في بداية سورة البقرة. أقسم بالقرآن المشتمل على تذكير الناس بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، ليس الأمر كما يظنه المشركون من وجود شركاء مع الله. (٢) لكن الكافرين في حمية وتكبر عن توحيد الله، وفي خلاف مع محمد ﷺ وعداوة له. (٣) كم أهلكنا من قبلهم من القرون التي كذبت برسالتها فنادوا مستغيثين عند نزول العذاب عليهم، وليس الوقت وقت خلاص لهم من العذاب فتفزعهم الاستغاثة منه. (٤) وتعجبوا حين جاءهم رسول من أنفسهم يخوفهم من عذاب الله إن استمروا على كفرهم، وقال الكافرون حين شاهدوا البراهين على صدق ما جاء به محمد ﷺ: هذا رجل ساحر يسحر الناس، كذاب فيما يدعيه من أنه رسول من الله يوحى إليه. (٥) أجعل هذا الرجل الآلهة المتعددة إلهاً واحداً لا إله غيره؟ إن صنيعه هذا لغاية في العجب. (٦) وانطلق أشراقتهم وكبرائهم قائلين لأتباعهم: امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دين محمد، واثبتوا على عبادة آلهتكم، إن ما دعاكم إليه محمد من عبادة إله واحد شيء مُدْبِر يريد به هو ليلعلينا نكون له أتباعاً. (٧) ما سمعنا بما يدعوننا إليه محمد من توحيد الله فيما وجدنا عليه آباءنا، ولا في ملة عيسى

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقٍ ٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَُوا أَولَاءَ حِينٍ مَنَاصٍ ٣ وَعَجَبُوا ٤ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٥ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ٥ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آلِهِتِهِمْ كَمَا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ٧ أَمْ نَزَلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ ٨ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ٩ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠ جُنْدٌ مَا هُنَا لَكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا هَا مِنْ فَوْقِ ١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦

● وما ذلك الذي سمعناه منه إلا كذب وافتراء. (٨) أصبح أن ينزل عليه القرآن من بيننا، ويخص به، ولا ينزل علينا ونحن السادة الكبراء؟ بل هؤلاء المشركون في شك مما ينزل عليك من الوحي، ولما يذوقوا عذاب الله، فاغتروا بإمهالهم، ولو ذاقوه لما تجاسروا على الكفر والشرك بالله والشك فيما يوحى إليك. (٩) أم عند هؤلاء المشركين المكذبين خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الذي يعطي ما يريد لمن يريد، ومن خزائن فضله النبوة، فيعطونها من يشاء، وليست لهم حتى يمنعوها من شأؤوا ويمنعوها من أرادوا. (١٠) أم لهم ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فيها؟ فيحق لهم أن يعطوا ويمنعوا؟ إن كان هذا زعمهم فليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى السماء ليتمكنوا من الحكم بما أرادوا من منع أو إعطاء، ولن يستطيعوا ذلك. (١١) هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ جند مهزوم مثل من سبقه من الجنود التي كذبت رسلها. (١٢) ليس هؤلاء المكذبون أول مكذب؛ فقد كذب قبلهم قوم نوح، وكذبت عاد، وكذب فرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس. (١٣) وكذبت ثمود، وكذب قوم لوط، وكذب قوم شعيب، أولئك هم الأحزاب الذين تحزبوا على تكذيب رسلهم والكفر بما جاؤوا به. (١٤) ما كل أحد من هذه الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، فحق عليهم عذاب الله وحل عليهم عقابه وإن تأخر إلى حين. (١٥) وما ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ إلا أن ينفخ في الصور النفخة الثانية التي لا رجوع فيها، فيقع عليهم العذاب إن ماتوا على تكذيبهم به. (١٦) وقالوا مستهزئين: يا ربنا، عجل لنا نصيبنا من العذاب في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة. ● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● أقسم الله ﷻ بالقرآن العظيم، فالواجب تلقينه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج معانيه. ● غلبة المقاييس المادية في أذهان المشركين برغبتهم في نزول الوحي على السادة والكبراء. ● سبب إعراض الكفار عن الإيمان: التكبر والتجبر والاستعلاء عن اتباع الحق.

﴿١٧﴾ اصبر - أيها الرسول - على ما يقوله هؤلاء المكذوبون مما لا يرضيك، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على مقارعة أعدائه والصبر على طاعة الله، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة، والعمل بما يرضيه.

﴿١٨﴾ إنا سخرنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه إذا سبح آخر النهار وأوله عند الإشراق.

﴿١٩﴾ وسخرنا الطير محبوسة في الهواء، كل مطيع يسبح تبعاً له.

﴿٢٠﴾ وقوينا ملكه بما وهبناه من الهيبة والقوة والنصر على أعدائه، وأعطيناه النبوة والصواب في أموره، وأعطيناه البيان الشافي في كل قصد، والفصل في الكلام والحكم.

﴿٢١﴾ وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين حين غلوا على داود مكان عبادته.

﴿٢٢﴾ إذ دخلا على داود فجأة، فارتاع من دخولهما عليه فجأة بهذه الطريقة غير المألوفة للدخول عليه، فلما تبين لهما ارتياعه قالا: لا تخف؛ فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر، فاحكم بيننا بالعدل، ولا تجر علينا إذا حكمت بيننا، وأرشدنا إلى سواء السبيل الذي هو سبيل الصواب.

﴿٢٣﴾ قال أحد الخصمين لداود: ﴿٢٤﴾ إن هذا الرجل أخي، له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فطلب مني أن أعطيه إياها، وغلبني في الحجة.

﴿٢٥﴾ فحكم داود بينهما وقال مخاطباً صاحب الدعوى: لقد ظلمك أخوك حين سألك ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض بأخذ حقه وعدم الإنصاف، إلا المؤمنين الذين يعملون

الأعمال الصالحات فإنهم ينصفون شركاءهم ولا يظلمونهم، والمتصفون بذلك قليل، وأيقن داود ﴿٢٦﴾ أنما أوقعناه في فتنة بهذه

الخصومة، فطلب المغفرة من ربه وسجد تقرباً إلى الله، وتاب إليه.

﴿٢٧﴾ فاستجبنا له فغفرنا له ذلك، وإنه عندنا لمن المقربين، وله حسن مصير في الآخرة. يا داود، إنا صبرناك خليفة في الأرض تنفذ الأحكام والقضايا الدينية والدنيوية، فاقض بين الناس بالعدل، ولا تتبع الهوى في حكمك بين الناس؛ بأن تميل مع أحد الخصمين لقراءة أو صداقة أو تميل عنه لعداوة، فيضلك الهوى عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوي بسبب نسيانهم يوم الحساب؛ إذ لو كانوا يذكرونه ويخافونه لما مالوا مع أهوائهم.

﴿٢٨﴾ من قوائد الآيات،

• بيان فضائل نبي الله داود وما اختصه الله به من الآيات.
• الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى؛ لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة بنسيان أو غفلة عن حكم، ولكن الله يتداركهم ويبادهم بلطفه.
• استدلل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ على مشروعية الشركة بين اثنين وأكثر.
• ينبغي التزام الأدب في الدخول على أهل الفضل والمكانة.

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصْمِ إِذ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

٤٥٤

الاعمال الصالحات فإنهم ينصفون شركاءهم ولا يظلمونهم، والمتصفون بذلك قليل، وأيقن داود ﴿٢٦﴾ أنما أوقعناه في فتنة بهذه

الخصومة، فطلب المغفرة من ربه وسجد تقرباً إلى الله، وتاب إليه.

﴿٢٧﴾ فاستجبنا له فغفرنا له ذلك، وإنه عندنا لمن المقربين، وله حسن مصير في الآخرة.

﴿٢٨﴾ يا داود، إنا صبرناك خليفة في الأرض تنفذ الأحكام والقضايا الدينية والدنيوية، فاقض بين الناس بالعدل، ولا تتبع الهوى في حكمك بين الناس؛ بأن تميل مع أحد الخصمين لقراءة أو صداقة أو تميل عنه لعداوة، فيضلك الهوى عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوي بسبب نسيانهم يوم الحساب؛ إذ لو كانوا يذكرونه ويخافونه لما مالوا مع أهوائهم.

﴿٢٩﴾ من قوائد الآيات،

• بيان فضائل نبي الله داود وما اختصه الله به من الآيات.
• الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى؛ لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة بنسيان أو غفلة عن حكم، ولكن الله يتداركهم ويبادهم بلطفه.
• استدلل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ على مشروعية الشركة بين اثنين وأكثر.
• ينبغي التزام الأدب في الدخول على أهل الفضل والمكانة.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا نُزْلَهُ لِيَكُ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِينَتُ الْجَيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٤٥٥

﴿٢٧﴾ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلاً، فويل لهؤلاء الكافرين الذين يظنون هذا الظن من عذاب النار يوم القيامة إذا ماتوا على ما هم عليه من الكفر وظن السوء بالله. ﴿٢٨﴾ لن نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات مثل المفسدين في الأرض الصالحات مثل المفسدين في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا نجعل المتقين لربهم بامثال أوامره واجتباب نواحيه مثل الكافرين والمنافقين المنغمسين في المعاصي، إن التسوية بينهما جور لا يليق بالله ﷻ، بل يجازي الله المؤمنين الأتقياء بدخول الجنة، ويعاقب الكافرين الأشقياء بدخول النار؛ لأنهم لا يستون عند الله، فلا يستوي جزاؤهم عنده.

﴿٢٩﴾ إن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك كثير الخير والنفع، ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها، وليتعظ به أصحاب العقول الراجحة النيرة.

﴿٣٠﴾ ووهبنا لداود ابنه سليمان إنعاماً منا عليه وتفضلاً لنقر عينه به، نعم العبد سليمان، إنه كثير التوبة والرجوع إلى الله والإنابة إليه.

﴿٣١﴾ اذكر حين عرضت عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم، وترفع الرابعة، فلم تزل تُعرض عليه تلك الخيول الأصيلة حتى غربت الشمس.

﴿٣٢﴾ فقال سليمان: إنني أشرت حب المال - ومنه هذه الخيل - على ذكر ربي حتى غابت الشمس وتأخرت عن صلاة العصر.

﴿٣٣﴾ ردوا علي هذه الخيل، فردوها عليه، فبدأ يضرب بالسيف سوقها وأعناقها.

﴿٣٤﴾ ولقد اخترنا سليمان وألقينا على كرسي ملكه شيطاناً، متمثلاً بإنسان تصرف في ملكه مدة قصيرة ثم أعاد الله لسليمان ملكه، وسلطه على الشياطين.

﴿٣٥﴾ قال سليمان: يا رب، اغفر لي ذنوبي، وأعطني ملكاً خاصاً بي، لا يكون لأحد من الناس بعدي، إنك - يا رب - كثير العطاء، عظيم الجود.

﴿٣٦﴾ فاستجبنا له وذللنا له الريح تنقاد بأمره لينة، لا زعزعة فيها مع قوتها وسرعة جريها، تحمله حيث أراد.

﴿٣٧﴾ وذللنا له الشياطين يأتمرون بأمره، فمنهم البناؤون، ومنهم الغواصون الذين يغوصون في البحار، فيستخرجون الدُّر منها.

﴿٣٨﴾ ومن الشياطين مرده سَخَرُوا له، فهم موقنون في الأغلال لا يستطيعون التحرك. ﴿٣٩﴾ يا سليمان، هذا عطاؤنا الذي أعطيناكه استجابة لما طلبت منا، فأعط من شئت، وامنع من شئت، فلن تحاسب في إعطاء أو منع. ﴿٤٠﴾ وإن سليمان عندنا لمن المقربين، وله حُسْن مرجع يرجع إليه وهو الجنة. ﴿٤١﴾ واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب دعا الله ربه: أني أصابني الشيطان بأمر متعب معذب.

﴿٤٢﴾ فقلنا له: اضرب برجلك الأرض، فضرب برجله الأرض، فنبع له منها ماء يشرب منه ويغتسل، فيذهب ما به من الضر والأذى.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● البحث على تدبر القرآن. ● في الآيات دليل على أنه بحسب سلامة القلب وفضيلة الإنسان يحصل له التذكر والانتفاع بالقرآن الكريم. ● في الآيات دليل على صحة القاعدة المشهورة: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

﴿٤٣﴾ فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضرر، وأعطينا أهله، وزدناه عليهم مثلهم من البنين والعفة رحمة منا به، وجزاء له على صبره، وليتذكر أصحاب العقول الراجحة أن عاقبة الصبر الفرج والثواب. ﴿٤٤﴾ حين غضب أيوب على زوجته، فأقسم ليضربنها مئة جلدة، قلنا له: خذ - يا أيوب - بيدك حزمة شماريخ فاضربها بها إبراراً لتسلك، ولا تحث في قسمك الذي أقسمته، فأخذ بحزمة شماريخ فاضربها بها، إنا وجدناه صابراً على ما ابتليناه به، نعم العبد هو، إنه كثير الرجوع والإنابة إلى الله.

﴿٤٥﴾ واذكر - أيها الرسول - عبادنا الذين اصطفيناهم ورسلنا الذين أرسلناهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقد كانوا أصحاب قوة في طاعة الله وتلقم مرضاته، وكانوا أصحاب بصيرة في الحق صادقة. ﴿٤٦﴾ إنا مننا عليهم بخاصة اختصاصهم بها، وهي إعمار قلوبهم بذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح ودعوة الناس إلى العمل لها. ﴿٤٧﴾ وإنهم عندنا لمن اصطفيناهم لطاعتنا وعبادتنا، واخترناهم لحمل رسالتنا وتبليغها للناس. ﴿٤٨﴾ واذكر - أيها النبي - إسماعيل بن إبراهيم، واذكر اليسع، واذكر ذا الكفل، وأثن عليهم بأحسن ثناء، فهم أهل له، وكل هؤلاء من المختارين عند الله المصطفين.

﴿٤٩﴾ هذا ذكر هؤلاء بالثناء الجميل في القرآن، وإن للمؤمنين بامتثال أوامر الله واجتنب نواهيه لمرجعاً حسناً في الدار الآخرة. ﴿٥٠﴾ هذا المرجع الحسن هو جنات إقامة يدخلونها يوم القيامة،

وقد فتحت لهم أبوابها احتفاءً بهم. ﴿٥١﴾ متكئين على الأرائك المزيّنة لهم، يطلبون من خدامهم أن يقدموا لهم ما يشتهونه من الفواكه الكثيرة المتنوعة، ومن الشراب مما يشتهونه من خمر وغيرها. ﴿٥٢﴾ وعندهم نساء قاصرات أطرافهن على أزواجهن، لا تتجاوزهن إلى غيرهم، وهن مستويات في السن. ﴿٥٣﴾ هذا ما توعدون - أيها المتقون - من الجزاء الطيب يوم القيامة على أعمالكم الصالحة التي كنتم تعملونها في الدنيا. ﴿٥٤﴾ إن هذا الذي ذكرنا من الجزاء ليرزقنا نرزق به المتقين يوم القيامة، وهو رزق مستمر، لا ينقطع ولا ينتهي. ﴿٥٥﴾ هذا الذي ذكرنا جزاء المتقين، وإن للمتجاوزين لحدود الله بالكفر والمعاصي جزاءً مغايراً لجزاء المتقين، فلهم شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة. ﴿٥٦﴾ هذا الجزاء هو جهنم تحيط بهم، ويعانون حرها ولهبها، لهم منها فراش، فيئس الفراش فراشهم. ﴿٥٧﴾ هذا العذاب ماء متناهي الحرارة، وصديد سائل من أجساد أصحاب النار المعذبين فيها، فليشربوه، فهو شرابهم الذي لا يروي من عطش. ﴿٥٨﴾ ولههم عذاب آخر من شكل هذا العذاب، فلهم عدة أصناف من العذاب يُعذبون بها في الآخرة. ﴿٥٩﴾ وإذا دخل أهل النار وقع بينهم ما يقع بين الخصوم من الشتم، وتبرأ بعضهم من بعض، فيقول بعضهم: هذه طائفة من أهل النار داخلة النار معكم، فيجيبونهم: لا مرحباً بهم إنهم مفاسون من عذاب النار مثل ما نقاسيه. ﴿٦٠﴾ قال فوج الأتباع لساداته المتبوعين: بل أنتم - أيها السادة المتبوعون - لا مرحباً بكم، فأنتم من تسببتم لنا بهذا العذاب الأليم بإضلالكم لنا وإغوائكم، فيئس القرار هذا القرار، قرار الجميع الذي هو نار جهنم. ﴿٦١﴾ قال الأتباع: يا ربنا، من أضلنا عن الهدى بعد إذ جاءنا فاجعل عذابه في النار عذاباً مضاعفاً.

• من صبر على الضر فإله تعالى يشبهه ثواباً عاجلاً وأجلاً، ويستجيب دعاءه إذا دعاه. • في الآيات دليل على أن للزوج أن يضرب امرأته تأديباً ضرباً غير مبرح؛ فأيوّب عليه السلام حلف على ضرب امرأته ففعل.

﴿٦٢﴾ وقال المتكبرون الطغاة: ما لنا لا نرى معنا في النار رجالاً كنا نحسبهم في الدنيا من الأشقياء الذين يستحقون العذاب.

﴿٦٣﴾ أكانت سخريتنا واستهزاؤنا بهم خطأ فلم يستحقوا العذاب، أم أن استهزاءنا بهم كان صواباً، وقد دخلوا النار، ولم تقع عليهم أبصارنا؟

﴿٦٤﴾ إن ذلك الذي ذكرنا لكم من تخاصم الكفار بينهم يوم القيامة لحق لا مرية فيه ولا ريب.

﴿٦٥﴾ قل - يا محمد - للكفار من قومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يوقعه عليكم بسبب كفركم به وتكذيبكم لرسله، وليس يوجد إله يستحق العبادة إلا الله سبحانه، فهو المنفرد في عظمته وصفاته وأسمائه، وهو القهار الذي قهر كل شيء، فكل شيء خاضع له.

﴿٦٦﴾ وهو رب السماوات ورب الأرض ورب ما بينهما، وهو العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، وهو الغفار لذنوب التائبين من عباده.

﴿٦٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: إن القرآن خبر ذو شأن عظيم.

﴿٦٨﴾ أنتم عن هذا الخبر العظيم الشأن معرضون، لا تلتفتون إليه.

﴿٦٩﴾ ليس لي من علم بما كان يدور من حديث بين الملائكة بشأن خلق آدم، لولا أن الله أوحى إليّ وعلمني. ﴿٧٠﴾ إنما يوحى الله إليّ ما يوحيه لأنني نذير لكم من عذابه بين النذارة.

﴿٧١﴾ أذكر حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشرٍ من طين وهو آدم.

﴿٧٢﴾ فإذا سوّيت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي، فاسجدوا له.

﴿٧٣﴾ فامتثل الملائكة أمر ربهم، فسجدوا جميعهم سجود تكريم، ولم يبق منهم أحد إلا سجد لآدم.

﴿٧٤﴾ إلا إبليس تكبر عن السجود، وكان يتكبره على أمر ربه من الكافرين.

﴿٧٥﴾ قال الله: يا إبليس، أي شيء منعه من السجود لآدم الذي خلقته بيدي؟ أمنعه من السجود التكبر، أم كنت من قبل ذا تكبر وعلوّ على ربك؟

﴿٧٦﴾ قال إبليس: أنا خير من آدم، فقد خلقتني من نار وخلقته من طين. وهذا بزعمه أن النار أشرف عنصرًا من الطين.

﴿٧٧﴾ قال الله لإبليس: فخرج من الجنة فإنك ملعون مشنوم.

﴿٧٨﴾ وإن عليك الطرد من الجنة إلى يوم الجزاء، وهو يوم القيامة. ﴿٧٩﴾ قال إبليس: فأمهلني ولا تمتني إلى يوم تبعث عبادك. ﴿٨٠﴾ قال الله: فإنك من الممهّلين. ﴿٨١﴾ إلى يوم الوقت المعلوم لإهلاكك. ﴿٨٢﴾ قال إبليس: فأقسم بقدرتك وقهرك، لأضلل بني آدم أجمعين. ﴿٨٣﴾ إلا من عصمته أنت من إضلائي وأخلصته لعبادتك وحدي.

﴿٨٤﴾ من قواعد الآيات،

• القياس والاجتهاد مع وجود النص الواضح مسلك باطل. • كفر إبليس كفر عناد وتكبر. • من أخلصهم الله لعبادته من الخلق لا سبيل للشيطان عليهم.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتُخَذُ لَهُمْ
سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ بَيُّوْا
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ وَسَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَبْنَئُ لَيْسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

٨٦ قال الله تعالى: فالحق مني، والحق أقوله، لا أقول غيره.

٨٧ لأملأن يوم القيامة جهنم منك وممن تبعك في كفر من بني آدم أجمعين.

٨٨ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على ما أبلغكم من النصح من جزاء، وما أنا من المتكلفين بالإتيان بزيادة على ما أمرت به.

٨٩ ليس القرآن إلا تذكيرًا للمكلفين من الإنس والجن.

٩٠ ولتعلّمن خبر هذا القرآن، وأنه صادق بعد وقت قريب حين تموتون.

سورة الزمر — مكية —

من قصاص السورة:

الدعوة للتوحيد والإخلاص، ونبذ الشرك.

التفسير:

١ تنزيل القرآن من الله العزيز الحكيم الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه وتديره وشرعه، ليس منزهًا من غيره سبحانه.

٢ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق، فأخبره كلها صادقة وأحكامه جميعها عادلة، فاعبد الله موحداً له، مخلصاً له التوحيد من الشرك.

٣ ألا لله الدين الخالي من الشرك، والذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأوثان والطواغيت يعبدونهم من دون الله معتدين عن عبادتهم لهم بقولهم: ما نعبد هؤلاء

إلا ليقربونا إلى الله منزلة، ويرفعوا حوائجنا إليه، ويشفعوا لنا عنده؛ إن الله يحكم بين المؤمنين الموحدين وبين الكافرين المشركين يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد، إن الله لا يوفق للهداية إلى الحق من هو كاذب على الله ينسب له الشريك، كفور بنعم الله عليه.

٤ لو أراد الله اتخاذ ولد لاختر من خلقه ما يشاء، فجعله بمنزلة الولد، تنزه وتقدس عما يقوله هؤلاء المشركون، هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له فيها، القهار لجميع خلقه.

٥ خلق السماوات والأرض لحكمة بالغة، لا عبثاً كما يقول الظالمون، يُدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، فإذا جاء أحدهما غاب الآخر، ودلّ الشمس، ودلّ القمر، كل منهما يجري لوقت مُقدّر هو انقضاء هذه الحياة، ألا هو سبحانه العزيز الذي ينتقم من أعدائه، ولا يغال به أحد، الغفار لذنوب من تاب من عباده.

من قوائد الآيات:

- الداعي إلى الله يحتسب الأجر من عنده، لا يريد من الناس أجراً على ما يدعوههم إليه من الحق.
- التكلف ليس من الدين.
- التوسل إلى الله يكون بأسمائه وصفاته وبالإيمان وبالعمل الصالح لا غير.

سورة البقرة

آياتها
٢٥٥

رتبها
٣٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ٤ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٥ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ٦ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ٧

من نفس واحدة هي آدم، ثم خلق من آدم زوجة حواء، وخلق لكم من الإبل والبقر والضأن والمعز ثمانية أنواع، من كل صنف خلق ذكراً وأنثى، ينشئكم سبحانه في بطون أمهاتكم طووراً بعد طور في ظلمات البطن والرحم والمشيمة، ذلكم الذي يخلق ذلك كله هو الله ربكم، له وحده الملك، لا معبود بحق غيره، فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون؟

٧ إن تكفروا - أيها الناس - بربكم فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضره كفركم، وإنما ضرر كفركم عائد إليكم، ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، ولا يأمرهم بالكفر؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، وإن تشكروا الله على نعمه وتؤمنوا به يربض شكركم، ويثبتكم عليه، ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، بل كل نفس بما كسبت رهينة، ثم إلى ربكم وحده مرجعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم على أعمالكم، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

٨ وإذا أصاب الكافر ضرر من مرض وفقد مال وخوف غرق دعا ربه سبحانه أن يكشف عنه ما به من ضرر راجعاً إليه وحده، ثم إذا أعطاه نعمة بأن كشف عنه الضر الذي أصابه ترك من كان يتضرع إليه من قبل وهو الله، وجعل لله شركاء يعبدهم من دونه ليحرف غيره عن طريق الله الموصل إليه، قل - أيها الرسول - لمن هذه حاله: استمتع بكفرك بقية عمرك،

وهو زمن قليل، فإنك من أصحاب النار الملازمين لها يوم القيامة ملازمة الصاحب صاحبه.

٩ أم من هو مطيع لله يقضي أوقات الليل ساجداً لربه وقائماً له، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه خيراً، أم ذلك الكافر الذي يعبد الله في الشدة ويكفر به في الرخاء، ويجعل مع الله شركاء؟ قل - أيها الرسول -: هل يستوي الذين يعلمون ما أوجب الله عليهم بسبب معرفتهم بالله وأولئك الذين لا يعلمون شيئاً من هذا؟ إنما يعرف الفرق بين هذين الفريقين أصحاب العقول السليمة.

١٠ قل - أيها الرسول - لعبادي الذين آمنوا بي وبرسلي: اتقوا ربكم بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، للذين أحسنوا منكم العمل في الدنيا حسنة في الدنيا بالنصر والصحة والمال، وفي الآخرة بالجنة، وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها حتى تجدوا مكاناً تعبدون الله فيه، لا يمنعكم مانع، إنما يُعطى الصابرون ثوابهم يوم القيامة دون عد ولا مقدار لكثرة وتوابعه.

من قوايد الآيات:

- رعاية الله للإنسان في بطن أمه.
- ثبوت صفة الغنى وصفة الرضا لله.
- تعرف الكافر إلى الله في الشدة وتكفره له في الرخاء، دليل على تخبطه واضطرابه.
- الخوف والرجاء صفتان من صفات أهل الإيمان.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول -: إني أمرني الله أن أعبدَهُ وحده مخلصاً له العبادة. ﴿١٢﴾ وأمرني أن أكون أول من أسلم له وانقاد من هذه الأمة. ﴿١٣﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف إن عصيت الله ولم أطلعهُ عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة. ﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول -: إني أعبد الله وحده مخلصاً له العبادة، لا أعبد معه غيره.

﴿١٥﴾ فاعبدوا أنتم - أيها المشركون - ما شئتم من دونه من الأوثان (والأمر للتهديد)، قل - أيها الرسول -: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم، وخسروا أهلهم، فلم يلقوهم لمفارقتهم لهم بانفرادهم بدخول الجنة، أو بدخولهم معهم النار، فلن يلتقوا أبداً، ألا ذلك حقاً هو الخسران الواضح الذي لا لبس فيه.

﴿١٦﴾ لهم من فوقهم دخان ولهب وحر، ومن تحتهم دخان ولهب وحر، ذلك المذكور من العذاب يخوف الله به عباده، يا عبادي، فانتقوني بامثال أوامري واجتنب نواهي.

ولما ذكر الله أحوال المجرمين، ذكر أحوال عباده الصالحين فقال: ﴿١٧﴾ والذين اجتنبوا عبادة الأوثان، وكل ما يُعبد من دون الله، ورجعوا إلى الله بالتوبة؛ لهم البشرى بالجنة عند الموت، وفي القبر، ويوم القيامة، فبشّر - أيها الرسول - عبادي.

﴿١٨﴾ الذين يستمعون القول ويميزون بين الحسن منه والقبیح، فيتبعون أحسن القول لما فيه من النفع، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين وفقهم الله للهداية، وأولئك هم

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ وَيَعْبَادُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتَ تُتَقَدَّمُ فِي النَّارِ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرُوفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرُوفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْدِيهِ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ من وجبت عليه كلمة العذاب لاستمراره في كفره وضلاله، فلا حيلة لك - أيها الرسول - في هدايته، وتوبيقه، أفأنت - أيها الرسول - تستطيع إنقاذ من هذه صفته من النار؟

﴿١٢﴾ لكن الذين اتقوا ربهم؛ بامثال أوامره واجتنب نواهي، لهم منازل عالية، بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار، وعدهم الله بذلك وعداً، والله لا يخلف الميعاد.

﴿١٣﴾ إنكم تعلمون بالمشاهدة أن الله أنزل من السماء ماء المطر، فأدخله في عيون ومجارٍ، ثم يخرج بهذا الماء زرعاً مختلف الألوان، ثم يبس الزرع، فتراهم - أيها المشاهد - مُصْفَرَّ اللون بعد أن كان مُخْضَرًّا، ثم يجعله بعد يبسه متكسراً متهشماً، إن في ذلك المذكور لتذكيراً لأصحاب القلوب الحية.

﴿١٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إخلاص العبادة لله شرط في قبولها.
- المعاصي من أسباب عذاب الله وغضبه.
- هداية التوفيق إلى الإيمان بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.

﴿٢٢﴾ أفمن شرح الله صدره للإسلام، فاهتدى إليه، فهو على بصيرة من ربه، مثل من قسا قلبه عن ذكر الله؟ لا يستويان أبداً، فالنجاة للمهتدين، والخسران لمن قست قلوبهم عن ذكر الله، أولئك في ضلال واضح عن الحق.

﴿٢٣﴾ الله نزل على رسوله محمد ﷺ القرآن الذي هو أحسن حديث، أنزله متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الصدق والحسن والاتلاف وعدم الخلاف، تتعدد فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الحق، وصفات أهل الباطل وغير ذلك، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم إذا سمعوا ما فيه من الوعيد والتهديد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله إذا سمعوا ما فيه من الرجاء والبشارات، ذلك المذكور من القرآن وتأثيره هداية الله يهدي بها من يشاء، ومن يخذله الله، ولم يوفقه للهداية، فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٤﴾ أيستوى هذا الذي هداه الله، ووقفه في الدنيا وأدخله الجنة في الآخرة، ومن كفر ومات على كفره فأدخله النار مغلول اليدين والرجلين، لا يستطيع أن يقي النار إلا بوجهه المكب عليه؟ وقيل للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي على سبيل التوبيخ: ذوقوا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي، فهذا جزاؤكم.

﴿٢٥﴾ كذبت الأمم التي كانت قبل هؤلاء المشركين، فجاءهم العذاب فجأة من حيث لا يحسبون به فيستعدون له بالتوبة.

﴿٢٦﴾ فأذاقهم الله بذلك العذاب

﴿٢٦﴾ ٤٦١

الخزي والعار والفضيحة في الحياة الدنيا، وإن عذاب الآخرة الذي ينتظرهم أعظم وأشد لو كانوا يعلمون. ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ أنواع الأمثال في الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر وغير ذلك؛ رجاء أن يعتبروا بما ضربناه منها، فيعملوا بالحق، ويتركوا الباطل.

﴿٢٧﴾ جعلناه قرآناً بلسان عربي، لا عوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، رجاء أن يتقوا الله؛ باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٢٨﴾ ضرب الله مثلاً للمشرك والموحد رجلاً مملوكاً لشركاء متنازعين؛ إن أرضى بعضهم أغضب بعضاً، فهو في حيرة واضطراب، ورجلاً خالصاً لرجل، وحده يملكه، ويعرف مراده فهو في طمأنينة وهدوء بال، لا يستوي هذان الرجلان. الحمد لله، بل معظمهم لا يعلمون، فلذلك يشركون مع الله غيره.

﴿٢٩﴾ إنك - أيها الرسول - ميت، وإنهم ميتون لا محالة.

﴿٣٠﴾ ثم إنكم - أيها الناس - يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما تنازعون فيه، فيتبين المحق من المبطل.

﴿٣١﴾ من قوايد الآيات،

● أهل الإيمان والتقوى هم الذين يخشعون لسمع القرآن، وأهل المعاصي والخذلان هم الذين لا ينتفعون به.

● التكذيب بما جاء به الرسل سبب نزول العذاب إما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معاً.

● لم يترك القرآن شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا بينه، إما إجمالاً أو تفصيلاً، وضرب له الأمثال.

﴿٣٢﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ
إِذْ جَاءَهُ وَالْيَسِّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي
جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾
لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرِّهِ ۚ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ
قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ
أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِرِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤١﴾

٤٦٢

﴿٣٢﴾ ولا أحد أظلم ممن نسب إلى الله ما لا يليق به؛ من الشريك والزوجة والولد، ولا أحد أظلم ممن كذب بالوحي الذي جاء به رسول الله ﷺ، أليس في النار مأوى ومسكن للكافرين بالله، وبما جاء به رسوله؟ بلى، إن لهم لمأوى ومسكناً فيها.

ولما ذكر الله الكاذب المكذب ذكر الصادق المصدق، فقال:

﴿٣٣﴾ والذي جاء بالصدق في أقواله وأفعاله من الأنبياء وغيرهم، وصدق به مؤمناً، وعمل بمقتضاه، أولئك هم المتقون حقاً، الذين يمتثلون أمر ربهم، ويجتنبون نهيه.

﴿٣٤﴾ لهم ما يشاؤون عند ربهم من الملذات الدائمة، ذلك جزاء المحسنين أعمالهم مع خالقهم ومع عبده.

﴿٣٥﴾ ليمحو الله عنهم أسوأ الذي كانوا يعملونه من المعاصي في الدنيا؛ لتوبتهم منها، وإنابتهم إلى ربهم، ويجزيهم ثوابهم بأحسن ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿٣٦﴾ أليس الله بكاف عبده محمداً ﷺ أمر دينه ودينه، ودافع عدوه عنه؟ بلى، إنه لكافيه، ويخوفونك - أيها الرسول - من جهلهم وسفاهتهم، من الأصنام التي يعبدونها من دون الله أن تمالك بسوء، ومن يخذله الله ولم يوفقه للهداية فما له من هاد يهديه ويوفقه.

﴿٣٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فلا مضل يستطيع إضلاله، أليس الله بعزيز لا يغالبه أحد، ذي انتقام ممن يكفر به ويعصيه؟ بلى إنه لعزيز ذو انتقام.

﴿٣٨﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات والأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، قل لهم إظهاراً للعجز ألهتهم: أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، إن أراد الله أن يصيبني بضراً هل تملك إزالة ضرره عني؟ أو إن أراد ربي أن يمنحني رحمة منه هل تستطيع منع رحمته عني؟ قل لهم: حسبي الله وحده، عليه اعتمدت في أموري كلها، وعليه وحده يعتمد المتوكلون.

﴿٣٩﴾ قل - أيها الرسول -: يا قومي، اعملوا على الحالة التي ارضيتموها من الشرك بالله، إني عامل على ما أمرني ربي به؛ من الدعوة إلى توحيده، وإخلاص العبادة له، فسوف تعلمون عاقبة كل مسلك.

﴿٤٠﴾ سوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله ويهيئه، وينزل عليه في الآخرة عذاب مقيم، لا يتقطع، ولا يزول.

﴿٤١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عظم خطورة الافتراء على الله ونسبة ما لا يليق به أو بشرعه له سبحانه.
- ثبوت حفظ الله للرسول ﷺ أن يصيبه أعداؤه بسوء.
- الإقرار بتوحيد الربوبية فقط بغير توحيد الألوهية، لا ينجي صاحبه من عذاب النار.

﴿٤١﴾ إنا أنزلنا عليك - أيها الرسول -

القرآن للناس بالحق لتذرهم، فمن اهتدى فإنما نفع هدايته لنفسه، فالله لا تنفعه هدايته؛ لأنه غني عنها، ومن ضل فإنما ضرر ضلاله على نفسه، فالله سبحانه لا يضره ضلاله، ولست عليهم موكلاً لتجبرهم على الهداية، فما عليك إلا تبليغهم ما أمرت بتبليغه. ﴿٤٢﴾ الله الذي يقبض الأرواح عند نهاية آجالها، ويقبض الأرواح التي لم تنقُض آجالها عند النوم، فيمسك التي تحكم عليها بالموت، ويرسل التي لم يحكم عليها به إلى أمد محدد في علمه سبحانه، إن في ذلك القبض والإرسال والإماتة والإحياء لدلائل لقوم يتفكرون على أن الذي يفعل ذلك قادر على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ لقد اتخذ المشركون من أصنامهم شفعاء يرجون عندهم النفع من دون الله، قل لهم - أيها الرسول -: أتتخذونهم شفعاء حتى لو كانوا لا يملكون لكم ولا لأنفسهم شيئاً، ولا يعقلون؛ فهم جمادات صماء لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر؟

﴿٤٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لله وحده الشفاعة كلها، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضى، له وحده ملك السماوات وملك الأرض، ثم إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء، فيجازيكم على أعمالكم. ﴿٤٥﴾ وإذا ذكر الله وحده نفرت قلوب المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء، وإذا ذكرت الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم مسرورون فرحون.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول -: اللهم خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليك شيء من ذلك، أنت وحدك تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فتبين المحق والمبطل، والسعيد والشقي. ﴿٤٧﴾ ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي جميع ما في الأرض من نفائس وأموال وغيرها، ومثله معه مضاعفاً؛ لافتدوا به من العذاب الشديد الذي شاهدوه بعد بعثهم، لكن ليس لهم ذلك، ولو فرض أنه لهم لم يقبل منهم، وظهر لهم من الله من صنوف العذاب ما لم يكونوا يتوقعونه.

﴿٤٨﴾ من قوائد الآيات،

● النجوم والاستيقاظ درسان يوميان للتعريف بالموت والبعث.

● إذا ذكر الله وحده الكفار أصابهم ضيق وهم؛ لأنهم يتذكرون ما أمر به وما نهى عنه وهم معرضون عن هذا كله.

● يمتنى الكافر يوم القيامة افتداء نفسه بكل ما يملك مع بخله به في الدنيا، ولن يقبل منه.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ مِنْ سَوْءِ الْعَذَابِ ۖ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول -: اللهم خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليك شيء من ذلك، أنت وحدك تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فتبين المحق والمبطل، والسعيد والشقي. ﴿٤٩﴾ ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي جميع ما في الأرض من نفائس وأموال وغيرها، ومثله معه مضاعفاً؛ لافتدوا به من العذاب الشديد الذي شاهدوه بعد بعثهم، لكن ليس لهم ذلك، ولو فرض أنه لهم لم يقبل منهم، وظهر لهم من الله من صنوف العذاب ما لم يكونوا يتوقعونه.

﴿٤٨﴾ وَظَهَرَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا مِنْ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا إِذَا خُوفُوا مِنْهُ فِي الدُّنْيَا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

﴿٤٩﴾ فَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرُ مَرَضٌ أَوْ فَقْرٌ وَنَحْوُهُ دَعَانَا لِنَكْشِفَ عَنْهُ مَا أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ إِذَا أُعْطِيَنَاهُ نِعْمَةً مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَالٍ قَالَ الْكَافِرُ: إِنَّمَا أُعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ لَعَلَّمَهُ بِأَنِّي أَسْتَحِقُّهُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ ابْتِلَاءٌ وَاسْتِدْرَاجٌ، وَلَكِنَّ مَعْظَمَ الْكَافِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ فَيَغْتَرُونَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿٥٠﴾ قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ الْكَافِرُ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَنْزِلَةِ شَيْئًا. فَأَصَابَهُمْ جَزَاءُ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْحَاضِرِينَ سَيُصِيبُهُمْ جَزَاءُ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا مِثْلَ الْمَاضِينَ، وَلَنْ يَفُتُوا اللَّهَ وَلَنْ يَغْلِبُوهُ.

﴿٥١﴾ أَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَا قَالُوا، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً لَهُ: أَيُشْكِرُ أَمْ يَكْفُرُ؟ وَيُضِيقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ اخْتِبَارًا لَهُ: أَيُصْبِرُ أَمْ يَتَسَخَّطُ عَلَى قَدْرِ اللَّهِ؟

﴿٥٢﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِعِبَادِي الَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالشَّرِكِ بِاللَّهِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي: لَا تَيْسَّرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَمَنْ مَغْفَرَتُهُ لِدُنُوبِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مِمَّا قَالُوا إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ وَعَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٤٦٤

لَمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ لِدُنُوبِ التَّائِبِينَ، الرَّحِيمُ بِهِمْ.

﴿٥٦﴾ وَارْجِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِالْتَّوْبَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَانْقَادُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْ أَصْنَامِكُمْ أَوْ أَهْلِيكُمْ مَنْ يَنْصُرُكُمْ بِإِنْقَادِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿٥٧﴾ وَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ بِهِمْ عَلَى رَسُولِهِ، فَاعْمَلُوا بِأَوَامِرِهِ، وَاجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ فَجَاءَةً وَأَنْتُمْ لَا تَحْسُنُونَ بِهِ فَتُسْعِدُوا لَهُ بِالْتَّوْبَةِ.

﴿٥٨﴾ أَفْعَلُوا ذَلِكَ حَذَرًا أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ مِنْ شِدَّةِ النَّدَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا نَدَمَهَا عَلَى تَقْرِيطِهَا فِي جَنْبِ اللَّهِ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَعَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَسْخَرُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

﴿٥٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• النعمة على الكافر استدراج.

• سعة رحمة الله بخلقه.

• الندم النافع هو ما كان في الدنيا، وتبعته توبة نصوح.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ
حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ
مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
وُجُوهِهِمْ مُسْوَدَّةً أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

٤٦٥

﴿٥٧﴾ أو تحتجّ بالقدر، فتقول: لو أن الله وفقني لكنت من المتقين له: أمثل أو امره، وأجتنب نواهيه.

﴿٥٨﴾ أو تقول حين تشاهد العذاب مُتَمَنِّية: لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأتوب إلى الله، وأكون من المحسنين في أعمالهم.

﴿٥٩﴾ ليس الأمر كما زعمت من تمنى الهداية، فقد جاءتك آياتي فكذبت بها وتكبرت، وكنت من الكافرين بالله وبآياته ورسله.

﴿٦٠﴾ ويوم القيامة تشاهد الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه وجوههم مسودة؛ علامة على شقاوتهم، أليس في جهنم مقرًا للمتكبرين على الإيمان بالله ورسله؟! بلى، إن فيها لمقرًا لهم.

﴿٦١﴾ وبسّلم الله الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العذاب بإدخالهم مكان فوزهم وهو الجنة، لا يمسّهم العذاب، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٦٢﴾ الله خالق كل شيء، فلا خالق غيره، وهو على كل شيء حفيظ، يدبر أمره، ويصرفه كيف يشاء.

﴿٦٣﴾ له وحده مفاتيح خزائن الخيرات في السماوات والأرض، يمنعها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون؛ لحرماتهم من الإيمان في حياتهم الدنيا، ولدخلهم النار خالدين فيها في الآخرة.

﴿٦٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يراودونك أن تعبد أوثانهم: أنا أمروني - أيها الجاهلون

بربكم - أن أعبد غير الله؟! لا يستحق العبادة إلا الله وحده، فلن أعبد غيره.

﴿٦٥﴾ ولقد أوحى الله إليك - أيها الرسول - وأوحى إلى الرسل من قبلك: لنن عبدة مع الله غيره ليبطلن ثواب عملك الصالح، ولتكونن من الخاسرين في الدنيا بخسران دينك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٦٦﴾ بل اعبد الله وحده، ولا تشرك به أحدًا، وكن من الشاكرين له على نعمه التي أنعم بها عليك.

﴿٦٧﴾ وما عظم المشركون الله حق تعظيمه حين أشركوا به غيره من مخلوقاته الضعيفة العاجزة، وغفلوا عن قدرة الله التي من مظاهرها أن الأرض بما فيها من جبال وأشجار وأنهار وبحار يوم القيامة في قبضته، وأن السماوات السبع كلها مطويات بيمينه، تنزّه وتقدس وتعالى عما يقوله ويعتقده المشركون.

من قوايد الآيات:

- الكبر خلق ذميم مشؤوم يمنع من الوصول إلى الحق.
- سواد الوجوه يوم القيامة علامة شقاء أصحابها.
- الشرك محبط لكل الأعمال الصالحة.
- ثبوت القبضة واليمين لله سبحانه دون تشبيه ولا تمثيل.

﴿١٨﴾ **يَوْمَ يَنْفُخُ الْمَلَكُ الْمَوَكِلَ بِالنَّفْخِ**
فِي الْقُرُونِ، يَمُوتُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ عَدَمَ
مَوْتِهِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الْمَلَكُ مَرَّةً ثَانِيَةً
لِلْبَعْثِ، فَإِذَا جَمِيعُ الْأَحْيَاءِ قَائِمُونَ
يَنْظُرُونَ مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ.

وَأَضَاءتِ الْأَرْضُ لِمَا تَجَلَّى رَبُّ
الْعِزَّةِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَنُشِرَتْ
صَحُفُ أَعْمَالِ النَّاسِ، وَجِيءَ بِالْأَنْبِيَاءِ
وَجِيءَ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِتَشْهَدَ لِلْأَنْبِيَاءِ
عَلَى أَقْوَامِهِمْ، وَحُكِّمَ اللَّهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ
بِالْعَدْلِ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ، فَلَا يَزَادُ إِنْسَانٌ سَيِّئَةً، وَلَا
يُنْقَصُ حَسَنَةً.

﴿٧٠﴾ وأكمل الله جزء كل نفس، خيراً كان عملها أو شراً، والله أعلم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم خيراً وشرها شيء، وسيجازيهم في هذا اليوم على أعمالهم.

٧١ وساق الملائكة الكافرين بالله إلى جهنم جماعات ذليلة، حتى إذا جاؤوا جهنم فتحت لهم خزنتها من الملائكة الموكلين بها أبوابها، واستقبلوهم بالتوبيخ قائلين لهم: ألم يأتكم رسل من جنسكم يقرؤون عليكم آيات ربكم المنزلة عليهم. ويخوفونكم لقاء يوم القيامة؛ لما فيه من عذاب شديد؟! قال الذين كفروا مَقْرِنِينَ على أنفسهم: بلئى، قد حصل كل ذلك، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين، ونحن كنا كافرين.

(٧٦) قِيلَ لَهُمْ إِيَّاهُ لَكُمْ وَتَبَيَّنَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَمِنْ الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ مَكْثِينَ فِيهَا أَبَدًا، فَسَاءَ وَقْعٌ مَقَرٍّ الْمُكْبِرِينَ الْمُتَعَالِينَ عَلَى الْحَقِّ.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَثْوَى الْأَمْتَكِبِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٧٣﴾ وَسَاقَ الْمَلَائِكَةُ بِرُفْقِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِمْ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ إِلَى الْجَنَّةِ جَمَاعَاتٍ مَكْرَمَةٍ، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا الْجَنَّةَ فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا، وَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِهَا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَمِنْ كُلِّ مَآ تَكْرَهُونَهُ، طَابَتْ قُلُوبُكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ، فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ مَكْنُتِينَ فِيهَا أَبَدًا.

❦ وقال المؤمنون لما دخلوا الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدناه على أسنة رسله، فقد وعدنا بأن يدخلنا الجنة، وأورثنا أرض الجنة، ننزل منها المكان الذي نشاء أن ننزله، فنعلم أجر العاملين الذين يعملون الأعمال الصالحة ابتغاء وجه ربهم.

❦ من قَوَائِدِ الْكَلِمَاتِ :

❁ مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- ثبوت نفختي الصور.
- بيان الإهانة التي يتلفاها الكفار، والإكرام الذي يُستقبل به المؤمنون.
- ثبوت خلود الكفار في الجحيم، وخلود المؤمنين في النعيم.
- طبيب العمل بورث طيب الجزاء.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

آياتها ٨٥

نزلت بها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ يَلْزَمُ الْمَصِيرُ ٣ مَا يَجْدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَدِ ٤ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧

٤٦٧

﴿٧٥﴾ ويكون الملائكة في هذا اليوم المشهود محيطين بالعرش، ينزهون الله عما لا يليق به مما يقوله الكفار، وقضى الله بين جميع الخلائق بالعدل، فأكرم من أكرم، وعذب من عذب، وقيل: الحمد لله رب المخلوقات على حكمه بما حكم به من رحمة لعباده المؤمنين، ومن عذاب لعباده الكافرين.

سُورَةُ غَافِرٍ

مكية

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

بيان حال المجادلين في آيات الله، والرد عليهم.

• التفسير:

﴿حَمْ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

١ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بمصالح عباده على رسوله محمد ﷺ.

٢ غافر ذنوب المذنبين، قابل توبة من تاب إليه من عباده، شديد العقاب لمن لم يتب من ذنوبه، ذي الإحسان والتفضل، لا معبود بحق غيره، إليه وحده مرجع العباد يوم القيامة، فيجازيهم بما يستحقون. ٣ ما يخاصم في آيات الله الدالة على توحيده وصدق رسله إلا الذين كفروا بالله لفساد عقولهم، فلا تحزن عليهم، ولا يغرك ما هم فيه من بسط الرزق والنعم، فإمهالهم استدراج لهم ومكر بهم.

٤ كذب قبل هؤلاء قوم نوح، وكذبت قبلهم الأحزاب بعد قوم نوح، فكذبت عاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكذب فرعون، وهمت كل أمة من الأمم برسولها لتأخذه فتقتله، وجادلوا بما عندهم من الباطل ليزيلوا به الحق، فأخذت تلك الأمم كلها، فتأمل كيف كان عقابي لهم، فقد كان عقاباً شديداً.

٥ وكما حكم الله بإهلاك تلك الأمم المكذبة، وجبت كلمة ربك - أيها الرسول - على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

٦ الملائكة الذين يحملون عرش ربك - أيها الرسول - والذين هم من حوله، ينزهون ربهم عما لا يليق به، ويؤمنون به، ويطلبون المغفرة للذين آمنوا بالله، قائلين في دعائهم: ربنا، وسع علمك ورحمتك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من ذنوبهم، واتبعوا دينك، واحفظهم من النار أن تمسهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الجمع بين الترغيب في رحمة الله، والترهيب من شدة عقابه: مسلك حسن.
- الثناء على الله بتوحيده والتسبيح بحمده أدب من آداب الدعاء.
- كرامة المؤمن عند الله؛ حيث سخر له الملائكة يستغفرون له.

﴿٨﴾ وتقول الملائكة: ربنا، وأدخل المؤمنين جنات الخلد التي وعدتهم أن تدخلهم فيها، وأدخل معهم من صلح عمله من آبائهم وأزواجهم وأولادهم، إنك أنت العزيز الذي لا يغلبك أحد، الحكيم في تقديرك وتبديرك.

﴿٩﴾ واحفظهم من سيئات أعمالهم فلا تعذبهم بها، ومن تحفظه يوم القيامة من العقاب على سيئات أعماله فقد رحمته، وتلك الوقاية من العذاب، والرحمة بدخول الجنة؛ هي الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

﴿١٠﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله ينادون يوم القيامة عندما يدخلون النار ويمقتون أنفسهم ويلعنونها: لشدّة بُغْضِ اللَّهِ لَكُمْ أعظم من شدة بغضكم لأنفسكم حين كنتم تُدعون في الدنيا إلى الإيمان بالله فتكفرون به، وتتخذون معه آلهة.

﴿١١﴾ وقال الكفار مُقِرِّين بذنوبهم حين لا ينفع إقرارهم ولا توبتهم: ربنا، أمّنا مرتين حيث كنا عدماً فأوجدتنا، ثم أمّنا بعد ذلك الإيجاد، وأحييتنا مرتين بإيجادنا من العدم، وبإحيائنا للبعث، فاعترفنا بذنوبنا التي اكتسبناها، فهل من طريق نسلكه إلى خروج من النار فنعود إلى الحياة لنصلح أعمالنا، فترضى عنا؟

﴿١٢﴾ ذلكم العذاب الذي تُعَذِّبُكُمْ به هو بسبب أنكم كنتم إذا دعي الله وحده ولم يشرك به أحد كفرتم به وجعلتم له شركاء، وإذا عُبد مع الله شريك آمنتم، فالحكم لله وحده، العلي بذاته وقدره وقهره، الكبير الذي كل شيء دونه.

﴿١٣﴾ الله هو الذي يريكم آياته في

رَبَّنَا وَأَدْخَلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُونَ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

الآفاق والأنفس؛ لتذكركم على قدرته ووحدانيته، وينزل لكم من السماء ماء المطر ليكون سبباً لما ترزقون به من النبات والزروع وغيرهما، وما يتعظ بأيات الله إلا من يرجع إليه تائباً مخلصاً.

﴿١٢﴾ فادعوا الله - أيها المؤمنون - مخلصين له في الطاعة والدعاء، غير مشركين به، ولو كره الكافرون ذلك وأغضبهم. ﴿١٣﴾ فهو أهل لأن يُخَلَّصَ له الدعاء والطاعة، فهو رفيع الدرجات مباين لجميع خلقه، وهو رب العرش العظيم، ينزل الوحي على من يشاء من عباده لِيَحْيُوا هم وَيُحْيُوا غيرهم، وليخوفوا الناس من يوم القيامة الذي يتلاقى فيه الأولون والآخرون.

﴿١٦﴾ يوم هم ظاهرون قد اجتمعوا في صعيد واحد، لا يخفى على الله منهم شيء، لا من ذواتهم ولا أعمالهم ولا جزائهم، يسأل: لمن الملك اليوم؟ ليس الآن إلا جواب واحد: الملك لله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء.

﴿١٦﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- محل قبول التوبة الحياة الدنيا.
- نفع الموعظة خاص بالمُنيبين إلى ربهم.
- استقامة المؤمن لا تؤثر فيها مواقف الكفار الراضية لدينه.
- خضوع الجبابرة والظلمة من الملوك لله يوم القيامة.

﴿١٧﴾ اليوم تُجْزَى كل نفس بما كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢١﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَابٌ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٦﴾

﴿١٧﴾ اليوم يُجْزَى كل نفس بما كَسَبَتْ، وإن خَيْرًا فخير، وإن شَرًّا فشر، لا ظلم في هذا اليوم؛ لأن الحاكم هو الله العدل، إن الله سريع الحساب لعباده؛ لإحاطة علمه بهم. ﴿١٨﴾ وخَوْفُهُم - أيها الرسول - يوم القيامة، هذه القيامة التي اقتربت، فهي آتية، وكل ما هو آت قريب، في ذلك اليوم تكون القلوب من شدة هولها مرتفعة حتى تصل إلى حناجر أصحابها، الذين يكونون صامتين لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الرحمن، وليس للظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي من صديق ولا قريب، ولا شفيع يطاع إذا قُدِّرَ له أن يشفع.

﴿١٩﴾ الله يعلم ما تختلسه أعين الناظرين خفية، ويعلم ما تكتمه الصدور، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ﴿٢٠﴾ والله يحكم بالعدل، فلا يظلم أحدًا بنقص من حسناته، ولا بزيادة في سيئاته، والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يحكمون بشيء؛ لأنهم لا يملكون شيئاً، إن الله هو السميع لأقوال عباده، البصير بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢١﴾ أولم يسر هؤلاء المشركون في الأرض؛ فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، فقد كانت نهاية سيئة، كانت تلك الأمم أشد من هؤلاء قوة، وأثروا في الأرض بالبناء ما لم يؤثر فيها هؤلاء، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وما كان لهم مانع يمنعهم من عقاب الله.

﴿٢٢﴾ ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم لأنهم كانت تأتيتهم رسلهم من الله بالأدلة الواضحة، والحجج الباهرة، فكفروا بالله وكذبوا رسله، ومع ما هم عليه من القوة فقد أخذهم الله فأهلكهم، إنه سبحانه قوي شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسله.

﴿٢٣﴾ ولما واجههم تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيراً له بأن عاقبة أمره النصر، فقال: ﴿٢٤﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وببرهان قاطع.

﴿٢٥﴾ إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدّعيه من أنه رسول. ﴿٢٦﴾ فلما جاءهم موسى بالبرهان الدال على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم إهانة لهم، ومكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

﴿٢٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التذكير بيوم القيامة من أعظم الروادع عن المعاصي.
- إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خَفِيَّةٌ كانت أم ظاهرة.
- الأمر بالسير في الأرض للتعاظ بحال المشركين الذين أهلكوا.

الله بالأدلة الواضحة، والحجج الباهرة، فكفروا بالله وكذبوا رسله، ومع ما هم عليه من القوة فقد أخذهم الله فأهلكهم، إنه سبحانه قوي شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسله.

﴿٢٣﴾ ولما واجههم تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيراً له بأن عاقبة أمره النصر، فقال: ﴿٢٤﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وببرهان قاطع.

﴿٢٥﴾ إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدّعيه من أنه رسول. ﴿٢٦﴾ فلما جاءهم موسى بالبرهان الدال على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم إهانة لهم، ومكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

﴿٢٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التذكير بيوم القيامة من أعظم الروادع عن المعاصي.
- إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خَفِيَّةٌ كانت أم ظاهرة.
- الأمر بالسير في الأرض للتعاظ بحال المشركين الذين أهلكوا.

﴿٢٦﴾ وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى عقاباً له، وليدع ربه أن يمنعه مني، فأننا لا أبالي أن يدعو ربه، إني أخاف أن يغيّر دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والتخريب.

﴿٢٧﴾ وقال موسى ﷺ: لمّا علم بتهديد فرعون له: إني التجأت واعتصمت بربي وربكم من كل متكبر عن الحق والإيمان به، لا يؤمن بيوم القيامة، وما فيه من حساب وعقاب.

﴿٢٨﴾ وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون يكتُم إيمانه عن قومه منكراً عليهم عزمهم على قتل موسى: أتقتلون رجلاً دون جرم غير أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بالحجج والبراهين الدالة على صدقه في دعواه أنه مرسل من ربه؟ وإن قدر أنه كاذب فضرر كذبه عائد عليه، وإن يكن صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم به من العذاب عاجلاً، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز لحدوده، مفتري عليه وعلى رسله.

﴿٢٩﴾ يا قوم، لكم الملك اليوم غالبيين في أرض مصر، فمن ينصرنا من عذاب الله إن جاءنا بسبب قتل موسى؟ قال فرعون: الرأي رأيي والحكم حكمي، وقد رأيت أن أقتل موسى؛ دفعا للشُر والفساد، وما أرشدكم إلا إلى الصواب والساد. ﴿٣٠﴾ وقال الذي آمن ناصحاً قومه: إني أخاف عليكم - إن قتلتم موسى ظلماً وعدواناً - عذاباً مثل عذاب الأحزاب الذين تحزّبوا على رسلم من السابقين فأهلكهم الله.

﴿٣١﴾ كعادة من كفر وكذب الرسل مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم، فقد أهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم لرسله، وما الله يريد ظلماً للعباد، وإنما يعذبهم بذنوبهم؛ جزاءً وفاقاً.

﴿٣٢﴾ وبيا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ينادي فيه الناس بعضُهم بعضاً بسبب قرابة أو جاه ظلماً منهم أن هذا المسلك ينفعهم في هذا الموقف الرهيب.

﴿٣٣﴾ يوم تولّون هاربين خوفاً من النار، ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله، ومن يخذله الله ولا يوفقه للإيمان فما له من هادٍ يهديه؛ لأن هداية التوفيق بيد الله وحده.

﴿٣٤﴾ من قوايد الآيات:

- لجوء المؤمن إلى ربه ليحميه من كيد أعدائه.
- جواز كتم الإيمان للمصلحة الراجحة أو لدرء المفسدة.
- تقديم النصح للناس من صفات أهل الإيمان.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ
الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ
إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ
مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي
شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ
مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُزْتَابٌ ٢٤ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يُطَبِّعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا عَلِيًّا أَأُبْلِغُ الْأَسْبَابَ ٢٦ أَسَبَبَ
السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ٢٧ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
يَقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٨ يَقُومُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ٢٩ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ٤٠

٢٤) ولقد جاءكم يوسف من قبل موسى بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما زلتم في شك وتكذيب لما جاءكم به، حتى إذا توفي ازددتم شكًا وارتبابًا، وقتلتم: لن يبعث الله من بعده رسولًا. مثل ضلالكم هذا عن الحق يضل الله كل من هو متجاوز لحدود الله، شاك في وحدانيته.

٢٥) الذين يخاصمون في آيات الله ليطلوها بغير حجة ولا برهان أتاهم، كبر جدالهم مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا به وبرسله. كما ختم الله على قلوب هؤلاء المخاصمين في آياتنا لإبطالها يختم الله على كل قلب مستكبر عن الحق متجبر، فلا يهتدي إلى صواب، ولا يرشد إلى خير.

٢٦) وقال فرعون لوزيره هامان: يا هامان، ابن لي بناءً عاليًا؛ رجاء أن أبلغ الطرق.

٢٧) رجاء أن أبلغ طرق السموات الموصلة إليها، فأنظر إلى معبود موسى الذي يزعم أنه المعبود بحق، وإنني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه. وهكذا حسن فرعون قبح عمله حين طلب ما طلب من هامان، وصرف عن طريق الحق إلى طرق الضلال، وما مكر فرعون - لإظهار باطله الذي هو عليه، وإبطال الحق الذي جاء به موسى - إلا في خسارة؛ لأن مآله الخيبة والإحباط في سعيه، والشقاء الذي لا ينقطع أبدًا.

٢٨) وقال الرجل الذي آمن من آل فرعون ناصحًا قومه ومرشدًا إياهم إلى طريق الحق: يا قوم، اتبعوني أدلكم وأرشدكم إلى طريق الصواب، والهداية إلى الحق.

٢٩) يا قوم، إنما هذه الحياة الدنيا تمتع بملذات منقطعة، فلا تغرركم بما فيها من متاع زائل، وإن الدار الآخرة بما فيها من نعيم دائم لا ينقطع هي دار الاستقرار والإقامة، فاعملوا لها بطاعة الله، واحذروا من الانشغال بحياتكم الدنيا عن العمل للآخرة.

٣٠) من عمل عملاً سيئاً فلن يُعاقب إلا بمثل ما عمل، لا يزداد عليه عقاب. ومن عمل عملاً صالحاً بيتغي به وجه الله، ذكرًا كان العامل أو أنشأ، وهو مؤمن بالله ورسله - فأولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة يدخلون الجنة يوم القيامة، يرزقهم الله مما أودعه فيها من الثمرات والنعيم المقيم الذي لا ينقطع أبدًا بغير حساب.

٤٠) من قواعد الآيات،

- الجدل لإبطال الحق وإحقاق الباطل خصلة ذميمة، وهي من صفات أهل الضلال.
- التكبر مانع من الهداية إلى الحق.
- إخفاق حيل الكفار ومكرهم لإبطال الحق.
- وجوب الاستعداد للآخرة، وعدم الانشغال عنها بالدنيا.

وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ

﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ

عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا

تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ

وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ

﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ بِصِيرُ الْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا

وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ

فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ

تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا فِيهَا إِنَّا لَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ قَدْ حَكَمَ

بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ

أَدْعُوا رَبَّكُمْ يَخَفُّ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤٧٢

﴿٤١﴾ وَيَا قَوْمِ، مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النجاة من الخسران في الحياة الدنيا والآخرة بالإيمان بالله والعمل الصالح، وتدعونني إلى دخول النار بما تدعونني إليه من الكفر بالله وعصيانه؟

﴿٤٢﴾ تدعونني إلى باطلكم رجاء أن أكفر بالله، وأعبد معه غيره مما لا علم لي بصحة عبادته مع الله، وأنا أدعوكم إلى الإيمان بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الغفار عظيم المغفرة لعباده.

﴿٤٣﴾ حقاً إن ما تدعونني إلى الإيمان به وإلى طاعته؛ ليس له دعوة يدعى بها بحق في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يستجيب لمن دعاه، وأن مرجعنا جميعاً إلى الله وحده، وأن المسرفين في الكفر والمعاصي هم أصحاب النار الذين يلازمون دخولها يوم القيامة.

﴿٤٤﴾ فرفضوا نصحه، فقال: ستذكرون ما قدمت لكم من نصح، وتتحسرون على عدم قبوله، وأفوض أموري كلها إلى الله وحده، إن الله لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء. ﴿٤٥﴾ فحفظه الله من سوء مكروهم حين أرادوا قتله، وأحاط بأل فرعون عذاب الفرق، فقد أغرقه الله هو وجنوده كلهم في الدنيا.

﴿٤٦﴾ وبعد موتهم يعرضون على النار في قبورهم أول النهار وآخره، ويوم القيامة يقال: أدخلوا أتباع فرعون أشد العذاب وأعظمه؛ لما كانوا عليه من الكفر والتكذيب والصد عن سبيل الله.

﴿٤٧﴾ واذكر - أيها الرسول - حين يتخاصم الأتباع والمتبوعون من أصحاب النار، فيقول الأتباع

المستضعفون للمتبوعين المتكبرين: إنا كنا لكم أتباعاً في الضلال في الدنيا، فهل أنتم مغنون عنا جزءاً من عذاب الله بتحملة عنا؟ قال المتبوعون المستكبرون: إنا - سواء كنا أتباعاً أو متبوعين - في النار، ولا يتحمل أحد منا جزءاً من عذاب الآخر، إن الله قد حكم بين العباد، فأعطى كل ما يستحقه من العذاب.

﴿٤٨﴾ وقال المعذبون في النار من الأتباع والمتبوعين للملائكة الموكلين بالنار لما يسوسوا من الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا ليتوبوا: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً واحداً من هذا العذاب الدائم.

من قواعد الآيات:

- أهمية التوكل على الله.
- نجاة الداعي إلى الحق من مكر أعدائه.
- ثبوت عذاب البرزخ.
- تعلق الكافرين بأي سبب يريحهم من النار ولو لمدة محدودة، وهذا لن يحصل أبداً.

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى
 قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٥٥
 إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ٥٦ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ
 وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٧ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
 الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ٥٨ هُدًى
 وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ٥٩ فَأَصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ
 حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ
 وَالْإِبْكَرِ ٥٥ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ
 يَغَيِّرُ سُلْطَانًا أَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
 مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ٥٦ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ
 خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٥٨

٥٥ قال خزنة جهنم ردًا على الكفار: أولم تكن تأتكم رسلكم بالبراهين والأدلة الواضحة؟ قال الكفار: بلى، كانوا يأتوننا بالبراهين والأدلة الواضحة، قال الخزنة تهكمًا بهم: فادعوا أنتم، فتحن لا تنفع للكفار، وما دعاء الكافرين إلا في بطلان وضياح؛ لعدم قبوله منهم بسبب كفرهم.

ولما ذكر الله قصة فرعون وما آل إليه أمره وأمر أتباعه في الدنيا والآخرة، ذكر أمر الرسل والمؤمنين، وما يصيرون إليه من نصر في الدنيا والآخرة فقال:

٥٦ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالله وبرسله في الدنيا بإظهار حجتهم وتأييدهم على أعدائهم، وتنصرهم يوم القيامة بإدخالهم الجنة، وبغقاب خصومهم في الدنيا بإدخالهم النار بعد أن يشهد الأنبياء والملائكة والمؤمنون على حصول التبليغ وتكذيب الأمم.

٥٧ يوم لا ينفع الظالمين أنفُسُهُمْ بالكفر والمعاصي اعتذارهم عن ظلمهم، ولهم في ذلك اليوم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء الدار في الآخرة بما يلاقونه من العذاب الأليم.

٥٨ ولقد أعطينا موسى العلم الذي يهتدي به بنو إسرائيل إلى الحق، وجعلنا التوراة كتابًا متوارثًا في بني إسرائيل يرثونه جيلاً بعد جيل.

٥٩ هداية إلى طريق الحق، وتذكيراً لأصحاب العقول السليمة.

٥٥ فاصبر - أيها الرسول - على ما تلاقيه من تكذيب قومك وايدأهم، إن وعد الله لك بالنصر والتأييد حق لا مرية فيه، واطلب المغفرة لذنبك، وسبح بحمد ربك أول النهار وآخره.

٥٦ إن الذين يخاصمون في آيات الله سعيًا لإبطالها بغير حجة ولا برهان أتاهم من عند الله، لا يحملهم على ذلك إلا إرادة الاستعلاء والتكبر على الحق، ولن يصلوا إلى ما يريدونه من الاستعلاء عليه، فاعتصم - أيها الرسول - بالله، إنه هو السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

٥٧ لخلق السموات والأرض لضخامتهما واتساعهما أعظم من خلق الناس، فالذي خلقهما مع عظمهما قادر على بعث الموتى من قبورهم أحياء ليحاسبهم ويجازيهم، ولكن معظم الناس لا يعلمون، فلا يعتبرون به، ولا يجعلونه دليلاً على البعث مع وضوحه.

٥٨ ولا يستوي الذي لا يبصر والذي يبصر، ولا يستوي الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وأحسنوا أعمالهم، لا يستونون مع من يسيء عمله بالاعتقاد الفاسد والمعاصي، لا تتذكرون إلا قليلاً؛ إذ لو تذكركم لعلمتم الفرق بين الفريقين لتسعدوا إلى أن تكونوا من الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات رغبة في مرضاة الله.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- نصر الله لرسله وللمؤمنين سُنَّةَ إلهية ثابتة.
- اعتذار الظالمين يوم القيامة لا ينفعه.
- أهمية الصبر في مواجهة الباطل.
- دلالة خلق السموات والأرض على البعث؛ لأن من خلق ما هو عظيم قادر على إعادة الحياة إلى ما دونه.

﴿٥٩﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنُوا تُوفَّكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِعَايَةِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿٥٩﴾ وقال ربكم - أيها الناس - : وخذوني في العباداة والمسألة، أجب دعاءكم وأعف عنكم وأرحمكم، إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة سيدخلون يوم القيامة جهنم صاغرين ذليلين.

﴿٦٠﴾ الله هو الذي صير لكم الليل مظلمًا لتسكنوا فيه وتستريحوا، وصير النهار مضيئًا منيرًا لتعملوا فيه، إن الله لذو فضل عظيم على الناس حين أسبغ عليهم من ظاهر نعمه وباطنها، ولكن معظم الناس لا يشكرونه سبحانه على ما أنعم به عليهم منها.

﴿٦١﴾ ذلكم الله الذي تفضل عليكم بنعمه هو خالق كل شيء، فلا خالق غيره، ولا معبود بحق إلا هو، فكيف تتصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ممن لا يملك نفقًا ولا ضرا.

﴿٦٢﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان بالله وعبادته وحده يصرف عنه من يجحد بأيات الله الدالة على توحيده في كل زمان ومكان، فلا يهتدي إلى حق، ولا يُوفَّق لرشد.

﴿٦٣﴾ الله الذي صير لكم - أيها الناس - الأرض قارّة مهياة لاستقراركم عليها، وصير السماء محكمة البناء فوقكم ممنوعة من السقوط، وصوّركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم، ورزقكم من حلال الأطعمة ومستطابها، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الله ربكم، فتبارك الله رب المخلوقات كلها، فلا

رب لها غيره سبحانه.

﴿٦٤﴾ هو الحي الذي لا يموت، لا معبود بحق غيره، فادعوه دعاء عبادة ومسألة؛ قاصدين وجهه وحده، ولا تشركوا معه غيره من مخلوقاته، الحمد لله رب المخلوقات.

﴿٦٥﴾ قل - أيها الرسول - : إني نهاني الله أن أعبد الذين تعبدونهم من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر حين جاءني البراهين والأدلة الواضحة على بطلان عبادتها، وأمرني الله أن أنقاد له وحده بالعبادة، فهو رب الخلائق كلها، لا رب لها غيره.

﴿٦٦﴾ من قوايد الآيات،

- دخول الدعاء في مفهوم العبادة التي لا تصرف إلا إلى الله؛ لأن الدعاء هو عين العبادة.
- نعم الله تقتضي من العباد الشكر.
- ثبوت صفة الحياة لله.
- أهمية الإخلاص في العمل.

﴿٦٧﴾ هو الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل خلقكم من بعده من نطفة، ثم بعد النطفة من دم متجمد، ثم بعد ذلك يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً صغاراً، ثم لتصلوا سن اشتداد البدن، ثم لتكبروا حتى تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، وتبلغوا أمداً محدداً في علم الله، لا تنقصون عنه، ولا تزيدون عليه، ولعلكم تتفكرون بهذه الحجج والبراهين على قدرته ووحدانيته.

﴿٦٨﴾ هو وحده سبحانه الذي بيده الإحياء، وهو وحده الذي بيده الإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون.

﴿٦٩﴾ ألم تر - أيها الرسول - الذين يخاصمون في آيات الله مكذبين بها مع وضوحها؛ لتعجب من حالهم وهم يعرضون عن الحق مع وضوحه.

﴿٧٠﴾ الذين كذبوا بالقرآن، وبما بعثنا به رسلنا من الحق، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم، ويرون سوء الخاتمة.

﴿٧١﴾ يعلمون عاقبته حين تكون الأصفاد في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، تجرهم زبانية العذاب.

﴿٧٢﴾ يسحبونهم في الماء الحار الذي اشتد غليانه، ثم في النار يوقدون.

﴿٧٣﴾ ثم قيل لهم تَبَكَّيْنَا لَهُمْ وَتَوَيْبُخَا: أين الآلهة المزعومة التي أشركتم بعبادتها؟

﴿٧٤﴾ من دون الله من أصنامكم التي لا تنفع ولا تضر؟ قال الكفار: غابوا عنا فلنسنا نراهم، بل ما كنا نعبد في الدنيا شيئاً يستحق العبادة. مثل إضلال هؤلاء يضل الله الكافرين عن الحق في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ ويقال لهم: ذلك العذاب الذي تقاسونه بسبب فرحكم بما كنتم عليه من الشرك، وبتوسّعكم في الفرح.

﴿٧٦﴾ ادخلوا أبواب جهنم ما كنتم فيها أبداً، فقيح مستقر المتكبرين عن الحق.

ولما عانى رسول الله ﷺ من قومه ما عانى، أمره الله بالصبر، وسأله بما وعده به من النصر، فقال:

﴿٧٧﴾ فاصبر - أيها الرسول - على أذى قومك وتكذيبهم، إن وعد الله بنصرك حق لا مزية فيه، فإما نرينك في حياتك بعض الذي نعدهم به من العذاب كما حصل يوم بدر، أو نتوفيتك قبل ذلك، فإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة فتجازيهم على أعمالهم، فندخلهم النار خالدين فيها أبداً.

﴿٧٨﴾ من قوايد الآيات،

● التدرج في الخلق سنة إلهية يتعلم منها الناس التدرج في حياتهم.

● قبح الفرح بالباطل.

● أهمية الصبر في حياة الناس، وبخاصة الدعاء منهم.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾

قبلك - أيها الرسول - إلى أممهم، فكذبوهم وأذوهم فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم، من هؤلاء الرسل من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم، وما يصح لرسول أن يأتي قومه بأية من ربه إلا بمشيئته سبحانه، فاقترح الكفار على رسلهم الإتيان بالآيات ظلم، فإذا جاء أمر الله بالفتح أو الفصل بين الرسل وأقوامهم فصل بينهم بالعدل، فأهلك الكفار ونجى الرسل، وخسر - في ذلك الموقف الذي يفصل فيه بين العباد - أصحاب الباطل أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

﴿٧٩﴾ الله هو الذي جعل لكم الإبل والبقر والغنم؛ لتركبوا بعضها، وتأكلوا لحوم بعضها.

﴿٨٠﴾ ولكم في هذه المخلوقات منافع متعددة تتجدد في كل عصر، ويحصل لكم من خلالها ما ترغبون به مما في أنفسكم من حاجات، وأبرزها التنقل في البر والبحر.

﴿٨١﴾ ويريكُم سبحانه من آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأى آيات الله لا تعترفون بها بعد أن تقرر لديكم أنها آياته؟

﴿٨٢﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذوبون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم فاعتبروا بها؟ فقد كانت تلك الأمم أكثر منهم أموالاً، وأعظم قوة، وأشد آثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من القوة لما جاءهم عذاب الله المهلك.

﴿٨٣﴾ فلما جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة كذبوا بها، ورضوا بالتمسك

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

بما عندهم من العلم المنافي لما جاءتهم به رسلهم، ونزل بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب الذي كانت تخوفهم رسلهم منه. ﴿٨٤﴾ فلما رأوا عذابنا قالوا مقررين حين لا ينفعهم إقرار: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا نعبد من دونه من شركاء وأصنام. ﴿٨٥﴾ فلم يكن إيمانهم حين عاينوا عذابنا ينزل بهم نافعاً لهم، سُنَّةُ اللَّهِ التي مضت في عبادته أنه لا ينفعهم إيمانهم عندما يعاينون العذاب، وخسر الكافرون حين نزول العذاب أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم بالله، وعدم التوبة منها قبل معاينة العذاب.

﴿٨٦﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لله رسل غير الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم يؤمن بهم إجمالاً.
- من نعم الله تبيينه الآيات الدالة على توحيده.
- خطر الفرح بالباطل وسوء عاقبته على صاحبه.
- بطلان الإيمان عند معاينة العذاب المهلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كَتَبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَ
قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ
٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ٦ وَيَلُ لِّلْمُشْرِكِينَ ٧ الَّذِينَ
لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٨ إِن الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٩ قُلْ إِنِّي كُنتُ
لِتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا
ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١٠ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّن فَوْقِهَا
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً
لِّلسَّائِلِينَ ١١ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَلِلْأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١٢

١٠ من مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

بيان حال المعرضين عن الله، وذكر عاقبتهم.

١١ التَّصْيِيرُ:

١ حَمْدٌ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذا القرآن تنزيل من الله الرحمن الرحيم.

٣ كتاب بُيِّنَتْ آيَاتُهُ أتمَّ تبيين واكمله، وجُعِلَ قَرَأْنَا عَرَبِيًّا لقوم يعلمون؛ لأنهم الذين ينتفعون بمعانيه، وبما فيه من الهداية إلى الحق.

٤ مِشْرًا المؤمنين بما أعدَّ الله لهم من الجزاء الجزيل، ومخوفًا الكافرين من عذاب الله الأليم، فأعرض معظمهم عنه، فهم لا يسمعون ما فيه من الهدى سماع قَبُول.

٥ وقالوا: قلوبنا مغطاة بأغلفة فلا تعقل ما تَدْعُونَا إِلَيْهِ، وفي آذاننا صَمَمٌ فلا تسمعه، ومن بيننا وبينك ستر فلا يصل إلينا شيء مما تقول، فاعمل أنت على طريقتك، إنا عاملون على طريقتنا، ولن نتبعك.

٦ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المعاندين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الله أنما معبودكم بحق معبود واحد هو الله، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، وهلاك وعذاب للمشركين الذين يعبدون غير الله أو يشركون معه أحدًا.

٧ الذين لا يعطون زكاة أموالهم، وهم بالآخرة - وما فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم - كافرون.

٨ إن الذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب خالد غير مقطوع وهو الجنة.

٩ قل - أيها الرسول - مويخًا المشركين: لماذا أنتم تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين: يوم الأحد والاثنين، وتجعلون له نظراء تعبدونهم من دونه؟ ذلك رب المخلوقات كلهم.

١٠ وجعل فيها جبالًا ثوابت من فوقها تثبتها لئلا تضطرب، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقَدَّرَ فيها أقوات الناس والبهائم في أربعة أيام منمَّة لليومين السابقين هما: يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سواء لمن أراد أن يسأل عنها.

١١ ثم قصد سبحانه إلى خلق السماء، وهي يومئذ دخان فقال لها وللأرض: انقادا لأمري مختارتين، أو مكرهتين، لا محيد لكما عن ذلك، قالتا: أتينا طائعتين، فلا إرادة لنا دون إرادتك يا ربنا.

١٢ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● تعطيل الكافرين لوسائل الهداية عندهم يعني بقاءهم على الكفر.

● بيان منزلة الزكاة، وأنها ركن من أركان الإسلام.

● استسلام الكون لله وانقياده لأمره سبحانه بكل ما فيه.

(١٢) فَأَتَمَّ اللَّهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ: يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبِهِمَا تَمَّ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَأَوْحَى اللَّهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مَا يَقْدِرُهُ فِيهَا، وَمَا يَأْمُرُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ وَعِبَادَةِ، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ، وَحَفَظْنَا بِهَا السَّمَاءَ مِنْ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ السَّمْعِ، ذَلِكَ الْمَذْكُورُ كُلَّهُ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْعَلِيمِ بِخَلْقِهِ.

(١٣) فَإِنْ أَعْرَضَ هَؤُلَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا جِئْتُ بِهِ فَقُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: خَوْفُنَا عَذَابًا يَقَعُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ الْعَذَابِ الَّذِي وَقَعَ عَلَى عَادِ قَوْمِ هُودَ، وَثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ لَمَّا كَذَبُوا.

(١٤) حِينَ جَاءَ تَهْمُ رُسُلِهِمْ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِدَعْوَةِ وَاحِدَةٍ يَأْمُرُونَهُمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، قَالَ الْكَافِرُ مِنْهُمْ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً إِلَيْنَا رَسُولًا لَأَنْزِلَ لَنَا، فَإِنَّا كَافِرُونَ بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ: لَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا.

(١٥) فَأَمَّا عَادُ قَوْمِ هُودٍ فَمَعَ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ تَكَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَظَلَمُوا مِنْ حَوْلِهِمْ، وَقَالُوا وَهُمْ مَخْدُوعُونَ بِقُوَّتِهِمْ: مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِبَةً؟ لَا أَحَدٌ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً بِزَعْمِهِمْ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: أَوَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ وَيَشَاهِدُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَوْدَعَ فِيهِمُ الْقُوَّةَ الَّتِي أَطْفَعَتْهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً؟ وَكَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا هُودٌ.

(١٦) فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ذَاتَ صَوْتٍ مَزَعَجٍ فِي أَيَّامٍ مَشْهُومَاتٍ عَلَيْهِمْ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ: لَنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الذِّلِّ وَالْمَهَانَةِ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ أَشَدُّ

فَقَضَيْنَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَ تَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِبَةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لَنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّتِي كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاشِدٌ عَلَيْهِمْ سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرُوهُمْ وَجَلُّوا دُهُمَ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)

إِذْ لَا لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَنْصَرُهُمْ بِإِنْقَادِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

(١٧) وَأَمَّا ثَمُودُ قَوْمِ صَالِحٍ فَقَدْ هَدَيْنَاهُمْ بِتَبْيِينِ طَرِيقِ الْحَقِّ لَهُمْ، فَفَضَّلُوا الضَّلَالَ عَلَى الْهَدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، فَأَهْلَكْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْمُهِنِ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

(١٨) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، أَنْجَيْنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي حُلَّ بِقَوْمِهِمْ.

(١٩) وَيَوْمَ يُحْشَرُ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ إِلَى النَّارِ، تَرَدُّ الزَّبَانِيَةُ أَوْلَهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْهَرَبَ مِنَ النَّارِ.

(٢٠) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوا النَّارَ الَّتِي سَيَقُوا إِلَيْهَا، وَتَنَكَّرُوا لَهَا كَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ أَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الإِعْرَاضُ عَنِ الْحَقِّ سَبَبُ الْمَهَالِكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- التَّكْبِيرُ وَالْإِغْتِرَارُ بِالْقُوَّةِ مَانِعَانِ مِنَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ.
- الْكُفْرُ يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.
- شَهَادَةُ الْجَوَارِحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَصْحَابِهَا.

وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٤٤﴾ * وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْءَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٤٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٤٩﴾

﴿٤١﴾ وقال الكفار لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ قالت الجلود جواباً لأصحابها: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة عندما كنتم في الدنيا، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿٤٢﴾ وما كنتم تستخفون حين ترتكبون المعاصي حتى لا تشهد عليكم أسمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم؛ لأنكم لا تؤمنون بحساب ولا عقاب ولا ثواب بعد الموت، ولكن ظننتم أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما تعملونه، بل يخفى عليه، فاغتررتهم.

﴿٤٣﴾ وذلکم الظن السيئ الذي ظننتم بربكم أهلككم، فأصبحت بسبب ذلك من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة.

﴿٤٤﴾ فإن يصبر هؤلاء الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، فالنار مستقر لهم، وماوى يأوون إليه، وإن يطلبوا رفع العذاب ورضا الله عنهم، فما هم بنائلين رضاه ولا داخلين الجنة أبداً.

﴿٤٥﴾ وهياناً لهؤلاء الكفار قرناء من الشياطين يلزمونهم، فحسّنوا لهم سوء أعمالهم في الدنيا، وحسّنوا لهم ما خلفهم من أمر الآخرة فأنسوهم تذكراها والعمل لها، ووجب عليهم العذاب في جملة أُمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين حيث خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بدخولهم النار.

﴿٤٦﴾ وقال الكفار متواصين فيما بينهم لما عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرؤه عليكم محمد، ولا تتقادوا لما

فيه، وصيحوا وارفخوا أصواتكم عند قراءته له؛ لعلكم بذلك تنتصرون عليه، فبترك تلاوته والدعوة إليه، فنستريح منه.

﴿٤٧﴾ فلنذيقنّ الذين كفروا بالله وكذبوا رسله عذاباً شديداً يوم القيامة، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون من الشرك والمعاصي عقاباً لهم عليها.

﴿٤٨﴾ ذلك الجزاء المذكور جزاء أعداء الله الذين كفروا به وكذبوا رسله: النار، لهم فيها خلود لا ينقطع أبداً؛ جزاءً على جحدهم لايات الله، وعدم إيمانهم بها مع وضوحها وقوة حجتها.

﴿٤٩﴾ وقال الذين كفروا بالله وكذبوا رسله: ربنا، أرنا اللذين أضلّنا من الجن والإنس: إبليس الذي سنّ الكفر والدعوة إليه، وابن آدم الذي سنّ سفك الدماء، نجعلهما في النار تحت أقدامنا؛ ليكونا من الأسفلين الذين هم أشد أهل النار عذاباً.

من قوائد الآيات:

- سوء الظن بالله صفة من صفات الكفار.
- الكفر والمعاصي سبب تسليط الشياطين على الإنسان.
- تمنّي الأتباع أن ينال متبوعوهم أشد العذاب يوم القيامة.

ولمَّا ذَكَرَ اللَّهُ جِزَاءَ أَعْدَائِهِ ذَكَرَ
جِزَاءَ أَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ:

﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ، لَا
رَبَّ لَنَا غَيْرَهُ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى امْتِثَالِ
أَمْرِهِ، وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيَهُ، تَنْتَزِلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ قَائِلِينَ لَهُمْ:
لَا تَخَافُوا مِنَ الْمَوْتِ وَلَا مِمَّا بَعْدَهُ،
وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَقْتُمْ فِي الدُّنْيَا،
وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوْعَدُونَ بِهَا
فِي الدُّنْيَا عَلَى إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَعَمَلِكُمْ
الصَّالِحِ.

﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
فَقَدْ كُنَّا نُسَدِّدُكُمْ وَنَحْفَظُكُمْ، وَنَحْنُ
أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَوَلَايَتُنَا لَكُمْ
مُسْتَمِرَّةٌ، وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا تَشْتَهُيهِ
أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْمِلَذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَلَكُمْ
فِيهَا كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ مِمَّا تَشْتَهُونَهُ.

﴿٣٢﴾ رِزْقًا مُهِينًا لِمُضَايَقَتِكُمْ مِنْ رَبِّ
غُفُورٍ لَذْنُوبٍ مِنْ تَابٍ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ،
رَحِيمٍ بِهِمْ.

﴿٣٣﴾ وَلَا أَحَدٌ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا
إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِشَرْعِهِ، وَعَمِلَ
عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَى رَبَّهُ، وَقَالَ: إِنِّي
مِنَ الْمُسْتَسْلِمِينَ الْمُتَقَادِينَ لِلَّهِ، فَمَنْ
فَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ قَوْلًا.
﴿٣٤﴾ وَلَا يَسْتَوِي فِعْلُ الْحَسَنَاتِ
وَالطَّاعَاتِ الَّتِي تَرْضَى اللَّهُ، وَلَا فِعْلُ
السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تَسْخِطُهُ،
ادْفَعْ بِالْخِصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِسَاءَةٍ
مِنْ أَسَاءَةٍ إِلَيْكَ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ سَابِقَةٌ - إِذَا دَفَعْتَ
إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ - كَأَنَّهُ قَرِيبٌ
شَفِيقٌ.

﴿٣٥﴾ وَلَا يُوفَّقُ لِهَذِهِ الْخِصْلَةِ الْحَمِيدَةِ إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الْإِذَاءِ، وَمَا يَلَاقُونَهُ
مِنَ النَّاسِ مِنَ السُّوءِ، وَلَا يُوفَّقُ لَهَا إِلَّا

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدَّعَوْنَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يَنْقُلُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَنْقُلُهَا
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ عَايَنَتْهُ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكَبَرُوا فَاذْهَبْ عَنكَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾

سَجْدَةٌ

ذُو نَصِيبٍ عَظِيمٍ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَالنَّفْعِ الْوَفِيرِ.

﴿٣٦﴾ وَإِنْ وَسَّوسَ لَكَ الشَّيْطَانُ فِي أَيِّ وَقْتٍ بَشَّرَ فَاغْتَصِمِ بِاللَّهِ وَالْجَأْ إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِمَا تَقُولُهُ، الْعَلِيمُ بِحَالِكَ.

﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي تَعَاقُبِهِمَا، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، لَا تَسْجُدُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلشَّمْسِ، وَلَا
تَسْجُدُوا لِلْقَمَرِ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ حَقًّا.

﴿٣٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا وَأَعْرَضُوا، وَلَمْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الْخَالِقِ، فَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَسْبِّحُونَهُ وَيُحَمِّدُونَهُ سُبْحَانَهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
مَعًا، وَهُمْ لَا يَمَلُّونَ مِنْ عِبَادَتِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• مَنْزِلَةُ الْاسْتِقَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ.

• كَرَامَةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَوَلِّيهِ شُؤْنَهُمْ وَشُؤْنَ مَنْ خَلْفَهُمْ.

• مَكَانَةُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ.

• الصَّبْرُ عَلَى الْإِذَاءِ وَالدَّفْعُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ خُلُقَانٍ لَا غِنَى لِلدَّاعِي إِلَى اللَّهِ عَنْهُمَا.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ٣٩ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبٌ عَزِيزٌ ٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ٤٣
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
 ءَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ
 يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ٤٤ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ٤٥ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ
 فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ٤٦

٣٩) ومن آياته الدالة على عظمته وتوحيده وعلى قدرته على البعث أنك تعاین الأرض لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تحركت بسبب نمو المخبوء فيها من بذور، وارتفعت، إن الذي أحيا هذه الأرض الميتة بالنبات، لمحيي الموتى وباعثهم للحساب والجزاء، إنه على كل شيء قدير، لا يعجزه إحياء أرض بعد موتها، ولا إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم. ٤٠) إن الذين يميلون في آيات الله عن الصواب بإنكارها والتكذيب بها وتحريفها لا يخفى حالهم علينا، فتحن نعلمهم، أفمن يلقي في النار أفضل أم من يأتي يوم القيامة آمناً من العذاب؟ اعملوا - أيها الناس - ما شئتم من خير وشر، فقد بينا لكم الخير والشر، إن الله بما تعملون منهما بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ٤١) إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم من عند الله لمعدبون يوم القيامة، وإنه لكتاب عزيز منيع، لا يستطيع مخرف أن يحرفه، ولا مبدل أن يبدله.

٤٢) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنقص أو زيادة أو تبديل أو تحريف، تنزيل من حكيم في خلقه وتقديره وتشريعه، محمود على كل حال.

ولما ذكر الله حال المكذبين بالكتاب صبر رسوله وسأله بما كان يلقيه من قبله إخوانه من الرسل من التكذيب والسخرية والافتراء، فقال:

٤٣) ما يقال لك - أيها الرسول - من التكذيب إلا ما قد قيل للرسل من قبلك فاصبر، فإن ربك لذو مغفرة لمن

تاب إليه من عباده، وذو عقاب موجه لمن أصر على ذنوبه ولم يتب.

٤٤) ولو أنزلنا هذا القرآن بغير لغة العرب لقال الكفار منهم: لولا بينت آياته حتى نفهمها، أيكون القرآن أعجمياً، والذي جاء به عربي؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: القرآن - للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله - هداية من الضلال وشفاء لما في الصدور من الجهل وما يتبعه، والذين لا يؤمنون بالله في آذانهم صمم، وهو عليهم عمى لا يفهمونه، أولئك الموصوفون بتلك الصفات كمن ينادون من مكان بعيد، فكيف لهم أن يسمعوا صوت المنادي!

٤٥) ولقد أعطينا موسى التوراة فاختلف فيها: فمنهم من آمن بها، ومنهم من كفر بها، ولولا وعد من الله أن يفصل بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه لحكم بين المختلفين في التوراة، فبين المحق والمبطل، فأكرم المحق وأهان المبطل، وإن الكفار لفي شك من أمر القرآن مريب.

٤٦) من عمل عملاً صالحاً فتفع عمله الصالح عائد إليه، فالله لا ينفعه العمل الصالح من أحد، ومن عمل عملاً سيئاً فضرر ذلك راجع إليه، فالله لا تضره معصية أحد من خلقه، وسيجازي كل بما يستحقه، وما ربك - أيها الرسول - بظلام لعبده، فلن ينقصهم حسنة، ولن يزيدهم سيئة.

● من قواعد الآيات: ● حفظ الله القرآن من التبديل والتحريف، وتكفل سبحانه بهذا الحفظ، بخلاف الكتب السابقة له. ● قطع الحجة على مشركي العرب بنزول القرآن بلغتهم. ● نفي الظلم عن الله، وإثبات العدل له.

﴿٤٧﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ قَالُوا أَذُنَاكَ مِمَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾
لَّا يُسْمِعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسُ
فَقُوطُ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مِّسَتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ وَلَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا
فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

٤٨٢

﴿٤٧﴾ إلى الله وحده يُرَدُّ علم الساعة؛ فهو وحده يعلم متى تقع، فلا يعلم ذلك غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها التي تحفظها، وما تحمل من أنثى ولا تلد إلا بعلمه، لا يفوته من ذلك شيء، ويوم ينادي الله المشركين الذين كانوا يعبدون معه الأصنام؛ مُؤَيَّخًا إياهم على عبادتهم لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء؟ قال المشركون: اعترفنا أمامك، لا أحد منا يشهد الآن أن لك شريكًا.

﴿٤٨﴾ وغاب عنهم ما كانوا يدعونهم من الأصنام، وأيقنوا أنهم لا مهرب لهم من عذاب الله ولا مَحِيد.

﴿٤٩﴾ لا يمل الإنسان من طلب الصحة والمال والولد وغير ذلك من النعم، وإن أصابه فقر أو مرض ونحو ذلك فهو كثير اليأس والقنوط من رحمة الله.

﴿٥٠﴾ ولئن أذقناه منا صحة وغنى وعافية بعد بلاء ومرض أصابه ليقولن: هذا لي؛ لأنني أهل له ومستحق، وما أظن الساعة قائمة، ولئن فُرض أن الساعة قائمة فإن لي عند الله الغنى والمال، فكما أنعم علي في الدنيا لاستحقاقي ذلك ينعم علي في الآخرة، فلنخبرن الذين كفروا بالله بما عملوا من الكفر والمعاصي، ولنذيقنهم من عذاب بالغ في الشدة.

﴿٥١﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة الصحة والعافية ونحوها غفل عن ذكر الله وطاعته، وأعرض بجانبه تكبرًا، وإذا مسه مرض وفقر ونحوه فهو ذو دعاء لله كثير، يشكو إليه ما مسه منه ليكشفه عنه، فهو لا يشكر ربه إذا أنعم

عليه، ولا يصبر على بلائه إذا ابتلاه.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كفرتم به وكذبتموه، فكيف سيكون حالكم؟ ومن أضل ممن هو في عناد للحق مع ظهوره ووضوح حجته وقوتها؟

﴿٥٣﴾ سنري كفار قريش آياتنا في آفاق الأرض مما يفتح الله للمسلمين، ونريهم آياتنا في أنفسهم بفتح مكة؛ حتى يتضح لهم بما يرفع الشك أن هذا القرآن هو الحق الذي لا مزية فيه، أولم يكف هؤلاء المشركين أن القرآن حق بشهادة الله أنه من عنده؟ ومن أعظم شهادة من الله؟ فلو كانوا يريدون الحق لاكتفوا بشهادة ربهم.

﴿٥٤﴾ ألا إن المشركين في شك من لقاء ربهم يوم القيامة لإنكارهم البعث، فهم لا يؤمنون بالآخرة؛ لذلك لا يستعدون لها بالعمل الصالح، ألا إن الله بكل شيء محيط علمًا وقدرة.

﴿٥٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- علم الساعة عند الله وحده.
- تعامل الكافر مع نعم الله ونقمه فيه تخبط واضطراب.
- إحاطة الله بكل شيء علمًا وقدرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

٤٨٣

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان كمال تشريع الله، ووجوب متابعتها، والتحذير من مخالفته.

● التَّضْيِيرُ:

١) ﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢) مثل هذا الوحي يوحى إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبياء الله، الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تديبره وخلقها. ٣) لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتديراً، وهو العلي بذاته وقدره وقهره، العظيم في ذاته.

٤) ومن عظمت سبحانه تكاد السماوات مع عظمتها وارتفاعها يتشققن من فوق الأرضين، والملائكة ينزهون ربهم ويعظمونه حامدين له خضوعاً وإجلالاً، ويطلبون المغفرة من الله لمن في الأرض، ألا إن الله هو الغفور لذنوب من تاب من عباده، الرحيم بهم.

٥) والذين اتخذوا من دون الله أصناماً يوالونهم ويعبدونهم من دون الله، الله لهم بالمرصاد يسجل عليهم أعمالهم ويجازيهم بها، وما أنت - أيها الرسول - موكل بحفظ أعمالهم، فلن تُسأل عن أعمالهم، إنما أنت مبلغ.

٦) ومثلما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها الرسول - أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا لتُنْذِرَ مكة ومن حولها من قري العرب، ثم الناس جميعاً، وتخوف

الناس من يوم القيامة يوم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد للحساب والجزاء، لا شك في وقوع ذلك اليوم، والناس منقسمون فيه إلى فريقين: فريق في الجنة وهم المؤمنون، وفريق في النار وهم الكفار.

٧) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة على دين الإسلام لجعلهم أمة واحدة عليه، وأدخلهم جميعاً الجنة، ولكن اقتضت حكمته أن يدخل من يشاء في الإسلام، ويدخله الجنة، والظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي ما لهم من ولي يتولاهم، ولا نصير ينقذهم من عذاب الله.

٨) بل اتخذ هؤلاء المشركون من دون الله أولياء يتولونهم، والله هو الولي الحق، فغيره لا ينفع ولا يضر، وهو يحيي الموتى ببعثهم للحساب والجزاء، ولا يعجزه شيء سبحانه.

٩) وما اختلفتم - أيها الناس - فيه من شيء من أصول دينكم أو فروعه فحكمه إلى الله، فيرجع فيه إلى كتابه أو سنة رسوله ﷺ، هذا الذي يتصف بهذه الصفات هو ربي، عليه اعتمدت في أموري كلها، وإليه أرجع بالتوبة.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● عظمت الله ظاهرة في كل شيء. ● دعا الملائكة لأهل الإيمان بالخير. ● القرآن والسنة مرجعان للمؤمنين في شؤونهم كلها، وبخاصة عند الاختلاف. ● الاقتصاد على إنذار أهل مكة ومن حولها: لأنهم مقصودون بالرد عليهم لإنكارهم رسالته ﷺ وهو رسول للناس كافة كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ...﴾، (سبا: ٢٨).

﴿١١﴾ اللَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ أَزْوَاجًا، حَتَّى تَتَكَاثَرُوا مِنْ أَجْلِكُمْ، يَخْلُقُكُمْ فِيمَا جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بِالزَّوَاجِ، وَيَعِيشُكُمْ فِيمَا جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْعَامِكُمْ مِنْ لَحُومِهَا وَأَبْنَانِهَا، لَا يَمِثْلُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِقَوْلِ عِبَادِهِ، الْبَصِيرُ بِأَفْعَالِهِمْ، لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

﴿١٢﴾ لَهُ وَحْدَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُوَسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ اخْتِبَارًا لَهُ أَيشكر أم يكفر؟ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ؛ ابْتِلَاءً لَهُ أَيْصِيرُ أم يَسْخَطُ عَلَى قَدَرِ اللَّهِ؟ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا فِيهِ مَصَالِحُ عِبَادِهِ.

﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مِثْلَ مَا أَمَرْنَا نُوحًا بِتَبْلِيغِهِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - وَشَرَعَ لَكُمْ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْنَا إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بِتَبْلِيغِهِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَخِلَاصَتُهُ: أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ، وَاتْرَكُوا التَّفَرُّقَ فِيهِ، عَظُمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ، اللَّهُ يَصْطَلِفِي مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُوفِّقُهُ لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِهِ. ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا بِالْحُجَّةِ، وَمَا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِبَعْدِ مَا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَمَا كَانَ تَفَرُّقُهُمْ إِلَّا بِسَبَبِ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ، وَلَوْلَا مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنْ أَنَّهُ يُؤَخِّرُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أَمَدٍ مُحَدَّدٍ فِي عِلْمِهِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِحُكْمِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ، فَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ، وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا التَّوْرَةَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالْإِنْجِيلَ مِنَ النَّصَارَى مِنْ بَعْدِ أَسْلَافِهِمْ، وَمِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، لَفِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَمُكَذِّبُونَ بِهِ.

﴿١٥﴾ ادْعُ لِهَذَا الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاتَّبِعْ عَلَيْهِ وَفْقَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ الْبَاطِلَةَ، وَقُلْ عِنْدَ مُجَادِلَتِهِمْ: أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَأَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَحْكُمَ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ، اللَّهُ الَّذِي أَعْبَدُهُ رَبَّنَا وَرَبُّكُمْ جَمِيعًا، لَنَا أَعْمَالُنَا خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا، لَا جِدَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَتِ الْحُجَّةُ، وَاتَّضَحَتِ الْمَحْجَةُ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا جَمِيعًا، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجَازِي كُلًّا مِنْهُمَا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، فَيَتَبَيَّنُ عِنْدَئِذٍ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْمَحْقُوقُ مِنَ الْمُبْطَلِ.

﴿١٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- دِينُ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُسُوفِهِ دِينُ وَاحِدٍ.
- أَهْمِيَّةُ وَحِدَةِ الْكَلِمَةِ، وَخَطَرُ الْاِخْتِلَافِ فِيهَا.
- مِنْ مَقُومَاتِ نَجَاحِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: صِحَّةُ الْمَبْدَأِ، وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ، وَالْبَعْدُ عَنْ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ، وَالتَّرَكُّيزُ عَلَى الْمَشْتَرَكِ، وَتَرْكُ الْجِدَالِ الْعَقِيمِ، وَالتَّذَكُّيرُ بِالْمَصِيرِ الْمَشْتَرَكِ.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ وَحُجَّتْهُمْ
 دَاحِضَةٌ عَنْ دَرْبِهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 ١٦ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 ١٨ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ١٩
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
 ٢٠ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
 كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
 مِنْ نَصِيبٍ ٢١ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ أَشْرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
 مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ
 وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٢ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
 مَا يَشَاءُونَ عَنْ دَرْبِ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٢٣

١٦) والذين يجادلون بالحجج الباطلة في هذا الدين المنزل على محمد ﷺ بعدما استجاب الناس له، هؤلاء المجادلون حججتهم ذاهية وساقطة عند ربهم وعند المؤمنين، لا أثر لها، وعليهم غضب من الله لكفرهم ورفضهم الحق، ولهم عذاب شديد ينتظرهم يوم القيامة.

ولما يبين بطلان حجج الكافرين بين أصل الحجج الصحيحة التي يحتج بها المسلم وهي القرآن، فقال:

١٧) الله الذي أنزل القرآن بالحق الذي لا مرية فيه، وأنزل العدل ليحكم بين الناس بالإنصاف، وقد تكون الساعة التي يكذب بها هؤلاء قريبة، ومعلوم أن كل أت قريب.

١٨) يطلب الذين لا يؤمنون بها تعجيلها؛ لأنهم لا يؤمنون بحساب ولا ثواب ولا عقاب، والذين آمنوا بالله خائفون منها لخوفهم من مصيرهم فيها، ويعلمون علم اليقين أنها الحق الذي لا مرية فيه، ألا إن الذين يجادلون في الساعة ويخاصمون فيها، ويشككون في وقوعها، لفي ضلال بعيد عن الحق.

١٩) الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء، فيوسع له الرزق، ويضيّق على من يشاء بحسب اقتضاء حكمته ولطفه، وهو القوي الذي لا يغلبه أحد، العزيز الذي ينتقم من أعدائه.

٢٠) من كان يريد ثواب الآخرة عاملاً لها عملها، نضاعف له ثوابه، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن كان يريد الدنيا وحدها أعطيناها نصيبه المقدر له فيها، وليس له في الآخرة من حظ لإيثاره الدنيا عليها.

٢١) أم لهؤلاء المشركين آلهة من دون الله شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن لهم الله بشرعه من الشرك به وتحريم ما أحل، وتحليل ما حرم؟ ولولا ما ضربه الله من أجل محدّد للفصل بين المختلفين، وأنه يؤخرهم إليه لفصل بينهم، وإن الظالمين لأنفسهم بالشرك بالله والمعاصي لهم عذاب موع ينتظرهم يوم القيامة.

٢٢) ترى - أيها الرسول - الظالمين أنفسهم بالشرك والمعاصي خائفين من العقاب بما كسبوا من الإثم، والعقاب واقع بهم لا محالة، فلا يتفعّل الخوف المجرد عن توبة، والذين آمنوا بالله وبرسله وعملوا الأعمال الصالحات على النقيض منهم: فهم في بساطين الجنات يتعمّون، لهم ما يشاؤون عند ربهم من أنواع النعيم الذي لا ينقطع أبداً، ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل من قوايد الآيات:

- خوف المؤمن من أهوال يوم القيامة يعين على الاستعداد لها.
- لطف الله بعباده حيث يوسع الرزق على من يكون خيراً له، ويضيّق على من يكون التضيق خيراً له.
- خطر إيثار الدنيا على الآخرة.

﴿٢٣﴾ ذلك التبشير العظيم الذي يبشر الله به على يد رسوله الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، قل - أيها الرسول - لا أطلب منكم على تبليغ الحق ثواباً إلا ثواباً واحداً عائداً نفعه إليكم، وهو أن تحبوني لقرايتي فيكم، ومن يكسب حسنة نضاعف له أجره؛ الحسنة بعشر أمثالها، إن الله غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، شكور لأعمالهم الصالحة التي يعملونها ابتغاء وجهه. ﴿٢٤﴾ من زعم المشركين أن محمداً ﷺ قد اختلق هذا القرآن ونسبه لربه، ويقول الله ردّاً عليهم: لو حدثت نفسك أن تقتري كذباً لَطَبَعْتُ على قلبك، ومحوت الباطل المفترى، وأبقيت الحق، ولما لم يكن الأمر كذلك دلّ على صدق النبي ﷺ أنه موحى له من ربه، إنه عليم بما في قلوب عباده لا يخفى عليه شيء منه. ﴿٢٥﴾ وهو سبحانه الذي يقبل توبة عباده من الكفر والمعاصي إذا تابوا إليه، ويتجاوز عن سيئاتهم التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من شيء، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ﴿٢٦﴾ ويجب دعاء الذين آمنوا بالله وبرسله وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله على ما لم يسألوه، والكافرون بالله وبرسله لهم عذاب قوي ينتظرهم يوم القيامة. ﴿٢٧﴾ ولو وسّع الله الرزق لجميع عباده لطفوا في الأرض بالظلم، ولكنه سبحانه ينزل من الرزق بقدر ما يشاء من توسيع وتضييق، إنه خبير بأحوال عباده بصير بها، فيعطي لحكمة،

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۖ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَمَن يَخْتَرِقْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذْ يَأْتِيَنَّاهُمْ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

ويمنع لحكمة أيضاً.

﴿٢٣﴾ وهو الذي ينزل المطر على عباده من بعد ما يسوا من نزوله، وينشر هذا المطر فتبت الأرض، وهو المتولّي شؤون عباده المحمود على كل حال. ﴿٢٤﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته خلق السماوات وخلق الأرض، وما نشر فيهما من مخلوقات عجيبة، وهو على جمعهم للحشر والجزاء متى شاء قدير، لا يعجزه ذلك كما لم يعجزه خلقهم أول مرة. ﴿٢٥﴾ وما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في أنفسكم أو أموالكم فبما كسبته أيديكم من المعاصي، ويتجاوز الله لكم عن كثير منها، فلا يؤاخذكم به. ﴿٢٦﴾ ولستم بقادرين على النجاة من ربكم هرباً إذا أراد عقابكم، وليس لكم من دونه ولي يتولى أموركم، ولا نصير يرفع عنكم العذاب إن أرادكم بكم.

﴿٢٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الداعي إلى الله لا يبتغي الأجر عند الناس.
- التوسيع في الرزق والتضييق فيه خاضع لحكمة إلهية قد تخفى على كثير من الناس.
- الذنوب والمعاصي من أسباب المصائب.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٧﴾ أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۚ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حَيَصٍ ﴿٣٨﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٢﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٦﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾

٤٨٧

﴿٣٦﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحديته السفن التي تجري في البحر مثل الجبال في ارتفاعها وعلوها. ﴿٣٧﴾ إن يشأ الله إسكان الريح التي تسيّرهن أسكنها، فيظللن ثوابت في البحر لا يتحركن، إن في ذلك المذكور من خلق السفن وتسخير الرياح لدلالات واضحة على قدرة الله لكل صَبَّارٍ على البلاء والمحن، شكور لنعم الله عليه. ﴿٣٨﴾ أو إن يشأ سبحانه إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة عليها أهلها بسبب ما كسب الناس من الإثم، ويتجاوز عن كثير من ذنوب عباده فلا يعاقبهم عليها. ﴿٣٩﴾ ويعلم عند إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة الذين يجادلون في آيات الله لإبطالها ما لهم من مهرب عن الهلاك، فلا يدعون إلا الله، ويتركون من عداه. ﴿٤٠﴾ فما أعطيتكم - أيها الناس - من مال أو جاه أو ولد، فمتاع الحياة الدنيا وهو زائل منقطع، والنعيم الدائم هو نعيم الجنة الذي أعده الله للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم. ﴿٤١﴾ والذين يبتعدون عن كبائر الذنوب وقبائحها، وإذا غضبوا ممن أساء إليهم بالقول أو الفعل يغفرون له زلته، ولا يعاقبونه عليها، وهذا العفو تفضل منهم إذا كان فيه خير ومصلحة. ﴿٤٢﴾ والذين استجابوا لربهم؛ بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، والذين يتشاورون في الأمور التي تهمهم، ومما رزقناهم ينفقون ابتغاء وجه الله. ﴿٤٣﴾ والذين إذا أصابهم الظلم ينتصرون إكراماً لأنفسهم وإعزازاً لها، إذا كان الظالم غير أهل للعفو، وهذا الانتصار حق، بخاصة إذا لم يكن في العفو مصلحة. ﴿٤٤﴾ ومن أراد أن يأخذ حقه فله ذلك، لكن بالمثل دون زيادة أو تجاوز، ومن عفا عمن أساء إليه ولم يؤاخذه على إساءته، وأصلح ما بينه وبين أخيه فتوابه عند الله، إنه لا يحب الظالمين الذين يظلمون الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم، بل يبغضهم. ﴿٤٥﴾ ومن انتصر لنفسه فأولئك ما عليهم من مؤاخذه لأخذهم بحقوقهم. ﴿٤٦﴾ إنما المؤاخذه والعقاب للذين يظلمون الناس، ويعملون في الأرض بالمعاصي، أولئك لهم عذاب موعج في الآخرة. ﴿٤٧﴾ وأما من صبر على إيذاء غيره له، وتجاوز عنه، فإن ذلك الصبر مما يعود بالخير عليه وعلى المجتمع؛ وذلك أمر محمود، ولا يوفق له إلا ذو حظ عظيم. ﴿٤٨﴾ ومن خذله الله عن الهداية فأضله عن الحق فليس له ولي من بعده يتولى أمره، وترى الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي لما عاينوا العذاب يوم القيامة يقولون متمنين: هل للعودة إلى الدنيا طريق فتتوب إلى الله؟

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

● الصبر والشكر سببان للتوفيق للاعتبار بآيات الله. ● مكانة الشورى في الإسلام عظيمة. ● جواز مؤاخذه الظالم بمثل ظلمه، والعفو خير من ذلك.

﴿٤٤﴾ وترى - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين حين يُعْرَضُونَ على النار وهم أذلاء وخزايا ينظرون إلى النار خِلْسَةً من شدة خوفهم منها، وقال الذين آمنوا بالله وبرسوله: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ لَأَقْوَمُ من عذاب الله، ألا إن الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي في عذاب دائم لا ينقطع أبداً.

﴿٤٥﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم بإنقاذهم من عذاب الله يوم القيامة، ومن يخذله الله عن الحق فيضله فليس له أبداً من طريق تؤوله إلى الهداية إلى الحق.

﴿٤٦﴾ استجيبوا - أيها الناس - لربكم بالمسارعة إلى امتثال أوامره واجتنب نواهيه، وترك التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا دافع له، ما لكم من ملجأ تلجؤون إليه، وما لكم من إنكار تنكرون به ذنوبكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

﴿٤٧﴾ فإن أعرضوا عما أمرتهم به فما بعثناك - أيها الرسول - عليهم حفيظاً تحفظ أعمالهم، ليس عليك إلا تبليغ ما أمرت بتبليغه، وحسابهم على الله، وأنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة من غنى وصحة ونحوهما فرح بها، وإن يصب البشر بلاءً بمكرهه بسبب ذنوبهم؛ فإن طبيعتهم كفر نعم الله، وعدم شكرها، والتسخط مما قدره الله بحكمته.

﴿٤٨﴾ لله ملك السماوات وملك الأرض، يخلق ما يشاء من ذكر أو أنثى أو غير ذلك، يعطي لمن يشاء إناثاً ويحرمه الذكور، ويعطي لمن يشاء

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ
مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ سَبِيلَ ﴿٤٦﴾ أَسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ۖ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم
مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۖ وَإِنَّا إِذَا
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ۚ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ وَعَلَىٰ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

الذكور ويحرمه الإناث، أو يجعل لمن يشاء الذكور والإناث معاً، ويجعل من يشاء عقيماً لا يولد له، إنه عليم بما هو كائن وبما سيكون في المستقبل، وهذا من تمام علمه وكمال حكمته، لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء.

﴿٥١﴾ وما يصح لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً بالإلهام أو غيره، أو يكلمه، بحيث يسمع كلامه ولا يراه، أو يرسل إليه ملكاً رسولاً مثل جبريل، فيوحي إلى الرسول البشري بإذن الله ما يشاء الله أن يوحيه، إنه سبحانه عليٌّ في ذاته وصفاته، حكيم في خلقه وقدره وشرعه.

﴿٥٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- وجوب المسارعة إلى امتثال أوامر الله واجتنب نواهيه.
- مهمة الرسول البلاغ، والنتائج بيد الله.
- هبة الذكور أو الإناث أو جمعهما معاً هو على مقتضى علم الله بما يصلح لعباده، ليس فيها مزية للذكور دون الإناث.
- يوحى الله تعالى إلى أنبيائه بطرق شتى؛ لِحُكْمِ يعلمها سبحانه.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَافِي السَّمٰوٰتِ وَمَافِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

آياتها ٨٩

سُورَةُ الزُّحُرُفِ

مكيه ٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٤٨٩

﴿٥١﴾ وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها الرسول - أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تعلم قبله ما الكتب السماوية المنزلة على الرسل، وما كنت تعلم ما الإيمان؟ ولكن أنزلنا هذا القرآن ضياءً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتدلل الناس إلى طريق مستقيم هو دين الإسلام. ﴿٥٢﴾ طريق الله الذي له ما في السماوات، وله ما في الأرض، خلقًا وملكًا وتدييرًا، حتمًا إلى الله وحده ترجع الأمور في تقديرها وتدييرها.

سُورَةُ الزُّحُرُفِ

— مكية —

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التحذير من الافتتان بزخرف الحياة الدنيا؛ لئلا يكون وسيلة للشرك.

• التَّشْيِيرُ:

﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ أقسم الله بالقرآن الموضح لطريق الهداية إلى الحق.

﴿٢﴾ إنا جعلناه قرآنًا لسان العرب؛ رجاء أن تعقلوا - يا معشر من نزل بلسانكم - معانيه، وتفهموها لتتقلوها إلى الأمم الأخرى.

﴿٣﴾ وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ لذو علو ورفعة، وذو حكمة، قد أحكمت آياته في أوامره ونواهيه.

﴿٤﴾ أفنترك إنزال القرآن عليكم إعراضًا لأجل إكثاركم من الشرك والمعاصي؟ لا نفعل ذلك، بل الرحمة بكم تقتضي عكس هذا.

﴿٥﴾ وكم بعثنا من نبي في الأمم السابقة.

﴿٦﴾ وما يأتي تلك الأمم السابقة من نبي من عند الله إلا كانوا منه يسخرون.

﴿٧﴾ فأهلكنا من هم أشدَّ بطشًا من تلك الأمم، فلا نعجز عن إهلاك من هم أضعف منهم، ومضى في القرآن صفة إهلاك الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

﴿٨﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذابين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولنَّ جوابًا لسؤالك: خلقهنَّ العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بكل شيء.

﴿٩﴾ الله الذي مهد لكم الأرض فجعلها لكم وطاءً تطؤونها بأقدامكم، وصيّر لكم فيها طرقًا في جبالها وأوديتها؛ رجاء أن تسترشدوا بها في سيركم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• سمي الوحي روحًا لأهمية الوحي في هداية الناس، فهو بمنزلة الروح للجسد.

• الهداية المسندة إلى الرسول ﷺ هي هداية الإرشاد لا هداية التوفيق.

• ما عند المشركين من توحيد الربوبية لا ينفعهم يوم القيامة.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتَةً
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ أُتِخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفًا كَمْ
يَالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوَّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشِؤُنِي
الْحَلِيَّةَ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَتَيْنَاهُمُ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾

﴿١١﴾ والذي نزل من السماء ماءً بقدر ما يكفيكم، ويكفي بهائمكم وزروعكم، فأحيينا به بلدة قاحلة لا نبات بها، وكما أحيأ الله تلك الأرض القاحلة بالنبات يحييكم للبعث. ﴿١٢﴾ والذي خلق الأصناف جميعها، كالليل والنهار، والذكر والأنثى وغيرها، وصيّر لكم من السفن والأنعام ما تركبونه في أسفاركم، فتركبون السفن في البحر، وتركبون أنعامكم في البر. ﴿١٣﴾ صيّر لكم ذلك كله؛ رجاء أن تستقروا على ظهور ما تركبون منه في أسفاركم، ثم تذكروا نعمة ربكم بتسخيرها لكم إذا استقررتكم على ظهورها، وتقولوا بألسنتكم: ثنؤه وتقديسه الذي هيأ وذلّل لنا هذا المركوب فصرنا نتحكم فيه، وما كنا له مطيقين لولا تسخير الله له. ﴿١٤﴾ وإنا إلى ربنا وحده لراجعون بعد موتنا للحساب والجزاء. ﴿١٥﴾ وزعم المشركون أن بعض المخلوقات متولدة عن الخالق سبحانه حين قالوا: الملائكة بنات الله، إن الإنسان الذي يقول مثل هذا القول لكفور بين الكفر والضلال. ﴿١٦﴾ أقولون - أيها المشركون -: اتخذ الله مما يخلق بنات لنفسه، وأخلصكم بالذكر من الأولاد؟ فأي قسمة هذه القسمة التي زعمتم؟ ﴿١٧﴾ وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى التي ينسبها إلى ربه ظل وجهه مسوداً من شدة الهم والحزن، وظل هو ممتلئاً غيظاً، فكيف ينسب إلى ربه ما يغتم هو به إذا بُشِّرَ به؟ ﴿١٨﴾ أينسبون إلى ربهم من يرزى في

الزينة وهو في الجدل غير مبين الكلام لأنوثته؟

﴿١٩﴾ وسأول الملائكة الذين هم عباد الرحمن سبحانه: إنثاء، هل حضروا حين خلقهم الله، فتبينوا أنهم إنثاء؟ ستكتب الملائكة شهادتهم هذه، ويسألون عنها يوم القيامة، ويعذبون بها لذنوبهم.

﴿٢٠﴾ وقالوا محتجين بالقدر: لو شاء الله ألا نعبد الملائكة ما عبدناهم، فكونه شاء ذلك منا يدل على رضاه، ليس لهم بقولهم هذا من علم، إن هم إلا يكذبون.

﴿٢١﴾ أم أعطينا هؤلاء المشركين كتاباً من قبل القرآن يبيح لهم عبادة غير الله؟ فهم متمسكون بذلك الكتاب، محتجون به.

﴿٢٢﴾ لا، لم يقع ذلك، بل قالوا محتجين بالتقليد: إنا وجدنا آبائنا من قبلنا على دين وملة، وقد كانوا يعبدون الأصنام، وإنا ماضون على آثارهم في عبادتها.

﴿٢٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● كل نعمة تقتضي شكرًا.

● جور المشركين في تصوراتهم عن ربهم حين نسبوا الإنثاء إليه، وكبرهوه من أنفسهم.

● بطلان الاحتجاج على المعاصي بالقدر.

● المشاهدة أحد الأسس لإثبات الحقائق.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
 إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٤٣﴾
 * قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قُلْ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ
 كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
 ﴿٤٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ
 مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا
 لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ أَهَمْ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَوْلَا
 أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿٤٣﴾ وكما كذب هؤلاء، واحتجوا بتقليدهم لأبائهم، لم نبعث من قبلك - أيها الرسول - في قرية من رسول ينذر قومه إلا قال رؤسائهم وكبرائهم من أهل الثراء فيهم: إنا وجدنا آباءنا على دين وملة، وإنا متبعون لأثارهم. فليس قومك بدعا في ذلك.

﴿٤٤﴾ قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جننكم بما هو خير من ملتهم التي كانوا عليها؟ قالوا: إنا كافرون بالذي أرسلت به أنت ومن سبقك من الرسل.

﴿٤٥﴾ فانتقمنا من الأمم التي كذبت بالرسول من قبلك فأهلكناهم، فتأمل كيف كانت نهاية المكذبين برسولهم، فقد كانت نهاية أليمة.

﴿٤٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني بريء مما تعبدون من الأصنام من دون الله.

﴿٤٧﴾ إلا الله الذي خلقتني فإنه سيرشدني إلى ما فيه نفعي من اتباع دينه القويم. وصير إبراهيم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية في ذريته من بعده، فلا يزال فيهم من يوحد الله لا يشرك به شيئا؛ رجاء أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إليه من الشرك والمعاصي.

﴿٤٨﴾ لم أعاجل بالهلاك هؤلاء المشركين المكذبين، بل متعتهم بالبقاء في الدنيا، ومتعت آباءهم من قبلهم حتى جاءهم القرآن، ورسول مبين هو محمد ﷺ.

﴿٤٩﴾ ولما جاءهم هذا القرآن الذي هو الحق الذي لا مزية فيه قالوا: هذا سحر يسحرنا به محمد، وإنا به كافرون فلن نؤمن به.

﴿٥٠﴾ وقال المشركون المكذبون: هلا أنزل الله هذا القرآن على أحد رجلين عظيمين من مكة أو الطائف، بدلا من إنزاله على محمد الفقير اليتيم.

﴿٥١﴾ أهم يقسمون رحمة ربك - أيها الرسول - فيعطونها من يشاؤون ويمنعونها من يشاؤون أم الله؟ نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير؛ ليصير بعضهم مُسَحَّرًا لبعض، ورحمة ربك لعباده في الآخرة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا الفاني.

﴿٥٢﴾ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة في الكفر لجعلنا لبيوت من يكفر بالله سقوفًا من الفضة، وجعلنا لهم درجا عليه يصعدون.

﴿٥٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● التقليد من أسباب ضلال الأمم السابقة.

● البراءة من الكفر والكافرين لازمة.

● تقسيم الأرزاق خاضع لحكمة الله.

● حقارة الدنيا عند الله، فلو كانت تزن عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء.

لَهُمْ أَسْرَةً عَلَيْهِهَا يُتَكُونُ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ وَفِتْنَةً.

﴿٢٥﴾ وَلَجَعَلْنَا لَهُمْ ذَهَبًا، وَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَتَنَعَهُ قَلِيلٌ لَعَدَمِ بَقَائِهِ، وَمَا فِي الْآخِرَةِ مِنَ النِّعَمِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِّلْمُتَّقِينَ اللَّهُ بَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَنْظُرْ نَظْرَ غَيْرٍ مَّتَمَكَّنٍ فِي الْقُرْآنِ يُوَصِّلُهُ إِلَى الْإِعْرَاضِ يَعَاقِبُ بِتَسْلِيطِ شَيْطَانٍ مَلَازِمٍ لَهُ يَزِيدُهُ فِي الْغَوَايَةِ.

﴿٢٧﴾ وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقُرْنَاءُ الَّذِينَ يُسَلِّطُونَ عَلَى الْمَعْرُضِينَ عَنِ الْقُرْآنِ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ؛ فَلَا يَمْتَثِلُونَ أَوَامِرَهُ، وَلَا يَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَمَنْ تَمَّ فَهَمْ لَا يَتَوَبُّونَ مِنْ ضَلَالِهِمْ.

﴿٢٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا الْمُغْرَضُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ مَتَمَنِّيَا؛ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ - أَيُّهَا الْقَرِينُ - مَسَافَةٌ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتَقَبَّحْتَ مِنْ قَرِينٍ.

﴿٢٩﴾ قَالَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ - وَقَدْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي - اشْتَرَاكُمْ فِي الْعَذَابِ فَلَنْ يَحْمِلَ شُرَكَاءُكُمْ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِكُمْ.

﴿٣٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ صُنُّوا عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، غُمِّيَ عَنْ إِبْصَارِهِ، أَفَأَنْتَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعَ الصَّمِّ، أَوْ هِدَايَةَ الْعُمِيِّ، أَوْ هِدَايَةَ مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؟

﴿٣١﴾ فَإِنْ ذَهَبْنَا بِكَ - بِأَنَّ أَمْتًا كَ قَبْلَ أَنْ نَعَذِّبَهُمْ - فَإِنَّا مُنْتَقِمُونَ مِنْهُمْ بِتَعَذِّبِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلِبِئُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينٌ ﴿٢٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٣١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٧﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ بَعْضَ مَا نَعْدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ مَغَالِبَتَنَا فِي شَيْءٍ.

﴿٣٨﴾ فَتَمَسَّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - بِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبِّكَ، وَاعْمَلْ بِهِ، إِنَّكَ عَلَى طَرِيقٍ حَقٍّ لَا تُبْسُ فِيهِ.

﴿٣٩﴾ وَإِنْ هَذَا الْقُرْآنُ لَشَرَفٌ لَكَ، وَشَرَفٌ لِقَوْمِكَ، وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ هُدْيِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.

﴿٤٠﴾ وَاسْأَلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مَنْ بَعَثْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ: أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ مَعْبُودَاتٍ تُعْبَدُ؟

﴿٤١﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَآلِهِ مِنَ الْأَشْرَافِ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا.

﴿٤٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا صَارُوا مِنْهَا يَضْحَكُونَ؛ سَخَرِيَّةً وَاسْتَهْزَاءً.

﴿٤٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- خَطَرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ.
- الْقُرْآنُ شَرَفٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَأُمَّتِهِ.
- اتِّفَاقُ الرِّسَالَاتِ كُلِّهَا عَلَى نَبْذِ الشُّرْكِ.
- السَّخَرِيَّةُ مِنَ الْحَقِّ صِفَةٌ مِنَ صِفَاتِ الْكُفْرِ.

وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَيَّتُهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوُا لِيَ لَيْسَ لِي مَلِكٌ مِّصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأَتُكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا آلِ هَاشِمٍ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَّلَأَتُكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ ﴿٦٠﴾

٤٩٣

﴿٤٨﴾ وما نري فرعون والأشرف من قومه من حجة على صحة ما جاء به موسى ﷺ إلا كانت أعظم من الحجة التي قبلها، وأخذناهم بالعذاب في الدنيا؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الكفر، ولكن دونما فائدة.

﴿٤٩﴾ فقالوا لما نالهم بعض العذاب لموسى ﷺ: يا أيها الساحر، ادع لنا ربك بما ذكر لك من كشف العذاب إن آمنا، إنا لمهتدون إليه إن كشفه عنا. فلما صرفنا عنهم العذاب إذا هم ينقضون عهدهم، ولا يبنون به.

﴿٥١﴾ ونادى فرعون في قومه قائلاً في تبجح بملكه: يا قوم، أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار من النيل تجري تحت قصوري؟ أفلا تبصرون ملكي وتعرفون عظمتي؟

﴿٥٢﴾ فأنا خير من موسى الطريد الضعيف الذي لا يحسن الكلام.

﴿٥٣﴾ فهلاً ألقى الله الذي أرسله أسيرة من ذهب عليه؛ لتبين أنه رسوله، أو جاء معه الملائكة يتبع بعضهم بعضاً.

﴿٥٤﴾ فأغرى فرعون قومه، فأطاعوه في ضلاله، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله.

﴿٥٥﴾ فلما أغضبونا باستمرارهم على الكفر انتقمنا منهم، فأغرقناهم كلهم.

﴿٥٦﴾ فصيرنا فرعون وملائه مقدمة يقدمون للناس وكفار قومك لهم بالأثر، وصيرناهم عبرة لمن يعتبر؛ لئلا يعمل بعملهم فيصيبه ما أصابهم.

﴿٥٧﴾ ولما حسب المشركون أن عيسى الذي عبده النصارى داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنتَر لَهَا وَرْدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨) وقد نهى الله عن عبادته كما نهى عن عبادة الأصنام إذا قومك - أيها الرسول - يضجون ويصخبون في الخصومة قائلين: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى،

فأنزل الله رداً عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ مَعَهَا مِعْدُونُ﴾ (الأنبياء: ١٠١).

﴿٥٨﴾ وقالوا: أمعبودتنا خير أم عيسى؟ ما ضرب لك ابن الرِّبْعَرَى وأمثاله هذا المثل حباً للتوصل إلى الحق، ولكن حباً للجدل، فهم قوم مجبولون على الخصومة.

﴿٥٩﴾ ما عيسى بن مريم إلا عبد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وصيرناه مثلاً لبني إسرائيل يستدلون به على قدرة الله حين خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أبوين.

﴿٦٠﴾ ولو نشاء إهلاككم - يا بني آدم - لأهلكناكم، وجعلنا بدلکم ملائكة يخلفونكم في الأرض، يعبدون الله لا يشركون به شيئاً.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

- نكث العهود من صفات الكفار.
- الفاسق خفيف العقل يستخفه من أراد استخفافه.
- غضب الله يوجب الخسران.
- أهل الضلال يسعون إلى تحريف دلالات النص القرآني حسب أهوائهم.

﴿٦١﴾ وإن عيسى لعلامة من علامات الساعة الكبرى حين ينزل آخر الزمان، فلا تشكوا أن الساعة واقعة، واتبعوني فيما جئتكم به من عند الله، هذا الذي جئتكم به هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٦٢﴾ ولا يصرفكم الشيطان عن الصراط المستقيم بإغوائه واغرائه، إنه لكم عدو بين العداوة.

﴿٦٣﴾ ولما جاء عيسى ﷺ قومه بالأدلة الواضحة على أنه رسول، قال لهم: قد جئتكم من عند الله بالحكمة، ولأوضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور دينكم، فاتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه.

﴿٦٤﴾ إن الله هو ربي وربكم، لا رب لنا غيره، فأخلصوا له وحده العبادة، وهذا التوحيد هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٦٥﴾ فاختلفت طوائف النصارى في شأن عيسى؛ فمنهم من يقول: هو إله، ومن يقول: هو ابن الله، ومنهم من يقول: هو وأمّه إلهان، فويل للذين ظلموا أنفسهم - بما وصفوا به عيسى من الألوهية، أو البُتُوّة، أو أنه ثالث ثلاثة - من عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

﴿٦٦﴾ هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في شأن عيسى إلا الساعة أن تأتيهم فجأة وهم لا يحسّون بإتيانها؟! فإن جاءتهم وهم على كفرهم فإن مصيرهم العذاب الموجه.

﴿٦٧﴾ المتخائون والمتصادقون على الكفر والضلال بعضهم لبعض أعداء

وإنه ولعلكم للساعة فلا تَمْتَرَنَّ بها واتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَعْبَادُونَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

يوم القيامة إلا المتقين لله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، فخلّتهم دائمة لا تنقطع.

﴿٦١﴾ ويقول لهم الله: يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

﴿٦٢﴾ الذين آمنوا بالقرآن المنزل على رسولهم، وكانوا منقادين للقرآن: يأترون بأوامره، وينتهون عن نواهيه.

﴿٦٣﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأمثالكم في الإيمان، تسرون بما تلقونه من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع.

﴿٦٤﴾ يطوف عليهم خدامهم بأنية من ذهب وبأكواب لا عرى لها، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس، وتلذذ الأعين برويته، وأنتم فيها ماكثون، لا تخرجون منها أبداً.

﴿٦٥﴾ تلك الجنة التي وصفت لكم هي التي أورثكم الله إياها بأعمالكم فضلاً منه.

﴿٦٦﴾ لكم فيها فاكهة كثيرة لا تنقطع، منها تأكلون.

﴿٦٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى.

• انقطاع خلة الفساق يوم القيامة، ودوام خلة المتقين.

• بشارة الله للمؤمنين وتطمينه لهم عما خلفوا وراءهم من الدنيا وعما يستقبلونه في الآخرة.

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَىٰ أَيْمَلُكَ لِيَقْضَ عَلَيْهِ تَارِبُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَدْكُونٌ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّىٰ يَلْقَوُا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَآتَىٰ يُوفِّكَوْنَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

ولما ذكر الله جزاء المتقين ذكر جزاء من هم ضدّهم وهم المجرمون فقال:

﴿٧٤﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في عذاب جهنم يوم القيامة ماكثون فيه أبداً.

﴿٧٥﴾ لا يخفف عنهم العذاب، وهم فيه آيسون من رحمة الله.

﴿٧٦﴾ وما ظلمناهم حين أدخلناهم النار، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

﴿٧٧﴾ ونادوا خازن النار مالكاً قائلي: يا مالك، ليُمتننا ربك فتستريح من العذاب، فيجيبهم مالك بقوله: إنكم ماكثون في العذاب دائماً لا تموتون، ولا ينقطع عنكم العذاب.

﴿٧٨﴾ لقد جئناكم في الدنيا بالحق الذي لا مزية فيه، ولكن معظمكم للحق كارهون.

﴿٧٩﴾ فإن مكروا بالنبي ﷺ وأعدوا له كيذاً فإننا مُحْكِمُونَ لهم تدييراً يفوق كيدهم.

﴿٨٠﴾ أم يظنون أننا لا نسمع سرهم الذي أضمره في قلوبهم، أو سرهم الذي يتاجون به خفية، بلى إننا نسمع ذلك كله، والملائكة لديهم يكتبون كل ما عملوه.

﴿٨١﴾ قل - أيها الرسول - للذين ينسبون البنات لله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً: ما كان لله ولد؛ تنزه عن ذلك وتقدس، فأنا أول العابدين لله تعالى المنزهين له.

﴿٨٢﴾ تنزه رب السماوات والأرض ورب العرش عما يقوله هؤلاء المشركون من نسبة الشريك والصاحبة والولد إليه.

﴿٨٣﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا فيما هم عليه من الباطل، ويلعبوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة.

﴿٨٤﴾ وهو سبحانه المعبود في السماء بحق، وهو المعبود في الأرض بحق، وهو الحكيم في خلقه وتقديره وتدييره، العليم بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٨٥﴾ وتزايد خير الله وبركته سبحانه، الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض وملك ما بينهما، وعنده وحده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، لا يعلمها غيره، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿٨٦﴾ ولا يملك الذين يعبدونهم المشركون من دون الله الشفاعة عند الله، إلا من شهد أن لا إله إلا الله، وهو يعلم ما شهد به؛ مثل عيسى وعزير والملائكة.

﴿٨٧﴾ ولئن سألتهم: من خلقهم؟ ليقولن: خلقنا الله، فكيف يصرفون عن عبادته بعد هذا الاعتراف؟

﴿٨٨﴾ وعنده سبحانه علم شكوى رسوله من تكذيب قومه، وقوله فيها: يا رب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم. فاعرض عنهم، وقل لهم ما تدفع به شرهم - وكان هذا في مكة - فسوف يعلمون ما يلاقونه من العقاب.

﴿٨٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● كراهة الحق خطر عظيم. ● مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ● كلما ازداد علم العبد بربه، ازداد ثقة بربه وتسليماً لشرعه. ● اختصاص الله بعلم وقت الساعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكََةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا
مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ٩
فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشى النَّاسُ
هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ
١٢ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ
تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُ ١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنْ كُنْمْ عَائِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ
١٦ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ
١٧ أَنْ أَدَّوْا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨

٤٩٦

● من مقاصد السُّورَةِ:
تهديد المشركين ببيان ما ينتظرهم من العقوبة العاجلة والآجلة.
● التفسير:
١ ﴿حَمَّ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
٢ ﴿أقسام الله بالقرآن الموضح لطريق الهداية إلى الحق﴾.
٣ ﴿إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، وهي ليلة كثيرة الخيرات، إنا كنا مخوفين بهذا القرآن﴾.
٤ ﴿في هذه الليلة يفصل كل أمر محكم يتعلق بالأرزاق والأجال وغيرهما مما يحدثه الله تلك السنة﴾.
٥ ﴿نفصل كل أمر محكم من عندنا، إنا كنا باعثين الرسل﴾.
٦ ﴿نبعث الرسل رحمة من ربك - أيها الرسول - لمن أرسلوا إليهم، إنه سبحانه هو السميع لأقوال عباده، العلیم بأفعالهم ونياتهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك﴾.
٧ ﴿رب السماوات ورب الأرض ورب ما بينهما إن كنتم موقنين بذلك فأمّنوا برسولي﴾.
٨ ﴿لا معبود بحق غيره، يحيي ويميت، لا محيي ولا مميت غيره، ربكم ورب آبائكم المتقدمين﴾.
٩ ﴿ليس هؤلاء المشركون بموقنين بذلك، بل هم في شك منه يلهون عنه بما هم فيه من الباطل﴾.
١٠ ﴿فانتظر - أيها الرسول - عذاب قومك القريب يوم تأتي السماء بدخان﴾.
واضح يرونه بأعينهم من شدة الجوع.

١١ ﴿يَعْمُ قومك، ويقال لهم: هذا العذاب الذي أصابكم عذاب موحٍ﴾.
١٢ ﴿فيتضرعون إلى ربهم سائلين: ربنا اصرف عنا العذاب الذي أرسلته علينا، إنا مؤمنون بك وبرسولك إن صرفته عنا﴾.
١٣ ﴿كيف لهم أن يتذكروا وينبؤوا إلى ربهم وقد جاءهم رسول بين الرسالة، وعرفوا صدقه وأمانته؟﴾
١٤ ﴿ثم أعرضوا عن التصديق به، وقالوا عنه: هو معلم يعلمه غيره وليس برسول، وقالوا عنه: هو مجنون﴾.
١٥ ﴿إنا حين نصرف عنكم العذاب قليلاً، إنكم عائدون إلى كفركم وتكذيبكم﴾.
١٦ ﴿وانتظرهم - أيها الرسول - يوم نبطش بكفار قومك البطشة الكبرى يوم بدر، إنا منتقمون منهم لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله﴾.
١٧ ﴿ولقد اختبرنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم رسول من الله كريم يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وهو موسى عليه السلام﴾.
١٨ ﴿قال موسى لفرعون وقومه: اتركوا لي بني إسرائيل، فهم عباد الله، ليس لكم حق أن تستعبدهم، إني لكم رسول من الله، أمين على ما أمرني أن أبلغكم، لا أنقص منه شيئاً ولا أزيده﴾.
● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:
● نزول القرآن في ليلة القدر التي هي كثيرة الخيرات دلالة على عظم قدره. ● بعثة الرسل ونزول القرآن من مظاهر رحمة الله بعباده. ● رسالات الأنبياء تحرير للمستضعفين من قبضة المتكبرين.

وَأَنْ لَا تَعْلَوْا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ وَإِنِّي عُدْتُ
 بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَأَعْتَزَلُونِ ﴿١٨﴾
 فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
 مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ ﴿٢١﴾ كَمْ
 تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٢﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَنَعْمَةً
 كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنَ ﴿٢٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا
 بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
 نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٧﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَؤٌ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣١﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
 بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَتَوْا عَابَاءً نَارًا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ أَهْمُ
 خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
 مُّجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَإِعِينِ
 ﴿٣٥﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿١٦﴾ وألا تتكبروا على الله بترك عبادته، والاستعلاء على عبادِهِ، إني آتيتكم بحجة واضحة.

﴿١٧﴾ وإني اعتصمت بربي وربكم من أن تقتلوني بالرجم بالحجارة.

﴿١٨﴾ وإن لم تصدقوا بما جئت به فاعتزلوني، ولا تقربوني بسوء.

﴿١٩﴾ فدعا موسى ﷺ ربه: أن هؤلاء القوم - فرعون وملأه - قوم مجرمون يستحقون تعجيل العقاب.

﴿٢٠﴾ فأمر الله موسى أن يسري بقومه ليلاً، وأخبره أن فرعون وقومه سيقتلونهم.

﴿٢١﴾ وأمره إذا اجتاز البحر هو وبنو إسرائيل أن يتركه ساكناً كما كان، إن فرعون وجنده مهلكون بالفرق في البحر.

﴿٢٢﴾ كم خلف فرعون وقومه وراءهم من بساتين وعيون جارية!

﴿٢٣﴾ وكم خلفوا وراءهم من زروع ومجلس حسن!

﴿٢٤﴾ وكم خلفوا وراءهم من عيشة كانوا فيها متغممين!

﴿٢٥﴾ هكذا حدث لهم ما وُصِفَ لكم، وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم قوماً آخرين هم بنو إسرائيل.

﴿٢٦﴾ فما بك على فرعون وقومه السماء والأرض حين غرقوا، وما كانوا مُّهلِينَ حتى يتوبوا.

﴿٢٧﴾ ولقد أنقذنا بني إسرائيل من العذاب المُّزِيلِ، حيث كان فرعون وقومه يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم.

﴿٢٨﴾ أنقذناهم من عذاب فرعون، إنه كان مستكبراً من المتجاوزين لأمر الله ودينه.

﴿٢٩﴾ ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا على عالمي زمانهم لكثرة أنبيائهم.

﴿٣٠﴾ وأعطيناهم من الدلائل والبراهين التي أُيدنا بها موسى ما فيه نعمة ظاهرة لهم كالمن والسلوى وغيرهما.

﴿٣١﴾ إن هؤلاء المشركين المكذِبين ليقولون منكِرِينَ للبعث:

﴿٣٢﴾ ما هي إلا موتتنا الأولى فلا حياة بعدها، وما نحن بمبعوثين بعد هذه الموتة.

﴿٣٣﴾ فأت - يا محمد - أنت ومن معك من أتباعك بأبائنا الذين ماتوا أحياء إن كنتم صادقين فيما تدّعون من أن الله يبعث الموتى أحياء للحساب والجزاء.

﴿٣٤﴾ أهؤلاء المشركون المكذِبون بك - أيها الرسول - خير في القوة والمنعة، أم قوم تُبَّعٍ والذين من قبلهم مثل عاد وثمود، أهلكناهم جميعاً، إنهم كانوا مجرمين.

﴿٣٥﴾ وما خَلَقْنَا السماوات والأرض وما بينهما لأعبين بخلقها.

﴿٣٦﴾ ما خَلَقْنَا السماوات والأرض إلا لحكمة بالغة، ولكن معظم المشركين لا يعلمون ذلك.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● وجوب لجوء المؤمن إلى ربه أن يحفظه من كيد عدوّه. ● مشروعية الدعاء على الكفار عندما لا يستجيبون للدعوة، وعندما يحاربون أهلها. ● الكون لا يحزن لموت الكافر لهوانه على الله. ● خلق السماوات والأرض لحكمة بالغة يجهلها الملحدون.

﴿٤٠﴾ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَفْصِلُ
اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ مِيعَادٌ لِلْخَلَائِقِ
جَمِيعًا يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ فِيهِ.

﴿٤١﴾ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ، وَلَا
صَدِيقٌ صَدِيقَهُ، وَلَا هُمْ يَمْنَعُونَ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ، لَا
أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ ادِّعَاءَهُ.

﴿٤٢﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ،
فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ،
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ،
الرَّحِيمُ بِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ.

ولما ذكر الله القيامة ذكر افتراق
الناس فيها حسب الجزاء، فقال:

﴿٤٣﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ الَّتِي أَنْبَتَهَا
اللَّهُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ.

﴿٤٤﴾ طَعَامٌ ذِي الْإِثْمِ الْعَظِيمِ وَهُوَ
الْكَافِرُ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا الْخَبِيثِ.

﴿٤٥﴾ هَذَا الثَّمَرُ مِثْلُ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ، يَغْلِي
فِي بَطُونِهِمْ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهِ.

﴿٤٦﴾ كَفَلِيَ الْمَاءُ الْمَتَنَاهِي فِي الْحَرَارَةِ.
﴿٤٧﴾ وَيُقَالُ لَزَبَانِيَةِ النَّارِ: خَذَوْهُ فَجَزَّوْهُ

بَعْنَفٍ وَغُلْظَةٍ إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ.

﴿٤٨﴾ ثُمَّ صَبَّوْهُ فَوْقَ رَأْسِ هَذَا الْمُعَذَّبِ
الْمَاءِ الْحَارِفِ لَا يَفَارِقُهُ الْعَذَابُ.

﴿٤٩﴾ وَيُقَالُ لَهُ تَهَكُّمًا: ذُقْ هَذَا
العَذَابَ الْأَلِيمَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي

لَا يُضَامُ جَنَابُكَ الْكَرِيمِ فِي قَوْمِكَ.

﴿٥٠﴾ إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ
تَشْكُونَ فِي وَقْعِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَدْ

زَالَ عَنْكُمْ الشُّكُّ بِمَعَانِيَتِهِ.

﴿٥١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَرَبِّهِمْ بِامْتِثَالِ
أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ فِي مَوْضِعِ

إِقَامَةِ أَمْنٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ يُصِيبُهُمْ.

﴿٥٢﴾ فِي بَسَاتِينٍ وَعُيُونٍ جَارِيَةٍ.

﴿٥٣﴾ يَلْبَسُونَ فِي الْجَنَّةِ رَقِيْقَ الدِّيبَاجِ
وَعَلِيْظَهُ، يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى
عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ
الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ
الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذَوْهُ فَأَعْمَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صَبَّوْهُ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَكَهَةٍ أَمْنٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا
الْمَوْتَ الْأُولَى وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنَ
رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

آيَاتُهَا

٢٧

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

رَتَبْتُهَا

٤٥

ينظر أحدهم قضا الآخر.

﴿٥٥﴾ كما أكرمناهم بذلك المذكور زوجناهم في الجنة بالحسان من النساء واسعات الأعين مع شدة بياض بياضها وشدة سواد سوادها.

﴿٥٦﴾ يدعون خدمهم فيها ليأتوهم بكل فاكهة أرادوها آمنين من انقطاعها، ومن مضارها.

﴿٥٧﴾ خالدين فيها، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى في الحياة الدنيا، ووقاهم ربهم عذاب النار.

﴿٥٨﴾ تفضلاً وإحساناً من ربك بهم، ذلك المذكور - من إدخالهم الجنة، ووقايتهم من النار - هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

﴿٥٩﴾ فإنما يسرنا هذا القرآن وسهّلناه بإنزاله بلسانك العربي - أيها الرسول - لعلهم يتعظون.

﴿٥٩﴾ فانتظر نصرك وهلاكهم، إنهم منتظرون هلاكك.

﴿٥٩﴾ من قَوَائِدِ آيَاتٍ،

• الجمع بين العذاب الجسمي والنفسي للكافر.

• الفوز العظيم هو النجاة من النار ودخول الجنة.

• تيسير الله لفظ القرآن ومعانيه لعباده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَةٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَةٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ ءَايَةُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ ءَايَاتِ
اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ٩ مِّن رَّأْيِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا
هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجَرٍ أَلِيمٍ ١١
*اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣

٤٩٩

● مِنْ مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان أحوال الخلق من الآيات الشرعية والكونية، ونقض حجج منكري البعث المتكبرين وترهيبهم.

● التَّشْيِيرُ:

١ ﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتديبره.

٣ إن في السماوات والأرض لدلائل على قدرة الله ووحدانيته للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

٤ وفي خلقكم - أيها الناس - من نطفة، ثم من مضغة، ثم من علقه، وفي خلق ما بيئه الله من دابة تدب على وجه الأرض دلائل على وحدانيته لقوم يوقنون بأن الله هو الخالق.

٥ وفي تعاقب الليل والنهار، وفيما أنزل الله من السماء من المطر فأحيا به الأرض بانياتها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها، وفي تصريف الرياح بالإتيان بها مرة من جهة، ومرة من أخرى لمنافعكم؛ دلائل لقوم يعقلون، فيستدلون بها على وحدانية الله وقدرته على البعث، وقدرته على كل شيء.

٦ هذه الآيات والبراهين نتلوها عليك - أيها الرسول - بالحق، فإن لم يؤمنوا بحديث الله المنزل على عبده وبحججه، فبأي حديث بعده يؤمنون، وبأي حجج بعده يصدقون؟

٧ عذاب من الله وهلاك لكل كذاب كثير الأثام.

٨ يسمع هذا الكافر آيات الله في القرآن تقرأ عليه، ثم يستمر على ما كان عليه من الكفر والمعاصي؛ متعاليًا في نفسه عن اتباع الحق، كأنه لم يسمع تلك الآيات المقررة عليه، فأخبره - أيها الرسول - بما يسوؤه في آخرته، وهو عذاب موجه ينتظره فيها.

٩ وإذا بلغه شيء من القرآن اتخذهُ سخريه يسخر منه، أولئك المتصفون بصفة السخريه من القرآن لهم عذاب مدلٌ يوم القيامة.

١٠ من أمامهم نار جهنم تنتظرهم في الآخرة، ولا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال من الله شيئًا، ولا يدفع عنهم شيئًا ما اتخذوه من دونه من الأصنام التي يعبدونها من دونه، ولهم يوم القيامة عذاب عظيم.

١١ هذا الكتاب الذي أنزلناه على رسولنا محمد هادٍ إلى طريق الحق، والذين كفروا بآيات ربهم المنزلة على رسوله لهم عذاب سيئٌ موجه.

١٢ الله وحده هو الذي سَخَّرَ لكم - أيها الناس - البحر لتجري السفن فيه بأمره، ولتطلبوا من فضله بأنواع المكاسب المباحة، ولعلكم تشكرون نعمة الله عليكم.

١٣ وسَخَّرَ لكم سبحانه ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من أنهار وأشجار وجبال وغيرها، جميع هذه النعم من فضله وإحسانه، إن في تسخير ذلك لكم لدلائل على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يتفكرون في آياته، فيعتبرون بها.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الكذب والإصرار على الذنب والكبر والاستهزاء بآيات الله: صفات أهل الضلال، وقد توعد الله المتصف بها. ● نعم الله على عباده كثيرة، ومنها تسخير ما في الكون لهم. ● النعم تقتضي من العباد شكر المعبود الذي منحهم إياها.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول - للذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله: تجاوزوا عمن أساء إليكم من الكفار الذين لا يبالون بنعم الله أو نقمه، فإن الله سيجزي كلًا من المؤمنين الصابرين، والكفار المعتدين، بما كانوا يكسبون من الأعمال في الدنيا.

﴿١٥﴾ من عمل عملاً صالحاً فنتيجة عمله الصالح له، والله غني عن عمله، ومن أساء عمله فنتيجة عمله السيئ عقابه عليه، والله لا تضره إساءته، ثم إلينا وجدنا ترجعون في الآخرة لتجازي كلًا بما يستحقه.

﴿١٦﴾ ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة والفصل بين الناس بحكمها، وجعلنا معظم الأنبياء منهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، ورزقناهم من أنواع الطيبات، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

﴿١٧﴾ وأعطيناهم دلائل توضح الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما قامت عليهم الحجج ببعثة نبينا محمد عليه السلام، وما جرهم إلى هذا الاختلاف إلا بغى بعضهم على بعض حرصاً على الرئاسة والجاه، إن ربك - أيها الرسول - يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فبين من كان محقاً، ومن كان مبطلاً. ﴿١٨﴾ ثم جعلناك على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح، فاتبع هذه الشريعة، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون الحق؛ فأهواؤهم مضلة عن الحق.

﴿١٩﴾ إن الذين لا يعلمون الحق لن يكفوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت

أهواءهم، وإن الظالمين من جميع الملل واليحل بعضهم ناصر بعض، ومؤيده على المؤمنين، والله ناصر المتقين له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٢٠﴾ هذا القرآن المنزل على رسولنا يبصر بها الناس الحق من الباطل، وهداية إلى الحق، ورحمة لقوم يوقنون؛ لأنهم هم الذين يهتدون به إلى الصراط المستقيم ليرضى عنهم ربهم، فيدخلهم الجنة، ويزحزحهم عن النار.

﴿٢١﴾ هل يظن الذين اكتسبوا بجوارحهم الكفر والمعاصي أن نجعلهم في الجزاء مثل الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، بحيث يستون في الدنيا والآخرة؟ قبح حكمهم هذا.

﴿٢٢﴾ وخلق الله السماوات والأرض لحكمة بالغة، ولم يخلقهما عبثاً، ولتجزي كل نفس بما كسبته من خير أو شر، والله لا يظلمهم بقصص في حسناتهم، ولا زيادة في سيئاتهم.

﴿٢٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• العفو والتجاوز عن الظالم إذا لم يظهر الفساد في الأرض، ويعتد على حدود الله؛ خلق فاضل أمر الله به المؤمنين إن غلب على ظنهم العاقبة الحسنة.

• وجوب اتباع الشرع والبعد عن اتباع أهواء البشر.

• كما لا يستوي المؤمنون والكافرون في الصفات، فلا يستون في الجزاء.

• خلق الله السماوات والأرض وفق حكمة بالغة يجهلها الماديون الملهدون.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا ۚ بَيْنَهُمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿٢٣﴾ انظر - أيها الرسول - إلى من اتبع هواه وجعله بمنزلة المعبود له الذي لا يخالفه، فقد أضله الله على علم منه؛ لأنه يستحق الإضلال، وختم على قلبه فلا يسمع سماعاً ينتفع به، وجعل الله على بصره غطاءً يمنعه من إِبْصَارِ الحق، فمن الذي يوقِّعه للحق بعد أن أضله الله؟! أفلا تتذكرون ضرر اتباع الهوى، ونفع اتباع شرع الله؟

﴿٢٤﴾ وقال الكافرون المنكرون للبعث: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا هذه فقط، فلا حياة بعدها، تموت أجيال فلا تعود وتحيا أجيال، وما يميّتنا إلا تعاقب الليل والنهار، وليس لهم على إنكارهم للبعث من علم، إن هم إلا يظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

﴿٢٥﴾ وإذا تَفَرَّأ على المشركين المنكرين للبعث آياتنا واضحات ما كان لهم من حجة يحتجون بها إلا قولهم للرسول ﷺ وأصحابه: أحيوا لنا آبائنا الذين ماتوا إن كنتم صادقين في دعوى أننا نبعث بعد موتنا.

﴿٢٦﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله يحييكم بخلقكم ثم يميتكم، ثم يجمعكم بعد موتكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء، ذلك اليوم الذي لا شك فيه أنه آت، ولكن معظم الناس لا يعلمون؛ لذلك لا يستعدّون له بالعمل الصالح.

﴿٢٧﴾ والله وحده ملك السماوات وملك الأرض، فلا يُعْبَدُ بحق غيره فيهما، ويوم تقوم الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء يخسر أصحاب الباطل الذين كانوا يعبدون غير الله، ويسعون لإبطال الحق، وإحراق الباطل.

﴿٢٨﴾ وترى - أيها الرسول - في ذلك اليوم كل أمة باركة على ركبها تنتظر ما يفعل بها، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها الذي كتبه الحفظة من الملائكة، اليوم تجزون - أيها الناس - ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.

﴿٢٩﴾ هذا كتابنا - الذي كانت ملائكتنا تكتب فيه أعمالكم - يشهد عليكم بالحق فاقرووه، إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب ما كنتم تعملون في الدنيا.

﴿٣٠﴾ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم سبحانه في جنته برحمته؛ ذلك الجزاء الذي أعطاهم الله إياه هو الفوز الواضح الذي لا يدانيه فوز.

﴿٣١﴾ وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم تَبَكَّيْتُا لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم فتعاليتم على الإيمان بها، وكنتم قومًا مجرمين، تكسبون الكفر والآثام؟

﴿٣٢﴾ وإذا قيل لكم: إن وعد الله - الذي وعد به عباده أنه سيبعثهم ويجازيهم - حق لا مَرِيَةَ فيه، والساعة حق لا شك فيها فاعملوا لها، قلتم: ما ندري ما هذه الساعة، إن نظن إلا ظناً ضعيفاً أنها آتية، وما نحن بمستيقنين أنها ستأتي.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● اتباع الهوى يهلك صاحبه، ويحجب عنه أسباب التوفيق. ● هول يوم القيامة. ● الظن لا يغني من الحق شيئاً، خاصة في مجال

أَفْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَغَلَّقَ لَهُ قَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ أَتَى عَلَى اللَّهِ صَدِيقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِّينَ ﴿٣٢﴾

﴿٣٣﴾ وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم تَبَكَّيْتُا لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم فتعاليتم على الإيمان بها، وكنتم قومًا مجرمين، تكسبون الكفر والآثام؟

﴿٣٤﴾ وإذا قيل لكم: إن وعد الله - الذي وعد به عباده أنه سيبعثهم ويجازيهم - حق لا مَرِيَةَ فيه، والساعة حق لا شك فيها فاعملوا لها، قلتم: ما ندري ما هذه الساعة، إن نظن إلا ظناً ضعيفاً أنها آتية، وما نحن بمستيقنين أنها ستأتي.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● اتباع الهوى يهلك صاحبه، ويحجب عنه أسباب التوفيق. ● هول يوم القيامة. ● الظن لا يغني من الحق شيئاً، خاصة في مجال

الاعتقاد.

﴿٣٣﴾ وظهر لهم سيئات ما عملوه في الدنيا من الكفر والمعاصي، ونزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به عندما يحذرون منه.

﴿٣٤﴾ وقال لهم الله: اليوم نترككم في النار كما أنكم نسيتم لقاء يومكم هذا وما أولئك النار من ناصرين ﴿٣٥﴾ فلم تستعدوا له بالإيمان والعمل الصالح، ومستقرّكم الذي تأوون إليه هو النار، وليس لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله.

﴿٣٦﴾ ذلكم العذاب الذي عذبتم به بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزواً تسخرون منها، وخدعتم الحياة بلداتها وشهواتها، فاليوم لا يخرج هؤلاء الكفار المستهزئون بآيات الله من النار، بل يبقون فيها خالدين أبداً، ولا يردون إلى الحياة الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً، ولا يرضى عنهم ربهم.

﴿٣٧﴾ فله وحده الحمد، رب السموات ورب الأرض، ورب جميع المخلوقات. ﴿٣٨﴾ وله الجلال والعظمة في السموات وفي الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره وشرعه.

سُورَةُ الْاَحْقَافِ

— مكية —

• من مقاصد السورة:

بيان حاجة البشرية للرسالة وإنذار المعرضين عنها.

• التفسير:

﴿١﴾ حم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْاَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَوِّى بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾

وتقديره وشرعه.

﴿١﴾ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما عبثاً، بل خلقنا ذلك كله بالحق لحكم بالغة، منها أن يعرف العباد ربهم من خلالها فيعبده وحده، ولا يشركوا به شيئاً، وليقوموا بمقتضيات استخلافهم في الأرض إلى أمد محدد يعلمه الله وحده، والذين كفروا بالله معرضون عما أُنذروا به في كتاب الله، لا يبالون به.

﴿٢﴾ أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المعرضين عن الحق: أخبروني عن أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ما ذا خلقوا من أجزاء الأرض؟ هل خلقوا جبلاً؟ هل خلقوا نهراً؟ أم لهم شرك نصيب مع الله في خلق السموات؟ جيئوني بكتاب منزل من عند الله من قبل القرآن، أو ببقية علم مما تركه الأولون إن كنتم صادقين في دعواكم أن أصنامكم تستحق العبادة.

﴿٣﴾ ولا أحد أضلُّ ممن يعبد من دون الله صنماً لا يستجيب لدعائه إلى يوم القيامة، وهذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله غافلة عن دعاء عبّادها لها؛ فضلاً أن تتفهم أو تضرهم.

• من فوائد الآيات:

- الاستهزاء بآيات الله كفر.
- خطر الاغترار ببلدات الدنيا وشهواتها.
- ثبوت صفة الكبرياء لله تعالى.
- إجابة الدعاء من أظهر أدلة وجود الله ﷻ واستحقاقه العبادة.

١٠ ومع كونها لا تنفعهم في الدنيا فإنهم إذا حُشروا يوم القيامة يكونون أعداء لمن كانوا يعبدونهم، ويتبرؤون منهم، وينكرون أنهم كانوا على علم بعبادتهم إياهم.

١١ وإذا تُقرأ عليهم آياتنا المنزل على رسولنا قال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم على يد رسولهم: هذا سحر واضح، وليس وحياً من الله.

١٢ هل يقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن، ونسبه إلى الله؟! قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته من تلقاء نفسي فلا تملكون لي حيلة إن أراد الله أن يعذبني، فكيف أعرض نفسي للعذاب بالاختلاق عليه؟! الله أعلم بما تخوضون فيه من الطعن في قرآنه والقدح في، كفى به سبحانه شهيداً بيني وبينكم، وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، الرحيم بهم.

١٣ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بنبوتك: ما كنت أول رسول يبعثه الله فتستغربوا دعوتي لكم، فقد سبقني رسل كثيرون، ولا أعلم ما يفعله الله بي، ولا ما يفعله بكم في الدنيا، إن أتبع إلا ما يوحى الله إلي، فلا أقول ولا أفعل إلا وفق ما يوحى، وما أنا إلا نذير أنذركم عذاب الله، بين النذارة.

١٤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرت به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أنه من عند الله؛ اعتماداً على ما جاء في التوراة بشأنه، فأمن هو به، واستكبرتم عن الإيمان به - أستم حينئذ الظالمين؟! إن الله لا يوفق القوم الظالمين للحق.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ١٠ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٢ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٣ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَائِمٌ وَأُسْتُكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيْقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ١٥ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ١٦ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٨

١١ وقال الذين كفروا بالقرآن وبما جاءهم به رسولهم للذين آمنوا: لو كان ما جاء به محمد حقاً يهدي إلى الخير ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء والعبيد والضعفاء. ولأنهم لم يهتدوا بما جاءهم به رسولهم فسيقولون: هذا الذي جاءنا به كذب قديم، ونحن لا نتبع الكذب. ١٢ ومن قبل هذا القرآن التوراة الكتاب الذي أنزله الله على موسى ﷺ إماماً يُقْتَدَى به في الحق، ورحمة لمن آمن به واتبعه من بني إسرائيل، وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ كتاب مصدق لما سبقه من الكتب بلسان عربي؛ لينذر به الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله وبفعل المعاصي، وهو بشارة للمحسنين الذين أحسنوا علاقته مع خالقهم وعلاقته مع خلقه. ١٣ إن الذين قالوا: ربنا الله لا رب لنا غيره، ثم استقاموا على الإيمان والعمل الصالح، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، ولا على ما خلفوه وراءهم.

١٤ أولئك الموصوفون بتلك الصفات أصحاب الجنة ماكثون فيها أبداً؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة التي قدموها في الدنيا.

١٥ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- كل من عُبد من دون الله ينكر على من عبده من الكافرين.
- عدم معرفة النبي ﷺ بالغيب إلا ما أطلعه الله عليه منه.
- وجود ما يثبت نبوة نبينا ﷺ في الكتب السابقة.
- بيان فضل الاستقامة وجزاء أصحابها.

يحسن إلى والديه، بأن يبرهما في حياتهما، وبعد موتهما بما لا مخالفة فيه للشرع، وعلى وجه الخصوص أمه التي حملته **بمشقة** ووضعته **بمشقة**، ومدة حملها التي مكثها وبدء **فطامه**؛

ثلاثون شهرًا، حتى إذا بلغ اكتمال قوته العقلية والبدنية وبلغ أربعين سنة قال: رب، ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحًا ترضيه وأصلح لي في ذريّتي **﴿١٥﴾** إني تبت إليك وإني من المسلمين **﴿١٥﴾** أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يعدون **﴿١٦﴾** والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أسطير الأولين **﴿١٧﴾** أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين **﴿١٨﴾** ولكل درجت مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون **﴿١٩﴾** ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون **﴿٢٠﴾**

لطاعتك، المستسلمين لأوامرك. **﴿١٦﴾** أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا من الأعمال الصالحات، ونتجاوز عن سيئاتهم، فلا نؤاخذهم بها، وهم في جملة أهل الجنة، هذا الوعد الذي وعدوا به وعد صدق، سيتحقق لا محالة.

ولما ذكر مثالًا للبار بأبويه ترغيبًا في البر، ذكر مثالًا للعاق تضرعًا من العقوق، فقال:

﴿١٧﴾ والذي قال لوالديه: تبتا لكما، أتعدانني أن أخرج من قبري حيًا بعد موتي، وقد مضت القرون الكثيرة، ومات الناس فيها فلم يبعث أحد منهم حيًا؟ والداد يطلبان الغوث من الله أن يهدي ابنهما للإيمان، ويقولان لابنهما: هلاك لك إن لم تؤمن بالبعث فأمن به، إن وعد الله بالبعث حق لا مربة فيه، فيقول هو مجددًا إنكاره للبعث: ما هذا الذي يقال عن البعث إلا منقول من كتب المتقدمين وما سطره، لا يثبت عن الله.

﴿١٨﴾ أولئك الذين وجب لهم العذاب

في جملة أمم من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين؛ حيث خسروا أنفسهم وأهلهم بدخولهم النار. **﴿١٩﴾** ولكلا الفريقين - فريق الجنة، وفريق السعير - مراتب حسب أعمالهم، فمراتب أهل الجنة درجات عالية، ومراتب أهل النار درجات سافلة، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون يوم القيامة بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم. **﴿٢٠﴾** ويوم يعرض الذين كفروا بالله وكذبوا رسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم توبيخًا لهم وتقريرًا: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بما فيها من الملذات، أما في هذا اليوم فتجزون العذاب الذي يهينكم ويذلكم بسبب تكبركم في الأرض بغير الحق، وبسبب خروجكم عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

من فوائد الآيات:

- بيان مكانة برّ الوالدين في الإسلام، بخاصة في حق الأم، والتحذير من العقوق.
- بيان خطر التوسع في ملأ الدنيا؛ لأنها تشغل عن الآخرة.
- بيان الوعيد الشديد لأصحاب الكبر والفسق.

وَأَذْكُرُ أَخَاعَادٍ إِذْ أُنْذِرُ قَوْمَهُ بِأَلْحَقَافٍ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
 بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
 رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّكُمْ فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفِئْدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
 وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِئْدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يُحْجَدُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٧﴾
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٤١﴾ واذكر - أيها الرسول - هودًا أخا عاد في النسب حين أنذر قومه من وقوع عذاب الله عليهم، وهم بمنازلهم بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل منذرين قومهم قبل هود وبعده، قائلين لأقوامهم: لا تعبدوا إلا الله وحده، فلا تعبدوا معه غيره، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

﴿٤٢﴾ قال له قومه: أجئنا لتصرفنا عن عبادة آلِهتنا؟ لن يكون لك ذلك، فأنتما بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقًا فيما تدعيه.

﴿٤٣﴾ قال: إنما علم وقت العذاب عند الله، وأنا لا علم لي به، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قَوْمًا تجهلون ما فيه نفعكم فتتركونه، وما فيه ضرركم فتأتونه.

﴿٤٤﴾ فلما جاءهم ما استعجلوا به من العذاب، فرأوه سحابًا معترضًا في جهة من السماء متجهًا لأوديتهم قالوا: هذا عارض مصيبنا بالمطر، قال لهم هود: ليس الأمر كما ظننتم من أنه سحاب ممطركم، بل هو العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم.

﴿٤٥﴾ تدمر كل شيء مرت عليه مما أمرها الله بإهلاكه، فأصبحوا هلكى، لا يرى إلا بيوتهم التي كانوا يسكنونها شاهدة على وجودهم فيها من قبل، مثل هذا الجزاء المؤلم نجزي المجرمين المصيرين على كفرهم ومعاصيهم.

﴿٤٦﴾ ولقد أعطينا قوم هود من أسباب التمكين ما لم نعطكم إياه، وجعلنا لهم أسماغا يسمعون بها، وأبصارًا يبصرون بها، وقلوبًا يعقلون بها، فما أغنت عنهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا عقولهم من شيء، فلم تدفع عنهم عذاب الله لما جاءهم، إذ كانوا يكفرون بآيات الله، ونزل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب الذي خوفهم منه نبيهم هود.

﴿٤٧﴾ ولقد أهلكنا ما حولكم - يا أهل مكة - من القرى، فقد أهلكنا عادًا وثمود وقوم لوط، وأصحاب مدين، ونوعنا لهم الحج والبراهين؛ رجاء أن يرجعوا عن كفرهم.

﴿٤٨﴾ فها هنا نصرتهم الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله يتقربون إليها بالعبادة والذبح؛ لم تنصروهم قطًا، بل غابت عنهم أحوالهم ما كانوا إليها، وذلك كذبتهم وافترأهم الذي متوا به أنفسهم أن هذه الأصنام تنفعهم وتشفع لهم عند الله.

● من قواعد الآيات،

- لا علم للرسل بالغيب إلا ما أطلعهم ربهم عليه منه.
- اغترار قوم هود حين ظنوا العذاب النازل بهم مطرًا، فلم يتوبوا قبل مباغتته لهم.
- قوة قوم عاد فوق قوة قريش، ومع ذلك أهلكهم الله.
- العاقل من يتعظ بغيره، والجاهل من يتعظ بنفسه.

﴿٢٩﴾ واذكر - أيها الرسول - حين أرسلنا إليك فريقًا من الجن يستمعون القرآن المنزل عليك، فلما حضروا لسماعه قال بعضهم لبعض: أنصتوا حتى نتمكن من سماعه، فلما أنهى الرسول ﷺ قراءته رجعوا إلى قومهم ينذرونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

﴿٣٠﴾ قالوا لهم: يا قومنا، إنا سمعنا كتابًا أنزله الله من بعد موسى مصدقًا لما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله، هذا الكتاب الذي سمعناه يرشد إلى الحق، ويهدي إلى طريق مستقيم، وهو طريق الإسلام.

﴿٣١﴾ يا قومنا، أجيئوا محمدًا إلى ما دعاكم إليه من الحق، وآمنوا أنه رسول من ربه، يغفر لكم الله ذنوبكم، ويسلمكم من عذاب موجه ينتظركم إذا لم تجيبوه إلى ما دعاكم إليه من الحق، ولم تؤمنوا أنه رسول من ربه. ﴿٣٢﴾ ومن لا يجب محمدًا ﷺ إلى ما يدعوه إليه من الحق فلن يفوت الله بالهرب في الأرض، وليس له من دون الله من أولياء ينقذونه من العذاب، أولئك في ضلال عن الحق واضح.

﴿٣٣﴾ أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض ولم يعجز عن خلقهن مع ضخامتهن واتساعهن قادر على أن يحيي الموتى للحساب والجزاء؟ بلى، إنه لقادر على إحيائهم، إنه سبحانه على كل شيء قدير، فلا يعجز عن إحياء الموتى.

﴿٣٤﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وبرسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال توبيخًا لهم: أليس هذا الذي تشاهدونه

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَكُونُوا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ الْإِلَهِ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يُومَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَغَ فُهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﴿٤٧﴾ رَتَبَهَا ٣٨

٥٠٦

من العذاب حقًا؟ أم أنه كذب كما كنتم تقولون في الدنيا؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب كفركم بالله. ﴿٣٥﴾ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك مثل ما صبر أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، ولا تستعجل لهم العذاب، كأن المكذبين من قومك يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الآخرة لم يملأوا الدنيا إلا ساعة من نهار لطول عذابهم، هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ بلاغ وكفاية للإنس والجن، فإنه لا يهلك باللعذاب إلا القوم الخارجون عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٣٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- من حسن الأدب الاستماع إلى المتكلم والإنصات له.
- سرعة استجابة المهتدين من الجن إلى الحق رسالة ترغيب إلى الإنس.
- الاستجابة إلى الحق تقتضي المسارعة في الدعوة إليه.
- الصبر خلق الأنبياء ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ❶ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ❷ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ❸ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَتَابَعْدُ وَمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أُوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ❹ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ❺ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا اللَّهُ ❻ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِن تَصُرُوا اللَّهَ يَصْرُكُمُ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ❼ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَعَسَى لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ❽ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ❾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ❿ ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⓫

٥٠٧

وانتصار بعضهم على بعض، هو حكم الله، ولو يشاء الله الانتصار من الكفار دون قتال لانتصر منهم، لكنه شرع الجهاد ليختبر بعضهم ببعض، فيختبر من يقاتل من المؤمنين ومن لا يقاتل، ويختبر الكافر بالمؤمن، فإن قتل المؤمن دخل الجنة، وإن قتله المؤمن دخل هو النار، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبط الله أعمالهم.

❶ سيوفقهم لاتباع الحق في حياتهم الدنيا، ويصلح شأنهم.

❷ ويدخلهم الجنة يوم القيامة، يتيها لهم بأوصافها في الدنيا ففرغوها، وعرفهم منازلهم فيها في الآخرة. ❸ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع لهم، إن تتصروا الله ينصر نبيه ودينه، وبقاتل الكفار، ينصركم بمنحكم الغلبة عليهم، ويثبت أقدامكم في الحرب عند لقاءهم. ❹ والذين كفروا بالله وبرسوله فلهم الخسران والهلاك، وأبطال الله ثواب أعمالهم. ❺ ذلك العقاب الواقع بهم بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن لما فيه من توحيد الله، فأحبط الله أعمالهم، فخرسوا في الدنيا والآخرة. ❻ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض، فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من قبلهم، فقد كانت نهاية مؤلمة، دمر الله عليهم مساكنهم، فأهلكهم وأهلك أولادهم وأموالهم، وللکافرين في كل زمان ومكان أمثال تلك العقوبات. ❼ ذلك الجزء المذكور للفريقين؛ لأن الله ناصر الذين آمنوا به، وأن الكافرين لا ناصر لهم.

❸ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● النكاية في العدو بالقتل وسيلة مُثْلَى لإخضاعه. ● المن والفداء والقتل والاسترقاق خيارات في الإسلام للتعامل مع الأسير الكافر، يؤخذ منها ما يحقق المصلحة. ● عظم فضل الشهادة في سبيل الله. ● نصر الله للمؤمنين مشروط بنصرهم لدينه.

❶ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحريض المؤمنين على القتال، تقوية لهم وتوهمياً للکافرين.

❷ التفسير:

❶ الذين كفروا بالله وصرفوا الناس عن دين الله، أبطل الله أعمالهم.

❷ والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، وآمنوا بما نزله الله على رسوله محمد ﷺ - وهو الحق من ربهم - كُفِّرَ عنهم سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها، وأصلح لهم شؤونهم الدنيوية والأخروية.

❸ ذلك الجزء المذكور للفريقين هو بسبب أن الذين كفروا بالله اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا بالله وبرسوله اتبعوا الحق من ربهم، فاختلف جزاؤهما لاختلاف سعيهما، كما بين الله حكمه في الفريقين: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، يضرب الله للناس أمثالهم، فيلحق النظمير بالنظير.

❹ فإذا لقيتم - أيها المؤمنون - المحاربين من الذين كفروا فاضربوا رقابهم بسيوفكم، واستمروا في قتالهم حتى تكتروا فيهم القتل، فتستأصلوا شوكتهم، فإذا أكثرتم فيهم القتل فشددوا قيود الأسرى، فإذا أسرتهم فلكم الخيار حسب ما تقتضيه المصلحة؛ بين المَنِّ عليهم بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو مفاداتهم بمال أو غيره، وأصلوا قتالهم وأسروهم حتى تنتهي الحرب بإسلام الكفار أو معاهدتهم. ذلك المذكور من ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام

﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُمْتَعُونَ فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ شَهْوَاهِهِمْ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، هُمْ فِي النَّارِ هُمْ إِلَّا بِطَوْلِهِمْ وَفِرْجِهِمْ، وَالنَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ مُسْتَقَرُّهُمْ الَّذِي يَأْوِنُونَ إِلَيْهِ.

﴿١٨﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوَّلَادًا مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلُهَا مِنْهَا، أَهْلُكُنَاهُمْ لَمَّا كَذَبُوا رُسُلَهُمْ، فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ يَنْقُذُهُمْ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَهُمْ، فَلَا يَعْجِزُنَا إِهْلَاكُ أَهْلِ مَكَّةَ إِذَا أُرْدِنَاهُمْ.

﴿١٩﴾ هَلْ مِنْ كَانَ لَهُ بَرَهَانٌ بَيِّنٌ وَحُجَّةٌ وَاضِحَةٌ مِنْ رَبِّهِ، فَهُوَ يَعْجِزُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ، كَمَنْ زَيْنَ لَهُ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا مَا تَمْلِيهِ عَلَيْهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَارْتِكَابِ الْإِثْمِ، وَالتَّكْذِيبِ بِالرُّسُلِ؟

﴿٢٠﴾ صِفَةُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ لَهُ - بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ - أَنْ يَدْخُلَهُمْ فِيهَا: فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مُتَغَيِّرٍ رِيحًا وَلَا طَعْمًا لَطُولُ مُكُوثٍ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذَةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُفِّيَ مِنَ الشَّوَابِ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ مَا يَشَاءُونَ، وَلَهُمْ فِيهِ ذَلِكَ كُلُّهُ مَجُودٌ مِنَ اللَّهِ لِدُنُوبِهِمْ، فَلَا يَأْخُذُهُمْ بِهَا، هَلْ يَسْتَوِي مَنْ كَانَ هَذَا جِزَاءَهُ مَعَ مَنْ هُوَ مَأْكُوفٌ فِي النَّارِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا، وَسُقُوا مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ، فَقُطِّعَ أَمْعَاءُ بَطُونِهِمْ مِنْ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُمْتَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ وَسُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٩﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٢٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿٢٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٢٣﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٤﴾

﴿٢١﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - سَمَاعًا لَا يَقْبُولُ مَعَهُ، بَلْ مَعَ إِعْرَاضٍ، حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُعْطَاهُمُ اللَّهُ عِلْمًا: مَاذَا قَالَ فِي حَدِيثِهِ قَرِيبًا؟ تَجَاهُلًا مِنْهُمْ وَإِعْرَاضًا، أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَيْرٌ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَأَعْمَتَهُمْ عَنِ الْحَقِّ.

﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَاتَّبَعُوا مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ ﷺ، زَادَهُمْ رَبُّهُمْ هُدًى وَتَوْفِيقًا لِلْخَيْرِ، وَاللَّهُمَّ الْعَمَلُ بِمَا يَقِيهِمْ مِنَ النَّارِ.

﴿٢٣﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُ الْكَافِرُ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ سَابِقٍ لَهُمْ بِهَا؟ فَقَدْ جَاءَتْ عِلَامَاتُهَا، وَمِنْهَا بَعْثُهُ ﷺ، وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، فَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يَتَذَكَّرُوا إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ؟

﴿٢٤﴾ فَأَيُّنَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِ اللَّهِ، وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ لِدُنُوبِكَ، وَاطْلُبْ الْمَغْفِرَةَ مِنْهُ لِدُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُنُوبِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ تَصَرُّفَكُمْ فِي نَهَارِكُمْ، وَمُسْتَقَرَّكُمْ بِلِيلِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اقْتِصَارُ هَمِّ الْكَافِرِ عَلَى التَّمَتُّعِ فِي الدُّنْيَا بِالْمَتَاعِ الزَّائِلَةِ. • الْمَقَابِلَةُ بَيْنَ جِزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَجِزَاءِ الْكَافِرِينَ تَبَيَّنَ الْفَرْقُ الشَّاسِعَ بَيْنَهُمَا: لِيَخْتَارَ الْعَاقِلُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا، وَيَخْتَارَ الْأَحْمَقُ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا. • بَيَانُ سُوءِ أَدَبِ الْمُنَافِقِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

﴿٢٠﴾ ويقول الذين آمنوا بالله - متمنين أن ينزل الله على رسوله سورة تشتمل على حكم القتال - : هَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ سورة فيها ذِكْرُ القتال، فإذا أنزل الله سورة محكمة في بيانها وأحكامها مشتملة على ذكر القتال، رأيت - أيها الرسول - الذين في قلوبهم شك من المنافقين ينظرون إليك نظر من غشي عليه من شدة الخوف والرعب، فتوعدهم الله بأن عذابهم قد وليهم وقرب منهم بسبب النكوص عن القتال والخوف منه.

﴿٢١﴾ أن يطيعوا أمر الله، وأن يقولوا قولاً معروفاً لا تكفر فيه خير لهم، فإذا فرض القتال وجدَّ الجدَّ، فلو صدقوا الله في إيمانهم به، وطاعتهم له لكان خيراً لهم من النفاق وعصيان أوامر الله.

﴿٢٢﴾ ويغلب على حالكم إن أعرضتم عن الإيمان بالله وطاعته أنكم تفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، وتقطعون أواصر الرحم؛ كما كانت حالكم في الجاهلية.

﴿٢٣﴾ أولئك المتصنفون بالإفساد في الأرض وتقطع الأرحام هم الذين أبعدهم الله عن رحمته، وأصم أذانهم عن سماع الحق سماع قبول واذعان، وأعمى أبصارهم عن إبصاره إبصار اعتبار.

﴿٢٤﴾ فهَلَا تدبر هؤلاء المُعْرِضُونَ القرآن وتأملوا ما فيه؟! فلو تدبروه لدلَّهم على كل خير، وأبعدهم عن كل شرٍّ، أم على قلوب هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى؟!

﴿٢٥﴾ إن الذين ارتدوا عن إيمانهم إلى الكفر والنفاق، من بعد ما قامت عليهم الحجة، وتبين لهم صدق النبي ﷺ، الشيطان هو الذي زين لهم الكفر والنفاق وسَّهله لهم، ومَنَاهم بطول الأمل.

﴿٢٦﴾ ذلك الإضلال الحاصل لهم بسبب أنهم قالوا سرّاً للمشركين الذين كرهوا ما نزل الله على رسوله من الوحي: سنطيعكم في بعض الأمر كالتيثيط عن القتال. والله يعلم ما يسرونه ويخفونه، لا يخفى عليه شيء، فيظهر ما شاء منه لرسوله ﷺ.

﴿٢٧﴾ فكيف ترى ما هم فيه من العذاب والحال الشنيعة التي هم عليها إذا قبضت أرواحهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم يضربون وجوههم وأدبارهم بمقامع الحديد.

﴿٢٨﴾ ذلك العذاب بسبب أنهم اتبعوا كل ما أغضب الله عليهم؛ من الكفر والنفاق ومحادة الله ورسوله، وكرهوا ما يقرهم من ربهم، ويحل عليهم رضوانه؛ من الإيمان بالله واتباع رسوله، فأبطل أعمالهم.

﴿٢٩﴾ هل يظنُّ الذين في قلوبهم شك من المنافقين أن لن يخرج الله أحقادهم ويظهرها؟! ليخرجتها بالابتلاء بالمحن؛ ليميز صادق الإيمان من الكاذب، ويتضح المؤمن، ويفضح المنافق.

﴿٣٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● التكليف بالجهاد في سبيل الله يميِّز المنافقين من صفِّ المؤمنين.

● أهمية تدبر كتاب الله، وخطر الإعراض عنه.

● الإفساد في الأرض وقطع الأرحام من أسباب قلة التوفيق والبعد عن رحمة الله.

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٥﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٨﴾

﴿٢٩﴾ إن الذين ارتدوا عن إيمانهم إلى الكفر والنفاق، من بعد ما قامت عليهم الحجة، وتبين لهم صدق النبي ﷺ، الشيطان هو الذي زين لهم الكفر والنفاق وسَّهله لهم، ومَنَاهم بطول الأمل.

﴿٣٠﴾ ذلك الإضلال الحاصل لهم بسبب أنهم قالوا سرّاً للمشركين الذين كرهوا ما نزل الله على رسوله من الوحي: سنطيعكم في بعض الأمر كالتيثيط عن القتال. والله يعلم ما يسرونه ويخفونه، لا يخفى عليه شيء، فيظهر ما شاء منه لرسوله ﷺ.

﴿٣١﴾ فكيف ترى ما هم فيه من العذاب والحال الشنيعة التي هم عليها إذا قبضت أرواحهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم يضربون وجوههم وأدبارهم بمقامع الحديد.

﴿٣٢﴾ ذلك العذاب بسبب أنهم اتبعوا كل ما أغضب الله عليهم؛ من الكفر والنفاق ومحادة الله ورسوله، وكرهوا ما يقرهم من ربهم، ويحل عليهم رضوانه؛ من الإيمان بالله واتباع رسوله، فأبطل أعمالهم.

﴿٣٣﴾ هل يظنُّ الذين في قلوبهم شك من المنافقين أن لن يخرج الله أحقادهم ويظهرها؟! ليخرجتها بالابتلاء بالمحن؛ ليميز صادق الإيمان من الكاذب، ويتضح المؤمن، ويفضح المنافق.

﴿٣٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَ - أيها الرسول - المنافقين لعرفناكم، فلعرفتهم بعلامتهم، وسوف تعرفهم بأسلوب كلامهم، والله يعلم أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٣١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ - أيها المؤمنون - بالجهاد وقاتل الأعداء والقتل حتى نعلم المجاهدين منكم في سبيل الله، والصابرين منكم على قتال أعدائه، ونختبركم فتعرف الصادق منكم والكاذب.

﴿٣٢﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ بِأَنفُسِهِمْ، وَصَدُوا عَنْهُ غَيْرَهُمْ، وَخَالَفُوا رَسُولَهُ وَعَاذُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ نَبِيٌّ - لن يضرُوا الله شيئاً، وإنما يضررون أنفسهم، وسيبطل الله أعمالهم.

﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ، أَطِيعُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ بِأَن تَمْتَلُوا أَمْرَهُمَا، وَتَجْتَنِبُوا نَهْيَهُمَا، وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ بِالْكَفْرِ وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿٣٤﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَصَرَفُوا أَنفُسَهُمْ وَصَرَفُوا النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ، ثُمَّ مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ قَبْلَ النَّوْبَةِ - فلن يتجاوز الله عن ذنوبهم بسترها، بل سيؤاخذهم بها، ويدخلهم النار خالدين فيها أبداً.

﴿٣٥﴾ فَلَا تَضَعُوا - أيها المؤمنون - عن مواجهة عدوكم، وتدعوهم إلى الصلح قبل أن يدعوكم إليه، وأنتم القاهرون الغالبون لهم، والله معكم بنصره وتأييده، ولن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً، بل يزيدهم منها وتفضلاً.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَ هُمْ فَاعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصْطَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنَ يُضْرُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصْطَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِيَكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَخُجِرْ أَضْعَافَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ تَدْعُونَ لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

٥١٠

﴿٣٦﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ، فَلَا يَشْغَلُ بِهَا عَاقِلٌ عَنِ الْعَمَلِ لِآخِرَتِهِ، وَإِنْ تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ بِأَمْتَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، يَعْطِيَكُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، وَلَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ أَمْوَالَكُمْ كُلَّهَا، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ الْوَاجِبَ مِنَ الزَّكَاةِ.

﴿٣٧﴾ إِنْ يَطْلُبُ مِنْكُمْ جَمِيعَ أَمْوَالِكُمْ وَيُلْجُ فِي طَلِبِهَا مِنْكُمْ، تَبْخُلُوا بِهَا، وَيُخْرِجُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ كَرَاهِيَةِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، فَتُرِكَ طَلِبُهَا مِنْكُمْ رَفَقًا بِكُمْ.

﴿٣٨﴾ هَآ أَنْتُمْ هَآؤَآءِ تَدْعُونَ لِنُفِقُوا جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ إِنْفَاقَ أَمْوَالِكُمْ كُلَّهَا، فَمِنْكُمْ مَنْ يَمْنَعُ الْإِنْفَاقَ الْمَطْلُوبَ بَخْلًا مِنْهُ، وَمَنْ يَبْخُلُ بِإِنْفَاقِ جُزْءٍ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّمَا يَبْخُلُ فِي الْوَاقِعِ عَلَى نَفْسِهِ: بِحَرَمَانِهَا ثَوَابَ الْإِنْفَاقِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِنْفَاقِكُمْ، وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَإِنْ تَرَجَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ يَهْلِكُكُمْ، وَيَأْتِ بِقَوْمٍ غَيْرِكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ، بَلْ يَكُونُونَ مَطِيعِينَ لَهُ.

﴿٣٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكَلَامِ:

- سرائر المنافقين وخبيثهم يظهر على قسمات وجوههم وأسلوب كلامهم.
- الاختبار سُنَّةُ إلهية لتمييز المؤمنين من المنافقين.
- تأييد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتسديد.
- من رفق الله بعباده أنه لا يطلب منهم إنفاق كل أموالهم في سبيل الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ٣ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدَّهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٤ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ٥ وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
بِاللَّهِ ظُنَّ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٨ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعَزَّزُوا وَتُوقِّرُوا وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٩

٥١١

١٨ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تبشير النبي والمؤمنين بالفتح والتمكين.

٢ التَّضْيِيرُ:

١ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ - أيها الرسول - فتْحًا مبينًا يصلح الحديبية.

٢ ليغفر لك الله ما تقدم قبل

هذا الفتح من ذنبك، وما تأخر بعده،

ويكمل نعمته عليك بنصر دينك،

ويهديك طريقًا مستقيمًا، لا اعوجاج

فيه، وهو طريق الإسلام المستقيم.

٣ وينصرك الله على أعدائك نصرًا

عزيرًا، لا يدفعه أحد.

٤ الله هو الذي أنزل الثبات

والطمأنينة في قلوب المؤمنين

ليزدادوا إيمانًا على إيمانهم، ولله

وحده جنود السموات والأرض، يؤيد

بها من يشاء من عباده، وكان الله

عليمًا بمصالح عباده، حكيمًا فيما

يجريه من نصر وتأييد.

٥ ليدخل المؤمنين بالله وبرسوله

والمؤمنات جنات تجري الأنهار من

تحت قصورها وأشجارها، ويمحو

عنهم سيئاتهم، فلا يؤاخذهم بها،

وكان ذلك المذكور - من نيل المطلوب

وهو الجنة، وإبعاد المرهوب وهو

المؤاخذه بالسيئات - عند الله فوزًا

عظيمًا لا يدانيه فوز.

٦ ويعذب المنافقين والمنافقات،

ويعذب المشركين بالله والمشرقات،

الظالمين بالله أنه لا ينصر دينه، ولا

يعلي كلمته، فعادت دائرة العذاب

عليهم، وغضب الله عليهم بسبب

كفرهم وظنهم السيئ، وطردهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة جهنم يدخلونها خالدون فيها أبدًا، وساءت جهنم مصيرًا يرجعون

إليه.

٧ ولله جنود السموات والأرض يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عزيرًا لا يغالبه أحد، حكيمًا في خلقه وتقديره وتديبره.

٨ إِنَّا بَعَثْنَاكَ - أيها الرسول - شاهدًا تشهد على أمتك يوم القيامة، ومبشرًا للمؤمنين بما أعد لهم في الدنيا من النصر

والتمكين، وبما أعد لهم في الآخرة من النعيم، ومخوفًا للكافرين بما أعد لهم في الدنيا من الذلة والهزيمة على أيدي المؤمنين، وبما

أعد في الآخرة من العذاب الأليم الذي ينتظرهم.

٩ رجاء أن تؤمنوا بالله، وتؤمنوا برسوله، وتعظموا رسوله وتجلوه، وتسبحوا الله أول النهار وآخره.

١٠ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● صلح الحديبية بداية فتح عظيم على الإسلام والمسلمين.

● السكينة أثر من آثار الإيمان تبعث على الطمأنينة والثبات.

● خطر ظن السوء بالله، فإن الله يعامل الناس حسب ظنهم به سبحانه.

● وجوب تعظيم وتوقير رسول الله ﷺ.

(١١٢) **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَ سَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** (١١٣) **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِئِنَّهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** (١١٤) **بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنَا رَسُولٌ فَأَنَّى يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** (١١٥) **وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا** (١١٦) **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ** (١١٧) **وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** (١١٨) **سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لَتَأْخُذُوا هَازِرُونَ أَتَنَّبِعُكُمْ يَرِيدُونَ** (١١٩) **أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ** (١٢٠) **فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا** (١٢١)

(١١٢) **سَيَقُولُ لَكَ** - أيها الرسول - **الذين خلفهم الله من الأعراب عن مرافقتك في سفرك إلى مكة إذا عابتهم: شغلنا رعاية أموالنا ورعاية أولادنا عن المسير معك، فاطلب لنا المغفرة من الله لذنوبنا، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم من طلب استغفار النبي ﷺ لهم: لأنهم لم يتوبوا من ذنوبهم، قل لهم: لا أحد يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم خيراً، أو أراد بكم شراً، بل كان الله بما تعملون خبيراً لا يخفى عليه شيء من أعمالكم مهما أخفيتموها.**

(١١٣) **ليس ما اعتذرتم به من الانشغال برعاية الأموال والأولاد سبب تخلفكم عن المسير معه، بل ظننتم أن الرسول وأصحابه سيهلكون جميعاً، ولا يرجعون إلى أهلهم في المدينة، وحسن ذلك الشيطان في قلوبكم، وظننتم ظناً سيئاً بربكم أنه لن ينصر نبيّه، وكنتم قوماً هلكى بسبب ما أقدمتم عليه من ظن السوء بالله والتخلف عن رسوله.**

(١١٤) **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو كافر، وقد أعدنا يوم القيامة للكافرين بالله نارا مستعرة يعذبون فيها.**

(١١٥) **ولله وحده ملك السماوات والأرض، يغفر ذنوب من يشاء من عباده، فيدخله الجنة بفضل، ويعذب من يشاء من عباده بعدله، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من عباده، رحيمًا بهم.**

(١١٦) **سَيَقُولُ الَّذِينَ خَلْفَهُمُ اللَّهُ: إِذَا انْطَلَقْتُمْ - أيها المؤمنون - إلى غنائم خيبر التي وعدكم الله إياها بعد صلح الحديبية لتأخذوها - اتركوا نخرج معكم لنصيب منها؛ يريد هؤلاء المُخَلَّفُونَ أن يبدلوا بطلبهم هذا وعد الله الذي وعد به المؤمنين بعد صلح الحديبية أن يعطيهم وحدهم غنائم خيبر، قل لهم - أيها الرسول -: لن تتبعونا إلى تلك الغنائم، فقد وعدنا الله أن غنائم خيبر خاصة بمن شهد الحديبية، فسيقولون: منعكم لنا من اتباعكم إلى خيبر ليس بأمر من الله، بل بسبب حسدكم لنا. وليس الأمر كما زعم هؤلاء المُخَلَّفُونَ، بل هم لا يفقهون أوامر الله ونواهيهِ إلا قليلاً: لذلك وقعوا في معصيته.**

(١١٧) **من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

● مكانة بيعة الرضوان عند الله عظيمة، وأهلها من خير الناس على وجه الأرض.

● سوء الظن بالله من أسباب الوقوع في المعصية وقد يوصل إلى الكفر.

● ضعاف الإيمان قليلون عند الفزع، كثيرون عند الطمع.

● مكانة بيعة الرضوان عند الله عظيمة، وأهلها من خير الناس على وجه الأرض.

● سوء الظن بالله من أسباب الوقوع في المعصية وقد يوصل إلى الكفر.

● ضعاف الإيمان قليلون عند الفزع، كثيرون عند الطمع.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - للذين تخلفوا من الأعراب عن المسير معك إلى مكة مختبراً إياهم: ستدعون إلى قتال قوم أصحاب بأس قوي في القتال، تقاتلونهم في سبيل الله، أو يدخلون في الإسلام من غير قتال، فإن طيعوا الله فيما دعاكم إليه من قتالهم يعطكم أجراً حسناً هو الجنة، وإن تتولوا عن طاعته - كتوليكم عنها حين تخلفتم عن السير معه إلى مكة - يعذبكم عذاباً موجعاً.

﴿١٧﴾ ليس على المعذور بعضى أو عرج أو مرض إثم إذا تخلف عن القتال في سبيل الله، ومن يطع الله ويطع رسوله يدخله جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ومن يعرض عن طاعتهما يعذبه الله عذاباً موجعاً.

﴿١٨﴾ لقد رضي الله عن المؤمنين وهم يبايعونك في الحديبية بيعة الرضوان تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص والصدق، فأنزل الطمأنينة على قلوبهم، وجزاهم على ذلك فتحاً قريباً هو فتح خيبر؛ تعويضاً لهم عما فاتهم من دخول مكة.

﴿١٩﴾ وأعطاهم مغنم كثيرة يأخذونها من أهل خيبر، وكان الله عزيزاً لا يغالبه أحد، حكيماً في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٢٠﴾ وعدكم الله - أيها المؤمنون - مغنم كثيرة تأخذونها في الفتوحات الإسلامية في المستقبل، فعجل لكم مغنم خيبر، ومنع أيدي اليهود لما هموا أن يصيبوا عيالكم بعدكم، ولتكون هذه المغنم المعجلة علامة لكم على نصر الله وتأنيده لكم، ويهديكم الله طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿٢١﴾ وعدكم الله مغنم أخرى لم تقدروا عليها في هذا الوقت، وهي في علمه وتدبيره، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

﴿٢٢﴾ ولوقالتكم - أيها المؤمنون - الذين كفروا بالله ورسوله لولوا هاربين منهزمين أمامكم، ثم لا يجدون ولياً يتولى أمرهم، ولا يجدون نصيراً ينصرهم على قتالكم.

﴿٢٣﴾ وغلبة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ثابتة في كل زمان ومكان، فهي سنة الله التي مضت قبل هؤلاء المكذبين، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة الله تبديلاً.

﴿٢٤﴾ من قوايد الآيات،

- إخبار القرآن بمغيبات تحققت فيما بعد - مثل الفتوح الإسلامية - دليل قاطع على أن القرآن الكريم من عند الله.
- تقوم أحكام الشريعة على الرفق واليسر.
- جزاء أهل بيعة الرضوان منه ما هو معجل، ومنه ما هو مدخر لهم في الآخرة.
- غلبة الحق وأهله على الباطل وأهله سنة إلهية.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَامُونَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ أَجْرًا حَسَنًا ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۚ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۖ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۖ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ وَلَوْ قَتَلَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَدْبَارُكُمْ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ

﴿٢٦﴾ وهو الذي منع أيدي المشركين عنكم حين جاء نحو ثمانين رجلاً منهم يريدون إصابتكم بسوء بالحديبية، وكف أيديكم عنهم فلم تقتلوهم ولم تؤذوهم، بل أطلقتم سراحهم بعد أن أقدركم على أسرهم، وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿٢٧﴾ هم الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوكم عن المسجد الحرام، ومنعوا الهدي فبقي محبوساً عن الوصول إلى الحرم محل ذبحه، ولولا وجود رجال مؤمنين بالله ونساء مؤمنات به لا تعرفونهم أن تقتلوهم مع الكفار، فيصيبكم من قتلهم إثم وديات بغير علم منكم؛ لأذن لكم في فتح مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء مثل المؤمنين في مكة، لو تميز الذين كفروا عن المؤمنين في مكة لعذبنا الذين كفروا بالله وبرسوله عذاباً موجفاً.

﴿٢٨﴾ إذ جعل الذين كفروا بالله ورسوله في قلوبهم الأنفة الأنفة الجاهلية التي لا ترتبط بإحقاق الحق وإنما ترتبط بالهوى، فأنفوا من دخول رسول الله ﷺ عليهم عام الحديبية؛ خوفاً من تعبيرهم بأنه غلبهم عليها، فأنزل الله الطمأنينة من عنده على رسوله وأنزلها على المؤمنين، فلم يؤذ بهم الغضب إلى مقابلة المشركين بمثل فعلهم، وألزم الله المؤمنين كلمة الحق وهي لا إله إلا الله، وأن يقوموا بحققها فقاموا به، وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من غيرهم، وكانوا أهلها المستأهلين لها لما علم الله في قلوبهم من الخير، وكان الله بكل شيء

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٦﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٠﴾

عليماً، لا يخفى عليه شيء.

﴿٢٦﴾ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق حين أراه إياها في منامه وأخبر بها أصحابه، وهي أنه هو وأصحابه يدخلون بيت الله الحرام آمنين من عدوهم، منهم المحلّقون رؤوسهم، ومنهم المقصّرون إيداً بنهاية النّسك. فلم الله من مصلحتكم - أيها المؤمنون - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون تحقيق الرؤيا بدخول مكة تلك السّنة فتحاً قريباً، وهو ما أجراه الله من صلح الحديبية، وما تبعه من فتح خيبر على أيدي المؤمنين الذين حضروا الحديبية.

﴿٢٧﴾ الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالبيان الواضح ودين الحق الذي هو دين الإسلام؛ ليعليه على الأديان المخالفة له كلها، وقد شهد الله على ذلك، وكفى بالله شاهداً.

﴿٢٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الصد عن سبيل الله جريمة يستحق أصحابها العذاب الأليم.
- تدبير الله لمصالح عباده فوق مستوى علمهم المحدود.
- التحذير من استبدال رابطة الدين بحمية النسب أو الجاهلية.
- ظهور دين الإسلام سُنّة ووعد إلهي تحقق.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٤٩

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

آيَاتُهَا ١٨

تَرْبِيَّتُهَا ٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٢ إِنَّ الَّذِينَ
يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٤

٥١٥

٢٦ محمد رسول الله وصحابته الذين هم معه، أشدّاء على الكفار المحاربين، رحماء بينهم متعاطفون متوادّون، تراهم - أيها الناظر - رُكَّعًا سُجَّدًا لله سبحانه، يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالمغفرة والثواب الكريم، وأن يرضى عنهم، علامتهم في وجوههم من آثار السجود ما يظهر من الهدى والسمت ونور الصلاة في وجوههم، ذلك وصفهم الذي وصفتهم به التوراة الكتاب المنزل على موسى ﷺ، وأما مثلهم في الإنجيل الكتاب المنزل على عيسى ﷺ فهو أنهم في تعاونهم وكمالهم كزرع أخرج صفاره، فقوي فغلظ فاستوى على سيقانه، يعجب الزُّرَّاع قوته وكماله؛ ليغيط بهم الله الكفار لما يرونه فيهم من القوة والتماسك والكمال، وعد الله الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات من الصحابة مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذون بها، وثوابًا عظيمًا من عنده وهو الجنة.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

— مَدْنِيَّةٌ —

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

● معالجة اللسان وبيان أثره على إيمان الفرد وأخلاق المجتمع.

● التفسير:

١ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيكم عليها.

٢ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، تأدبوا مع رسوله، ولا تجعلوا أصواتكم تعلو على صوت النبي ﷺ عند مخاطبته، ولا تعلنوا له باسمه كما ينادي بعضكم بعضًا، بل نادوه بالنبوة والرسالة بخطاب لين؛ خوف أن يبطل ثواب أعمالكم بسبب ذلك وأنتم لا تحسّون ببطلان ثوابها.

٣ إن الذين يخفّضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم لتقوا، وأخلصهم لها، لهم مغفرة لذنوبهم فلا يؤاخذهم، ولهم ثواب عظيم يوم القيامة، وهو أن يدخلهم الله الجنة.

٤ إن الذين ينادونك - أيها الرسول - من الأعراب من وراء حجرات نساءك معظمهم لا يعقلون.

● مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

● تشرع الرحمة مع المؤمن، والشدة مع الكافر المعارب.

● التماسك والتعاون من أخلاق أصحابه ﷺ.

● من يجد في قلبه كرهًا للصحابة الكرام يُخشى عليه من الكفر.

● وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ، ومع سنته، ومع ورثته (العلماء).

﴿٥﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ينادونك - أيها الرسول - من وراء حجرات نسائك، صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم، فيخطبوك مخفوضة أصواتهم؛ لكان ذلك خيراً لهم من ندائك من وراءها؛ لما فيه من التوقير والتعظيم، والله غفور لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم، وغفور لهم لجهلهم، رحيم بهم.

﴿٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، إن جاءكم فاسق بغيره من قوم، فتثبتوا من صحة خبره، ولا تبادروا إلى تصديقه؛ خوف أن تصيبوا - إذا صدقتم خبره دون تثبت - قومًا بجناية وأنتم جاهلون حقيقة أمرهم، فتصبحوا بعد إصابتكم لهم نادمين عندما يتبين لكم كذب خبره.

﴿٧﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ينزل عليه الوحي، فاحذروا أن تكذبوا فينزل عليه الوحي يخبره بكذبكم، وهو أعلم بما فيه مصلحتكم، لو يطيعكم في كثير مما تقترحونه لوقعت في المشقة التي لا يرضاها لكم، ولكن الله من فضله حبيب إليكم الإيمان، وحسنه في قلوبكم فأمنتم، وكره إليكم الكفر، والخروج عن طاعته، وكره إليكم معصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم السالكون طريق الرشد والصواب.

﴿٨﴾ وما حصل لكم - من تحسين الخير في قلوبكم، وتكريه الشر - إنما هو فضل من الله، تفضل به عليكم، ونعمة أنعمها عليكم، والله عليم بمن يشكره من عباده فيوقفه، وحكيم إذ يضع كل شيء في محله المناسب له.

﴿٩﴾ وإن فرقتان من المؤمنين تقاتلتا فأصلحا - أيها المؤمنون - بينهما بدعوتهما إلى تحكيم شرع الله في خلافهما، فإن آيت أحدهما الصلح واعتدت فقاتلتا المعتدية حتى ترجع إلى حكم الله، فإن رجعت إلى حكم الله فأصلحا بينهما بالعدل والإنصاف، واعدلوا في حكمكم بينهما، إن الله يحب العادلين في حكمهم.

﴿١٠﴾ إنما المؤمنون إخوة في الإسلام، والأخوة في الإسلام تقتضي أن تصلحوا - أيها المؤمنون - بين أخويكم المتنازعين، واتقوا الله بامتنال أوامره، واجتنب نواهيه؛ رجاء أن ترحموا.

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، لا يستهزئ قوم منكم بقوم، عسى أن يكون المستهزأ بهم خيراً عند الله، والعبرة بما عند الله، ولا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكون المستهزأ بهن خيراً عند الله، ولا تغيبوا إخوانكم فهم بمنزلة أنفسكم، ولا يغيبر بعضكم بعضاً بلبس يكرهه، كما كان حال بعض الأنصار قبل مجيء رسول الله ﷺ، ومن فعل ذلك منكم فهو فاسق، بسئت الصفة صفة الفسق بعد الإيمان، ومن لم يتب من هذه المعاصي فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب ما فعلوه من المعاصي.

﴿١٢﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب التثبت من صحة الأخبار، خاصة التي ينقلها من يئهم بالفسق.

• وجوب الإصلاح بين من يتقاتل من المسلمين، ومشروعية قتال الطائفة التي تصر على الاعتداء وترفض الصلح.

• من حقوق الأخوة الإيمانية: الصلح بين المتنازعين والبعد عما يجرح المشاعر من السخرية والعيب والتنازير بالألقاب.

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ، ابْتَعدُوا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّهْمِ الَّتِي لَا تَسْتَدِلُّ بِمَا يُوْجِبُهَا مِنْ أَسْبَابٍ وَقَرَّائِنٍ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، كَسُوءِ الظَّنِّ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحُ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يَذْكُرْ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ بِمَا يَكْرَهُ مِثْلَ أَكْلِ لَحْمِهِ مِثْلًا، أَيْبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِثْلًا؟ فَافْكُرُوا اغْتِيَابَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَبُوكُمْ آدَمَ، وَأَنْثَى وَاحِدَةٍ وَهِيَ أُمُّكُمْ حَوَاءُ، فَتَسْبِكُمْ وَاحِدٌ، فَلَا يَفْخَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي النِّسْبِ، وَصَيَّرْنَاكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ شُعُوبًا كَثِيرَةً وَقِبَالًا مَنْتَشِرَةً: لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لَا لِيَفْخَرَ عَلَيْهِ: لِأَنَّ التَّمَايِزَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّقْوَى، لِذَا قَالَ: إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ، خَبِيرٌ بِمَا تَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالٍ وَنَقْصٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿١٤﴾ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. قُلْ لَهُمْ - يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ -: لَمْ تَوْفَعُوا، وَلَكِنْ قُولُوا: اسْتَسْلَمْنَا وَانْقَدْنَا، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ بَعْدُ، وَيُتَوَقَّعُ لَهُ أَنْ يَدْخُلَهَا، وَإِنْ تَطِيعُوا - يَا أَيُّهَا الْأَعْرَابُ - اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْتِنَابِ الْمَحْرَمَاتِ، لَا يَنْقُصَكُمْ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخَالُطْ إِيْمَانَهُمْ شَكٌّ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَمْ يَخْلُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

﴿١٦﴾ قُلْ - يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ: اتَّعَلَّمُونَ اللَّهَ، وَتُشْعِرُونَهُ بِدِينِكُمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلَامِكُمْ بِإِيَاهُ بِدِينِكُمْ.

﴿١٧﴾ يَمُنُّ عَلَيْكَ - يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ - هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ بِإِسْلَامِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمْنُوا عَلَيَّ بِدُخُولِكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، فَتَنْفَعُ ذَلِكَ - إِنْ حَصَلَ - عَائِدٌ عَلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ وَفَّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ دَخَلْتُمْ فِيهِ.

﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ غَيْبَ الْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى حَسَنِهَا وَسَيُثَبِّتُهَا.

﴿١٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● سَوْءُ الظَّنِّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مَعْصِيَةٌ، وَيَجُوزُ الْحَذَرُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ بِسَوْءِ الظَّنِّ بِهِمْ.

● وَاحِدَةُ أَصْلُ بَنِي الْبَشَرِ تَقْتَضِي نَبْذَ التَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ.

● الْإِيمَانُ لَيْسَ مَجْرَدُ نَطْقٍ لَا يُوَافِقُهُ اعْتِقَادٌ، بَلْ هُوَ اعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

● هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَهِيَ فَضْلٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ لَيْسَتْ حَقًّا لِأَحَدٍ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا فُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخَالُطْ إِيْمَانَهُمْ شَكٌّ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَمْ يَخْلُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

﴿١٦﴾ قُلْ - يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ: اتَّعَلَّمُونَ اللَّهَ، وَتُشْعِرُونَهُ بِدِينِكُمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلَامِكُمْ بِإِيَاهُ بِدِينِكُمْ.

﴿١٧﴾ يَمُنُّ عَلَيْكَ - يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ - هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ بِإِسْلَامِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمْنُوا عَلَيَّ بِدُخُولِكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، فَتَنْفَعُ ذَلِكَ - إِنْ حَصَلَ - عَائِدٌ عَلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ وَفَّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ دَخَلْتُمْ فِيهِ.

﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ غَيْبَ الْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى حَسَنِهَا وَسَيُثَبِّتُهَا.

﴿١٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● سَوْءُ الظَّنِّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مَعْصِيَةٌ، وَيَجُوزُ الْحَذَرُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ بِسَوْءِ الظَّنِّ بِهِمْ.

● وَاحِدَةُ أَصْلُ بَنِي الْبَشَرِ تَقْتَضِي نَبْذَ التَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ.

● الْإِيمَانُ لَيْسَ مَجْرَدُ نَطْقٍ لَا يُوَافِقُهُ اعْتِقَادٌ، بَلْ هُوَ اعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

● هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَهِيَ فَضْلٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ لَيْسَتْ حَقًّا لِأَحَدٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَافٌ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ١ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَمْ دَامَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ ٥ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٦ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیْجٍ ٧ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥

٥١٨

والأرض بسطناها صالحة للسكنى عليها، وألقينا فيها جبلاً ثوابت حتى لا تضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف من النبات والشجر حسن المنظر.

١ خلقنا ذلك كله ليكون تبصرة وتذكيراً لكل عبد راجع إلى ربه بالطاعة.

٢ ونزلنا من السماء ماءً كثير النفع والخير، فأنبطنا بذلك الماء بساتين، وأنبتنا ما تحصدونه من حب الشعير وغيره.

٣ وأنبتنا به النخل طوالاً عاليات، لها طلع متراكب بعضه فوق بعض. ٤ أنبتنا ما أنبتنا من ذلك رزقاً للعباد يأكلون منه، وأحيينا به بلدة لا نبات فيها، كما أحيينا بهذا المطر بلدة لا نبات فيها نحوي الموتى، فيخرجون أحياء. ٥ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بك - أيها الرسول - أقوام بأنبيائهم، فكذبت قوم نوح وأصحاب البئر، وكذبت ثمود. ٦ وكذبت عاد وفرعون، وقوم لوط، ٧ وكذب قوم شعيب أصحاب الأيكة وقوم تُبَّع ملك اليمن، كل هؤلاء الأقوام كذبوا رسل الله الذين أرسلهم، فنبت عليهم ما وعدهم الله من العذاب. ٨ أفعجزنا عن خلقكم أول مرة حتى نعجز عن بعثكم؟ بل هم في حيرة من خلق جديد بعد خلقهم الأول.

٩ ومن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● المشركون يستعظمون النبوة على البشر، ويمنحون صفة الألوهية للحجر! ● خلق السماوات، وخلق الأرض، وإنزال المطر، وإنبات الأرض القاحلة، والخلق الأول: كلها أدلة على البعث. ● التكذيب بالرسالة عادة الأمم السابقة، وعقاب المكذبين سُنَّةُ إلهية.

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

وعظ القلوب بالموت والبعث.

● التَّفْسِيرُ:

١ قَافٌ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

أقسم الله بالقرآن الكريم لما فيه من المعاني وكثرة الخير والبركة؛ لتبعث يوم القيامة للحساب والجزاء.

٢ لم يكن سبب رفضهم توفعهم أن تكذب فهم يعرفون صدقك، بل تعجبوا أن يأتيهم رسول منذر من جنسهم، وليس من جنس الملائكة، وقالوا من تعجبهم: مجيء رسول من البشر إلينا شيء عجيب!

٣ أنبعث إذا متنا وصرنا تراباً؟ ذلك البعث ورجوع الحياة إلى أجسامنا بعدما بليت شيء مستبعد، لا يمكن أن يقع.

٤ قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد موتهم وتقنيه، لم يخف علينا منه شيء، وعندنا كتاب حافظ لكل ما يقدره الله عليهم في حياتهم وبعد موتهم.

٥ بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن لما جاءهم به الرسول، فهم في أمر مضطرب، لا يثبتون على شيء بشأنه. ولما ذكر إنكار المشركين للبعث ذكرهم بالأدلة على وقوعه فقال:

٦ أفلم يتأمل هؤلاء المكذبون بالبعث السماء فوقهم: كيف خلقناها وبنيناها وزيناها بما وضعنا فيها من نجوم، وليس لها شقوق تعيبها؟ فالذي خلق هذه السماء لا يعجز عن بعث الموتى أحياء.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْ جَبَلٍ أَلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
 قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
 الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ
 يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ
 كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
 ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
 عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
 إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
 يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأَزْلَفَتْ
 الْجَنَّةُ الْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
 ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا
 بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

﴿١٦﴾ ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تحدث به نفسه من خواطر وأفكار، ونحن أقرب إليه من العرق الموجود في العنق المتصل بالقلب.

﴿١٧﴾ إذ يتلقى الملكان المتلقيان عمله، أحدهما قعيد عن يمينه، والثاني قعيد عن شماله.

﴿١٨﴾ ما يقول من قول إلا لديه ملك رقيب على ما يقوله حاضر.

﴿١٩﴾ وجاءت شدة الموت بالحق الذي لا مهرب منه، ذلك ما كنت -أيها الإنسان الغافل- تتأخر عنه، وتضر.

﴿٢٠﴾ ونفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية، ذلك يوم القيامة، يوم الوعيد للكفار والعصاة بالعذاب.

﴿٢١﴾ وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها، وملك يشهد عليها بأعمالها.

﴿٢٢﴾ ويقال لهذا الإنسان المسوق: لقد كنت في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم بسبب اغترارك بشهواتك ولذاتك، فكشفنا عنك غفلتك بما تعانينه من العذاب والكرب، فبصرك اليوم حاداً تدرك به ما كنت في غفلة عنه.

﴿٢٣﴾ وقال قرينه العذاب الشَّدِيدِ ﴿٢٤﴾ مناعٍ للخير مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الذي جعل مع الله إلهًا آخرًا فألقياه في العذاب الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قال قرينه، ربنا ما أطغيتُهُ ولكن كان في ضلالٍ بعيدٍ ﴿٢٧﴾ قال لا تختصموا لديّ وقد قدّمتُ إليكم بالوعدِ ﴿٢٨﴾ ما يبدلُ القول لديّ وما أنا بظالمٍ للعبيدِ ﴿٢٩﴾

﴿٣٠﴾ يوم نقول لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيدٍ ﴿٣١﴾ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيدٍ ﴿٣٢﴾ هذا ما تُوعَدون لكلّ أوّابٍ حفيظٍ ﴿٣٣﴾ ادخلوها بسلامٍ ذلك يوم الخلود ﴿٣٤﴾ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيدٌ ﴿٣٥﴾

﴿٣٥﴾ وقال قرينه الموكل به من الملائكة: هذا ما لدي من عمله حاضر دون نقص ولا زيادة.

﴿٣٦﴾ ويقول الله للملكين السابق والشاهد: ألقيا في جهنم كل كفور للحق، معاند له.

﴿٣٧﴾ كثير المنع لما أوجب الله عليه من حق، متجاوز لحدود الله، شكّ فيما يخبر به من وعد أو وعيد.

﴿٣٨﴾ الذي جعل مع الله معبوداً آخر يشركه معه في العبادة، فألقياه في العذاب الشديد.

﴿٣٩﴾ قال قرينه من الشياطين متبرئاً منه: ربنا ما أضللتُهُ، ولكن كان في ضلالٍ بعيدٍ عن الحق.

﴿٤٠﴾ قال الله: لا تختصموا لديّ، فلا فائدة من ذلك، فقد قدمت لكم في الدنيا ما جاءت به رسلي من الوعيد الشديد لمن كفر بي وعصاني.

﴿٤١﴾ ما يغير القول لدي، ولا يخلف وعدي، ولا أظلم العبيد بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم، بل أجزيمهم بما عملوا.

﴿٤٢﴾ يوم نقول لجهنم: هل امتلأت بمن ألقى فيك من الكفار والعصاة؟ فتجيب ربه: هل من مزيد؟ طلباً للزيادة؛ غضباً لربه.

﴿٤٣﴾ ولما ذكر الله الوعيد الشديد للكفار ذكر ما أعدّه لعباده المؤمنين فقال: ﴿٤٤﴾ وقُرِبت الجنة للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فشاهدوا ما فيها من النعيم غير بعيد منهم. ﴿٤٥﴾ ويقال لهم: هذا ما وعدكم الله لكل رجاٍ إلى ربه بالتوبة، حافظ لما ألزمه ربه به. ﴿٤٦﴾ من خاف الله بالسر حيث لا يراه إلا الله، ولقي الله بقلب سليم مقبل على الله، كثير الرجوع إليه. ﴿٤٧﴾ ويقال لهم: ادخلوا الجنة دخولاً مصحوباً بالسلامة مما تكرهون، ذلك يوم البقاء الذي لا فناء بعده. ﴿٤٨﴾ لهم ما يشاءون فيها من النعيم الذي لا ينفد، ولدينا مزيد من النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومنه رؤية الله سبحانه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• علم الله بما يخطر في النفوس من خير وشر. • خطورة الغفلة عن الدار الآخرة. • ثبوت صفة العدل لله تعالى.

﴿٣٦﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكناها
قبل هؤلاء المشركين المكذبيين
من أهل مكة، كانوا أشد منهم قوة،
ففتشوا في البلاد لعلهم يجدون مهرباً
من العذاب فلم يجدوه.

﴿٣٧﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك
الأمم السابقة لتذكيراً وموعظة لمن
كان له قلب يعقل به، أو أنصت بسمعه
حاضر القلب، غير غافل.

﴿٣٨﴾ ولقد خلقنا السماوات، وخلقنا
الأرض، وما بين السماوات والأرض؛
في ستة أيام مع قدرتنا على خلقها في
لحظة، وما أصابنا من تعب كما تقول
اليهود.

﴿٣٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على
ما يقوله اليهود وغيرهم، وصلِّ لربك
حامداً إياه صلاة الفجر قبل طلوع
الشمس، وصلِّ العصر قبل غروبها.
﴿٤٠﴾ ومن الليل فصلِّ له، وسبحه
بعد الصلوات.

﴿٤١﴾ واستمع - أيها الرسول - يوم
ينادي المَلَكُ الموكل بالتفخ في الصور
النفخة الثانية، من مكان قريب.

﴿٤٢﴾ يوم يسمع الخلائق صيحة
البعث بالحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه، ذلك
اليوم الذي يسمعونها فيه هو يوم
خروج الأموات من قبورهم للحساب
والجزاء. ﴿٤٣﴾ إنا نحن نحيي ونميت،
ولا محيي غيرنا ولا نميت، والينا
وحدنا رجوع العباد يوم القيامة
لحساب والجزاء. ﴿٤٤﴾ يوم تشقق
عنهم الأرض فيخرجون مسرعين،
ذلك حشر علينا سهل. ﴿٤٥﴾ نحن
أعلم بما يقوله هؤلاء المكذبون، وما
أنت - أيها الرسول - بمسلط عليهم
فتجبرهم على الإيمان، وإنما أنت مبلغ
ما أمرك الله بتبلغه، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي للكافرين والعصاة؛ لأن الخائف هو الذي يتعظ، ويتذكر إذا دُكر.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا
فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبَرْ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَاتِ ٥١ آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْدَارِيتِ ذُرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَرِيَتْ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تَوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

٥٢٠

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَاتِ
— مَكِّيَّة —

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تعريف الجن والإنس بأن مصدر رزقهم من الله وحده؛ ليخلصوا له العبادة.

• التفسير:

﴿١﴾ يقسم الله بالرياح التي تذر التراب. ﴿٢﴾ وبالسُّحُب التي تحمل الماء الغزير. ﴿٣﴾ وبالسفن التي تجري في البحر بسهولة ويسر. ﴿٤﴾ وبالملائكة التي تقسم ما أمرها الله بتقسيمه من أمور العباد. ﴿٥﴾ إن ما يعدكم ربكم به من الحساب والجزاء لَحَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فيه. ﴿٦﴾ وإن حساب العباد لواقع يوم القيامة لا محالة.

• من نَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الاعتبار بوقائع التاريخ من شأن ذوي القلوب الواعية. • خلق الله الكون في ستة أيام لحكم يعلمها الله، لعل منها بيان سُنَّة التدرج. • سوء أدب اليهود في وصفهم الله تعالى بالتعب بعد خلقه السماوات والأرض، وهذا كفر بالله.

﴿٧﴾ وَيَقْسِمُ اللَّهُ بِالسَّمَاءِ الْحَسَنَةِ الْخُلُقِ ذَاتِ الطَّرَقِ.

﴿٨﴾ إِنَّكُمْ - يَا أَهْلَ مَكَّةَ - لَفِي قَوْلٍ مُتَنَاقِضٍ مُتَضَارِبٍ، تَارَةً تَقُولُونَ: الْقُرْآنَ سِحْرٌ، وَتَارَةً شَعْرٌ، وَتَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ سَاحِرٌ تَارَةً، وَتَارَةً شَاعِرٌ.

﴿٩﴾ يُصْرِفُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَبِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ صُرْفٍ عَنْهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ: لَعَلَّمَهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ، فَلَا يُوفَّقُ لِلْهُدَايَةِ.

﴿١٠﴾ لَعَنَ هَؤُلَاءِ الْكَذَّابُونَ الَّذِينَ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ وَفِي نَبِيِّهِمْ مَا قَالُوا.

﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي جَهْلٍ غَافِلُونَ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، لَا يَبَالُونَ بِهَا.

﴿١٢﴾ يَسْأَلُونَ: مَتَى يَوْمُ الْجَزَاءِ؟ وَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ لَهُ.

﴿١٣﴾ فَيَجِيبُهُمُ اللَّهُ عَنْ سُؤْلِهِمْ: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يَعْذِبُونَ.

﴿١٤﴾ يُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَكُمْ، هَذَا هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ تَعْجِيلَهُ عِنْدَمَا تَنْتَدِرُونَ بِهِ: اسْتَهْزَأَ.

﴿١٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَرِيبِهِمْ بِأَمْتَالٍ أَوَامِرُهُ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي بَسَاتِينٍ وَعُيُونٍ جَارِيَةٍ.

﴿١٦﴾ أَخَذِينَ مَا أُعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ الْجَزَاءِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الْكَرِيمِ مُحْسِنِينَ فِي الدُّنْيَا.

﴿١٧﴾ كَانُوا يَصَلُّونَ مِنَ اللَّيْلِ، لَا يَنَامُونَ إِلَّا زَمَنًا قَلِيلًا.

﴿١٨﴾ وَفِي وَقْتِ الْأَسْحَارِ يَطْلُبُونَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ لذنوبِهِمْ.

﴿١٩﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ - يَتَطَوَّعُونَ بِهِ - لِلسَّائِلِينَ مِنَ النَّاسِ، وَلِلَّذِي لَا يَسْأَلُهُمْ، مِمَّنْ حَرَّمَ الرِّزْقَ لَأَيِّ سَبَبٍ كَانَ.

﴿٢٠﴾ وَفِي الْأَرْضِ وَمَا وَضَعَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَبَحَارٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ وَنَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ، دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ لِلْمُتَّقِينَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْمَصُورُ.

﴿٢١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، أَفَلَا تَبْصُرُونَ لِنَعْتَبِرُوا؟

﴿٢٢﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ الدُّنْيَوِيِّ وَالْآخِرِيِّ، وَفِيهَا مَا تُوعَدُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

﴿٢٣﴾ هَوْرَبُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ الْبَيْعَ لِحَقٍّ لَا شَكَّ فِيهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَكَّ فِي نَطْقِكُمْ حِينَ تَنْطَقُونَ. ﴿٢٤﴾ هَلْ أَتَاكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حَدِيثُ ضَيْوْفِ إِبْرَاهِيمَ ؑ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمْ؟

﴿٢٥﴾ حِينَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: سَلَامًا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَدًّا عَلَيْهِمْ: سَلَامٌ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا نَعْرِفُهُمْ. ﴿٢٦﴾ فَمَالَ إِلَى أَهْلِهِ خَفِيَّةً، فَجَاءَ مِنْ عِنْدِهِمْ بِعَجَلٍ كَامِلٍ سَمِينٍ: ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُمْ بَشَرٌ. ﴿٢٧﴾ فَقَرَّبَ الْعَجَلَ إِلَيْهِمْ، وَخَاطَبَهُمْ بِرَفَقٍ: أَلَا تَأْكُلُونَ مَا قُدِّمَ لَكُمْ مِنْ طَعَامٍ؟

﴿٢٨﴾ فَلَمَّا لَمْ يَأْكُلُوا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُمْ فَفَطَنُوا لَهُ، فَقَالُوا مَطْمَئِنِّنًا: إِيَّاكَ لَا تَخَفْ، إِنَّا رُسُلُ اللَّهِ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا يَسِّرُهُ مِنْ أَنَّهُ يُولَدُ لَهُ غُلَامٌ لَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ، وَالْمُبَشِّرُ بِهِ هُوَ إِسْحَاقُ ؑ.

﴿٢٩﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ أَمْرَآتَهُ الْبَشَارَةَ أَقْبَلَتْ تَصْبِيحَ مِنَ الْفَرَحِ، فَلَطَمَتْ وَجْهَهَا، وَقَالَتْ مُتَعَجِبَةً: أَتَلَدُ عَجُوزٌ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ عَقِيمٌ؟

﴿٣٠﴾ قَالَ لَهَا الْمَلَائِكَةُ: مَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ قَالَهُ رَبُّكَ، وَمَا قَالَهُ لَا رَادَّ لَهُ: إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ، الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ وَمَا يَصْلَحُ لَهُمْ.

﴿٣١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَّاكَ ﴿٩﴾ قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا أُنْزِلَتْ بِهِمْ رُبُوعًا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَالِمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

● إِحْسَانُ الْعَمَلِ وَإِخْلَاصُهُ لِلَّهِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ. ● فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ وَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ. ● مِنْ آدَابِ الضِّيَافَةِ: رَدُّ التَّحِيَّةِ بِأَحْسَنِ مِنْهَا، وَتَحْضِيرُ الْمَائِدَةِ خَفِيَّةً، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلضِّيُوفِ قَبْلَ نَزْوِلِهِمْ، وَعَدَمُ اسْتِنَاءِ شَيْءٍ مِنَ الْمَائِدَةِ، وَالِإِشْرَافُ عَلَى تَحْضِيرِهَا، وَالِإِسْرَاعُ بِهَا، وَتَقْرِيبُهَا لِلضِّيُوفِ، وَخُطَابُهُمْ بِرَفَقٍ.

﴿٢١﴾ قَالَ فَخَاطَبْتُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٢٤﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٨﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ فَقَوْلَىٰ بُرْكِيهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٢﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيِّمِ ﴿٣٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٤﴾ فَتَعَاوَنَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ فَاخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِّن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٧﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَا بِإِيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٣٨﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٣٩﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٢﴾

﴿٢١﴾ قال إبراهيم للملائكة: ما شأنكم؟ وما الذي تقتصدونه؟
﴿٢٢﴾ قال الملائكة جواباً له: إنا بعثنا الله إلى قوم مجرمين يرتكبون قبائح الذنوب.
﴿٢٣﴾ لنبعث عليهم حجارة من طين متصلبة.
﴿٢٤﴾ معلّمة عند ربك - يا إبراهيم - تُبْعَثُ على المتجاوزين لحدود الله المبالغين في الكفر والمعاصي.
﴿٢٥﴾ فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين حتى لا يصيبهم ما يصيب المجرمين من العذاب.
﴿٢٦﴾ فما وجدنا في قريتهم هذه غير بيت واحد من المسلمين، هم أهل بيت لوط.
﴿٢٧﴾ وتركنا في قرية قوم لوط من آثار العذاب ما يدل على وقوع العذاب عليهم ليعتبر به من يخاف العذاب الموجع الذي أصابهم، فلا يعمل بعلمهم لينجوا منه.
﴿٢٨﴾ وفي موسى حين بعثناه إلى فرعون بالحجج الواضحة، آية لمن يخاف العذاب الموجع.
﴿٢٩﴾ فأعرض فرعون معتدّاً بقوته وجنده عن الحق، وقال عن موسى: هو ساحر يسحر الناس، أو مجنون يقول ما لا يعقله.
﴿٣٠﴾ فأخذناه هو وجنوده كلهم فطرحناهم في البحر، فغرقوا وهلكوا، وفرعون أب بما يلام عليه من التكذيب وادعاء أنه إله.
﴿٣١﴾ وفي عاد قوم هود آية لمن يخاف العذاب الموجع حين بعثنا عليهم الريح التي لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً، ولا بركة فيها.

﴿٤٢﴾ ما ترك من نفس أو مال أو غيره ما أتت عليه إلا دمرته، وتركته كالبالي المتفتت.

﴿٤٣﴾ وفي ثمود قوم صالح: آية لمن يخاف العذاب الموجع حين قيل لهم: استمعوا بحياتكم قبل انقضاء آجالكم.

﴿٤٤﴾ فتكبروا عن أمر ربهم وعلوا استكباراً على الإيمان والطاعة، فأخذتهم صاعقة العذاب وهم ينتظرون نزوله، إذ كانوا وُعدوا بالعذاب قبل نزوله بثلاثة أيام.

﴿٤٥﴾ فما استطاعوا أن يدفعوا عنهم ما نزل بهم من العذاب، ولم تكن لهم قوة يمتنعون بها.

﴿٤٦﴾ وقد أهلكنا قوم نوح بالفرق من قبل هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله، فاستحقوا عقابه.

﴿٤٧﴾ والسماء ببنائها، وأتقناً ببناءها بقوة، وإنا لموسعون لأطرافها.

﴿٤٨﴾ والأرض جعلناها مهيأة للسالكين عليها كالفراس لهم، فنعم الماهدون نحن إذ مهدناها لهم.

﴿٤٩﴾ ومن كل شيء خلقنا صنفين: كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والبحر واليابس: لعلكم تتذكرون وحدانية الله الذي خلق من كل شيء صنفين، وتتذكرون قدرته. ﴿٥٠﴾ ففروا من عقاب الله إلى ثوابه، بطاعته وعدم معصيته، إني لكم - أيها الناس - نذير من عقابه بين النذارة. ﴿٥١﴾ ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر تعبدونه من دونه، إني لكم نذير منه بين النذارة.

﴿٥٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الإيمان أعلى درجة من الإسلام. • إهلاك الله للأمم المكذبة درس للناس جميعاً. • الخوف من الله يقتضي الفرار إليه سبحانه بالعمل الصالح، وليس الفرار منه.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٣﴾
 أَنَا صَوَاهِرُهُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٤﴾ فَنُفِّلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٥﴾ وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ أَنْ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَتُخْلِقُوا
 الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٧﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ
 أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
 فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

آياتها ١٩

نزلت بها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ
 الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
 عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
 مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
 ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
 جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢٣

﴿٥٣﴾ مثل ذلك التّكذيب الذي كذب به أهل مكة كذبت الأمم السابقة، فما جاءهم من رسول من عند الله إلا قالوا عنه: هو ساحر، أو مجنون. ﴿٥٤﴾ أتواصى المتقدمون من الكفار والمتأخرون منهم على تكذيب الرسل لا، بل جمعهم على هذا طغيانهم. ﴿٥٥﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المكذبين، فما أنت بملوم، فقد بلغت ما أرسلت به إليهم. ﴿٥٦﴾ ولا يمنعك إعراضك عنهم من وعظهم، وتذكيرهم، فعظهم وذكّرهم، فإن التذكير ينفع أهل الإيمان بالله. ﴿٥٧﴾ وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي وحدي، ما خلقتهم ليجعلوا لي شريكاً. ﴿٥٨﴾ ما أريد منهم رزقاً، ولا أريد منهم أن يطعموني. ﴿٥٩﴾ إن الله هو الرزاق لعباده، فالجميع محتاجون إلى رزقه، ذو القوة المتين الذي لا يغلبه شيء، وجميع الجن والإنس خاضعون لقوته سبحانه. ﴿٦٠﴾ فإن للذين ظلموا أنفسهم بتكذيبك - أيها الرسول - نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم السابقين، له أجل محدد، فلا يطلبوا مني تعجيله قبل أجله. ﴿٦١﴾ فهلاك وخسار للذين كفروا بالله، وكذبوا رسولهم من يوم القيامة الذي يوعدون فيه بإنزال العذاب عليهم.

سُورَةُ الطُّورِ

— مكة —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

الحجج والبراهين لرد شبهات المكذبين للنبي ﷺ.

• التفسير:

١ أقسم الله بالجبل الذي كلم عليه موسى ﷺ.

٢ وأقسم بالكتاب الذي هو مسطّر.

٣ في ورق مبسوط مفتوح كالكتب المنزلة. ٤ وأقسم بالبيت الذي تعمده الملائكة في السماء بعبادة الله.

٥ وأقسم بالسما المرفوعة التي هي سقف الأرض. ٦ وأقسم بالبحر المملوء ماء.

٧ إن عذاب ربك - أيها الرسول - لواقع لا محالة على الكافرين. ٨ ليس له من دافع يدفعه عنهم، ويمنعهم من وقوعه بهم.

٩ يوم تتحرك السماء تحركاً، وتضطرب إيداناً بالقيامة. ١٠ وتسير الجبال من مواقعها سيراً.

١١ فهلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذبين بما وعد الله الكافرين به من العذاب. ١٢ الذين هم في خوض في الباطل يلعبون، لا يبالون ببعث ولا نشور.

١٣ يوم يدفعون بشدة وعنف إلى نار جهنم دفعا. ١٤ ويقال توبيخاً لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون عندما تخوفكم رسلكم منها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الكفر ملة واحدة وإن اختلفت وسائله وتوعد أهله ومكانه وزمانه. • شهادة الله لرسوله ﷺ بتبليغ الرسالة. • الحكمة من خلق الجن والإنس تحقيق عبادة الله بكل مظاهرها. • سوف تتغير أحوال الكون يوم القيامة.

١٥٠ أفسح هذا الذي عاينتموه من

العذاب! أم أنتم لا تعاقبون؟

١٥١ ذوقوا حر هذه النار وعانوها،

فاصبروا على معاناة حرها، أو لا

تصبروا عليه، سواء صبركم وعدم

صبركم، لا تجزون اليوم إلا ما كنتم

تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي.

ولما ذكر الله جزاء المكذبين، ذكر

جزاء المصدقين المتقين، فقال:

١٥٢ إن المتقين لربهم - بامثال

أوامره، واجتنب نواهيه - في جنات

ونعيم عظيم لا ينقطع.

١٥٣ يتفكرون بما أعطاهم الله من

لذائذ المأكول والمشرب والمنكح،

ووقاهم ربهم سبحانه عذاب الجحيم؛

ففاضوا بحصول مطلوبهم من الميزات،

وبوقايتهم من المكدرات.

١٥٤ ويقال لهم: كلوا واشربوا مما

اشتتهت أنفسكم، هنيئاً، لا تخافون

ضرراً ولا أذى مما تأكلون أو تشربون؛

جزاء لكم على أعمالكم الطيبة في

الدنيا.

١٥٥ متكون على الأرائك المزينة

قد جعلت متقابلة بعضها إلى جانب

بعض، وزوجناهم بنساء بيض واسعات

العيون.

١٥٦ والذين آمنوا واتبعهم أولادهم

في الإيمان، ألحقنا بهم أولادهم لتقر

أعينهم بهم، ولولم يبلغوا أعمالهم،

وما نقصناهم شيئاً من ثواب

أعمالهم، كل إنسان محبوس بما كسبه

من عمل سيئ لا يحمل عنه غيره من

عمله شيئاً.

١٥٧ وأمددنا أهل الجنة هؤلاء بصنوف

من الفاكهة، وأمددناهم بكل ما

اشتوهه من لحم.

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥٥ أَصَلَوْهَا فَأَصْبِرُوا

أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥٦

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٥٧ فَكِهِنَ بِمَاءٍ أَنْتَهُمْ رَبُّهُمْ

وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٥٨ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥٩ مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجَنَاهُمْ

بِجُورٍ عِينٍ ١٦٠ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا

بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا

كَسَبَ رَهِيْنٌ ١٦١ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ١٦٢

يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيٌّ ١٦٣ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ

غُلَامَانُ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ قُلُوبٌ مَكْنُونٌ ١٦٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ١٦٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ

١٦٦ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّعِيرِ ١٦٧ إِنَّا كُنَّا

مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ١٦٨ فَذَكَرْنَا أَنْتَ نِعْمَتَ

رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ١٦٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ

الْمُنُونِ ١٧٠ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ١٧١

٥٢٤

١٦٣ يتعاطون في الجنة كأساً لا يترتب على شربها ما يترتب عليها في الدنيا، من الكلام الباطل والإثم بسبب السكر.

١٦٤ ويدور عليهم غلمان سخروا لخدمتهم كأنهم في صفاء بشرتهم وبياضها لؤلؤ محفوظ في أصدافه.

١٦٥ وأقبل بعض أهل الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضاً عن حالهم في الدنيا.

١٦٦ فيجيبونهم: إنا كنا في الدنيا بين أهليتنا خائفين من عذاب الله.

١٦٧ فمن الله علينا بالهداية إلى الإسلام، ووقانا العذاب البالغ في الحرارة.

١٦٨ إنا كنا في حياتنا الدنيا نعبد، وندعوه أن يقينا عذاب النار، إنه هو المحسن الصادق في وعده لعباده، الرحيم بهم، ومن بزه ورحمته بنا أن هدانا للإيمان، وأدخلنا الجنة، وأبعدنا عن النار.

١٦٩ فذكر - أيها الرسول - بالقرآن، فلست بما أنعم الله عليك به من الإيمان والعقل بكاهن لك ربي من الجن، ولست بمجنون.

١٧٠ أم يقول هؤلاء المكذبون: إن محمداً ليس رسولا، بل هو شاعر نتنظر به أن يخطفه الموت، فنستريح منه.

١٧١ قل لهم - أيها الرسول -: انتظروا موتي، وأنا أنتظر ما يحل بكم من عذاب بسبب تكذيبكم إياي.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الجمع بين الآباء والأبناء في الجنة في منزلة واحدة وإن قصر عمل بعضهم إكراماً لهم جميعاً حتى تتم الفرحة. • خمر الآخرة لا يترتب على شربها مكروه. • من خاف من ربه في دنياه أمّنه في آخرته.

﴿٣٢﴾ بل أتأمرهم عقولهم بقولهم: إنه كاهن ومجنون! فيجمعون بين ما لا يجتمع في شخص، بل هم قوم متجاوزون للحدود، فلا يرجعون إلى شرع ولا عقل.

﴿٣٣﴾ أم يقولون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن، ولم يوح إليه به! لم يخلقه، بل هم يستكبرون عن الإيمان به، فيقولون: اختلقه.

﴿٣٤﴾ فليأتوا بحديث مثله ولو كان مُحْتَقًا إن كانوا صادقين في دعواهم أنه اختلقه.

﴿٣٥﴾ أم خلقوا من غير خالق يخلقهم! أم هم الخالقون لأنفسهم! لا يمكن وجود مخلوق دون خالق، ولا مخلوق يخلق، فلم لا يعبدون خالقهم!

﴿٣٦﴾ أم خلقوا السماوات والأرض! بل لا يوقنون أن الله هو خالقهم، إذ لو أبقنوا ذلك لوحدوه، ولأمنوا برسوله.

﴿٣٧﴾ أم عندهم خزائن ربك من الرزق فيمنحونه من يشاؤون، ومن النبوة فيعطوها ويمنعوها من أرادوا! أم هم المُسَلِّطُونَ المتصرفون حسب مشيئتهم!

﴿٣٨﴾ أم لهم مِرْقَاة يرقون بها إلى السماء يستمعون فيها إلى وحي الله يوحيه أنهم على حق! فليأت من استمع منهم إلى ذلك الوحي بحجة واضحة تصدقكم فيما تدعونه من أنكم على حق.

﴿٣٩﴾ أم له البسات التي تكهونها، ولكم البتون الذين تحبونها!

﴿٤٠﴾ أم تطلب منهم - أيها الرسول - أجرًا على ما تبلغهم عن ربك! فهم بسبب ذلك مكلفون جمالًا لا يقدرُونَ على حمله.

﴿٤١﴾ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون للناس ما يطلعون عليه من الغيوب، فيخبرونهم بما شاؤوا منها!

﴿٤٢﴾ أم يريد هؤلاء المكذبون كيدًا بك وبدينك! فتق بالله، فالذين كفروا بالله وبرسوله هم الممكور بهم، لا أنت.

﴿٤٣﴾ أم لهم معبود بحق غير الله! تنزه الله وتقدس عما ينسبون إليه من الشريك. كل ما تقدم لم يكن ولا يتصور بحال.

﴿٤٤﴾ وإن يروا قطعًا من السماء ساقطة يقولوا عنه: هذا سحب متراكم بعضه على بعض كالعادة، فلا يعظون، ولا يؤمنون.

﴿٤٥﴾ فاتركهم - أيها الرسول - في عنادهم وجحودهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يعذبون، وهو يوم القيامة.

﴿٤٦﴾ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئًا قليلًا أو كثيرًا، ولا هم ينصرون بإنقاذهم من العذاب.

﴿٤٧﴾ وإن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي عذابًا قبل عذاب الآخرة؛ في الدنيا بالقتل والسبي، وفي البرزخ بعذاب القبر، ولكن معظمهم لا يعلمون ذلك، فلذلك يقيمون على كفرهم.

﴿٤٨﴾ ولما بين الله بطلان ما عليه المشركون أمر رسوله بعدم المبالاة بهم، وبالصبر على تكذيبهم فقال:

﴿٤٩﴾ واصبر - أيها الرسول - لقضاء ربك، ولحكمه الشرعي، فإنك بمرأى منا وحفظ، وسبح بحمد ربك حين تقوم من نومك.

﴿٥٠﴾ ومن الليل فسبح ربك، وصل له، وصل صلاة الفجر حين إدبار النجوم بأفولها بضوء النهار.

﴿٥١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الطغيان سبب من أسباب الضلال. ● أهمية الجدل العقلي في إثبات حقائق الدين. ● ثبوت عذاب البرزخ.

سُورَةُ النَّجْمِ

نزلت بها

٥٣ آياتها

أُنزلت بها

٦٢ آياتها

٥٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطُقُ عَنِ
 الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥
 ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠
 مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ
 نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَ جَانَّةِ الْمَأْوَىٰ ۝١٥
 إِذِغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ
 مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنْوَةَ
 الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
 ضِيزَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ
 الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝٢٥ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
 شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝٢٦

٥٢٦

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
 إثبات صدق الوحي وأنه من عند الله.

• التفسير:

١ أقسم سبحانه بالنجم إذا سقط.
 ٢ ما انحرف محمد رسول الله ﷺ عن طريق الهداية، وما صار غويًا، ولكنه رشيد.
 ٣ وما يتكلم بهذا القرآن تبعًا لهواه.

٤ ليس هذا القرآن إلا وحيًا يوحيه الله إليه عن طريق جبريل ﷺ.
 ٥ علمه إياه ملك شديد القوة هو جبريل ﷺ.

٦ وجبريل ﷺ ذو هيئة حسنة، فاستوى ﷺ ظاهرًا للنبي ﷺ على هيئته التي خلقه الله عليها.

٧ وجبريل بالأفق الأعلى من السماء. ثم اقترب جبريل ﷺ من النبي ﷺ، فازداد قربًا منه.

٨ فكان قربه منه بمقدار قوسين أو هو أقرب.

٩ فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى.

١٠ ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بصره.

١١ افتجادلونه - أيها المشركون - فيما أراه الله ليلة أسري به؟

١٢ ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته مرة أخرى ليلة أسري به.

١٣ عند سدرة المنتهى وهي شجرة عظيمة جدًا في السماء السابعة.

١٤ عند هذه الشجرة جنة المأوى.

١٥ ما مال بصره ﷺ يمينًا ولا شمالًا، ولا تجاوز ما حد له.

١٦ لقد رأى محمد ﷺ ليلة عرج به من آيات ربه العظمى الدالة على قدرته، فرأى الجنة، ورأى النار، وغيرهما. ١٧ أفرأيتم - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله: اللات والعزى. ١٨ ومناة الثالثة الأخرى من أصنامكم. أخبروني هل تملك لكم نفقًا أو ضرًا؟ ١٩ أنكم - أيها المشركون - الذكر الذي تحبونه، وله سبحانه الأنثى التي تكرهونها؟ ٢٠ تلك القسمة التي قسمتموها بأهوائكم قسمة جائرة.

٢١ ليست هذه الأصنام إلا أسماء فارغة من المعنى، فلا حظ لها في صفات الألوهية، سميتموها أنتم وأباؤكم من تلقاء أنفسكم، ما أنزل الله بها من برهان، لا يتبع المشركون في اعتقادهم إلا الظن وما تهواه أنفسهم مما زينه الشيطان في قلوبهم، ولقد جاءهم من ربهم الهدى على لسان نبيه ﷺ، فما اهتموا به.

٢٢ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ٢٣ أم للإنسان ما تمنى من شفاعاة الأصنام إلى الله؟ لا، ليس له ما تمنى، فله وحده الآخرة والأولى، يعطي منهما ما يشاء ويمنع ما يشاء. ٢٤ وكَم مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا لو أرادوا أن يشفعوا لأحد إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء منهم، ويرضى عن المشفوع له، فلن يأذن الله لمن جعل شريكًا أن يشفع، ولن يرضى عن مشفوعه الذي يعبد به دون الله.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• كمال أدب النبي ﷺ حيث لم يَزْغْ بصره وهو في السماء السابعة. • سفاهة عقل المشركين حيث عبدوا شيئًا لا يضر ولا ينفع، ونسبوا لله ما يكرهون واصطفوا لهم ما يحبون. • الشفاعاة لا تقع إلا بشرطين: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع له.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (٢٧)
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا يَمَاعِمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحَسَنَى (٣١) الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَرًا إِلَّا ثَمَّ وَأَلْفَوْا حَشًّا إِلَّا اللَّيْمَ
إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
(٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يُرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يَبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ
مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
(٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى
(٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى (٤١) وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢)
وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤)

٥٢٧

٢٧) إن الذين لا يؤمنون بالبعث في
الدار الآخرة ليسمّون الملائكة تسمية
الأنثى باعتقادهم أنهم بنات الله،
تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.
٢٨) وليس لهم بتسميتها إناثا من
علم يستندون إليه، لا يتبعون في ذلك
إلا التخرص والوهم، وإن الظن لا يغني
من الحق شيئا حتى يقوم مقامه.
٢٩) فأعرض - أيها الرسول - عمن
أدبر عن ذكر الله ولم يعبأ به، ولم يرد
إلا الحياة الدنيا، فهو لا يعمل لآخرته؛
لأنه لا يؤمن بها.

٣٠) ذلك الذي يقوله هؤلاء
المشركون - من تسمية الملائكة
تسمية الأنثى - هو حدهم الذي
يصلون إليه من العلم لأنهم جاهلون،
لم يصلوا إلى يقين، إن ربك - أيها
الرسول - هو أعلم بمن حاد عن
سبيل الحق، وهو أعلم بمن اهتدى إلى
طريقه، لا يخفى عليه شيء من ذلك.
٣١) ولله وحده ما في السماوات،
وله ما في الأرض ملكا وخلقًا وتديرا،
ليجزى الذين أسأوا أعمالهم في
الدنيا بما يستحقون من العذاب،
ويجزى المؤمنين الذين أحسنوا
أعمالهم بالجنة.

٣٢) الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب،
وقبائح المعاصي إلا صفائر الذنوب،
فهذه تغفر بترك الكبائر، والإكثار من
الطاعات، إن ربك - أيها الرسول -
واسع المغفرة، يغفر ذنوب عباده متى
تابوا منها، هو سبحانه أعلم بأحوالكم
وشؤونكم حين خلق أياكم آدم من
تراب، وحين كنتم حملا في بطون
أمهاتكم تخلقون خلقا من بعد خلق، لا
يخفى عليه شيء من ذلك، فلا تمدحوا

أنفسكم بالثناء عليها بالتقوى، فهو سبحانه أعلم بمن اتقاه؛ بامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

٣٣) أفرأيت قبح حال الذي أعرض عن الإسلام بعد إقراره منه.

٣٤) وأعطى قليلا من المال ثم منع؛ لأن البخل سجيته، ومع ذلك هو يزكي نفسه.

٣٥) أعنده علم الغيب فهو يرى ويحدث بالغيب؟

٣٦) أم هو مفتر على الله؟ أم لم يخبر هذا الممتقول على الله بما في الصحف الأولى التي أنزلها الله على موسى؟

٣٧) وصحف إبراهيم الذي أدى كل ما كلفه ربه به وأتمه.

٣٨) أنه لا يحمل إنسان إثم غيره.

٣٩) وأنه ليس للإنسان إلا ثواب عمله الذي عمله.

٤٠) وأن عمله سوف يرى يوم القيامة عيانا.

٤١) ثم يُعطى جزاء عمله تاما غير منقوص.

٤٢) وأن إلى ربك - أيها الرسول - مرجع العباد ومصيرهم بعد موتهم.

٤٣) وأنه هو أفرح من يشاء فأضحكه، وأحزن من يشاء فأبكاه. (٤٤) وأنه أمات الأحياء في الدنيا، وأحيا الموتى بالبعث.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• انقسام الذنوب إلى كبائر وصفائر. • خطورة التقول على الله بغير علم. • النهي عن تزكية النفس.

﴿٤٦﴾ وأنه خلق الصنفين: الذكر والأنثى. ﴿٤٧﴾ من نطفة إذا وضعت في الرحم. ﴿٤٨﴾ وأن عليه إعادة خلقهما بعد موتهما للبعث. ﴿٤٩﴾ وأنه أغنى من شاء من عباده بتملكه المال، وأعطى من المال ما يتخذه الناس قنية يقتنونه. ﴿٥٠﴾ وأنه هورب الشَّعْرَى، وهو نجم كان يعبد بعض المشركين من دون الله. ﴿٥١﴾ وأنه أهلك عادًا الأولى؛ وهم قوم هود لما أصرّوا على كفرهم. ﴿٥٢﴾ وأهلك ثمود قوم صالح، فلم يَبْقَ منهم أحدًا.

﴿٥٣﴾ وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إن قوم نوح كانوا أشدَّ ظلُمًا، وأعظم طغيانًا من عاد وثمود؛ لأن نوحًا مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى توحيد الله، فلم يستجيبوا له. ﴿٥٤﴾ وقرى قوم لوط رفعها إلى السماء، ثم قلبها، ثم أسقطها إلى الأرض. ﴿٥٥﴾ فغطاها وأصابها من الحجارة ما غطاها بعد رفعها إلى السماء واسقاطها على الأرض.

﴿٥٦﴾ فيأى آيات ربك الدالة على قدرته تجادل أيها الإنسان فلا تتعظ بها؟ ﴿٥٧﴾ هذا الرسول المرسل إليكم من جنس الرسل الأولى. ﴿٥٨﴾ اقتربت القيامة القريبة. ﴿٥٩﴾ ليس لها دافع يدفعها، ولا مطلع يطلع عليها إلا الله. ﴿٦٠﴾ أفمن هذا القرآن الذي يُتلى عليكم تعجبون أن يكون من عند الله؟ ﴿٦١﴾ وتضحكون منه استهزاء به، ولا تكون عند سماع مواعظه؟ ﴿٦٢﴾ وأنتم لاهون عنه، لا تبالون به؟ ﴿٦٣﴾ فاسجدوا لله وحده، وأخلصوا له العبادة.

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٤٦﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَن عَلَيْهِ الشَّاءَ الْآخَرَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَقَفَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَرَبُ الشَّعْرَىٰ ﴿٥٠﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ وَثَمُودَ أَفْمَا أَبْقَىٰ ﴿٥٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ ﴿٥٣﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٤﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٦﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٧﴾ أَرَفَتِ الْآزِفَةَ ﴿٥٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٩﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٦٠﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦١﴾ وَأَنْتُمْ سَلَمْدُونَ ﴿٦٢﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٣﴾

سجدة

سُورَةُ الْقَمَرِ ﴿٥٦﴾ رَبِّهَا ﴿٥٦﴾ آيَاتُهَا ﴿٥٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾

٥٢٨

سُورَةُ الْقَمَرِ
— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التذكير بنعمة تيسير القرآن، وما فيه من الآيات والنذر.

• التفسير:

﴿١﴾ اقترَبَ مجيء الساعة، وانشق القمر في عهد النبي ﷺ، فكان انشقاقه من آياته ﷺ الحسية. ﴿٢﴾ وإن يَرِ المشركون دليلاً وبرهاناً على صدقه ﷺ يُعرِّضوا عن قبوله، ويقولوا: ما شاهدناه من الحُجج والبراهين سحر باطل. ﴿٣﴾ وكذبوا بما جاءهم من الحق، واتبعوا أهواءهم في التكذيب، وكل أمر - خيراً كان أو شراً - واقع بمستحقه يوم القيامة. ﴿٤﴾ ولقد جاءهم من أخبار الأمم التي أهلكها الله بكفرها وظلمها ما يكفي لردعهم عن كفرهم وظلمهم. ﴿٥﴾ والذي جاءهم حكمة تامة لتقوم عليهم الحجة، فما تنفع النذر قوماً لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ﴿٦﴾ فإذا لم يهتدوا فاتركهم - أيها الرسول - وأعرض عنهم منتظراً يوم يدعو الملك الموكل بالنفخ في الصور إلى أمر فظيع لم تعرف الخلائق مثله من قبل.

• من فوائد الآيات: • عدم التأثر بالقرآن نذير شؤم. • خطر اتباع الهوى على النفس في الدنيا والآخرة. • عدم الاعتاض بهلاك الأمم صفة من صفات الكفار.

٧ ذليلة أبصارهم، يخرجون من القبور كأنهم في سعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.

٨ مسرعين إلى الداعي إلى ذلك الموقف، يقول الكافرون: هذا اليوم يوم عسير؛ لما فيه من الشدة والأهوال.

ولما ذكر الله إعراض الكفار عن دعوة رسولنا ﷺ، أخبره بأن الأمم السابقة كذبت رسلها؛ تسلياً له، فقال:

٩ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بدعوتك - أيها الرسول - قوم نوح، فكذبوا عبادنا نوحاً ﷺ لما بعثناه إليهم، وقالوا عنه: هو مجنون، وانتهروه بأنواع السب والشتم والتهديد إذا لم يترك دعوتهم.

١٠ فدعا نوح ربه قائلاً: إن قومي غلبوني، ولم يستجيبوا لي، فانتصر منهم بعقاب تنزله عليهم.

١١ ففتحنا أبواب السماء بماء متدفق متتابع.

١٢ وفجرنا الأرض فصارت عيوناً ينبع منها الماء، فالتقى الماء النازل من السماء مع الماء النابع من الأرض على أمر من الله قدره في الأزل، فأغرق الجميع إلا من نجاه الله.

١٣ وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ومسامير، فنجيناه ومن معه من الفرق.

١٤ تجري هذه السفينة في أمواج الماء المتلاطمة بمرأى منا وحفظ، انتصاراً لنوح الذي كذبه قومه، وكفروا بما جاءهم به من عند الله.

١٥ ولقد تركنا هذا العقاب الذي عاقبناهم به؛ عبرة وعظة، فهل من معتبر يعتبر بذلك؟

خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ٧
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ٨
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ٩
رَبُّهُ وَإِنِّي مُغْلَوْبٌ فَانْتَصِرَ ١٠
فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ١١
وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢
وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ١٣
تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كَفَرَ ١٤
وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٥
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ١٦
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٧
كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ١٨
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِيسُ مُسْتَمِرٍّ ١٩
تَنْزِعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُنْقَعِرٍ ٢٠
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ٢١
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ٢٣
فَقَالُوا أَبَشْرًا
مِّمَّا وَحَدَّ انتَبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٢٤
أَهُ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ٢٥
سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ
إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ٢٦

١٦ فكيف كان عذابي للمكذبين؟ وكيف كان إنذاري بإهلاكهم؟

١٧ ولقد سهّلنا القرآن للتذكر والانتعاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟

١٨ كذبت عاد نبيها هوداً ﷺ، فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعدابهم؟

١٩ إنا بعثنا عليهم ريحاً شديدة باردة في يوم شرّ وشؤم مستمرّ معهم إلى ورودهم جهنم.

٢٠ تقتلع الناس من الأرض، وترمي بهم على رؤوسهم كأنهم أصول نخل منقطع من مفرسه.

٢١ فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعدابهم؟

٢٢ ولقد سهّلنا القرآن للتذكر والانتعاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟

٢٣ كذبت ثمود بما أنذرهم به رسولهم صالح ﷺ. فقالوا مستكبرين: أنتبع بشراً من جنسنا واحداً؟ إنا إن اتبعناه في هذه

الحالة لضي بعد عن الصواب وانحراف عنه، وفي عناء. ٢٤ أنزل عليه الوحي وهو واحد، واختص به دوننا جميعاً؟ لا، بل هو كذاب

متجبر. ٢٥ سيعلمون يوم القيامة من الكذاب المتجبر أصالح أم هم؟ ٢٦ إنا مخرجوا الناقة من الصخرة وباعثوها اختباراً لهم،

فانتظر - يا صالح - وراقب ما يصنعون بها وما يُصنَعُ بهم، واصبر على أذاهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• مشروعية الدعاء على الكافر المصّر على كفره. • إهلاك المكذبين وإنجاء المؤمنين سُنَّةَ إلهية. • تيسير القرآن للحفظ

وللتذكر والانتعاظ.

﴿٢٨﴾ وأخبرهم أن ماء بئرهم مقسوم بينهم وبين الناقة؛ يوم لها، ويوم لهم، كل نصيب يحضره صاحبه وحده في يومه المختص به.

﴿٢٩﴾ فتادوا صاحبهم ليقتل الناقة، فتناول السيف وقتلها؛ امتثالاً لأمر قومه.

﴿٣٠﴾ فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟! وكيف كان إنذاري لغيرهم بعدايبهم؟!.

﴿٣١﴾ إنا بعثنا عليهم صيحة واحدة فأهلكتهم، فكانوا كالشجر اليابس يتخذ منه الموحظ حظيرة لغيره.

﴿٣٢﴾ ولقد سهلنا القرآن للتذكر والاتعاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟!.

﴿٣٣﴾ كذبت قوم لوط بما أنذرهم به رسولهم لوط عليه السلام.

﴿٣٤﴾ إنا بعثنا عليهم ريحاً ترميهم بالحجارة إلا آل لوط عليهم السلام، لم يصيبهم العذاب، فقد أنقذناهم منه؛ إذ سرى بهم قبل وقوع العذاب من آخر الليل. ﴿٣٥﴾ أنقذناهم من العذاب إنعاماً منا عليهم، مثل هذا الجزاء الذي جزينا به لوطاً نجزي من شكر الله على نعمه.

﴿٣٦﴾ ولقد خوفهم لوط عذابنا فتجادلوا بإنذاره، وكذبوه.

﴿٣٧﴾ ولقد راود لوطاً قومه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه من الملائكة قصد فعل الفاحشة، فطمسنا أعينهم فلم تبصرهم، وقلنا لهم: ذوقوا عذابي، ونتيجة إنذاري لكم.

﴿٣٨﴾ ولقد جاءهم في وقت الصباح عذاب مستمر معهم حتى يردوا الآخرة فبأيتهم عذابها.

وَبَيَّنَّا أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخْتَصِرٌ ﴿٢٨﴾ فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَالْهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَهْمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

﴿٥٣٠﴾

﴿٣٦﴾ وقيل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم، ونتيجة إنذار لوط لكم.

﴿٣٧﴾ ولقد سهلنا القرآن للتذكر والاتعاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟!.

﴿٣٨﴾ ولقد جاء آل فرعون إنذارنا على لسان موسى وهارون عليهم السلام.

﴿٣٩﴾ كذبوا بالبراهين والحجج التي جاءتهم من عندنا، فعاقبناهم على تكذيبهم بها عقوبة عزيز لا يغلبه أحد، مقتدر لا يعجز عن شيء.

﴿٤٠﴾ أكفاركم - يا أهل مكة - خير من أولئك الكفار المذكورين: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه؟! أم لكم براءة من عذاب الله جاءت بها الكتب السماوية؟! ﴿٤١﴾ بل أيقول هؤلاء الكفار من أهل مكة: نحن جميع منتصر ممن يريدنا بسوء، ويريد تفريق جمعنا؟! ﴿٤٢﴾ سيهزم جمع هؤلاء الكفار ويولون الأدبار أمام المؤمنين، وقد حدث هذا يوم بدر. ﴿٤٣﴾ بل الساعة التي يكذبون بها مواعدهم الذي يعذبون فيه، والساعة أعظم وأقسى مما لقوه من عذاب الدنيا يوم بدر. ﴿٤٤﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في ضلال عن الحق، وعذاب وعناء. ﴿٤٥﴾ يوم يجرون في النار على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً: ذوقوا عذاب النار. ﴿٤٦﴾ إنا كل شيء في الكون خلقناه بتقدير سابق منا، ووفق علمنا ومشيتنا، وما كتبناه في اللوح المحفوظ.

﴿٤٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● شمول العذاب للمباشر للجريمة والمُتَمَالئ معه عليها. ● شُكْرُ اللَّهِ على نعمه سبب السلامة من العذاب. ● إخبار القرآن بهزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها من الإخبار بالغيب الدال على صدق القرآن. ● وجوب الإيمان بالقدر.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّدَكِرٍ ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ
۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝

سورة الرحمن

آياتها
٧٨ترتيبها
٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝ ١ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ ٢ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ ٣ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ ٤ ۝
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ۝ ٥ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ ٦ ۝
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ ٧ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ ٨ ۝
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ ٩ ۝ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ ١٠ ۝ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ ١١ ۝
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ ١٢ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
١٣ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ ١٤ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝ ١٥ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ١٦ ۝ رَبُّ
الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ ١٧ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ١٨ ۝

٥٣١

٥٥ وما أمرنا إذا أردنا شيئاً إلا أن نقول كلمة واحدة هي: كن، فيكون ما نريد سريعاً مثل لمح البصر. ٥٦ ولقد أهلكنا أمثالكم في الكفر من الأمم الماضية، فهل من معتبر يعتبر بذلك فينزع عن كفره؟ ٥٧ وكل شيء فعله العباد فهو مكتوب في كتب الخفظة لا يفوتهم منه شيء. ٥٨ وكل صغير من الأعمال والأقوال، وكل كبير منها؛ مكتوب في صحائف الأعمال وفي اللوح المحفوظ، وسيجازون عليه. ٥٩ إن المتقين لربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، في جنات يتعمون فيها، وفي أنهار جارية. ٦٠ في مجلس حق لا تقو فيه ولا إثم، عند ملك يملك كل شيء، مقتدر لا يعجز عن شيء، فلا تسأل عما ينالونه منه من النعيم الدائم.

سورة الرحمن

— مدنية —

● من مقاصد السورة:

تذكير الجن والإنس بنعم الله الباطنة والظاهرة، وأثار رحمته في الدنيا والآخرة. التفسير:

١ الرحمن ذو الرحمة الواسعة. ٢ علم الناس القرآن بتسهيل حفظه، وتيسير فهم معانيه. ٣ خلق الإنسان سوياً، وأحسن تصويره. ٤ علمه كيف يبين عما في ضميره نطقاً وكتابة.

٥ الشمس والقمر قدّرها؛ يسيران بحساب متقن؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب.

٦ وما لا ساق له من النبات والشجر يسجدان لله سبحانه متقاضين مستسلمين له.

٧ والسماء رفعها فوق الأرض سقفاً لها، وأثبت العدل في الأرض، وأمر به عبادته.

٨ أثبت العدل لئلا تجوروا - أيها الناس - وتخونوا في الوزن والكيل.

٩ وأقيموا الوزن بينكم بالعدل، ولا تنقصوا الوزن أو الكيل إذا كلمتم أو وزنتم لغيركم.

١٠ والأرض وضعها مهيأة لاستقرار الخلق عليها. ١١ فيها الأشجار التي تثمر الفواكه، وفيها النخل ذات الأوعية التي يكون منها

التمر. ١٢ وفيها الحب ذو التبن كالبئر والشعير، وفيها النباتات التي تستطيبون رائحتها. ١٣ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا

معشر الجن والإنس - تكذبان؟ ١٤ خلق آدم ﷺ من طين يابس تسمع له صلصلة، مثل الطين المطبوخ. ١٥ وخلق أبا الجن من

لهب خالص من الدخان. ١٦ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟ ١٧ رب مشرق الشمس ومغربها

شئاً وصيفاً. ١٨ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

● من فوائد الآيات:

● كتابة الأعمال صغيرها وكبيرها في صحائف الأعمال. ● ابتداء الرحمن بذكر نعمه بالقرآن دلالة على شرف القرآن وعظم منته على الخلق به. ● مكانة العدل في الإسلام. ● نعم الله تقتضي منا العرفان بها وشكرها، لا التكذيب بها وكفرها.

﴿١٩﴾ خلط الله البحرين المالح والعذب

يلتقيان فيما تراه العين.

﴿٢٠﴾ بينهما حاجر يمنع كلاً منهما

أن يطفئ على الآخر حتى يبقى العذب عذباً والمالح مالحاً.

﴿٢١﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٢٢﴾ يخرج من مجموع البحرين كبار الدُّر وصفاره.

﴿٢٣﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٢٤﴾ وله ﴿٢٥﴾ وحده التصرف في

السفن الجارية في البحار مثل الجبال.

﴿٢٥﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٢٦﴾ كل من على وجه الأرض من

الخلائق هالك لا محالة.

﴿٢٧﴾ ويبقى وجه ربك - أيها الرسول -

ذو العظمة والإحسان والتفضل على

عباده، فلا يلحقه فناء أبداً.

﴿٢٨﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٢٩﴾ يسأله كل من في السماوات من

الملائكة، ومن في الأرض من الجن

والإنس؛ حاجاتهم، كل يوم هو في شأن

من شؤون عباده؛ من إحياء وإماتة

ورزق وغير ذلك.

﴿٣٠﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٣١﴾ سنفرغ لحسابكم - أيها الإنس

والجن - فنجازي كل بما يستحقه من

ثواب أو عقاب.

﴿٣٢﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٣٣﴾ ويقول الله يوم القيامة إذا

جمع الجن والإنس: يا معشر الجن

والإنس، إن استطعتم أن تجدوا لكم مخرجاً من ناحية من نواحي السماوات والأرض فافعلوا، ولن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك إلا بقوة

وبينة، وأنى لكم ذلك؟

﴿٣٤﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٣٥﴾ يُرْسَلُ عليهما - أيها الإنس والجن - لهب من النار خالٍ من الدخان، ودخان لا لهب فيه، فلا تستطيعان الامتناع من ذلك.

﴿٣٦﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٣٧﴾ فإذا تشققت السماء لنزول الملائكة منها فكانت حمراء مثل الدهن في إشراق لونه.

﴿٣٨﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٣٩﴾ ففي ذلك اليوم العظيم لا يُسأل إنس ولا جن عن ذنوبهم؛ لعلم الله بأعمالهم.

﴿٤٠﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٤١﴾ يُعْرِفُ المجرمون يوم القيامة بعلا متهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون، فَتُصَمَّ نواصيهم إلى أقدامهم فيرمون في جهنم.

﴿٤٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الجمع بين البحر المالح والعذب دون أن يختلطا من مظاهر قدرة الله تعالى. ● ثبوت الفناء لجميع الخلائق، وبيان أن البقاء

لله وحده حصٌّ للعباد على التعلق بالباقي - سبحانه - دون من سواه. ● إثبات صفة الوجه لله على ما يليق به سبحانه دون تشبيه أو

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْقُلُوبَ وَالْمَرْجَانَ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمَعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَلَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِأَسْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطُهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
 ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَلْصِرَاتُ الطَّرَفِ
 لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾
 فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

﴿٤٢﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٤٣﴾ وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: هَذِهِ جَهَنَّمُ
 الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرِمُونَ فِي الدُّنْيَا
 أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِنكَارَهَا.
 ﴿٤٤﴾ يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَاءٍ حَارٍّ
 شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا
 مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٤٦﴾ وَلِلَّذِي خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ
 فِي الْآخِرَةِ قَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا -
 جَنَّاتٍ.

﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٤٨﴾ وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَغْصَانٍ
 عَظِيمَةٍ نَضْرَةً مَثْمَرَةً.

﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٥٠﴾ فِي الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
 خِلَالَهُمَا بِالْمَاءِ.

﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٥٢﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ
 صِنْفَانِ.

﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٥٤﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطُهَا مِنْ
 الدِّيْبَاجِ الْفَلِيطِ، وَمَا يُجْنَى مِنَ الثَّمَارِ
 وَالْفَوَاكِهِ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ قَرِيبَ يَتَنَاولُهُ
 الْقَائِمُ وَالْجَالِسُ وَالْمُتَكَيِّئُ.

﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٥٦﴾ فِيهِنَّ نِسَاءٌ قَصُورُنَ قَصُورَهُنَّ
 عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، لَمْ يَفْتَضِضْ بَكَارَتِهِنَّ
 قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.

﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٥٨﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ جَمَالًا وَصَفَاءً.

﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٦٠﴾ مَا جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ بَطَاعَةً رَبَّهُ إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ؟
 ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٦٢﴾ وَمِنْ دُونِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ جَنَّتَانِ أُخْرَيَانِ.

﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
 ﴿٦٤﴾ قَدْ اشْتَدَّتْ خَضَرَتُهُمَا.

﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟ ﴿٦٦﴾ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ
 شَدِيدَتَا الْقُورَانِ بِالْمَاءِ، لَا يَنْقَطِعُ قُورَانُ مَائِهِمَا. ﴿٦٧﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟ ﴿٦٨﴾ فِي
 هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ. ﴿٦٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أَمِيَّةُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَاسْتَحْضَارُ رَهْبَةِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ. • مَدْحُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ بِالْعَفَافِ دَلَالَةً عَلَى فَضِيلَةِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي
 الْمَرْأَةِ. • الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

﴿٧٠﴾ فِي هَذِهِ الْجَنَانِ نِسَاءٌ طَيِّبَاتٌ

الْأَخْلَاقِ حَسَنَاتِ الْوُجُوهِ.

﴿٧١﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿٧٢﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٣﴾ فَبِأَيِّ

نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿٧٤﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٥﴾ فَبِأَيِّ

نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿٧٦﴾ لَمْ يَقْتَرِبْ مِنْهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.

﴿٧٧﴾ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿٧٨﴾ مَتَكِّينَ عَلَى وُضُوءٍ مُّغْطَاةٍ

بِأَغْطِيَةٍ خَضِرٍ وَفُرَشٍ حَسَنٍ.

﴿٧٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿٨٠﴾ تَعَاظَمُوا كَثُرَ خَيْرُ اسْمِ رَبِّكَ

ذِي الْعِظَمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّفَضُّلِ عَلَى

عِبَادِهِ.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان أحوال العباد يوم المعاد.

• التفسير:

﴿١﴾ إذا قامت القيامة لا محالة.

﴿٢﴾ لن توجد نفس تكذب بها كما

كانت تكذب في الدنيا.

﴿٣﴾ خافضة للكفار الفجار بإدخالهم

في النار، رافعة للمؤمنين المتقين

بإدخالهم في الجنة.

﴿٤﴾ إذا حُرِّكَتْ الْأَرْضُ تَحْرِيكًا عَظِيمًا.

﴿٥﴾ وَفُتَّتِ الْجِبَالُ تَفْتِيثًا.

﴿٦﴾ فَكَانَتْ مِنَ التَّفْتِثِ غِبَارًا

مَنْشُورًا لَا ثَبَاتَ لَهَا.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنُتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

وَكُنْتُمْ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:

فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، مَا أَعْلَى وَأَعْظَمَ مَنْزِلَتُهُمْ؛

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِشِمَائِلِهِمْ، مَا أَسْفَلَ وَأَسْوَءُ مَنْزِلَتُهُمْ؛

وَالسَّابِقُونَ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا هُمُ السَّابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ عِنْدَ اللَّهِ.

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، يَتَنَعَّمُونَ بِأَصْنَافِ النَّعِيمِ.

جَمَاعَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمِنْ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

وَقَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ هُمُ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ.

عَلَى أَسْرَةٍ مَنْسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ.

مَتَكِّينَ عَلَى هَذِهِ الْأَسْرَةِ مُتَقَابِلِينَ بِوُجُوهِهِمْ، لَا يَنْظُرُ أَحَدُهُمْ قَفَا غَيْرِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• دَوَامُ تَذَكُّرِ نِعَمِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ سُبْحَانَهُ مُوجِبٌ لَتَعْظِيمِ اللَّهِ وَحُسْنِ طَاعَتِهِ. • انْقِطَاعُ تَكْذِيبِ الْكُفَرِ بِمَعَايِنَةِ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ.

• تَفَاوُتُ دَرَجَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِتَفَاوُتِ أَعْمَالِهِمْ.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَابَارِيقُ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
 لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٨﴾ وَفَلَكَهَةِ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ
 ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ
 الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
 وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
 الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
 ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَكَهَةِ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
 ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا
 ﴿٣٦﴾ عُرْيًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾
 وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ
 ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ
 وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا
 يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
 تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًا أَوْنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
 الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

﴿١٧﴾ يدور عليهم لخدمتهم ولَدَانِ لا ينالهم هُزْم ولا فناء.
 ﴿١٨﴾ يدورون عليهم بأقداح لا عُزَى لها، وأباريق لها عُزَى، وكأس من خمر جارية في الجنة لا تنقطع.
 ﴿١٩﴾ ليست كخمر الدنيا، فلا يلحق شاربها صداع، ولا ذهاب عقل.
 ﴿٢٠﴾ ويدور عليهم هؤلاء الولدان بفاكهة مما يختارون.
 ﴿٢١﴾ ويدورون بلحم طير مما تشتهيهِ أنفسهم.
 ﴿٢٢﴾ ولهم في الجنة نساء واسعات العيون في جمال.
 ﴿٢٣﴾ كأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَصُونِ في صدقته.
 ﴿٢٤﴾ ثوابًا لهم على ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحات في الدنيا.
 ﴿٢٥﴾ لا يسمعون في الجنة فاحش كلام، ولا ما يلحق صاحبه إثم.
 ﴿٢٦﴾ لا يسمعون إلا سلام الملائكة عليهم، وسلام بعضهم على بعض.
 ﴿٢٧﴾ وأصحاب اليمين - الذين يعطون كتبهم بأيمانهم - ما أعظم مكانتهم وشأنهم عند الله!
 ﴿٢٨﴾ في سِدْرٍ مَّقْطُوعِ الشوك، لا أذى فيه.
 ﴿٢٩﴾ وفي موز متراكم مصفوف بعضه إلى بعض.
 ﴿٣٠﴾ وظل ممدود مستمر لا يزول.
 ﴿٣١﴾ وماء جار لا يتوقف.
 ﴿٣٢﴾ وفاكهة كثيرة لا تنحصر.
 ﴿٣٣﴾ لا تنقطع عنهم أبدًا، فليس لها موسم، ولا يحول دونها مانع في أي وقت أرادوها.
 ﴿٣٤﴾ وفرش مرفوعة عالية توضع على الأسرة.

﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنشَأْنَا الْحُورَ الْمَذْكُورَاتِ إِنِشَاءً غير مألوف.

﴿٣٦﴾ فَصَبَّرْنَاهُنَّ أَبْكَارًا لَمْ يُلْمَسْنَ مِنْ قَبْلِ.

﴿٣٧﴾ مُتَحَبِّبَاتٍ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، مستويات في السن.

﴿٣٨﴾ أَنشَأْنَاهُنَّ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ يُوْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الْيَمِينِ علامة على سعادتهم.

﴿٣٩﴾ هُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَّمِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ.

﴿٤٠﴾ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهِيَ آخِرُ الْأُمَمِ. وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ - الَّذِينَ يَعطُونَ كُتُبَهُمْ بِشِمَالِهِمْ - مَا أَسْوأَ حَالَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ!

﴿٤١﴾ فِي رِيَّاحٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، وَفِي مَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ. وَفِي ظِلِّ دُخَانٍ مُّسَوِّدٍ. ﴿٤٢﴾ لَا طَبِّبَ الْهَبُوبِ، وَلَا حَسَنَ الْمَنْظَرِ. ﴿٤٣﴾ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَبْلَ مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ مُتَعَمِّمِينَ فِي الدُّنْيَا، لَا هَمَّ لَهُمْ إِلَّا شَهْوَاتُهُمْ. ﴿٤٤﴾ وَكَانُوا يَصْمُمُونَ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ

الْأَصْنَامِ مِنْ دُونِهِ. ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يَنْكُرُونَ الْبَيْعَ فَيَقُولُونَ اسْتَهْزَأَ وَاسْتِعْبَادًا لَهُ: إِذَا مِتْنَا وَصَرْنَا تُرَابًا وَعِظْمًا نَحْنُ أَنْبِئُكَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

﴿٤٦﴾ أَوْ يَبِيعُ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَنَا؟ ﴿٤٧﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَهُؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَيْعِ: إِنَّ الْأَوَّلِينَ مِنَ النَّاسِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ

مِنْهُمْ. ﴿٤٨﴾ سَيَجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَا حَالَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿٤٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• العمل الصالح سبب لنيل النعيم في الآخرة. • الترف والتنعيم من أسباب الوقوع في المعاصي. • خطر الإصرار على الذنب.

﴿٥٢﴾ ثم إنكم - أيها المكذبون - بالبعث، الضالون عن الصراط المستقيم - لآكلون يوم القيامة من ثمر شجر الزقوم، وهو شرّ ثمر وأخبثه.

﴿٥٣﴾ فمالتون من ذلك الشجر المُرّ بطونكم الخاوية.

﴿٥٤﴾ فشاربون عليه من الماء الحار الشديد الحرارة.

﴿٥٥﴾ فمكثرون من شربه كما تكثر الإبل من الشرب بسبب داء الهُيام.

﴿٥٦﴾ هذا المذكور من الطعام المُرّ والماء الحارّ هو ضيافتهم التي يُستقبلون بها يوم الجزاء.

﴿٥٧﴾ نحن خلقناكم - أيها المكذبون - بعد أن كنتم عدماً، فهلأ صدقتم بأننا سنبعثكم أحياء بعد موتكم؟

﴿٥٨﴾ أفرأيتم - أيها الناس - ما تقدفونه من المني في أرحام نساءكم؟

﴿٥٩﴾ أنتم تخلقون ذلك المني، أم نحن الذين نخلقه؟

﴿٦٠﴾ نحن قدرنا بينكم الموت، فلكل واحد منكم أجل لا يتقدم عليه ولا يتأخر، وما نحن بمعجزين.

﴿٦١﴾ على أن نبدل ما أنتم عليه من الخلق والتصوير مما علمتموه، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الخلق والتصوير.

﴿٦٢﴾ ولقد علمتم كيف خلقناكم الخلق الأول، أفلا تعقبون وتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على بعثكم بعد موتكم؟

﴿٦٣﴾ أفرأيتم ما تلقونه من البذر في الأرض؟

﴿٦٤﴾ أنتم الذين تثبتون ذلك البذر، أم نحن الذين ننبته؟

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزْلُ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

الجزء
الثامن

٥٣٦

﴿٥١﴾ لو نشاء جعل ذلك الزرع حطامًا لجعلناه حطامًا بعد أن أوشك على النضج والإدراك، فظللتم بعد ذلك تتعجبون مما أصابه.

﴿٥٢﴾ تقولون: إنا لمعدبون بخسارة ما أنفقناه.

﴿٥٣﴾ بل نحن محرومون من الرزق.

﴿٥٤﴾ أفرأيتم الماء الذي تشربون منه إذا عطشتم؟

﴿٥٥﴾ أنتم أنزلتموه من السحاب في السماء، أم نحن الذين أنزلناه؟

﴿٥٦﴾ لو نشاء جعل ذلك الماء شديد الملوحة لا يُنتفع به شربًا ولا سقيًا لجعلناه شديد الملوحة، فلولا تشكرون الله على إنزاله غَدًا رحمة بكم.

﴿٥٧﴾ أفرأيتم النار التي توقدها لمنافعكم؟ ﴿٥٨﴾ أنتم الذين أنشأتم الشجرة التي توقد منها، أم نحن الذين أنشأناها رفقا بكم؟ ﴿٥٩﴾ نحن صيرناها هذه النار تذكرة لكم تذكركم بنار الآخرة، وصيرناها منفعة للمسافرين منكم. ﴿٦٠﴾ أيها الرسول - ربك العظيم عما لا يليق به. ﴿٦١﴾ أقسم الله بأماكن النجوم ومواقعها. ﴿٦٢﴾ وإن القسم بهذه المواقع - لو تعلمون عظمه - لعظيم؛ لما فيه من الآيات والعبر التي لا تحصى.

﴿٦٣﴾ من قوايد الآيات؛

• دلالة الخلق الأول على سهولة البعث ظاهرة. • إنزال الماء وإنبات الأرض والنار التي ينتفع بها الناس نعم تقتضي من الناس شكرها لله، فالله قادر على سلبها متى شاء. • الاعتقاد بأن للكواكب أثرًا في نزول المطر كفر، وهو من عادات الجاهلية.

إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ
أَنْتُمْ مُدْهُونُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا
إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْحَادِثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٥٣٧

المستقيم. ﴿١﴾ فضيافته التي يستقبل بها ماء حارٌّ شديد الحرارة. ﴿٢﴾ وله احتراق بنار الجحيم. ﴿٣﴾ إن هذا الذي قصصناه عليك - أيها الرسول - لهو حق اليقين الذي لا مزية فيه. ﴿٤﴾ فنزّه اسم ربك العظيم، وقُدّسه عن النقائص.

سُورَةُ الْحَادِثِ

مَدِينَةٍ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الترقي بالنفوس للإيمان والإنفاق في سبيل الله.

• التفسير:

﴿١﴾ نَزَّهَ اللَّهُ وَقُدَّسَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ. ﴿٢﴾ لَهُ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَحْيِيَهُ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يُمِيتَهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ. ﴿٣﴾ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَهُوَ الْآخِرُ الَّذِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَهُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • شدة سكرات الموت وعجز الإنسان عن دفعها. • الأصل أن البشر لا يرون الملائكة إلا إن أراد الله لحكمة. • أسماء الله (الأول، الآخر، الظاهر، الباطن) تقتضي تعظيم الله ومراقبته في الأعمال الظاهرة والباطنة.

﴿٧٧﴾ إِنَّ الْقُرْآنَ الْمَقْرُوءَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - قُرْآنٌ كَرِيمٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ. ﴿٧٨﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. ﴿٧٩﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعِيُوبِ. ﴿٨٠﴾ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّ الْخَلَائِقِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. ﴿٨١﴾ أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - مُكَذِّبُونَ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ؟ ﴿٨٢﴾ وَتَجْعَلُونَ شُرُوكَكُمْ لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَكُمْ بِهِ مِنَ النِّعَمِ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ، فَتَتَسَبَّبُ الْمَطَرُ إِلَى النَّوْءِ، فَتَقُولُونَ: مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَنَوْءٍ كَذَا؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِ أَدْلَةِ الْبُعْثِ أَرَادَ أَنْ يَنْبِئَهُ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِعَادَةِ بِالإِشَارَةِ إِلَى عَجْزِهِمْ عَنْ دَفْعِ الْمَوْتِ، فَالَّذِي أَمَاتَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ. ﴿٨٣﴾ فَهَلَا إِذَا وَصَلَتِ الرُّوحُ الْحُلُقُومَ. ﴿٨٤﴾ وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَنْظُرُونَ الْمُخْتَضِرَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ. ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بَعْلَمْنَا وَقُدْرَتَنَا وَمَلَائِكَتَنَا أَقْرَبُ إِلَى مَيْتِكُمْ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَشَاهِدُونَ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ. ﴿٨٦﴾ فَهَلَا - إِنْ كُنْتُمْ، كَمَا تَزْعُمُونَ، غَيْرَ مَبْعُوثِينَ لِمَجَازَاتِكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ - تَرْجِعُونَ هَذِهِ الرُّوحَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ مَيْتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ وَلَا تَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ. ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، ﴿٨٨﴾ فَلَهُ رَاحَةٌ لَا تَعْبُ بَعْدَهَا، وَرِزْقٌ طَيِّبٌ، وَرَحْمَةٌ، وَلَهُ جَنَّةٌ يَتَنَعَّمُ فِيهَا بِمَا تَشْتَهِي نَفْسُهُ. ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَلَا تَهْتِمُ لَشَأْنِهِمْ، فَلَهُمُ السَّلَامَةُ وَالْأَمْنُ. ﴿٩٠﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ الضَّالِّينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. ﴿٩١﴾ فَضِيافَتُهُ الَّتِي يَسْتَقْبِلُ بِهَا مَاءٌ حَارٌّ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ. ﴿٩٢﴾ وَلَهُ احْتِرَاقٌ بِنَارِ الْجَحِيمِ. ﴿٩٣﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ الَّذِي لَا مَزِيَّةَ فِيهِ. ﴿٩٤﴾ فَنَزَّهَ اسْمَ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، وَقُدَّسَهُ عَنِ النَّقَائِصِ.

﴿٤﴾ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام بدأت بيوم الأحد، وانتهت بيوم الجمعة، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم علا وارتنع سبحانه على العرش علواً يليق به سبحانه، يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وبذر وغيرهما، وما يخرج منها من نبات ومعادن وغيرهما، وما ينزل من السماء من المطر والوحي وغيرهما، وما يعرج فيها من الملائكة ومن أعمال العباد وأرواحهم، وهو معكم أينما كنتم - أيها الناس - بعلمه، لا يخفى عليه منكم شيء، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ﴿٥﴾ له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده ترجع الأمور، فيحاسب الخلائق يوم القيامة، ويجازيهم على أعمالهم.

﴿٦﴾ يدخل الليل على النهار فتأتي الظلمة، وينام الناس، ويدخل النهار على الليل فيأتي الضياء، فينطلق الناس إلى أعمالهم، وهو عليم بما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.

﴿٧﴾ آمنوا بالله، وآمنوا برسوله، وانفقوا من المال الذي جعلكم الله مستخلفين فيه، تتصرفون فيه وفق ما شرع لكم، فالذين آمنوا منكم بالله، وبذلوا أموالهم في سبيل الله، لهم ثواب عظيم عنده، وهو الجنة.

﴿٨﴾ وأي شيء يمنعكم من الإيمان بالله؟ والرسول يدعوكم إلى الله رجاء أن تؤمنوا بربكم سبحانه، وقد أخذ الله منكم العهد أن تؤمنوا به حين أخرجكم من ظهور آبائكم، إن

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ وَلَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

كنتم مؤمنين.

﴿٤﴾ هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحات؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وإن الله بكم لرؤوف رحيم حين أرسل إليكم نبيه هادياً وبشيراً.

﴿٥﴾ وأي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ ولله ميراث السماوات والأرض، لا يستوي منكم - أيها المؤمنون - من أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاته من قبل فتح مكة، وقاتل الكفار لنصرة الإسلام، مع من أنفق بعد الفتح وقاتل الكفار؛ أولئك المنفقون من قبل الفتح والمقاتلون في سبيل الله، أعظم منزلة عند الله وأرفع درجة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيله بعد فتحها وقاتلوا الكفار؛ وقد وعد الله كلا الفريقين الجنة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٦﴾ من ذا الذي يبذل ماله طيبة به نفسه لوجه الله، فيعطيه الله ثواب ما بذله من ماله مضاعفاً، وله يوم القيامة ثواب كريم، وهو الجنة؟

﴿٧﴾ من قوايد الآيات،

- المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه.
- تفاوت درجات المؤمنين بحسب السبق إلى الإيمان وأعمال البر.
- الإنفاق في سبيل الله سبب في بركة المال ونمائه.

﴿١٢﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يتقدمهم نورهم بين أيديهم وبإيمانهم، ويقال لهم في ذلك اليوم: بُشِّرَاكم اليوم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الذي لا يداينيه فوز.

ولما ذكر الله حال المؤمنين في ذلك اليوم ذكر حال المنافقين، فقال: ﴿١٣﴾ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: انظرونا رجاء أن نقتبس من نوركم ما يعيننا على عبور الصراط، ويقال للمنافقين استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم، فاطلبوا نوراً تستتيرون به، فُضِرَبَ بينهم بسور، لذلك السور باب، باطلنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب.

﴿١٤﴾ ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم على الإسلام والطاعة؟ قال لهم المؤمنون: بلى، كنتم معنا، لكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق فأهلكتموها، وتربصتم بالمؤمنين أن يُغْلِبُوا فتغلنوا كفركم، وشككتكم في نصر الله للمؤمنين، وفي البعث بعد الموت، وخذعتكم الأطماع الكاذبة حتى جاءكم الموت وأنتم على ذلك، وغرَّكم بالله الشيطان.

﴿١٥﴾ فالיום لا تؤخذ منكم - أيها المنافقون - فدية من عذاب الله، ولا تؤخذ فدية من الذين كفروا بالله علناً، ومصيركم ومصير الكافرين النار، هي أولى بكم، وأنتم أولى بها، وبئس المصير.

﴿١٦﴾ ألم يَجِنَّ للذين آمنوا بالله ورسوله أن تلين قلوبهم وتطمئن لذكر

الله سبحانه، وما نزل من القرآن من وعد أو وعيد، ولا يكونوا مثل الذين أعطوا التوراة من اليهود، والذين أعطوا الإنجيل من النصارى، في قسوة القلوب، فطال الزمن بينهم وبين بعثة أنبيائهم فقسست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله إلى معصيته؟!

﴿١٧﴾ اعلموا أن الله يحيي الأرض بإنباتها بعد جفافها، قد بيَّنا لكم - أيها الناس - الأدلة والبراهين على قدرة الله ووحدانيته رجاء أن تعقلوها؛ فتعلموا أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على بعثكم بعد موتكم، وقادر على جعل قلوبكم لينة بعد قسوتها.

﴿١٨﴾ إن المتصدقين ببعض أموالهم، والمتصدقات ببعض أموالهن، الذين ينفقونها طيبة بها نفوسهم دون من ولا أذى، يُضَاعَفْ لهم ثواب أعمالهم: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ولهم مع ذلك ثواب كريم عند الله وهو الجنة.

﴿١٩﴾ من قَوَّيْدِ الْكِتَابِ،

● امتنان الله على المؤمنين بإعطائهم نوراً يسعى أمامهم وعن إيمانهم.

● المعاصي والنفاق سبب للظلمة والهلاك يوم القيامة.

● التربُّص بالمؤمنين والشك في البعث، والانخداع بالأماني، والافتراء بالشيطان: من صفات المنافقين.

● خطر الغفلة المؤدية لقسوة القلوب.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورَةٍ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وِظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى
وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَرَبِّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ
حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِ الْيَوْمَ لَا يُوْخِذُكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهِمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآمَنُوا بِرُسُلِهِ دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَهُمْ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الكريم المعد لهم، ولهم نورهم الذي يسعى بين أيديهم وبإيمانهم يوم القيامة، والذين كفروا بالله وبرسوله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا أولئك أصحاب الجحيم، يدخلونها يوم القيامة خالدين فيها أبداً، لا يخرجون منها.

﴿٢٠﴾ اعلّموا أنما الحياة الدنيا لعب تلعب به الأبدان، ولهو تلهو به القلوب، وزينة تتجملون بها، وتفاخر بينكم بما فيها من ملك ومتاع، وتباه بكثرة الأموال وكثرة الأولاد، كمثل مطر أعجب الزرع نباته، ثم لا يلبث هذا النبات المحضّر أن يبیس، فتراه - أيها الرائي - بعد اخضراره مصفراً، ثم يجعله الله هُتَاتًا يتكسر، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار والمنافقين، ومغفرة من الله لذنوب عباده المؤمنين، ورضوان منه، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل لا ثبات له، فمن أثر متاعها الزائل على نعيم الآخرة فهو خاسر مغبون.

﴿٢١﴾ سَابِقُوا - أيها الناس - إلى الأعمال الصالحات التي تتالون بها مغفرة ذنوبكم؛ من توبة وغيرها من القربات، ولتتالوا بها جنة عرضها مثل عرض السماء والأرض، هذه الجنة أعدّها الله للذين آمنوا به وآمنوا برسوله، ذلك الجزاء فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله سبحانه ذو الفضل العظيم على عباده المؤمنين.

﴿٢٢﴾ مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ إِنَّكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾

وهي مثبتة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة، إن ذلك على الله سهل.

﴿٢٣﴾ وذلك لكي لا تحزنوا - أيها الناس - على ما فاتكم، ولكي لا تفرحوا بما أعطاكم من النعم فرح بكم، إن الله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما أعطاه الله.

﴿٢٤﴾ الذين يبخلون بما يجب عليهم بذله، ويأمرون غيرهم بالبخل خاسرون، ومن يتولّى عن طاعة الله فلن يضرّ الله وإنما يضرّ نفسه، إن الله هو الغني، فلا يفتقر إلى طاعة عبده، المحمود على كل حال.

﴿٢٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- الزهد في الدنيا وما فيها من شهوات، والترغيب في الآخرة وما فيها من نعيم دائم يُعينان على سلوك الصراط المستقيم.
- وجوب الإيمان بالقدر.
- من فوائد الإيمان بالقدر عدم الحزن على ما فات من حظوظ الدنيا.
- البخل والأمر به خصلتان ذميتان لا يتصف بهما المؤمن.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ تَمَشُّونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿٢٥﴾ لقد أرسلنا رسلنا بال الحجج الواضحة والبراهين الجلية، وأنزلنا معهم الكتب، وأنزلنا معهم الميزان؛ ليقوم الناس بالعدل، وأنزلنا الحديد فيه بأس قوي، فمنه يُصنَع السلاح، وفيه منافع للناس في صناعاتهم وحرفهم، وليعلم الله علماً يظهر للعباد من ينصره من عباده بالغيب، إن الله قوي عزيز لا يغلبيه شيء، ولا يعجز عن شيء.

﴿٢٦﴾ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة، والكتب المنزل، فمن ذريتهما مهتدٍ إلى الصراط المستقيم، موفق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

﴿٢٧﴾ ثم أتبعنا رسلنا، فبعثناهم نترى إلى أمهم، وأتبعناهم بعيسى ابن مريم وأعطيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين آمنوا به واتبعوه رافة ورحمة، فكانوا متوآدين متراحمين فيما بينهم، وابتدعوا الغلو في دينهم، فتركوا بعض ما أحل الله لهم من النكاح والملاذ، ولم نطلب منهم ذلك، وإنما ألزموا به أنفسهم؛ ابتداءً منهم في الدين، وإنما طلبنا اتباع مرضاة الله فلم يفعلوا، فأعطينا الذين آمنوا منهم ثوابهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله بالتكذيب بما جاءهم به رسوله محمد ﷺ.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وآمنوا برسوله، يعطكم نصيبين من الثواب والأجر على إيمانكم بمحمد ﷺ، وإيمانكم بالرسل السابقين، ويجعل لكم نوراً تهتدون به في حياتكم الدنيا، وتستتيرون به على الصراط يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبكم فيسترها ولا يؤاخذكم بها، والله سبحانه غفورٌ لعباده رحيم بهم.

﴿٢٩﴾ وقد بَيَّنَّا لكم فضلنا العظيم بما أعدناه لكم - أيها المؤمنون - من الثواب المضاعف؛ ليعلم أهل الكتاب السابقون من يهود ونصارى أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله بحيث يمنحونه مَنْ يشاؤون، ويمنعونه مَنْ يشاؤون، وليعلموا أن الفضل بيد الله سبحانه يعطيه من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم الذي يختص به من يشاء من عباده.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الحق لا بد له من قوة تحميه وتشرمه.
- بيان مكانة العدل في الشرائع السماوية.
- صلة النسب بأهل الإيمان والصلاح لا تُغْنِي شيئاً عن الإنسان ما لم يكن هو مؤمناً.
- بيان تحريم الابتداع في الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّ لَكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ كُمْ تَوْعُظُونَ
بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كَيْتُوكَا كَيْتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ يَوْمَ يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦

الجزء ٢٨
الجزء ٥٥

٥٤٢

متتابعين فعلية إطعام ستين مسكيناً، ذلك الحكم الذي حكمنا به لتؤمنوا بأن الله أمر به، فتمثلوا أمره، وتبعوا رسوله، وتلك الأحكام التي شرعناها لكم حدود الله التي حدّها لعباده فلا تتجاوزوها، وللكافرين بأحكام الله وحدوده التي حدّها عذاب موجه.

٥ إن الذين يعادون الله ورسوله أدلّوا وأخزوا كما أدلّ الذين عادوه من الأمم السابقة وأخزوا، وقد أنزلنا آيات واضحة، وللكافرين بالله وبرسوله وآياته عذاب مُذِلّ.

٦ يوم يجمعهم الله جميعاً لا يغادر منهم أحداً، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، أحصاه الله عليهم، فلم يفته من أعمالهم شيء، ونسوه هم فوجدوه مكتوباً في صحائفهم التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، والله على كل شيء مُطَّلِع لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

٧ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لُطْفَ اللَّهِ بِالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ حَيْثُ إِجَابَةُ دَعَائِهِمْ وَنَصْرَتُهُمْ.
- مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بَعِبَادِهِ تَنَوُّعُ كَفَّارَةِ الظَّاهِرِ حَسَبِ الْإِسْطَاعَةِ لِيُخْرِجَ الْعَبْدَ مِنَ الْحَرَجِ.
- فِي خَتَمِ آيَاتِ الظَّاهِرِ بِذِكْرِ الْكَافِرِينَ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ نَاسِبٌ أَنْ يُورَدَ بَعْضُ أَحْوَالِ الْكَافِرِينَ.

٨ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إظهار علم الله الشامل وإحاطته البالغة، تربية لمراقبته، وتحذيراً من مخالفته.

٩ التفسير:

١٠ قد سمع الله كلام المرأة (وهي حوّلة بنت ثعلبة) التي تراجعك - أيها الرسول - في شأن زوجها (وهو أوس ابن الصامت) لما ظهر منها، وتشتكى إلى الله ما صنع بها زوجها، والله يسمع تراجعكما في الكلام، لا يخفى عليه منه شيء، إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

١١ الذين يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ؛ بأن يقول أحدهم لزوجته: أنت علي كظهر أمي، كذبوا في قولهم هذا، فليست زوجاتهم بأمهاتهم، إنما أمهاتهم اللائي وَلَدْنَهُمْ، وإنهم إذ يقولون ذلك القول ليقولوا قولاً فضيلاً، وكذباً، وإن الله لعفو غفور، فقد شرع لهم الكفارة؛ تليخاً لهم من الإثم.

١٢ والذين يقولون هذا القول الفظيع، ثم يريدون جماع من ظاهروا منهن فعليهم أن يكفروا بعتق رقبة من قبل أن يجامعوه، ذلكم الحكم المذكور تؤمرون به زجراً لكم عن الظهار، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

١٣ فمن لم يجد منكم رقبة يعتقها فعليهم صيام شهرين متتابعين من قبل أن يجامع زوجته التي ظاهرها منها، فمن لم يستطع صيام شهرين

﴿٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، ما يكون من حديث ثلاثة سرًّا إلا هو سبحانه رابعهم بعلمه، ولا يكون من حديث خمسة سرًّا إلا هو سبحانه سادسهم بعلمه، ولا أقل من ذلك العدد، ولا أكثر منه إلا كان معهم بعلمه أينما كانوا، لا يخفى عليه من حديثهم شيء، ثم يخبرهم الله بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٨﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين كانوا يتناجون إذا رأوا مؤمناً، فنهاهم الله عن النجوى، ثم هم يرجعون إلى ما نهاهم الله عنه، ويتناجون فيما بينهم بما فيه إثم مثل اغتيال المؤمنين، وبما فيه عدوان عليهم، وبما فيه معصية للرسول، وإذا جاؤوك - أيها الرسول - حيَّوك بتحية لم يحَيِّك الله بها؛ وهي قولهم: السَّام عليك يقصدون الموت، ويقولون تكذيباً للنبي ﷺ: هلاً يعذبنا الله بما نقول، إذ لو كان صادقاً في دعواه أنه نبي لعذبنا الله بما نقول فيه! كافيههم جهنم عقاباً على ما قالوه، يعانون حرَّها، فقبح المصير مصيرهم.

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تتناجوا بما فيه إثم أو عدوان أو معصية للرسول حتى لا تكونوا مثل اليهود، وتناجوا بما فيه طاعة لله وكف عن معصيته، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فهو الذي إليه وحده تحشرون يوم القيامة للحساب والجزاء.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَبِهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فِيْئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿١٠﴾ إنما النجوى - المشتملة على الإثم والعدوان ومعصية الرسول - من تزيين الشيطان ووسوسته لأوليائه؛ ليدخل الحزن على المؤمنين أنهم يكادُ لهم، وليس الشيطان ولا تزيينه بضار المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون في جميع شؤونهم.

ولما ذكر الله الأدب في الأقوال ذكر الأدب في المجالس فقال:

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس فأوسعوا فيها، يوسع الله لكم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة، وإذا قيل لكم: ارتفعوا من بعض المجالس ليجلس فيها أهل الفضل فارتفعوا عنها، يرفع الله سبحانه الذين آمنوا منكم والذين أعطوا العلم درجات عظيمة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿١٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مع أن الله عال بذاته على خلقه؛ إلا أنه مطلع عليهم بعلمه لا يخفى عليه أي شيء.
- لما كان كثير من الخلق يأتون بالتناجي أمر الله المؤمنين أن تكون نجواهم بالبر والتقوى.
- من آداب المجالس التوسيع فيها للآخرين.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مُوَابِّينَ يَدَىٰ جُنُودِكُمْ
صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ ءَأَسْفَقْتُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَىٰ جُنُودِكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذْ لَّمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعمَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ ۙ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
عَلَىٰ شَيْءٍ ءَالٍ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ءُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ءُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ
﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي ءَاتِ اللَّهَ قُوًى عَزِيزًا ﴿٢١﴾

٥٤٤

﴿١٢﴾ لما أكثر الصحابة من مناجاة النبي ﷺ، قال الله: يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم مُسَارَّةَ الرسول فقدموا بين يدي مُسَارَتكم صدقة، ذلك التقديم للصدقة خير لكم وأظهر؛ لما فيه من طاعة الله التي تزكي القلوب، فإن لم تجدوا ما تصدقون به فلا حرج عليكم في مُسَارَّته، فإن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم حيث لم يكلفهم إلا ما في وسعهم.

﴿١٣﴾ أَخَفَّيْتُمُ الْفَقْرَ بسبب تقديم الصدقة إذا ناجيتم الرسول! فإذا لم تفعلوا ما أمر الله به منها، وتاب عليكم حيث رخص لكم في تركها فَأَتُوا بالصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الله ورسوله، والله خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٤﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين ءَالُوا اليهود الذين غضب الله عليهم بسبب كفرهم ومعاصيهم، هؤلاء المنافقون ليسوا من المؤمنين ولا من اليهود، بل هم مُدْبِذُونَ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ويحلفون بأنهم مسلمون وبأنهم ما نقلوا أخبار المسلمين لليهود، وهم كاذبون في حلفهم.

﴿١٥﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا في الآخرة، حيث يدخلهم الدرك الأسفل من النار، إنهم قبح ما كانوا عليه من أعمال الكفر في الدنيا.

﴿١٦﴾ اتخذوا أيمانهم التي كانوا يحلفونها وقاية من القتل بسبب الكفر، حيث أظهروا بها الإسلام ليعصموا دماءهم وأموالهم، فصرفوا الناس عن الحق لما كانوا فيه من التوهين

والتشبيط للمسلمين، فلهم عذاب مثل يذلهم ويخزيهم.

﴿١٧﴾ لن تغني عنهم أموالهم، ولا أولادهم من الله شيئاً، أولئك أصحاب النار الذين يدخلونها ماكثين فيها أبداً لا ينقطع عنهم العذاب. ﴿١٨﴾ يوم يبعثهم الله جميعاً لا يترك منهم أحداً إلا بعثه للجزاء، فيحلفون لله ما كانوا على الكفر والنفاق، وإنما كانوا مؤمنين عاملين بما يرضي الله، يحلفون له في الآخرة كما كانوا يحلفون لكم - أيها المؤمنون - في الدنيا أنهم مسلمون، ويظنون أنهم بهذه الأيمان التي يحلفونها لله على شيء مما يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرراً، ألا إنهم هم الكاذبون حقاً في أيمانهم في الدنيا، وفي أيمانهم في الآخرة. ﴿١٩﴾ استولى عليهم الشيطان فأنسأهم بوسوسته ذكر الله، فلم يعملوا بما يرضيه، وإنما عملوا بما يغيظه، أولئك المتصنفون بتلك الصفات هم جنود إبليس وأتباعه، ألا إن جنود إبليس وأتباعه هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، فقد باعوا الهدى بالضلالة، والجنة بالنار. ﴿٢٠﴾ إن الذين يعادون الله ويعادون رسوله أولئك في جملة من أذلهم الله في الدنيا والآخرة وأخزاهم من الأمم الكافرة. ﴿٢١﴾ قضى الله في سابق علمه لا نتصرن أنا ورسلي على أعدائنا بالحجة والقوة، إن الله قوي عزير، ينتقم من أعدائهم.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• لطف الله بنبيه ﷺ؛ حيث أدب صحابته بعدم المشقة عليه بكثرة المناجاة. • ولاية اليهود من شأن المنافقين. • خسران أهل الكفر وغلبة أهل الإيمان سُنَّةَ إلهية قد تتأخر، لكنها لا تتخلف.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
 أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ
 بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الحشر

آياتها ٢٤

ترتيبها ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

﴿٢٢﴾ لا تجد - أيها الرسول - قوماً يؤمنون بالله ويؤمنون بيوم القيامة يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء لله ورسوله آباهم، أو كانوا أبناءهم، أو كانوا إخوانهم، أو عشيرتهم التي ينتمون إليها؛ لأن الإيمان يمنع من موالات أعداء الله ورسوله، ولأن رابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط، فهي مقدمة عليها عند التعارض، أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ورسوله - ولو كانوا أقرباء - هم الذين أثبت الله الإيمان في قلوبهم فلا يتغير، وقواهم ببرهان منه ونور، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكتين فيها أبداً، لا ينقطع عنهم نعيمها ولا يفنون عنه، رضي الله عنهم رضا لا يسخط بعده أبداً، ورضوا هم عنه لما أعطاهم من النعيم الذي لا ينفد، ومنه رؤيته سبحانه، أولئك الموصوفون بما ذكر جند الله الذين يمتثلون ما أمر به، ويكفون عما نهى عنه، ألا إن جند الله هم الفائزون بما ينالونه من مطلوبهم، وبما يفوتهم من مرهوبهم في الدنيا والآخرة.

سورة الحشر

— مدنية —

● من مقاصد السورة:

إظهار قوة الله وعزته في توهين اليهود والمنافقين، وإظهار تفرقهم، في مقابل إظهار تآلف المؤمنين.

● التفسير:

﴿١﴾ عَظَّمَ اللَّهُ وَزَّهَّهُ عما لا يليق به كل ما في السماوات وما في الأرض من المخلوقات، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

﴿٢﴾ هو الذي أخرج بني النضير الذين كفروا بالله، وكذبوا رسوله محمداً ﷺ، من ديارهم بالمدينة لأول إخراج لهم من المدينة إلى الشام، وهم من اليهود أصحاب التوراة، بعد نقضهم لعهدهم وصيرورتهم مع المشركين عليه؛ أخرجهم إلى أرض الشام، ما ظننتم - أيها المؤمنون - أن يخرجوا من ديارهم لما هم عليه من العزة والمنعة، وظنوا هم أن حصونهم التي شيدوها مانعتهم من بأس الله وعقابه، فجاءهم بأس الله من حيث لم يقدروا مجيئه حين أمر رسوله بقتالهم واجلائهم من ديارهم، وأدخل الله في قلوبهم الخوف الشديد، يدمرون بيوتهم بأيديهم من داخلها لئلا ينتفع بها المسلمون، ويدمرها المسلمون من خارجها، فاتعظوا يا أصحاب الأبصار بما حل بهم بسبب كفرهم، فلا تكونوا مثلهم، فتناولوا جزاءهم وعقابهم الذي عوقبوا به.

﴿٣﴾ ولولا أن الله كتب عليهم إخراجهم من ديارهم، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، ولهم في الآخرة عذاب النار ينتظرهم خالدين فيه أبداً.

● من فوائد الآيات:

● المحبة التي لا تجعل المسلم يتبرأ من دين الكافر ويكرهه، فإنها محرمة، أما المحبة الفطرية: كمحبة المسلم لقريبه الكافر، فإنها جائزة. ● رابطة الإيمان أوثق الروابط بين أهل الإيمان. ● قد يعلو أهل الباطل حتى يُظن أنهم لن يهزموا، فتأتي هزيمتهم من حيث لا يتوقعون. ● من قدر الله في الناس دفع المصائب بوقوع ما دونها من المصائب.

ذلك الذي حصل لهم حصل لأنهم عَادُوا الله وعَادُوا رسوله بكفرهم ونقضهم للعهد، ومن يعاد الله فإن الله شديد العقاب، فسيناله عقابه الشديد.

ما قطعتم - معشر المؤمنين - من نخلة لغيظوا أعداء الله في غزوة بني النضير أو تركتموها قائمة على جذوعها لتنتفعا بها - فبأمر الله، وليس من الفساد في الأرض كما زعموا، وليذل الله به الخارجين عن طاعته من اليهود الذين نقضوا العهد، واختاروا سبيل الغدر على طريق الوفاء.

والذي رده الله على رسوله من أموال بني النضير فما أسرعتهم في طلبه مما تركبونه خيلاً ولا إبلاً، ولا أصابتكم فيه مشقة، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء، وقد سلط رسوله على بني النضير ففتح بلادهم بغير قتال، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

ما أنعم الله على رسوله من أموال أهل القرى من غير قتال فله، يجعله لمن يشاء، وللرسول مُلْكًا، ولذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب؛ تعويضاً لهم عما منَعوه من الصدقة، وللأيتام، وللفقراء، وللغريب الذي نفدت نفقته؛ لكي لا يقتصر تداول المال على الأغنياء دون الفقراء، وما أعطاكم الرسول من أموال الفئء فخذوه - أيها المؤمنون - وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، إن الله شديد العقاب فاحذروا عقابه.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ٥ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا اتَّكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ٩ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠

ويُصَرَّف جزء من هذا المال للفقراء المهاجرين في سبيل الله الذين أُجْبِرُوا على ترك أموالهم وأولادهم، يرجون أن يتفضل الله عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة، وينصرون الله وينصرون رسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الراسخون في الإيمان حقاً.

ولما ذكر الله المهاجرين وأثنى عليهم، ذكر الأنصار وأثنى عليهم كذلك، فقال سبحانه:

والأنصار الذين نزلوا المدينة من قبل المهاجرين، واختاروا الإيمان بالله وبرسوله، يحبون من هاجر إليهم من مكة، ولا يجدون في صدورهم غيظاً ولا حسداً على المهاجرين في سبيل الله إذا ما أخطأ شيئاً من الشيء ولم يُعْلَظُوا هم، ويقدمون على أنفسهم المهاجرين في الحظوظ الدنيوية، ولو كانوا متصفين بالفقر والحاجة، ومن يثق الله حرص نفسه على المال فيبذله في سبيله فأولئك هم الفائزون بنيل ما يرتجون، والنجاة مما يرهبون.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- فعل ما يُظُنُّ أنه مفسدة لتحقيق مصلحة عظمية لا يدخل في باب الفساد في الأرض.
- من محاسن الإسلام مراعاة ذي الحاجة للمال، فَصَرَّفَ الفئء لهم دون الأغنياء المكتفين بما عندهم.
- الإيثار منقبة عظيمة من مناقب الإسلام ظهرت في الأنصار أحسن ظهور.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأُذُنُ ثِمًا لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ
أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُخَصَّنَةٍ
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذُوقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

٥٤٧

﴿١٠﴾ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا في اليوم القيامة يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان بالله وبرسوله، ولا تجعل في قلوبنا ضغينة وحقاً لأحد من المؤمنين، ربنا إنك رؤوف عبادك، رحيم بهم.

﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ - أيها الرسول - إلى الذين أضموهم الكفر وأظهروا الإيمان، يقولون لإخوانهم في الكفر من اليهود أتباع التوراة المحرفة: اثبتوا في دياركم فلن نخذلكم. ولن نسلمكم، فلئن أخرجكم المسلمون منها لنخرجن تضامناً معكم، ولا نطيع أحداً يريد أن يمنعنا من الخروج معكم، وإن قاتلوكم لنعيننكم عليهم، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما ادعوه من الخروج مع اليهود إذا أخرجوا، والقتال معهم إذا قوتلوا.

﴿١٢﴾ لئن أخرج المسلمون اليهود لا يخرجون معهم، وإن قاتلوهم لا ينصروهم ولا يعينوهم، ولئن نصروهم وأعانوهم على المسلمين ليهرين فراراً منهم ثم لا ينصر المنافقون بعد ذلك، بل يذلهم الله ويخزيهم.

﴿١٣﴾ لأنتم - أيها المؤمنون - أشد تخويفاً في قلوب المنافقين واليهود من الله، ذلك المذكور - من شدة خوفهم منكم، وضعف خوفهم من الله - بسبب أنهم قوم لا يفقهون ولا يفهمون؛ إذ لو كانوا يفقهون لعلموا أن الله أحق أن يخاف وأن يرهب، فهو الذي سلطكم عليهم.

﴿١٤﴾ لا يقاتلكم - أيها المؤمنون - اليهود مجتمعين إلا في قَرْيٍ مُخَصَّنَةٍ بالأسوار، أو من وراء جدران، فهم لا يستطيعون مواجهةكم لجبنهم، بأسهم فيما بينهم قوي لما بينهم من العداوة، تظن أنهم على كلمة واحدة، وأن صفهم واحد، والواقع أن قلوبهم متفرقة مختلفة، ذلك الاختلاف والتعادي بسبب أنهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لعرفوا الحق واتبعوه، ولم يختلفوا فيه. ﴿١٥﴾ مثل هؤلاء اليهود في كفرهم وما حل بهم من عقاب، كمثل الذين من قبلهم من مشركي مكة في زمن قريب، فذاقوا سوء عاقبة كفرهم، فقتل من قتل وأسير من أسير منهم يوم بدر، ولهم في الآخرة عذاب موعج. ﴿١٦﴾ مثلهم في سماعهم من المنافقين كمثل الشيطان حين زين للإنسان أن يكفر، فلما كفر بسبب تزيينه الكفر له قال: إني بريء منك لما كفرت، إني أخاف الله رب الخلائق.

﴿١٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● رابطة الإيمان لا تتأثر بتطاول الزمان وتغير المكان.

● صداقة المنافقين لليهود وغيرهم صداقة وهمية تتلاشى عند الشدائد.

● اليهود جبنا لا يواجهون في القتال، ولو قاتلوا فإنهم يتحصنون بقراهم وأسلحتهم.

(١٧) فكان نهاية أمر الشيطان ومن أطاعه أنهما (أي: الشيطان المُطَاع، والإنسان المُطِيع) يوم القيامة في النار ماكئِنَيْن فيها أبداً، وذلك الجزاء الذي ينتظرهما هو جزاء الظالمين لأنفسهم بتعدي حدود الله.

(١٨) يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، ولتأمل نفس ما قدمت من عمل صالح ليوم القيامة، واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

(١٩) ولا تكونوا مثل الذين نسوا الله بترك امتثال أمره واجتنب نهيهِ، فأنساهم الله أنفسهم، فلم يعملوا بما ينجيها من غضب الله وعقابه، أولئك الذين نسوا الله - فلم يمتثلوا أمره ولم يكتفوا عن نهيهِ - هم الخارجون عن طاعة الله.

(٢٠) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، بل هم مختلفون في جزائهم مثل اختلاف أعمالهم في الدنيا، أصحاب الجنة هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، الناجون مما يرهبونه.

(٢١) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت - أيها الرسول - ذلك الجبل مع صلابته متذبذباً متشققاً من شدة خشية الله؛ لما في القرآن من المواعظ الزاجرة والوعيد الشديد، وهذه الأمثال نضربها للناس لعلهم يَعْمَلُونَ عقولهم فيتعظوا بما تشتمل عليه آياته من العظات والعبر.

(٢٢) هو الله الذي لا معبود بحق غيره، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، رحمن

الدنيا والآخرة ورحيمهما، وسعت رحمته العالمين، الملك، المُتَرَبِّعُ والمُقَدَّس عن كل نقص، السالم من كل عيب، المصدق رسله بالآيات الباهرة، الرقيب على أعمال عباده، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الجبار الذي قهر بجبروته كل شيء، المتكبر، تَبَرَّأَ الله وتَقَدَّس عما يشرك معه المشركون من الأوثان وغيرها.

(٢٣) هو الله الخالق الذي خلق كل شيء، الموجد للأشياء، المصور لمخلوقاته وفق ما يريد، له سبحانه الأسماء الحسنَى المشتملة على صفاته العلا، ينزهه ما في السماوات وما في الأرض عن كل نقص، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من علامات توفيق الله للمؤمن أنه يحاسب نفسه في الدنيا قبل حسابها يوم القيامة.
- في تذكير العباد بشدة أثر القرآن على الجبل العظيم: تنبيه على أنهم أحق بهذا التأثير لما فيهم من الضعف.
- أشارت الأسماء (الخالق، البارئ، المصور) إلى مراحل تكوين المخلوق من التقدير له، ثم إيجاده، ثم جعل له صورة خاصة به، ويذكر أحدها مفرداً فإنه يدل على البقية.

سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ ٦٠ رُتِبَ ٥٤٨ ١٣ آيَاتُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحذير المؤمنين من تولي الكافرين.

● التَّصْيِيرُ:

١ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أولياء توالونهم وتوادونهم، وقد كفروا بما جاءكم على يد رسولكم من الدين، يُخْرِجُونَ الرسول من داره، ويخرجونكم أنتم كذلك من دياركم بمكة، لا يراعون فيكم قرابة ولا رحمًا، لا لشيء إلا أنكم آمنتم بالله ربكم، لا تفعلوا ذلك إن كنتم خرجتم لأجل الجهاد في سبيلي، ومن أجل طلب مرضاتي، تُسْرُونَ إليهم بأخبار المسلمين مودة لهم، وأنا أعلم بما أخفيتم من ذلك وما أعلنتم، لا يخفى علي شيء من ذلك ولا من غيره، ومن يفعل تلك الموالاة والمودة للكفار فقد انحرف عن وسط الطريق، وضل عن الحق، وجانب الصواب.

٢ إن يظفروا بكم يظهروا ما يضمرونه في قلوبهم من العداوة، ويمدوا أيديهم إليكم بالإيذاء والضرب، ويطلقوا ألسنتهم بالشتم والسب، وتمنوا لو تكفرون بالله وبرسوله لتكونوا مثلهم.

٣ لن تنفعكم قرابتكم، ولا أولادكم إذا واليتم الكفار من أجلهم، يوم القيامة يفرق الله بينكم، فيدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا ينفع بعضكم بعضًا، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه سبحانه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

٤ أيها المؤمنون - قدوة حسنة في إبراهيم ﷺ والمؤمنين الذين كانوا معه، حين قالوا لقومهم الكفار: إنا بريئون منكم ومما تعبدون من دون الله من الأصنام، كفروا بما أنتم عليه من الدين، وظهرت بيننا وبينكم العداوة والكراهية حتى تؤمنوا بالله وحده، ولا تشركوا به أحدًا، فكان عليكم أن تتبرؤوا من قومكم الكفار مثلهم، إلا قول إبراهيم ﷺ لأبيه: لأطلبن المغفرة لك من الله، فلا تتأسوا به فيه؛ لأن هذا كان قبل يأس إبراهيم من أبيه، فليس لمؤمن أن يطلب المغفرة لمشرك، ولست بدافع عنك من عذاب الله شيئًا، ربنا عليك اعتمادنا في أمورنا كلها، وإليك رجعتنا تائبين، وإليك المرجع يوم القيامة.

٥ ربنا لا تُصَيِّرنا فتنة للذين كفروا بأن تسلطهم علينا فيقولوا: لو كانوا على حق لما سلطنا عليهم، واغفر لنا ربنا ذنوبنا، إنك أنت العزيز الذي لا يُغْلَب، الحكيم في خلقك وشرعك وقدرك.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● تسريب أخبار أهل الإسلام إلى الكفار كبيرة من الكبائر.

● عداوة الكفار عداوة مُتَأَصِّلَةٌ لا تؤثر فيها موالاتهم.

● استغفار إبراهيم لأبيه لوعده له بذلك، فلما نهاه الله عن ذلك لموته على الكفر ترك الاستغفار له.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَتِ
فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يُحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ
مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَتَسْأَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا
ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَرْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَّا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٥٥٠

﴿٦﴾ هذه القدوة الحسنة إنما يتأسى بها من كان يرجو من الله الخير في الدنيا والآخرة، ومن يعرض عن هذه القدوة الحسنة فإن الله غني عن عبادِهِ، لا يحتاج إلى طاعتهم، وهو الم محمود على كل حال.

﴿٧﴾ عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الذين عاديتهم من الكفار محبة بحيث يهديهم الله للإسلام، فيكونون إخوة لكم في الدين، والله قدير بقدر أن يقلب قلوبهم إلى الإيمان، والله غفور لمن تاب من عبادِهِ، رحيم بهم.

﴿٨﴾ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم بسبب إسلامكم، ولم يخرجوكم من دياركم أن تحسنوا إليهم، وتعزلوا بينهم بأن تعطوهم ما لهم من حق عليكم، إن الله يحب العادلين الذين يعدلون في أنفسهم وأهليهم وما أولوا.

﴿٩﴾ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب إيمانكم، وأخرجوكم من دياركم، وأعانوا على إخراجكم؛ ينهاكم أن توالوهم، ومن يوالهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب مخالفة أمر الله.

﴿١٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه، إذا جاءتكم المؤمنات مهاجرات من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فاختبروهن في صدق إيمانهن، الله أعلم بإيمانهن، لا يخفى عليه شيء مما تنطوي عليه قلوبهن، فإن علمتموهن مؤمنات بعد الاختبار بما يظهر لكم من صدقهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لا يحل

للمؤمنات أن يتزوجن بالكفار، ولا يحل للكفار أن يتزوجوا بالمؤمنات، وأعطوا أزواجهن ما بذلوا من مهرهن، ولا إثم عليكم - أيها المؤمنون - أن تتزوجوهن بعد انقضاء عدتهن إذا أعطيتهم مهرهن، ومن كانت زوجته كافرة أو ارتدت عن الإسلام فلا يمسهن؛ لانقطاع نكاحهما بكفرها، وأسألوها الكفار ما بذلتم من مهر زوجاتكم المُرْتَدَّات، وليسألوا هم ما بذلوا من مهر زوجاتهم اللائي أسلمن، ذلكم المذكور - من زوّ المهور من جهتكم ومن جهتهم - هو حكم الله، يحكم بينكم سبحانه بما يشاء، والله عليم بأحوال عبادِهِ، وأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم فيما يشرعه لعبادِهِ.

﴿١١﴾ وإن فُرِضَ خروجُ بعض نسائكم إلى الكفار مُرْتَدَّاتٍ وطلبتن مهرهن من الكفار ولم يعطوها، فغنمتن من الكفار فأعطوا الأزواج الذين خرجت زوجاتهم مُرْتَدَّاتٍ مثل ما بذلوا من المهور، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه.

من قواعد الآيات:

- في تصريف الله القلب من العداوة إلى المودة، ومن الكفر إلى الإيمان إشارة إلى أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه سبحانه، فليطلب العبد منه الثبات على الإيمان.
- التفريق في الحكم بين الكفار المحاربين والمسالمةين.
- حرمة الزواج بالكافرة غير الكاتبة ابتداءً ودواماً، وحرمة زواج المسلمة من كافر ابتداءً ودواماً.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَدْسُوا مِنْ الْآخِرَةِ كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

آياتها ١٤

تربيتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾

تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

٥٥١

﴿١٢﴾ يا أيها النبي، إذا جاءك النساء المؤمنات يبأيعنك - مثل ما حدث في فتح مكة - على ألا يشركن بالله شيئاً، بل يعبدنه وحده، ولا يسرقن، ولا يزْنين، ولا يقتلن أولادهن جرياً وراء عادة أهل الجاهلية، ولا يلجحن بأزواجهن أولادهن من الزنى، ولا يعصينك في معروف من معروف من مثل نهيه عن النجاسة والحلق وشق الجيب؛ فبايعهن، واطلب لهن المغفرة من الله لذنوبهن بعد مبايعتن لك، إن الله غفور لمن تاب من عبادته، رحيم بهم.

ولما بدأت السورة بالتحذير من موالات أعداء الله اختتمت بالتحذير منها تأكيداً لما سبق، فقال تعالى: ﴿١٣﴾ يا أيها الذين آمنوا وعملوا بما شرعه لهم، لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم لا يوقنون بالآخرة، بل هم بائسون منها مثل يأسهم من رجوع موتاهم إليهم لكفرهم بالبعث.

سُورَةُ الصَّفِّ

— مَدِينَة —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

● حث المؤمنين لنصرة الدين.

● التفسير:

﴿١﴾ نَزَّ اللَّهُ ﷻ وَقَدَّسَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَقَدْرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، لم تقولون: فعلنا شيئاً، ولم تفعلوه في الواقع؟ كقول أحدكم: قاتلت بسيفي وضربت، وهو لم يقاتل بسيفه ولم يضرب.

﴿٣﴾ عَظُمَ ذَلِكَ الْمَبْغُوضُ عِنْدَ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَهُ، فَلَا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ، يُصَدِّقُ عَمَلُهُ قَوْلَهُ.

﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ صَفًّا بَعْضُهُمْ جَنْبَ بَعْضٍ كَأَنَّهُمْ بِنِْيَانٍ مِتْلَاصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ الْقِتَالَ وَامْتَدَحَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَرَاصِّينَ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ، ذَكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ مُوسَى وَعِيسَى مِنْ مَخَالَفَةِ رَسُولِيهِمَا، تَحْذِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَخَالَفَةِ نَبِيِّهِمْ، فَقَالَ:

﴿٥﴾ وَادَّكُرَ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - حِينَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يٰقَوْمِ، لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ فَلَمَّا مَالُوا وَانْحَرَفُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ أَمَالَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● مشروعية مبايعة ولي الأمر على السمع والطاعة والتقوى.

● وجوب الصدق في الأفعال ومطابقتها للأقوال.

● بين الله للعبد طريق الخير والشر، فإذا اختار العبد الزيف والضلال ولم يتب فإن الله يعاقبه بزيادة زيفه وضلاله.

❶ واذكر - أيها الرسول - حين قال عيسى بن مريم ﷺ: يا بني إسرائيل، إني رسول الله بعثني إليكم مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، فليست يبدع من الرسل، ومبشراً برسول يجيء من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم عيسى بالحجج الدالة على صدقه قالوا: هذا سحر واضح، فلن نتبعه.

❷ ولا أحد أشدّ ظلماً ممن اختلق على الله الكذب حيث جعل له أنداداً يعبدون من دونه وهو يُدعى إلى الإسلام دين التوحيد الخالص لله، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي إلى ما فيه رشدهم وسدادهم.

❸ يريد هؤلاء المكذبون أن يطفئوا نور الله بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة ومن التشويه للحق، والله مكمل نوره على رغم أنوفهم بإظهار دينه في مشارق الأرض ومغاربها وإعلاء كلمته.

❹ الله هو الذي بعث رسوله محمداً ﷺ بدين الإسلام، ودين العلم النافع والعمل الصالح؛ ليُعليه على جميع الأديان على رغم أنوف المشركين الذين يكرهون أن يُمكن له في الأرض. ❶ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، هل أرشدكم وأهدىكم إلى تجارة رابحة، تتقدم من عذاب موجع؟

❷ هذه التجارة الربحية هي أن تؤمنوا بالله وبرسوله، وتجاهدوا في سبيله سبحانه بإنفاق أموالكم وبذل أنفسكم ابتغاء مرضاته؛ ذلك العمل

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ❶ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ❷ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ❸ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ❹ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ❺ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ❻ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ❼ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ❽ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصَبْحُوا ظَاهِرِينَ ❾

المذكور خير لكم إن كنتم تعلمون فسارعوا إليه.

❶ وربح هذه التجارة هو أن يغفر الله لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ويدخلكم مساكن طيبة في جنات إقامة لا انتقال عنها، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه أي فوز.

❷ ومن ربح هذه التجارة خصلة أخرى تحبونها وهي عاجلة في الدنيا، أن ينصركم الله على عدوكم، وفتح قريب يفتح عليكم وهو فتح مكة وغيرها، وأخير - أيها الرسول - المؤمنين بما يسرهم من النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

❸ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، كونوا أنصار الله بنصركم لدينه الذي جاء به رسولكم مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى ﷺ: من أنصاري إلى الله؟ فأجابوه بمباردين: نحن أنصار الله، فأمن فريق من بني إسرائيل بعيسى ﷺ، وكفر به فريق آخر، فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على الذين كفروا به، فأصبحوا غالبين عليهم.

❹ من قَوَائِدِ الْأَقَاتِ،

• تبشير الرسالات السابقة بنبينا ﷺ دلالة على صدق نبوته.

• التمكين للدين سنة إلهية.

• الإيمان والجهاد في سبيل الله من أسباب دخول الجنة.

• قد يجعل الله جزاء المؤمن في الدنيا، وقد يدخره له في الآخرة لكنه لا يُضَيِّعُه - سبحانه -.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢ وَعَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٤ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا بَشَرًا مِثْلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥
قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّنَا أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتِ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمُ بِالظَّالِمِينَ ٧ قُلْ
إِنَّ أَلَمُوتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨

١ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الامتنان على الأمة وتفضيلها برسولها،
وبيان فضل يوم الجمعة.

٢ التَّضْيِيرُ:

١ يُنَزِّهُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ
من صفات النقص ويُقَدِّسُهُ جَمِيعُ مَا
في السماوات، وجميع ما في الأرض
من الخلاق، هو الملك المنفرد وحده
بالملك، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، العزيز
الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه
وشرعه وقدره.

٢ هو الذي أرسل في العرب
الذين لا يقرؤون ولا يكتبون رسولاً من
جنسهم، يتلو عليهم آياته التي أنزلها
عليه، ويظهرهم من الكفر ومساوئ
الأخلاق، ويعلمهم القرآن، ويعلمهم
السنة، وإنهم كانوا من قبل إرساله
إليهم في ضلال عن الحق واضح،
حيث كانوا يعبدون الأصنام، ويسفكون
الدماء، ويقطعون الرحم.

٣ وبعث هذا الرسول إلى قوم
آخرين من العرب وغيرهم لم يأتوا
بعد، وسيأتون، وهو العزيز الذي لا
يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه
وقدره.

٤ ذلك المذكور - من بعث
الرسول إلى العرب وغيرهم - فضل
الله يعطيه من يشاء، والله ذو الإحسان
العظيم، ومن إحسانه العظيم إرساله
رسول هذه الأمة إلى الناس كافة.

ولما ذكر الله ما امتن به من بعثة
الرسول، ومن إنزال القرآن، ذكر ما
كان عليه بعض أتباع موسى عليه السلام من

الإعراض عن العمل بما في التوراة؛ تحذيراً لهذه الأمة من اتباعهم، فقال:

١ مثل اليهود الذين كلفوا القيام بما في التوراة فتركوا ما كلفوا به، كمثل الحمار يحمل الكتب الكبيرة، لا يدري ما حبل عليه؛ أهو
كتب أم غيرها؟ قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق القوم الظالمين لإصابة الحق.

٢ قل - أيها الرسول -: يا أيها الذين بقوا على اليهودية بعد تحريفها، إن زعمت أنكم أولياء الله اختصكم بالولاية دون الناس
فتمتوا الموت؛ ليعجل لكم ما اختصكم به - حسب زعمكم - من الكرامة إن كنتم صادقين في دعوكم أنكم أولياء الله من دون الناس.
٣ ولا يتمنون الموت أبداً، بل يتمنون الخلود في الدنيا بسبب ما عملوه من الكفر والمعاصي والظلم، وتحريف التوراة وتبديلها،
والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

٤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء اليهود: إن الموت الذي تهربون منه ملاقيكم لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً، ثم ترجعون يوم القيامة
إلى الله عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء منهما، فيخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، ويجازيكم عليه.

٥ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عظم منة النبي ﷺ على البشرية عامة وعلى العرب خصوصاً، حيث كانوا في جاهلية وضياع.
- الهداية فضل من الله وحده، تطلب منه وتستجلب بطاعته.
- تكذيب دعوى اليهود أنهم أولياء الله؛ بتحذيرهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في دعوهم لأن الولي يشاق لحبيبه.

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، إِذَا نَادَى الْمُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صُعُودِ الْخُطْبِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْعَوْا إِلَى الْمَسَاجِدِ لِحُضُورِ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ، وَاتْرَكُوا الْبَيْعَ؛ لِثَلَا يَشْغَلَكُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ مِنَ السَّعْيِ وَتَرَكَ الْبَيْعَ بَعْدَ الْأَذَانِ لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ خَيْرٌ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَامْتَثِلُوا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ.

﴿٢﴾ فَإِذَا أَنْهَيْتُمْ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ بَحْثًا عَنِ الْكَسْبِ الْحَلَالِ، وَعَنِ قَضَاءِ حَاجَاتِكُمْ، وَاطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ الْكَسْبِ الْحَلَالِ وَالرِّيحِ الْحَلَالِ، وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَثْنَاءِ بَحْثِكُمْ عَنِ الرِّزْقِ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلَا يُؤَسِّسْكُمْ بِحُثْمِ عَنِ الرِّزْقِ ذِكْرُ اللَّهِ؛ رَجَاءَ الْفَوْزِ بِمَا تَحْبُونَهُ، وَالنَّجَاةِ مِمَّا تَرْهَبُونَهُ.

﴿٣﴾ وَإِذَا عَايَنَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا تَصْرِفُوهَا خَارِجِينَ إِلَيْهَا، وَتَرَكُوا - أَيُّهَا الرُّسُلُ - قَائِمًا عَلَى الْمِنْبَرِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهْوِ الَّذِي خَرَجْتُمْ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

مَدِينَةُ

﴿١﴾ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان حقيقة المنافقين والتحذير منهم.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿٣﴾ إذا حضر مجلسك - أيها

الرسول - المنافقون الذين يُظهِرون الإسلام، ويُضْمرون الكفر، قالوا: نشهد أنك لرسول الله حقًا، والله يعلم أنك لرسوله حقًا، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما يدَّعون أنهم يشهدون من صميم قلوبهم أنك لرسوله.

﴿٤﴾ جعلوا أيمانهم التي يلحفونها على دعوهم الإيمان، سترًا ووقاية لهم من القتل والأسر، وصرفوا الناس عن الإيمان بما يبتونه من التشكيك والإرجاف، إنهم قبح ما كانوا يعملون من النفاق والأيمان الكاذبة.

﴿٥﴾ ذلك بسبب أنهم آمنوا نفاقًا، ولم يصل الإيمان إلى قلوبهم، ثم كفروا بالله سرًا، فخنث على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يدخلها إيمان، فهم بسبب ذلك الختم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشدهم.

﴿٦﴾ وإذا رأيتهم - أيها الناظر - تعجبك هيئاتهم وأشكالهم؛ لما هم فيه من النضارة والنعيم، وإن يتكلموا تسمع لكلامهم لما فيه من البلاغة، كأنهم في مجلسك - أيها الرسول - حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ، لا يفهمون شيئًا ولا يعونه، يظنون كل صوت يستهدفهم لما فيهم من الجبن، هم العدو حقًا، فاحذرهم - أيها الرسول - أن يفشوا لك سرًا أو يكيدوا لك مكيدة، لعنهم الله، كيف يُصَرِّفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ

مع وضوح دلائله، وجلاء براهيته؟

﴿٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وجوب السعي إلى الجمعة بعد النداء وحرمة ما سواه من الدنيا إلا لعذر. • تخصيص سورة للمنافقين فيه تنبيه على خطورتهم وخفاء أمرهم. • العبرة بصلاح الباطن لا بجمال الظاهر ولا حسن المنطق.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

آيَاتُهَا ١١

تَرْجُمَهَا ٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَوْ أَنشَدَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا

⑤ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله معتذرين عما بدر منكم، يطلب لكم من الله المغفرة لذنوبكم، عطفوا رؤوسهم استهزاء وسخرية، ورأيهم يُعْرِضُونَ عما أُمِرُوا به، وهم مستكبرون عن قبول الحق والإذعان له.

⑥ يستوي طلبك - أيها الرسول - المغفرة لذنوبهم وعدم طلبك المغفرة لهم، لن يغفر الله لهم ذنوبهم، إن الله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، المُصِرِّين على معصيته.

⑦ هم الذين يقولون: لا تنفقوا أموالكم على من عند رسول الله من الفقراء والأعراب حول المدينة حتى ينفقوا عنه، والله وحده خزائن السموات، وخزائن الأرض، يرزقها من يشاء من عباده، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الرزق بيده سبحانه.

⑧ يقول رأسهم عبد الله بن أبي: لنن عدنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ - وهم أنا وقومي - منها الأذل؛ وهم محمد وأصحابه، والله وحده العزة ولرسوله وللمؤمنين، وليست لعبد الله ابن أبي وأصحابه، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولما بين الله حرص المنافقين على البخل بالإنفاق للصد عن سبيل الله حذر المؤمنين من ذلك، وأمرهم بالإنفاق في سبيله، فقال:

⑨ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن الصلاة أو غيرها من فرائض الإسلام، ومن شغلته أمواله وأولاده عما أوجبه الله عليه من الصلاة وغيرها، فأولئك هم الخاسرون حُثًّا الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

⑩ وأنفقوا مما رزقكم الله من الأموال من قبل أن يأتي أحدكم الموت، فيقول لربه: رب هلا أخرجتني إلى مدة يسيرة، فأصدق مالي في سبيل الله، وأكن من عباد الله الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

⑪ ولن يؤخر الله سبحانه نفساً إذا حضر أجلها وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

⑫ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

● الإعراض عن النصح والتكبر من صفات المنافقين.

● من وسائل أعداء الدين الحصار الاقتصادي للمسلمين.

● خطر الأموال والأولاد إذا شغلت عن ذكر الله.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُءُ وَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ⑤ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑥ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ⑦ وَاللَّهُ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
⑧ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
مِنهَا الْأَذَلَ ⑨ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ⑩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ⑪ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ⑫ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑬

سُورَةُ النَّجْمِ

آيَاتُهَا ١٨

رُتِبَتْهَا ٦٤

⑫ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مِنْ الْأَمْوَالِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ، فيقول لربه: رب هلا أخرجتني إلى مدة يسيرة، فأصدق مالي في سبيل الله، وأكن من عباد الله الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

⑬ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ سبحانه نفساً إذا حضر أجلها وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ
مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمُ بَيِّنَاتِ الصُّدُورِ ٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥ ذَلِكَ بِأَنَّهُ وَكَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرُ يَهُدُونَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ٦ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى
وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧
فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩

٥٥٦

إليه أمرهم؛ فتوبوا إلى الله قبل أن يحل بكم ما حل بهم.

١ ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم بسبب أنه كانت تأتيتهم رسلهم من عند الله بالحجج الواضحة والبراهين الجلية، فقالوا مستكرين أن تكون الرسل من جنس البشر: أبشر يرشدوننا إلى الحق؟ فكفروا وأعرضوا عن الإيمان بهم، فلم يضرؤا الله شيئاً، واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم: لأن طاعتهم لا تزيده شيئاً، والله غني لا يفتقر إلى عبادهم، محمود في أقواله وأفعاله. ٢ زعم الذين كفروا بالله أن الله لن يبعثهم أحياء بعد موتهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: بلى وربى لَتُبْعَثُنَّ يوم القيامة، ثم لَتُنَبَّؤُنَّ بما عملتم في الدنيا، وذلك البعث على الله سهل؛ فقد خلقكم أول مرة، فهو قادر على بعثكم بعد موتكم أحياء للحساب والجزاء.

٣ فأمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا برسوله، وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه على رسولنا، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ٤ اذكر - أيها الرسول - يوم يجمعكم الله ليوم القيامة ليجازيكم على أعمالكم، ذلك اليوم الذي يظهر فيه خسارة الكفار ونقصهم، حيث يرث المؤمنون منازل أهل النار في الجنة، ويرث أهل النار منازل أهل الجنة في النار، ومن يؤمن بالله ويعمل عملاً صالحاً يكفر الله عنه سيئاته، ويدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثر فيها أبداً، لا يخرجون منها، ولا ينقطع عنهم نعيمها، ذلك الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا يدينه فوز.

٥ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● من قضاء الله انقسام الناس إلى أشقياء وسعداء. ● من الوسائل المعينة على العمل الصالح تذكر خسارة الناس يوم القيامة.

١ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التحذير مما تحصل به الندامة والغبن يوم القيامة.

٢ التفسير:

١ يُنَزِّهُ اللَّهُ وَيُقَدِّسُهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ من صفات النقص كل ما في السماوات وما في الأرض من الخلاق، له وحده الملك، فلا مِلكَ غيره، وله الثناء الحسن، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

٢ هو الذي خلقكم - أيها

الناس - فمنكم كافر به ومصيره

النار، ومنكم مؤمن به ومصيره الجنة،

والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه

من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

٣ خلق السماوات وخلق الأرض

بالحق، ولم يخلقهما عبثاً، وصوَّركم

- أيها الناس - فأحسن صوركم مِنَّةً

منه وتفضلاً، ولو شاء لجعلها قبيحة،

وإليه وحده الرجوع يوم القيامة،

فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً

فخيراً، وإن شراً فشر.

٤ يعلم ما في السماوات ويعلم

ما في الأرض، ويعلم ما تخفون من

الأعمال ويعلم ما تعلنونه، والله عليم

بما في الصدور من خير أو شر، لا

يخفى عليه من ذلك شيء.

٥ ألم يأتكم - أيها المشركون -

خبر الأمم المكذبة من قبلكم؛ مثل

قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، فذاقوا

عقاب ما كانوا عليه من الكفر في

الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب موجه؟

بلى، قد أتاكم ذلك، فاعتبروا بما آل

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشِّرِ الْمَصِيرِينَ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ
شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرَّضُوا
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعْفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

آيَاتُهَا ١٢

تَرْبِيَّتُهَا ٦٥

٥٥٧

﴿١٠﴾ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا التي أنزلناها على رسولنا، أولئك أصحاب النار ما كانوا فيها أبداً، وقبح المصير مصيرهم.

﴿١١﴾ ما أصابت أحدًا مصيبةٌ في نفسه أو ماله أو ولده إلا بقضاء الله وقدره، ومن يؤمن بالله وقضائه وقدره يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿١٢﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن أعرضتم عما جاءكم به رسوله فإثم ذلك الإعراض عليكم، وليس على رسولنا إلا تبليغ ما أمرناه بتبليغه، وقد بلغكم ما أمر بتبليغه.

﴿١٣﴾ الله هو المعبود بحق، لا معبود بحق غيره، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أمورهم.

﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم؛ كونهم يشغلونكم عن ذكر الله والجهاد في سبيله، ويثبطونكم، فاحذروهم أن يؤثروا فيكم، وإن تتجاوزوا عن زلاتهم وتعرضوا عنها وتستروها عليهم، فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم، والجزاء من جنس العمل.

﴿١٥﴾ إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء واختبار لكم، فقد يحملونكم على كسب الحرام، وترك طاعة الله، والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على طاعة الأولاد، وعلى الاشتغال بالمال، وهذا الجزء العظيم هو الجنة.

﴿١٦﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ما استطعتم إلى طاعته سبيلاً، واسمعوا وأطيعوا الله ورسوله، وابدلوا أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ومن يقه الله حرص نفسه فأولئك هم الفائزون بما يطلبونه، والناجون مما يرهبونه.

﴿١٧﴾ إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا؛ بأن تبدلوا من أموالكم في سبيله، يُضاعف لكم الأجر بجعل الحسنه بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويتجاوز لكم عن ذنوبكم، والله شكور يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿١٨﴾ الله سبحانه عالم ما غاب، وعالم ما حضر، لا يخفى عليه من ذلك شيء، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مهمة الرسل التبليغ عن الله، وأما الهداية فهي بيد الله.
- الإيمان بالقدر سبب للطمأنينة والهداية.
- التكليف في حدود المقدور للمكلف.
- مضاعفة الثواب للمنفق في سبيل الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝
فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُؤْخِذُ
بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ۝ وَالَّتِي يَدْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَتْ
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا ۚ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝

٥٥٨

الله بامتنال أو امره واجتناب نواهي، يجعل الله له مخرجًا من كل ما يقع فيه من الضيق والحر.

٢ ويرزقه من حيث لا يخطر له على بال، ولا يكون في حسيانه، ومن يعتمد على الله في أموره فهو كافيه، إن الله منفذ أمره، لا يعجز عن شيء، ولا يفوته شيء، قد جعل الله لكل شيء قدرًا ينتهي إليه، فلشدة قدر، ولرخاء قدر، فلا يدوم أحدهما على الإنسان. ٣ والمطلقات اللائي يسنن من أن يحضن لكبر سنهن، إن شككن في كيفية عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر، واللائي لم يبلغن سن الحيض لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك، والحوامل من النساء نهاية عدتهن من طلاق أو وفاة: إذا وضعن حملهن، ومن يتق الله بامتنال أو امره واجتناب نواهي، يُيسر الله له أموره، ويسهل له كل عسير.

٤ ذلك المذكور من أحكام الطلاق والرجعة والعدّة حكم الله أنزله إليكم - أيها المؤمنون - لتعملوا به، ومن يتق الله بامتنال أو امره واجتناب نواهي يمح عنه سيئاته التي ارتكبها، ويعطيه أجرًا عظيمًا في الآخرة، وهو دخول الجنة، والحصول على النعيم الذي لا ينفد.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- خطاب النبي ﷺ خطاب لأُمته ما لم تثبت له الخصوصية.
- وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية.
- التّذبّذ إلى الإشهاد حسماً لمادة الخلاف.
- كثرة فوائد التقوى وعظمتها.

من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان أحكام الطلاق وتعظيم حدوده وثمرات التقوى.

التفسير:

١ يا أيها النبي، إذا أردت أنت أو أراد أحد من أمتك طلاق زوجته فليطلقها لأول عدتها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه، واحفظوا العدّة، لتتمكنوا من مراجعة زوجاتكم فيها إن أردتم مراجعتهن، واتقوا الله ربكم بامتنال أو امره واجتناب نواهي، لا تخرجوا مطلقاتكم من البيوت التي يسكنن فيها، ولا يخرجن بأنفسهن، حتى تنقضي عدتهن؛ إلا أن يأتيَنَّ بفاحشة ظاهرة مثل الزنى، وتلك الأحكام هي حدود الله التي حدّ لعباده، ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه حيث أوردتها موارد الهلاك بسبب عصيانه لربه، لا تعلم - أيها المطلق - لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمرًا لا تتوقعه فتراجعها.

٢ فإذا قارب انقضاء عدتهن فراجعوهن عن رغبة وحسن معاشرة، أو اتركوا مراجعتهن حتى تنقضي عدتهن، فيملكن أمر أنفسهن، مع إعطائهن ما لهن من حقوق، وإذا أردتم مراجعتهن أو مفارقتهن فأشهدوا عدلين منكم حسماً للنزاع، واثبتوا - أيها الشهود - بالشهادة مبتغين وجه الله؛ ذلك المذكور من الأحكام يُذكر به من كان يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة؛ لأنه هو الذي ينتفع بالتذكير والموعظة، ومن يتق

أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَنْضَارُوهُنَّ لَتُضْيِقُوا
عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَاتَّمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ
تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ وَآخَرَى ٦ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ
قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
تُكْرًا ٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ٩ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ
اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ١١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ١٢

ولما بين الله حكم الطلاق والرجعة بين حكم النفقة والسكنى، فقال:

٦ أسْكُوهُنَّ - أيها الأزواج - من حيث سكنتم من وسعكم، فلا يكلفكم الله غيره، ولا تدخلوا عليهن الضرر في النفقة والسكن ولا في غيرهما رجاء التضييق عليهن، وإن كانت المطلقات حوامل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادكم فأعطوهن أجر إرضاعهن، وتراجعوا في شأن الأجرة بالمعروف، فإن بخل الزوج بما تريده الزوجة من أجرة، وشخت هي فلم ترض إلا بما تريده: فليستأجر الأب مرضعة أخرى تُرضع له ولده.

٧ لينفق من كان له سعة في المال على مطلقاته وعلى ولده من سعته، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله منه، لا يكلف الله نفسًا إلا ما أعطاه، فلا يكلفها فوقه، ولا فوق ما تطيقه، سيجعل الله بعد ضيق حاله وشدتها سعة وغنى.

ولما ذكر الله جملة من الأوامر حذر من الإعراض عن تلك الأوامر، وبين أن عاقبته سيئة، فقال:

٨ وما أكثر القرى التي لما عصت أمر ربها سبحانه وأمر رسوله ﷺ، حاسبناها حسابًا عسيرًا على أعمالها السيئة، وعذبناها عذابًا فظيفًا في الدنيا والآخرة.

٩ فذاقت عقوبة أعمالها السيئة، وكان نهايتها خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة.

١٠ هيأ الله لهم عذابًا قويًا، فأتقوا الله - يا أصحاب العقول الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله - بامتنال أوامره

واجتناب نواهيه، حتى لا يحل بكم ما حل بهم، قد أنزل الله إليكم ذكرًا يذكركم سوء عاقبة معصيته، وحسن مآل طاعته. هذا الذكر هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبينات لا لبس فيها؛ رجاء أن يخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً، يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها.

١١ الله هو الذي خلق سبع سماوات، وخلق سبع أرضين مثل خلقه سبع سماوات، يتنزل أمر الله الكوني والشرعي بينهما؛ رجاء أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

١٢ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عدم وجوب الإرضاع على الحامل إذا طلقت.
- التكليف لا يكون إلا بالمستطاع.
- الإيمان بقدرة الله وإحاطة علمه بكل شيء سبب للرضا وسكينة القلب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢ وَإِذَا سَأَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ٣
إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٤
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَتْ تَلْبَّتِ عِلْدَاتٍ سَخَّحَتْ ثِيَبَاتٍ وَأَبْكَارًا ٥
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧

٥٦٠

١ من مقاصد السورة: الدعوة إلى إقامة البيوت على تعظيم حدود الله وتقديس مرضاته وحده.

٢ التفسير:

٣ يا أيها الرسول، لم تحرم ما أباح الله لك؛ من الاستمتاع بجارياتك مارية، تبغى بذلك إرضاء زوجاتك لما غرن منها؟ والله غفور لك، رحيم بك.

٤ قد شرع الله لكم تحليل أيانكم بالكفارة إن وجدتم خيراً منها أو حنثتم فيها، والله ناصركم، وهو العليم بأحوالكم وما يصلح لكم، الحكيم في شرعه وقدره.

٥ واذكر حين خصّ النبي ﷺ حفصة بخبر، وكان منه أنه لن يقرب جاريته مارية، فلما أخبرته حفصة عائشة بالخبر وأعلم الله نبيه عن إفشاء سره عاتب حفصة فذكر لها بعضاً مما ذكرت وسكت عن بعض، فسألته: من أخبرك هذا؟ قال: أخبرني العليم بكل شيء الخبير بكل خفي.

٦ حقّ عليكما أن تتوبا؛ لأن قلوبكما قد مالت إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته وتحريمها على نفسه، وإن تصرّأ على العود على تأليبيكما عليه، فإن الله هو وليه وناصره، وكذا جبريل وخيار المؤمنين أولياؤه ونصراؤه. والملائكة بعد نصرة الله له أعوان له ونصراء على من يؤذيه.

٧ عسى ربه سبحانه أن يطلعك نبيه أن يبدله أزواجا خيرا منك، منقادات لأمره، مؤمنات به وبرسوله، مطيعات لله، ثابتات من ذنوبهن، عابدات لربهن، صائمات، تيّبات، وأبكاراً لم يدخل بهنّ غيره، لكنه لم يطلقهن.

٨ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اجعلوا لأنفسكم وأهليكم وقاية من نار عظيمة توقد بالناس وبالحجارة، على هذه النار ملائكة غلاظ على من يدخلها شداد، لا يعصون أمر الله إذا أمرهم، ويفعلون ما يأمرهم به دون تراخ ولا توان.

٩ ويقال للكافرين يوم القيامة: يا أيها الذين كفروا بالله، لا تعتذروا اليوم مما كنتم عليه من الكفر والمعاصي، فلن تقبل أعذاركم، إنما تجزون في هذا اليوم ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر بالله وتكذيب رسله.

١٠ من قواعد الآيات:

- مشروعية الكفارة عن اليمين.
- بيان منزلة النبي ﷺ عند ربه ودفاعه عنه.
- من كرم المصطفى ﷺ مع زوجاته أنه كان لا يستقصي في العتاب فكان يعرض عن بعض الأخطاء إبقاءً للمودة.
- مسؤولية المؤمن عن نفسه وعن أهله.

﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تَوْبَةً صَادِقَةً، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَمْحُو عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ يَوْمَ لَا يُذِلُّ اللَّهُ النَّبِيَّ وَلَا يُذِلُّ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ يَدْخُلُ الْفَارُوسُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ، وَالْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَهَابُوكَ، وَمَاوَاهِمُ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ جَهَنَّمُ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ مَصِيرُهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ.

﴿١٠﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - أَنْ عَلاَقَتَهُمُ بِالْمُؤْمِنِينَ لَا تَنْفَعُ بِحَالٍ - أَمْرًا نَبِيِّنَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ: نُوحٍ وَلُوطٍ ؑ، فَقَدْ كَانَتَا زَوْجَتَيْنِ لِعَبِيدَيْنِ صَالِحَيْنِ، فَخَانَتَا زَوْجِيهِمَا؛ بِمَا كَانَتَا عَلَيْهِ مِنَ الصَّدْعِ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنَاصِرَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ قَوْمِهِمَا، فَلَمْ يَنْفَعَهُمَا كَوْنُهُمَا زَوْجَتَيْنِ لِهَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ الصَّالِحِينَ، وَقِيلَ لَهُمَا: ادْخُلَا النَّارَ مِنْ جُمْلَةِ الدَّاخِلِينَ فِيهَا مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفَسَاقِ.

﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ صَلَّتْهُمُ الْكَافِرِينَ لَا تَضُرُّهُمْ، وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِمْ مَا دَامُوا مُسْتَقِيمِينَ عَلَى الْحَقِّ بِحَالٍ أَمْرًا فَرَعُونَ حِينَ قَالَتْ: يَا رَبِّ، ابْنِ لِي بَيْتًا عِنْدَكَ فِي الْجَنَّةِ، وَسَلَّمَنِي مِنْ جَبْرُوتِ فَرَعُونَ وَسُلْطَانِهِ، وَمِنْ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، وَسَلَّمَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِمَتَابِعَتِهِمْ لَهُ فِي طُغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ.

﴿١٢﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، بِحَالِ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ الَّتِي حَفِظَتْ فَرْجَهَا مِنَ الزَّوْنِ، فَأَمَرَ اللَّهُ جَبْرِيْلَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ، فَحَمَلَتْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ بَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَصَدَّقَتْ بِشَرَائِعِ اللَّهِ، وَبَكَّتْهُ الْمَنْزِلَةُ عَلَى رِسْلِهِ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ بِأَمْتَالِ أَوَامِرِهِ وَالْكَفِّ عَنْ نَوَاهِيهِ.

﴿١٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● التوبة النصوح سبب لكل خير.

● في اقتراح جهاد العلم والجهاد السيف دلالة على أهميتهما وأنه لا غنى عن أحدهما.

● القرابة بسبب أو نسب لا تنفع صاحبها يوم القيامة إذا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الدِّينَ.

● العفاف والبعد عن الرِّبِّية من صفات المؤمنات الصالحات.

● ضرب الله مثلاً للذين آمنوا بالله وبرسله، بحال مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها من الزنى، فأمر الله جبريل أن ينفخ فيه، فحملت بقدرته الله بعيسى بن مريم من غير أب، وصدقت بشرائع الله، وبكتبه المنزلة على رسله، وكانت من المطيعين لله بأمتثال أوامره والكف عن نواهيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝^١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝^٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝^٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝^٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝^٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝^٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝^٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝^٨ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝^٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^{١٠} فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَحَقًّا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^{١١} إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝^{١٢}

الجزء ٢٩
الجزء ٥٧

من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
إظهار كمال ملك الله وقدرته؛ بعثًا على خشيته، وتحذيرًا من عقابه.

التفسير:

١) تعاظم وكثر خير الله الذي بيده وحده الملك، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

٢) الذي خلق الموت وخلق الحياة ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن عملًا، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الغفور لذنوب من تاب من عبادته.

٣) الذي خلق سبع سماوات، كل سماء طبقة فوق ما قبلها دون تماس بين سماء وسماء. لا تشاهد - أيها الراي - فيما خلق الله أي تفاوت أو عدم تناسب. فارجع البصر هل ترى من تشق أو تصدع؟ لن ترى ذلك، وإنما ترى خلقًا محكمًا متقنًا.

٤) ثم ارجع البصر مرة بعد مرة يرجع إليك بصرك ذليلًا دون أن يرى عيبًا أو خللاً في خلق السماء، وهو كليل منقطع عن النظر.

٥) ولقد زيننا أقرب سماء إلى الأرض بنجوم مضيئة، وجعلنا تلك النجوم شهبًا تُرجم بها الشياطين التي تسترق السمع فتحرقهم، وهيأنا لهم في الآخرة النار المُسْتَعْرَة.

٦) وللذين كفروا ربهم يوم القيامة عذاب النار المتقدمة، وساء المرجع الذي يرجعون إليه.

٧) إذا طُرحوا في النار سمعوا لها صوته قبيحًا شديدًا، وهي تغلي مثل غليان المرجل.

٨) يكاد ينفصل بعضها عن بعض ويتميز؛ من شدة غضبها على من يدخل فيها، كلما رُميت فيها دفعة من أصحابها الكفار سألتهم الملائكة الموكلون بها سؤال تفرع: ألم يأتكم في الدنيا رسول يخوِّفكم من عذاب الله؟

٩) قال الكفار: بلى، قد جاءنا رسول يخوِّفنا من عذاب الله فكذبناه، وقلنا له: ما نزل الله من وحي، لستم - أيها الرسل - إلا في ضلال عظيم عن الحق.

١٠) وقال الكفار: لو كنا نسمع سماعًا يُنتفع به، أو نعقل عقل من يميز الحق من الباطل، ما كنا في جملة أصحاب النار، بل كنا نؤمن بالرسول، ونصدق بما جاؤوا به، ونكون من أصحاب الجنة.

١١) فأعرضوا على أنفسهم بالكفر والتكذيب فاستحقوا النار، فبُعِدُوا لأصحاب النار.

ولما ذكر الله صفات أهل الكفر وجزاءهم، عقبها بذكر صفات أهل الإيمان وجزاءهم، فقال:

١٢) إن الذين يخافون الله في خلواتهم، لهم مغفرة لذنوبهم، ولهم ثواب عظيم وهو الجنة.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• في معرفة الحكمة من خلق الموت والحياة وجوب المبادرة للعمل الصالح قبل الموت.

• حنق جهنم على الكفار وغيظها غيرة لله سبحانه.

• سبق الجن الإنس في ارتياد الفضاء وكل من تعدى حده منهم، فإنه سيناله الرصد بعقاب.

• طاعة الله وخشيته في الخلوات من أسباب المغفرة ودخول الجنة.

وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ وَأَوَّجْهُوا بِهِ إِنَّهُ وَعَلَيْمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ١٥
أَمْ أَمْنُكُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦
أَمْ أَمْنُكُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرٍ ١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ١٩ أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُكُمْ
يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمْنَ هَذَا
الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ وَبَلَغُوا فِي عُنُوتٍ وَيَقُولُونَ
يَمْسِي مِكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ٢١ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٢ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٣ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ٢٤ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢٥

٥٦٣

١٣ وأخفوا - أيها الناس - كلامكم أو أعلنوه، فالله يعلمه، إنه سبحانه يعلم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

١٤ أَلَا يعلم الذي خلق الخلائق كلها السر وما هو أخفى من السر؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بأمورهم، لا يخفى عليه منها شيء.

١٥ هو الذي جعل لكم الأرض سهلة لينة للسكن عليها، فسيروا في جوانبها وأطرافها، وكلوا من رزقه الذي أعد لكم فيها، وإليه وحده بعثكم للحساب والجزاء.

١٦ أأمْنُكم الله الذي في السماء أن يشق الأرض من تحتكم كما شققها من تحت قارون بعد أن كانت سهلة مذللة للسكن عليها، فإذا هي تضطرب بكم بعد استقرارها؟

١٧ أم أَمْنُكم الله الذي في السماء أن يبعث عليكم حجارة من السماء مثل ما بعثها على قوم لوط؟ فستعلمون حين تعالون عقابي إنذارى لكم، لكنكم لن تنتفعوا به بعد معاناة العذاب.

١٨ ولقد كذبت الأمم التي سبقت هؤلاء المشركين، فنزل عليهم عذاب الله لما أصرّوا على كفرهم وتكذيبهم، فكيف كان إنكارى عليهم؟ لقد كان إنكارًا شديدًا.

١٩ أولم يشاهد هؤلاء المكذبون الطير فوقهم صافات يطيرن تبسط أجنحتها في الهواء تارة، وتضمها إليها تارة أخرى، ولا يمسكن أن يقعن على الأرض إلا الله، إنه بكل شيء بصير، لا يخفى عليه منه شيء.

٢٠ لا جند لكم - أيها الكفار - يمنعكم من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، ليس الكافرون إلا مخدوعين، خدعهم الشيطان فاغترّوا به.

٢١ ولا أحد يرزقكم إن منع الله رزقه أن يصل إليكم، بل الحاصل أن الكفار تماردوا في العناد والاستكبار، والامتناع عن الحق.

٢٢ أفمن يمشي واقفاً على وجهه مُتَكَبِّراً عليه - وهو المشرك - أهدى، أم المؤمن الذي يمشي مستقيماً على طريق مستقيم؟

٢٣ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي خلقكم، وجعل لكم أسماعاً تسمعون بها، وأبصاراً تبصرون بها، وقلوباً تعقلون بها، قليلاً ما تشكرونه على نعمه التي أنعم بها عليكم.

٢٤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي بتركهم في الأرض ونشركم فيها، لا أصنامكم التي لا تخلق شيئاً، وإليه وحده يوم القيامة تُجْمَعُونَ للحساب والجزاء، لا إلى أصنامكم، فخافوه وعبدوه وحده.

٢٥ ويقول المكذبون بالبعث استبعاداً للبعث: متى هذا الوعد الذي تعدنا - يا محمد - أنت وأصحابك إن كنتم صادقين في دعواكم أنه آت؟

٢٦ قل - أيها الرسول -: إنما علم الساعة عند الله، لا يعلم متى تقع إلا هو، وإنما أنا منذر واضح في نذارتي لكم.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● اطلاع الله على ما تخفيه صدور عباده.

● الكفر والمعاصي من أسباب حصول عذاب الله في الدنيا والآخرة.

● الكفر بالله ظلمة وحيرة، والإيمان به نور وهداية.

﴿٢٧﴾ فلما حل بهم الوعد وعانوا العذاب قريباً منهم وذلك يوم القيامة تغيرت وجوه الذين كفروا بالله فاسودت، ويقال لهم: هذا الذي كنتم تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه.

﴿٢٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين مستنكراً عليهم: أخبروني إن توفاني الله، وتوفى من معي من المؤمنين، أو رحمنا فأخر في آجالنا، فمن ينجي الكافرين من عذاب مؤلم؟! لن ينجيهم منه أحد.

﴿٢٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هو الرحمن الذي يدعوكم إلى عبادته وحده، آمناً به، وعليه وحده اعتمدنا في أمورنا، فستعلمون - لا محالة - من هو في ضلال واضح ممن هو على صراط مستقيم.

﴿٣٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أصبح ماؤكم الذي تشربون منه غائراً في الأرض لا تستطيعون الوصول إليه، من يأتيكم بماء كثير جارٍ؟ لا أحد غير الله.

سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ

• من مقاصد السورة: شهادة الله للنبي بحسن الخلق، والدفاع عنه وتثبيته.

• التفسير: ﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. أقسم الله بالقلم، وأقسم بما يكتبه الناس بأقلامهم.

﴿٢﴾ ما أنت - أيها الرسول - بما أنعم الله عليك به من النبوة مجنوناً، بل

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّعَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ۖ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَاعْمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ
آيَاتُهَا ٥٢
تُرْتِيبُهَا ٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَّبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وُدُّوا أَلْوَدَّهِنَّ فَيَدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْحَرْثِ طُومٍ ﴿١٦﴾

٥٦٤

أنت بريء من الجنون الذي رماك به المشركون. ﴿٢﴾ وإن لك لشواً على ما تعانیه من حمل الرسالة إلى الناس غير مقطوع، ولا مئة به لأحد عليك. ﴿٣﴾ وإنك لعلى الخلق العظيم الذي جاء به القرآن، فأنت مُخَلِّقٌ بما فيه على أكمل وجه. ﴿٤﴾ فستبصر أنت، ويبصر هؤلاء المكذبون. ﴿٥﴾ عندما ينكشف الحق يتضح بأيكم الجنون؟! ﴿٦﴾ إن ربك - أيها الرسول - يعلم من انحرف عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين إليها، فيعلم أنهم من ضلوا عنها، وأنت من اهتديت إليها. ﴿٧﴾ فلا تطع - أيها الرسول - المكذبين بما جئت به. ﴿٨﴾ تمنوا لو لا يَنْتَهُم ولا طَفَتْهُمْ على حساب الدين، فيلينون لك ويلاطفونك. ﴿٩﴾ ولا تطع كل كثير الحلف بالباطل، حقير. ﴿١٠﴾ كثير الاغتيال للناس، كثير المشي بالتميمة بينهم؛ ليفرق بينهم. ﴿١١﴾ كثير المنع للخير، معتد على الناس في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، كثير الأثام والمعاصي. ﴿١٢﴾ غليظ جاف، دعي في قومه لصيق. ﴿١٣﴾ لأجل أنه كان صاحب مال وأولاد تكبر عن الإيمان بالله ورسوله. ﴿١٤﴾ إذا تُرِّأَ عليه آياتنا قال: هذه ما يَسْطُرُ من خرافات الأولين. ﴿١٥﴾ سنضع علامة على أنه تَشْبِيه وتلازمه. ﴿١٦﴾

• من فوائد الآيات: • اتصاف الرسول ﷺ بأخلاق القرآن. • صفات الكفار صفات ذميمة يجب على المؤمن الابتعاد عنها، وعن طاعة أهلها. • من أكثر الحلف هان على الرحمن، ونزلت مرتبته عند الناس.

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْنَا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرِينَ ۝ فَتَمَارَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۝ بَل لَّحَنَ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۝ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كَاظِمِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرَ مِمَّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَآ تَخَيَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَآ تَحْكُمُونَ ۝ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝

٥٦٥

١٧) إِنَّا اخْتَبَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ، كَمَا اخْتَبَرْنَا أَصْحَابَ الْحَدِيقَةِ حِينَ حَفَلُوا لِيَقْطَعْنَ ثَمَارَهَا وَقْتَ الصَّبَاحِ مَسَارِعِينَ حَتَّى لَا يَطْعَمَ مِنْهَا مَسْكِينٌ.

١٨) وَلَمْ يَسْتَنْوُوا فِي يَمِينِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

١٩) فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا نَارًا، فَأَكَلَتْهَا وَأَصْحَابُهَا نِيَامٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ النَّارِ عَنْهَا.

٢٠) فَأَصْبَحَتْ سُودَاءَ كَاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ.

٢١) فَتَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقْتَ الصَّبَاحِ.

٢٢) قَائِلِينَ: أَخْرِجُوا مُبْكِرِينَ عَلَى حَرْثِكُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْفُقَرَاءِ إِنْ كُنْتُمْ قَاطِعِينَ ثَمَارَهَا.

٢٣) فَسَارُوا إِلَى حَرْثِهِمْ، مُسْرِعِينَ يَحْدُثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ.

٢٤) يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا يَدْخُلْنَ الْحَدِيقَةَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينٌ.

٢٥) وَسَارُوا أَوَّلَ الصَّبَاحِ وَهُمْ عَلَى مَنَعِ ثَمَارِهِمْ عَازِمِينَ.

٢٦) فَلَمَّا شَاهَدُوهَا مُحْتَرَقَةً قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَقَدْ ضَلَلْنَا طَرِيقَهَا.

٢٧) بَلْ نَحْنُ مَمْنُوعُونَ مِنْ جَنِي ثَمَارَهَا بِمَا حَصَلَ مِنَّا مِنْ عِزْمٍ عَلَى مَنَعِ الْمَسَاكِينِ مِنْهَا.

٢٨) قَالَ أَفْضَلُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ حِينَ عَزَمْتُمْ عَلَى مَا عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَرَمَانِ الْفُقَرَاءِ مِنْهَا: هَلَّا تُسَبِّحُونَ اللَّهَ، وَتَتُوبُونَ إِلَيْهِ؟

٢٩) قَالُوا: سَبَّحْنَا رَبَّنَا، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لِأَنفُسِنَا حِينَ عَزَمْنَا عَلَى مَنَعِ الْفُقَرَاءِ مِنْ ثَمَارِ حَدِيقَتِنَا.

٣٠) فَأَقْبَلُوا يَتَرَاوِعُونَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْعُتْبِ.

٣١) قَالُوا مِنَ النَّدَمِ: يَا خَسَارَنَا، إِنَّا كُنَّا مُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ بِمَنَعِنَا الْفُقَرَاءَ حَقَّهُمْ.

٣٢) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يَعُوضَنَا خَيْرًا مِنَ الْحَدِيقَةِ، إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ رَاغِبُونَ، نَرْجُو مِنْهُ الْعَفْوَ، وَنَطْلُبُ مِنْهُ الْخَيْرَ.

٣٣) مِثْلُ هَذَا الْعَذَابِ بِالْحَرَمَانِ مِنَ الرِّزْقِ نَعَذِبُ مِنْ عَصَاْنَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شِدَّةَ وَدَوَامِهِ.

٣٤) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا، لَا يَنْقُطِعُ نَعِيمُهُمْ.

٣٥) أَفَتُجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْكَافِرِ فِي الْجَزَاءِ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؟

٣٦) مَا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - كَيْفَ تَحْكُمُونَ هَذَا الْحُكْمَ الْجَائِرَ الْأَعْوَجَ؟

٣٧) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَقْرَأُونَ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الْمَطِيعِ وَالْعَاصِي؟

٣٨) إِنْ لَكُمْ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَا تَخَيَّرْتُمْ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ. أَمْ لَكُمْ عَلَيْنَا عَهْدٌ مُّؤَكَّدَةٌ بِالْإِيمَانِ مُقْتَضَاهَا أَنْ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ بِهِ لَأَنفُسِكُمْ؟ سَلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْقَائِلِينَ هَذَا الْقَوْلُ: أَيُّهُمْ كَفِيلٌ بِهِ؟ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَسَاوُونَهُمْ فِي الْجَزَاءِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ هَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَدَّعُونَهُ مِنْ أَنَّهُمْ سَاوَوَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَزَاءِ. (٤٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْدُو الْهَوْلُ وَيُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، وَيُدْعَى النَّاسُ إِلَى السُّجُودِ فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبْقَى الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْجُدُوا.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• مَنَعَ حَقَّ الْفَقِيرِ سَبَبٌ فِي هَلَاكِ الْمَالِ. • تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ بِالْعَبْدِ لِيَتُوبَ وَيَرْجِعَ. • لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ فِي الْجَزَاءِ، كَمَا لَا يَسْتَوِي صِفَاتُهُمَا.

﴿٣٢﴾ ذَلِيلَةٌ أَبْصَارُهُمْ، تَغْشَاهُمْ ذَلَّةٌ وَندامة، وقد كانوا في الدنيا يُطْلَبُ منهم أن يسجدوا لله وهم في معافاة مما هم فيه اليوم.

﴿٣٣﴾ فاتركني - أيها الرسول - ومن يكذب بهذا القرآن المنزل عليك، سنسوقهم إلى العذاب درجة درجة من حيث لا يعلمون أن ذلك مكر بهم واستدراج لهم. ﴿٣٤﴾ وأهلهم زمناً ليتمادوا في إثمهم، إن كيدي بأهل الكفر والتكذيب قوي، فلا يفوتوني، ولا يسلمون من عقابي. ﴿٣٥﴾ هل تطلب منهم - أيها الرسول - ثواباً على ما تدعوهم إليه، فهم بسبب ذلك يتحملون أمراً عظيماً، فهذا سبب إعراسهم عنك؟ والواقع خلاف ذلك، فأنت لا تطلبهم أجراً، فما المانع لهم من اتباعك؟ ﴿٣٦﴾ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يحلو لهم من الحجج التي يحاجونك بها؟

﴿٣٧﴾ فاصبر - أيها الرسول - لما حكم به ربك من استدراجهم بالإمهال، ولا تكن مثل صاحب الحوت يونس عليه السلام في التضجر من قومه؛ إذ نادى ربه وهو مكروب في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. ﴿٣٨﴾ لولا أن رحمة الله أدركته لنبذه الحوت إلى أرض خلاء وهو ملوم.

﴿٣٩﴾ فاختاره ربه، فجعله من عباده الصالحين. ﴿٤٠﴾ وإن يكاد الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله، ليَصْرَعُونَكَ بأبصارهم من شدة إحداد النظر إليك، لما سمعوا هذا القرآن المنزل عليك، ويقولون - اتباعاً لأهوائهم، وإعراضاً عن الحق -: إن الرسول الذي جاء به لمجنون.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٣٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مَثْقَلُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتَبُونَ ﴿٣٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٣٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٣٩﴾ فَاجْتَبَيْهِ رَبُّهُ وَفَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٤١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ

آياتها ٥٠

رُتِبَها ٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا وَعَادُ فَأُهْلِكُوا بِالْمُجَسَّاتِ ﴿٦﴾ فَتَرَى كَيْدَهُمْ فِي سَبْعِ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ مُخَلَّ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

٥٦٦

﴿٥٦﴾ وما القرآن المنزل عليك إلا موعظة وتذكير للإنس والجن.

سُورَةُ الْقَمَرِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

إثبات أن وقوع القيامة والجزاء فيها حق لا ريب فيه.

• التفسير: ﴿١﴾ يذكر الله ساعة البعث التي تحقق على الجميع. ﴿٢﴾ ثم يعظم أمرها بهذا السؤال: أي شيء هي الحاققة؟ ﴿٣﴾ وما أعلمك ما هذه الحاققة؟ ﴿٤﴾ كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود، بالقيامة التي تفرع الناس من شدة أهوالها. ﴿٥﴾ فأما ثمود فقد أهلكهم الله بالصيحة التي بلغت الغاية في الشدة والهول. ﴿٦﴾ وأما عاد فقد أهلكهم الله بريح شديدة البرد قاسية بلغت الغاية في القسوة عليهم. ﴿٧﴾ أرسلها الله عليهم مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام تنفيهم عن بكرة أبيهم، فترى القوم في ديارهم هلكى مصروعين في الأرض، كأنهم بعد إهلاكهم أصول نخل ساقطة على الأرض بالية. ﴿٨﴾ فهل ترى لهم نفساً باقية بعد ما أصابهم من العذاب؟ • مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الصبر خلق محمود لازم للدعاة وغيرهم. • التوبة تُجِبُّ ما قبلها وهي من أسباب اصطفاء الله للعباد وجعله من عباده الصالحين. • تنوع ما يرسله الله على الكفار والعصاة من عذاب دلالة على كمال قدرته وكمال عدله.

﴿٩﴾ وجاء فرعون ومن قبله من الأمم، والقرى التي عذبت بقلب عاليها سافلها، وهم قوم لوط، بالأفعال الخاطئة من الشرك والمعاصي.

﴿١٠﴾ فصلى كل منهم رسوله الذي بعث إليهم وكذبوه، فأخذهم الله أخذة زائدة على ما يتم به هلاكهم.

﴿١١﴾ إنا لما تجاوز الماء حذره في الارتضاع حملنا من كنتم في أصلا بهم في السفينة الجارية التي صنعها نوح بأمرنا، فكان حملاً لكم.

﴿١٢﴾ لنجعل السفينة وقصبتها موعظة يُستدل بها على إهلاك أهل الكفر، وإنجاء أهل الإيمان، وتحفظها أذن حافظة لما تسمع.

﴿١٣﴾ فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن نفخة واحدة وهي النفخة الثانية.

﴿١٤﴾ ورُفِعت الأرض والجبال، فدُقَّتْ دقة واحدة شديدة فرُقت أجزاء الأرض وأجزاء جبالها.

﴿١٥﴾ فيوم يحصل ذلك كله تقع القيامة.

﴿١٦﴾ وتشققت السماء يومئذ لنزول الملائكة منها، فهي في ذلك اليوم ضيفة بعد أن كانت شديدة متماسكة.

﴿١٧﴾ والملائكة على أطرافها وحافاتنا، ويحمل عرش ربك في ذلك اليوم العظيم ثمانية من الملائكة المقربين.

﴿١٨﴾ في ذلك اليوم تُعرضون - أيها الناس - على الله، لا تخفي على الله منكم خافية أيًا كانت، بل الله عليم بها مطلع عليها.

﴿١٩﴾ فأما من أُعطي كتاب أعماله بيمينه فهو يقول من السرور والبهجة: خذوا أقرؤوا كتاب أعمالي.

﴿٢٠﴾ إني علمت في الدنيا وأيقنت أنني مبعوث، وملاقي جزائي.

﴿٢١﴾ فهو في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم.

﴿٢٢﴾ في جنة رفيعة المكان والمكانة.

﴿٢٣﴾ ثمارها قريبة ممن يتناولها. ﴿٢٤﴾ يقال تَكْرِيماً لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً لا أذى فيه بما قدمتم من الأعمال الصالحات في الأيام الماضية في الدنيا. ﴿٢٥﴾ وأما من أُعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول من شدة الندم: يا ليتني لم أعط كتاب أعمالي لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي. ﴿٢٦﴾ ويا ليتني لم أعرف أي شيء يكون حسابي. ﴿٢٧﴾ يا ليت الموتة التي متُّها كانت الموتة التي لا أبعث بعدها أبداً. ﴿٢٨﴾ لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئاً. ﴿٢٩﴾ غابت عني حجتى وما كنت أعتد عليه من قوة وجاء.

﴿٣٠﴾ ويقال: خذوه - أيها الملائكة - واجمعوا يده إلى عنقه. ﴿٣١﴾ ثم أدخلوه النار ليعاني حرّها. ﴿٣٢﴾ ثم أدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعاً. ﴿٣٣﴾ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ﴿٣٤﴾ ولا يبحث غيره على إطعام المسكين. ﴿٣٥﴾ فليس له اليوم ههنا حميرٌ عنه العذاب.

﴿٣٦﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● المنة التي على الوالد منة على الولد تستوجب الشكر. ● إطعام الفقير والحض عليه من أسباب الوقاية من عذاب النار.

● شدة عذاب يوم القيامة تستوجب التوقي منه بالإيمان والعمل الصالح.

عصاة أبدان أهل النار.

٣٧ لا يأكل ذلك الطعام إلا أصحاب الذنوب والمعاصي.

٣٨ أقسم الله بما تشاهدون.

٣٩ وأقسم بما لا تشاهدون.

٤٠ إن القرآن لكلام الله، يتلوه على الناس رسوله الكريم.

٤١ وليس بقول شاعر؛ لأنه ليس

على نظم الشعر، قليلاً ما يؤمنون.

٤٢ وليس بقول كاهن، فكلام

الكهان أمر مُغَايِر لهذا القرآن، قليلاً ما تتذكرون.

٤٣ ولكنه منزل من رب الخلائق

كلهم.

٤٤ ولو تقول علينا محمد بعض

الأقاويل التي لم نقلها.

٤٥ لانتمنا منه وأخذنا منه بالقوة

منا والقدرة.

٤٦ ثم لقطنا منه العرق المتصل

بالقلب.

٤٧ فليس منكم من يمننا منه،

فبعد أن يتقول علينا من أجلكم.

٤٨ وإن القرآن لموعظة للمتقين

لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

٤٩ وإنا لنعلم أن من بينكم من

يُكذِّب بهذا القرآن.

٥٠ وإن التكذيب بالقرآن لندامة

عظيمة يوم القيامة.

٥١ وإن القرآن لهو حق اليقين

الذي لا مزية ولا ريب أنه من عند الله.

٥٢ فنزهه - أيها الرسول - ربك عما

لا يليق به، واذكر اسم ربك العظيم.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا لِمَنْ غَسِيلِينَ ۝ ٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝ ٣٧ فَلَا أَقْسَمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ ٣٨ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ۝ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ٤٠
بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ۝ ٤١ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ ٤٢
تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۝ ٤٤
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ
مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝ ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٤٨ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ۝ ٤٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ ٥٠
وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝ ٥١ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ ٥٢

سورة المعارج ٧٠ آياتها ٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ ١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ ٢
مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ ٣ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ ٤ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ ٥
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ وَبَعِيدًا ۝ ٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝ ٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ ۝ ٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ ٩ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيرٌ حِمِيمًا ۝ ١٠

● من مقاصد السورة:

بيان حال وجزاء الخلق يوم القيامة.

● التفسير:

١) دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بعذاب إن كان هذا العذاب حاصلاً، وهو سخريه منه، وهو واقع يوم القيامة.

٢) للكافرين بالله، ليس لهذا العذاب من يرد. ٣) من الله ذي العلو والدرجات والفواضل والنعم. ٤) تصعد إليه الملائكة وجبريل في تلك الدرجات، في يوم القيامة؛ وهو يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة. ٥) فاصبر - أيها الرسول - صبراً لا جزع فيه ولا شكوى. ٦) إنهم يرون هذا العذاب بعيداً مستحيل الوقوع. ٧) ونراه نحن قريباً واقعاً لا محالة. ٨) يوم تكون السماء مثل المدّاب من النحاس والذهب وغيرهما. ٩) وتكون الجبال مثل الصوف في الخفة. ١٠) ولا يسأل قريب قريباً عن حاله؛ لأن كل واحد مشغول بنفسه.

● من فوائد الآيات:

● تنزيه القرآن عن الشعر والكهانة. ● خطر النقول على الله والافتراء عليه سبحانه. ● الصبر الجميل الذي يحتسب فيه الأجر من الله ولا يشكى لغيره.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِهِ ۖ
وَصَحْبَتُهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يَنْجِيهِ ۖ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ۖ نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ۖ تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ
وَتَوَلَّى ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ
عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الدِّينِ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا تُومِنُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنْ أَتَّبَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ
وَالَّذِينَ هُمْ لَا مُنْتَهَىٰ لَهُمْ وَعَهْدُهُمْ رُغُوعُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۖ
فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۖ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
عِزِينَ ۖ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۖ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۖ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۖ

٥٦٩

والذين هم من عذاب ربهم خائفون، مع ما قدموا من أعمالهم الصالحة. ١٢١ إن عذاب ربهم مخوف لا يأمنه عاقل. ١٢٢ والذين هم لفروجهم حافظون بسترها وإبعادها عن الفواحش. ١٢٣ إلا من زوجاتهم أو ما ملكوا من الإماء، فإنهم غير ملومين في التمتع بهن بالوطء فما دونه. ١٢٤ فمن طلب الاستمتاع بغير ما ذكر من الزوجات والإماء، فأولئك هم المتجاوزون لحدود الله. ١٢٥ والذين هم لما ائتمنوا عليه من الأموال والأسرار وغيرهما، ولعهودهم التي عاهدوا عليها الناس - حافظون، لا يخونون أماناتهم، ولا ينقضون عهودهم. ١٢٦ والذين هم قائمون بشهاداتهم على الوجه المطلوب، لا تؤثر قرابة ولا عداوة فيها. ١٢٧ والذين هم على صلاتهم يحافظون: بأدائها في وقتها، وبطهارة وطمأنينة، لا يشغلهم عنها شاغل. ١٢٨ أولئك الموصوفون بتلك الصفات في جنات مُكْرَمُونَ، بما يلقونه من النعيم المقيم، والنظر إلى وجه الله الكريم. ١٢٩ فما الذي جر هؤلاء المشركين من قومك - أيها الرسول - حَوْلِكَ مسرعين إلى التكذيب بك؟ ١٣٠ محيطون بك عن يمينك وشمالك جماعات جماعات. ١٣١ أيامل كل واحد منهم أن يدخله الله الجنة النعيم، يتنعم بما فيها من النعيم المقيم، وهو باق على كفره؟ ١٣٢ ليس الأمر كما تصوّروا، إنا خلقناهم مما يعرفونه، فقد خلقناهم من ماء حقير، فهم ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف يتكبرون؟ ١٣٣ أقسم الله تعالى بنفسه، وهو رب المشرق والمغرب للشمس والقمر وسائر الكواكب، إنا لقادرون.

١٢١ يشاهد كل إنسان قربه لا يخفى عليه، ومع ذلك لا يسأل أحد أحدا لهول الموقف، يودُّ من استحق النار أن يقدم أولاده للعذاب بدلا منه.

١٢٢ ويفتدي بزوجته وأخيه.

١٢٣ ويفتدي بعشيرته الأقربين منه، الذين يقفون معه في الشدائد.

١٢٤ ويفتدي بمن في الأرض جميعا من الإنس والجن وغيرهما، ثم يسلمه ذلك الافتداء، وينقذه من عذاب النار. ١٢٥ ليس الأمر كما تمثى هذا المجرم، إنها نار الآخرة تلتهب وتشتع.

١٢٦ تفصل جلدة الرأس فصلا شديدا من شدة حرها واشتعالها.

١٢٧ تنادي من أعرض عن الحق، وأبعد عنه ولم يؤمن به ولم يعمل.

١٢٨ وجمع المال، وضنَّ بالإنفاق منه في سبيل الله.

١٢٩ إن الإنسان خلق شديد الحرص. ١٣٠ إذا أصابه ضرر من مرض أو فقر كان قليل الصبر.

١٣١ وإذا أصابه ما يسرُّ به من خصب وغنى كان كثير المنع لبدله في سبيل الله.

١٣٢ إلا المصلين، فهم سالمون من تلك الصفات الذميمة.

١٣٣ الذين هم على صلاتهم مواظبون، لا ينشغلون عنها، ويؤدونها في وقتها المحدد لها.

١٣٤ والذين في أموالهم نصيب محدد مفروض.

١٣٥ يدفعونه للذي يسألهم وللذي لا يسألهم ممن حرم الرزق لأي سبب كان.

١٣٦ والذين يصدِّقون بيوم القيامة،

● شدة عذاب النار حيث يود أهل النار أن ينجوا منها بكل وسيلة مما كانوا يعرفونه من وسائل الدنيا. ● الصلاة من أعظم ما تكثر به السيئات في الدنيا، ويتوقى بها من نار الآخرة. ● الخوف من عذاب الله دافع للعمل الصالح.

﴿٤١﴾ على تبديلهم بغيرهم ممن يطيع الله، ونهلكهم، لا نعجز عن ذلك، ولسنا بمغلوبين متى أردنا إهلاكهم وتبديلهم بغيرهم.

﴿٤٢﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا ويلعبوا فيما هم فيه من الباطل والضلال، ويلعبوا في حياتهم الدنيا إلى أن يلاقوا يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في القرآن.

﴿٤٣﴾ يوم يخرجون من القبور سراعاً كأنهم إلى علم يتسابقون.

﴿٤٤﴾ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة، ذلك هو اليوم الذي كانوا يوعدون به في الدنيا، وكانوا لا يبالون به.

سُورَةُ نُوحٍ

— مكية —

● من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان منهج الدعوة للدعاة، من خلال قصة نوح.

● التفسير:

﴿١﴾ إنا بعثنا نوحاً إلى قومه يدعوهم ليخوف قومه من قبل أن يأتيهم عذاب موجع بسبب ما هم عليه من الشرك بالله.

﴿٢﴾ قال نوح لقومه: يا قوم، إني لكم مُنذِرٌ بئسَ الإنذار من عذاب ينتظركم إن لم تتوبوا إلى الله.

﴿٣﴾ ومقتضى إنذاري لكم أن أقول لكم: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه بامتنال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به.

﴿٤﴾ إنكم إن فعلوا ذلك يغفر الله لكم من ذنوبكم ما لا يتعلق بحقوق العباد، ويُطِلُّ أمد أمتكم في الحياة

إلى وقت محدد في علم الله، تعمرون الأرض ما استقمتم على ذلك، إن الموت إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى الإيمان بالله والتوبة مما أنتم عليه من الشرك والضلال.

﴿٥﴾ قال نوح: يا رب، إني دعوت قومي إلى عبادتك وتوحيديك، لئلاً ونهاراً باستمرار.

﴿٦﴾ فلم تزدني دعوتي لهم إلا نفوراً وبعداً مما أَدْعُوهم إليه.

﴿٧﴾ وإني كلما دعوتهم إلى ما فيه سبب غفران ذنوبهم: من عبادتك وحدي ومن طاعتك وطاعة رسولي - سَدُّوا أذانهم بأصابعهم؛ ليمنعوها من سماع دعوتي، وغطَّوا وجوههم بثيابهم حتى لا يروني، واستمروا على ما هم عليه من الشرك، وتكبروا عن قبول ما أَدْعُوهم إليه، والإذعان له.

﴿٨﴾ ثم إني - يا رب - دعوتهم علانية.

﴿٩﴾ ثم إني رفعت لهم صوتي بالدعوة، وأسرت أسراراً خفياً، ودعوتهم بصوت منخفض؛ منوَّعاً لهم أسلوب دعوتي.

﴿١٠﴾ فقلت لهم: يا قوم، اطلبوا المغفرة من ربكم بالتوبة إليه، إنه سبحانه كان غفراً لذنوب من تاب إليه من عباده.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● خطر الغفلة عن الآخرة.

● عبادة الله وتقواه سبب لغفران الذنوب.

● الاستمرار في الدعوة وتنويع أساليبها حق واجب على الدعاة.

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِغَهُمْ فِي إِذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ١٩ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ٢٠ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْهَتِكُمْ وَلَا تَذَرْنِ وِدَاوَلَا سُوعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٤ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُونَا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ٢٧ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ٢٨

١١ فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَطَرُ مُتَابِقًا كُلَّمَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ، فَلَا يَصِيْبُكُمْ قَحْطٌ.

١٢ وَيُعْطِيكُمْ بَكْرَةً أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَيَجْعَلُ لَكُمْ بَسَاتِينَ تَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهَا، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا تُشْرَبُونَ مِنْهَا وَتُسْقُونَ زُرُوعَكُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ.

١٣ مَا شَأْنُكُمْ - يَا قَوْمَ - لَا تَخَافُونَ عِظْمَةَ اللَّهِ حَيْثُ تَعَصُونَهُ دُونَ مِثَالِهِ؟ ١٤ وَقَدْ خَلَقَكُمْ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ مِنْ نُطْفَةٍ مُعَلَّقَةٍ فَمُضْغَةٍ.

١٥ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، سَمَاةٍ فَوْقَ سَمَاةٍ؟

١٦ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْهُمْ نُورًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَجَعَلَ الشَّمْسُ مُضِيئَةً.

١٧ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَخْلِقِ أَيْبِكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَتَغَدَّوْنَ بِمَا تُثْبِتُهُ لَكُمْ.

١٨ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا بَعْدَ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ لِلْبَعْثِ مِنْهَا إِخْرَاجًا.

١٩ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَبْسُوطَةً مَهَيَّاةً لِلشُّكْنِ.

٢٠ رَجَاءٌ أَنْ تَسْلُكُوا مِنْهَا طَرَفًا وَاسِعَةً سَعْيًا لِلْكَسْبِ الْحَلَالِ.

٢١ قَالَ نُوحٌ: يَا رَبِّ، إِنْ قَوْمِي عَصَوْنِي فِيمَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِكَ وَعِبَادَتِكَ وَحَدِّكَ، وَاتَّبَعَ السُّفْلَةُ مِنْهُمْ رُؤْسَاءَهُمُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا ضَلَالًا.

٢٢ وَمَكَرَ الْأَكْبَارُ مِنْهُمْ مَكْرًا عَظِيمًا بِتَحْرِيشِهِمْ أَسَافِلَهُمْ عَلَى نُوحٍ.

٢٣ وَقَالُوا لِاتِّبَاعِهِمْ: لَا تَتْرُكُوا عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ؛ وَلَا تَتْرُكُوا عِبَادَةَ أَصْنَامِكُمْ وَدَّ وَلَا سُوعَا وَلَا يَغُوثَ وَلَا يَعُوقَ وَلَا نَسْرَ.

٢٤ وَقَدْ أَضَلُّوا بِأَصْنَامِهِمْ هَذِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَزِدْ - يَا رَبِّ - الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا ضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ.

٢٥ سَبَبُ خَطِيئَتِهِمْ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا أُغْرِقُوا بِالطُّوفَانِ فِي الدُّنْيَا، فَأَدْخَلُوا النَّارَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ مُبَاشَرَةً، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا يَنْقُذُونَهُمْ مِنَ الْغَرَقِ وَالنَّارِ.

٢٦ وَقَالَ نُوحٌ لَمَّا أَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ: يَا رَبِّ، لَا تَتْرُكْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ أَحَدًا يَدُورُ أَوْ يَتَحَرَّكُ.

٢٧ إِنَّكَ - رَبَّنَا - إِنْ تَتْرَكُهُمْ وَتَمَهِّلَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا صَاحِبَ فُجُورٍ لَا يَطِيعُكَ، وَشَدِيدَ كُفْرٍ لَا يَشْكُرُكَ عَلَى نِعْمِكَ.

٢٨ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَاغْفِرْ لَوَالِدَيَّ، وَاغْفِرْ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا هَلَاكًا وَخَسْرَانًا.

● مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

● الاستغفار سبب لنزول المطر وكثرة الأموال والأولاد.

● دور الأكابر في إضلال الأصاغر ظاهر مُشَاهَدٌ.

● الذنوب سبب للهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ وَتَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا لَمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كِنَاطٍ رَّاقٍ قَدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ۝١٣

٥٧٢

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
إبطال دين المشركين، ببيان حال الجن وإيمانهم بعد سماع القرآن.

● التفسير:
١ قل - أيها الرسول - لأمتك: أوحى الله إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، للقرآن جماعة من الجن يبطن نخلة، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم: إِنَّا سَمِعْنَا كَلَامًا مَّقْرُوءًا مُّعْجَبًا فِي بَيَانِهِ وَفَصَاحَتِهِ.

٢ هذا الكلام الذي سمعناه يدلّ على الصواب في الاعتقاد والقول والعمل، فأما به، ولئن نشرك ربنا الذي أنزله أحدًا.

٣ وأما بأنه - تعالت عظمة ربنا وجلاله - ما اتخذ زوجة ولا ولدًا كما يقول المشركون.

٤ وأنه كان إبليس يقول على الله قولاً منحرفاً من نسبة الزوجة والولد إليه سبحانه.

٥ وأما حسبنا أن المشركين من الإنس والجن لا يقولون الكذب حين كانوا يزعمون أن له صاحبة وولداً، فصدّقنا قولهم تقليداً لهم.

٦ وأنه كان في الجاهلية رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن عندما ينزلون بمكان مخوف، فيقول أحدهم: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فازداد رجال الإنس خوفاً ورعباً من رجال الجن.

٧ وأن الإنس ظنّوا كما ظنّتم - أيها الجن - أن الله لن يبعث أحدًا بعد موته للحساب والجزاء.

٨ وأما طلبنا خبر السماء، فوجدنا السماء مِثْلَتْ حَرَسًا قَوِيًّا من الملائكة يحرسونها من استراق السمع الذي كنا نقوم به، ومِثْلَتْ نَارًا مشتعلة يُرمى بها كل من يقرب السماء.

٩ وأما كنا في السابق نتخذ من السماء مواقع نستمع منها ما يتداوله الملائكة، فنخبر به الكهنة من أهل الأرض، وقد تغير الأمر، فمن يستمع منا الآن يجد ناراً مشتعلة معدة له، فإذا اقترب أرسلت عليه فأحرقته.

١٠ وأما لا نعلم ما سبب هذه الحراسة الشديدة؛ أريد شرُّ بأهل الأرض، أم أن الله أراد بهم خيراً، فقد انقطع عنا خبر السماء.

١١ وأما - معشر الجن -: من المتقون الأبرار، ومنهم من هم كفار وفاسق؛ كنّا أصنافاً مختلفة وأهواء متباينة.

١٢ وأما أيقنا أننا لن نفوت الله سبحانه إذا أراد بنا أمراً، ولئن نفوته هرباً لإحاطته بنا.

١٣ وأما لما سمعنا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم أمّا به، فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصاً لحسناته، ولا إثماً يضاف إلى آثامه السابقة.

● من فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● تأثير القرآن البالغ فيمن يستمع إليه بقلب سليم. ● الاستغاثة بالجن من الشرك بالله، ومعاقبة فاعله بصد مقصوده في الدنيا.

● بطلان الكهانة ببعثة النبي ﷺ. ● من أدب المؤمن ألا يتسبب الشر إلى الله.

﴿١٤﴾ وَأَنَا مِنَ الْمَسْلُومِينَ الْمَقَادُونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَمِنَ الْجَائِرُونَ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَمَنْ خَضَعَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ قَصِدُوا الْهَدَايَةَ وَالصَّوَابَ.

﴿١٥﴾ وَأَمَّا الْجَائِرُونَ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ فَكَانُوا لِهَاجَتِهِمْ حَطْبًا تَوَقَّدَ بِهِ مَعَ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ. وَكَمَا أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفْسَ مِنَ الْجِنِّ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ، وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ، لَسَقَاهُمُ اللَّهُ مَاءً كَثِيرًا، وَأَمَدَّهُمْ بِنِعْمٍ مُتَوَعَّةٍ.

﴿١٦﴾ لِنُخَبِّرَهُمْ فِيهِ أَيشكرون نعمه الله أم يكفرونها؟ ومن يُعْرِضُ عَنْ الْقُرْآنِ، وَعَمَّا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ، يَدْخُلُهُ رَبُّهُ عَذَابًا شَدِيدًا لَا يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَهُ. وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهُ سَبْحَانَهُ لَا لغيره، فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ فِيهَا أَحَدًا، فَتَكُونُوا مِثْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي كُنَاسِهِمْ وَبَيْعِهِمْ.

﴿١٧﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِبَيْتِنِ نُحْلَةٍ، كَادَ الْجِنُّ يَكُونُونَ مُتْرَكِينَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الزَّحَامِ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ قِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ.

﴿٢٠﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَحْدَهُ، وَلَا أَشْرِكُ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

﴿٢١﴾ قُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ دَفْعَ ضَرِّ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا أَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ مِنْكُمْ مِنَ اللَّهِ إِيَّاهُ.

﴿٢٢﴾ قُلْ لَهُمْ: لَنْ يَنْجِيَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ إِلَّا بِعَصِيَّتِهِ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتُنَجِّيًا أَلْجَأَ إِلَيْهِ.

﴿٢٣﴾ لَكِنَّ الَّذِي أَمْلَكَهُ أَنْ أبلغكم مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْكُمْ، وَرِسَالَتِهِ الَّتِي بَعَثَنِي بِهَا إِلَيْكُمْ، وَمَنْ يَعِصُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ مَصِيرَهُ دُخُولَ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿٢٤﴾ وَلَا يَزَالُ الْكَفَّارُ عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى إِذَا عَاقَبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَانُوا يَوْعِدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، حِينَئِذٍ سَيَعْلَمُونَ مَنْ أضعف ناصِرًا، وَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَقْلُ أَعْوَانًا.

﴿٢٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: لَا أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تَوَعِدُونَ مِنَ الْعَذَابِ، أَمْ أَنْ لَهُ أَجَلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

﴿٢٦﴾ هُوَ سَبْحَانَهُ عَالَمُ الْغَيْبِ كُلِّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَا يُطْلَعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، بَلْ يَبْقَى مُخْتَصًّا بِعِلْمِهِ.

﴿٢٧﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَاهُ سَبْحَانَهُ مِنْ رَسُولٍ، فَإِنَّهُ يَطَّلِعُهُ عَلَى مَا شَاءَ، وَيُرْسِلُ مِنْ أَمَامِ الرَّسُولِ وَمَنْ خَلْفَهُ حَرَسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى لَا يَطَّلِعَ غَيْرُ الرَّسُولِ عَلَى ذَلِكَ.

﴿٢٨﴾ رَجَاءُ أَنْ يَعْلَمَ الرَّسُولُ أَنَّ الرِّسْلَ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا لَمَّا أَحَاطَهَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَنَاءِ، وَأَحَاطَ اللَّهُ بِمَا لَدَى الْمَلَائِكَةِ وَالرَّسْلِ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَأَحْصَى عِدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ شَيْءٌ.

﴿٢٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الْجَوْرُ سَبَبٌ فِي دُخُولِ النَّارِ.

• أَهْمِيَّةُ الْاسْتِقَامَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ.

• حُفْظُ الْوَحْيِ مِنْ عَيْثِ الشَّيَاطِينِ.

وَأَنَا مِنَ الْمَسْلُومِينَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطْبًا ﴿١٥﴾ وَالْوُاسِقُمْ أَعْلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لَنَقَاتُهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَالْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضعف ناصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

﴿٢٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الْجَوْرُ سَبَبٌ فِي دُخُولِ النَّارِ.

• أَهْمِيَّةُ الْاسْتِقَامَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ.

• حُفْظُ الْوَحْيِ مِنْ عَيْثِ الشَّيَاطِينِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ ١ قِرِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نَصَفَهُ وَأَوْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣
أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَقِلِ الْقُرْءَانُ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٧ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَأَصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٢
وَطَعَامًا ذَا عَصَبٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْشِبًا مِهِيلًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَغَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ ١٨ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
١٩ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ٢٠ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٢١

٥٧٤

واتركني وإياهم، وانتظرهم قليلاً حتى يأتيهم أجلهم.

١٢ إن لدينا في الآخرة قيوداً ثقيلة، وناراً مُسْتَعْرَةً.

١٣ وطعاماً تغص به الحلق لشدة مرارته، وعذاباً موجعاً؛ زيادة على ما سبق.

١٤ ذلك العذاب حاصل للمكذبين يوم تضطرب الأرض والجبال، وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثراً من شدة هوله.

١٥ أنا بعثنا إليك رسولاً شاهداً على أعمالكم يوم القيامة مثلما أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى عليه السلام.

١٦ غصى فرعون الرسول المرسل إليه من ربه فعاقبناه عقاباً شديداً في الدنيا بالفرق، وفي الآخرة بعذاب النار، فلا تعصوا أنتم رسولكم فيصيبكم ما أصابه.

١٧ فكيف تمنعون أنفسكم وتقولونها - إن كفرتم بالله، وكذبتم رسوله - يوماً شديداً طويلاً، يشيب رأس الأولاد الصغار من شدة هوله وطول هوله.

١٨ السماء مشققة من هوله، كان وعد الله مفعولاً لا محالة. ١٩ إن هذه الموعظة - المشتعلة على بيان ما في يوم القيامة من هول وشدة - تذكرة، ينتفع بها المؤمنون، فمن شاء اتخذ طريق موصول إلى ربه اتخذه.

٢٠ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● أهمية قيام الليل وتلاوة القرآن وذكر الله والصبر للداعية إلى الله. ● فراغ القلب في الليل له أثر في الحفظ والفهم.

● تحمّل التكليف يقتضي تربية صارمة. ● الترف والتوسع في التمتع يصد عن سبيل الله.

● من مقاصد السورة:

بيان الأسباب المعينة على القيام بأعباء الدعوة.

● التفسير:

١ يا أيها المُتَلَقِّفُ بثيابه (يعني: النبي ﷺ).

٢ صل بالليل إلا قليلاً منه.

٣ صل نصفه إن شئت، أو صل أقل من النصف قليلاً حتى تصل للثلاث.

٤ أو زد عليه حتى تبلغ الثلاثين، وبين القرآن إذا قرأته وتمهل في قراءته.

٥ إنا سنلقي عليك - أيها

الرسول - القرآن، وهو قول ثقيل؛ لما فيه من الفرائض والحدود والأحكام والآداب وغيرها.

٦ إن ساعات الليل هي أشد موافقة للقلب مع القراءة وأصوب قولاً.

٧ إن لك في النهار تصرفاً في أعمالك، فتشغل بها عن قراءة القرآن، فصل بالليل.

٨ واذكر الله بأنواع الذكر، وانقطع إليه سبحانه انقطاعاً بإخلاص العبادة له.

٩ رب المشرق ورب المغرب، لا معبود بحق إلا هو، فاتخذهُ وكيلاً تعتمد عليه في أمورك كلها.

١٠ واصبر على ما يقوله المكذبون من الاستهزاء والسب، واهجرهم هجراً لا أذية فيه.

١١ ولا تهتم بشأن المكذبين أصحاب التمتع بملذات الدنيا،

﴿١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَافَتُهُ
مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمًا أَن لَّنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ
وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَهَآخِرُونَ
يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

آياتها
٥٦ترتيبها
٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُفِرَ
فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَدَّوْدًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ
شُهودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَن أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ
كَانَ لَا يَتَنَبَّأُ عِندَآ ﴿١٦﴾ سَارُّهُفَةٍ وَصَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ وَفَّرَ وَقْدَرًا ﴿١٨﴾

٥٧٥

﴿٢٠﴾ إن ربك - أيها الرسول - يعلم أنك تصلي أقل من ثلثي الليل تارة، وتقوم نصفه تارة، وثلثه تارة، وتقوم طائفة من المؤمنين معك، والله يقدر الليل والنهار، ويحصى ساعاتهما، علم سبحانه أنكم لا تقدرون على إحصاء وضبط ساعاته، فيشق عليكم قيام أكثره تحريًا للمطلوب، فلذلك تاب عليكم، فصلوا من الليل ما تيسر، علم الله أن سيكون منكم - أيها المؤمنون - مرضى أجدهم المرض، وآخرون يسافرون يطلبون رزق الله، وآخرون يقاتلون الكفار ابتغاء مرضاة الله ولتكون كلمة الله هي العليا، فهؤلاء يشق عليهم قيام الليل، فصلوا ما تيسر لكم من الليل، وآتوا بالصلاة المفروضة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الله، وما تقدموا لأنفسكم من أي خير، تجدوه هو خيرًا وأعظم ثوابًا، واطلبوا المغفرة من الله، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

الأمر بالاجتهاد في دعوة المكذبين، وإنذارهم بالآخرة والقرآن.

• التفسير:

﴿١﴾ يا أيها الْمُتَعَسِّي بِبَابِهِ (وهو النبي ﷺ).

﴿٢﴾ انفض فحُوف من عذاب الله.

﴿٣﴾ وعظم ربك.

﴿٤﴾ وطهر نفسك من الذنوب

وثيابك من النجاسات.

﴿٥﴾ وابتعد عن عبادة الأوثان.

﴿٦﴾ ولا تمنن على ربك بأن تستكثر عملك الصالح.

﴿٧﴾ واصبر لله على ما تلاقيه من الأذى.

﴿٨﴾ فإذا نُفِخَ في القرن النفخة الثانية.

﴿٩﴾ فذلك اليوم يوم شديد.

﴿١٠﴾ على الكافرين بالله وبرسله غير سهل.

﴿١١﴾ اتركني - أيها الرسول - ومن خلقته وحيدًا في بطن أمه دون مال أو ولد (وهو الوليد بن المغيرة).

﴿١٢﴾ وجعلت له مالا كثيرا.

﴿١٣﴾ وجعلت له بنين حاضرين معه ويشهدون المحافل معه لا يفارقونه لسفر كثرة ماله.

﴿١٤﴾ وبسطت له في العيش والرزق والولد بسطا. ﴿١٥﴾ ثم يطمع مع كفره بي أن أزيد بعد ما أعطيته من ذلك كله. ﴿١٦﴾ ليس الأمر كما

تصور، إنه كان معانداً آياتنا المنزلة على رسولنا مكذبا بها. ﴿١٧﴾ سأكلفه مشقة من العذاب لا يستطيع تحملها. ﴿١٨﴾ إن هذا الكافر الذي أنعمت عليه بتلك النعم فكر فيما يقوله في القرآن لإبطاله، وقدّر ذلك في نفسه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وجوب الطهارة من الخبث الظاهر والباطن. • الإتيان على الفاجر استدراج له وليس إكرامًا.

﴿١٩﴾ فَلَعْنٌ وَعَذَابٌ كَيْفَ قَدَّرَ.
﴿٢٠﴾ ثُمَّ لَعْنٌ وَعَذَابٌ كَيْفَ قَدَّرَ.
﴿٢١﴾ ثُمَّ أَعَادَ النَّظَرَ وَالتَّرَوَّى فِيمَا يَقُولُ.

﴿٢٢﴾ ثُمَّ قَطَّبَ وَجْهَهُ وَكَلَجَ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَا يَطْعَنُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ.

﴿٢٣﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.

﴿٢٤﴾ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ كَلَامَ اللَّهِ، بَلْ هُوَ سِحْرٌ يَرْوِيهِ عَنْ غَيْرِهِ.

﴿٢٥﴾ لَيْسَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ، بَلْ هُوَ كَلَامُ الْإِنْسَانِ.

﴿٢٦﴾ سَادَخَلَ هَذَا الْكَافِرُ طَبَقَةً مِنْ طَبَقَاتِ النَّارِ، وَهِيَ سَقَرٌ يَقَاسِي حَرَّهَا.

﴿٢٧﴾ وَمَا أَعْلَمَكَ - يَا مُحَمَّدٌ - مَا سَقَرٌ؟

﴿٢٨﴾ لَا تَبْقَى شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِيهَا إِلَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَلَا تَتْرُكُهُ، ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ تَأْتِي عَلَيْهِ، وَهَكَذَا ذَوَائِكَ.

﴿٢٩﴾ شَدِيدَةُ الْإِحْرَاقِ وَالتَّغْيِيرِ لِلْجُلُودِ.

﴿٣٠﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ مَلَكًا، وَهُمْ خَزَنَتُهَا.

﴿٣١﴾ وَمَا جَعَلْنَا خَزَنَةَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، فَلَا طَاقَةَ لِلْبَشَرِ بِهِمْ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ هَذَا إِلَّا اخْتِبَارًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ: لِيَقُولُوا مَا قَالُوا فَيُضَاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَلِيَتَبَيَّنَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ أَعْطُوا التَّوْرَةَ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَعْطُوا الْإِنْجِيلَ حِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ مَصْدَقًا لِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَلِيَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ إِيْمَانًا عِنْدَمَا يَوَافِقُهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَلَا يَرْتَابَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُؤْمِنُونَ، وَلِيَقُولَ الْمُرْتَدُّونَ فِي الْإِيمَانِ، وَالْكَافِرُونَ: أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَهُ

يُجْهَضُهُمْ عَنْهَا، أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْقَمَرِ.

﴿٣٢﴾ وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ حِينَ وَلَّى. ﴿٣٣﴾ وَأَقْسَمَ بِالصُّبْحِ إِذَا أَضَاءَ. ﴿٣٤﴾ إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَإَحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ. ﴿٣٥﴾ تَرَهَّبُوا وَتَخَوَّفُوا لِلنَّاسِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. ﴿٣٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ أَعْمَالٍ مَأْخُودَةٌ، فَإِذَا أَنْ تَوْبَعَهَا أَعْمَالُهَا، وَإِذَا أَنْ تَخْلَصَهَا وَتَتَّقِهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٣٧﴾ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. ﴿٣٨﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَاتٍ يَسَّالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿٣٩﴾ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي. ﴿٤٠﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ؟ ﴿٤١﴾ فَيُجِيبُهُمُ الْكَافِرُ قَائِلِينَ: لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿٤٢﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ. ﴿٤٣﴾ وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ. ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ﴿٤٥﴾ وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٩﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٥٠﴾

﴿٥١﴾ إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَإَحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ. ﴿٥٢﴾ تَرَهَّبُوا وَتَخَوَّفُوا لِلنَّاسِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. ﴿٥٣﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ أَعْمَالٍ مَأْخُودَةٌ، فَإِذَا أَنْ تَوْبَعَهَا أَعْمَالُهَا، وَإِذَا أَنْ تَخْلَصَهَا وَتَتَّقِهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٥٤﴾ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. ﴿٥٥﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَاتٍ يَسَّالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿٥٦﴾ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي. ﴿٥٧﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ؟ ﴿٥٨﴾ فَيُجِيبُهُمُ الْكَافِرُ قَائِلِينَ: لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿٥٩﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ. ﴿٦٠﴾ وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ. ﴿٦١﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ﴿٦٢﴾ وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

﴿٦٣﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٦٤﴾

﴿٦٥﴾ إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَإَحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ. ﴿٦٦﴾ تَرَهَّبُوا وَتَخَوَّفُوا لِلنَّاسِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. ﴿٦٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ أَعْمَالٍ مَأْخُودَةٌ، فَإِذَا أَنْ تَوْبَعَهَا أَعْمَالُهَا، وَإِذَا أَنْ تَخْلَصَهَا وَتَتَّقِهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٦٨﴾ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. ﴿٦٩﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَاتٍ يَسَّالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿٧٠﴾ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي. ﴿٧١﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ؟ ﴿٧٢﴾ فَيُجِيبُهُمُ الْكَافِرُ قَائِلِينَ: لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿٧٣﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ. ﴿٧٤﴾ وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ. ﴿٧٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ﴿٧٦﴾ وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

﴿٧٧﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٧٨﴾

﴿٧٩﴾ إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَإَحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ. ﴿٨٠﴾ تَرَهَّبُوا وَتَخَوَّفُوا لِلنَّاسِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. ﴿٨١﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ أَعْمَالٍ مَأْخُودَةٌ، فَإِذَا أَنْ تَوْبَعَهَا أَعْمَالُهَا، وَإِذَا أَنْ تَخْلَصَهَا وَتَتَّقِهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٨٢﴾ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. ﴿٨٣﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَاتٍ يَسَّالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿٨٤﴾ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي. ﴿٨٥﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ؟ ﴿٨٦﴾ فَيُجِيبُهُمُ الْكَافِرُ قَائِلِينَ: لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿٨٧﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ. ﴿٨٨﴾ وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ. ﴿٨٩﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ﴿٩٠﴾ وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

﴿٩١﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٩٢﴾

﴿٩٣﴾ إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَإَحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ. ﴿٩٤﴾ تَرَهَّبُوا وَتَخَوَّفُوا لِلنَّاسِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. ﴿٩٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ أَعْمَالٍ مَأْخُودَةٌ، فَإِذَا أَنْ تَوْبَعَهَا أَعْمَالُهَا، وَإِذَا أَنْ تَخْلَصَهَا وَتَتَّقِهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٩٦﴾ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. ﴿٩٧﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَاتٍ يَسَّالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿٩٨﴾ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي. ﴿٩٩﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ؟ ﴿١٠٠﴾ فَيُجِيبُهُمُ الْكَافِرُ قَائِلِينَ: لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿١٠١﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ. ﴿١٠٢﴾ وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ. ﴿١٠٣﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ﴿١٠٤﴾ وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

﴿١٠٥﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿١٠٦﴾

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا دْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾

الله بهذا العدد الغريب؟ مثل إضلال مُنْكَر هذا العدد وهداية المُصَدِّق به، يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَضِلَّهُ وَيَهْدِي مَنْ شَاءَ أَنْ يَهْدِيَهُ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ سَبْحَانَهُ، فَلْيَعْلَمْ بِذَلِكَ أَبُو جَهْل الْقَائِلُ: (أَمَا لِمُحَمَّدٍ أَعْوَانُ إِلَّا تِسْعَةُ عَشَرَ؟) اسْتَخْفَافًا وَتَكْذِيبًا، وَمَا النَّارُ إِلَّا تَذَكُّرَةٌ لِلْبَشَرِ يَعْلَمُونَ بِهَا عَظَمَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ. ﴿٣٢﴾ لَيْسَ الْقَوْلُ كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ يَكْفِي أَصْحَابَهُ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ حَتَّى يُجْهَضَهُمْ عَنْهَا، أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْقَمَرِ.

﴿٣٣﴾ وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ حِينَ وَلَّى. ﴿٣٤﴾ وَأَقْسَمَ بِالصُّبْحِ إِذَا أَضَاءَ. ﴿٣٥﴾ إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَإَحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ. ﴿٣٦﴾ تَرَهَّبُوا وَتَخَوَّفُوا لِلنَّاسِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ أَعْمَالٍ مَأْخُودَةٌ، فَإِذَا أَنْ تَوْبَعَهَا أَعْمَالُهَا، وَإِذَا أَنْ تَخْلَصَهَا وَتَتَّقِهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٣٨﴾ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. ﴿٣٩﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَاتٍ يَسَّالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿٤٠﴾ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي. ﴿٤١﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ؟ ﴿٤٢﴾ فَيُجِيبُهُمُ الْكَافِرُ قَائِلِينَ: لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ. ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ. ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ﴿٤٦﴾ وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،
• خطورة الكبر حيث صرف الوليد بن المغيرة عن الإيمان بعدما تبين له الحق. • مسؤولية الإنسان عن أعماله في الدنيا والآخرة. • عدم إطفاء المحتاج سبب من أسباب دخول النار.

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَذَلِكَ حُمِرْ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مِّنْشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥

آياتها ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا مَّامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَقَرَّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا زَوْرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِيكَ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَفُرْقَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

٥٧٧

﴿٤٨﴾ فما تنفعهم يوم القيامة وساطة الشافعين من الملائكة والنبيين والصالحين؛ لأن من شرط قبول الشفاعة الرضا عن المشفوع له. ﴿٤٩﴾ أي شيء جعل هؤلاء المشركين معرضين عن القرآن؟ ﴿٥٠﴾ كأنهم في إعراضهم وتقورهم منه حُمِرْ وحش شديدة النفور. ﴿٥١﴾ نفرت من أسد خوفًا منه. ﴿٥٢﴾ بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن يصبح عند رأسه كتاب منشور يخبره أن محمدًا رسول من الله، وليس سبب ذلك قلة البراهين أو ضعف الحجج، وإنما هو العناد والاستكبار. ﴿٥٣﴾ ليس الأمر كذلك، بل السبب في تماديهم في ضلالهم أنهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، فيبقوا على كفرهم. ﴿٥٤﴾ ألا إن هذا القرآن موعظة وتذكير. ﴿٥٥﴾ فمن شاء أن يقرأ القرآن ويتعظ به قرأه واتعظ به. ﴿٥٦﴾ وما يتعظون إلا أن يشاء الله أن يتعظوا، هو سبحانه أهل لأن يُنْقَى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأهل لأن يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

— مَكِّيَّة —

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: إظهار قدرة الله على بعث الخلق وجمعهم يوم القيامة. ● التَّفْصِيلُ: ١) أقسم الله بيوم القيامة يقوم الناس لرب العالمين. ٢) وأقسم بالنفس الطيبة التي تلوم صاحبها على التقصير في الأعمال الصالحة، وعلى فعل السيئات، أقسم بهذين الأمرين ليعتق الناس للحساب والجزاء. ٣) أَيْطَلُ الإنسان أن لن نجعم عظامه بعد موته للبعث؟ ٤) بلى، نقدر مع جمعها على إعادة أطراف أصابعه خلقًا سويًا كما كانت. ٥) بل يريد الإنسان بإنكاره البعث أن يستمر على فجوره مستقبلًا دون رادع. ٦) يسأل على وجه الاستبعاد عن يوم القيامة: متى يقع؟ ٧) فإذا تحير البصر واندھش حين يرى ما كان يكذب به. ٨) وذهب ضوء القمر. ٩) وجمع جرم الشمس والقمر. ١٠) يقول الإنسان الفاجر في ذلك اليوم: أين الفرار؟ ١١) لا فرار في ذلك اليوم، ولا ملجأ يلجأ إليه الفاجر، ولا مَقْصَمٌ يعتصم به. ١٢) إلى ربك - أيها الرسول - في ذلك اليوم المرجع والمصير للحساب والجزاء. ١٣) يخبر الإنسان في ذلك اليوم بما قَدَّمَ من أعماله، وبما أَخَّرَ منها. ١٤) بل الإنسان شاهد على نفسه حيث تشهد عليه جوارحه بما اكتسبه من إثم. ١٥) ولو جاء بأعذار يجادل بها عن نفسه أنه ما عمل سوءًا لم تنفعه. ١٦) لا تحرك - أيها الرسول - لسانك بالقرآن مُتَعَجِّلًا أن ينفلت منك. ١٧) إن علينا أن نجعله لك في صدرك، وإثبات قراءته على لسانك. ١٨) فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فأنصت إلى قراءته واسمع. ١٩) ثم إن علينا تفسيره لك.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● مشيئة العبد مُقَيَّدَةٌ بمشيئة الله. ● حرص رسول الله ﷺ على حفظ ما يوحى إليه من القرآن، وتكفل الله له بجمعه في صدره وحفظه كاملاً فلا ينسى منه شيئاً.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَطْنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالتَّتِيتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَقَّقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِّنْهُ الذَّكَرَ الْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سورة الطه
على الترتيب

سورة الإنسان
ترتيلها ٧٦
آياتها ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

﴿٢٠﴾ كَلَّا، ليس الأمر كما ادعيتُم من استحالة البعث، فأنتم تعلمون أن القادر على خلقكم ابتداء لا يعجز عن إحيائكم بعد موتكم، لكن سبب تذكيركم بالبعث هو حِكْمُ الحياة الدنيا سريعة الانقضاء. ﴿٢١﴾ وتركم للحياة الآخرة التي طريقها القيام بما أمركم الله به من الطاعات، وترك ما نهاكم عنه من المحرمات.

﴿٢٢﴾ وجوه أهل الإيمان والسعادة في ذلك اليوم بهيئة لها نور. ﴿٢٣﴾ نازرة إلى ربها متمتعة بذلك. ﴿٢٤﴾ وجوه أهل الكفر والشقاء في ذلك اليوم عابسة. ﴿٢٥﴾ توفن أن ينزل بها عقاب عظيم، وعذاب أليم. ﴿٢٦﴾ ليس الأمر كما يتصور المشركون من أنهم إذا ماتوا لا يُعَدُّون، فإذا وصلت نفس أحدهم أعالي صدره. ﴿٢٧﴾ وقال بعض الناس لبعض: من يَرْقِي هذا لعله يُشْفَى؟

﴿٢٨﴾ وأيقن من في التَّرَع حينئذ أنه شراق الدنيا بالموت. ﴿٢٩﴾ واجتمعت الشدائد عند نهاية الدنيا وبداية الآخرة. ﴿٣٠﴾ إذا حصل ذلك يُساق الميت إلى ربه. ﴿٣١﴾ فلا صدق الكافر بما جاء به رسوله، ولا صلى الله سبحانه. ﴿٣٢﴾ ولكن كذب بما جاء به رسوله، وأعرض عنه. ﴿٣٣﴾ ثم ذهب هذا الكافر إلى أهله يختال في مشيته من الكبر. ﴿٣٤﴾ فتوعد الله الكافر بأن عذابه قد وليه وقرب منه.

﴿٣٥﴾ ثم أعاد الجملة على سبيل التأكيد، فقال: ﴿٣٦﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ. ﴿٣٧﴾ أيظن الإنسان أن الله تاركه مُهْمَلًا دون أن يكلفه بشرع؟ ألم يكن هذا الإنسان يومًا نُطْفَةً من مني يُضَبُّ في الرحم. ﴿٣٨﴾ ثم كان بعد ذلك قطعة من دم جامد، ثم خلقه

الله، وجعل خلقه سويًا. ﴿٣٩﴾ فجعل من جنسه النوعين: الذكر والأنثى؟ ﴿٤٠﴾ أليس الذي خلق الإنسان من نُطْفَةٍ فَعَلَّاهُ بقادر على إحياء الموتى للحساب والجزاء من جديد؟ بلى، إنه لقادر.

سورة الإنسان

مدنية

● من مقاصد السورة: تذكير الإنسان بأصل خلقه، ومصيره، وبيان ما أعد الله في الجنة لأوليائه.

● التفسير: ﴿١﴾ قد مرَّ على الإنسان دهر طويل كان فيه معدومًا لا دُكر له. ﴿٢﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ خَلِيطَةٍ بَيْنَ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، نختبره بما نُلْزِمُه به من التكليف، فجعلناه سميعًا بصيرًا ليقوم بما كُلِّفناه به من الشرع. ﴿٣﴾ إِنَّا بَيَّنَّا لَهُ عَلَى أَسْنَةِ رِسْلِنَا طَرِيقَ الْهُدَايَةِ، فاستبانَت له بذلك طريق الضلال، فهو بعد ذلك إما أن يهتدي للصرات المستقيم، فيكون عبدًا مؤمنًا شكورًا لله، وإما أن يضل عنها فيكون عبدًا كافرًا جحودًا لآيات الله. ولما بيَّن الله نوعي المهتدي والضالَّ بيَّن جزاءهما فقال: ﴿٤﴾ إِنَّا أَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ سَلَاسِلَ يُسْحَبُونَ بِهَا فِي النَّارِ، وَأَغْلَالًا يُعْلَقُونَ بِهَا فِيهَا، وَنَارًا مُسْتَعْرَةً. ﴿٥﴾ إِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ يُشْرَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَأْسٍ خَمْرٍ مَمْلُوءَةٍ مَمَزُوجَةٍ بِالْكَافُورِ لَطِيبِ رَاحَتِهِ.

● من فوائد الآيات: ● خطر حب الدنيا والإعراض عن الآخرة. ● ثبوت الاختيار للإنسان، وهذا من تكميم الله له. ● النظر لوجهه الكريم من أعظم النعيم.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ٦ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامًا عَلَى حُبِّهِمْ مَسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ١٠ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ١٣
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْفُفُهَا تَذَلِيلًا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ
مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ١٥ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ١٦
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
١٨ وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا
١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ٢٠ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ٢٢ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ٢٣ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ
مِنْهُمْ أَثِمًا أَوْ كَفُورًا ٢٤ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٥

٦ هذا الشراب المُعَدُّ لأهل الطاعة هو من عين سهلة التناول غزيرة لا تَنْصَبُ، يَرَوْنَ بها عباد الله، يسيلونها ويجرونها أين شاؤوا.

٧ وصفات العباد الذين يشرّبونها أنهم يوفون بما أُلْزِمُوا به أنفسهم من الطاعات، ويخافون يومًا كان شرُّه منتشرًا فاشيًا وهو يوم القيامة.

٨ ويطعمون الطعام مع كونهم في حال يحبونه لحاجتهم إليه واشتياؤهم له، يطعمونه المحتاجين من الفقراء واليتامى والأسارى.

٩ ويسرون في أنفسهم أنهم لا يطعمونهم إلا لوجه الله، فهم لا يريدون منهم ثوابًا، ولا ثناء على إطعامهم إياهم.

١٠ إنا نخاف من ربنا يومًا تَكْلَجُ فيه وجوه الأشقياء لشدّته وفضاعته. ١١ فوقاهم الله بفضله شرّ ذلك اليوم العظيم، وأعطاهم بهاءً ونورًا في وجوههم؛ إكرامًا لهم، وسرورًا في قلوبهم.

١٢ وأثابهم الله - بسبب صبرهم على الطاعات، وصبرهم على أقدار الله، وصبرهم عن المعاصي - جنة يتعمون فيها، وحريزًا يلبسونه.

١٣ متكئون فيها على الأسرة المُرْتِيَةِ، لا يرون في هذه الجنة شمسًا يؤذيهم شعاعها، ولا بردًا شديدًا، بل هم في ظل دائم لا حرّ معه ولا برد. ١٤ قريبة منهم ظلالها، وسُجِّرَتْ ثمارها لمن يتناولها، فيتناولها بيسر وسهولة، بحيث ينالها المضطجع والقاعد والقائم.

١٥ ويدور عليهم الخدم بآنية الفضة، ويكؤوسها الصافي لونها عند إرادتهم الشراب.

١٦ هي في صفاء لونها مثل الزجاج غير أنها من الفضة، وهي مقدرة وفق ما يريدون، لا تزيد عنه ولا تنقص.

١٧ وَيُسَمَّى هؤلاء المُكْرَمُونَ كَأْسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل.

١٨ يشربون من عين في الجنة تسمى سَلْسَبِيلًا. ١٩ ويدور عليهم في الجنة وِلْدَانٌ باقون على شبابهم، إذا رأيتهم ظننتهم لنضارة وجوههم وحسن ألوانهم وكثرتهم وتفرقهم لؤلؤًا مَنثورًا. ٢٠ وإذا رأيت ما هنالك في الجنة رأيت نعيمًا لا يمكن وصفه، ورأيت ملكًا عظيمًا لا يُدَانِيهِ ملك. ٢١ قد علت أبدانهم الثياب الخضراء الفاخرة وهي من الحرير الرقيق، وغلظ الديباج، وألْبَسُوا فيها أسورة من فضة، وسقاهاهم الله شرابًا خاليًا من أي منغص. ٢٢ ويقال لهم تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الذي أعطيتموه كان ثوابًا لكم على أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مقبولًا عند الله. ٢٣ إِنَّا نَحْنُ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ - أيها الرسول - القرآن مَفْرَقًا، ولم ننزله عليك جملة واحدة. ٢٤ فأصبر لما يحكم به الله قدرًا أو شرعًا، ولا تطع أثمًا فيما يدعوله من الإثم، ولا كافرًا فيما يدعوا إليه من الكفر. ٢٥ وأذكر ربك بصلاة الفجر أول النهار، وصلاة الظهر والعصر آخره.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الوفاء بالأنذار وإطعام المحتاج، والإخلاص في العمل، والخوف من الله: أسباب للنجاة من النار، ولدخول الجنة.
- إذا كان حال الغلمان الذين يخدمونهم في الجنة بهذا الجمال، فكيف بأهل الجنة أنفسهم؟!

﴿٦٦﴾ وَاذْكُرْهُ بِصَلَاتِي اللَّيْلِ: صَلَاةُ الْمَغْرَبِ وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَتَهَجَّدُ بِهِ بَعْدَهُمَا.

﴿٦٧﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَحْرُصُونَ عَلَيْهَا، وَيَتْرَكُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ ثَقِيلٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمَحَنِ.

﴿٦٨﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَقَوَّيْنَا خَلْقَهُمْ بِتَقْوِيَةِ مَفَاصِلِهِمْ وَأَعْضَائِهِمْ وَغَيْرِهَا. وَإِذَا شِئْنَا إِهْلَاكَهُمْ وَابْدَأَهُمْ بِأَمْثَالِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَبْدَلْنَاهُمْ.

﴿٦٩﴾ إِنْ هَذِهِ السُّورَةُ مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ طَرِيقَ تَوَصُّلِهِ إِلَى رِضَا رَبِّهِ اتَّخَذَهَا.

﴿٧٠﴾ وَمَا تَشَاوَرُونَ اتَّخَذَ طَرِيقَ إِلَى رِضَا اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَيْهِ، إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا بِمَا يَصْلَحُ لِعِبَادِهِ، وَبِمَا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ، حَكِيمًا فِي خَلْقِهِ وَقَدَرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٧١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي رَحْمَتِهِ، فَيُوفِّقُهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي عَذَابًا مُوجِعًا فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الوعيد للمكذِّبين بالويل يوم القيامة.

• التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالرياح المتتابعة مثل عُرف الفرس.

﴿٢﴾ وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب.

﴿٣﴾ وأقسم بالرياح التي تشر المطر.

﴿٤﴾ وأقسم بالملائكة التي تنزل بما يفرق بين الحق والباطل.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٦٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٦٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧١﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

آياتها ٥٠

تفسيرها ٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَةِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْقِطَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَنْبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

• وَأَقْسَمَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ.

• تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ إِعْذَارًا مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَإِنْذَارًا لِلنَّاسِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

• إِنْ الَّذِي تَوَعَدُونَ بِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ لَوَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ.

• فَإِذَا النُّجُومُ مُجِّي نُورِهَا وَذَهَبَ ضَوْوُهَا.

• وَإِذَا السَّمَاءُ سُفَّتْ لَتَنْزِلَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهَا.

• وَإِذَا الْجِبَالُ اقْتُلَمَتْ مِنْ مَكَانِهَا فَفُتَّتَتْ حَتَّى تَصِيرَ هِبَاءً.

• وَإِذَا الرُّسُلُ جُمِعَتْ لَوَقْتٍ مُحَدَّدٍ. ﴿١٢﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ أُجِّلَتْ لِلشَّهَادَةِ عَلَى أُمَّهَاتِهَا. ﴿١٣﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَتَبَيَّنُ الْمَحَقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ، وَالسَّعِيدُ مِنَ الشَّقِيِّ. ﴿١٤﴾ وَمَا أَعْلَمُكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مَا يَوْمُ الْفَصْلِ؟ ﴿١٥﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخَسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ﴿١٦﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ لِمَا كَفَرَتْ بِاللَّهِ وَكَذَّبَتْ رُسُلَهَا؟ ﴿١٧﴾ ثُمَّ نَنْبِعُهُمُ الْآخَرِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَتُهْلِكُهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَاهُمْ. ﴿١٨﴾ مِثْلَ الْإِهْلَاكِ تِلْكَ الْأُمَمِ نُهْلِكُ الْمَجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ. ﴿١٩﴾ هَلَاكٌ

وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذِّبين بوعيد الله بالعقاب للمجرمين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خطر التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة. • مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله. • إهلاك الأمم المكذبة سُنَّةُ إلهية.

﴿٢٠﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ ماءٍ حَقِيرٍ قَلِيلٍ وَهُوَ النُّطْفَةُ.

﴿٢١﴾ فجعلنا ذلك الماء المهيّن في مكان مَحْرُوزٍ وهو رحم المرأة.

﴿٢٢﴾ إِلَى مُدَّةٍ معلومة هي مُدَّة الحمل.

﴿٢٣﴾ فَقَدَرْنَا صفة المولود وَقَدَرَهُ ولونه وغير ذلك، فنعمم القادرون لذلك كله نحن.

﴿٢٤﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بقدره الله.

﴿٢٥﴾ أَلَمْ نجعل الأرض تضمّ الناس جميعاً.

﴿٢٦﴾ تضمّ أحياءهم بالسكن عليها وعمارتها، وأمواتهم بالدفن فيها.

﴿٢٧﴾ وجعلنا فيها جبالاً ثوابت، تمنعها من الاضطراب، عاليات، وأسقيناكم - أيُّها الناس - ماءً عذباً، فمن خلق ذلك ليس عاجزاً عن بعثكم.

﴿٢٨﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بنعم الله عليهم.

﴿٢٩﴾ ويقال للمكذّبين بما جاءت به رسلكم: سيروا - أيُّها المكذّبون - إلى

ما كنتم به تكذبون من العذاب.

﴿٣٠﴾ سيروا إلى ظل من دخان النار مفترق ثلاث فرق.

﴿٣١﴾ ليس فيه برد الظلال، ولا يمنع لهيب النار وحزها أن ينفذ إليكم.

﴿٣٢﴾ إن النار تقذف بشرارات، كل شرارة مثل القصر في عظمتها.

﴿٣٣﴾ كأن الشرارات التي تقذف بها في سوادها وضخامتها جمال سود.

﴿٣٤﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بعذاب الله.

﴿٣٥﴾ هذا يوم لا يتكلمون فيه بشيء.

﴿٣٦﴾ وَلَا يُؤْذَن لَهُمْ أَنْ يعتذروا إلى ربهم من كفرهم وسيئاتهم، فيعتذرون إليه.

﴿٣٧﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بأخبار هذا اليوم.

﴿٣٨﴾ هذا يوم الفصل بين الخلائق، جمعناكم والأمم السابقة في صعيد واحد.

﴿٣٩﴾ فَإِنْ كانت لكم حيلة تحتالون بها للنجاة من عذاب الله فاحتالوا عليّ.

﴿٤٠﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بيوم الفصل. ﴿٤١﴾ إن المتقين لربهم بامتنال أو امره واجتتاب نواهيهم، في ظلال

أشجار الجنة الوارفة، وعيون الماء العذبة الجارية. ﴿٤٢﴾ وفواكه مما يشتهون أكله. ﴿٤٣﴾ ويقال لهم: كلوا من الطيبات، واشربوا شرباً

هنيئاً لَا مُنْقَصٍ فيه؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحات. ﴿٤٤﴾ إنا مثل هذا الجزاء الذي جزيناكم به نجزي المحسنين لأعمالهم. ﴿٤٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بما أعد الله للمتقين. ﴿٤٦﴾ ويقال للمكذّبين: كلوا وتمتعوا بملذات

الحياة وقتاً قليلاً في الدنيا، إنكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسله مجرمون. ﴿٤٧﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بجرائهم يوم الدين. ﴿٤٨﴾ وإذا قيل لهؤلاء المكذّبين: صلّوا لله لا يصلّون له. ﴿٤٩﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله. ﴿٥٠﴾ فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المنزل من ربهم فبأي حديث غيره يؤمنون؟

﴿٥١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● رعاية الله للإنسان في بطن أمه. ● اتساع الأرض لمن عليها من الأحياء، ولمن فيها من الأموات. ● خطورة التكذيب بآيات الله والوعيد الشديد لمن فعل ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ^١ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ^٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ^٣
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ^٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ^٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ^٦
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ^٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ^٨ وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا ^٩
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ^{١٠} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ^{١١} وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ^{١٢} وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ^{١٣} وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ^{١٤} لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ^{١٥} وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ^{١٦} إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ^{١٧} يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ^{١٨} وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ^{١٩} وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ^{٢٠} إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ^{٢١} لِلطَّاغِينَ
مَكَابًا ^{٢٢} لِّلَّذِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ^{٢٣} لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
^{٢٤} إِلَّا أَحْمِيمًا وَغَسَّاقًا ^{٢٥} جَزَاءً وَفَاقًا ^{٢٦} إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ^{٢٧} وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ^{٢٨} وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ^{٢٩} فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ^{٣٠}

الجزء ٣٠
الآيات ٥٩

- من مقاصد السورة:
بيان أدلة القدرة على البعث والتخويف من العاقبة.
● التفسير:
١ عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بعدما بعث الله إليهم رسوله ﷺ ١٩
٢ يسأل بعضهم بعضًا عن الخبر العظيم، وهو هذا القرآن المنزل على رسولهم المتضمن لخبر البعث.
٣ هذا القرآن الذي اختلفوا فيما يصفونه به؛ من كونه سحرًا أو شعرًا أو كهانة أو أساطير الأولين.
٤ ليس الأمر كما زعموا، سيعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن عاقبة تكذيبهم السيئة.
٥ ثم سيتأكد لهم ذلك.
٦ ألم نصير الأرض مُمَهَّدَةً لهم صالحة لاستقرارهم عليها؟
٧ وجعلنا الجبال عليها بمنزلة أوتاد تمنعها من الاضطراب.
٨ وخلقناكم - أيها الناس - أصنافًا: منكم الذكور والإناث.
٩ وجعلنا نومكم انقطاعًا عن النشاط لتستريحوا.
١٠ وجعلنا الليل ساترًا لكم بظلمته مثل اللباس الذي تسترون به عوراتكم.
١١ وجعلنا النهار ميدانًا للكسب واليحث عن الرزق.
١٢ وبنيينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء محكمة الصنع.
١٣ وصيرنا الشمس مصباحًا شديد الاتقاد والإنارة.

١١ وأنزلنا من السحب التي حان لها أن تمطر ماء كثير الانصباب.

١٢ لنخرج به أصناف الحب، وأصناف النبات.

١٣ ونخرج به بساتين مُلَمَّعة من كثرة تداخل أغصان أشجارها. ولما ذكر الله هذه النعم الدالة على قدرته أتبعها بذكر البعث والقيامة؛ لأن القادر على خلق هذه النعم قادر على بعث الموتى وحسابهم، فقال: ^{١٧} إن يوم الفصل بين الخلائق كان موعدًا محددًا بوقت لا يتخلف. ^{١٨} يوم ينفخ الملك في القرن النفخة الثانية، فتأتون - أيها الناس - جماعات جماعات. ^{١٩} وفتحت السماء فصار لها فتوح وشقوق مثل الأبواب المفتحة. ^{٢٠} وجعلت الجبال تسير حتى تتحول هباءً منثورًا، فتصير مثل السراب. ^{٢١} إن جهنم كانت راصدة مُرْتَبِية. ^{٢٢} للظالمين مرجعًا يرجعون إليه. ^{٢٣} ماكثين فيها أزمنة ودهورًا لا نهاية لها. ^{٢٤} لا يذوقون فيها هواء باردًا يبرد حر السعير عنهم، ولا يذوقون فيها شرابًا يُلَذِّذُ به. ^{٢٥} لا يذوقون إلا ماء شديد الحرارة، وما يسيل من صديد أهل النار. ^{٢٦} جزاءً موافقًا لما كانوا عليه من الكفر والضلال. ^{٢٧} إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فلو كانوا يخافون البعث لآمنوا بالله، وعملوا صالحًا. ^{٢٨} وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا تكذيبًا. ^{٢٩} وكل شيء من أعمالهم ضبطناه وعددناه، وهو مكتوب في صحائف أعمالهم. ^{٣٠} فذوقوا - أيها الطغاة - هذا العذاب الدائم، فلن نزيدكم إلا عذابًا على عذابكم.

● من قواعد الآيات:

● إحكام الله للخلق دلالة على قدرته على إعادته. ● الطفيان سبب دخول النار. ● مضاعفة العذاب على الكفار.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَاقٍ وَاعْتَبَاءً ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ٣٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ٣٥ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ
حِسَابًا ٣٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
مِنَهُ خِطَابًا ٣٧ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَن أَمَرَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعًا ٣٩ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ
الْمُرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ٤٠

سورة النبأ

آياتها ٤٦

ترتيبها ٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ٣
فَالسَّيِّغَاتِ سَبْقًا ٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ٦
تَتَّبِعُهَا الرَّاكِدَةُ ٧ قُلُوبٌ يُومِذِرُ وَاجِفَةٌ ٨ أَبْصَرُهَا خَشَعَةٌ ٩
يَقُولُونَ أَيْنَ نَالِمُردُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ١٠ أَيْنَ ذَاكُنَا عِظْمَانِخْرَةٍ ١١ قَالُوا
تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢ فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣ فَذَاهُمْ بِالسَّاهِرَةِ
١٤ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٦

٥٨٣

٣١ إن للمتقين ربهم بامتثال أوامره واجتباب نواهيهِ، مكان فوز يفوزون فيه بمطلوبهم وهو الجنة.

٣٢ بساتين وأعتابًا.

٣٣ وناهدات مستويات السن.

٣٤ وكأس خمر ملأى.

٣٥ لا يسمعون في الجنة كلامًا باطلاً، ولا يسمعون كذبًا، ولا يكذب بعضهم بعضًا.

٣٦ كل ذلك مما منحهم الله مئة وعطاء منه كافيًا.

٣٧ رب السماوات والأرض ورب ما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملك جميع من في الأرض أو السماء أن يسألوه إلا إذا أذن لهم.

٣٨ يوم يقوم جبريل والملائكة مُصْطَفَيْنَ، لا يتكلمون بشفاعة لأحد إلا من أذن له الرحمن أن يشفع، وقال سداً كلمة التوحيد.

٣٩ ذلك الموصوف لكم هو اليوم الذي لا ريب أنه واقع، فمن شاء النجاة فيه من عذاب الله فليخذ سبيلاً إلى ذلك من الأعمال الصالحة التي ترضي ربه.

٤٠ إنا حذرناكم - أيها الناس - عذاباً قريباً يحصل، يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنياً الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت تراباً مثل الحيوانات عندما يقال لها يوم القيامة: كوني تراباً.

سورة النبأ

— مكية —

● من مقاصد الشورى:

التذكير بالله واليوم الآخر.

● التفسير:

١ أقسم الله بالملائكة التي تجذب أرواح الكفار بشدة وعنف. ٢ وأقسم بالملائكة التي تستل أرواح المؤمنين بسهولة ويسر.

٣ وأقسم بالملائكة التي تسبح من السماء إلى الأرض بأمر الله. ٤ وأقسم بالملائكة التي تسبق بعضها في أداء أمر الله.

٥ وأقسم بالملائكة التي تنفذ ما أمرهم الله به من قضائه مثل الملائكة الموكلين بأعمال العباد: أقسم بذلك كله ليعتقهم للحساب والجزاء. ٦ يوم تهتز الأرض عند النفخة الأولى. ٧ تتبع هذه النفخة نفخة ثانية. ٨ قلوب الكافرين والفساقين في ذلك اليوم خائفة. ٩ يظهر على أبصارها أثر الذلة. ١٠ وكانوا يقولون: هل نرجع إلى الحياة بعد أن متنا؟ ١١ إذا كنا عظاماً بالية فارغة نرجع بعد ذلك؟ ١٢ قالوا: إذا رجعنا نكون تلك الرجعة خاسرة، مغبوناً صاحبها.

١٣ أمر البعث يسير، فإنما هي صيحة واحدة من الملك الموكل بالنفخ. ١٤ فإذا الجميع أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتاً في بطنها. ١٥ هل جاءك - أيها الرسول - خبر موسى مع ربه ومع عوده فرعون؟ ١٦ حين ناداه ربه سبحانه بوادي طوى المطهر.

● من فوائد الآيات:

● التقوى سبب دخول الجنة. ● تذكر أهوال القيامة دافع للعمل الصالح. ● قبض روح الكافر بشدة وعنف، وقبض روح المؤمن برفق ولين.

(١٧) قال له فيما قال: سر إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في الظلم والاستكبار.

(١٨) فقل له: هل لك - يا فرعون - أن تتطهر من الكفر والمعاصي؟

(١٩) وأرشدك إلى ربك الذي خلقك وركاك فتخشاه، فتعمل بما يرضيه، وتتجنب ما يسخطه؟

(٢٠) فأظهر له موسى ﷺ العلامة العظمى الدالة على أنه رسول من ربه، وهي اليد والعصا.

(٢١) فما كان من فرعون إلا أنه كذب بهذه العلامة، وعصى ما أمره به موسى ﷺ.

(٢٢) ثم أعرض عن الإيمان بما جاء به موسى ﷺ مجتهداً في معصية الله ومعارضة الحق.

(٢٣) فجمع قومه وأتباعه لمغالبة موسى ﷺ، فتنادى قائلاً:

(٢٤) أنا ربكم الأعلى، فلا طاعة لغيري عليكم.

(٢٥) فأخذ الله فعاقبه في الدنيا بالفرق في البحر، وعاقبه في الآخرة بإدخاله في أشد العذاب.

(٢٦) إن فيما عاقبنا به فرعون في الدنيا والآخرة لموعظة لمن يخشى الله: فهو الذي ينتفع بالمواعظ.

(٢٧) أيجادكم على الله - أيها المكذبون بالبعث - أصعب، أم إيجاد السماء التي بناها؟

(٢٨) جعل سمّتها في جهة العلوّ رفيعاً، فجعلها مستوية، لا فطور فيها ولا شقوق ولا عيب.

(٢٩) وأظلم ليها إذا غربت شمسها، وأظهر نورها إذا أشرقت.

(٣٠) والأرض بعد أن خلق السماء

أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٨﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٩﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٢١﴾ فَخَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٢﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٣﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ﴿٢٥﴾ أَن تَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا ۖ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٦﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٧﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٨﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٢٩﴾ مَتَعَالَىٰ كُفُّهُ ﴿٣٠﴾ فَلَا تَعْلَمُكُمْ ﴿٣١﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٣﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴿٣٤﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٥﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴿٣٦﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٠﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٣﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُورُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٤﴾

سورة التارغوت

آياتها ٤٤

رُتِبَتْهَا ٨٠

٥٨٤

بسطها، وأودع فيها منافعها.

(٣١) أخرج منها ماءها عيوناً تجري، وأنبث فيها من النبات ما ترعاه الدواب.

(٣٢) والجبال جعلها ثابتة على الأرض. (٣٣) كل ذلك منافع لكم - أيها الناس - ولأنعامكم، فالذي خلق هذا كله لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد. (٣٤) فإذا جاءت النفخة النازية التي تغمر كل شيء بهولها، وقامت القيامة. (٣٥) يوم تجيء يتذكر الإنسان ما قدم من عمل، خيراً كان أو شراً. (٣٦) وجيء بهنهم وأظهرت عياناً لمن يبصرها. (٣٧) فأما من تجاوز الحد في الضلال. (٣٨) وفضل الحياة الدنيا الفانية على الحياة الأخرى الباقية. (٣٩) فإن النار هي مستقره الذي يأوي إليه. (٤٠) وأما من خاف قيامه بين يدي ربه، وكف نفسه عن اتباع ما تنهوا مما حرمه الله، فإن الجنة هي مستقره الذي يأوي إليه. (٤١) يسألك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون بالبعث: متى تقع الساعة؟ (٤٢) ليس لك علم بها حتى تذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك، إنما شأنك الاستعداد لها. (٤٣) إلى ربك وحده منتهى علم الساعة. (٤٤) إنما أنت منذر من يخشى الساعة: لأنه الذي ينتفع بإنذارك. (٤٥) كأنهم يوم يرون الساعة مشاهدة، لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلا عشيّة يوم واحد أو بكرته.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وجوب الرفق عند خطاب المدعو. • الخوف من الله وكف النفس عن الهوى من أسباب دخول الجنة. • علم الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. • بيان الله لتفاصيل خلق السماء والأرض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء
٥٨

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣
أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤ أَأَمَّا مِنِ اسْتَغْنَى ۝٥ فَأَنْتَ لَهُ وَصْدَى ۝٦
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرْهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦
قِيلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُهُ ۝١٧ مِّنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِّن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُ ۝١٩ فَقَدَرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ۝٢١ ثُمَّ أَمَاتَهُ ۝٢٢ فَأَقْبَرَهُ ۝٢٣ ثُمَّ إِذَا
شَاءَ أَنشَرَهُ ۝٢٤ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۝٢٥ فَلِيَنْظُرَ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ۝٢٦
إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٧ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٨ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا ۝٢٩ وَعَنَبْنَا وَقَصَبًا ۝٣٠ وَزَيَّنَّاهَا وَمَخَلَّا ۝٣١ وَحَدَّائِقُ غُلَبًا ۝٣٢ وَفَكَهَنَةً
وَأَنْبَا ۝٣٣ مَتَّعَالِكُمْ وَلَا نِعَمَكُمُ ۝٣٤ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ۝٣٥ يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٦ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۝٣٧ وَصَحْبَتُهُ وَبَنِيهِ ۝٣٨ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٩ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٤٠
ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٤١ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٢

٥٨٥

١٦ كرام عند ربهم، كثري فعل الخير والطاعات. ١٧ لعن الإنسان الكافر، ما أشد كفره بالله! ١٨ من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفره؟ ١٩ من ماء قليل خلقه، فقدر خلقه طورًا بعد طور. ٢٠ ثم يسر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه. ٢١ ثم بعد ما قدر له من عمر في الحياة أماته، وجعل له قبرًا يبقى فيه إلى أن يبعث. ٢٢ ثم إذا شاء بعثه للحساب والجزاء. ٢٣ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض. ٢٤ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل! ٢٥ فأصله من المطر النازل من السماء بقوة وغزارة. ٢٦ ثم فتقنا الأرض فأنشقت عن النبات. ٢٧ فأنبتنا فيها الحبوب من قمح وذرّة وغيرهما. ٢٨ وأنبتنا فيها عنبًا وقنًا رطبًا؛ ليكون علفًا لدوابهم. ٢٩ وأنبتنا فيها زيتونًا ونخلًا. ٣٠ وأنبتنا فيها بساتين كثيرة الأشجار. ٣١ وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم. ٣٢ لانتفاعكم، وانتفاع بهائمكم. ٣٣ فإذا جاءت الصيحة العظيمة التي تصخ الأذان وهي النفخة الثانية. ٣٤ يوم يهرب المرء من أخيه. ٣٥ ويفر من أمه وأبيه. ٣٦ ويفر من زوجته وأولاده. ٣٧ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم. ٣٨ وجوه السعداء في ذلك اليوم مضيئة. ٣٩ ضاحكة فرحة بما أعد الله لها من رحمته. ٤٠ وجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • عتاب الله نبيه في شأن عبد الله بن أم مكتوم دل على أن القرآن من عند الله. • الاهتمام بطالب العلم والمُستَرشد. • شدة أهوال يوم القيامة حيث لا ينشغل المرء إلا بنفسه، حتى الأنبياء يقولون: نفسي نفسي.

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تذكير الكافرين المستغنيين عن ربهم ببراهين البعث.

• التَّشْيِيرُ:

١ قَطَبَ رسول الله ﷺ وجهه وأعرض.

٢ لأجل مجيء عبد الله بن أم مكتوم بسترشده، وكان أعمى، جاء والرسول ﷺ منشغل بأكابر المشركين أملًا في هدايتهم.

٣ وما يَعْلَمُكَ - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه؟ أو يتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فينتفع بها.

٤ أما من استغنى بنفسه بما لديه من المال عن الإيمان بما جئت به.

٥ فأنت تتعرض له، وتقبل إليه.

٦ وأي شيء يلحقك إذا لم يتطهر من ذنوبه بالتوبة إلى الله.

٧ وأما من جاءك يسعى بحثًا عن الخير.

٨ وهو يخشى ربه.

٩ فأنت تتشاغل عنه بغيره من أكابر المشركين.

١٠ ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكير لمن يقبل.

١١ فمن شاء أن يذكر الله ذكره، واتعظ بما في هذا القرآن.

١٢ فهذا القرآن في صحف شريفة عند الملائكة.

١٣ مرفوعة في مكان عال، مطهرة لا يصيبها دَس ولا رَجَس.

١٤ وهي بأيدي رسل من الملائكة.

١٥ كرام عند ربهم، كثري فعل الخير والطاعات.

١٦ لعن الإنسان الكافر، ما أشد كفره بالله! ١٧ من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفره؟ ١٨ من ماء قليل خلقه، فقدر خلقه طورًا بعد طور.

١٩ ثم بعد ما قدر له من عمر في الحياة أماته، وجعل له قبرًا يبقى فيه إلى أن يبعث. ٢٠ ثم إذا شاء بعثه للحساب والجزاء.

٢١ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض. ٢٢ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل! ٢٣ فأصله من المطر النازل من السماء بقوة وغزارة. ٢٤ ثم فتقنا الأرض فأنشقت عن النبات. ٢٥ فأنبتنا فيها الحبوب من قمح وذرّة وغيرهما. ٢٦ وأنبتنا فيها عنبًا وقنًا رطبًا؛ ليكون علفًا لدوابهم. ٢٧ وأنبتنا فيها زيتونًا ونخلًا. ٢٨ وأنبتنا فيها بساتين كثيرة الأشجار. ٢٩ وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم. ٣٠ لانتفاعكم، وانتفاع بهائمكم. ٣١ فإذا جاءت الصيحة العظيمة التي تصخ الأذان وهي النفخة الثانية. ٣٢ يوم يهرب المرء من أخيه. ٣٣ ويفر من أمه وأبيه. ٣٤ ويفر من زوجته وأولاده. ٣٥ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم. ٣٦ وجوه السعداء في ذلك اليوم مضيئة. ٣٧ ضاحكة فرحة بما أعد الله لها من رحمته. ٣٨ وجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • عتاب الله نبيه في شأن عبد الله بن أم مكتوم دل على أن القرآن من عند الله. • الاهتمام بطالب العلم والمُستَرشد. • شدة أهوال يوم القيامة حيث لا ينشغل المرء إلا بنفسه، حتى الأنبياء يقولون: نفسي نفسي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَآخَرَتْ ⑤ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كَرَامًا
كَتَبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ⑮ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ⑯
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ⑰ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
⑱ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ⑲ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ⑳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ②
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْزَنُوهُمْ خِيسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④

٥٨٧

بل هم خالدون فيها. ⑦ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الدين؟ ⑧ ثم ما أعلمك ما يوم الدين؟ ⑨ يوم لا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، يتصرف بما يشاء، لا لأحد غيره.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

— مَكِّيَّةٌ —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحذير المكذبين الظالمين من يوم القيامة وبشارة المؤمنين به.

• التفسير:

① هلاك وخسار للمطففين. ② وهم الذين إذا أكلوا من غيرهم يستوفون حقهم كاملاً دون نقص. ③ وإذا كالوا للناس أوزنوا لهم بنقصون الكيل والميزان؛ وكان ذلك حال أهل المدينة عند هجرة النبي ﷺ إليهم. ④ ألا يتيقن هؤلاء الذين يفعلون هذا المنكر أنهم مبعوثون إلى الله؟

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• التحذير من الغرور المانع من اتباع الحق. • الجشع من الأخلاق الذميمة في التجار ولا يسلم منه إلا من يخاف الله. • تذكر هول القيامة من أعظم الروادع عن المعصية.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ٨ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٩
وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١١ وَمَا يَكْذِبُ
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذِ اتَّخَذَ عَلَيْهِ إِيتِنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
١٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ ١٧ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ١٨
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢١
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ٢٥ خِتْمُهُ
مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ٢٦ وَمَرَجُهُ مِنْ
تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ٣٣

سورة المطففين
على النعم

الطاعة لفي عليين.

١٩ وما أعلمك - أيها الرسول - ما عليون؟

٢٠ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص.

٢١ يحضر هذا الكتاب مقربو كل سماء من الملائكة.

٢٢ إن المكثرين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.

٢٣ على الأسرة المزيّنة ينظرون إلى ربهم، وإلى كل ما يبهج نفوسهم ويسرهم. ٢٤ إذا رأيتهم رأيت في وجوههم أثر التمتع حسناً

وبهاء. ٢٥ يسقيهم خدمهم من خمر مختوم على أنائها. ٢٦ تقوح رائحة المسك منه إلى نهايته، وفي هذا الجزاء الكريم يجب أن

يتسابق المتسابقون، بالعمل بما يرضي الله، وترك ما يسخطه. ٢٧ يخلط هذا الشراب المختوم من عين تسنيم. ٢٨ وهي عين

في أعلى الجنة يشرب منها المقربون صافية خالصة، ويشرب سائر المؤمنين منها، مخلوطة بغيرها. ٢٩ إن الذين أجروا بما

كانوا عليه من الكفر كانوا من الذين آمنوا يضحكون استهزاء بهم. ٣٠ وإذا مرّوا بالمؤمنين غمز بعضهم لبعض سخرياً وتندراً.

٣١ وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين. ٣٢ وإذا شاهدوا المسلمين قالوا: إن

هؤلاء لضالون عن طريق الحق، حيث تركوا دين آبائهم. ٣٣ وما وكلهم الله على حفظ أعمالهم حتى يقولوا قولهم هذا.

من نوادر الآيات.

● خطر الذنوب على القلوب. ● حرمان الكفار من رؤية ربهم يوم القيامة. ● السخريّة من أهل الدين صفة من صفات الكفار.

٦ للحساب والجزاء في يوم
عظيم لما فيه من المحن والأهوال.
٦ يوم يقوم الناس لرب الخلائق
كلها؛ للحساب.

٧ ليس الأمر كما تصوّرت من
أنه لا بقّث بعد الموت، إن كتاب أهل
الفجور من الكفار والمنافقين لفي
خسار في الأرض السفلى.

٨ وما أعلمك - أيها الرسول - ما
سجّين؟

٩ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا
يُزاد فيه ولا يُنقص.

١٠ هلاك وخسار في ذلك اليوم
للمكذّبين.

١١ الذين يكذبون بيوم الجزاء
الذي يجازي فيه الله عباده على
أعمالهم في الدنيا.

١٢ وما يكذب بذلك اليوم إلا كل
متجاوز لحدود الله، كثير الآثام.

١٣ إذا تُقرأ عليه آياتنا المنزلّة
على رسولنا قال: هي أقاصيص الأمم
الأولى، وليست من عند الله.

١٤ ليس الأمر كما تصور هؤلاء
المكذبون، بل غلب على عقولهم
وغطاها ما كانوا يكسبون من
المعاصي، فلم يبصروا الحق بقلوبهم.
١٥ حقاً إنهم عن رؤية ربهم يوم
القيامة لمتنوعون.

١٦ ثم إنهم لداخلو النار، يعانون
حرّها.

١٧ ثم يقال لهم يوم القيامة تقرّبوا
لهم: هذا العذاب الذي لقيتموه هو ما
كنتم تكذبون به في الدنيا عندما
يخبركم به رسولكم.

١٨ ليس الأمر كما تصوّرت من أنه
لا حساب ولا جزاء، إن كتاب أصحاب

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَى
الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾

آياتها
٢٥

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

تربيتها
٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا
الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَا لَكَ بِهِ أُوْتَى ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ وَبِيمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَنْقَلِبُ
إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِالسَّفْقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

سجدة

٥٨٩

﴿٢٤﴾ فيوم القيامة الذين آمنوا بالله
يضحكون من الكفار كما كان الكفار
يضحكون منهم في الدنيا.
﴿٢٥﴾ على الأسرة المزيمة ينظرون
إلى ما أعد الله لهم من النعيم الدائم.
﴿٢٦﴾ لقد جُوزي الكفار على أعمالهم
التي عملوها في الدنيا بالعذاب
المُهيِّن.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تذكير الإنسان برجوعه لربه، وبيان
ضعفه، وتقلب الأحوال به.

• التَّشْيِيرُ:

﴿١﴾ إذا السماء تَصَدَّعَتْ لنزول
الملائكة منها.

﴿٢﴾ واستمعت لربها منقاداً، وحُقَّ
لها ذلك.

﴿٣﴾ وإذا الأرض مَدَّها الله كما يمدُّ
القديم.

﴿٤﴾ وألقت ما فيها من الكنوز والأموات،
وتخلَّت عنهم.

﴿٥﴾ واستمعت لربها منقاداً، وحُقَّ
لها ذلك.

﴿٦﴾ يا أيها الإنسان، إنك عامل إما
خيرًا وإما شرًّا، فملاقيه يوم القيامة؛
ليجازيك الله عليه.

ولما ذكر عمل الإنسان مجملًا
فُصِّل حال العاملين يوم القيامة،
فقال:

﴿٧﴾ فأما مَنْ أُعْطِيَ صحيفة أعماله
بيده اليمنى.

﴿٨﴾ فسوف يحاسبه الله حسابًا سهلًا
يعرض عليه عمله دون مؤاخذه به.

﴿٩﴾ ويرجع إلى أهله مسرورًا.

﴿١٠﴾ وأما مَنْ أُعْطِيَ كتابه بشماله من وراء ظهره.

﴿١١﴾ فسينادي بالهلاك على نفسه.

﴿١٢﴾ ويدخل نار جهنم يقاسي حرَّها.

﴿١٣﴾ إنه كان في الدنيا في أهله فرحًا بما هو عليه من الكفر والمعاصي. ﴿١٤﴾ إنه ظنَّ أنه لن يرجع إلى الحياة بعد موته. ﴿١٥﴾ بلى،
ليرجعه الله إلى الحياة كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيرًا لا يخفى عليه منه شيء، وسيجزيه على عمله. ﴿١٦﴾ أقسم الله
بالجمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس. ﴿١٧﴾ وأقسم بالليل وما جُمع فيه. ﴿١٨﴾ والقمر إذا اجتمع وتمَّ وصار بدرًا.

﴿١٩﴾ لتركب - أيها الناس - حالًا بعد حال من نطفة فعلقة فمُضغة، فحياة فموت فبعث. ﴿٢٠﴾ فما لهؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله،
واليوم الآخر؟ ﴿٢١﴾ وإذا قُرئ عليهم القرآن لا يسجدون لربهم؟ ﴿٢٢﴾ بل الذين كفروا يكذبون بما جاءهم به رسولهم. ﴿٢٣﴾ والله
أعلم بما تحويه صدورهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء. ﴿٢٤﴾ فأخبرهم - أيها الرسول - بما ينتظرهم من عذاب موع.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خضوع السماء والأرض لربهما. • كل إنسان ساعٍ إما لخير وإما لشر. • علامة السعادة يوم القيامة أخذ الكتاب باليمين،
وعلامة الشقاء أخذه بالشمال.

﴿٥٥﴾ إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم ثواب غير مقطوع؛ وهو الجنة.

سورة البروج مكية

رُتِبَها
٨٥

سورة البروج

آياتها
٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَرِئٌ نَجِيمٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

٥٩٠

والمؤمنات بالنار ليصرفوهم عن الإيمان بالله وحده، ثم لم يتوبوا إلى الله من ذنوبهم، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، ولهم عذاب النار التي تحرقهم؛ جزاء على ما فعلوه بالمؤمنين من الإحراق بالنار.

﴿١١﴾ إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ذلك الجزاء الذي أعد لهم هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز. ﴿١٢﴾ إن أخذ ربك - أيها الرسول - للظالم - وإن أمهله حيناً - لقوي. ﴿١٣﴾ إنه هو يبدئ الخلق والعذاب، ويعيدهما. ﴿١٤﴾ وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، وإنه يحب أولياءه من المتقين. ﴿١٥﴾ صاحب العرش الكريم.

﴿١٦﴾ فقال لما يريد من العفو عن ذنوب من شاء، ومعاقبة من شاء، لا مكره له سبحانه. ﴿١٧﴾ هل جاءك - أيها الرسول - خبر الجنود الذين تجندوا لمحاربة الحق، والصد عنه؟ ﴿١٨﴾ فرعون، وثمود أصحاب صالح عليه السلام. ﴿١٩﴾ ليس المانع من إيمان هؤلاء أنهم لم تأتهم أخبار الأمم المكذبة وما حصل من إهلاكهم، بل هم يكذبون بما جاءهم به رسولهم اتباعاً لأهوائهم. ﴿٢٠﴾ والله محيط بأعمالهم محصياها، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها. ﴿٢١﴾ وليس القرآن شعراً ولا سجعاً كما يقول المكذبون، بل هو قرآن كريم.

﴿٢٢﴾ في لوح محفوظ من التبديل والتحريف، والنقص والزيادة.

• من قواعد الآيات،

• يكون ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه. • إثبات سلامة الإيمان على سلامة الأبدان من علامات النجاة يوم القيامة. • التوبة بشروطها تهدم ما قبلها.

• من مقاصد السورة:

بيان قوة الله وإحاطته الشاملة، ونصرتة لأوليائه، والبطش بأعدائه.

• التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالسماء المشتعلة على منازل الشمس والقمر وغيرهما.

﴿٢﴾ وأقسم بيوم القيامة الذي وعد أن يجمع فيه الخلائق.

﴿٣﴾ وأقسم بكل شاهد كالنبي يشهد على أمته وكل مشهود كالأمة يشهد عليها بنبيها.

﴿٤﴾ لعن الذين سقوا في الأرض شقاً عظيماً.

﴿٥﴾ وأوقدوا فيه النار، وألقوا المؤمنين فيه أحياء.

﴿٦﴾ إذ هم قعود على ذلك الشق المملوء نارا.

﴿٧﴾ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والتكيدل شهود؛ لحضورهم ذلك.

﴿٨﴾ وما عاب هؤلاء الكفار على المؤمنين شيئاً إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء.

﴿٩﴾ الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وهو مطلع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده.

﴿١٠﴾ إن الذين عذبوا المؤمنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣
إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ وَعَلَى
رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ١٢ إِنَّهُ
لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَاهُوَ بِالْهَزْلِ ١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥
وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤ فجَعَلَهُ عُثَاءً أَحْوَى ٥ سَنَقَرْنَاكَ ٦
فَلَا تَنْسَى ٧ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٨ وَنُيْسِرُكَ ٩
لِلْيَسْرَى ١٠ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ١١ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى ١٢

لإظهار الدين ودحض الباطل. ١٧ فأمهل - أيها الرسول - هؤلاء الكافرين، أمهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

سُورَةُ الْأَعْلَى

مَكِّيَّةٌ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تذكير النفس بالحياة الآخوية، وتخليصها من التعلقات الدنيوية.

● التفسير: ١ نَزَّهَ رَبُّكَ الْأَعْلَى الذي علا على خلقه ناطقاً باسمه عند ذكرك إياه وتعظيمك له. ٢ الذي خلق الإنسان سوياً، وعدل قامته. ٣ والذي قَدَّرَ الخلائق أجناسها وأنواعها وصفاتها، وهدى كل مخلوق إلى ما يناسبه ويوائمته. ٤ والذي أخرج من الأرض ما ترعاه دوابكم. ٥ فصَيَّرَهُ هَشِيمًا يَابِسًا مَائِلاً للِسَوَادِ بعد أن كان أخضر غَضًّا. ٦ سنقرئك - أيها الرسول - القرآن، ونجمعه في صدرك ولن تنساه، فلا تسابق جبريل في القراءة كما كنت تفعل حرصاً على ألا تنساه. ٧ إلا ما شاء الله أن تنساه منه لحكمة، إنه سبحانه يعلم ما يُعْلَنُ وما يُخْفَى، لا يَخْفَى عليه شيء من ذلك. ٨ ونُيْسِرُكَ العمل بما يرضي الله من الأعمال التي تدخل الجنة. ٩ فغُفِّرْ للناس بما نوحى إليك من القرآن، وذكِّرهم ما دامت الذكرى مسموعة. ١٠ سَيُعْطِزُ بِمَوْعِظِكَ من يخاف الله؛ لأنه الذي ينتفع بالموعظة.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● تحفظ الملائكة الإنسان وأعماله خيرها وشرها ليحاسب عليها. ● ضعف كيد الكفار إذا قوبل بكيد الله سبحانه. ● خشية الله تبعث على الاعتاض.

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان قدرة الله وإحاطته في خلق الإنسان وإعادته.

● التفسير: ١ أقسم الله بالسماء، وأقسم بالنجم الذي يَطْرُقُ ليلاً. ٢ وما أعلمك - أيها الرسول - شأن هذا النجم العظيم ٣ هو النجم يتقرب السماء بضيائه المتوهج. ٤ ما من نفس إلا وكل الله بها ملكاً يحفظ عليها أعمالها للحساب يوم القيامة. ٥ فليأمل الإنسان مم خلقه الله؛ لتتضح له قدرة الله وعجز الإنسان. ٦ خلقه الله من ماء ذي اندفاق يُصَبُّ في الرحم. ٧ يخرج هذا الماء من بين العمود العظمي الفقري للرجل، وعظام الصدر.

٨ إنه سبحانه - إذ خلقه من ذلك الماء المهيمن - قادر على بعثه بعد موته حياً للحساب والجزاء. ٩ يوم تُخْبَرُ السرائر، فيُكشَفُ عما كانت تضمهر القلوب من النيات والعقائد وغيرها، فيتميز الصالح منها والفساد.

١٠ فما للإنسان في ذلك اليوم من قوة يتمتع بها من عذاب الله ولا معين يعينه. ١١ أقسم الله بالسماء ذات المطر؛ لأنه ينزل من جهتها مرة بعد مرة. ١٢ وأقسم بالأرض التي تتشقق عما فيها من النبات والثمر والشجر. ١٣ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ لقول يفصل بين الحق والباطل، والصدق والكذب. ١٤ وليس باللعب والباطل، بل هو الجد والحق.

١٥ إن المكذبين بما جاءهم رسولهم يكيدون كيداً كثيراً ليردوا دعوتهم، ويبطلوها. ١٦ وأكد أنا كيداً لإظهار الدين ودحض الباطل. ١٧ فأمهل - أيها الرسول - هؤلاء الكافرين، أمهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

١١) ويتعد عن الموعظة وينفر منها الكافر؛ لأنه أشد الناس شقاء في الآخرة لدخوله في النار.
١٢) الذي يدخل نار الآخرة الكبرى يقاسي حرها ويعانيه أبداً.
١٣) ثم يخلد في النار بحيث لا يموت فيها فيستريح مما يقاسيه من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة كريمة.
١٤) قد فاز بالمطلوب من تطهر من الشرك والمعاصي.

١٥) وذكر ربه بما شرع من أنواع الذكر، وأدى الصلاة بالصفة المطلوبة لأدائها. بل تقدمون الحياة الدنيا، وتفضلونها على الآخرة على ما بينهما من تفاوت عظيم.

١٧) وللآخرة خير وأفضل من الدنيا وما فيها من متع ولذات وأدوم؛ لأن ما فيها من نعيم لا ينقطع أبداً.
١٨) إن هذا الذي ذكرنا لكم من الأوامر والأخبار لفي الصحف المنزل من قبل القرآن. هي الصحف المنزل على إبراهيم وموسى عليه السلام.

سورة الغاشية

مكية

من مقاصد السورة:

التذكير بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب، والنظر في براهين قدرة الله.

التفسير:

١) هل أتاك - أيها الرسول - حديث القيامة التي تقشى الناس بأهوالها؟
٢) فالتناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة. متعبة مجعدة بالسلاسل التي تُسحب بها، والأغلال التي تُغل بها. تدخل تلك الوجوه

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ١٩

سورة الغاشية

آياتها ٢٦

رقبتها ٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشَعَةٌ ٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ٣ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ٤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ٦ لَا يَسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ٧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ٨ لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ١٥ وَزُرِّيٌّ مَبْنُوتَةٌ ١٦ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ٢٢

٥٩٢

نارًا حارة تقاسي حرها. ١) تُسْقَى من عين شديدة حرارة الماء. ٢) ليس لهم طعام يتغذون به إلا من أخبت الطعام وأنته من نبات يسمى السَّبْرَق إذا ببس صار مسموماً. ٣) لا يُسْمَنُ أكله، ولا يسد جوعته. ٤) وجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وبهجة وسرور؛ لما لا قوه من النعيم. ٥) لعملها الصالح الذي عملته في الدنيا راضية، فقد وجدت ثواب عملها مدخراً لها مضاعفاً. ٦) في جنة مرتفعة المكان والمكانة. ٧) لا تسمع في الجنة كلمة باطل ولغو، فضلاً عن سماع كلمة محرمة. ٨) في هذه الجنة عيون جارية يفجرونها، ويصرفونها كيف شاؤوا. ٩) فيها أسرة عالية. ١٠) وأكواب مطروحة مهيأة للشرب. ١١) وفيها وسائد مرصوص بعضها إلى بعض. ١٢) وفيها بسط كثيرة مفروشة هنا وهناك. ولما ذكر الله تفاوت أحوال الأشقياء والسعداء في الآخرة، وجّه أنظار الكفار إلى ما يدلهم على قدرة الخالق وحسن خلقه ليستدلوا بذلك على الإيمان؛ ليدخلوا الجنة فيكونوا من السعداء فقال: ١٣) أفلا ينظرون نظر تأمل إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لبني آدم؟ ١٤) وينظرون إلى السماء كيف رفعها حتى صارت فوقهم سقفاً محفوظاً، لا يسقط عليهم؟ ١٥) وينظرون إلى الجبال كيف نصبها وثبت بها الأرض أن تضطرب بالناس؟ ١٦) وينظرون إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها مهيأة لاستقرار الناس عليها؟ ولما وجههم إلى النظر إلى ما يدل على قدرته تعالى وجّه رسوله، فقال: ١٧) أيها الرسول - هؤلاء، وخوفهم من عذاب الله، إنما أنت مذكر، لا يطلب منك إلا تذكيرهم، وأما توفيقهم للإيمان فهو بيد الله وحده. ١٨) لست عليهم مسلماً حتى تكرهم على الإيمان.

● من قوادر الآيات: ● أهمية تطهير النفس من الخبائث الظاهرة والباطنة. ● الاستدلال بالمخلوقات على وجود الخالق وعظمته. ● مهمة الداعية الدعوة، لا حمل الناس على الهداية؛ لأن الهداية بيد الله.

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۚ

آياتها
٣٠

سورة الفجر

ترتيبها
٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝
وَلَيْلٍ عَشْرٍ ۝
وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ۝
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ ۝
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝
وَتُمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝
وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝
الَّذِينَ طَغَوْا فِي
الْبِلَادِ ۝
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۝
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ۝
إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ۝
فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ ۝
فَأَكْرَمَهُ ۝
وَنَعَّمَهُ ۝
فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَرَعَلَيْهِ رِزْقَهُ ۝
فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝
كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ
الْيَتِيمَ ۝
وَلَا تَحْضُون عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝
وَتَأْكُلُونَ
الْثَرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝
كَلَّا إِذَا
دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

٥٩٣

٢٣) لكن من تولى منهم عن الإيمان، وكفر بالله ورسوله.
٢٤) فيعذب الله يوم القيامة العذاب الأعظم بأن يدخله جهنم خالدًا فيها.
٢٥) إن إلينا وحدنا رجوعهم بعد موتهم.
٢٦) ثم إن علينا وحدنا حسابهم على أعمالهم، وليس لك ولا لأحد غيرك ذلك.

سورة الفجر — مكية —

• من مقاصد السورة:

بيان عاقبة الطغاة، والحكمة من الابتلاء، والتذكير بالآخرة.

• التفسير:

١) أقسم الله سبحانه بالفجر.

٢) وأقسم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة.

٣) وأقسم بالزوج والفرد من الأشياء.

٤) وأقسم بالليل إذا جاء، واستمرّ وأدبر وجواب هذه الأقسام: لتُجَارَنَ على أعمالكم.

٥) هل في ذلك المذكور قسم يمنع ذا عقل؟

٦) ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا رسوله؟

٧) قبيلة عاد المنسوبة إلى جدها إرم ذات الطول.

٨) التي لم يخلق الله مثلاً في البلاد.

٩) أولم تر كيف فعل ربك بثمود قوم صالح، الذين شقوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتاً بالحجر.

١٠) أولم تر كيف فعل ربك بفرعون الذي كانت له أوتاد يُعَذَّب بها الناس؟

١١) كل هؤلاء تجاوزوا الحد في الجبروت والظلم، كل تجاوزه في بلده.

١٢) فأذاقهم الله عذابه الشديد، واستأصلهم من الأرض.

١٣) إن ربك - أيها الرسول - ليرصد أعمال الناس ويراقبها؛ ليجازي من أحسن بالجنة، ومن أساء بالنار.

١٤) ولما كانت الأمم التي أهلكها الله منعماً عليها بالقوة والمنعة، بين أن الإنعام بذلك ليس دليلاً على رضا الله عنهم، فقال:

١٥) فأما الإنسان فمن طبعه أنه إذا اختبره ربه وأكرمه، وأنعم عليه بالمال والأولاد والجاه، ظن أن ذلك لكرامة له عند الله، فيقول: ربي أكرمني لاستحقاقني لإكرامه.

١٦) وأما إذا اختبره وضيق عليه رزقه، فإنه يظن أن ذلك لهوانه على ربه فيقول: ربي أهانني.

١٧) كلا، ليس الأمر كما تصور هذا الإنسان من أن النعم دليل على رضا الله عن عبده، وأن النقم دليل على هوان العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم مما أعطاكم الله من الرزق.

١٨) ولا بحث بعضكم بعضاً على إطعام الفقير الذي لا يجد ما يقتات به.

١٩) وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلاً شديداً دون مراعاة حله.

٢٠) وتحبون المال حباً كثيراً، فتدخلون بإنفاقه في سبيل الله حرصاً عليه.

٢١) لا ينبغي أن يكون هذا عملكم، واذكروا إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً وزلزلت.

٢٢) وجاء ربك - أيها الرسول - للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفواً.

• من قوائد الآيات:

• فضل عشر ذي الحجة على أيام السنة. • ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. • المؤمن إذا ابتلي صبر وإن أعطي شكر.

• فضل عشر ذي الحجة على أيام السنة. • ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. • المؤمن إذا ابتلي صبر وإن أعطي شكر.

﴿٣٣﴾ وجيء في ذلك اليوم بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما فرط في جنب الله، وأنى له أن ينفعه التذكر في ذلك اليوم؛ لأنه يوم جزاء لا يوم عمل! ﴿٣٤﴾ يقول من شدة الندم: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة لحياتي الأخرى التي هي الحياة الحقيقية. ﴿٣٥﴾ في ذلك اليوم لا يُعَذَّب أحد مثل عذاب الله؛ لأن عذاب الله أشد وأبقى.

﴿٣٦﴾ ولا يؤثق في السلاسل أحد مثل وثاقه للكافرين فيها.

ولما ذكر الله جزاء الكفار ذكر جزاء المؤمنين فقال:

﴿٣٧﴾ وأما نفس المؤمن فيقال لها عند الموت ويوم القيامة: يا أيها النفس المطمئنة إلى الإيمان والعمل الصالح.

﴿٣٨﴾ ارجعي إلى ربك راضية عنه بما تنالين من الثواب الجزيل، مرضية عنده سبحانه بما كان لك من عمل صالح.

﴿٣٩﴾ فادخلي في جملة عبادي الصالحين.

﴿٤٠﴾ وادخلي معهم جنتي التي أعدتها لهم.

سورة البلد

— مكة —

● من مقاصد السورة:

بيان افتقار الإنسان وكبده وسبل نجاته.

● التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالبلد الحرام الذي

وَجَاءَ يَوْمَ ذِي الْقَعْدَةِ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٣٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٣٤﴾ فَيَوْمَ ذِي الْقَعْدَةِ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْثَقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٣٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٧﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٣٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٣٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٤٠﴾

سورة البلد

آياتها ٤٠

ترتيبها ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَصَّوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

٥٩٤

هو مكة المكرمة. ﴿١﴾ وأنت - أيها الرسول - حلال لك ما تصنع فيها؛ من قتل من يستحق القتل، وأسر من يستحق الأسر. ﴿٢﴾ وأقسم الله بوالد البشر، وأقسم بما تناسل منه من الولد. ﴿٣﴾ لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة؛ لما يعانيه من الشدائد في الدنيا. ﴿٤﴾ أيطن الإنسان أنه إذا اقترف المعاصي لا يقدر عليه أحد، ولا ينتقم منه، ولو كان ربه الذي خلقه؟ ﴿٥﴾ يقول: أنفقت ما لا كثيرًا متراكمًا بعضه فوق بعض. ﴿٦﴾ أيطن هذا المتباهي بما ينفقه أن الله لا يراه؟ وأنه لا يحاسبه في ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ ﴿٧﴾ ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟ ﴿٨﴾ ولسانًا وشفتين يتحدث بهما؟ ﴿٩﴾ وعرفناه طريق الخير، وطريق الباطل؟ ﴿١٠﴾ وهو مطالب بأن يتجاوز العقبة التي تفصله عن الجنة فيقطعها ويتجاوزها. ﴿١١﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما العقبة التي عليه أن يقطعها ليدخل الجنة؟ ﴿١٢﴾ هي إعتاق رقبة ذكرًا أو أنثى. ﴿١٣﴾ أو أن يطعم في يوم مجاعة يندر فيه وجود الطعام. ﴿١٤﴾ طفلًا فقد أباه، له به قرابة. ﴿١٥﴾ أو فقيرًا ليس له شيء يملكه. ﴿١٦﴾ ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، وأوصى بعضهم بعضًا بالرحمة بعباد الله. ﴿١٧﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم أصحاب اليمين.

● من قوائد الآيات،

● عتق الرقاب، وإطعام المحتاجين في وقت الشدة، والإيمان بالله، والتواصي بالصبر والرحمة: من أسباب دخول الجنة. ● من دلائل النبوة إخباره أن مكة ستكون حلالاً له ساعة من نهار. ● لما ضيق الله طرق الرق وسع طرق العتق، فجعل الإعتاق من القربات والكفارات.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۚ

آيَاتُهَا ١٥

سُورَةُ الشَّمْسِ

تَرْتِيبُهَا ٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۚ ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَدَهَا ٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥

آيَاتُهَا ٩١

سُورَةُ اللَّيْلِ

تَرْتِيبُهَا ٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٩

٥٩٥

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِنَا هُمْ أَصْحَابُ الشَّمَالِ ۚ عَلَيْهِمْ نَارٌ مَغْلَقَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْذِبُونَ فِيهَا.

سُورَةُ الشَّمْسِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التأكيد بأطول قسم في القرآن، على تعظيم تزكية النفس بالطاعات، وخسارة دسها بالمعاصي.

• التفسير:

١ أقسم الله بالشمس، وأقسم بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها. ٢ وأقسم بالقمر إذا تبع أثرها بعد غروبها. ٣ وأقسم بالنهار إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه. ٤ وأقسم بالليل إذا يغشى وجه الأرض، فيصير مظلمًا. ٥ وأقسم بالسما، وأقسم بينائها المتقن. ٦ وأقسم بالأرض، وأقسم ببسطها؛ ليسكن الناس عليها. ٧ وأقسم بكل نفس، وأقسم بخلق الله لها سوية. ٨ فأفهمها من غير تعليم ما هو شرّ لتجتنبه، وما هو خير لتأتيه.

٩ قد فاز بمطلوبه من طهر نفسه بتخليتها بالفضائل، وتخليتها عن الرذائل. ١٠ وقد خسر من دس نفسه مخفياً إياها في المعاصي والآثام. ولما ذكر الله خسران من دس نفسه وأخفاها بالمعاصي ذكر ثمود مثلاً على ذلك فقال: ١١ كذبت ثمود نبيها صالحاً بسبب مجاوزتها الحد في ارتكاب المعاصي، واقرار الآثام.

١٢ حين قام أشقاها بعد انتداب قومه له. ١٣ فقال لهم رسول الله صالح: ١٤ اتركوا ناقة الله، وشر بها في يومها، فلا تتعرضوا لها بسوء. ١٥ فكذبوا رسولهم في شأن الناقة، فقتلها أشقاها مع رضاهم بما فعل، فكانوا شركاء في الإثم، فأطبق الله عليهم عذابه، فأهلكهم بالصيحة بسبب ذنوبهم، وسواهم في العقوبة التي أهلكهم بها. ١٦ فعل الله بهم من العذاب ما أهلكهم غير خائف سبحانه من تبعاته.

سُورَةُ اللَّيْلِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان أحوال الخلق في الإيمان والإنفاق وحال كل فريق.

• التفسير: ١ أقسم الله بالليل إذا يغطي ما بين السماء والأرض بظلمته. ٢ وأقسم بالنهار إذا تكشف وظهر. ٣ وأقسم بخلقه النوعين: الذكر والأنثى. ٤ إن عملكم - أيها الناس - لمختلف، فمنه الحسنات التي هي سبب دخول الجنة، والسيئات التي هي سبب دخول النار. ٥ فأما من أعطى ما يلزمه بذله: من زكاة ونفقة وكفارة، واتقى ما نهى الله عنه. ٦ وصدق بما وعده الله به من الخلف. ٧ فسنبسرها عليه العمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله. ٨ وأما من بخل بماله فلم يبذله فيما يجب عليه بذله فيه، واستغنى بماله عن الله فلم يسأل الله من فضله شيئاً. ٩ وكذب بما وعده الله من الخلف ومن الثواب على إنفاق ماله في سبيل الله. ١٠ من قواد الأكيان: • أهمية تزكية النفس وتطهيرها. • المتعاونون على المعصية شركاء في الإثم. • الذنوب سبب للعقوبات الدنيوية. • كل ميسر لما خلق له فمنهم مطيع ومنهم عاص.

﴿١٠﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۚ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۚ ﴿١٢﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۚ ﴿١٣﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ ﴿١٤﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ ﴿١٥﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ۖ ﴿١٦﴾ الْأَتَقَى ۖ ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۖ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۖ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۖ ﴿٢١﴾

﴿١٠﴾ فسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ. وما يغني عنه ماله الذي بخل به شيئاً إذا هلك، ودخل النار.

﴿١١﴾ إن علينا أن نبين طريق الحق من الباطل.

﴿١٢﴾ وإن لنا للحياة الآخرة ولنا الحياة الدنيا، نتصرف فيهما بما نشاء، وليس ذلك لأحد غيرنا.

﴿١٣﴾ فحذرتكم - أيها الناس - من نار تتوقد إن أنتم عصيتم الله.

﴿١٤﴾ لا يقاسي حر هذه النار إلا الأشقى وهو الكافر.

﴿١٥﴾ الذي كذب بما جاء به الرسول ﷺ، وأعرض عن امتثال أمر الله.

﴿١٦﴾ وسيباعد عنها أتقى الناس أبو بكر ﷺ، الذي ينفق ماله في وجوه البر ليتطهر من الذنوب.

﴿١٧﴾ ولا يبذل ما يبذل من ماله ليكافئ نعمة أنعم بها أحد عليه.

﴿١٨﴾ لا يريد بما يبذله من ماله إلا وجه ربه العالي على خلقه.

﴿١٩﴾ ولسوف يرضى بما يعطيه الله من الجزاء الكريم.

سُورَةُ الضُّحَى

— مكية —

● من مقاصد السورة:

بيان عناية الله بنبيه في أول أمره وآخره.

● التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بأول النهار.

﴿٢﴾ وأقسم بالليل إذا أضلم وسمكن الناس فيه عن الحركة.

﴿٣﴾ ما تركك - أيها الرسول - ربك، وما أبغضك؛ كما يقول المشركون لما فتر الوحي.

﴿٤﴾ ولقد وجدك صغيراً قد مات عنك أبوك، فجعل لك مأوى، حيث عطف عليك جدك عبد المطلب، ثم عمك أبو طالب.

﴿٥﴾ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك من ذلك ما لم تكن تعلم.

﴿٦﴾ ووجدك فقيراً فأغناك.

﴿٧﴾ فلا تسئ معاملته من فقد أباه في الصغر، ولا تذله. ولا تزجر السائل المحتاج.

﴿٨﴾ واشكر نعم الله عليك وتحدث بها.

● شكر النعم حق لله على عبده. ● وجوب الرحمة بالمستضعفين

● من قوادر الآيات: ● منزلة النبي ﷺ عند ربه لا تدانيها منزلة. ● شكر النعم حق لله على عبده. ● وجوب الرحمة بالمستضعفين

واللين لهم.

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَالضُّحَىٰ ۖ ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۖ ﴿٣﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۖ ﴿٤﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ ﴿٥﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ۖ ﴿٦﴾ فَتَرْضَىٰ ۖ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ ﴿٨﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۖ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ ﴿٢﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۖ ﴿٣﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

— مكية —

● من مقاصد السورة: المنة على النبي ﷺ بتمام النعم المعنوية عليه.

● التفسير:

﴿١﴾ لقد شرح الله لك صدرك فحبب إليك تلقى الوحي. ● وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها.

● من قوادر الآيات: ● منزلة النبي ﷺ عند ربه لا تدانيها منزلة. ● شكر النعم حق لله على عبده. ● وجوب الرحمة بالمستضعفين

واللين لهم.

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

آياتها ٨

سُورَةُ التَّيْنِ

ترتيبها ٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالتَّيْتُونَ ۝ وَطُورِ سَيْنِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝
فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْبَلَدَيْنِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝

آياتها ١٩

سُورَةُ الْعَلَقِ

ترتيبها ٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ ۝
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَيطغى ۝ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ۝
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝

٥٩٧

الله - يجعل يوم القيامة يومًا للجزاء - بأحكم الحاكمين وأعدلهم! أيعقل أن يترك الله عباده سدى دون أن يحكم بينهم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته!؟

سُورَةُ الْعَلَقِ

— مكية —

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: الإنسان بين هدايته بالوحي وضلاله بالاستكبار والجهل.
• التفسير: ١) اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك: مفتتحًا باسم ربك الذي خلق جميع الخلائق. ٢) خلق الإنسان من قطعة دم متجمدة بعد أن كانت نطفة. ٣) اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك، وربك الأكرم الذي لا يداني كرمه كريم، فهو كثير الجود والإحسان. ٤) الذي علم الخط والكتابة بالقلم. ٥) علم الإنسان ما لم يكن يعلمه. ٦) حقًا إن الإنسان الفاجر مثل أبي جهل ليتجاوز الحد في تعدي حدود الله. ٧) لأجل أن رآه استغنى بما لديه من الجاه والمال. ٨) إن إلى ربك - أيها الإنسان - الرجوع يوم القيامة فيجازي كلًا بما يستحقه. ٩) أرايت أعجب من أمر أبي جهل الذي ينهى. ١٠) عبداً محمداً ﷺ إذا صلى عند الكعبة. ١١) أرايت إن كان هذا المنهي على هدى وبصيرة من ربه!؟ ١٢) أو كان يأمر الناس بتقوى الله بامتنال أو امره واجتناب نواهيه، أُنهي من كان هذا شأنه!؟ • من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • إكرام الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن رفع له ذكره. • رضا الله هو المقصد الأسمي. • أهمية القراءة والكتابة في الإسلام. • خطر الغنى إذا جَرَّ إلى الكبر والبُعد عن الحق. • النهي عن المعروف صفة من صفات الكفر.

الذي أتعبك حتى كاد أن يكسر ظهرك. ٤) وأعلينا لك ذكرك، فقد أصبحت تُذكر في الأذان والإقامة وفي غيرهما. ٥) فإن مع الشدة والضيقة سهولة واتساعاً وفرجاً. ٦) إن مع الشدة والضيقة سهولة واتساعاً، إذا علمت ذلك فلا يهولك أذى قومك، ولا يصدك عن الدعوة إلى الله. ٧) فإذا فرغت من أعمالك، وانتهيت منها فاجتهد في عبادة ربك. ٨) واجعل رغبتك وقصدك إلى الله وحده.

سُورَةُ التَّيْنِ

— مكية —

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: امتنان الله على الإنسان باستقامة فطرته وخلقته، وكمال الرسالة الخاتمة.
• التفسير: ١) أقسم الله بالتين ومكان نباته، وبالزيتون ومكان نباته في أرض فلسطين التي بعث فيها عيسى عليه السلام. ٢) وأقسم بجبل سيناء الذي ناجى عنده نبيه موسى عليه السلام. ٣) وأقسم بمكة البلد الحرام الذي يأمن من دخل فيه، الذي بعث فيه محمد ﷺ. ٤) لقد أوجدنا الإنسان في أعدل خلق وأفضل صورة. ٥) ثم أرجعناه إلى الهرم والخرف في الدنيا فلا ينتفع بجسده كما لا ينتفع به إذا أفسد فطرته وصار إلى النار. ٦) إلا الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات فإنهم وإن هرموا فلهم ثواب دائم غير مقطوع، وهو الجنة: لأنهم زكوا فطرتهم. ٧) فأى شيء يملك - أيها الإنسان - على التكبذ يوم الجزاء بعدما عاينت من علامات قدرته الكثيرة!؟ ٨) أليس الله - يجعل يوم القيامة يومًا للجزاء - بأحكم الحاكمين وأعدلهم! أيعقل أن يترك الله عباده سدى دون أن يحكم بينهم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته!؟

﴿١٣﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٤﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٥﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٨﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٩﴾ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٠﴾ صاحب تلك الناصية كاذب في القول، خاطئ في الفعل. ﴿١٧﴾ فليدع - حين يؤخذ بمقدم رأسه إلى النار - أصحابه وأهل مجلسه؛ يستعين بهم لينقذوه من العذاب.

﴿١٨﴾ سندعو نحن خزنة جهنم من الملائكة الغلاظ الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فليُنظر أي الفريقين أقوى وأقدر. ﴿١٩﴾ ليس الأمر كما توهم هذا الظالم أن يصل إليك بسوء، فلا تطعه في أمر ولا نهي، واسجد لله، واقترب منه بالطاعات، فإنها تقرب إليه.

سورة القدر

● من مقاصد السورة:
بيان فضل ليلة القدر.

● التفسير:
﴿١﴾ إنا أنزلنا القرآن جملة إلى السماء الدنيا كما ابتدأنا إنزاله على النبي ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان. ﴿٢﴾ وهل تدري - أيها النبي - ما في هذه الليلة من الخير والبركة؟ ﴿٣﴾ هذه الليلة ليلة عظيمة الخير، فهي خير من ألف شهر لمن قامها إيماناً واحتساباً. ﴿٤﴾ تنزل الملائكة وينزل جبريل ﷺ فيها بإذن ربهم سبحانه بكل أمر قضاه الله في تلك السنة رزقاً

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾

٥٩٨

كان أو موثاً أو ولادة أو غير ذلك مما يقدره الله. ﴿٥﴾ هذه الليلة المباركة خير كلها من ابتدائها حتى نهايتها بطلوع الفجر.

سورة البينة

— مدنية —

● من مقاصد السورة: بيان كمال الرسالة المحمدية ووضوحها.

● التفسير:

﴿١﴾ لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين مفارقين إجماعهم واتفاقهم على الكفر حتى يأتيهم برهان واضح، وحجة جلية. ﴿٢﴾ هذا البرهان الواضح والحجة الجلية هو رسول من عند الله بعثه يقرأ صُحُفًا مطهرة لا يمسه إلا المطهرون. ﴿٣﴾ في تلك الصحف أخبار صدق وأحكام عدل، ترشد الناس إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم. ﴿٤﴾ وما اختلف اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيّه إليهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تمادى في كفره مع علمه بصدق نبيه. ﴿٥﴾ ويظهر جرم وعناد اليهود والنصارى أنهم ما أمروا في هذا القرآن إلا بما أمروا به في كتابيهم من عبادة الله وحده، ومجانبة الشرك، وإقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، فما أمروا به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

● من فوائد الآيات: ● فضل ليلة القدر على سائر ليالي العام. ● الإخلاص في العبادة من شروط قبولها. ● اتفاق الشرائع في الأصول مدعاة لقبول الرسالة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٧ جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ٨

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

آياتها ٨

ترتيبها ٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

آياتها ١١

ترتيبها ١٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥

٥٩٩

٦ إن الذين كفروا - من اليهود والنصارى ومن المشركين - يدخلون يوم القيامة في جهنم ماكثين فيها أبداً، أولئك هم شرُّ الخليقة؛ لكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله.

٧ إن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات أولئك هم خير الخليقة.

٨ ثوابهم عند ربهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم لما آمنوا به وأطاعوه، ورضوا عنه لما نالهم من رحمته، هذه الرحمة ينالها من خاف ربه، فامتثل أمره، واجتنب نهيه.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

— مَدِينَةٌ —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التذكير بأحوال القيامة ودقة الحساب فيها.

● التفسير:

١ إذا حُرِّكَتِ الْأَرْضُ التحريك الشديد الذي يحدث لها يوم القيامة.

٢ وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى وغيرهم.

٣ وقال الإنسان متحيراً: ما شأن الأرض تتحرك وتضطرب؟

٤ في ذلك اليوم العظيم تخبر الأرض بما عمل عليها من خير وشر.

٥ لأن الله أعلمها وأمرها بذلك.

٦ في ذلك اليوم العظيم الذي تنزل فيه الأرض يخرج الناس من موقف الحساب فرقاً ليشاهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

٧ فمن يعمل وزن نملة صغيرة من أعمال الخير والبر يره أمامه.

٨ ومن يعمل وزن نملة صغيرة من أعمال الشر يره كذلك.

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

— مَكِينَةٌ —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحذير الإنسان من الجحود والطمع بتذكيره بالآخرة.

● التفسير:

١ أقسم الله بالخيال التي تجري حتى يُسَمِعَ لِنَفْسِهَا صَوْتٌ من شدة الجري. ٢ وأقسم بالخيال التي تَوْقِدُ بحوافرها النار إذا لامست بها الصخور لشدة وقعتها عليها. ٣ وأقسم بالخيال التي تُغَيِّرُ على الأعداء وقت الصباح. ٤ فحركن بجريهن غباراً. ٥ فتوسطن بفوارسهن جمعاً من الأعداء.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الكفار شرُّ الخليقة، والمؤمنون خيرها. ● خشية الله سبب في رضاه عن عبده. ● شهادة الأرض على أعمال بني آدم.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ لِحَبِّ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ٩
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١

الجزء
٦٠

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

آياتها ١١

ترتيبها ١٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي
عِيشَةٍ رَّاغِبَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩
وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

— مكية —

• من مقاصد السورة:

• قرع القلوب لاستحضار هول
القيامة وأحوال الناس في موازينها.

• التفسير:

١ الساعة التي تقرر قلوب الناس
لعظم هولها. ٢ ما هذه الساعة التي

تقرر قلوب الناس لعظم هولها؟

٣ وما أعلمك - أيها الرسول -
ما هذه الساعة التي تقرر قلوب الناس

لعظم هولها؟ إنها يوم القيامة.

٤ يوم تقرر قلوب الناس يكونون
كالفرش المُنثَرِ المتناثر هنا

وهناك. ٥ وتكون الجبال مثل
الصوف المندوف في خفة سيرها

وحركتها. ٦ فأما من رجحت أعماله
الصالحة على أعماله السيئة. ٧ فهو

في عيشة مرضية ينالها في الجنة.
٨ وأما من رجحت أعماله السيئة

على أعماله الصالحة. ٩ فمُسْكَنُهُ
ومستقره يوم القيامة هو جهنم.

سُورَةُ التَّكْوِينِ

آياتها ٨

ترتيبها ١٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَكُمُ التَّكْوِينُ ١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨

٦٠٠

١١ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هي؟ ١٢ هي نار شديدة الحرارة.

سُورَةُ التَّكْوِينِ

— مكية —

• من مقاصد السورة:

• تذكير المتكاثرين واللاهين بالدنيا بالقبور والحساب.

• التفسير:

١ شغلكم - أيها الناس - التفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله. ٢ حتى مُثِّمٌ ودخلتم قبوركم. ٣ ما كان لكم أن يشغلكم
التفاخر بها عن طاعة الله، سوف تعلمون عاقبة ذلك الانشغال. ٤ ثم سوف تعلمون عاقبته. ٥ حقاً لو أنكم تعلمون يقيناً أنكم

مبعوثون إلى الله، وأنه سيجازيكم على أعمالكم: لما انشغلتم بالتفاخر بالأموال والأولاد. ٦ والله لتشاهدن النار يوم القيامة.
٧ ثم لتشاهدنها مشاهدة يقين لا شك فيه. ٨ ثم ليسألنكم الله في ذلك اليوم عما أنعم به عليكم من الصحة والغنى وغيرهما.

• من فوائد الآيات: • خطر التفاخر والتباهي بالأموال والأولاد. • القبر مكان زيارة سرعان ما ينتقل منه الناس إلى الدار الآخرة.
• يوم القيامة يُسأل الناس عن النعيم الذي أنعم به الله عليهم في الدنيا. • الإنسان مجبول على حب المال.

سُورَةُ الْعَصْرِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

أَسْبَابُ النِّجَاةِ مِنَ الْخُسَارَةِ.

• التَّضْيِيرُ:

① أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِوَقْتِ الْعَصْرِ.

② إِنْ الْإِنْسَانُ لَفِي نَقْصَانٍ وَهَلَاكٍ.

③ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ،

وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَأَوْصَى

بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْحَقِّ، وَبِالصَّبْرِ عَلَى

الْحَقِّ؛ فَالْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ

نَاجُونَ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

سُورَةُ الْهُمَزِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التَّحْذِيرُ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ

اغْتِرَارًا بِكَثْرَةِ الْمَالِ.

• التَّضْيِيرُ:

① وَبِالْوَشْدَةِ عَذَابٍ لِكَثْرِ الْاِغْتِيَابِ

لِلنَّاسِ، وَالطَّعْنِ فِيهِمْ.

② الَّذِي هَمَّهُ جَمْعُ الْمَالِ وَاحْتِصَاؤُهُ، لَا

هَمٌّ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ.

③ يَظُنُّ أَنَّ مَالَهُ الَّذِي جَمَعَهُ سَيَنْجِيهِ

مِنَ الْمَوْتِ، فَيَبْقَى خَالِدًا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا.

④ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَصَوَّرُ هَذَا الْجَاهِلُ،

لِيُطْرَحَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي تَدْقُ وَتَكْسِرُ

كُلَّ مَا طَرَحَ فِيهَا لِشِدَّةِ بَأْسِهَا.

⑤ وَمَا أَعْلَمَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -

مَا هَذِهِ النَّارُ الَّتِي تَحْطُمُ كُلَّ مَا طَرَحَ

فِيهَا؟!

⑥ إِنَّهَا نَارُ اللَّهِ الْمُسْتَعْرَةِ.

⑦ الَّتِي تَنْفِذُ مِنْ أَجْسَامِ النَّاسِ

إِلَى قُلُوبِهِمْ. ⑧ إِنَّهَا عَلَى الْمُعَذِّبِينَ فِيهَا مَغْلَقَةٌ. ⑨ بِعَمْدٍ مُمْتَدَّةٍ طَوِيلَةٍ حَتَّى لَا يَخْرُجُوا مِنْهَا.

سُورَةُ الْفِيلِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ وَبَطْشُهُ بِالْكَافِرِينَ لِبَيْتِهِ الْحَرَمِ.

• التَّضْيِيرُ:

① أَلَمْ تَعْلَمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَرْبَعَةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ حِينَ أَرَادُوا هَدْمَ الْكَعْبَةِ؟! ② لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَدْبِيرَهُمْ

السَّيِّئَ لَهُمَا فِي ضِيَاعٍ، فَمَا نَالُوا مَا تُمْنُوهُ مِنْ صَرْفِ النَّاسِ عَنِ الْكَعْبَةِ، وَمَا نَالُوا مِنْهَا شَيْئًا. ③ وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَتَتْهُمْ جُمَاعَاتُ

جُمَاعَاتٍ. ④ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ مُنَحَّجَرٍ. ⑤ فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ كُورِقَ زَرْعٍ أَكَلَتْهُ الدُّوَابُّ وَدَاسَتْهُ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خُسْرَانُ مَنْ لَمْ يَتَصَفَّ بِالْإِيمَانِ وَعَمِلِ الصَّالِحَاتِ، وَالتَّوَاصَى بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصَى بِالصَّبْرِ. • تَحْرِيمُ الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ فِي النَّاسِ.

• دِفَاعُ اللَّهِ عَنِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَهَذَا مِنَ الْأَمْنِ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ لَهُ.

سُورَةُ الْعَصْرِ

تَرْتِيبُهَا ١٠٣

آيَاتُهَا ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ③

سُورَةُ الْهُمَزِ

تَرْتِيبُهَا ١٠٤

آيَاتُهَا ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَتِ فِي الْحُطَمَةِ ④
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑨

سُورَةُ الْفِيلِ

تَرْتِيبُهَا ١٠٥

آيَاتُهَا ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُولٍ ⑤

٦٠١

من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان نعمة الله على قريش وحق الله عليهم.

التفسير:

١- لأجل عادة قريش والفهم.

٢- رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام آمنين.

٣- فليعبدوا الله رب هذا البيت الحرام وحده، الذي يسر لهم هذه الرحلة، ولا يشركوا به أحداً.

٤- الذي أطعمهم من جوع، وأمنهم من خوف؛ بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان صفات المكذِبين بالدين.

التفسير:

١- هل عرفت الذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟

٢- فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بغلظة عن حاجته.

٣- ولا يحث نفسه، ولا يحث غيره على إطعام الفقير.

٤- فهلاك وعذاب للمصلين، الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يبالون بها حتى ينقضي وقتها.

٥- الذين هم يراؤون بصلاتهم وأعمالهم، لا يخلصون العمل لله.

٦- ويمنعون إعانة غيرهم بما لا ضرر في الإعانة به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ١ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٢ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٣ فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ٥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ٢
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان منة الله على نبيه ﷺ بالخير الكثير؛ والدفاع عنه.

التفسير:

١- إنا آتيناك - أيها الرسول - الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة.

٢- فأد شكر الله على هذه النعمة، بأن تصلي له وحده وتذبح؛ خلافاً لما يفعله المشركون من التقرب لأوثانهم بالذبح.

٣- إن مَبْغُضَكَ هو المنقطع عن كل خير المَنَسِي الذي إن ذُكِرَ ذُكِرَ بسوء.

من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

• أهمية الأمن في الإسلام. • الرياء أحد أمراض القلوب، وهو يبطل العمل. • مقابلة النعم بالشكر يزيد بها. • كرامة النبي ﷺ على ربه وحفظه له وتشريفه له في الدنيا والآخرة.

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

البراءة من الكفر وأهله.

• التَّضْيِيرُ:

١ - قل - أيها الرسول - : يا أيها الكافرون بالله.

٢ - لا أعبد في الحال ولا في المستقبل ما تعبدون من الأصنام.

٣ - ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا؛ وهو الله وحده.

٤ - ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام.

٥ - ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا، وهو الله وحده.

٦ - لكم دينكم الذي ابتدئتموه لأنفسكم، ولي ديني الذي أنزله الله علي.

سُورَةُ النَّصْرِ

مَدِينِيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بشارة النبي ﷺ بالنصر وختام الرسالة.

• التَّضْيِيرُ:

١ - إذا جاء نصر الله ولدينك - أيها الرسول - وإعزازه له، وحدث فتح مكة.

٢ - ورأيت الناس يدخلون في الإسلام وفداً بعد وفد.

٣ - فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعِثَ بها، فسبح بحمد ربك؛ شكراً له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، إنه كان تواباً يقبل توبة عبادِه، ويغفر لهم.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

آيَاتُهَا ٦

تَرْجُمَانُهَا ١٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ٤
وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦

سُورَةُ النَّصْرِ

آيَاتُهَا ٣

تَرْجُمَانُهَا ١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣

سُورَةُ الْمَسَدِ

آيَاتُهَا ٥

تَرْجُمَانُهَا ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥

سُورَةُ الْمَسَدِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان خسران أبي لهب وزوجه.

• التَّضْيِيرُ:

١ - خسرت يدا عم النبي ﷺ أبي لهب بن عبد المطلب بخسران عمله؛ إذ كان يؤذي النبي ﷺ، وخاب سعيه.

٢ - أي شيء أغنى عنه ماله وولده؛ لم يدفعه عنه عذاباً، ولم يجلبه له رحمة.

٣ - سيدخل يوم القيامة ناراً ذات لهب، يقاسي حرّها.

٤ - وستدخلها زوجته أم جميل التي كانت تؤذي النبي ﷺ بإلقاء الشوك في طريقه.

٥ - في عنقها حبل مُحْكَم القتل تساق به إلى النار.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• المفاصلة مع الكفار. • مقابلة النعم بالشكر. • سورة المسد من دلائل النبوة؛ لأنها حكمت على أبي لهب بالموت كافراً ومات بعد عشر سنين على ذلك. • صِغَةُ أَنْكحة الكفار.

• من مقاصد السورة:

تفرد الله بالألوهية والكمال وتنزهه عن الولد والوالد والنظير.

• التفسير:

① قل - أيها الرسول -: هو الله المنفرد بالألوهية، لا إله غيره.

② هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد في صفات الكمال والجمال، الذي تصمد إليه الخلائق.

③ الذي لم يلد أحدًا، ولم يلد له أحد، فلا ولد له - سبحانه - ولا والد. ولم يكن له مماثل في خلقه.

سُورَةُ الْفَلَقِ

• من مقاصد السورة:

الحث على الاعتصام بالله من الشرور.

• التفسير:

① قل - أيها الرسول -: أعتصم بربّ الصبح، وأستجير به.

② من شرّ ما يؤذي من المخلوقات. وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص.

③ وأعتصم به من شرّ السواحر اللائي يَفْنُن في العُقَد.

④ وأعتصم به من شرّ حاسد إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد.

سُورَةُ الْإِنْشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ②
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①
مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ②
وَمِنْ شَرِّ إِذَا وَقَبَ ③
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①
مَلِكِ النَّاسِ ②
إِلَهِ النَّاسِ ③
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

سُورَةُ النَّاسِ

• من مقاصد السورة:

الحث على الاستعاذة بالله من شر الشيطان ووسوسته.

• التفسير:

① قل - أيها الرسول -: أعتصم برب الناس، وأستجير به.

② ملك الناس، يتصرّف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره.

③ معبودهم بحق، لا معبود لهم بحق غيره.

④ من شرّ الشيطان الذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره. ⑤ يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس. ⑥ وهو يكون من الإنس كما يكون من الجن.

• من فوائد الآيات:

• إثبات صفات الكمال لله، ونفي صفات النقص عنه. • ثبوت السحر، ووسيلة العلاج منه. • علاج الوسوسة يكون بذكر الله والتعوذ من الشيطان.